أتعاظ الحنفا

بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا

تأليف

أبي العباس تقي الدين أحمد بن علي المقريزي
المتوفى سنة ٨٤٥هـ

تحقيق

محمد عبد القادر أحمد عطا

١ ـ ٢

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت ـ لبنان

اتعاظ الحنفا

بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا

تأليف

أبي العباس تقي الدين أحمد بن علي المقريزي
المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق

محمد عبد القادر أحمد عطا

الجزء الأول

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

Marfat.com

جميع الحقوق محفوظة

Copyright ©
All rights reserved
Tous droits réservés

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة
لـدار الكتب العلميـة بـيروت ـ لبـنان

ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Exclusive Rights by
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah *Beirut - Lebanon*

No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Droits Exclusifs à
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah *Beyrouth - Liban*

Il est interdit à toute personne individuelle ou morale d'éditer, de traduire, de photocopier, d'enregistrer sur cassette, disquette, C.D, ordinateur toute production écrite, entière ou partielle, sans l'autorisation signée de l'éditeur.

الطبعة الأولى
١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م

دار الكتب العلميـة
بيروت ـ لبنان
رمل الظريف، شـارع البحتري، بناية ملكارت
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ ـ ٣٦٦١٣٥ ـ ٣٧٨٥٤٢ (١ ٩٦١)
صندوق بريد ٩٤٢٤ ـ ١١ بيروت ـ لبنـان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Ramel Al-Zarif, Bohtory St., Melkart Bldg., 1st Floor
Tel & Fax: 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box: 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1ère Etage
Tel. & Fax: 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
B.P: 11 - 9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3216-4
9 0000
9 782745 132161

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

131765

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلاة وسلامًا على سيدنا محمد - ﷺ -النبى الأمى الذى انطلق من ظلام الأمية ليضىء العالم بهدى من ربه سبحانه وتعالى، لقد شاءت إرادة الله جلت قدرته أن تنطلق البشرية من تلك المرحلة التاريخية المظلمة الشديدة الانحطاط، بفضل دينه الخاتم ونبيه المصطفى - ﷺ - إلى مرحلة من النور والهدى، كانت الأولى من نوعها من حيث الإشراف من الإيمان والقرب من الكمال الإنسانى.

وقد كانت سيرته - ﷺ - نموذجًا تاريخيا للاتساق الكامل بين الأقوال والأفعال، وصلنا ذلك من.خلال رواة ثقاة، نثق فى أمانتهم وقدرتهم على نقل الأحداث الحقيقية دون زيادة أو نقصان.

على أن الأحداث التاريخية الخاصة بعصر صدر الإسلام - حياة النبى ﷺ والخلفاء الراشدين - مرتبطة ارتباطا وثيقًا بالنصوص الدينية والتعاليم المقدسة، حيث السيرة الذاتية لرسول الهدى ليست إلا نصوصًا وأفعالاً راقية تدعو من يتعلمها - فى سهولة ويسر - للتشبه به ﷺ وبذل الطاقة للسير على هداه.

ثم انفصلت الرؤية التاريخية للأحداث عن النظرة الدينية بفعل استحداث سلوكيات سياسية بعضها تبتعد ابتعادًا كاملا عن جوهر الدين الإسلامى الحنيف.

وكان للعصر الذى تَلىَ عصر الخلفاء الراشدين دورًا كبيرًا فى ظهور مدارس متعددة للتأريخ تتأثر فى المقام الأول بالمذهب السياسى الذى ينتمى إليه صاحب التأريخ، اتضح ذلك فى نظرتهم التاريخية التى كانت فى غالب الأحيان مشوبة بعدم الحيدة بسبب ارتباط فكرة تسجيل التاريخ بالدعوة للفرقة أو الجماعة التى ينتمى إليها، وهذا شكل من أشكال إلباس الفكر السياسى عباءة الحقائق التاريخية وهو ما يعنى الانتصار لوجهة نظر معينة دون النظر إلى الأمانة العلمية ووضع الحيدة محل الاعتبار.

ثم تَلىَ ذلك مرحلة هامة فى تاريخ العالم العربى والإسلامى، ألا وهى مرحلة ظهور مجموعة من الكتّاب الذين يركزون نشاطهم العلمى على تسجيل التاريخ والحرص على جمع الأحداث التاريخية من عدة مصادر وثيقة تنقل لنا، أو تجعل من الميسور تقريب

Marfat.com

الصورة الحياتية لفترات زمنية واسعة من التاريخ العربى، ساهمت كتاباتهم التاريخية فى إلقاء الضوء على أشكال الحياة - بشكل شبه دقيق ويومى - خلال الفترة الزمنية التى عاشها هؤلاء الكتّاب مع عرض غير مخل للأحداث السابقة التى سبقت حياتهم.

وإلى هذه الفئة ينتمى صاحب هذا الكتاب «**اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**» الذى نعرض له بالتحقيق، وهو المؤرخ الكبير أحمد بن على بن عبد القادر أبو العباس الحسينى العبيدى تقى الدين المقريزى (٧٦٦ هـ - ٨٤٥ هـ).

وهذا الكتاب هو واحد من أهم الكتب، وصاحبه علم من أعلام التأريخ العربى والإسلامى فى فترة العصور الإسلامية الوسطى، والكتاب مرجع تاريخى غاية فى الأهمية والقرب من حياة الحاكم والمحكوم بشكل يوحى للقارئ بملازمته للأحداث ومعايشته لها كاملة غير منقوصة.

كتاب «اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا»

هو كتاب من أبرز كتب المقريزى، وهو كذلك من أبرز كتب التاريخ المصرى الوسيط. أتم به المقريزى سلسلة التواريخ المصرية بجمع وتسجيل وتصنيف أكبر حشد من المعلومات حول الأئمة من آل البيت النبوى الشريف يؤرخ لهم من البداية للنهاية.. منذ الإمام علىٍّ بن أبى طالب -رضى الله عنه- والأئمة الذين خرجوا من نسله الطيب المبارك وحتى إرهاصات سقوط الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة أربع وستين وخمسمائة، والذى تم فعليا بعد عامين من ذلك التاريخ ؛ لينتهى به عصرًا وتغلق به صفحة من صفحات التاريخ الإسلامى بما لها، وما عليها ويصدق قول الله جلت مشيئته: ﴿**وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**﴾.. صفحة بدأت هناك فى المغرب فى ربيع الأول سنة سبع وتسعون ومائتين بالإمام عبيدالله المهدى وانتهت بالخليفة العاضد لدين الله أبو محمد عبدالله فى آخر ذى الحجة سنة ست ستين وخمسمائة، بعد أن استمرت تحكم بقعة واسعة من الأرض والنفوس قرابة القرون الثلاثة.

نظم المقريزى كتابه على منهج مغاير لما شاع فى المؤلفات السابقة له فى تاريخ ابن الفرات أو الدوادارى أو النويرى، وما صنعه هو أيضًا فى موسوعته «السلوك لمعرفة دول الملوك» فقد جعل كتابه هذه المرة خليطًا من منهجين أحدهما: حوليًا، والآخر: التأريخ بالسيرة الحياتية للخلفاء، وخلطهما معًا، فكان يبتدأ بذكر الخليفة ثم يعرض مؤرخا لسنوات حكمه مدونًا لحوادث كل عام ، مفصلاً وشارحًا للأسباب التى صنعت الحدث والنتائج التى ترتبت عليه.

أما عنوان الكتاب الذى نعرض له بالتحقيق فقد كثر فيه الخلاف:

- فهو عند جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى: «اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا» .

- وهو عند السخاوى والسيوطى: «اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا».

- وهو عند حاجى خليفة: «اتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفا».

أما العنوان عند المقريزى نفسه فهو تارة: « اتعاظ الحنفا بأخبار الخلفا»، وهو تارة ثانية: «اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا»، وهو تارة ثالثة: «اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا».

ويبدو أن المقريزى سمى كتابه حين بدأ تأليفه: «اتعاظ الحنفا بأخبار الخلفا»، ثم عاد وأضاف لفظ «الأئمة» قبل لفظ «الخلفا» تأكيدًا للمعنى الذى كان يهدف الفاطميون إلى إيضاحه من أنهم ورثة للإمامة عن جدهم الأعلى الإمام على بن أبى طالب، ثم عاد وأضاف لفظ «الفاطميين» قبل لفظ «الخلفا» إيضاحًا وتخصيصًا، وهو الذى اخترناه عنوانًا لهذه الطبعة.

وحتى الأربعينات من هذا القرن كان من المعروف أنه لا توجد من هذا الكتاب فى مكتبات العالم إلا نسخة وحيدة ناقصة فى مكتبة جوتا بألمانيا تحت رقم ١٦٢٥، وعن هذه النسخة نشر المستشرق «هوجو بونز» الكتاب فى سنة ١٩٠٩م. فطبع النص العربى فى مطبعة دار الأيتام السورية فى القدس الشريف، وقدَّم له بمقدمة ألمانية طبعها فى ليبزج وقال فيها:

إن النسخة التى بين أيدينا تقع فى ٥٠ ورقة، طول كل منها ٢٤,٥ سم، وعرضها ١٦سم، وعدد سطور الصفحة الواحدة ٢٧ سطرًا ، ويتخلل النسخة ثمانى ورقات أخرى أقل حجمًا من سابقتها، وقد وضعت فى غير مواضعها الصحيحة، وهى ٤، ٨، ١٢، ١٣، ٣٢، ٤١، ٥٠.

والصفحة الأولى من المخطوطة، وهى التى تحمل عنوان الكتاب أصابها تلف كبير، ومع هذا فقد ملأ المؤلف كل فراغها بهوامش كثيرة، فهى تحتوى - عدا عنوان الكتاب واسم المؤلف - على نصوص كثيرة لا صلة لها بموضوع الكتاب، منها نص يتضمن أسماء حكام بغداد البوهيين ومدد حكمهم، ونص آخر عنوانه: « فصل فى قوانين دولة الترك السلاجقة»، وفى أعلى الصفحة هامش ثالث يشتمل على قائمة ببعض ولاة الإسكندرية، وتحت عنوان الكتاب سطران يفيدان ملكية من يدعى « محمد المظفرى»

Marfat.com

لهذه النسخة، ونصها: « ملكه محمد المظفرى وطالعه أجمع، عفا الله عنه آمين».

وفى عام ١٩٤٨م ظهرت نسخة أخرى من الكتاب فى مكتبة سراى أحمد باستنبول. وهذه هى النسخة الوحيدة من الكتاب، وتقع فى ١٧٢ورقة.

ويزيد فى أهمية هذه المخطوطة الكاملة أن المقريزى قد استوعب فيها خلاصة ما أورده جمهرة المؤرخين الذين أرخوا للدولة الفاطمية فى كتبهم، ممن عاصروا الدولة وممن أتوا بعدها، ومعظم هذه الكتب ضاع، ولم يصلنا منه شىء للأسف الشديد، اللهم إلا هذه الفقرات والاقتباسات التى أثبتها المقريزى فىمؤلفه هذا وفى مؤلفاته الأخرى، وخاصة كتاب الخطط.

ويكفى أن نشير هنا إلى عدد المؤرخين ومؤلفاتهم المفقودة التى نقل عنها المقريزى. ومن هذه المراجع التى اعتمد عليها المقريزى فى كتابه:

١ - إتمام أخبار أمراء مصر، للحسن بن زولاق.

٢ - تاريخ إفريقية والمغرب، للأمير عبد العزيز بن شداد بن تميم بن المعز بن باديس.

٣ - تاريخ ابن الطوير، لابن الطوير.

٤ - تثبيت نبوة نبينا ﷺ، لعبدالجبار بن عبد الجبار البصرى.

٥ - الجماهير فى أنساب المشاهير، لابن حزم.

٦ - الروضة البهية الزاهرة فىخطط المعزية القاهرة، لابن عبد الظاهر.

٧ - الرد على الإسماعيلية، لعبد الله بن رزام.

٨ - سيرة الأئمة، لابن مهذب.

٩ - سيرة المعز لدين الله، للحسن بن زولاق.

١٠ - الطعن على أنساب الخلفاء الفاطميين، لأخى محسن.

١١ - التاريخ ، لأبى الحسن هلال الصابى وابنه غرس الدولة.

وقد رجع المقريزى فى هذا المؤلف - إلى جانب المراجع المفقودة المشار إليها - إلى عدد كبير من المؤلفات التاريخية وغير التاريخية التى لا تزال موجودة، ومنها على سبيل المثال:

١ - كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، لابن خلدون.

Marfat.com

٢ - المقدمة، لابن خلدون.

٣ - كتاب المغرب فى حلى المغرب، لابن سعيد.

٤ - كتاب الفهرست، لابن النديم.

٥ - كتاب الكامل، لابن الأثير.

على أن المقريزى جمع إلى هذه المصادر براعة طيبة وسدادًا فى تخير المعلومات، وعينًا ذكية تعرف كيف تسوقها وتربطها، وحسًا تاريخيًا مرهفا يهديه إلى ما يجب أن يضيف إليها من المعلومات والتفاصيل الضرورية والمكملة.

وربما وصل المقريزى فى هذا الشغف التاريخى حد الثرثرة بأمور يعتبرها معاصروه من المعارف الدارجة التافهة، ولكنها أضحت بالنسبة إلينا اليوم ثروة تاريخية كشفت لنا جوانب كثيرة من مشاكل العصر فى العملة والأسعار مثلاً وفى الأبنية والهدايا والأوبئة والمكوس والحرائق، وفى نقد الحكم أو إحصاء الأنوال أو مشكلة الحُجَّاب.

وقد يكون الواجب علينا أن نلفت الانتباه إلى أن المقريزى لم يكن فى عمله التأريخى ناقلا فحسب، بل كان مؤرخًا عبقريًا، يحسن اختيار نصوصه والتنسيق بينها وعرضها، كما كان يخضع النصوص للمقارنة والتحليل والنقد، سعيًا وراء الحقيقة، ويقدم المنهج السليم الذى يجب على المؤرخ اتباعه للتفرقة بين الخطأ والصواب فى أقوال سابقيه ممن يأخذ عنهم، وعنده أن مؤرخى كل بلد أعرف من غيرهم بتاريخ بلدهم، فرأيهم أولى بالتصديق إذا اختلفت الآراء، ومن الأمثلة الواضحة على هذا ما أورده فى الفصل الخاص بالمعز لدين الله، فقد نقل عن ابن الأثير نصًا يقول بأن المعز اختفى مدة - قبل وفاته بسنة - فى سرداب أنشأه، وأنه استخلف ابنه نزار (العزيز) قبل اختفائه، ثم ألحقه برأى آخر فى نفس الموضوع نقله عن كتاب « سيرة المعز » للمؤرخ المصرى الحسن بن زولاق، وخلاصته أن المعز إنما عهد لابنه العزيز قبل موته بيومين اثنين، وعقّب المقريزى على الرأيين بقوله:

«إن ابن زولاق أعرف بأحوال مصر من ابن الأثير، خصوصًا المعز، فإنه كان حاضرًا ذلك ومشاهدًا له، وممن يدخل من الفقهاء عليه، ويروى فى هذه السيرة (سيرة المعز) أشياء بالمشاهدة، وأشياء مَدَّته بها ثقات الدولة وأكابرها، إلا أن ابن الأثير تبع مؤرخى العراق والشام فيما نقلوه، وغير خافٍ على من تبحر فى علم الأخبار كثرة المتحاملين على الخلفاء الفاطميين وشنيع قولهم فيهم، ومع ذلك فمعرفتهم بأحوال مصر قاصرة عن الرتبة العلية، فكثيرًا ما رأيتهم يحكون فى تواريخهم من أخبار مصر ما لا يرتضيه

Marfat.com

جهابذة العلماء، ويرده الحذاق العالمون بأخبار مصر، وأهل كـل قطرٍ أعـرف بأخبـاره، ومؤرخو مصر أدرى بمجرياته.

وقد اعتمدنا فى عملنا هذا حـين العـرض لهـذه القيمـة التاريخيـة المتمثلـة فـى كتـاب **«اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا»** على اتباع الآتى:

● اعتمدنا فى نسخة التحقيق على نسخة محققة مطبوعة صادرة عن المجلس الأعلـى للشئون الإسـلامية. مصـر.ط٢ . ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م. وهـذه النسـخة منقولـة عـن النسخة الأصلية الموجودة فى مكتبة سراى أحمد الثـالث باسـتنبول؛ حيـث إنهـا النسـخة الوحيدة الكاملة فى العالم.

● قمنا بضبط متن النسخة المطبوعة لوجود عدد -ليس بالقليل - من الأخطاء بها.

● قمنا بترجمـة مفصلـة للأمـاكن والأشـخاص التـى كـانت محـور الأحـداث خـلال الفترات الزمنية التى تعرض لها المقريزى فى كتابه بالإيجاز للتيسير على القارئ وإعطائـه نظرة أكثر شمولا للأحداث.

● قمنا بتخريج الآيات القرآنية.

وأخيرا: لقد سعدنا بالرحلة الممتعة الشيقة التى كان المقريزى خير مرشد لنا للإطـلال من نافذة واسعة على حقبة تاريخية غاية فى الثراء لما تحمله بين طياتهـا مـن أحـداث لهـا عظيم الأثر حتى الآن فى صناعة العقل العربى من خلال ما مرت بـه الأمـة مـن أزمـات ومحن وانتصارات كبيرة، أدامها الله.

والله من وراء القصد وهو يهدى سواء السبيل.

محمد عبد القادر عطا

القاهرة فى: ١٩٩٧/٦/٢٠

Marfat.com

المدرسة التاريخية المصرية

تأخرت المدرسة المصرية كثيرًا حتى أخرجت مؤرخها الكبير المقريزى، ولم يكن السابقون له من فحول المؤرخين مثله. فبعد النويرى، والدوادارى، وسبط بن عبد الظاهر، انتظرت مدرسة مصر نصف قرن حتى ظهر فيها ابن الفرات، وابن دقماق، والقلقشندى، لكنها بلغت أوجها دون شك مع المقريزى.

أولا: المقريزى ومسيرته العلمية

اسمه ونسبه:

أبو العباس تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم البعلى، العبيدى الحسينى. أصله من بعلبك من حارة المقارزة فيها، وإليها ينسب. كما كان يدَّعى النسب الفاطمى، ومن هنا كان العبيدى فى نسبه(١).

وقد ذكر بعض المؤرخين أن نسب المقريزى يرجع إلى الفاطميين ومنهم صاحبه ابن حجر العسقلانى الذى قال فى ترجمته(٢):

نشأته:

ولد فى القاهرة سنة ٧٦٦ هـ/ ١٣٥٦ م. وتوفى فيها سنة ٨٤٥هـ/١٤٤١م. وكان جد المقريزى من كبار المحدثين فى بعلبك، وقد تحول والده إلى القاهرة حيث ولى بعض وظائف القضاء وكتب التوقيع بديوان الإنشاء. وكان يسكن حارة برجوان، وهى من أكثر حارات القاهرة حيوية وامتلاءً بالصخب وضوضاء العمران والحياة، وهناك نشأ ابنه أحمد، ودرس على مشايخ العصر كابن الصائغ، كافله ومربيه بعد أن مات أبوه، وهو صغير، وابن رزين، والبرهان الآمدى وزين الدين العراقى وابن أبى المجد والسراج البلقينى والهيثمى وابن خلدون. وقد بلغ عدد شيوخه ستمائة فتوفر له التكوين الثقافى اللازم للبروز فى عصره. وكان أكثر شيوخه تأثيرًا فيه، أولهم ابن الصائغ فى مرحلة النشأة، وآخرهم ابن خلدون الذى عرفه فى مرحلة النضج.

وقد برع المقريزى فى علوم الدين من فقه وحديث براعته فى الأدب من نظم ونثر، وإن أبدى هواية للتاريخ من جهة، وللعمل بالتنجيم والرمل والزايرجة والاصطرلاب من جهة أخرى، واستمرت هذه الهوايات معه طول حياته.

---

(١) انظر: التاريخ والمؤرخون، د. شاكر مصطفى.

(٢) انظر: إنباء الغمر بأبناء العمر ١٦٩/١٧١.

على أن مؤهلاته العلمية فتحت له باب العمل الحكومى. فكان موقعًا أول الأمر فى ديوان الإنشاء سنة ٧٨٨هـ، ثم تولى وظائف الوعاظ وتدريس الحديث فى عدد من المساجد. كما تولى حسبة القاهرة غير مرة (اعتبارًا من سنة ٨٠١هـ) والخطابة (بجامع عمرو ومدرسة السلطان حسن) والإمامة (بجامع الحاكم) وإقراء الحديث (بالمدرسة المؤيدية). وتقلب فى الوقت نفسه فى عدد من وظائف القضاء والإدارة فى مصر والشام. وحجَّ مرات، كما زار دمشق مرات، كانت أولاها سنة ٨١٦هـ بصحبة الناصر فرج بن برقوق. وعرض عليه قضاء دمشق فأباه، لكنه تولى فيها فيما بعد أوقاف المدرسة القلانسية والبيمارستان النورى والتدريس ببعض المدارس مدة عشر سنوات قبل أن يعود إلى القاهرة؛ ليعتزل كل عمل رسمى.

ومواهب المقريزى (مع علمه وطرافة اهتماماته) أهَّلته للحظوة عند الملك الظاهر برقوق، ثم عند ابنه الملك الناصر فرج من بعده، وكان على صلة طيبة بالأمير يشبك الظاهرى بعض الوقت، ونال فى ظله الجاه والمال. فلما بلغ مشارف الستين واجتمع له من الثروة ما يكفى للعيش الهانئ، عاد ليستقر فى القاهرة، ويتوفر على الاشتغال بالعلم والتأريخ والعبادة، ولم يغادرها إلا إلى مكة للحج سنة ٨٣٤هـ حيث بقى خمس سنوات، يُدَرِّس ويملى قبل أن يعود.

ويبدو أن هواية التأريخ قد استبدت بالمقريزى قبل ذلك بسنين طويلة جدًا، فهو يقول فى مقدمة الخطط: «فقيدت بخطى فى الأعوام الكثيرة، وجمعت من ذلك فوائد قلَّ ما يجمعها كتاب، أو يحويها - لعزتها وغرابتها - إهاب..» وكل ما جمعه - على ما يظهر - كان متصلا بمصر؛ لأنها كما قال: «مسقط رأسى ومجمع ناسى.. لازلت منذ شدوت العلم أرغب فى معرفة أخبارها وأهوى مساءلة الركبان عن سكان ديارها..».

وقضى المقريزى ثلاثين سنة بعد الاعتزال يعمل فى التأليف التاريخى خاصة حتى زادت مؤلفاته - حسب ما قرأ السخاوى بخط المؤرخ نفسه - على مائتى مجلد فى الحجم وعلى نيف وثلاثين عنوانًا فى التاريخ وحده، بعضها كتيبات ورسائل، وبعضها كتب موسوعية كبيرة فى مجلدات وصلت أحيانًا ستة عشر، كما وصلت المائة. ويمكن تقسيمها خمسة أقسام:

١ - قسم يتناول تاريخ مصر والقاهرة فى مختلف عصورها.

٢ - قسم يتناول التاريخ الإسلامى.

٣ - قسم يتجه إلى بعض المواضيع الخاصة (النقود، الموازين، حج الملوك، الغناء، الكعبة، النزاع الأموى الهاشمى).

Marfat.com

٤ - قسم لبعض البلاد المجهولة (الحبشة، حضرموت، المغرب).

٥ - قسم يشتمل على النُبَذ والمعلومات المتفرقة كالتذكرة وما إليها.

على أننا سنستعرض هذا التراث التاريخى إرسالا:

١ - كتاب «**المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**»: وهو أثر فريد فى موضوعه وطريقته ومادته الغزيرة يتحدث عن القاهرة وخططها (طبوغرافيتها) القديمة، وتطورات الخطط والشوارع والأرض والأسواق والأحياء والمساجد والقصور والدور والمدارس والرياض والأسوار، ويظهر من نصوص هذا الكتاب أنه استمر تحت يدى المقريزى يُبدى فيه ويعيد أكثر من خمس وثلاثين سنة. فيه صفحات كتبت سنة ٨٠٦هـ وأخرى صممت أو أضيف إليها ما استجد سنة ٨٤٣هـ. وإذا كنا نعرف اليوم مدينة القاهرة فى القرون الوسطى أتم المعرفة، فإنما يرجع ذلك إلى هذا الكتاب الذى استوعب ونظم كل المؤلفات التى سبقته فى هذا الموضوع، وأضاف إليها الكثير والكثير.

ولا يخفى المقريزى مصادره فى «**الخطط**» وهو ينص فى مطلع كل خبر على مصدر نقله. وكثير من هذه المصادر فُقِدَ، فليس لدينا منه سوى ما نقله المقريزى الذى نظم معلوماته على سبعة أجزاء (ألغى فى النهاية الجزء السابع منها والمتعلق بأسباب خراب مصر).

الجزء الأول: جغرافى عام فى أخبار مصر ونيلها وخراجها وجبالها.

الجزء الثانى: فى المدن وأجناس السكان.

الجزء الثالث: فى أخبار الفسطاط.

الجزء الرابع: فى أخبار القاهرة.

الجزء الخامس: فى أحوال القاهرة فى عصره.

الجزء السادس: فى ذكر قلعة الجبل وملوكها.

ويستطرد المؤلف فيتناول ما فى القاهرة من المساجد والمنشآت. ويختم بفصول عن تاريخ اليهود والقبط والأديار والكنائس... والكتاب بعد هذا منجم تاريخى فيه تسجيل لتاريخ مصر العمرانى والاجتماعى والفنى والاقتصادى لا نجده فى أى مؤلف آخر. والسخاوى يتهم المقريزى بأنه سطا على مسودة كتاب الأوحدى قد أعدها لهذا الكتاب، فأخذها بعد موته وزادها زوائد غير طائلة وقذفها للناس باسمه.

كان كتاب «**الخطط**» موضع عناية المستشرقين منذ أكثر من قرن، وقد وجدوا منه

Marfat.com

عددًا من المخطوطات: منها مخطوط الأوقاف فى استامبول، فى مجلدين، ومخطوط أحمد الثالث رقم ٢٩٤٦ (فى مجلد)، و٢٩٤٧ فى ثلاثة مجلدات، وعاشر ريس ٦٩٣، وحكيم أوغلو ٧٤٣ - ٧٤٤، وأياصوفيا ٣٤٧١ - ٣٤٧٧ مع نسختين أخريين، وفيض الله ١٥٣٧ - ١٥٣٩، ودامار إبراهيم ٩١٤ - ٩١٥، والظاهرية بدمشق رقم ٧٠٠٤ و٥٦٩٦ و٥٦٩٧، وكلها نسخ كاملة عدا القطع المخطوطة من الكتاب وهى متفرقة فى استامبول ومصر والظاهرية وغيرها.

وقد طبع الكتاب مبكرًا طبعات عديدة منها طبعة بولاق القديمة - القاهرة سنة ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٤ م. فى مجلدين كبيرين، ثم أعيد طبعه فى مصر (المطبعة الأهلية فى أربعة أجزاء سنة ١٩٠٧م). كما أعيد مؤخرًا طبع نسخة بولاق على الأوفست (مكتبة المثنى - بغداد - دون تاريخ) وطبع قسم منه طبعة أوروبية فخمة.

وترجم كتاب الخطط مبكرًا جدًا إلى اللاتينية. فقد طبعت هذه الترجمة سنة ١٧٢٤م، ونقل شىء من الكتاب إلى الفرنسية، وطبع فى باريس سنة ١٨٩٥م وسنة ١٩٠١م، واستخرج منه المستشرق كازانوفا وصف قلعة القاهرة وتاريخها، وأوضح ذلك بالرسوم والخرائط، وطبع كتابه بالفرنسية سنة ١٨٩٤م وسنة ١٨٩٧م فى مجلدين. وقام بنحو هذا العمل المستشرق رافيس فتناول خطط القاهرة وأوضحها بالخرائط، وطبع ذلك سنة ١٨٨٨م وسنة ١٨٩٩م فى قسمين، وترجم المستشرق وستنفلد القسم الخاص بتاريخ الأقباط فى مصر إلى الألمانية، وطبعه مع الأصل العربى فى توبنغن سنة ١٨٤٥م، وترجم أيضًا ما يتعلق بوصف المارستانات فى القاهرة نقلاً عن مسودات غوطا وفيينا ونشرها فى مجلة خلاصة العلوم.

وتقوم دار الكتب العلمية ببيروت بإعداد الكتاب وتحقيقه وطباعته فى طبعة جديدة، وسيظهر قريبا.

ومن جهة أخرى فقد حظى كتاب «**الخطط**» إلى هذا كله بعناية الكثير من العلماء القدامى، وعمد بعضهم إلى اختصاره، ومن ذلك:

- كتاب «**الروضة البهية فى القاهرة المعتزلية**» لمحمد بن أحمد بن محمد الحنفى الشبلى العلائى (أواسط القرن الحادى عشر).
- كتاب «**قطف الأزهار من الخطط والآثار**» لشمس الدين بن أبى السرور البكرى الصديقى المؤرخ (المتوفى سنة ١٠٦٠ هـ / ١٦٥٠ م).

٢ - كتاب «**السلوك فى معرفة دول الملوك**»: وفيه يؤرخ المقريزى بشكل شبه

Marfat.com

يومى للحياة فى مصر الإسلامية وينتهى التأريخ بوفاته (أى سنة ٨٤٥هـ). وفى الكتاب يعطى المقريزى درسًا لكل المؤرخين فى فن العمل التأريخى، حيث نجده لا يغفل شاردة ولا واردة - مهما صغرت أو قلَّ فى عيوننا قدرها- إلا عرض لها وأبان عن مكنوناتها.

وهذا المرجع التاريخى الهام قلَّ أن تجد له شبيهًا فى دقته وحسن عرضه. وهو بتحقيقنا.. طبعة دار الكتب العلمية. بيروت.

٣ - كتاب «**اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**»: (موضوع التحقيق) وهو أوفى مصدر فى التاريخ الفاطمى: يؤرخ أولاً لسلالة آل البيت الشريف ولمشكلة النسب الفاطمى ولقيام الدولة فى المغرب وخلفائها الأربعة هناك، ثم يتحدث عن الفتح الفاطمى لمصر، ويسهب فى قصة الصراع مع القرامطة، ويتناول بعد ذلك خلفاء الفاطميين الواحد بعد الآخر حتى نهاية الدولة.

وقد استوعب المقريزى فى كتابه هذا خلاصة ما أورده جمهرة المؤرخين الذين أرخوا للدولة الفاطمية قبله ممن عاصروها أو جاءوا بعدها، ومعظمهم ممن ضاعت مؤلفاتهم وبقى للمقريزى الفضل فى حفظ مجموعة واسعة من نصوصها من أمثال ابن زولاق وابن الطوير والأمير ابن شداد، وأخى محسن، وابن المهذب وابن رزام مما جعل صورة الحياة فى العصر الفاطمى كاملة - بين أيدينا.

٤ - كتاب «**المقفى فى تراجم أهل مصر والواردين إليها**»: وهو كتاب حافل فى تراجم الملوك والأمراء والعلماء المصريين أو من عرفتهم مصر من جميع الأقطار (على منهاج تاريخ بغداد للخطيب البغدادى وتاريخ دمشق لابن عساكر) كتب منه المقريزى ستة عشر مجلدًا.

وقد ذكر ابن تغرى بردى كلمة المقريزى الذى قال له عنه: «لو كمل هذا التاريخ على ما اختاره لجاوز الثمانين مجلدًا». وقد جعله المقريزى على حروف المعجم.

وقد ضاعت المجلدات المكتوبة من هذا المؤلف ولم يبق منها سوى ثلاثة مجلدات بخط المؤلف، واحد فى ليدن برقم ١٣٦٨ فيه بعض حرف الألف وحرفا الكاف واللام وبعض الميم. ومجلد آخر فى مكتبة برتو باشا فى المكتبة السليمية باستامبول (رقم ٤٩٦) فيه الباء والثاء، ومجلد ثالث فى المكتبة الأهلية بباريس (رقم ٢١٤٤).

٥ - كتاب «**شذور العقود فى ذكر النقود**»: وهو رسالة نفيسة فى تاريخ النقود العربية الإسلامية. فقد ضربت الدراهم أول مرة زمن عمر بن الخطاب حتى أيام الظاهر

Marfat.com

برقوق، فيمر المقريزى بالنقود أيام معاوية وعبد الملك والخلفاء العباسيين، ثم يعطف إلى النقود فى مصر فى العهد الأموى والطولونى والفاطمى والأيوبى حتى المملوكى، فى دقة حسنة. ولعله أول كتاب مفرد كتب فى هذا الموضوع، وقد كان فى الأصل فصلا من كتاب «**إغاثة الأمة**» ثم أفرده المقريزى بكتاب مستقل وعنوان خاص بعد أن توسع فيه. وثمة من هذه الرسالة نسخ مخطوطة عديدة فى برلين وليدن واستامبول والأسكوريال، ولكن أهميتها جعلتها تلقى الكثير من العناية والنشر منذ فترة طويلة. فقد نقلت إلى الإيطالية وطبعت سنة ١٧٩٧م، وترجمها المستشرق دوساسى إلى الفرنسية، ونشرها فى باريس سنة ١٧٩٧م أيضا. ثم نشرت فى القسطنطينية بعناية أحمد بن فارس الشدياق سنة ١٢٩٨ هـ./١٨٨١ م. بمطبعة الجوائب (ضمن مجموعة رسائل لابن الغديم وياقوت المستعصمى). وطبعت فى الإسكندرية سنة ١٩٣٣م بعناية ماير، ثم فى النجف الأشرف سنة ١٩٣٨م بعناية محمد صادق بحر العلوم، ثم طبعت فى القاهرة (سنة ١٩٣٩م) بعناية أنستاس الكرملى (ضمن عدة رسائل فى موضوعها) وطبعت بعد ذلك أيضا فى النجف سنة ١٩٦٧م مع دراسة موسعة للمؤلف وللموضوع بقلم محمد بحر العلوم. وهى تحت الطبع بدار الكتب العلمية ببيروت بتحقيقنا ضمن مجموعة رسائل المقريزى.

٦ - كتاب «**إغاثة الأمة بكشف الغمة**»: وهو كتيب صغير، ولكنه من خير ما كتب المقريزى عمقًا وفهمًا. استعرض فيه تاريخ المجاعات التى حلت بمصر منذ أقدم العصور حتى مجاعة سنة ٨٠٨هـ، السنة التى كتب فيها الكتاب، مع تحليل العوامل الاقتصادية والاجتماعية لهذه الأزمات. ومنه مخطوطات عديدة: فى كمبردج ضمن مجموع برقم ٧٤٦ (من ورقة ١٩ ظهر حتى ٥٠ ظهر) وفى باريس بالمكتبة الوطنية وغيرها.

وقد طبع الكتاب فى القاهرة سنة ١٩٤٠م بتحقيق محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال، ثم أعيد طبعه سنة ١٩٥٧م، كما طبع طبعات أخرى إحداها فى حمص سنة ١٩٥٦، ثم سنة ١٩٧٠م.

وهو أيضا تحت الطبع بدار الكتب العلمية ببيروت بتحقيقنا ضمن مجموعة الرسائل.

٧ - كتاب «**الخبر عن البشر**» وهو كتاب فى التاريخ لعله مشروع تاريخ عام كان المقريزى يود كتابته. والمصادر تذكر أنه جعله كالمدخل لكتابه «إمتاع الأسماع فيما للرسول من الحفدة والأتباع». ويذكر ابن تغرى بردى فى «المنهل الصافى» أنه «فى أربع مجلدات وعمل له مقدمة فى مجلد»، وثمة من هذا الكتاب بعض الأجزاء المخطوطة:

Marfat.com

فهناك ستة أجزاء فى مكتبة أحمد الثالث برقم ١/٢٩٢٦، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، فالأول من أول الخلق (فى ٢٠٣ أوراق) والثانى من التبابعة إلى قريش البطاح (فى ١٩٨ ورقة) والثالث من بنى عدنان حتى أسواق الجاهلية (فى ٢٢٠ ورقة) والرابع من أيام الفجار إلى يوم أوارة (فى ١٦٨ ورقة) والخامس (فى ١٨٣ ورقة) والسادس (فى ٢٤٢ ورقة).

وهناك نسخة فى مكتبة فاتح باستامبول فى ستة أجزاء بخط المؤلف مع فهرس لمحتويات الجزء الأول مصورة فى دار الكتب بمصر (رقم ٩٤٧ تاريخ) فى ستة عشر مجلدًا.

ونسخة ثالثة فى الأزهر رقم تاريخ ٤٣٩ (٦٧٣٣) أباظة (الجزء الثانى فقط). ومنه مجلد فى استراسبورغ أيضا نقلت منه مجلة المستشرق فصلا فى تاريخ الكتابة العربية فى الإسلام.

٨ - كتاب «**إمتاع الأسماع فيما للرسول من الحفدة والأتباع**»: طالعه ابن تغرى بردى وذكر أنه «نفيس»، وهو يتحدث فى شمائل النبى ﷺ والنبوات وآل الرسول والسيرة النبوية والهجرة والغزوات، ومجموعة من الأخبار عن أحوال الرسول وأحكامه وأعماله ودقائق حياته وحديثه.

ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة فى كوبريللى باستامبول رقم ١٠٠٤ فى ستة مجلدات، ومصورة فى دار الكتب بمصر رقم (٨٨٦ تاريخ) فى تسعة مجلدات.

وهناك نسخة من «**الإمتاع**» فى مجموعة حسين باشا رقم ٣٥٤ تاريخ، ونسخة أخرى فى غوطا (غوتنغن).

٩ - «**الإلمام بمن فى أرض الحبشة من ملوك الإسلام**»: كتبه فى مكة سنة ٨٣٩هـ، وحرره فى مصر سنة ٨٤١م بعد تدقيقه. ومنه نسخة مخطوطة ضمن مجموعة ٣١٩٥ فى مكتبة ولى الدين باستامبول. وقد طبع فى بتافيا مع ترجمة فرنسية سنة ١٧٩٠م، كما طبع فى مصر سنة ١٨٩٥م. وتحت الطبع ضمن مجموعة رسائل المقريزى بدار الكتب العلمية.

١٠ - «**الطرفة الغريبة فى أخبار حضرموت العجيبة**»: وهى رسالة كتبها وهو مجاور فى مكة سنة ٨٣٩هـ ـ أيضا، ومنها مخطوطة فى كمبردج وأخرى فى بازيس (ضمن مجموع ٤٦٥٧). وقد طبعت مشروحة مصورة سنة ١٨٦٦م فى بون بعناية المستشرق سكوى باللغتين العربية واللاتينية. وتحت الطبع ضمن مجموعة رسائل المقريزى بدار الكتب العلمية.

١١ - «البيان والإعراب عما فى أرض مصر من الأعراب»: ويبحث فى القبائل العربية التى سكنت مصر، ومنه نسخة مخطوطة فى فيينا، ونسخة فى باريس رقم ١٧٢٥، ونسخة مخطوطة أخرى هناك (ضمن مجموع ٤٦٥٧٤)، ورابعة فى دار الكتب بمصر رقم ١٥٠ تاريخ. وقد ترجمه وستنفلد إلى الألمانية ونشره فى غوتنغن سنة ١٨٤٧م فى ثلاثة أجزاء.

وقد طبع فى مصر بتحقيق عبد المجيد عابدين (طبعة عالم الكتب سنة ١٩٦١م)، وكان قد طبع بمصر قبل ذلك بتحقيق إبراهيم رمزى (طبعة المعارف) سنة ١٩١٦م نقلا عن النسخة الألمانية. وتحت الطبع ضمن مجموعة رسائل المقريزى بدار الكتب العلمية.

١٢ - «الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك»: كتبه المقريزى سنة ٨٤١ هـ، وذكر فيه ستة وعشرين من هؤلاء الحجاج، بدأهم بالرسول ﷺ ثم الخلفاء الراشدين ومن بعدهم إلى أيامه فى خمسة أجزاء. ومنه مخطوطات فى كمبردج، ومخطوط ضمن مجموع ٣١٩٥ فى ولى الدين باستامبول، ورابع فى المكتبة الأهلية فى باريس ضمن مجموع (رقم ٤٦٥٧). وقد نشره جمال الدين الشيال (القاهرة سنة ١٩٥٤م). وتحت الطبع ضمن مجموعة رسائل المقريزى بدار الكتب العلمية.

١٣ - «النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم»: رسالة صغيرة منها مخطوط فى فيينا (ضمن مجموع) وآخر فى باريس (ضمن مجموع ٤٦٥٧) وثمة نسخة ثالثة فى الظاهرية بدمشق رقمها ٣٧٣١. وقد ترجم إلى الألمانية، ونشر فى ليدن سنة ١٨٨٨م، ثم طبع فى القاهرة أكثر من مرة كما طبع فى النجف (المطبعة الحيدرية سنة ١٩٦٦م). وتحت الطبع ضمن مجموعة رسائل المقريزى بدار الكتب العلمية.

١٤ - «الدرر المضيئة فى تاريخ الدول الإسلامية» (أو) «الخلفاء حتى نهاية العباسيين»: وهو من مقتل عثمان بن عفان إلى مقتل المستعصم ونهاية الخلافة العباسية (سنة ٦٥٦هـ).

وهو مخطوط فى كمبردج فى ٢٧٣ ورقة كبيرة كتب دون خاتمة.

١٥ - «الضوء السارى فى خبر تميم الدارى»: وهو أحد الصحابة الأولين. استقر فى أرض الخليل بفلسطين (وتوفى سنة ٤٠ هـ) وله وقف كبير استمر طول التاريخ الإسلامى. ضمن مجموع رقمه ٣١٩٥ فى مكتبة ولى الدين باستامبول، ونسخة أخرى ضمن مجموع رقم ٤٦٥٧ فى باريس، وثالثة فى المتحف البريطانى، ورابعة فى ليدن ضمن مجموع رقم ٢٥٠٨.

Marfat.com

وتحت الطبع ضمن مجموعة رسائل المقريزى بدار الكتب العلمية.

١٦ - «**درر العقود الفريدة فى تراجم الأعمال المفيدة**» (ثلاثة مجلدات): ترجم فيه لأعيان عصره البارزين ومنهم علماء اليمن. وقد نقل عنه السخاوى فى الضوء اللامع عددًا من التراجم وبخاصة المتصوفة من أهل اليمن وعدد تراجمه ٥٥٦ ترجمة.

ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة فريدة فى مجلدين نقلت عن نسخة بخط المؤلف سنة ٨٧٨هـ وتقع فى ٢٩٢ ورقة و١٥٠ ورقة، وهى فى مكتبة آل الجليلى الخاصة فى الموصل. وثمة قطعة فى حرف الألف وأخرى فى حرف العين بخط المؤلف فى مكتبة غوطا.

١٧ - «**عقد جواهر الأسفاط فى أخبار مدينة الفسطاط**» (أو) **فى ذكر ملوك مصر والفسطاط**): وهو أول كتاب كتبه المقريزى فى تاريخ مصر الإسلامى الأول ثم أتبعه بكتاب «**اتعاظ الحنفا**» فى تاريخ مصر زمن الفاطميين ليأتى من بعدهما «**السلوك**» فيغطى العهدين الأيوبى والمملوكى.

وثمة من هذا الكتاب نسخة مخطوطة فريدة فى برلين ضمن مجموعة خطية تحمل رقم ٩٨٤٥.

١٨ - «**منتخب التذكرة فى التاريخ**»: ويصفه المقريزى بأنه كتاب عديم المثال فى جمل التاريخ، انتخبه من كتابه المسمى بـ«**التذكرة**» وذكر فيه تاريخ الملوك والأعيان ومدة كل منهم ووقت انقضائه وأنسابهم وتلخيص أحوالهم.

وقد بقى من هذا الكتاب مجلد واحد مخطوط هو المجلد الأول من آدم إلى سنة ٢٧٠هـ. فى ١٦٦ ورقة مع بعض الأوراق الأخرى وهو فى المكتبة الوطنية فى باريس برقم ١٥١٤.

١٩ - «**نبذ تاريخية**»: وهو مجموعة معلومات، أولها نبذة عن الروك الحسامى والروك الناصرى، ثم تراجم مختلفة لبعض الأعيان، ثم وزراء الدولة السلجوقية، ثم من ولى حلب من سنة ٣٠٠هـ، ثم من ولى دمشق من الترك. ولعل هذه النبذ لم تكتب بوصفها مؤلفا ولكنها مما كان المقريزى يجمعه من المصادر لمؤلفاته التاريخية.

وهذه النبذ موجودة بخط المقريزى فى ٥٢ ورقة، والمخطوط فى بلدية الإسكندرية رقم ٢١٢٥ د.

٢٠ - «**مختصر الكامل فى الضعفاء**» وهو الكامل فى معرفة ضعفاء المحدثين

Marfat.com

لعبد الله بن عدى الجرجانى المتوفى سنة ٣٦٥هـ. وقال المقريزى فى مقدمته: «إن ابن عدى شحنه بكثرة الأسانيد فأحببت أن ألخص منه ما قيل فى الرواة على سبيل الإيجاز وحذفت علل الحديث والأسانيد إلا أن تدعو الضرورة ...» ومن الكتاب نسخة بخط المقريزى كتبت (سنة ٧٩٥هـ) فى مكتبة مراد ملا باستامبول رقم ٥٦٩ فى ٣١٥ ورقة.

٢١ - «**رسالة فى الموازين والمكاييل**» (أو الأوزان والأكيال) الشرعية، ومنها مخطوط فى ليدن وآخر فى دار الكتب فى ١٨ صفحة وقد ترجمت إلى الإيطالية وطبعت سنة ١٨٠٠م فى روستك بعناية المستشرق رنك.

٢٢ - «**تراجم ملوك الغرب**»: وقد ذكر فيه أخبار أبى حمو ومن خلفه على تلمسان من بنى زيان. ومن هذا الكتاب نسخ مخطوطة عديدة منها واحدة فى ليدن، وأخرى فى فيينا وكل ضمن مجموعة تحوى بضعة عشر مؤلفًا (رسالة) للمقريزى.

٢٣ - «**ذكر ما ورد فى بنى أمية وبنى العباس من الأقوال**»: ومن هذه الرسالة نسخة مخطوطة فى فيينا.

٢٤ - «**معرفة ما يجب لآل البيت من الحق على من عداهم**»: وهى رسالة كتبها (سنة ٨٤١هـ) ومنها مخطوط فى فيينا (ضمن مجموع) وأخرى فى باريس (ضمن مجموع ٤٦٥٧).

٢٥ - رسالة فى الغناء، عنوانها «**إزالة التعب والعناء فى معرفة حال الغناء**». ومنها مخطوط فى باريس ذكره زيدان ولم أجده فى فهارس المكتبة الوطنية هناك.

٢٦ - «**ذكر بناء الكعبة والبيت**»: وهو مخطوط فى الظاهرية بدمشق فى ٧٨ ورقة رقمه ٤٨٠٥. وللمقريزى كتابان فى هذا الموضوع مطول ومختصر ذكرهما السخاوى وهذا أحد الكتابين.

٢٧ - كتاب «**البيان المفيد فى الفرق بين التوحيد والتلحيد**» (وقد يسمى تجريد التوحيد المفيد) ومنه نسخ عديدة فى تشيستربتى رقم ١٤٩٦، وفى ليدن رقم ٤٥١، وفى باريس برقم ٤٦٥٧، وفى دار الكتب بمصر.

وثمة عدا هذه المؤلفات مجموعة أخرى ضاعت أو فقدنا آثارها حتى الآن:

٢٨ - كتاب «**مجمع الفرائد ومنبع الفوائد**»: وهو كالتذكرة التى تجمع ألوانًا من الأخبار والمواضيع، أكمل المقريزى منه كما ذكر ابن تغرى بردى نحو الثمانين مجلدة.

وأما السخاوى فيذكر أنه يشتمل على «علمى العقل والنقل المحتوى على فنى الجد والهزل بلغت مجلداته نحو المائة». ومن الهام أن نلاحظ أن ابن قطلوبغا (المتوفى سنة ٨٧٩) جمع كتابه تاج التراجم فى طبقات الحنفية من تذكرة أستاذه المقريزى ومن الجواهر المضية لابن أبى الوفا (المتوفى سنة ٧٧٥هـ).

٢٩ - «**شارع النجاة**»: ويشتمل على جميع ما اختلف فيه البشر من أصول ديانتهم وفروعها مع بيان أدلتها ووجه الحق فيها. ذكره السخاوى وانفرد بذكره.

٣٠ - كتاب «**ما شاهده وما سمعه مما لم ينقل فى كتاب**». ذكره السخاوى أيضا وحده.

٣١ - كتاب «**الإشارة والإعلام ببناء الكعبة والبيت الحرام**»: وهو الكتاب الآخر الضائع من الكتابين (الأصل والمختصر) اللذين ذكرهما السخاوى.

وهناك بعد هذا أربعة كتب ذات شجون:

٣٢ - «**جنى الأزهار من الروض المعطار**»: وهو موجز الروض المعطار للحميرى (المتوفى سنة ٩٠٠هـ) وهو منسوب للمقريزى، ويظهر أنه لأحد أحفاده فالنسخة المخطوطة الموجودة منه فى ٥٨ ورقة برقم ٤٥٨ جغرافيا فى دار الكتب المصرية تلقب صاحب الكتاب بشهاب الدين المقريزى لا بتقى الدين. وثمة نسختان مخطوطتان أخريان من الكتاب فى باريس برقم ٤٧٩٧ و٥٩١٠.

٣٣ - ذكر السخاوى فى الضوء اللامع أن المقريزى «**قرض سيرة المؤيد**» شعرًا لمحمد بن ناهض. وقد ذكر الخبر نفسه فى ترجمة القلقشندى، فإن لم يكن ذلك سهوًا منه، فإن هذا قد يعنى أن السلطان المؤيد شيخ (المتوفى آخر سنة ٨٢٤هـ) بعد سنة أو نحوها من السلطنة أو بعض أمرائه الكبار قد طلب من الاثنين أو أوقع التنافس بينهما فى نظم السيرة التى كتبها ابن ناهض.

٣٤ - نشر للمقريزى كتابان عن تاريخ الأقباط، وهما كتاب واحد مستخرج من كتاب المواعظ والاعتبار (الخطط) نشر أولا بعنوان «دخول قبط مصر فى دين النصرانية» ترجمة لاتينية بعناية المستشرق ونزر فى سالباشى سنة ١٨٢٨م، ونشر باسم أخبار قبط مصر بعناية هماكر فى أمستردام سنة ١٨٢٤م، ثم طبع بعناية وستنفلد فى غوطا سنة ١٨٤٥م.

٣٥ - «**تاريخ الجراكسة**» وهو مخطوط فى أكسفورد ينسب للمقريزى. ذكره زيدان واستظهر أنه قد يكون مقتطفًا من «واسطة السلوك» المخطوط هناك أيضا.

Marfat.com

وأخيرًا نذكر للمقريزى:

٣٦ - كتاب «**نحل عبر النحل وما فيه من غرائب الحكمة**»: وهو مخطوط فى كمبردج، وقد نشره الشيال فى القاهرة سنة ١٩٤٦م. وهو نموذج لاهتمامات المقريزى العلمية التى تمثلت فى كتب أخرى مثل: «المقاصد السنية لمعرفة الأجسام المعدنية» و«الإشارة والأسماء إلى حل لغز الماء». ومنها نسخ خطية موجودة بالإضافة إلى كتب ذات طابع دينى أو ما يشبهه كـ «السير فى سؤال خاتمة الخير» و«الإخبار عن الإعذار»، ومقالة فى حرص النفوس الفاضلة على بقاء الذكر.

٣٧ - لخص كتاب عجائب المقدور فى وقائع (أو أخبار أو نوائب) تيمور لابن عربشاه (المتوفى سنة ٨٥٤هـ) والمقريزى بهذا التراث كله واحد من ثلاثة أو أربعة رجال كانوا أسياد علم التاريخ فى العصر المملوكى أجمع.

ثانيًا: ابن حجر العسقلانى

شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن محمد بن على بن أحمد العسقلانى الأصل المصرى المولد والنشأة والدار، وقد اشتهر بابن حجر لقب بعض آبائه. ولد سنة ٧٧٣ هـ / ١٣٦١ م. وتوفى سنة ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م. وهو واحد من أكابر تلك السلسلة الطويلة من المحدثين المؤرخين التى كان منها الطبرى وابن الأثير والبغدادى وابن عساكر والذهبى... وإنما دخل علم التاريخ من باب الحديث، وما يجب لعلومه من المعرفة بالرجال والأحداث والرواية، فكان مؤرخًا كبيرًا بقدر ما كان محدثًا كبيرًا.

فقد ابن حجر أبويه وهو طفل فنشأ كالمقريزى يتيمًا فى وصاية أحد كبار التجار من أصدقاء أبيه، وقد صحب هذا الوصى إلى الحج وهو فتى فدرس فى مكة، ثم عاد فدرس فى مصر على أعلام العصر. وكان من شيوخه الزين العراقى، والسراج ابن الملقن، والشهاب البوصيرى، والبدر البشتكى، والعز ابن جماعة، والشمس القطان، والمجد الفيروزآبادى، والشمس الغمارى، والسراج البلقينى، والبرهانة الأبناسى، وغيرهم...

وعن هؤلاء أخذ الفقه وعلوم القرآن واللغة، لكنه انصرف بكليته للحديث منذ كان فى العشرين من عمره. وأكثر من الرحلة فى طلبه فى مصر وفى الشام والحجاز واليمن حتى اجتمع له من الشيوخ ما لم يجتمع لأحد من أهل عصره، «كما برز غيره فى علوم الحديث مطالعة وقراءة وتصنيفًا وإفتاء» فصار فيه المفرد العلم. وبلغت مصنفاته فيه

Marfat.com

وحده أكثر من مائة وخمسين مصنفا. «وانتهت إليه الرحلة فى الحديث فى الدنيا بأسرها، فلم يكن فى عصره حافظ سواه» على حد قول السيوطى.

وقد عمل ابن حجر فى التدريس كغيره من العلماء فى العديد من مدارس القاهرة كالصالحية والمنصورية والجمالية والصلاحية والبيبرسية والشيخونية والمؤيدية. وتولى أيضا منصب القضاء أكثر من مرة، ولمدة تزيد على إحدى وعشرين سنة (عيِّن وعزل خلالها تسع مرات). فلما زهد فى القضاء، وصرف عنه سنة ٨٥٢هـ كان العمر أيضا قد انتهى به، فقد مات بعد أشهر قليلة!.

ترك ابن حجر من التراث العلمى ما تنوء به العصبة أولو العزم. ونستطيع أن نحصى من إنتاجه حوالى سبعين ومائتين، كتابًا ورسالة، عدا ثلاثة دواوين من الشعر وثلاث عشرة فتوى جوابية. ولا يدخل فى ذلك خمسة وثلاثين مؤلفا نسبت أيضا إليه، أو ثمة شك فى نسبتها إليه. وإذا كان ما يهمنا من هذا التراث هو الجانب التاريخى، فإنه بدوره ليس بالجانب الهين ولا القليل. ونستطيع أن نحصى فيه حوالى اثنين وثمانين كتابًا ورسالة ضاع منها النصف (٤١) ومعظم الباقى مخطوط (٢٩) ولم يطبع سوى السُبع أو أقل (١٢). وإن كان هذا الذى طبع هو الأضخم فى الحجم والأثقل فى الوزن العلمى. وبعضه تاريخى خالص، وبعضه حديثى يتصل خاصة بالحفاظ والرواة. والمجموعة الأولى المطبوعة هى:

١ - **«الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة»:** هو أكبر معجم للرجال فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) «وفيات سنة ٧٠١هـ حتى سنة ٨٠٠هـ من الأعيان والعلماء والملوك والأمراء والكتاب والوزراء والأدباء والشعراء» فى مصر وفى البلاد الإسلامية على السواء. وإن توجهت عناية ابن حجر إلى الحفاظ «رواة الحديث النبوى» بصورة خاصة، فإنه لم يهمل النساء فترجم للمحدثات والعابدات وكسب كتابه شأنا تاريخيا خاصا بما أورد من تراجم ملوك المغول وأمراء التتر وسلاطين الترك ومن أحداث السياسة فى مصر والشام.

نظم ابن حجر التراجم التى أوردها - وهى فى الغالب قصيرة مركزة - على حروف المعجم، وكان يأمل أن يكون الكتاب فى أربعة مجلدات، ولكن تلميذه السخاوى بيضه فى مجلدين فقط. وقد فرغ المؤلف منه سنة ٨٣٧هـ.

وقد أدرك ابن حجر عددًا من أصحاب التراجم، ولكنه اعتمد فى معظم الكتاب على موارد أخرى ذكرها - وكانت هذه عادته فى مؤلفاته - فى مقدمة الكتاب، ومنها **«أعيان العصر»** للصفدى، و**«مجانى العصر»** لأبى حيان، و**«ذهبية القصر»** لابن فضل الله، و**«تاريخ مصر»** للقطب الحلبى، و**«ذيل سير النبلاء»** للذهبى، و**«الوفيات»**

Marfat.com

للدمياطى، والذيل عليه للعراقى، و«تاريخ ابـن خلـدون» و«تـاريخ غرناطـة» للخطيـب، و«الوفيات» لابن رافع، وذيله لابن حجى، وعلى عدد من معاجم الشيوخ.

وليست هذه أول مرة يعتبر فيها القرن وحدة تاريخية للتأليف، فقـد سبق ابـن حجـر فى هذا كل من الأدفوى فى كتابه «البدر السافر» والـبرزالى فـى «تـاريخ مختصـر المائـة السابعة» والصلاح الصفدى فى «أعيان العصر» الذى بدأه من مطلع القرن الثـامن حتـى وفاته (سنة ٧٦٤هـ) كما اتبع الطريق نفسه ابن أبى عذيبة المعاصر لابن حجر فى كتابـه «إنسان العيون فى مشاهير سادس القرون» ولكن كتاب «الدرر» كان أشـهرها، وبـدأ سلسـلة مماثلـة استمرت بعـده عـدة قـرون فـى كتـاب السـخاوى (القـرن التاسـع) ثـم العيدروس والغزى (القرن العاشر) والمحبى (القرن الحادى عشر) والمرادى (القرن الثـانى عشر) والبيطار (القرن ١٣).

ثمة عدة نسخ محفوظـة مـن «الـدرر» منهـا نسـخة دار الكتـب المصريـة رقـم ١٠٢، ونسـخة التيموريـة رقـم ١٣١٢، ونسـخة ولى الديـن باستامبول رقـم ١٣٤، ونسـخة المتحف البريطانى، والأهلية فى باريس، وفيينا، وغيرها. وقد طبع الكتاب لأول مرة فـى الهند (سنة ١٩٢٩م) فى أربع مجلـدات ضخمـة، وطبـع فـى السـنة نفسـها فـى القـاهرة (المطبعة الرحمانية) فى أربعة مجلدات أيضا، ثم طبع فى حيدر آبـاد بـالهند، ثـم طبـع فـى القاهرة سنة ١٩٦٦م فى خمسة أجزاء (تحقيق محمد سـيد جـاد الحـق). وأخيرًا ظهـرت طبعة مصورة عن طبعـة الهنـد الأخـيرة فـى بيروت (دار الجيـل). وقـد اختصـر كتـاب «الدرر» كل من جلال الدين السيوطى (٩١١هـ) ومعاصره ابن عبد الهادى (٩٠٩هـ).

٢ - «ذيل الدرر الكامنة»: ويتضمن تراجم «الأعيان المختصة بالمائة التاسـعة» كمـا قال صاحبه وقد رتبه على السنين «استجابة لرغبة أصحابه ليتحقق لـه الاستيعاب، ولـم يتبسط فى تراجم الشاميين»، ونظم التراجم على سنى الوفاة بالفعل، ولكنـه جعلهـا فـى كل سنة على حـروف المعجـم. واستعان بمؤلفـه «إنبـاء الغمـر» فـى تأليفـه. وقـد ذكـر السخاوى أنه رأى الكتاب فى دمشق فى مجلد لطيف عنـد الشـهاب اللبـودى، وأن ابـن حجر وصل به إلى سنة ٨٣٢هـ.

ولم يطبع الذيل. وثمة نسخة مخطوطة منه فى دار الكتب المصرية برقـم ٦٤٩ تـاريخ تيمورية، وهى مسودة بخط ابن حجر نفسه وفيها شطب وتعديـل واستدراك فـى ٢٢٢ ورقة تنتهى سنة ٨٣٢هـ. ومـع أن المخطـوط يحمـل عنـوان «ذيـل الـدرر» إلا أنـه كمـا نلاحظ- ليس بذيل عليه، ولا سماه صاحبه ولا تلميذه السخاوى بذلك، ولكنه كتـاب خاص بتراجم أعيان المائة التاسعة وإن كان يتابع فيه كتاب «الدرر الكامنـة» فـى ترجمـة رجال العصر.

131765

Marfat.com

٣ - «إنباء الغمر بأبناء العمر»: هو مؤلف حافل فى أكثر من ألف صفحة كبيرة. وإذا كان «الدرر» و«ذيله» فى الرجال فهذا فى التاريخ وأحداثه، وهو الصورة المكملة للدرر فى إعطاء صورة العصر الذى عاشه ابن حجر مع رجاله، جمع فيه الأحداث التى أدركها منذ ولادته سنة ٧٧٣هـ حتى انتهى إلى سنة ٨٥٠هـ نظمه على السنين وأورد فى كل سنة أحوال الدول ووفيات الأعيان مستوعبًا - طبق اهتماماته - لرواة الحديث النبوى خصوصًا - كما قال لمن لقيه وأجازه.

اعتمد ابن حجر فى «الإنباء» على ما سمعه ورآه فى عصره، كما اعتمد على عدد من المصادر ذكرها - على عادته - فى مقدمة الكتاب، منها: ابن الفرات، وابن دقماق، وابن حجى، والمقريزى، والتقى الفاسى، والبدر العينى، والصلاح الأقفهسى، وابن خطيب الناصرية من مؤرخى مصر والشام الذين سبقوا عصره بقليل أو عاصروه.

ويبدو أن ابن حجر، حين قرر الشروع فى الكتاب، كان فى خاطره أن يجعله إكمالاً لبعض عمل السابقين فى التاريخ والرجال؛ لهذا قال فى مقدمته: «وهذا الكتاب يحسن من حيث الحوادث أن يكون ذيلا على تاريخ الحافظ ابن كثير، فإنه انتهى فى ذيل تاريخه «البداية والنهاية» إلى هذه السنة (٧٧٣هـ) ومن حيث الوفيات أن يكون ذيلا على وفيات ابن رافع (توفى سنة ٧٧٤هـ) فإنها انتهت إلى أوائل هذه السنة». وآثر ابن حجر شديد الدقة فى التسجيل فلم يكتف بالتاريخ الحولى، ولكنه كان يقيد الأحداث بالشهور والأيام فى الغالب. ومعظم ما دوَّنه خاص بتاريخ مصر فى تلك الحقبة، ولكنه دوَّن بجانبه أيضا ما وقع فى عدد من الأقطار الإسلامية من تركستان إلى المغرب الأقصى، ومن مملكة الروم العثمانية إلى اليمن وهو يتبع الحوادث بذكر الوفيات حسب التقليد التاريخى الذى استقر فى تلك الفترة. ويسجل وفيات كبريات النساء أيضا. ومقام ابن حجر واتصالاته العليا ودقته العلمية تجعل الكتاب سجلا لتاريخ البلاد الإسلامية على مدى ثلاثة أرباع قرن وبخاصة فى مصر.

وقد ذيل على «الإنباء» البرهان البقاعى (المتوفى سنة ٨٨٥هـ) حتى سنة ٨٧٠هـ فى «إظهار العصر» كما كتب عليه ذيلا آخر بعنوان «ألباء المصر فى ألباء العصر» من سنة ٨٥١هـ وحتى وفاته. وللسيوطى كتاب «تاريخ العمر» أراده ذيلا على «إنباء» ابن حجر.

وثمة من «الإنباء» نسخ عديدة مخطوطة تزيد على عشرين. وأهمها نسخة المؤلف الموجودة فى دار الكتب الظاهرية (رقم ٢٤١ تاريخ)، وثمة نسخة فى الأزهر (٧١٠ تاريخ) المتحف البريطانى وحيدر آباد واستامبول وفاس والمدينة المنورة (حتى سنة

Marfat.com

٨٣٨هـ). وقد طبع الكتاب بتحقيق حسن حبشى فى القاهرة سنة ١٩٦٩م - سنة ١٩٧٣م، فى ثلاثة أجزاء (حتى سنة ٧٣٨هـ) كما طبع قبيل ذلك سنة ١٩٦٧م فى حيدر آباد بتحقيق عبد المعيد خان.

٤ - «**رفع الإصر عن قضاة مصر**»: وهو فى تراجم رجال القضاء الكبار فى مصر منذ الفتح الإسلامي حتى بداية القرن التاسع، حتى إنه ترجم فيه لنفسه، فقد كان هو واحدًا منهم (إذ ولى وعزل تسع مرات) وقد جمع فيهم مجلدًا ضخمًا رتبه على الطبقات، غير أن تلميذه العز الحنبلى رتبه بعد وفاته على حروف المعجم، وأجرى عليه بعض التنقيح. وكان اعتماد ابن حجر على من سبقه فى هذا الموضوع كالكندى وابن زولاق، وقد اعتبر كتابه ذيلا على ابن زولاق، كما استقى مادته من تاريخ ابن ميسر والقطب الحلبى وكتب المقريزى. ويذكر ابن حجر فى المقدمة أنه وقف على أرجوزة لشمس الدين بن دانيال نظمها لقاضى القضاة ابن جماعة فى من ولى قضاء الديار المصرية، ثم طلب إليه أن يترجم لمن تضمنه الرجز فاستجاب وكان هذا الكتاب.

وقد ذيل عليه السخاوى (**فى بغية الوعاة فى الذيل على شيخى فى القضاة**) واختصره ابن شاهين سبط ابن حجر فى «**النجوم الزاهرة بتخليص أخبار قضاة مصر والقاهرة**» كما اختصره أيضا على بن عبد اللطيف المقدسى (توفى سنة ٩٠٠هـ).

وثمة من «**رفع الإصر**» نسخ مخطوطة عديدة منها فى مكتبة فيض الله باستامبول (رقم ١٤٥٥) فى ١٤٠ ورقة، وفى دار الكتب المصرية (رقم ١٠٥) وفى الأهلية بباريس (رقم ٥٨٩٣).

طبع قسم من «**رفع الإصر**» فى أعقاب كتاب ولاة وقضاة مصر للكندى (لجنة جب التذكارية سنة ١٩٠٨م) ثم طبع كاملاً فى قسمين: الأول بتحقيق حامد عبد المجيد وأبى ستة والصاوى (طبعة وزارة التربية - القاهرة ١٩٥٧م) والثانى بتحقيق حامد عبد المجيد أيضًا (وزارة الثقافة - القاهرة ١٩٦١م).

٥ - «**الإصابة فى تمييز الصحابة**»: وهو أشهر كتب ابن حجر وأهمها فى التاريخ الحديثى، رتب فيه الصحابة على حروف المعجم، ثم داخل كل حرف على أربعة أقسام: من وردت عنه رواية، ومن رأى الرسول ﷺ فقط، ومن لم يره ولكنه من مخضرمى الجاهلية والإسلام، وأخيرًا من ورد اسمه عن خطأ أو ذهول فى كتب مصنفى الصحابة. وهذا القسم الأخير هو أهم ما فى الكتاب لما فيه من التحقيق التاريخى الذى لم يسبق إلى غالبه. وقدم ابن حجر لكتابه بمقدمة من ثلاثة فصول عرَّف فيها الصحابى، وطريقة معرفته، وبيان عدالته، وخصص بابًا للصحابة المعروفين بالكنى وبابًا للصحابيات.

وقد سبق ابن حجر كثير من المؤلفين فى الصحابة، بل سبق أيضًا إلى الاسم الذى استخدمه ابن الجوزى والمقدسى والذهبى والخليلى (محمد بن يعقوب) ولكن كتاب ابن حجر احتل مكانه الخاص وصار واحدًا من ثلاثة أو أربعة كتب معتمدة مشهورة فى موضوعه رغم قصر ترجماته، لأنه استوعب الكتب التى سبقته، واستدرك عليها، ونفى وأثبت الصحبة وفق أسس منهجية ثابتة.

بدأ ابن حجر فى جمع كتابه سنة ٨٠٩هـ، واستمر فى عمله حوالى أربعين سنة، وأعاد كتابة مسودته ثلاث مرات، وبقيت الثالثة مسودة قيد التصحيح أيضًا. ومجموع التراجم فيه (١٢٣٠٤) ترجمة بما فى ذلك المكرر، استند فى جمعها إلى ما يزيد على ٩٤٠ مصنفا وقد جاء الكتاب فى خمسة مجلدات ضخمة.

بلغ من شهرة كتاب «**الإصابة**» أن انتشرت منه نسخ مخطوطة فى أعداد كبيرة من المكتبات. فى استامبول منه أكثر من اثنتى عشر نسخة، وفى مصر بدار الكتب، ودمشق (الظاهرية) وتونس (الأحمدية) وبغداد (الأوقاف) نسخ أخرى متعددة.

كما طبع كتاب «**الإصابة**» أكثر من ست طبعات: أولها فى الهند (سنة ١٨٥٣م) فى ثمانية مجلدات، ثم فى كلكتا (١٨٦٠ - ١٨٧٣م) فى أربعة، ثم فى القاهرة سنة ١٩٠٧م فى ثمان طبعات وتكرر طبعه فى القاهرة بعد ذلك أربع مرات كان آخرها طبعة دار نهضة مصر.

٦ - «**تهذيب التهذيب**»: هو مصنف ضخم فى رجال الحديث فى مختلف العصور. اختصر فيه ابن حجر كتاب «**تهذيب الكمال فى أسماء الرجال**» للحافظ المزى الدمشقى (المتوفى سنة ٧٤٢هـ). وكتاب «**الكمال**» هو فى الأصل للحافظ عبد الغنى المقدسى الدمشقى (المتوفى سنة ٦٠٠هـ./١٢٠٤م.). لكن ابن حجر أضاف إلى تهذيب المزى مما يعادل ثلث حجمه من المعلومات الإضافية، ومع ذلك فقد أخرجه فى ثلث حجم الكتاب المهذب، أى كتاب المزى. فقد حذف التطويل فى المرويات، واقتصر على أشهر شيوخ الرجال، ولم يحذف التراجم الصغيرة، ولكنه زاد فيها ما يدخل فى شرط الكتاب مما وجده فى المراجع الأخرى. وانتهى منه سنة ٨٠٧هـ راضيًا عنه.

جاء الكتاب فى ثلاثة مجلدات بخط المؤلف (وفى ستة من خط غيره). ثمة نسخة فى خمسة مجلدات فى طوبقابو (من رقم ٦٢١٤٥٣ إلى ٦٣٢٥٤٥٨) ونسخة تشستربتى (رقم ٣٢٨٩ و ٣٣٤٥) ومخطوط ولى الدين رقم ٣٢٥ - ٣٢٧، ومخطوط القرويين فى فاس رقم ٦٢٧ - ٦٢٨ وغيرها.

Marfat.com

وقد طبع «تهذيب التهذيب» فى دلهى سنة ١٨٩١م، وفى حيدر آباد الدكن سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧ فى ١٢ مجلدًا. وأعيد طبعه مصورًا سنة ١٩٦٨م (دار صادر فى بيروت) عن النسخة الأخيرة.

٧ - «تقريب التهذيب»: هو مختصر الكتاب السابق ولا تزيد الترجمة فيه على سطر فكأنه فهرس للتذكرة. ويحوى رجال الكتب الستة مع زيادات كثيرة، منها فصل فى بيان المبهمات من النساء.

ومنه نسخ مخطوطة، ومنها نسخة بخط المؤلف فى دار الكتب المصرية - التيمورية رقم ٥٣٣ تاريخ فى ٤٣٠ ورقة، بالإضافة إلى نسخ أخرى فى الدار (أرقام ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥)، وفى الأزهرية، ونسخ عديدة فى استامبول (ينى جامع ٤٣ - ٤٤، ولى الدين ٢٧، وعاطف أفندى ١٠٦، وأسعد أفندى ٢٠، وثلاث نسخ فى طوبقابو أرقامها ٤٥٩ ٦٣١٨ فى ٢٥٧ ورقة، و ٤٦٠ ٦٣١٩ فى ٩١٧ ورقة، و٥٠٥ ٦٣٢٠ فى ٢٢١ ورقة) عدا ما فى بغداد والموصل وغيرها.

وقد طبع «التقريب» بتحقيق وتعليق وتقديم عبد الوهاب عبد اللطيف (دار الكتاب العربى - القاهرة) سنة ١٩٦٠م، وكان قد طبع من قبل فى دلهى سنة ١٨٩١م. وطبع حديثا بتحقيق مصطفى عبد القادر عطا بدار الكتب العلمية .بيروت.

وعلى كتاب «التقريب» بنى ابن عبد الهادى كتابه «ضبط من غبر فى من قيده ابن حجر».

٨ - «لسان الميزان»: وقد بناه ابن حجر على أساس اختصار كتاب «ميزان الاعتدال فى نقد الرجال» للذهبى (وهو فى التعديل والتجريح) ولكنه بجانب الاختصار اقتصر فقط على ذكر التراجم التى وردت فى الميزان، ولم ترد فى تهذيب الكمال، وأضاف فى الوقت نفسه من عنده زيادات كثيرة جدا سواء فى التراجم نفسها، أو فى تجريح وتعديل المترجمين، مما جعله يقول فيما بعد: «لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أتقيد بالذهبى ولجعلته كتابًا مبتكرًا...» وقد بلغ من اهتمام ابن حجر بهذا الكتاب أن ظل يتابعه بعد الفراغ منه بالتعديل والإضافة فى كتب أخرى، وهكذا نجد له:

٩ - «تحرير الميزان» وفيه تصحيح ما وقع له من وهم فيه، وإضافة ما فاته من تراجم.

١٠ - «تقويم اللسان» وفيه أورد من ضعفه الذهبى، ولم يذكر مستنده فى تضعيفه.

Marfat.com

١١ - «ذيل الميزان» وقد جمع فيه ابن حجر نحوًا من ألفى ترجمة إضافية وبيضَّ قسمًا منه. وثمة من لسان الميزان نسخة كاملة فى ثلاثة أجزاء فى مكتبة أحمد الثالث باستامبول رقم ٢٩٤٤، الأول إلى آخر حرف الزاى، والثانى إلىآخر اللام والثالث حتى نهاية الكتاب. وثمة فى مكتبة «لاله» الجزء الثانى منه فقط رقم ٦٣١. وفى أيا صوفيا نسخة. وقد طبع الكتاب بحيدر آباد سنة ١٩١١م - ١٩١٢م فى ستة أجزاء.

١٢ - «تبصير المنتبه بتحرير المشتبه»: وهو فى المشتبه من أسماء الرجال الرواة، وما يتصل بذلك من المؤتلف والمختلف، قصد به ابن حجر التحرير والضبط لكتاب المشتبه للذهبى والاستدراك عليه. وقد بلغت زيادات ابن حجر مرة ونصف المرة من الكتاب الأصلى، وجاء كتاب التبصير فى مجلد كبير فرغ منه سنة ٨١٦هـ وهو مرتب على حروف المعجم.

ومنه نسخة كتبت فى عصر المؤلف وعليها خط ابن الشحنة وولده موجودة فى مكتبة مراد ملا باستامبول رقم ٣٤٣ فى ٢٥٨ ورقة. وثمة نسخة خزائنية كتبها البوصيرى (سنة ٨٢٠هـ) وقرأها على المؤلف موجودة فى رضا رامبور رقم ١٠٢٠، وثالثة فى حيدر آباد رقم ١٠ رجال، ورابعة فى خدابخش رقم ٢٤١٢، وخامسة فى شهيد على رقم ٣٧٧ وغيرها. وقد طبع «تبصير المنتبه» بتحقيق على محمد البجاوى فى القاهرة سنة ١٩٦٤ - ١٩٦٥م فى أربعة اقسام.

١٣ - «تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس»: ألفه ابن حجر سنة ٨١٥هـ، وجعل المدلسين خمس مراتب أو طبقات. وثمة منه نسخ عديدة منها ثلاث فى دار الكتب المصرية أرقامها ١٤٤ مجاميع، ١٧٥ مجاميع، و٥٢ مجاميع، وفى التيمورية مثل ذلك، عدا نسخ الأزهرية وكوبريللى فى استامبول رقم ١٥٩١. وقد طبع الكتاب بمصر سنة ١٩٠٤.

١٤ - «المرحمة الغيثية فى الترجمة الليثية» أو «مرحمة الغيث بترجمة الليث»: هو الليث بن سعد قاضى مصر وصاحب المذهب الفقهى المعروف باسمه (ولد سنة ٩١ وتوفى سنة ١٧٥هـ).

والمؤلف رسالة كتبها ابن حجر فى يومين (سنة ٨٣٤هـ) فى أوراق، ومنها نسخة فى ١٣ ورقة مخطوطة (خدابخش بتنة رقم ٢٣٨٢).

وقد طبعت الرسالة مرة فى بولاق سنة ١٣٠١هـ./١٨٨٤م.، وطبعت مع مجموعة من «الرسائل المنيرية» ببيروت سنة ١٩٧٠ ج٢ ٢٣٥ - ٢٦٥.

Marfat.com

١٥ - «توالى التأسيس بمعالى ابن إدريس»: وهو بدوره رسالة فى مناقب الإمام الشافعى مرتبة فى بابين فرغ منها ابن حجر سنة ٨٣٥هـ. وثمة نسخة مخطوطة لها فى الظاهرية بدمشق رقم ٩٢٢٤ عام فى أربع وعشرون ورقة، وأخرى فى أياصوفيا (٣٥٠٨) وقد طبعت الرسالة مع الرسالة السابقة فى بولاق سنة ١٣٠١هـ./١٨٨٤م.

١٦ - «الزهر النضر فى أنباء الخضر»: وقد تتبع ابن حجر فى هذه الرسالة أخبار الخضر فى الأقوال المختلفة، وفحص أسانيدها جامعًا ما سبقه إليه الباحثون الآخرون فى هذا الموضوع كابن الجوزى، والرواة الباقون كالقشيرى، والماوردى، وأبى نعيم...

ومن الرسالة مخطوط فى دار الكتب المصرية رقم ١٧٥ مجاميع فى ١٥ ورقة. وهى مطبوعة مع مجموعة الرسائل المنيرية فى بيروت سنة ١٩٧٠م.

١٧ - «غبطة الناظر فى ترجمة عبد القادر الكيلانى»: ولعله ملخص عن كتاب «بهجة الأمراء» لابن الملقن فقد ذكر السخاوى فى «الجواهر والدرر» (ورقة ٢٩٦ ظهر) أنه لخصه. ومن «غبطة الناظر» نسخة فى الرباط ذكرها بروكلمان (رقم ٧٥). وقد طبع الكتاب فى كلكتا سنة ١٩٠٣م، وله مختصرات بدوره منها مخطوطات فى تونس وغيرها.

وتأتى بعد هذا مجموعة كتب ابن حجر التاريخية الثانية التى ما تزال مخطوطة وقد تقدم بعضها فى مواضعها، ويبقى:

١٨ - «تجريد الوافى بالوفيات للصلاح الصفدى»: والمعجم الوافى ضخم جدًا فى أصله (تسعة وعشرين مجلدًا) ولكن ابن حجر أوجزه فى مجلد كأنه الفهرس، كتبه قبيل وفاته بقليل بحيث لا تزيد الترجمة عامة على سطر. ومنه نسخة مخطوطة بخط ابن فهد المكى فى مكتبة فيض الله باستامبول رقم ١٤١٣ فى ٢٦٩ ورقة.

١٩ - «المجمع المؤسس للمعجم المفهرس»: وهو يضم تراجم ومرويات حوالى ٤٥٠ شيخًا من شيوخ ابن حجر بالسماع والإجازة والإفادة، وقد رتبهم على حروف المعجم فى قسمين: الأول لمن روى عنه، والثانى للباقين، وجعلهم من حيث علو الإسناد خمس مراتب أو طبقات. بدأ ابن حجر جمع الكتاب فى عدن سنة ٨٠٦، وفرغ منه سنة ٨١٩هـ فى القاهرة، وقد جاء فى ١٦٢ ورقة.

ومسودة هذا الكتاب الأولى ما تزال مخطوطة، وهى فى المكتبة الأزهرية برقم ١٣٦٠/١٧٨ مصطلح الحديث. وهناك فى الأزهرية نسخة أخرى برقم ٩٣٤ حديثية، وفى دار الكتب المصرية نسخة ثالثة برقم ٧٥ مصطلح (فى قسمين من ١٢٧٧ ورقة).

Marfat.com

وثمة أيضًا نسخة فى الأحمدية بحلب رقم ٣٤٥ (٣٧٥ ورقة). وفى مكتبة مراد ملا نسخة بخط المؤلف كتبت سنة ٨١٦هـ ورقمها ٦٠٣ (وتمثل مشروع المؤسس قبل استكماله) وهناك أيضًا نسخ أخرى فى الحرم الشريف واستامبول وغيرهما.

٢٠ - «**المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة**». ويبدو أنه غير الذى سماه ابن حجر أيضًا - حسب رواية السخاوى - «**المقاصد العليات فى فهرست المرويات**» أو «**المقاصد العلية فى فهرست الكتب والأجزاء المروية**»: وهو فى مجلد يحوى ما رواه ابن حجر بالأسانيد من مطولات الكتب والمختصرات والجوامع فيها والمفرقات والشيوخ والمعاجم والمشيخات والتواريخ وفنون الحديث والتصانيف فى القرآن والفضائل والزهد والفقه والرقائق والمناقب والنوادر وغيرها، مع بيان محتوى بعضها وحجمها وطريق قراءتها... فهو عرض للمكتبة الثقافية التى استوعبها قطب من أقطاب العلم فى ذلك العصر. ومن هنا الشأن التاريخى لهذا المعجم بوصفه إطلالة عالية على ثقافة العصر. ومنه نسخة مخطوطة فى دار الكتب المصرية رقم اثنين وثمانين مصطلح وتقع فى ١٨٥ ورقة رويت مباشرة عن ابن حجر. ونسخة أخرى فى المتحف البريطانى رقم ٩٦٧٧.

٢١ - «**الإيثار بمعرفة رواة الآثار**»: وهو فى رواة كتاب الآثار لمحمد بن الحسن الشيبانى (قاضى الرشيد المعروف المتوفى سنة ١٨٩هـ) وفى ما رواه عن أبى حنيفة. وقد رتب ابن حجر تراجم هؤلاء الرواة على حروف المعجم فى الأسماء والكنى ثم المبهم، وعقد فى النهاية فصلا فى النساء. وقد فرغ منه أواخر سنة ٨٣٣هـ.

وثمة نسخة مخطوطة بخط ابن حجر فى دار الكتب المصرية رقم ١٥٦ مصطلح.

٢٢ - «**تسمية من عرف ممن أبهم فى العمدة**»: (أى عمدة الأحكام لعبد الغنى المقدسى المتوفى سنة ٦٠٠هـ) ويستوفى فيه ابن حجر تراجم أولئك المغمورين المذكورين فى الكتاب بترتيب أبوابه. وهناك نسخة مخطوطة منه فى المكتبة الأزهرية ضمن مجموع (١٠٩ مجاميع).

٢٣ - «**تعجيل المنفعة برجال الأئمة الأربعة**»: ترجم فيه ابن حجر لمن خرج له فى كتاب من كتب الأئمة الأربعة (دون الكتب الستة) فهو فى تاريخ الرواة الثقات. ومنه نسخة خطية فى الظاهرية بدمشق ضمن مجموع رقم ١٤٦ حديث (من ورقة ٣١ إلى ١٢٤).

٢٤ - «**نزهة الألباب فى الألقاب**»: استوعب فيه ابن حجر واختصر الكتب السابقة

Marfat.com

فى هذا الموضوع، وأضاف واستدرك وصحح الكثير، وجعل الكتاب فى ثلاثة أبواب، ونظم كل باب على حروف المعجم. وللكتاب شأنه الهام فى التاريخ وعلم الرجال والحديث.

ومنه نسخ مخطوطة عديدة: أهمها نسخة بخط ابن حجر فى دار الكتب المصرية برقم ٣٣٦ مصطلح بخط المؤلف. وهناك نسخة أخرى برقم ١٦٦ وثالثة فى فيض الله باستامبول رقم ١٥٤٨ وغيرها. والكتاب مطبوع.

٢٥ - «إتحاف إخوان الصفا بنبذ من أخبار الخلفا». وهو مخطوط.

٢٦ - «تاريخ المدينة المنورة»: ذكر بروكلمان أنه مخطوط فى مكتبة رضا رامبور، ومنه نسخة أخرى فى المدينة، وليس فى المصادر القديمة ذكر له.

٢٧ - «رحلة ابن حجر من مصر إلى دمشق» وتسمى أحيانًا: «اتباع الأثر فى رحلة ابن حجر». وثمة شك فى نسبتها لابن حجر. ومنها مخطوط الظاهرية برقم ١٠٢٢٦ وهى مخرومة الأول وتقع فى ١٣ صفحة.

٢٨ - «المعنى فى ضبط الأسماء والأنساب»: وقد ذكر بروكلمان وجود نسخة مخطوطة منه فى رضا رامبور.

٢٩ - «تحفة أهل الحديث عن شيوخ التحديث»: ومنه مخطوطان فى المكتبة المركزية بالموصل رقم ١٩٤ و ٢٣٨ وذكرهما بروكلمان وذكر أن الكتاب فى ثلاث مجلدات.

٣٠ - «منتقى مغازى الواقدى»: (ويسمى أحيانا تعاليق منها أو تلخيصها). وفى دار الكتب المصرية نسخة منها برقم ٥٢٢ تاريخ تضم أيضًا تلخيص البداية والنهاية. (من الورقة ٣٨ حتى ١٥٠) بخط ابن حجر نفسه.

٣١ - «تعليق من تاريخ ابن عساكر (تاريخ دمشق)»: ومنه نسخة فى المخطوط السابق نفسه فى دار الكتب المصرية ٥٢٢ تاريخ من الرقم ١٥٠ إلى ١٩٤ مختارات من تراجم المحدثين بخطه.

٣٢ - «ما ورد من الرواية فى البداية والنهاية لابن كثير»: لخص فيه ابن حجر من هذا الكتاب أخبار الأنبياء وغيرهم، دون الرسول. ونص فى المقدمة على أنه كتبه لنفسه ولمن ينتفع به. ولعل هذا حال الكتابين اللذين نجدهما مع هذا الكتاب فى مخطوطة واحدة بدار الكتب المصرية رقم ٥٢٢ تاريخ بخط ابن حجر. وكتاب ابن كثير من الورقة الأولى حتى ٧٧.

٣٣ - «الخيرات الحسان من مناقب أبى حنيفة النعمان»: ومنه نسخة مخطوطة فى طوبقابو رقم ٢٨٢١ و ٦٥٢٢ (ومعها كتاب الشقائق النعمانية لطاش كبرى زاده).

٣٤ - «**ترجمة ابن تيمية**»: (المتوفى سنة ٧٢٨هـ) ولعلها مستلّة من كتاب «الدرر الكامنة» وثمة من هذه الرسالة نسختان مخطوطتان: إحداهما فى دار الكتب المصرية رقم ٢٠٥٤٥ ب (ضمن مجموعة من الورقة ٢٣ إلى ٣١) ونسخة فى مكتبة الأوقاف ببغداد ضمن مجموع (رقم ٦٠١٩) فى ١٣ ورقة.

٣٥ - «**الفتح الذهبى فى مناقب الشاطبى**»: ومنه نسخة مخطوطة فى أيا صوفيا ضمن مجموع رقم عدد عمومى رقم ٥٩.

٣٦ - «**ترجمة السيد أحمد البدوى**»: ومنه نسخة فى الظاهرية بدمشق ضمن مجموع رقم ٣٧٥٤ فى ورقة وبعض الورقة ذكر أنها منقولة من خط ابن حجر.

٣٧- «**المعجم للحرة مريم**»: (وهى بنت الأذرعى، المحدثة المعمرة المتوفاة سنة ٨٠٥هـ) من مشايخ ابن حجر. ومن «**المعجم**» نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٤٢١ حديث فى ٨٠ ورقة بخط ريطة بن شاهين.

٣٨ - «**بذل الماعون فى فضل الطاعون**»: وهو مجلد صغير جمع فيه أشياء كثيرة من الأحاديث والأحكام والآداب المتعلقة بالطاعون مع بعض أخباره. فرغ منه سنة ٨٣٣هـ، ويبدو أنه عاد إليه بالإضافة سنة ٨٤٨هـ. ومن هذا الكتاب نسختان فى التيمورية رقم ١٩٨ ورقم ٣١٢ مجاميع ونسخة فى الظاهرية بدمشق رقم ٢٣. وفى مكتبات أسعد أفندى وعاشر أفندى وكوبريللى وأيا صوفيا فى استامبول نسخ أخرى، وكذلك فى ليدن. وقد اختصر الكتاب كل من الشيخ المناوى (المتوفى سنة ٨٧١هـ) والسيوطى (المتوفى سنة ٩١١هـ) والأنصارى (المتوفى سنة ٩٢٦هـ). وثمة من هذه المختصرات نسخ مخطوطة أيضًا. وفى بلدية الإسكندرية مخطوط لابن حجر عنوانه «**خلاصة ما رواه الواعون من الأخبار الواردة فى الطاعون**» فيه سرد لحوادث الطاعون حتى سنة ٨٤٨هـ، وقد أكمله بعض العلماء المجهولين حتى سنة ١٠٥٣م.

٣٩ - ويمكن أن نعدَّ أخيرًا من كتب التاريخ كتاب ابن حجر «**أسباب نزول القرآن**» فهو متصل بالمناسبات التاريخية أيام الرسالة وهو فى مجلد ضخم. ومنه نسخ مخطوطة لعلها مسودة المؤلف فى جامع القرويين فى فاس.

وتأتى بعد هذا المجموعة الثالثة من أعمال ابن حجر وهى القسم الضائع أو المفقود حتى الآن على الأقل. وفيها من الكتب الحديثية:

٤٠ - «**ترتيب طبقات الحفاظ للذهبى**»: مرتبة على حروف المعجم وقد بيَّض ابن حجر منه النصف فى مجلد.

Marfat.com

٤١ - «رونق الألفاظ بمعجم الحفاظ»: جمعه وهيأ مادته ابن حجر مختصرًا فيه «تذكرة الحفاظ» للذهبى مع الاستدراك، وأعطاه لسبطه يوسف بن شاهين الذى أتمه بعد موت جده، ونظمه وبيَّضه فهو مشترك بينهما ويحسب فى تراث السبط. وثمة نسخة من المجلد الأول من «الرونق» فى مكتبة المدينة رقم ٢٧٢. وهناك نسخة من المجلد الثانى (من حرف الغين حتى آخر الكتاب أثناء فصل النساء) فى المكتبة الخالدية فى القدس (رقم ١١ تراجم) فى ٣٥٠ ورقة وعليه خطوط بعض العلماء المعروفين كابن قطلوبغا والصفدى وغيرهم.

٤٢ - «ثقات الرجال ممن لم يذكر فى تهذيب الكمال»: فى خمسة أسفار كتب منها ابن حجر نحو ثلاثة ولم يكمل.

٤٣ - «فوائد الاحتفال ببيان أحوال الرجال» (المذكورين فى البخارى): وهو فى مجلد مسودة.

٤٤ - «أسماء رجال الكتب التى عمل أطرافها فى إتحاف المهرة»: ولم يكمله ابن حجر ولو كمل لجاء فى خمسة مجلدات.

٤٥ - «المهمل من شيوخ البخارى».

٤٦ - «ترتيب المبهمات على الأبواب» (ولعله الكتاب السابق رقم ٢٢).

٤٧ - «التعريف الأجود بأوهام من جمع رجال المُسند».

٤٨ - «ذيل التبيان لمنظومة الحفاظ بديعة الزمان»: وقد ذيل بها ابن حجر على شرح الحافظ ابن ناصر الدين لهذه المنظومة التى تجمع أسماء الحفاظ. واشتمل «الذيل» على ٢٨ حافظًا إضافيًا. وفى المجموعة الضائعة من المؤلفات التاريخية العامة ومعظمها رسائل محدودة الحجم.

٤٩ - «أرجوزة فى وفيات الأعيان للذهبى»: وصل فيها إلى سنة ٢٠١.

٥٠ - «الإعلام فى من سمى محمدًا قبل الإسلام».

٥١- «الإعلام بمن ولى مصر فى الإسلام».

٥٢ - «تعريف الفئة فى معرفة من عاش مائة»: ولعله هو الذى يذكر باسم كتاب المعمرين فى الإصابة ويذكره السخاوى باسم كتاب المعمرين والشبان أيضًا.

٥٣ - «إقامة الدلائل على معرفة الأوائل».

Marfat.com

٥٤ - «النبأ الأنبه فى بناء الكعبة» كتبه ابن حجر بطلب من السلطان المؤيد سنة ٨٢٢هـ.

٥٥ - «القصد الأحمد فى من كنيته أبو الفضل واسمه أحمد»: ظل مسودة.

٥٦ - «الجواب الجليل عن حكم بلد الخليل»: وابن حجر يسميه «البناء الجليل بحكم بلد الخليل».

٥٧ - «جزء فى أسماء المدلسين».

٥٨ - «جلب حلب»: وهو صدى رحلته إلى حلب، وما علق من نوادر وفوائد حين رحل إليها سنة ٨٣٦هـ. فى حوالى أربعة أجزاء حديثية (٤٠ ورقة).

٥٩ - «الدرة المضية من فوائد الإسكندرية»: وهى صدى رحلته سنة ٧٩٧هـ إلى الإسكندرية وطابعها أدبى.

والمجموعة الثالثة المفقودة تتصل بالمشيخات والفهارس وفيها:

٦٠ - «الثبت الحديثى» الذى أثبت فيه شيوخه ومروياته ومسموعه والمشاركين معه وكان فى مجلدين فى المسودة.

٦١ - «فهرس كتب المحمودية» التى بناها جمال الدين محمود بن على سنة ٧٩٧هـ فى القاهرة واشترى لها مكتبة البرهان ابن جماعة من ورثته، وكانت مكتبة ضخمة تحوى حوالى أربعة آلاف مجلد فى مختلف الفنون، وحين كانت المكتبة فى عهد ابن حجر كانت تزيد على عشرة الآف فعمل لها فهرسين: الأول على أبواب العلم، والثانى على الحروف.

٦٢ - **فهرس نفسه** وكان فى مجلداته: ضخم يسمى «المقاصد العليات فى فهرست المرويات» ويبدو أنه غرق فى رحلته إلى اليمن.

٦٣ - **فهرس مرويات جلال الدين البلقينى بالإجازة** (توفى سنة ٨٢٤هـ).

٦٤ - **فهرس (أخيه) علم الدين البلقينى بالإجازة** (توفى سنة ٨٦٨هـ).

٦٥ - **فهرس الشرف ابن الكويك** (محمد بن محمد بن عبد اللطيف الربعى التكريتى المصرى ٧٣٧ - ٨٢١هـ).

٦٦ - **مشيخة البرهان الحلبى.**

٦٧ - **مشيخة ابن أبى المجد.**

Marfat.com

٦٨ - **منتفى من مشيخات ابن عساكر** (٥٧١هـ) وابن السرارى والفخر ابن البخارى (ت ٦٩٠).

٦٩ - **مشيخة الشرف أبى الطاهر بن الكويك.**

٧٠ - **«معجم التنوخى»**: (أو المعجم الكبير للشامى) وكان فى مجلدة ضخمة (٢٤ جزءًا حديثيًا) عن أكثر من ٤٠٠ شيخ.

٧١ - **«المنتقى من معجم السبكى».**

٧٢ - **«تعقيب على ابن الجزرى فى مشيخة شيخه الجنيد»** (فى جزء).

وتأتى بعد ذلك مجموعة من كتب المناقب:

٧٣ - **«الأنوار فى خصائص المختار»**: وهو نوع من السيرة النبوية.

٧٤ - **«الإيناس بمناقب العباس»**: وهو نوع من المديح للخليفة العباسى فى القاهرة.

٧٥ - **«مناقب الشيخ أبى العباس أحمد الجرار».**

٧٦ - **«ترجمة الإمام النووى»**: (المتوفى سنة ٦٧٧هـ) ولعله برهان الدين إبراهيم (المتوفى سنة ٨٥٥هـ).

وهناك كتب التخليص التاريخى:

٧٧ - **«منتقى من تاريخ ابن خلدون».**

٧٨ - **«تلخيص المتفق والمفترق»** للخطيب البغدادى.

٧٩ - **«توضيح المشتبه»** (فى الأنساب) للأزدى.

٨٠ - **«قصة هاروت وماروت».**

٨١ - **«منتخب رحلة ابن رشيد».**

ونضيف بعد هذا كله أن علم التاريخ أثار فى عصر ابن حجر إشكالاً فقهيا يتعلق بتحريمه أو تحليله بوصفه نوعًا من الغيبة. واستفتى كبار العلماء فى ذلك ومنهم ابن حجر الذى دافع عن التاريخ بدقة وسداد. وقد نشر فؤاد سيد خمسًا من هذه الفتاوى ومنها فتوى ابن حجر الذى قسم التاريخ قسمين: قسم يقصد ضبط الوقائع ويلزمه التحرى فى النقل، وقسم يقتصر على تراجم الناس. وهنا لا تكشف مساوئ المشهور بالخير والدين لأنه غير معصوم. وأما المجاهر بالفسق فيجوز ذكر ذلك عنه لكى

Marfat.com

يرتدع. وأما المحدِّث فالأصل فى فنه بيان الجرح والتعديل ولا يجوز كتمان ذلك. وأما الزعم بأن ذلك غيبة فمرفوض وإن أصر الزاعم عليه فليعلم أو يؤدب... ذلك منهج ابن حجر فى تراثه كله.

ثالثا: البسطامى

زين الدين عبد الرحمن بن على أحمد بن محمد البسطامى الأنطاكى الحنفى: ولد فى أنطاكية. وتوفى بمدينة بروسة (بالأناضول) سنة ٨٥٨ هـ. /١٤٥٣ م. سنة فتح القسطنطينية. وفيما بين هذا وذاك قضى فترة الدراسة والتكون العلمى فى الشام والقاهرة، ورحل إلى المغرب فى نشدان الروحانيات، وشارك فى أنواع عديدة من علوم الحديث والفقه والتاريخ والتصوف وبرع فى اللغتين العربية والتركية. وكان له ولع بالروحانيات والأسرار الغيبية فانصرف لدراستها والتأليف فيها فله فى خواص الحروف السحرية وفى علم الجفر (التنبؤ للمستقبل من خلال كتب ذات أسرار خاصة) والمكاشفات الروحانية مجموعة من المؤلفات يمازجها الطابع الصوفى الذى كان سيد الفكر فى تلك الحقبة. وطاشكبرى زاده يلقبه بالشيخ العارف بالله ويذكر أنه كان له تصرف عظيم بخواص الحروف وتأثير عظيم بالاشتغال بأسماء الله تعالى، وكان له فى ذلك حكايات غريبة...

ويبدو أن تألق الدولة العثمانية استهوى البسطامى فهاجر قبل سنة ٨١٦هـ إلى الأناضول حيث عمل فى التدريس فى آق شهر، ثم فى مدارس بروسة حيث استقر وتوطن وتوفى تاركًا تراثًا من المؤلفات -رأى طاشكبرى زاده - أكثرها بخطه الذى كان فى غاية الإحكام والإتقان، وعددها يزيد على خمسين كتابًا أكثر من خمسها فى التاريخ الذى كان الهواية الثانية له. ولم تحظ أعمال البسطامى بالعناية المناسبة لانقراض الاهتمام بموضوعاتها، فضاع معظمها. والمؤلفات التاريخية منها حوالى عشرة كتب، ولكنها مع المؤلفات الأخرى شبه التاريخية تقارب العشرين:

١ - «**نظم السلوك فى مسامر الملوك**»: وهو مختصر من الهجرة إلى سنة ٧٠٠هـ، أنهاه البسطامى سنة ٨٠٦هـ. ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة فى أيا صوفيا رقم ٣٥٠٣، ونسخة أخرى فى عاشر رئيس رقم ٧٢١، وثمة نسخة ثالثة فى المتحف البريطانى تحمل عنوان «**جواهر السلوك فى سياسة الخلفاء والملوك**». إلا أن تكون هذه المخطوطة كتابًا آخر للبسطامى.

٢ - «**مختصر جهينة الأخبار فى ملوك الأمصار**»: ولعله مختصر كتاب «جهينة الأخبار» لبدر الدين حسن بن عمر بن حبيب الحلبى الشافعى المتوفى سنة ٧٧٩هـ، والمؤلف بأسلوب السجع.

Marfat.com

ومنه نسخة فى سوهاج بمصر رقم ١٤٩ تاريخ فى ١٤٦ ورقة.

٣ - «**صيحة البوم فى حوادث الروم**»: وهى منظومة طويلة فى كتاب يجمع بين علم الجفر والتاريخ وينسب الكتاب خطأ لابن عربى. والبسطامى يتنبأ فيه بانهزام الروم البيزنطيين. وقد كتبه سنة ٨١٦هـ بمدرسة فرخ شاه بآق شهر.

٤ - «**مباهج الأعلام فى مناهج الأقلام**»: ولم يتيسر لنا الاطلاع عليه لنعرف موضوعه وإن كان عنوانه (الذى قد يخدع) يوحى بأنه فى التعليم الديوانى وفى التراجم.

ومن هذا الكتاب نسخة فى المتحف البريطانى رقم ٧٥٢٨.

٥ - «**الفوائح المسكية والفواتح المكية**»: وهو هواجس صوفية روحانية أوحاها له الحج، كتبها فى مكة سنة ٨٨٤هـ فى مجلد صغير. ومنه نسخة مخطوطة فى الحرم المكى برقم ١٢٢. وأخرى فى فيض الله باستامبول رقم ١٥٠١ فى ١٩٤ ورقة.

٦ - «**درة تاج الرسائل وغرة منهاج الوسائل**»: ويبدو أنه يذكر فيه بعض تجاربه. ومخطوطة الدرة موجودة فى مكتبة نور عثمانية رقم ٥٩٠٤.

وله عدا هذا بعض المؤلفات التاريخية، أو التى يرجح أنها من التاريخ وهى ضائعة.

٧ - «**روضة العباد فى مناقب الصوفية الزهاد**»: والكتاب قد تكون نسخة منه فى بعض مكتبات تركيا. ولكنه فى جمعه بين التاريخ والتصوف والكرامات يمثل الجو الفكرى العام للمؤلف وللعصر الذى عاش فيه.

٨ - «**الدرر فى الحوادث والسير**»: ويصفه حاجى خليفة بأنه مختصر على ترتيب السنين من وفاة الرسول إلى سنة ٧٠٠هـ. ويذكر أسطرًا من مقدمته، وهو غير معروف المصير حتى الآن، ولكنه يماثل كتابه «**نظم السلوك**» فى الموضوع. ولسنا نستطيع أن نجزم فيما إذا كان الكتابان واحدًا أم أن أحدهما مختصر الآخر.

٩ - «**التواريخ اللطيفة والآثار العجيبة**»: فرغ من تأليفه سنة ٨٣٥هـ ولا يعرف مصيره.

١٠ - «**جواهر الدرر وفواخر الغرر**».

١١ - «**خرائد الملوك فى فوائد السلوك**»: ألفه للقاضى خضر بن إلياس، وذكر فيه ما قيل فى الخضر وفى إلياس.

١٢ - «**مصباح السلوك فى مسامرة الملوك**»: (وقد ينظر هذا الكتاب إلى المؤلف

Marfat.com

الأول فى القائمة).

١٣ - «**الفوائد السنية فى تهذيب الأسماء النووية**»: وهو مختصر تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى المتوفى سنة ٦٧٦هـ.

١٤ - «**درة من ظهر بالغرائب وأتى من بحر العجائب**»: ولعله ليس فى التاريخ، أو أنه تراجم لمن عملوا بالروحانيات وأتوا فيها بالخوارق.

١٥ - «**درة الفوائد وغرر العوائد**» وهى رسالة فى مناقب الأقطاب من الصوفية.

١٦ - «**توضيح مناهج الأنوار وتنقيح مباهج الأسرار**»: وهو تاريخ مرموز كتبه سنة ٨٣٩هـ.

١٧ - «**مفاتيح الأسرار ومصابيح الأكوار**»: وهى فى خمسة أبواب وفيه تواريخ ووقائع وحكايات.

١٨ - «**روضة العباد فى مناقب الصوفية والزهاد**».

١٩ - «**مناهج التوصل فى مباهج التوسل**» بناه على ٤٦ لطيفة. فى كل لطيفة سر مكتوم ثم أورد عقبه نكتة وحكاية.

٢٠ - «**ترجمة الإمام البخارى**» (محمد بن إسماعيل المتوفى سنة ٢٥٦ هـ. /٨٦٩ م).

ومنه مخطوط بالظاهرية رقم ١٠٧٦ فى ٢٦ ورقة بخط المؤلف كتبه سنة ٨٤٩هـ.

٢١ - كتاب فى موضوعات العلوم يقول حاجى خليفة: إنه «أورد فيه عجائب وغرائب... حتى بلغت مائة علم وذكر فيه أقسام العلوم الشرعية والعربية».

ونلاحظ أخيرًا أن هذا المؤرخ يمثل بوضوح انحراف الثقافة والعلوم فى عصره نحو الغيبيات الروحانية والمزج بينها وبين التاريخ. وقد ضاعت معظم مؤلفاته عدا النزر منها.

رابعا: ابن تغرى بردى

أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن الأمير سيف الدين تغرى بردى (والصحيح تنكرى ويردى والكلمة الثانية تركية تعنى عطا الله) الأتابكى اليشبقاوى الظاهرى: ولد سنة ٨١٣ هـ. /١٤١٠م. وتوفى سنة ٨٧٤هـ. وأبوه مملوك رومى الأصل، صار من كبار الأمراء المماليك لدى الملك الظاهر برقوق، ثم لدى الناصر ابنه، وقد توفى سنة ٨١٥ هـ. ١٤١٢م بدمشق، ولابنه يوسف سنتان وهو أصغر أبنائه. ولما كان الطفل

Marfat.com

موصول النسب بالسلطان وبأكابر الأمراء عن طريق أخواته المتزوجات، فقد عادوا به إلى القاهرة فتربى لدى إحدى أخواته. وكانت زوجة لقاضى القضاة ناصر الدين ابن العديم. فلما توفى تزوجها قاضى القضاة جلال الدين البلقينى. وعلى يدى هذا الرجل أولاً وعلى كبار مشايخ العصر أمثال ابن حجر العسقلانى وبدر الدين العينى وابن ظهيرة وابن عربشاه نشأ ابن تغرى نشأته العلمية الدينية. ثم لازم مجلس المقريزى فأخذ عنه التاريخ وشغف به حتى أضحى هوايته الكبرى. لكنه درس الثقافة العسكرية أيضا على يدى مماليك أبيه. وهكذا كبر ابن تغرى بردى وهو ينتمى إلى طبقتى أهل السيف وأهل العمائم فى وقت واحد. على أن ابن تغرى بردى كان من أكابر «أولاد الناس» ومعنى ذلك بلغة العصر: أولاد الأمراء المماليك. وقد كان لديه من موارد الرزق ما يسمح له بأن يعيش فى سعة كاملة، واستغناء عن عمل. وإذ اتقن ابن تغرى بردى العربية بجانب التركية وبرع فى الفروسية براعته فى الضرب والإيقاع والنغم وعرف الفقه وقرض الشعر... فإن دراسة التاريخ هى التى استولت عليه... وهذه الهواية مع التفرغ جعلت منه المؤرخ الكبير. ويضاف إلى ذلك ما استطاع الاطلاع عليه من معلومات وأخبار عصره نتيجة صلاته الواسعة مع البلاط السلطانى (وقد توالى عليه فى عصره عشرة سلاطين) وعدد من كبار الأمراء وصانعى السياسة.

قدم ابن تغرى بردى فى ميدان التاريخ اثنى عشر مؤلفًا، وقد دخل هذا الميدان من باب التراجم. وكان أول مؤلف له:

١ - **«المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى»**: وقد سجل تراجم أعيان عصره. وأراده أن يكون تكملة للمعجم الضخم «كتبه لنفسه» وبنفسه «ولم يكن بأمر أو طلب من سلطان أو أمير» وابتدأ فيه من أوائل الدولة التركية (المملوكية) بترجمة المعز أيبك أول سلاطين المماليك (وصرح فى بعض المواضع أنه بدأه بسنة ٦٥٠ هـ. / ١٢٥٢م). ولكنه اتبع فيه بعد ذلك طريقة الصفدى وابن خلكان قبله، فجعله على حروف الهجاء، ووصل به إلى أيامه، أواسط القرن التاسع. وقد ضم الكتاب نحوًا من ثلاثة آلاف ترجمة فيها ما هو للأمراء والسلاطين وما هو للعلماء والوجهاء، وحتى للمغنين فى مصر والشام، كما تضم بعضًا من مشاهير المشرق والمغرب من المسلمين وغير المسلمين. وقد حرص ابن تغرى بردى فى كتابه على الحيدة والتعفف فى التراجم دون الإسراف فى ذكر المحاسن أو محاولة تسجيل المثالب.

وثمة من هذا الكتاب عدة نسخ خطية بعضها فى ثلاثة مجلدات، وبعضها فى خمسة أو ستة، ومن ذلك نسخة دار الكتب الوطنية فى باريس رقم ٢٠٦٨ حتى ٢٠٧٢

وهى منقولة عن خط المؤلف، ونسخة نفيسة فى مكتبة نور عثمانية فى استامبول رقم ٣٤٢٨ - ٣٤٢٩ نقلت عن نسخة أحمد التركمانى تلميذ المؤرخ، وثمة نسخة أخرى فى طوبقابو، وأخرى فى فيينا وفى مكتبة عارف حكمة بالمدينة رقم ٦٣٠ تاريخ وهى فى ٣ مجلدات (١٠٧٦ ورقة) وفى آخرها ترجمة المؤلف بقلم تلميذه التركمانى. وفى الخزانة التيمورية بالقاهرة نسخة برقم ١٢٠٩ تاريخ.

طبع من هذا الكتاب جزء أول بتحقيق أحمد يوسف نجاتى (القاهرة سنة ١٩٥٦م).

٢ - وقد وضع ابن تغرى بردى مختصرًا لهذا الكتاب سماه «**الدليل الشافى على المنهل الصافى**» لا ينقص من التراجم واحدة، ولكنه يختصرها الاختصار الشديد. ومنه مخطوط قره جلبى فى استامبول رقم ٢٦٦ فى ١٣٨ ورقة.

٣ - كتاب (منتجات من) «**حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور**»: وهو الخطوة الثانية التى خطاها ابن تغرى بردى فى التاريخ أراد أن يذيل به على كتاب «**السلوك**» للمقريزى. وقد نص فى مقدمته على ذلك قائلاً بعد أن امتدح أستاذه: «إنه انتهى فيه إلى أواخر سنة ٨٤٤ هـ. /١٤٤١ م ولم يأت بعده من نعول عليه فى هذا الفن... إلا الشيخ بدر الدين العينى....» ولكن اختلاط ذهنه مع كبر السن جعله غير قادر على ذلك... فلما رأيت ذلك أحببت أن أحيى هذه السُّنة بكتابة تاريخ يعقب موت الشيخ... المقريزى... وجعلته كالذيل ورتبته على السنين... ولم أسلك فيه طريق الشيخ فى تطويل الحوادث وقصر التراجم على الوفيات، بل أطنبت فى الحوادث وأوسعت فى التراجم لتكثر الفائدة من الطرفين. وما وجدته مختصرًا من التراجم فى التعليق فراجع فيه كتابنا «المنهل الصافى» فإنى هناك شفيت الغلة...». وقد انتهى المؤلف بحوادث سنة ٨٦٠ هـ. /١٤٥٦ م.

وثمة من هذا الكتاب مخطوطات عدة، منها مخطوط الجزء الأول فى أيا صوفيا رقم ٣١٧٥ فى ٤٠٠ ورقة كبيرة، ومخطوط برلين رقم ٩٤٦٢.

٤ - ويأتى بعد هذا تاريخ ابن تغرى بردى الأشهر والأكبر شأنًا وضخامة وهو كتاب «**النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة**» وهو سرد لتاريخ مصر منذ الفتح العربى سنة ٢٠ هـ حتى سنة ٨٧٢هـ قبيل وفاة المؤلف. وبالرغم من أنه نص فى مقدمته أنه كتبه لنفسه غير مستدعى من ملك أو سلطان، إلا أنه اعترف فى أواخره أنه ألفه من أجل صديقه الأمير محمد بن السلطان جقمق (الذى توفى سنة ٨٤٧ هـ. /١٤٤٣ م). والذى كان ابن تغرى بردى ينتظر له أن يصل السلطنة، ويأمل أن يختم الكتاب بحكم هذا الأمير وعدله. ولكن الأمير مات قبل ذلك.

Marfat.com

انتهج ابن تغرى بردى فى تاريخه منهجًا خاصا خالف فيه أستاذه المقريزى، فقد جعل كل فترة من فترات الملوك والسلاطين فصلا قائمًا بذاته، ثم ذكر السنين وحوادثها تباعًا داخل الفصل حتى إذا توفى الحاكم أتى على أخباره فى مجموعة واحدة بشكل ترجمة منفصلة، ثم أعقب ذلك بترتيب سنوات العهد ترتيبًا عدديًا، وذكر وفيات كل منها فى فصل واحد، وربما ذكر بعض الحوادث ضمن التراجم.

وإذا لم يكن فى الأقسام الأولى من «**النجوم الزاهرة**» وحتى القرن السادس للهجرة من خبر لا نجده فى المراجع الكبرى الأخرى، فإن ابن تغرى بردى قد توسع حتى الإفاضة فى التاريخ الفاطمى ولعله ورث حبه وتقديره والعلم الواسع به عن أستاذه المقريزى. ويبلغ ابن تغرى بردى الغاية فى الإفاضة حين يصل العصر المملوكى، وهكذا حتى يصل عصره، وإذ ذاك يتخذ الكتاب شكل السجل اليومى من عهد الناصر فرج تقريبًا إلى عهد الأشرف قايتباى.

أما الميزة التى تجعل من ابن تغرى بردى لا مؤرخ مصر، ولكن مؤرخ النيل، أيضًا، فهو العناية التى بذلها لإحصاء تقلبات هذا النهر العظيم وفاء وشحا سنة بعد سنة منذ الفتح العربى حتى عهده، ذكر ذلك فى ختام السنوات. لقد سبقه ابن أيبك إلى ذلك، ولكن سجل ابن تغرى بردى كان أكمل وأتم. وقد عنى إلى هذا بتسجيل النشاط العمرانى فى مصر خلال مختلف عهودها، فلا ينسى ذكر الجوامع والمبانى والميادين ومقياس النيل وغيرها أولا بأول، كما قال: «أذكره فى يوم مبناه، وفى زمان سلطانه، مستوعبًا لهذا المعنى ضابطًا لشأنه». إن هذا الوعى فى تسجيل التاريخ الحضارى مع السياسى كان إحدى ميزات هذا المؤرخ.

طبع كتاب «النجوم الزاهرة» كله فى ستة عشر مجلدًا (طبعة دار الكتب بالقاهرة) وقد امتد طبعه أكثر من أربعين سنة. بدأ سنة ١٩٣٠م وانتهى سنة ١٩٧٢م. وقبل ذلك كان قد عنى به وبنشر عدة أقسام منه عدد من المستشرقين، ومن هؤلاء جوينبل وماتس (سنة ١٨٥٢م) ثم المستشرق بوبر الذى استأنف عمل سابقيه سنة ١٩٠٩م، حتى أتم النشر سنة ١٩٣٠م، مستعينًا بعدد من أعلام الاستشراق (نولدكه، غوتهايل، سيبولد) وغيرهم.

٥ - وقد لخص ابن تغرى بردى تاريخه الواسع هذا فى كتاب صغير سماه: «**الأنوار الظاهرة والكواكب الباهرة من النجوم الزاهرة**».

ومن هذا الكتاب نسختان مخطوطتان فى سراى أحمد الثالث رقم ٢٩٧٦ و٢٩٧٧ وهما فى مجلدين وفى مجلد.

Marfat.com

٦ - «**مورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة**»: وهو تاريخ اقتصر فيه على ذكر الخلفاء والسلاطين إلى آخر أيام الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق.

ومنه مخطوط فى مكتبة فيض الله فى استامبول رقم ١٤٠٦ فى ١١٠ ورقات، ثلاثة مخطوطات فى أحمد الثالث برقم ٣٠٣٨ فى استامبول أيضًا فى ١٥٠ ورقة وبرقم ٣٠٣٥ ورقم ٣٠٣٦، ومخطوط فى قره جلبى زاده رقم ٢٨٥ تاريخ. وقد طبع فى كمبردج ذات مرة سنة ١٧٩٢، نشره كارليل.

٧ - «**البحر الزاخر فى علم الأوائل والأواخر**»: وهو تاريخ عام واسع من آدم إلى عهده، عارض فيه تاريخ ابن الصيرفى: «**نزهة النفوس والأبدان**». ومنه مجلد مخطوط فى المكتبة الوطنية فى باريس رقم ١٥٥١. وكان فى العراق منه المجلد الثالث فى مخطوط ضخم اشترته دار الكتب فى مصر وفيه مباحث هامة حول خطط مصر.

٨ - «**نزهة الرأى فى التاريخ**»: وهو تاريخ مفصل على السنين والشهور والأيام فى عدة مجلدات تصل العشرة أو تزيد. ومنها الجزء التاسع لحوادث سنة ٦٧٨هـ - سنة ٧٤٧ مخطوط فى أكسفورد.

ولابن تغرى بردى إلى هذا تواريخ أخرى مفقودة حتى الآن إلا أسماءها:

٩ - «**منشأ اللطافة فى من ولى الخلافة**».

١٠ - «**البشارة فى تكميل الإشارة**» ذيل به على الذهبى من سنة ٧٠٠هـ إلى سنة ٨٧٠هـ.

١١ - «**حلية الصفات فى اختلاف الأسماء والصناعات**»: هى مجموعة أدبية تاريخية معظمها شعر.

١٢ - «**الأنوار الظاهرة فى الكواكب الطاهرة**».

١٣ - «**نزهة الألباب فى اختلاف الأسماء والألقاب**».

ولابن تغرى بردى بعد هذا كتاب فى الرياضة والموسيقى، وآخر سماه «**الانتصار للغة التتار**».

خامسا: الكنانى

عز الدين أبو البركات أحمد بن البرهان إبراهيم بن نصر الله القاضى من ولد ناصر الدين الكنانى العسقلانى الأصل القاهرى الصالحى: ولد سنة ٨٠٠ هـ/١٣٩٧م فى القاهرة، وتوفى فيها سنة ٨٧٦هـ./١٤٧١م. مات أبوه وهو فى سن الرضاع فكفلته

Marfat.com

أمه وكانت على بعض الغنى، فنشأ يطلب العلوم على كبار عصره من علماء القرآن والفقه والنحو واللغة والحديث والفرائض وعلم الوقت. وأخذ التاريخ ونحوه عن المقريزى والعينى، ولازم العز بن عبد السلام، ولبس خرقة التصوف مع تلقين الذكر من الزين أبى بكر الخوافى، ولبسها من خاله الجمال عبد الله وأمه عائشة. وكان ابن حجر يبجله جدًا. وقد ناب فى القضاء عن شيخه المجد سالم وهو ابن سبع عشرة سنة ... واستنابه فى التدريس بمدارس الجمالية والحسينية والحاكم وأم السلطان. وتولى القضاء إنابة وأصالة وهو مرغم، وصار قاضى القضاة ثم ترك القضاء جملة، وحج مرتين سنة ٨١٥هـ وسنة ٨٥٣هـ، وزار القدس والخليل والرملة، ودخل الشام مرتين، لقى فى الأولى ابن ناصر الدين حافظ الشام، وفى الثانية البرهان الباعونى. ودخل دمياط والملحة وغيرهما. «وأكثر من الجمع والتأليف والانتقاء والتصنيف حتى إنه قل فن إلا وصنف فيه إما نظمًا، وإما نثرًا، ولا أعلم الآن من يوازيه فى ذلك... وصار بيته مجمعًا لكثير من الفضلاء... ولم يتجاوز طريقته فى التواضع... وحدث بالكثير. بيته يجمع طائفة من الأرامل ونحوهن... وترجمته تحتمل مجلدًا...» وكان عالم الحنابلة جميعًا فى عصره.

أورد السيوطى فى معجم شيوخه أسماء مؤلفاته، والكثرة العظمى منها فى الفقه والحديث والعربية حتى ما كان منها تاريخيًا، فإنه لا يبعد عن الظل الدينى. ومن تلك المؤلفات التاريخية التى أوردها السيوطى فى معجم شيوخه:

١ - «**طبقات الحنابلة الكبرى**»: ذكر أنها كانت فى عشرين مجلدًا أو ١٤ مجلدًا.

٢ - «**الطبقات الوسطى**»: وهى مختصر الأولى فى ثلاثة مجلدات.

٣ - «**الطبقات الصغرى**»: وهى مختصر الثانية فى مجلد.

وليس من أثر لهذه الطبقات جميعًا ولعلها ضاعت، أو لم يعرف بوجودها بعد.

٤ - «**شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب**»: ألفه للملك العادل أحد بقايا الأيوبيين صاحب حصن كيفا (وهو الملك العادل سليمان بن غازى وابنه أحمد) وهو كتاب تراجم لا حوليات يقسم ملوك بنى أيوب طبقات، ويترجم لهم طبقة طبقة فى عشر طبقات، ترجم فيها ١٦٧ شخصا جمع حتى بقاياهم فى حماة وحصن كيفا فى القرنين الثامن والتاسع. وقد نشر الكتاب بتحقيق ناظم رشيد مع مقدمة (من وزارة الثقافة - بغداد ١٩٧٨م) ويتبين منه أنه نقل الكثير عن ابن واصل فى «**مفرج الكروب**» كما نقل عن العماد الأصفهانى والقادسى وابن شداد وسبط ابن الجوزى وابن الأثير وابن خلكان والدوادارى واليونينى وأبى الفداء والذهبى، وفصل فى سيرة العادل وابنه أحمد، ونقل شعرًا من دواوينهما. وفى الكتاب وثائق وخطب ورسائل ومراسيم تقليد وقطع تهانٍ

Marfat.com

وتعازٍ.

٥ - وله فتوى فى شرعية كتابة التاريخ نشرها فؤاد سيد فى مجلة معهد المخطوطات العربية فى القاهرة (المجلد ٢ لسنة ١٩٥٦ ص ١٧٣ - ١٧٧).

أما الكتاب الذى يجعله فى طليعة المؤرخين، لو لم يفقد، فهو:

٦ - كتاب «**النشر فى التاريخ**» وكان فى ٤١ مجلدًا جعل فيه لكل قرن تصنيفان: واحد على الحروف وآخر على السنين. ولو بقى هذا الكتاب لجعل صاحبه فى مقدمة مؤرخى العصر.

٧ - وله أخيرًا أرجوزة فى قضاة مصر ضاعت بدورها.

سادسا: ابن الصيرفى الجوهرى

على بن داوود بن إبراهيم الإسرائيلى المصرى الحنفى المعروف بابن الصيرفى وبابن الخطيب الجوهرى: ولد فى القاهرة سنة ٨١٩هـ وتوفى فيها سنة ٩٠٠هـ. ولقب الرجل يوحى بعكس واقعه، فقد كسب لقب الصيرفى من أبيه الذى كان صيرفى الدولة وديوان المفرد فى فترات متقطعة من أيام المؤيد شيخ، وبرسباى ثم أواخر عهد السلطان جقمق. وكان يتكسب - حين يصرف من الخدمة - بسوق الجوهريين، فكسب الابن اللقبين عن أبيه، وإن لم يكسب معناهما، فقد كانت حياته منذ صغره أقرب إلى الإملاق. ومع أنه مؤرخ وعاش فى عصر كثر فيه المؤرخون، إلا أنك لا تدرى كيف ضن على نفسه وضن عليه الآخرون بترجمة وافية، إلا بضعة أسطر كتبها عنه السخاوى معاصره فى «**الضوء اللامع**» مليئة بالنقد المرير، وإلا أسطرًا مثلها فى المرارة كتبها ابن إياس، معاصره الآخر. على أن الإشارات والنتف الأخرى التى يذكر بها الرجل فى بعض المراجع تكشف عكس ما ذكره الرجلان. فقد كان ابن الصيرفى قليل البضاعة من العلم وقد درس على كبر. ولكنه ظل يجتهد ويجد حتى صار أحد نواب الحكم. وكان إلى هذا من أعيان الحنفية فى عصره، ويصفه السيوطى فى «**نظم العقيان**» قائلاً: «انتهت إليه رياسة الحنفية فى عصره مع الدين المتين والصلاح المفرط... والقيام فى نصرة الدين، وإبطال المظالم، ومراجعة الملوك، وهم يعظمونه ويقبلون قوله...». وقد ذكروا أن ابن حجر - وهو أستاذه - صلى مرة خلفه. أما أستاذه الآخر أبو زكريا الأقصرائى فأجازه وأثنى على تأليفه وقال فى مؤلفه نزهة الأبدان: (سيرة الرسول الكريم) إنه «نظر فى هذا المصنف البديع والعقد الفريد وتبصر واستفاد». وشكر مؤلفه، وكذلك فعل أستاذه الآخر الكافيجى الذى كتب له عن الكتاب نفسه:

Marfat.com

أنه قد اعترف بفضله وكماله وبحسن ترتيبه الحاضر والبادى والدانى والقاصى، واغترف من بحره العذب الرائح والغادى، وأنه أتى بأمر يحيي ذكره فى الآخرين أبد الآبدين. ويبدو أن فى انتقاص السخاوى من ابن الصيرفى شيئًا كبيرًا من المزاحمة بين التلميذين على الأولية عند أستاذهما ابن حجر ومن بعده. كما أن لفقره وكثرة عياله أثرهما فى عدم بروزه فى المكان اللائق به، فقد فشل - على ما يظهر - فى سوق الجواهر بعد أن كسب منها ما ساعده فى بناء بعض الدور فترك العمل بها، ثم نفد غالب ما معه. فانصرف إلى النسخ بالأجرة يعيش عليه باقى حياته.

ولم يذهب اجتهاد ابن الصيرفى عبثًا، فقد زاحم المؤرخين فى عصر غص بكبار المؤرخين كالمقريزى وابن حجر والعينى وابن تغرى بردى والسخاوى والسيوطى وابن إياس الذين قلما اجتمع مثلهم فى قرن آخر. وما فيهم إلا المؤرخ العلم فى كتابة التاريخ. وانتصر الجد الدءوب، واقتحم ابن الصيرفى المجال ليكتب عددًا من المؤلفات التاريخية، على الرغم من ركاكة أسلوبه التى تقترب أحيانا من العامية، والتى كان يعيبها عليه الآخرون، وعلى الرغم مما ذكره ابن إياس من أنه «كان يكتب التاريخ مجازفة لا عن قائل ولا راو... وله فى تاريخه خباطات كثيرة، وجمع من ذلك عدة كتب من تأليفه فكان كما قال فى المعنى:

يا من يقول جمعت فى التاريخ كتبًا كامله
لك فى الأباعر نسبة لم تدر ما هى حامله

وهو تهجم مرير من ابن إياس شعر هو نفسه به فأضاف قائلاً: «وكان لا يخلو من فضيلة». ومؤلفات ابن الصيرفى فى التاريخ ليست كثيرة ولكنها - لولا ضعف أسلوبه - لا تقل شأنا عما كتبه المؤرخون الكبار الآخرون وهى:

١ - **«سيرة الملك الأشرف قايتباى»**: وقد أشار إليها السخاوى فى «الضوء اللامع» ومنها نسخة فى المتحف البريطانى.

٢ - **«الدر المنظوم فيما ورد فى مصر موجودًا ومعدوم»**: وهو فى فضائل مصر ومخطوطه فى باريس.

٣ - **«أنباء الهصر فى أبناء العصر»**: وقد قلد فيه الصيرفى فى كتاب أستاذه ابن حجر: «إنباء الغمر بأبناء العمر». وهو فى أحداث عصره وتراجم معاصريه فى القرن التاسع. ومن هذا الكتاب جزء مخطوط فى باريس يبدأ من سنة ٧٨٣هـ إلى آخر سنة ٨٧٧هـ وفيه بعض أحداث ووفيات سنتى ٨٥ و٨٦ فى ٢٠٨ ورقة. وهو مصور فى التيمورية فى القاهرة برقم ٢٢٨٥ تاريخ. وقد نشره حسن حبشى فى القاهرة سنة

Marfat.com

١٩٧٠م (دار الفكر العربى) فى مجلد.

٤ – أما الكتاب الذى يفخر به ابن الصيرفى والذى كان مشروعًا ضخمًا يستغرق التاريخ كله من آدم حتى عصره فهو كتاب: «**نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان**» وقد أراده صاحبه أن يكون موسوعة تاريخية بخاصة منذ صدر الإسلام إلى زمنه. ويبدو أن الجزء الأول منه كان خاصًا «بأنساب الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام المتصل بنسب آدم إلى أن نصل إلى نسب سيد الأنام ومصباح الظلام» كما يقول هو نفسه فى الجزء الثانى من الكتاب المحفوظ بخطه فى مكتبة رضا رامبور بالهند تحت رقم ٣٥٣٧ ويقع فى ٤٠٠ ورقة. وهذا الجزء الثانى هو الذى سماه المؤلف بـ«الجوهرية فى سيرة الرسول».

٥ – وبعض المؤلفين يفرد هذه «**السيرة النبوية الشريفة**» ويجعلها كتابًا برأسه مختلفا عن «**نزهة النفوس والأبدان**». وقد كان ابن الصيرفى يبرزها لوحدها وقد أخذ بها آراء ابن تغرى بردى، والكافيجى، والأقسرائى وغيرهما من كبار أهل العصر فقرظوها وامتدحوه عليها. لكن الأرجح أنها جزء من النزهة، وأن عنوان نزهة النفوس كان «العنوان العام الشامل لسلسلة من المؤلفات التاريخية متصلة الحلقات تغطى الفترة الإسلامية بأكملها». وما السيرة النبوية سوى جزء منها. ويوجد منها نسخة مصورة يذكر ابن الصيرفى فى ختامها «كمل الجزء الثانى من كتاب نزهة النفوس والأبدان... على يد مؤلفه عام سبع وستين وثمانمائة من الهجرة النبوية ويتلوه إن شاء الله تعالى فى أول الجزء الثالث ذكر الخلافة وأيام الراشدين». ولكن هذا الجزء لم يصلنا، كما لم تصلنا الأجزاء التالية له، ولعل المؤلف لم يكتبها وبقيت مشروعا فى خاطره، ولكن وصلنا منها الجزء الخاص بدولة الجراكسة فى مصر. وهو مخطوط فى المكتبة الأهلية فى باريس بخط المؤلف، وعليه قراءات وتعليقات بالعربية والفارسية. ومنه نسخة مصورة فى دار الكتب بالقاهرة (رقم ١٢٨٦١ ح) وأخرى منسوخة حديثًا فى الأزهر كثيرة التصحيف. ومخطوطة باريس تبدأ بالورقة ٢ ب بتولية السلطان برقوق سنة ٧٨٤هـ، وتنتهى فى الواقع بالورقة ٢٠٧ أ، وفيها أحداث ذى الحجة سنة ٨٤٩هـ. أما الورقة التالية فتحوى سطرًا لا علاقة له بالموضوع مع تعليق لبعض القراء. ويبدو أن بعض أجزاء المخطوط قد ضاع، ولعله كان يصل إلى سنة ٨٥٤ بدليل السطر الموجود فى الورقة الأخيرة. وقد كتبه المؤلف على الطريقة الحولية التقليدية ذاكرًا الحوادث فى كل سنة متبوعة بالوفيات. وقد نشر الكتاب حسن حبشى فى القاهرة فى ثلاثة مجلدات (١٩٧٠ – ١٩٧٣م).

Marfat.com

ولعل ما يسميه صاحب «هدية العارفين» بتاريخ مصر وينسبه إلى ابن الصيرفى هو هذا الكتاب.

سابعا: السخاوى

شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبى بكر بن عثمان السخاوى المصرى الشافعى: ولد فى القاهرة سنة ٨٣١ هـ./١٤٢٨م وتوفى بالمدينة سنة ٩٠٢هـ./١٤٩٧م.

هو محدث كبير ومؤرخ كبير، ولكنه فى هذا وذاك من كبار الأواخر. كان مع معاصره السيوطى آخر الأنوار اللامعة فى علم الحديث وفى التاريخ، كما كانا آخر الشخصيات الفكرية البارزة التى صنعت النهضة الثقافية الثانية فى التاريخ الإسلامى، فى القرنين الثامن والتاسع للهجرة وآخر الممثلين لهذه النهضة.

والسخاوى من القلائل الذين كتبوا فى التاريخ الإسلامى، تراجمهم بأقلامهم. وهو يكشف لنا أن الصدفة وضعت مسكنه، وهو لما يزل فى الرابعة من العمر، بجوار دار ابن حجر العسقلانى علامة العصر فكان لذلك الجوار قدره الذى حدد مصيره، فقد تتلمذ عليه السخاوى الفتى منذ سنة ٨٣٨هـ (وهو فى السابعة) وظل ملازما له دون انقطاع ١٤ سنة... إلى أن توفى ابن حجر (سنة ٨٥٢هـ). وقد تركت هذه السنوات أعمق الانطباع فى نفس السخاوى بقية عمره، فكان فى الجهد العلمى وفى أوان الاهتمام الثقافى استمرارًا لابن حجر على مدى نصف قرن.

قرأ السخاوى على أستاذه ابن حجر الكتب والمتون الكثيرة فى الحديث خاصة، وفى التاريخ والتراجم، ولكنه لم يهمل الأخذ عن شيوخ العصر بعده، فقد أخذ وأكثر عن حوالى أربعمائة شيخ فى مصر نفسها، وفى دمياط ومكة والمدينة والقدس والخليل ونابلس ودمشق وحمص وحماة وحلب... وحصل فى رحلاته التى استمرت عدة أعوام مع الحديث والتاريخ علوم القراءة والنحو والفقه والبلاغة والتصوف... فلما عاد إلى القاهرة كان قد نضج النضج كله فجلس للإقراء والتدريس فى أعظم مدارسها: الكاملية والظاهرية والصرغتمشية والبرقوقية والفاضلية... وخاصة بخانقاه سعيد السعداء، وكانت يومذاك أبرز الدور الصوفية فى مصر.

وقد أكثر السخاوى من الحج حين تقدم به العمر (حج ست مرات وكان ينتهز الحج ليجاور ويقرئ ويدرس حتى غدت مكة أشبه بالوطن الثانى له. وقد نأى بنفسه عن الأعمال العامة فى السنوات الأربع الأخيرة من عمره، وإن تكاثر عليه الدارسون

Marfat.com

والطلاب فى منزله. وحين سافر لحجته السابعة وتنقل على عادته بين مكـة والمدينـة فـى الإقراء والتدريس وافاه الأجل فى المدينة وهو فى الحادية والسبعين.

والسخاوى محدث كبير، فتراثه الغزير ينصب بخاصة فى علوم الحديث. ولكنه ضمـن هذا الإطار أيضًا كان المؤرخ الكبير، لأنه فى هــذا الميـدان الكثـير والهـام مـن المؤلفـات التاريخية. وقد عدد السخاوى بنفسه مؤلفاته فى ترجمته التى كتبها لنفسه وهى تسـتغرق عدة صفحات، وتبلغ زهاء المائتين. وبين الكتب والرسائل فى الفنــون والعلـوم المختلفـة نجد في التـاريخ ربعهـا، أى حـوالى خمسـين مؤلفـا، منهـا مـا طبـع، ومنهـا مـا لا يـزال مخطوطًا، ومنها ما هو ضائع. وبجمل الموجود منها لا يكاد يبلغ الثلث، فله:

١ - كتاب «**الضوء اللامع فى علماء القرن التاسـع**» وهـو موسـوعة حافلـة. وقـد نهج فيه نهج شيخه ابن حجر فى «**الدرر الكامنة**» وإن كان رتبـه علـى الحـروف. وهـو مطبوع أكثر من مرة منذ سنة ١٣٥٤هـ./١٩٣٦م. فى اثنى عشر جـزءًا مـع الفهـارس، ولا نجد ضرورة لذكر مخطوطاتـه مـع وجـود المطبـوع. ويمكـن أن يعتـبر دائـرة معـارف عصره فى علماء هذا القرن.. غير أنه كان شــديد الصراحـة والقسـوة أحيانـا فيـه، فلـم يسلم من نقده سوى شيخه ابن حجر، وأنحى به على مجموع أعلام عصــره كالسـيوطى والبقاعى والمقريزى وابن تغرى بردى وابن خلدون. وقد اختصم بسبب قلمه المريــر مـع الكثيرين. وهذا ما دفع السيوطى إلى التشنيع عليه فى مقالة سماها «**الكاوى فــى تـاريخ السخاوى**» ثم عاد عليه كرة أخرى فى كتابه «نظم العقيان» (ص ١٥٢).

وقد انتخب منه مجموعة من التراجم اثنان من رجال القرن العاشر:

● زين الدين عمر بـن أحمـد الشـماع المتوفـى سـنة ٩٣٦هــ./١٥٣٥م. فـى كتـاب سماه «**القبس الحاوى لغرر ضوء السخاوى**».

● شهاب الدين أحمد بن العز الشهير بابن عبد السلام المتوفى سنة ٩٣١هــ وسـماه: «**البدر الطالع فى الضوء اللامع**» وهو مخطوط فى الأحمدية بتونس تحت رقـم ٥٠٣٦ - ف٨.

● ثم اختصر الكتاب الأخير أحمد القسـطلانى وسـماه «**النـور السـاطع فـى مختصـر الضوء اللامع**».

٢ - «**الإعلان بالتوبيخ لمن ذم (أهل) التاريخ**»: وهو الكتاب الوحيد الذى ظهر فى جميع التراث الإسلامى يعدد المؤرخين ويذكر ما ألفوا فـى هـذا العلـم. لكنـه كتبـه مـن وجهة نظر دينية، أى كتبه كمحدث لا كمؤرخ فغلب فيه المحدثـون الذيـن عملـوا فـى

التاريخ. كما أنه جعله مختصرًا، يكتفى أحيانًا باسم الشهرة للرجل ويمضى إلى غيره. وقد أبان فيه عن علم غزير على أى حال، وسد ثغرة ما سدها غيره من قبل إلا بشكل جزئى جدا. ومنه مخطوطات عديدة فى القاهرة وحلب واستامبول وليدن. وقد طبع الكتاب فى مطبعة الترقى بدمشق (سنة ١٣٤٩هـ./ ١٩٣١م)، ثم طبعه الدكتور صالح أحمد العلى أثناء ترجمته لكتاب روزنتال «**علم التاريخ عند المسلمين**». وأفرده لوحده كذلك، ذاكرًا الشروح الواسعة التى أتى بها روزنتال عليه.

٣ - «**التبر المسبوك فى ذيل السلوك**» وقد ذيل فيه على كتاب السلوك للمقريزى فى عدة مجلدات. ومن المجلد الأول نسخة ملكية هامة ومشكلة فى أيا صوفيا باستامبول برقم ٣١١٣ كتبت سنة ٨٨٠هـ./١٤٤٦م. فى منزل السخاوى نفسه، ونقلا عنه، وتبدأ بحوادث ووفيات سنة ٨٤٥هـ التى توفى فيها المقريزى. والكتاب مطبوع.

٤ - «**الجواهر والدرر فى ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر**»: ومنه نسخة بخط السخاوى فى مكتبة أحمد برقم ٢٩٩١ فى ٣٤٥ ورقة، ونسخة أخرى فى باريس رقم ٢١٠٥ فى مجلدين، وثمة نسخة مصورة فى دار الكتب بمصر تحت رقم ٤٧٦٨ تاريخ فى مجلدين صورت عن نسخة باريس، وثمة نسخة أخرى فى الأحقاف بتريم (بمجموعة الكاف ٣٩٦) فى ٢٥٣ ورقة. وقد نشر قسمًا منها صالح أحمد العلى أثناء ترجمته لكتاب روزنتال. والقطعة ثبت مفصل بالسير وكتابها فى التاريخ الإسلامى.

٥ - «**بغية العلماء والرواة فى الذيل على كتاب شيخى فى القضاة**» أو «**ذيل رفع الإصر**» ومنه نسخة خدابخش فى بتنه رقم ٣٠٨٨ وهى مجلدان، وثمة نسخة أخرى برقم ٩٣٠ تاريخ، ومنه مخطوط المدينة رقم ٥٠٢ فى ١٣٢ ورقة، ومخطوط دار الكتب بمصر رقم ٥٢٨٩ تاريخ وهو مصور عن مخطوط آخر فى سوهاج هو بخط السخاوى نفسه فى مجلد.

٦ - «**التحفة اللطيفة فى تاريخ (أو فضلاء) المدينة الشريفة**»: منه الجزء الأول (من إبراهيم إلى محمد بن مبارك) فى مخطوط طوبقابو ٥٢٧، ٦٤٨١ كتب سنة ٩٥٢هـ فى ٨٥١ ورقة. ومنه الثلث الثالث والأخير (من محمد بن محمد حتى النهاية) فى المكتبة ذاتها برقم ٥١٢،٦٤٨٢ فى ٤٠٧ ورقات كتب سنة ٨٨٢هـ وسنة ٩٠٤هـ، ومنه نسخ مخطوطة أخرى فى المدينة تحت رقم ٥٢٧ فى ٨١٥١ ورقة .

وقد نشره حامد الفقى فى ثلاثة أجزاء فى القاهرة ما بين سنتى ١٩٥٧-١٩٥٨، وفى كل فهرس لمن ترجم السخاوى له : الأول ٥٤١ ترجمة، والثانى ٤٨٣، والثالث ٤٨٣ (مطبعة السنة المحمدية).

Marfat.com

٧- «**الذيل على دول الإسلام**» (**الذهبى**) : ومنه مخطوط فى أكسفورد رقم ٣٤٩،٦١١ وآخر فى برلين رقم ٦٤٦٣، وعنوانه «**وجيز الكلام فى الذيل على الإسلام**»، وثالثة فى دار الكتب الوطنية فى تونس فى ٢٧٤ ورقة برقم ٦٨٥٦ (ضمن مجموع من ورقة ٧٨-٣٦١ ورابعة فى مكتبة كوبر يللى باستامبول (رقم ١١٨٩) وعليها خط المؤلف فى مواضع عدة كأنه صححها، وقد كتبت فى حياته فى ٢٢٨ ورقة ونسخة فى العبدلية الصادقية بتونس رقمها ٢٩١٦ فى ٢٨٢ ورقة «باسم الذيل التام على دول الإسلام»، وهو يبدأ من سنة ٧٤٥هـ باختصار جدا إلا فى السنين المتأخرة.

٨- «**تاريخ خلفاء وسلاطين مصر**» : ألفه سنة ٩٠٠هـ وهو مختصر منه مخطوط فى أيا صوفيا تحت رقم ٣٢٦٦.

٩- «**الشذور فى أسماء الرجال**» : وأوله «هذا جزء رتبت فيه أسماء جماعة أجازوا للرضى الطبرى وللصلاح ابن أبى عمر وعائشة ابنة عبد الهادى و...و... غير ملتزم الاستيعاب ولا أن بعضهم لم يسمع عن بعض...» والأسماء مرتبة فيه على حروف المعجم . ومنه مخطوط نقل عن خط المؤلف فى ٢٥ ورقة فى مكتبة خدابخش فى بتنه رقم ٢٨٩٥.

١٠- **كتاب «تراجم الشيوخ الذين لقيتهم فى الشام ومصر»** : ولعلها طبعة من أحد أثباته التى دونها فى رحلاته، وهى كثيرة، ذكرها الكنانى فى فهرس الفهارس (٣٣٧/١) ومنه مخطوط رواق الشوام فى الأزهر رقم ٤٨ تاريخ فى تسع ورقات .

١١- «**المنهل العذب الروى فى ترجمة قطب الأولياء النووى**»: ذكر فيه سيرة النووى وشيوخه ومصنفاته وتلاميذه . ومنه مخطوط كتب فى حياة المؤلف نقلا عن خطه فى المدرسة النظامية فى حيدر آباد رقم ١٣١ سير (خمسين ورقة).

١٢- «**رجحان الكفة فى أخبار أهل الصفة**»: ومخطوطه لدى الجمعية الأسيوية فى كلكتا تحت رقم ١٣٢١-ف٣١٤١

١٣- «**بغية العلماء والرواة فى ذيل الطبقات**» لابن الجزرى : مخطوط فى ٦٨ ورقة فى مكتبة فيض الله باستامبول رقم ١٥١٤.

١٤- «**إرشاد الغاوى بل إسعاد الطالب والراوى للإعلام بترجمة السخاوى**»: ومنه مخطوط ليدن رقم ١١٠٦.

١٥- «**معجم من حملت عنه (شيوخه)**»: ومنه مخطوط فى باريس فى ثلاث مجلدات ضخمة.

Marfat.com

١٦- «ما رواه الواعون فى أخبار الطاعون»: وهو مخطوط ضمن رسائل فى مكتبة يحيى باشا فى الموصل تحت رقم ٢٥٦ س ى ر.

١٧- «تلخيص تاريخ اليمن».

١٨- «مسيرة الإمام ابن عربى»: وهو حافل لا مزيد عليه . وقد كتب هذه السيرة أيضا كل من التقى الفاسى والعلاء البخارى والكمال إمام الكاملية وبرهان الدين البقاعى وهو يسميه «القول المنبى عن ترجمة ابن عربى».

١٩- شرح سيرة مغلطاى المنظومة.

٢٠- «التاريخ المحيط» فى نحو ٣٠٠ رزمة.

٢١- كتاب «طبقات المالكية» وقد جرده من المدارك ورتبه ترتيبا معتبرا.

٢٢- «الشفاء (أو الشافى) من الألم فى وفيات الأمم» : (ثبت وفيات فى القرنين الثامن والتاسع مرتب على السنين) ويسميه السخاوى : «الشفاء من الألم فى وفيات القرنين الأخيرين من العرب والعجم».

٢٣- «منتقى تاريخ مكة».

٢٤- «ختم السيرة لابن هشام».

٢٥- «القول النافع فى بيان المساجد والجوامع».

٢٦- «كتاب الكنى» مجلد .

٢٧- «كتاب الألقاب» مجلد باسم «عمدة الأصحاب».

٢٨- «بهجة الناظر فى الحكايات والنوادر».

٢٩- «الاهتمام بترجمة الكمال ابن همام».

٣٠- «أحسن المساعى فى إيضاح حوادث البقاعى».

٣١- «الاهتمام بترجمة النحوى جمال بن هشام».

٣٢- «الإيناس بمناقب بنى العباس».

٣٣- «بغية الراوى فى من أخذ عنه السخاوى»(وهو معجم شيوخه) ولعله «معجم من حملت عنه» الموجود فى باريس.

٣٤- «التحصيل والبيان فى قصة السيد سليمان».

Marfat.com

٣٥- «التذكرة» فى مجلدات.

٣٦- «الجواهر المجموعة والنوادر المسموعة».

٣٧- «دفع الالتباس فى ختم سيرة سيد الناس».

٣٨- «الرحلة الإسكندرية».

٣٩- «الرحلة الحلبية».

٤٠- «رفع الشكوك فى مفاخر الملوك».

٤١- «رفع القلق والأرق لجمع المبتدعين من الفرق».

٤٢- «السيف القاطع فى التاريخ من كتب الوفيات على الأسماء».

٤٣- «عمدة الناس فى مناقب سيدنا العباس».

٤٤- «العقد الثمين فى مشيخة خطيب المسلمين».

٤٥- «فتح القربى فى مشيخة الشهاب القربى».

٤٦- «الفخر العلوى فى المولد النبوى».

٤٧- «القول المبين فى ترجمة القاضى عضد الدين».

٤٨- «القول المرتقى فى ترجمة البيهقى».

٤٩- «القول المرتقى فى ختم دلائل النبوة للبيهقى» (ولعله السابق نفسه).

٥٠- «القول المعهود فى ما على أهل الذمة من اليهود».

٥١- «المفاخرة فيما بين دمشق والقاهرة».

ثامنا: السيوطى

جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد الخضيرى الأسيوطى المصرى الشافعى. ولد سنة ٨٤٩هـ وتوفى بالقاهرة ٩١١هـ. كان سليل أسرة موسرة، فقد أباه مبكرا ونشأ يتيما. وكان دون الثامنة حين كان يحفظ القرآن، وألفية ابن مالك، والعمدة، ومنهاج الفقه والأصول. وقد شرع فى الاشتغال بالعلم سنة ٨٦٤، فدرس الفقه والنحو والفرائض. كانت سنه فى السابعة عشرة حين وضع أول مؤلف له: «شرح الاستعاذة والبسملة». وقرأ على كبار الشيوخ الفقه والحديث والعربية. ووثق به شيوخه ومنهم تقى الدين الشبلى وشرف الدين المناوى وعلم الدين البلقينى

Marfat.com

ومحيى الدين الكافيجى. ولم يكن قد بلغ الخامسة والعشرين حين أفتى وحين جلس لإملاء الحديث. ورزق التجدد فى علوم التفسير والحديث والفقه والنحو والمعانى والبيان والبديع تبحرا ما وقف عليه أحد من شيوخه على حد قوله. كما أحاط بالجدل والتصريف والإنشاء والترسل والفرائض والقراءات والطب واستعصى عليه الحساب!! وكره المنطق!.. وسافر خلال ذلك إلى الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب وبلاد التكرور لكنه استقر حين وصل الأربعين فى القاهرة فى بيت على شاطئ النيل محجوب المناظر بالكتب، واشتغل بالتدريس والتأليف، وقد استغرق التأليف حياته. فله فيما يعد الباحثون ما بين ستمائة إلى سبعمائة كتاب ورسالة مما وضعه فى طليعة المكثرين من المؤلفين الذين لم يعرف مثلهم التراث إلا عددا يعد على الأصابع. كان موسوعى الثقافة والاطلاع وانعكس ذلك فى مجموعة تراثه فهو يشمل متنوعات لا تنتهى من جميع المعارف المتاحة فى عصره، فهو خاتمة الأئمة الذى يمثلون الثقافة الإسلامية الشاملة فى عصر غروبها. وكان الأمراء والكبراء يأتون لزيارته ويقدمون له الهدايا فيردها، ويطلبه السلاطين لزيارتهم فيعتذر، وعبر عن ذلك فى كتاب سماه **«ما وراء الأساطين فى عدم التردد إلى السلاطين»**. وقد أعانه على كثرة المؤلفات انقطاعه الكامل للعلم وكثرة مكتبته وسعة علمه وحفظه وسرعة كتابته. ولو وزع عمره على الأوراق التى كتبها لأصاب اليوم ٤٠ ورقة. على أن القسم الأعظم مما ألف كان جمعا، وتلخيصا وتذييلا على مؤلفات غيره فنصيبه من الإبداع الذاتى جد قليل .

ذكر السيوطى نفسه كتبه فى التاريخ (يوم ألف كتابه حسن المحاضرة وفى هذا الكتاب) فهى تزيد على خمسة وثلاثين كتابا عدا كتبه فى الفنون والعلوم الأخرى من الأدب وفن التفسير والقراءات والحديث الذى يستغرق الكثير، والفقه ومتعلقاته، والعربية ومتعلقاتها، وعدا الأجزاء المفردة فى مسائل مخصوصة وعدا فن الأصول والبيان والتصوف. وتستغرق أسماؤها قرابة ست صفحات من ترجمته لنفسه، غير أنه زاد فى كتبه التاريخية حتى وفاته، كما زاد الكثير فى غيرها. فعدة كتبه فى التاريخ ومتعلقاته تزيد على مائة مؤلف وإن يكن الكثير منها مما يتصل بالحديث النبوى والتاريخ الدينى. وهذه المؤلفات التاريخية بقى منها:

١- **«حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة»**: وهو مؤلف ضخم فى مجلدين ضمنه بعد ذكر مصر فى القرآن والحديث تاريخها الغابر وفتحها فى الإسلام وخططها، ثم ذكر تراجم من جاءها من الصحابة والتابعين ومن نبغ فيها من الحفاظ والأئمة والقراء والفقهاء والنحويين وأهل الفكر والوعظ والقصص والتاريخ والأدب، وذكر سلاطين مصر وقضاتها وجوامعها ومدارسها والنيل وأحواله، وختم بمختارات من

Marfat.com

الشعر حول أشجار وفواكه مصر. فهو يشبه فى الخطط المقريزى وإن كان أقل منه بكثير، ويجمع تراجم رجال مصر على الاختصار بشكل شامل. والكتاب مطبوع (بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - بالقاهرة ١٣٨٧هـ./١٩٦٧م).

٢- «**تاريخ الخلفاء**» وهو بدوره مؤلف واسع ذكر فيه تراجم الخلفاء وتبسط فى ذكر الخلفاء الراشدين وخلفاء بنى العباس فى بغداد ثم فى مصر. ويختم الكتاب بقصيدة من نظمه. والكتاب مطبوع بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد بالقاهرة سنة ١٩٦٤م بعد أن طبع فى كلكتا سنة ١٨٩٧م وفى لاهور سنة ١٨٨٦م وفى القاهرة سنة ١٣٠٥هـ وفى دلهى سنة ١٣٠٦هـ وترجم إلى الإنجليزية، وطبع سنة ١٨٨١م.

٣- «**نظم العقيان فى أعيان الأعيان**»: وهو معجم تراجم لرجال عصره، يوازى ويقلد ابن حجر فى «**الدرر**» والسخاوى فى «**الضوء اللامع**» والبقاعى فى «**عنوان الزمان**». ويذكر فى مطلعه الشروط التى يجب أن تتوفر فى المؤرخ كأنه يريد التعريض بالسخاوى. وفى الكتاب مائتا ترجمة فحسب لأعلام مختلفين فيهم التتر وفيهم من الشام والعراق وبعض النساء كما أن فيهم ترجمة أقرانه من العلماء. وتناول السخاوى بأقسى النقد. وفى التيمورية مخطوطة منه وأخرى فى ليدن رقم ٨٧٣،٤١٦/٢ وفى برلين رقم ٤٢/٩٩١٣ وفى الظاهرية بدمشق رقم ٤٥٨٦ وفى الأزهر رقم ٦١٣٥ وعارف حكمة ٩٦ مجاميع. وعلى أساس الأوليين طبع فى نيويورك سنة ١٩٢٧بتحقيق فيليب فى حوالى مائتى صفحة.

٤- «**الشماريخ فى علم التاريخ**»: وهى رسالة صغيرة فى ١٥ صفحة جعلها السيوطىمن ثلاثة أبواب يتناول فى الأول مبدأ التاريخ، أى مبدأ تاريخ العالم حتى الهجرة، وفى الباب الثانى فوائد التاريخ، وفى الثالث فوائد شتى، منها طريقة احتساب التاريخ بالشهور والأيام. وقد نشر هذه الرسالة المستشرق زايبولد (سنة ١٨٩٤م) فى ليدن وتقع فى ١٥ صفحة متوسطة، ثم نشرت فى مصر والعراق (سنة ١٩٧١م) ومنها مخطوطات بدار الكتب بمصر وفى برلين والظاهرية ١٤٠، وغيرها .

٥- «**بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة**»: وهو كتاب تراجم لهؤلاء تبلغ ٢٣٠٠ ترجمة فيها إيجاز وتركيز، ومنه مخطوطات عديدة موزعة منها واحدة بخط المؤلف فى ليننغراد. لا نجد ضرورة لذكر الباقى بعد أن طبع الكتاب مرات منها فى ليدن بعناية المستشرق مرسنجه سنة ١٨٣٩م وأخرى فى مصر (الخانجى) سنة ١٣٢٦هـ ثم فى مصر بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم سنة ١٩٦٤م. وقد نشره محمد أبو الفضل إبراهيم فى القاهرة فى سنتى ١٩٦٤و١٩٦٥م فى جزئين ضخمين، وهذا الكتاب هو

Marfat.com

الموجز الأخير من كتاب ضخم سماه السيوطى طبقات النحويين وضعه فى سبع مجلدات وهو «**الطبقات الكبرى**» ثم لخصه فى مجلد ضخم هو «**الطبقات الوسطى**» ثم اختصره ثانية فى كتاب «**البغية**» المطبوع. وقد ضاعت الطبقات الكبرى والوسطى.

٦- «**الحبائك فى أخبار الملائك**»: منه مخطوط بدار الكتب بمصر وأخرى فى الرباط وقد نشره عبد الله الصديق (دار التأليف - القاهرة ١٩٦٤م) فى ٢٣٢ صفحة .

٧- «**طبقات المفسرين**»: وهو مرتب على حروف الهجاء، علقه أبو بكر الداودى تلميذ المصنف (سنة ٩٧٣هـ)، ومنه مخطوط ينى جامع فى استامبول (رقم ١/٨٧٢) فى ٢٢ ورقة وأخرى فى الحميدية (١٧٩) فى ٧٢ورقة. وهو غير تام فقد ذكر أن المؤلف لم يتمه. طبع الكتاب فى ليدن سنة ١٨٢٩م ثم طبع مصورا بطهران سنة ١٩٦٠م.

٨- «**طبقات الحفاظ**» لخصه عن الذهبى وذيل عليه من جاء بعده . ومنه مخطوط الحرم المكى فى ١٥٠ ورقة (رقم ٨١ تراجم) ومخطوط عارف حكمة فى المدينة (رقم ٤٣٣ تاريخ) فى ١٣٠ ورقة. وثمة نسخة فى دار الكتب بمصر ونسخة رابعة فى فيض الله باستامبول رقم ١٤٧٣ فى ٢٦٣ ومعها نسخة رقم ١٤٧٤ فى ٢٦٩ ورقة. نشره المستشرق وستنفلد (سنة ١٨٣٤م).

٩- «**المستظرف من أخبار الجوارى**»: وقد نشره صلاح الدين المنجد فى بيروت سنة ١٩٦٢ فى ثمانين صفحة. ضمن سلسلة رسائل ونصوص الصادرة عن دار الكتاب الجديد ومنه مخطوط فى الظاهرية بدمشق وآخر فى الأحمدية بتونس.

١٠- «**نزهة الجلساء فى أشعار النساء**»: نشره المنجد نفسه مع مقدمة وفهارس فى ١٣٧ صفحة (دار المكشوف فى بيروت ١٩٥٨) ومنه مخطوط فى الظاهرية بدمشق رقم ٤٥٦٨ ومخطوط آخر فى الخزانة العامة بالرباط.

١١- «**تحفة الأريب فى نجاة مغنى اللبيب**»: ومنه المجلد الثانى مخطوط فى فيض الله فى استامبول رقم ١٤١٣ فى ٣٣٦ ورقة. وبعض منه مخطوط فى الأحمدية بتونس رقم ٤٧٦٣.

١٢- «**المنجم فى المعجم**»: وهو معجم شيوخه الذين أخذ عنهم أو أجازوه وقد جعلهم ٣ طبقات ورتبهم على حروف المعجم. ومنه مخطوطة لعلها مسودة المؤلف فى دار الكتب بالقاهرة رقم ٥٢٦ تاريخ .

١٣- «**كوكب الروضة فى تاريخ جزيرة الروضة بالقاهرة**»: وهو مقامة فيها

Marfat.com

تاريخ وأشعار وذكر لنهر النيل وما فيه. فرغ منه سنة ٨٩٥هـ ومنه نسخة فى مكتبة الخالدى فى القدس رقم ٢٩٢ فى ٣٠ ورقة وأربع نسخ فى طوبقابو باستامبول منها نسخة قوبلت على نسخة المؤلف (رقمها ٢٤٠٨،١٦٥٥ فى ٢٤٧ورقة) والأخرى برقم (٢٩٧٨،٦١٥٣) والثالثة برقم ١٤٠٢،٦١٥٤ والرابعة برقم ٧١٣،٦١٥٦ فى ٢٨٣ ورقة.

١٤- «لب اللباب فى تحرير الأنساب»: اختصر فيه لباب ابن الأثير وزاد عليه. ومنه مخطوط خدابخش بتنه رقم ٢٤٢٧ فى ٧٠ ورقة ومخطوطات أخرى عديدة فى ليدن (١٣٦-١٣٨) وفى باريس الأول منه رقم ٢٨٠٠ وفى تشيستربتى تحت رقم ٣٩٥٧ فى ١٢٦ ورقة. وفى القاهرة الثانى منه (رقم ٣١٥/٥) وفى سليم أغا باستامبول رقم ١٢١٥، ١١٢٥٢ وفى رضا رامبور الأول (رقم ٢١٧:٦٤٥) وفى بنكيبور (١٧٤٧/١٢) وفى بتنه (٢٤٢١:٣٠٨/٢) ويختصر فيه السيوطى كتاب الأنساب للسمعانى ويذكر حوالى ٩ آلاف اسم مع تفسيرها .

وقد نشره فى ليدن المستشرق ب.ج. فيث سنة ١٨٣٠-١٨٣٢م والهولندى بطرس فوت سنة ١٨٥١م وأعيد طبعه مصورا فى مكتبة المثنى ببغداد .

١٥- «ذيل على العقود الدرية فى الأمراء المصرية»: للجزار وهى تكملة الأرجوزة وتكملة التكملة . ومنه مخطوط باريس فى المكتبة الأهلية (أول ١٦٠٨). وآخر فى فلورنسا رقم ٣٠١٢ (وهو بشعر الرجز).

١٦- كتاب « الوسائل فى معرفة الأوائل»: وهو مختصر كتاب الأوائل لأبى هلال العسكرى (الحسن بن عبد الله المتوفى سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٥م). منه ثلاث مخطوطات فى طوبقابو رقم ٥٧٢٦،٢٣٤٣ فى ٣١ ورقة، ورقم ٥٧٢٧،٣٠٥٤ ورقم ٥٧٢٨،٢٤٣٧. ومخطوط بدار الكتب فى مصر وآخر بمكتبة البريدى فى القدس، وقد نشره المستشرق جوخيا سنة ١٨٧٦م ونشره أسعد طلس فى العراق سنة ١٩٥٤م.

١٧- «ما رواه الواعون فى أخبار الطاعون»: ومنه مخطوط كمبردج (٨)١٧٢.

١٨- كتاب «تبييض الصحيفة فى مناقب أبى حنيفة»: ومنه مخطوط الظاهرية بدمشق رقم ٤٧٦٨ فى ٢٦ ورقة. وقد طبع فى حيدر آباد سنة ١٣١٧.

١٩- «در السحابة فى من دخل مصر من الصحابة»: وقد لخص فيه كتاب ابن الربيع الجيزى وزاد عليه ما وجده فى المصادر الأخرى ورتبه على حروف المعجم. ومنه مخطوط دار الكتب الوطنية بتونس رقم ٣٣١٨ فى ٨٦ ورقة ومخطوط آخر فى دار

Marfat.com

الكتب بمصر وثالث فى باريس، وقد طبع بمصر ضمن كتاب «حسن المحاضرة» (سنة ١٣٢١هـ).

٢٠- «أنموذج اللبيب فى خصائص الحبيب (الرسول الأعظم)»: ومنه مخطوطتان فى الظاهرية رقم ١٨٥٧ فى ٢٤ ورقة ورقم ٣٨٦١ فى ١٣ ورقة ومخطوطة فى ليبيا - مكتبة الأوقاف بطرابلس رقم ٢٣ فى ٣١٠ ورقات . ومخطوطة فى مكتبة تشستربتى رقم ٣١٦١ فى ١١ ورقة، وثمة نسخة فى فيض الله ضمن مجموع .

٢١- «مسالك الحنفا فى والدى المصطفى» ومنه مخطوط الرباط ١١٩٤ فى مجموع من الورقة٣٨ب إلى ٦٣ب. وقد اختصره السيوطى فى كتاب أصغر ثم عاد فاختصر الأصغر فى موجز هو :

٢٢- «الدرج المنيفة فى الآباء الشريفة»: يقول فيه: إنه ثالث كتاب ألفه فى والدى الرسول ﷺ وهو أخصرهما وأوجزهما. ومنه مخطوط الرابط ١٦٣٨ فى مجموع من الورقة ٢٠٣ب إلى ٢٠٧أ.

٢٣- «نسب بعض الصحابة والأشراف وغيرهم من ملوك لمتونة والموحدين»: ومنه مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٠٢٤ تاريخ فى ٤٠ ورقة. وآخر برقم ٢٠٢٠ ويحمل الاسم نفسه ولكنه ينسب لابن أبى زيد. ونسخة أيضا فى الخزانة العامة بالرباط. ويشك فى نسبة هذا الكتاب للسيوطى .

٢٤- «تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك (ابن أنس)»: ومنه مخطوط دار الكتب الوطنية فى تونس رقم ٩٨٣٠ وفى المكتبة التيمورية فى القاهرة .

٢٥- «الأساس فى مناقب بنى العباس»: ومنه مخطوط الأزهرية ٤٠٢٢ تاريخ (٥٣٥٥) فى ١١ ورقة. ومخطوط بالتيمورية وثالث فى الخزانة العامة فى الرباط مجموع ١١/١٠٢٧ وعارف حكمت ١٠٨ مجاميع وبرلين ١٥١٨.

٢٦- «التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة»: ومنه مخطوط الرباط رقم ٤٨٦ك فى ١٣ ورقة ومخطوط فى الأسكوريال وثالث فى دار الكتب بمصر.

٢٧- «أسماء المدلسين من رجال الحديث»: ومنه مخطوط الأزهر رقم ٦٠٣ مصطلح الحديث فى ٥ ورقات .

٢٨- «وثمة من ضمن مجموع واحد فى مكتبة فيض الله رقم ١٤١٣ فى ٣٣٦ ورقة كل من : «العجاجة الزرنبية فى السلالة الزينبية» من ورقة ١٦١ حتى ١٦٨،

وهى موجودة أيضا فى عارف حكمت بالمدينة ١٦٢ مجاميع وفى دار الكتب بمصر ٩٢٠٧ح وفى أسعد أفندى باستامبول مجموع ١٦٩٤ وبرلين ٩٤٠١ وتشستربتى رقم ٥٥٠٠.

٢٩ - «العرض الوردى فى أخبار المهدى» من ورقة ١٧٢ حتى ١٨٣.

٣٠- «إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء» من ورقة ٢٠٨ حتى ٢١١.

٣١- «مسالك الحنفا فى والدى المصطفى» من ورقة ٢٣٣-٢٤٧.

٣٢- «الإعلام بحكم عيسى عليه السلام» من ورقة ٢٠٤ حتى ٢٠٨ (ومنه مخطوط بالتيمورية ٢٨١٩، ٢٤٦٧ ومخطوطات أخرى فى برلين ٣٥٣٩ وجامع صنعاء مجموع ١٨٧ وأسعد أفندى مجموع ٢٦٠ وتشستربتى ٥١١٢، ٥٥٠٠ وفى الموصل وغيرها). وفى آخره نسخة أنموذج اللبيب فى خصائص الحبيب .

٣٣ - وينسب إليه «إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى»: وهو ينسب أيضا إلى شمس الدين محمد المنهاجى السيوطى (طلس: الكشاف صـ ٢٢٠) وحاجى خليفة ينسبه إلى كمال الدين بن أبى شريف. وقد طبع المستشرق لامنغ سنة ١٨١٧ قطعة منه. وهو مخطوط بالحرم المكى رقم ١٩٢ وليدن ١٠٣٢ والمتحف البريطانى (ذيل) ٥٧٢.

٣٤- وينسب للسيوطى أيضا كتاب «تاريخ السلطان قايتباى» (٨٧٢-٩٠١هـ) والدولة الأيوبية ودول المماليك. ومع أن طريقة الكتاب قريبة من منهاج السيوطى إلا أن أحدا لم يذكر هذا الكتاب له سوى المخطوطة التى تحمل اسمه عليها. وهى فى دار الكتب المصرية بالقاهرة فى ٥٧ لوحة مزدوجة متوسطة ورقمها ٦١ تاريخ .

٣٥- «الرتب المنيفة فى فضل السلطنة الشريفة»: وهو مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٦٥ مجاميع فى ثلاث ورقات .

٣٦- «التعريف بآداب التأليف»: وهو رسالة صغيرة منها مخطوط دار الكتب بمصر رقم ٣٢ مجاميع فى ٥ ورقات. ومخطوط آخر فى الخزانة العامة بالرباط طبع بعناية إبراهيم السامرائى فى بغداد ثم طبع محققا بعناية عبد الصبور مرزوق سنة ١٩٧٠.

٣٧- «طبقات الأصوليين»: نسبه لنفسه فى «حسن المحاضرة» ومنه مخطوط فى برلين رقم ٤٣/٩٩١٣.

٣٨- «طبقات البيانيين»: نسبه لنفسه فى «تاريخ الخلفاء» ومنه مخطوط برلين ٢٩/١٠٠٦٣.

٣٩- «طبقات الخطاطين»: نسبه لنفسه فى «تاريخ الخلفاء» ومنه مخطوط برلين ٣٠/١٠٠٦٣

٤٠- «طبقات التابعين».

٤١- «طبقات الشعراء»: نسبه لنفسه فى «حسن المحاضرة».

٤٢- «طبقات الفرضيين»: نسبه لنفسه فى «تاريخ الخلفاء».

٤٣- «ذيل الإنباء عن قبائل الرواة» الأصلى من تأليف ابن عبد البر النمرى القرطبى المتوفى (سنة ٤٦٣).

٤٤- «الرحلة الفيومية» نسبها لنفسه فى «حسن المحاضرة» ومنها مخطوط فى برلين رقم ١٥/٦١٥٧.

٤٥- «الرحلة المكية»: نسبها السيوطى لنفسه فى «حسن المحاضرة» وهى مع المخطوط السابق فى برلين .

٤٦- «الرحلة الدمياطية»: نسبها بدورها لنفسه فى «حسن المحاضرة» ومنها مخطوط برلين (مع السابقتين) رقم ١٥/٦١٥٧.

٤٧- «رفع الباس عن بنى العباس»: نسبه السيوطى لنفسه فى «حسن المحاضرة» وتحدث عنه .

٤٨- «مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع»: وهو مختصر «معجم البلدان» لياقوت .

٤٩- «زوائد الرجال على تهذيب الكمال»: نسبه لنفسه فى «حسن المحاضرة» والتهذيب فى الأصل لابن الزكى المتوفى سنة ٦٠٠هـ.

٥٠- «الزوائد على المال فى معرفة الرجال».

٥١- «السماح فى أخبار الرماح»: ومنه مخطوط مصور فى معهد المخطوطات العربية فى القاهرة رقم ٢٣ فروسية .

٥٢- «إتحاف النبلاء بأخبار الثقلاء»: منه مخطوط بمكتبة الجامع الأزهر وآخر بالأحمدية بتونس ٤٩٥١، وأوقاف الموصل ٢٤/٨٤ بجاميع وبرلين ٥٥٧٩ وليدن ١٤/٤٧٤، ٢٧٧٢.

٥٣- «إحياء الميت بفضائل أهل البيت»: ومنه مخطوطات عديدة فى الظاهرية ١١١٢ حديث، ٥٢٩٦ مجموع وعارف حكمت ١٠٨ مجاميع وخزانة الرباط مجموع

Marfat.com

٢/٩٣٦ وجامع صنعاء ٢ تصوف، وكمبردج ٢/٢٠ ودار الكتب بمصر ٢١ مجاميع، و٣٧ مجاميع. وقد طبع فى الهند وفى القاهرة سنة ١٣١٢.

٥٤- «**الازدهار فيما عقد الشعراء من الآثار**».

٥٥- «**إزهار العروش فى أخبار الجيوش**»: وهو مختصر كتابه « رفع شأن الحبشان» ومنه مخطوط التيمورية رقم ٧٢٦ تاريخ وشهيد على بتركيا ٢٨٠٣ وتشستربتى ٤٧١٣ و ٥٤٩١ وثمة مخطوطان آخران أحدهما فى غوطا والثانى فى الأسكوريال ومخطوط فى كوبريللى ٤٥٨ وفى قورشوتلى رقم ٤/١٤٣.

٥٦- «**إسبال الكساء على النساء**»: ومنه مخطوط الظاهرية ١١١٧ حديث ومخطوط التيمورية ضمن مجموع.

٥٧- «**إسعاف المبطا برجال الموطأ**»: وقد طبع فى حيدر آباد سنة ١٣١٦هـ. وله مخطوطات بدار الكتب بمصر رقم ٢٣٣، ٣٤١، ٣٤٢ وفى برلين ٩٩٥٨ ومكتبة عارف حكمت بالمدينة ١٩١٩ مجاميع.

٥٨- «**أعلام النصر فى إعلام سلطان العصر**».

٥٩- «**آكام العقيان فى أحكام الخصيان**»: ومنه مخطوطات عديدة فى دار الكتب بمصر (٢٧ مجاميع ٥٢١ مجاميع حديث) وفى حضر موت ٣٢٨ وفى الظاهرية ١٠٧ حديث وفى تشستربتى ٥١١٢، ٥٤٩١، ٥٥٠٠ وليدن ٢٧١٦ وبرلين ٢٢٦٤/٤٨١٠ وفى خزانة الرباط.

٦٠- «**إنجاز الوعد المنتقى من طبقات ابن سعد**»: نسبه إليه صاحب الكشف.

٦١- «**إنشاب الكثب فى أنساب الكتب**»: ذكر فيه مروياته ومنه مخطوط برلين ٣/٣٠.

٦٢- «**الأوج من أخبار عوج**»: ومنه نسخة مخطوط آخر فى التيمورية ضمن مجموع، وقد طبع ضمن كتاب السيوطى « الحاوى فى الفتاوى».

٦٣- «**الأنوار السنية فى تاريخ الخلفاء والملوك فى مصر السنّية**»: ومنه مخطوطات برلين ٩٨٧٩، ٩٨٢٥، ٩٨٢٦.

٦٤- «**بدائع الزهور فى وقائع الدهور**»: وهو تاريخ كبير انتقاه من ٣٢ تاريخا ذكر فيه نوادر الوقائع، ذكره حاجى خليفة فى «كشف الظنون»، من مبدأ الخلق إلى زمانه، وقد قدم الأنبياء ثم الخلفاء ثم الملوك لكنه لم يكمله.

Marfat.com

٦٥- «بذل المجهود لخزانة محمود»: نشره فؤاد سيد فى مجلة معهد المخطوطات (المجلد ٤ سنة ١٩٥٨ ص ١٣٤-١٣٦).

٦٦- «بلوغ الأمنية فى الخانقاه الركنية»: نسبه إليه صاحب كشف الظنون .

٦٧- «بهجة الناظر ونزهة الخاطر»: (جمع فيه ما قيل فى مصر ونيلها ومتنزهاتها) من مخطوط دار الكتب المصرية ٣٢ مجاميع .

٦٨- «تحفة الظرفاء بأسماء الخلفاء»: وهى قصيدة رائية نظم فيها أسماء الخلفاء وسنى وفاتهم، ومنها نسخة بدار الكتب فى القاهرة ضمن مجموع يضم «بلبل الروضة» أيضا وطبعت ضمن « تاريخ الخلفاء» للسيوطى.

٦٩- «تحفة الكرام باخبار الأهرام»: ومنه مخطوط بجامعة بيل فى نيوهافن بالولايات المتحدة وفى برلين ٦١١٢ ودار الكتب بمصر ٧٤٢ مجاميع والأحمدية بتونس/٦١٨٢ وجامعة كمبردج ٢٢٧/١، وخزانة الجليلى بالموصل ٢١/٥ج ١ج٤.

٧٠- «تحفة المذاكر المنتخب من تاريخ ابن عساكر»: نسبه لنفسه فى «حسن المحاضرة». ومنه مخطوط فى برلين ٩٧٨٨/٥.

٧١- «تحفة المهتدين بأسماء المجددين»: وهى أرجوزة فى ٢٧ بيتا منها مخطوط دار الكتب بمصر ضمن مجموع، وقد أكملها الجرجاوى المراغى فى مخطوط بدار الكتب أيضا بخط مؤلفه .

٧٢- «التحفة الظريفة فى السيرة الشريفة»: نسبها إليه البغدادى فى «هدية العارفين».

٧٣- «المنهاج السوى فى ترجمة النووى» (الإمام أبى زكريا يحيى بن شرف محيى الدين المتوفى (سنة ٦٧٦هـ) وقد نشرت فى مصر بتحقيق محمد عيد الخطراوى. ومنها نسخة مخطوطة فى مكتبة توبنغن فى ألمانيا برقم ١٩ فى ٢٣ ورقة ونسخة أخرى فى التيمورية وثالثة فى الأسكوريال .

٧٤- «ترجمة البلقينى» (الإمام قاضى القضاة صالح بن عمر الشافعى المتوفى سنة ٨٦٨هـ): ذكره فى «حسن المحاضرة».

٧٥- «تنبيه الغبى فى تبرئة ابن عربى»: ومنه مخطوط فى رواق الأتراك بالأزهر رقم ٣٦٩٨ وآخر فى دار الكتب فى مصر.

٧٦- «الثغور الباسمة فى مناقب السيدة فاطمة»: ومنه مخطوط ضمن مجموع فى دار الكتب بمصر .

Marfat.com

٧٧- «حاطب ليل وجارف سيل فى معجم الشيوخ»: (وقد ذكرنا برقم ١٢ معجما آخر) ومنه مخطوط عارف حكمت بالمدينة رقم ٢٤٢ تاريخ وعدد صفحاته ٧٢.

٧٨- «الحجج المبينة فى التفضيل بين مكة والمدينة»: منه مخطوط فى دار الكتب بمصر وآخر فى الخزانة العامة بالرباط (مجموع ١٠٢٧) وثالث فى برلين ٣/٩٧٥٦ وفى الظاهرية ١١٣٤ حديث عام ٧٦٦٤ وفى تشستربتى رقم ٥١١٢ وفى بلدية الإسكندرية ٣٧٣٥ح، وله طبعة فى الهند .

٧٩- «حلية الأولياء فى طبقاتهم» (أو طبقات الأولياء): نسبه لنفسه فى تاريخ الخلفاء.

٨٠- «الدرارى فى أولاد السرارى (أو النجوم الدرارى)»: ويدافع فيه عن جدته الشركسية. ومنه مخطوط فى دار الكتب بمصر وآخر فى برلين.

٨١- «شد الرحال فى ضبط الرجال»: نسبه إليه صاحب كشف الظنون .

٨٢- «شد المطية للفضل بن غياث وعطية»: نسبه إليه صاحب الكشف .

٨٣- «شرح الإضافة فى منصب الخلافة»: نسبه إليه صاحب الكشف.

٨٤- «العرف الوردى فى أخبار المهدى»: وهو مخطوط فى دار الكتب بمصر ٣٢ مجاميع ومطبوع ضمن الحاوى للفتاوى .

٨٥- «عين الإصابة فى مختصر أسد الغابة» (ولعله عين الإصابة فى معرفة الصحابة نفسه).

٨٦- «الفاشوش فى أحكام قراقوش»: ومنه مخطوطان بدار الكتب المصرية كتب أحدهما سنة ١٠٧٧ ضمن مجموع ١٩٤ ومجموع ٤١٦ . وفى برلين ٨٤١١ وفى شستربتى ٥٤٩١ وقد طبع فى مصر سنة ١٣١١هـ.

٨٧- «القول المشيد فى وقف المؤيد»: طبع ضمن كتاب الحاوى للفتاوى .

٨٨- «الكاوى فى تاريخ السخاوى»: (وهى إحدى مقاماته).

٨٩- «كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة»: منه مخطوط بالتيمورية فى مصر وآخر فى المكتبة الأهلية فى باريس (رقم ٤٦٥٩) وثالث فى برلين. ورابع فى غوطا وخامس فى المتحف البريطانى وسادس فى كمبردج وثمة نسخة سابعة فى الخزانة العامة بالرباط. ترجمه شبرانجر إلى الإنجليزية باختصار سنة ١٨٤٣م ثم طبع فى لاهور سنة

Marfat.com

١٨٩٠م وترجمه إلى الإنجليزية أيضا أمبراسى سنة ١٩٦١م وحققه وطبعه فى المغرب أخيرا عبد اللطيف السفدانى.

٩٠- «كشف النقاب عن الألقاب»: نسبه لنفسه فى «حسن المحاضرة».

٩١- «اللمع فى أسماء من وضع»: نسبه لنفسه فى «حسن المحاضرة».

٩٢- «مختصر الأحكام السلطانية»: للماوردى نسبه لنفسه فى «حسن المحاضرة».

٩٣- «المضبوط فى أخبار أسيوط»: ومنه مخطوط فى برلين رقم ٥٧/٩٨٤٥.

٩٤- «المكنون فى ترجمة ذى النون»: ذكره صاحب كشف الظنون . ومنه مخطوط تشستربتى ٤٨٦٥.

٩٥- «الملتقط من الدرر الكامنة»: منه مخطوط عارف حكمت بالمدينة رقم ٢١٧ تاريخ وعدد صفحاته ٢٧٢ فى نسخة جيدة .

٩٦- «مسألة أولاد على بن أبى طالب»: وهى مقالة فى ثلاث ورقات مخطوطة برواق الأتراك بالأزهر رقم ٣٦٩٨ .

٩٧- «المنى فى الكنى»: وهو تلخيص المرصع لابن الأثير. ومنه مخطوط برلين ٧٠١٨.

٩٨- «نثر الهميان فى وفيات الأعيان»: منه مخطوط فى برلين رقم ٤١/٩٩١٣.

٩٩- «النفحة المسكية والتحفة المكية»: ومنه مخطوط الأوقاف بالموصل بجاميع ١٩/٣٢ والظاهرية ٤٢٥٥ وفى الأسكوريال ومكتبة فيينا .

١٠٠- «الوجيز فى طبقات الشافعية»: منه مخطوط فى ليدن رقم ٢٦٣٩

١٠١- «الأخبار المستفادة فى من ولى مكة من آل قتادة» : نسبه إليه صاحب كشف الظنون .

١٠٢- «الهبنة السنية فى المائة السنية فى الأخبار»: ومنها نسخ جامعة كمبردج ١٢٤٣/١، برلين ٥٦٩٧، الظاهرية ١١٦٥ حديث مجموع ١٢٦ عام ٦٦١٩ وعارف حكمت ١٠٨ مجاميع وتشستربتى ٤٢٠٥، ٥٤٩١ وفى خزانة الرباط مجموع ١٠٠١ وبشير أغا باستامبول مجموع ٦٥٥.

١٠٣- «الذيل على المغنى فى الضعفاء»: والكتاب الأصلى للذهبى.

١٠٤- «شرح تنوير الغبش فى فضل السودان والحبش لابن الجوزى»: ومنه مخطوط فى باريس .

Marfat.com

١٠٥- «ديوان الحيوان خلاصة حياة الحيوان للدميرى»: ومنها مخطوط فى باريس وآخر فى المكتب الهندى .

١٠٦- «الدرارى فى أبناء السرارى»: وفيه أسماء الخلفاء المولدين من الجوارى والمخطوطة فى برلين وفى دار الكتب بمصر فى بضع ورقات .

١٠٧- «تحذير الخواص من أكاذيب القصاص»: مخطوط عارف حكمت بالمدينة (وهو الثالث ضمن مجموع رقمه ١٢٠ قديم/١٨٨ جديد من ورقة ١٥٢ إلى ١٩٣) وعلى النسخة تعاليق .

١٠٨- «قصيدة لامية فى من ولى الخلافة والملك منذ كانت الخلافة إلى زمن الأشرف برسباى»: منها مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٤٧٦٥.

١٠٩- «تاريخ الصحابة»: نسبه لنفسه فى «حسن المحاضرة».

١١٠- «عين الإصابة فى معرفة الصحابة»: نسبه لنفسه فى «حسن المحاضرة». وذكر فى «كشف الظنون» أنه يتمه .

١١١- «رفع شأن الحبشان»: ومنه مخطوط فى الخزانة التيمورية وآخر فى الأسكوريال وفى كوبريللى باستامبول رقم ٤٥٨ وفى قورشوتلى هناك أيضا برقم ٤/١٤٣.

١١٢- «ريح النسرين فيمن عاش من الصحابة مائة وعشرين»: ومنه مخطوط فى الأسكوريال وآخر فى الخزانة العامة فى الرباط. وفى تشستربتى رقم ٥١١٠٢، ٥٤٩١ ودار الكتب المصرية ٥٢١ مجاميع ٥٣٠ مجاميع.

١١٣- «من وافقت كنيته كنية زوجته من الصحابة»: منه مخطوطة ضمن مجموع فى الخزانة العامة بالرباط.

١١٤- «الأقوال المتبعة فى مناقب الأئمة الأربعة»: ومنه مخطوط الخزانة العامة بالرباط.

١١٥- «تحفة النابه بتلخيص المتشابه»: نسبه لنفسه فى «حسن المحاضرة».

١١٦- «طبقات الكتاب»: نسبه لنفسه فى «حسن المحاضرة».

١١٧- «حسن التلخيص لتالى التلخيص»: وهو ذيل على التالى والأصل كتاب «تلخيص المتشابه» للخطيب البغدادى.

Marfat.com

١١٨- «تاريخ العمر» نسبه السيوطى فى «حسن المحاضرة» وهو ذيل على «إنباء الغمر» لابن حجر.

١١٩- «ذيل (حياة) الحيوان للدميرى»: فرغ منه السيوطى سنة ٩٠١هـ.

١٢٠- «الزبرجد فى التاريخ»: نسبه إليه حاجى خليفة فى كشف الظنون.

١٢١- «سبل الهدى فى السير»: نسبة إليه حاجى خليفة فى الكشف.

١٢٢- «تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك»: ومنه مخطوط فى التيمورية وآخر فى الأسكوريال. وقد طبع فى المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٢٥هـ.

١٢٣- «نسب البوصيرى»: ومنه نسخة مخطوطة فى دار الكتب بمصر.

١٢٤- «العجائب فى تفضيل المشارق على المغارب»: نسبه إليه حاجى خليفة فى «كشف الظنون» ومنه مخطوط برلين ٤/٦٠٥٨.

١٢٥- «فضائل الشام»: ومنه مخطوط فى مكتبة جامعة برنستون فى الولايات المتحدة.

١٢٦- «حسن النية فى الخانقاه البيبرسية»: نسبه إليه حاجى خليفة فى الكشف .

١٢٧- «المزدهى فى روضة المشتهى»: نسبه إليه حاجى خليفة (ولعله تاريخه للروضة الجزيرة فى النيل).

١٢٨- «طبقات الكتاب»: ومنه مخطوط برلين ٣١/١٠٠٦٣.

١٢٩- «طبقات النحاة الكبرى»: ومنه مخطوط فى مكتبة رئيس الكتاب باستامبول رقم ١١٦١.

١٣٠- «فريدة التبيان ونزهة الحفاظ والإخوان»: وقد طبع فى مصر سنة ١٣٢٢ ونسخته فى دار الكتب رقم ٢١٣٦.

١٣١- «الدر الثمين فى أسماء المصنفين»: ومنه مخطوط برلين ٤/٣٠.

١٣٢- «الأخبار المروية فى سبب وضع العربية»: ومنه مخطوطتان ضمن مجموعين فى الخزانة العامة بالرباط . وهو مطبوع ضمن مجموعة «التحفة البهية والطرفة الشهية» الصادرة عن مطبعة الجوائب سنة ١٣٠٢هـ.

١٣٣- «دقائق الأخبار المروية فى سبب وضع العربية» (ولعله المؤلف السابق).

١٣٤- «**نثر الهميان فى وفيات الأعيان**»: ذكره السيوطى فى فهرست مؤلفاته فى التاريخ ذكر ذلك صاحب الكشف.

١٣٥- «**ورقات الوفيات**»: ذكره السيوطى فى فهرست مؤلفاته فى التاريخ.

١٣٦- «**تحفة العجلان فى فضل عثمان**»: وهو أربعون حديثا فى فضل عثمان ومناقبة ومزاياه، منه مخطوط التيمورية ومخطوط أوقاف بغداد.

١٣٧- «**ساجعة الحرم**»: ومنه مخطوط الخزانة فى الرباط (مجموع ١٠٢٧) ودار الكتب فى مصر ٣٦٠ وبرلين ٨٥٦١.

١٣٨- «**الدرر فى فضل عمر**»: وهو أربعون حديثا فى فضله ومزاياه منه مخطوط فى الخزانة التيمورية بمصر.

١٣٩- «**الروض الأنيق فى فضل الصديق**»: نسبه لنفسه فى «**حسن المحاضرة**».

١٤٠- «**القول الجلى فى فضل على**»: وهو أربعون حديثا فى مناقبه، منه مخطوط فى التيمورية بمصر.

١٤١- «**مقامات السيوطى**»: وهى ٣٧ مقامة بعضها بطل على التاريخ كالكاوى فى تاريخ السخاوى. ومنها مخطوطات فى مكتبات عديدة عامة وخاصة. وقد طبع بعضها مفردا وطبعت منها مجموعات غير كاملة فى مصر والهند وتركيا.

١٤٢- «**طبقات المفسرين**» ولم يتمه على ما ذكر صاحب «**كشف الظنون**».

تاسعا: ابن إياس

أبو البركات زين العابدين (أبو شهاب الدين) محمد بن أحمد بن إياس الجركسى الأصل الناصرى القاهرى. ولد فى القاهرة سنة ٨٥٢هـ./١٤٤٨م وتوفى بها سنة ٩٣٠هـ/١٥٢٣م. مؤرخ عصر الانهيار المملوكى والسنوات الأولى من الحكم العثمانى وهو سليل أسرة من القواد الشراكسة الأمراء (كانوا قديما من أجناد الحلقة) ثم صاروا من «**أولاد الناس**» ولا نجد أى ترجمة وافية لابن إياس لدى المعاصرين له، ولعلهم لم يعيرونه أى اهتمام. كما أن الأدب التاريخى كان قد أدركه الانحطاط فلم يكن لما كتب ابن إياس أى رونق أدبى، ولم تحظ كتابته الشبيهة بالعامية بأى تقدير . ومعلوماتنا عن أسرته وعنه إنما نأخذها من ثنايا كتبه نفسها والإشارات التى فيها . ومنها أن لابن إياس خمسة وعشرين أخا لم يبق منهم سوى ثلاثة : هو وأخوه وأخته وكان أخوه يشغل وظيفة الزردكاش (خازن الأسلحة) . وقد نشأ ابن إياس بهذا الشكل فى أسرة

ذات يسار، ودرس على اثنين من كبار علماء عصره : السيوطى وعبد الباسط بن خليل الحنفى المؤرخ والفقيه (توفى سنة ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م). وقد اتجه إلى التاريخ لأنه كان على ما يبدو المركب الأسهل الخالى من ضرورات الإسناد كالحديث وتعقيدات الفقه، وقسوة اللغة وفهم أسرارها.

وعلى الرغم من أن ابن إياس لم يكن يملك الحس التاريخى المرهف كسابقيه، ولا اللغة الصحيحة اللازمة للكتابة الحسنة المتينة، ولا الثقافة الضرورية للدقة والمتانة، إلا أنه كان المحظوظ الوحيد بين جميع من سبقه فى أن جميع كتبه قد حفظت وبقيت، وفى أنه كان الشاهد المعاصر الوحيد على الانقلاب التاريخى الذى جرى بين انهيار المماليك وبين العصر العثمانى. ولذلك اعتمده المستشرقون كثيرا وأبرزوا اسمه رغم قلة تراثه التاريخى بالنسبة إلى تراث الآخرين ممن سبقوه، ورغم أسلوبه الضعيف المفكك ولجوئه إلى تكرار النعوت والأوصاف وإلى العامية أحيانا فى التعبير بسبب ضعفه الأصيل فى البيان واللغة.

كتب ابن إياس خمسة كتب فى التاريخ هى:

١- «**بدائع الزهور فى وقائع الدهور**» ويبدو أنه كان يخطط فيه لعمل تاريخ عام وإسلامى لمصر حتى عهده، فإنا نجده يذكر فى خطبته أنه لخصه من نحو سبعة وثلاثين كتابا وذكر فيه فضائل مصر وأخبارها منذ البدء حتى سنة ٩٢٨هـ، كما نجد أيضا فى المخطوطات المحفوظة منه فى متحف الأوقاف باستامبول الأجزاء التالية وهى جميعا بخط المؤلف:

المخطوط الأول رقم ٢١٤٩: من مبدأ التاريخ حتى ذكر طرف يسيرة من أخبار ملوك العرب فى الجاهلية، فى ٢٨٢ ورقة .

المخطوط الثانى رقم ٢١٥٠: جزء من أول سيرة النبى إلى أواسط الدولة العبيدية، فى ٢١١ ورقة .

المخطوط الثالث رقم ٢١٥١ : جزء من أول حوادث سنة ٧٨٩هـ إلى أول ذكر سلطنة الملك المنصور عز الدين، فى ٢٣٨ ورقة.

المخطوط الرابع رقم ٢١٥٢: الجزء السابع من أول ذكر عود الملك الناصر فرج بن برقوق إلى السلطنة الثانية فى رجب (سنة ٩٠٢) فى ٢١٢ ورقة.

المخطوط الخامس رقم ٢١٥٣: من أول حوادث سنة ٨٩١هـ إلى ١٥ محرم سنة ٩١٤هـ، فى ٢١٨ ورقة.

المخطوط السادس رقم ٢١٥٤: الجزء العاشر من أول حوادث سنة ٩١٣هـ إلى آخر الكتاب فى ٢٣٣ ورقة.

وثمة بخط المؤلف مجلدان فى مكتبة فاتح باستامبول:

الجزء الرابع: وينتهى بآخر سنة ٧٤٢هـ بمكتبة فاتح رقم ٤١٩٧، فى ٢٥٤ ورقة.

الجزء الخامس: ويبدأ بذكر سلطنة علاء الدين بن الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٤٢ إلى آخر سنة ٧٨٨، فى ٢٢١ ورقة برقم ٤٢٠٠.

والعرض التاريخى فى الأجزاء الأولى منها سطحى مقتضب، وقد يتبسط أحيانا دون مناسبة، لكنه يظل يتوسع كلما اقترب من عصره دون تعمق، ولكن مع ازدياد فى التفاصيل وينقلب إلى الإسهاب منذ بدء القرن التاسع فإذا كانت أواخر هذا القرن - وهو العصر الذى عاش فيه ابن إياس وشهد حوادثه - ألفيته يجعل من التاريخ نوعا من السجل اليومى كأنه صحيفة يومية تجمع الحوادث العامة مع الخاصة. وتملأ مجلدين كبيرين أو أكثر، وفى هذا يتميز ابن إياس عن سابقيه من المؤرخين .

وثمة من هذا الكتاب مجلد مخطوط يبدأ بسلطنة الأشرف إينال العلائى (سنة ٧٥٨هـ) وينتهى إلى سنة ٩٠٦هـ فى ٢٩٣ ورقة . وهو مخطوط خدابخش ٢٣١٩. كما أن ثمة المجلد الأخير من نسخة أخرى، مخروم الآخر يبدأ بحوادث سنة ٩٢٢هـ فى عهد السلطان الغورى، وينتهى أثناء حوادث ذى القعدة سنة ٩٢٧هـ وهو فى الآصفية بحيدر آباد رقم ٣٠٨ تاريخ، فى ٢٢٤ ورقة.

وكانت مطبعة بولاق قد أصدرت سنة ١٣١١هـ./١٨٩٤م طبعة من «**بدائع الزهور**»، يعالج الجزء الأول منها تاريخ مصر كله حتى (سنة ٨١٥هـ.) فى حين يعالج الجزء الثانى ما بين سنة ٨١٥ وسنة ٩٠٦هـ أى حتى نهاية حكم العادل طومان باى وفى الثالث من سنة ٩٢٢هـ إلى سنة٩٢٨هـ/١٥١٦-١٥٢٢م. أى حتى نهاية حكم المملوكى الأخير الأشرف طومان باى. وسقطت من الطبعة فترة السلطان الغورى (٩٠٦-٩٢١هـ/١٥٠١-١٥١٥م.). وظلت هذه الفجوة قائمة حتى تبين بعد ذلك أمران:

الأول – أن ما نشرته بولاق باسم «بدائع الزهور» كان ناقصا ومشوها فكأنه مختصر سيئ للكتاب أو موجز له نفسه وضعه ابن إياس نفسه بدليل أنه يشير فى هذه الطبعة إلى أن من شاء أن ينظر ما وقع فى الديار فينظر إلى الجزء الخامس من تاريخنا بدائع الزهور...

الثانى – أن الفجوة الناقصة موجودة فى مخطوطات أخرى فى ليننغراد وباريس تمتد ما بين سنة ٨٧٢ وسنة ٩٢٨هـ./١٤٦٧ حتى ١٥٢٢م أى تضم الفترة التى كان ابن إياس فيها شاهد العصر المباشر. وقد نشرت هذه القطعة من البدائع بعناية جمعية المستشرقين الألمان . نشرها باول كاله، الأستاذ بجامعة بون بمعونة محمد مصطفى مدرس العربية هناك والمستشرق سوبر نهايم فى مجلد من ٥٠٠ صفحة كبيرة (استامبول ١٩٣١) وبين فى مقدمة له وبمقارنة النصوص أن هذا المجلد هو الجزء المكمل لطبعة بولاق، وهو يستند إلى مخطوط باريس رقم ١٨٢٤ ومخطوط ليننغراد رقم ٤٦ فى المتحف الأسيوى. ويضم الأول ما بين سنتى ٩١٣-٩٢١هـ، وهو منقول عن نسخة المؤلف، فى حين يضم الثانى ما بين سنتى ٩٢٢ ونهاية الكتاب .

وقد عاد المستشرق كاله وزميلاه فنشروا فى استامبول سنة ١٩٣٢م نصا جديدا لهذا القسم نفسه وصفوه بأنه الجزء الخامس . وفى النص الجديد فروق عديدة عن السابق سواء من حيث الاستيعاب أو المدى أو الترتيب، ثم قام العلماء أنفسهم بنشر نص آخر يتضمن تاريخ ما بين سنتى ٨٧٢-٩٠٦ أى من السنة التى توقف عندها ابن تغرى بردى إلى مطالع القرن التالى (استامبول ١٩٣٦) وسموا هذا الجزء بالجزء الثانى .

ويلاحظ أنه فى حين كتبت الأحداث فى الجزء الخامس وحتى سنة ٩٢٢هـ بأسلوب مفكك أشبه بالعامى كتب القسم الأخير بعناية وبلغة مزخرفة، مما دعا المستشرق ك. فولرز إلى التشكك فى أن يكون ابن إياس هو كاتب القسم الأخير . ولكن المستشرق سوبر نهايم عزا ذلك إلى امتزاج نصين: أحدهما كتب على أنه صحيفة شخصية، والثانى كتب ليكون النص الرسمى. وهو يتضمن الكثير عن حياة الحكام فى القاهرة والبلاط فى تلك الآونة مما يعطيه قيمة تاريخية كبيرة. ومن الملاحظ أن موقفه من الفتح التركى العثمانى تغير. ففى حين كان يسهب فى مظالم الأتراك حين فتحوا مصر ويصف مذابحهم ونهبهم، يعود فى أواخر كتابه فيهدئ من لهجته إن لم يكن يمدح السلطان.

٢- «**جواهر السلوك فى أخبار الأمم والملوك**»: وهو مختصر الكتاب السابق . ومنه مخطوطات عدة فى : كمبردج ٧٤ وهى مخرومة الآخر فى ٤٢٩ ورقة، وفى دار الكتب المصرية ٦٢٠٣/ تاريخ ف ٦٤٨، ومخطوط طوبقابو ٣٠٢٦،٦١٦٢ فى ١٦٠ ورقة، (فى أحمد الثالث) ومخطوط المتحف البريطانى رقم ٦٨٥٤. وفى الأزهر نسخة كتبت سنة ٩١٦، وأخرى فى باريس رقم ٦٧٣٩. وفى الكتاب تاريخ عام لمصر منذ الفتح الإسلامى حتى سلطنة الظاهر (أبى سعيد قانصوه سنة ٩٠٤هـ) ووفاة المتوكل على الله سنة ٩٠٣هـ، وبلوغ المستمسك بالله (أبى النصر يعقوب بن عبد العزيز بن يعقوب).

Marfat.com

ومن الجدير بالذكر أنه ثمة كتابا بالعنوان نفسه بجهول المؤلف فى المتحف البريطانى رقم٦٨٥٤.

٣- «**نشق الأزهار فى عجائب الأقطار**»: يقول فى مطلعه: «... لما طالعت كتب تواريخ الأمم الخالية ورأيت ما فيها من العجائب المتوالية فأحببت أن أجمع كتابا أذكر فيه من أعجب ما سمعته وأغرب ما رأيته قاصدا فيه الاختصار لكى لا يطول التأليف ...» ولكنه ذكر فيه عجائب مصر وسير ملوكها، وطلاسم اليرابى فيها، وأخبار النيل والأهرام، وخطط مصر وما قيل فيها وأقاليمها ... وله مخطوطات عديدة: فى الرباط تحت رقم ١٢٣د فى ٢٢١ ورقة وفى مكتبة المسجد الأقصى رقم ٥٧٩ عام فى ٣٠٠ ورقة تقريبا . وفى المتحف البريطانى رقم ٧٥٠٣ فى ٢٩٤ ورقة . ومنه فى المكتبة الأهلية بباريس أربع نسخ تحمل الأرقام : ٢٢٠٨ فى ٤١٠ ورقات، و٢٢٠٩ فى ٣٨٠ ورقة، و٢٢١٠ فى ٥٤ ورقة، و٢٢١١ فى ٤٨ ورقة . وقد استخدم هذا الكتاب بشكل واسع فى القرن التاسع عشر فى أوروبا . ومنه فى استامبول أربع نسخ، وفى تركيا:

- نسحة مكتبة رئيس الكتاب رقم ١٠١١ كتبت سنة ١٠٢٤هـ فى ٣٣٥ ورقة .
- نسخة مكتبة كوتاهية وحيدر باشا رقم ٢٢٣٠ كتبت سنة ١٠٢٤هـ فى ٣١٦ ورقة.
- نسخة نور عثمانية رقم ٣٠٣٩ كتبت سنة ١٠١١هـ فى ٢٤٤ ورقة .
- نسخة حكيم أوغلى رقم ٨١٥ كتبت فى القرن العاشر فى ٣٩٤ ورقة .

٤- «**نزهة الأمم فى العجائب والحكم**»: وقلما عرفه الباحثون. ومنه نسخة نقلت عن خط المؤلف (سنة ٨٠١هـ) تليها أوراق فى ذكر مدينة الفسطاط، مخطوطة فى أيا صوفيا رقم ٣٥٠٠، فى ٢٨٠ورقة، ومصور فى جامعة القاهرة تحت رقم ٢٢٩٦٣.

٥- «**المنتظم فى بدء الدنيا وتاريخ الأمم**»: فى ثلاثة مجلدات كاملة مخطوطة فى مكتبة أحمد الثالث باستامبول تحت رقم ٢٩٠٩، ويشكك بعض المؤرخين فى نسبتها إليه لأنه مطابق لكتاب البدء والتاريخ وينتهى مثله سنة ٣٥٥هـ.

٦- وثمة كتاب «**مرج الزهور فى وقائع الدهور**»: وهو تاريخ شعبى للأنبياء والرسل. وقد لا يكون من تأليفه.

عاشرا: ابن أبى السرور البكرى

محمد بن محمد بن أبى السرور شمس الدين البكرى سليل الأسرة البكرية : ولد سنة ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م بالقاهرة وتوفى بها سنة ١٠٦٠هـ./١٦٥٠م. وقد كان آخر أضواء المدرسة المصرية المملوكية وإن عاش فى العصر العثمانى وأرخ له. ويبدو أنه

Marfat.com

درس فى القاهرة، وكان على صلة بأولياء الحكم العثمانى وبالولاة منهم مما سمح لـه أن يكتب فى تاريخ الفتح العثمانى لمصر، وفى سير الولاة والقضاة.

* * *

Marfat.com

مراجع التحقيق

١ - خير ما ابتدئ به القرآن الكريم.

٢ - آثار الأدهار: تأليف سليم بن جبرائيل الخوري وسليم ميخائيل شحاتة. الجزء الأول منه، وقسم من الثانى. طبع فى بيروت ١٨٧٥ - ١٨٧٧م.

٣ - آثار البلاد وأخبار العباد، لزكريا بن محمد القزوينى المتوفى (٦٢٨ هـ). ط دار صادر ببيروت.

٤ - الآثار الباقية عن القرون الخالية: لمحمد بن أحمد البيرونى. طبع فى ليبسك ١٩٢٣.

٥ - آثار المدينة المنورة: لعبد القدوس الأنصارى. طبع بدمشق ١٩٣٥.

٦ - آداب العصر فى شعراء الشام والعراق ومصر: لسعد ميخائيل.

٧ - آداب الشافعى ومناقبه، لابن أبى حاتم أبى محمد عبد الرحمن المتوفى (٣٢٧هـ). تحقيق عبد الغنى عبد الخالق. نشر مكتبة التراث بحلب.

٨ - أبجد العلوم: لصديق حسن خان القنوجى. طبع فى بهوبال ١٢٩٥هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٩ - الأبحاث المسددة فى فنون متعددة: للمقبلى؛ صاحب العلم الشامخ. مخطوط.

١٠ - إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بنى الحسن: لمحمد بن على، ابن المحب الطبرى. مخطوط فى مكتبة محمد ماجد الكردى، بمكة.

١١ - إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشرة، لأحمد الدمياطى البنا، ط. عبد الحميد حنفى بالقاهرة.

١٢ - إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، للزبيدى.

١٣ - إتحاف المطالع: لعبد السلام بن سودة: مخطوط.

١٤ - إتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء: للسيوطى. بدار الكتب العلمية. بيروت.

١٥ - الإحاطة فى أخبار غرناطة: لابن الخطيب. طبع فى مصر ١٣١٩هـ.

١٦ - أحسن الأثر، فيمن أدركناه فى القرن الرابع عشر: لمحمد صالح الكاظمى. طبع ببغداد.

١٧ - أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم: للبشارى. طبع فى ليدن ١٩٠٩.

Marfat.com

١٨ - أحسن الوديعة فى تراجم أشهر مشاهير مجتهدى الشيعة: لمحمد مهدى الكاظمى. جزآن. تتمة لكتاب «روضات الجنات» طبع ببغداد ١٣٤٧هـ.

١٩ - أخبار الأعيان فى جبل لبنان: لطنوس بن يوسف الشدياق الحدثى المارونى. طبع ببيروت ١٨٥٩.

٢٠ - أخبار أهل عُمان من أول إسلامهم إلى اختلاف كلمتهم. طبع فى همبورغ ١٩٣٨/١٣٥٧.

٢١ - أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول: لمحمد بن عبد المعطى الإسحاقى طبع فى مصر (على الحجر) ١٢٧٦هـ.

٢٢ - أخبار أبى تمام: لأبى بكر الصولى. طبع فى مصر ١٩٣٧/١٣٥٦.

٢٣ - أخبار الدول وآثار الأول: للقرمانى. طبع على هامش الكامل لابن الأثير (بولاق) ١٢٩٠هـ.

٢٤ - أخبار الدولة السلجوقية: لعلى بن ناصر بن على الحسينى. طبع فى لاهور ١٩٣٣.

٢٥ - أخبار الراضى بالله والمتقى لله، من كتاب الأوراق لأبى بكر محمد بن يحيى الصولى طبع بمصر ١٩٣٥.

٢٦ - الأخبار السنية فى الحروب الصليبية: لسيد على الحريرى. طبع فى مصر ١٣١٧هـ.

٢٧ - الأخبار الطوال: للدينورى. طبعة مصر ١٣٣٠هـ.

٢٨ - أخبار العصر فى انقضاء دولة بنى نصر: انظر «آخر بنى سراج».

٢٩ - إخبار العلماء بأخبار الحكماء: للقفطى. طبع فى مصر ١٣٢٦هـ.

٣٠ - أخبار القضاة: لوكيع. طبع فى القاهرة سنة ١٣٦٦ - ١٣٦٩هـ.

٣١ - أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار: للأزرقى. مجلدان. طبع بمكة ١٣٥٢ - ١٣٥٧هـ.

٣٢ - أخبار النحويين البصريين: لأبى سعيد السيرافى. من مطبوعات معهد المباحث الشرقية بالجزائر ١٩٣٦.

٣٣ - أدب الإملاء والاستملاء: لعبد الكريم بن محمد السمعانى. طبع فى لندن ١٩٥٢. ودار الكتب العلمية بيروت.

٣٤ - أدباء حلب ذوو الأثر فى القرن التاسع عشر: لقسطاكى الحمصى. طبع بحلب ١٩٢٥.

٣٥ - الأرج المسكى والتاريخ المكى: لعلى بن عبد القادر الطبرى المكى. مخطوط.

Marfat.com

٣٦ - إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المعروف بمعجم الأدباء: لياقوت الحموى. سبعة أجزاء، طبعة مرجليوث، بمصر ١٩٠٧-١٩٢٥. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٣٧ - أزهار الرياض فى أخبار عياض: لأحمد بن محمد المقرى. أربعة أجزاء، طبع ثلاثة منها بمصر ١٣٥٨-١٣٦١هـ.

٣٨ - الأزهار الرياضية فى أئمة وملوك الإباضية: لسليمان بن عبد الله البارونى، الجزء الثانى طبع بمطبعة الأزهار البارونية.

٣٩ - الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى: لأحمد بن خالد الناصرى السلاوى أربعة أجزاء طبع بمصر ١٣١٢هـ.

٤٠ - الاستيعاب فى أسماء الأصحاب: ليوسف بن عبد الله بن عبد البر، أربعة أجزاء طبعت على هامش «الإصابة» بمصر ١٣٥٨/١٩٣٩. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٤١ - أسد الغابة فى معرفة الصحابة: لابن الأثير. خمسة مجلدات. طبع بمصر ١٢٨٠هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٤٢ - إسعاف المبطأ برجال الموطأ: لجلال الدين السيوطى. طبعة الهند ١٣٢٠هـ. بآخر تنوير الحوالك شرح موطأ مالك للسيوطى أيضًا. طبعة مصر ١٣٤٤. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٤٣ - الإسلام والتجديد فى مصر: للمستشرق تشارلز آدمس. نقله إلى العربية عباس محمود. طبع بمصر ١٣٥٣/١٩٣٥.

٤٤ - أسماء جبال تهامة وسكانها: لعرام بن الأصبغ السلمى. طبع بمصر ١٣٧٣هـ. ودار الكتب العلمية بيروت.

٤٥ - أسماء خيل العرب وفرسانها: للجواليقى. طبع مع نسب الخيل للكلبى، بليدن ١٩٢٨.

٤٦ - أسماء الصحابة الرواة: لابن حزم. طبع مع «جوامع السيرة». دار الكتب العلمية. بيروت.

٤٧ - أسماء المغتالين من الأشراف: لمحمد بن حبيب. طبع فى نوادر المخطوطات ٢: ١٠٥.

٤٨ - الأسماء المفردة: لأبى بكر أحمد بن هارون بن روح، البرديجى، المتوفى سنة ٣٠٠. رسالة مخطوطة فى المكتبة الخالدية بالقدس.

٤٩ - الأسماء والكنى: للحافظ الحاكم محمد بن محمد النيسابورى.

Marfat.com

٥٠ - أسواق العرب فى الجاهلية والإسلام: لسعيد الأفغانى. طبع فى دمشق ١٣٥٦/١٩٣٧.

٥١ - الاستدراك، لأبى بكر محمد بن عبد الغنى بن نقطة، المتوفى ٦٢٩ هـ. نسخة الظاهرية (٤٢٩) ونسخة دار الكتب المصرية (١٠).

٥٢ - الاشتقاق: لابن دريد الأزدى. طبع فى جوتنجن ١٨٥٤.

٥٣ - الإشراف فى منازل الأشراف: لابن أبى الدنيا. دار الكتب العلمية. بيروت. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا.

٥٤ - إشراق التواريخ: لمحمد البركوى. مخطوط فى مكتبة البلدية بالإسكندرية.

٥٥ - الإصابة فى تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلانى. أربعة مجلدات. طبع بمصر ١٣٥٨/١٩٣٩. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٥٦ - الأصمعيات: اختيار الأصمعى. طبع فى مصر ١٣٧٥/١٩٥٥.

٥٧ - إعجام الأعلام: لمحمود مصطفى. طبع فى مصر ١٣٥٤/١٩٣٥. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٥٨ - الأعلام الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة: لمحمد بن على بن شداد. والجزء الثانى منه فى «تاريخ مدينة دمشق». طبع بها ١٣٧٥/١٩٥٦.

٥٩ - الأعلاق النفيسة: لابن رسته. طبع فى ليدن ١٨٩١.

٦٠ - أعلام الأدب والفن: لأدهم الجندى. طبع بدمشق ١٩٥٤.

٦١ - الإعلام بتاريخ الإسلام : لأبى بكر بن أحمد، ابن قاضى شهبة الأسدى، المتوفى سنة ٨٥١هـ.

٦٢ - الإعلام بفضائل الشام: لأحمد بن على المنينى. طبع فى القدس.

٦٣ - الإعلام بما وقع فى مشتبه الذهبى من الأوهام: جردها من توضيح المشتبه مؤلفهما محمد بن أبى بكر عبد الله بن محمد، المعروف بابن ناصر الدين. مخطوط كُتب سنة ٨٢٩. فى المكتبة العربية بدمشق.

٦٤ - الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام: لعباس (بن محمد بن محمد) بن إبراهيم المراكشى. خمسة مجلدات منه، طبعت بفاس ابتداء من سنة ١٩٣٦.

٦٥ - الإحسان فى ترتيب صحيح ابن حبان، لأبى الحسن على بن بلبان الفارسى المتوفى (٧٣٩ هـ)، طبع دار الكتب العلمية. بيروت.

٦٦ - أعلام الجيش والبحرية فى مصر، أثناء القرن التاسع عشر: للبكباشى عبد الرحمن زكى الجزء الأول. طبع بمصر ١٣٦٦هـ.

Marfat.com

٦٧ - إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين: لمحمد بن على بن طولون. رسالة طبعت فى دمشق ١٣٤٨هـ.

٦٨ - الأعلام الشرقية فى المائة الرابعة عشرة الهجرية: لزكى محمد مجاهد. ثلاثة أجزاء منه. طبع بمصر ١٣٦٨-١٣٧٤هـ.

٦٩ - إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء: لمحمد راغب الطباخ الحلبى. سبعة مجلدات. طبع فى حلب ١٣٤٢هـ.

٧٠ - أعلام النساء: لعمر رضا كحالة. ثلاثة مجلدات. طبع فى دمشق ١٣٥٩هـ.

٧١ - الإعلان بالتواريخ لمن ذم التاريخ: للسخاوى. طبع بدمشق ١٣٤٩هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٧٢ - أعمار الأعيان: لأبى الفرج ابن الجوزى. رسالة مخطوطة، كتبت سنة ٥٩٢ وقرئت على مؤلفها.

٧٣ - أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام: للسان الدين ابن الخطيب. فصل منه نشره حسن حسنى عبد الوهاب. طبع فى باليرمو ١٩١٠.

٧٤ - الأغانى: لأبى الفرج الأصفهانى. طبعة الساسى بمصر ٢١ جزءًا، عدا الفهارس وهى ٤ أجزاء. سنة ١٣٢٣. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٧٥ - الآداب، للإمام البيهقى، المتوفى (٤٥٨ هـ) تحقيق محمد عبد القادر عطا، طبع دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٦ - الاغتباط بتراجم أعلام الرباط: لأبى عبد الله محمد بوجندار الرباطى. مخطوط، جزآن فى مجلد واحد. نسخة عبد الله بن العباس الجرارى، فى الرباط.

٧٧ - اكتفاء القنوع بما هو مطبوع: لإدوارد فنديك. طبع بمصر ١٣١٣/١٨٩٦.

٧٨ - الإكليل: للهمدانى. الجزء الثامن. طبع فى بغداد ١٩٣١ وفى برنستن ١٩٤٠.

٧٩ - الإكمال فى رفع الارتياب عن المختلف والمؤتلف من الأسماء والكنى والأنساب: للأمير على بن هبة الله بن ماكولا. مخطوط فى مجلدين ضخمين. كتب سنة ٥٩١ هـ. وطبع بدار الكتب العلمية. بيروت.

٨٠ - أحكام القرآن لابن العربى، تحقيق محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية. بيروت.

٨١ - أحوال الرجال، لأبى إسحاق إبراهيم بن يعقوب الجوزجانى المتوفى سنة ٢٥٩ هـ، تحقيق صبحى السامرائى مؤسسة الرسالة ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.

Marfat.com

٨٢ - ألقاب الشعراء ومن يعرف منهم بامه: لمحمد بن حبيب . طبع بمصر ١٣٧٤/١٩٥٤ (فى نوادر المخطوطات ٢:٢٧٩).

٨٣ - الأمالى: لإسماعيل بن القاسم القالى. جزآن. طبع فى مصر ١٣٤٤/١٩٢٦. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٨٤ - إمتاع الأسماع: للمقريزى. المجلد الأول منه. طبع فى القاهرة ١٩٤١.

٨٥ - الإمتاع والمؤانسة: لأبى حيان التوحيدى. ثلاثة أجزاء. طبع بمصر ١٩٣٩.

٨٦ - أمثال العرب: للمفضل الضبى. طبع بالآستانة ١٣٠٠هـ.

٨٧ - أمراء دمشق فى الإسلام: لصلاح الدين الصفدى. من مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق ١٣٧٤/١٩٥٥.

٨٨ - أنباء الزمن فى تاريخ اليمن: ليحيى بن الحسين بن الإمام القاسم، المتوفى بعد سنة ١٠٩٩هـ. مخطوط مرتب على السنين . فى دار الكتب المصرية. تجد وصفه فى فهرسها (٥:٣٩) باسم «أنباء الزمن» كذا، والذى فى نهايته: «المسمى بأنباء الزمن» ابتداه بمولد النبى ﷺ وختمه بأخبار سنة ١٠٤٦هـ، وأنجز تأليفه سنة ١٠٦٥ .

٨٩ - الأنساب: للسمعانى. طبع بالزنكوغراف، بليدن ١٩١٢. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٩٠ - أنساب الخيل: لابن الكلبى. طبع فى مصر ١٩٤٦.

٩١ - الأنساب المتفقة فى الخط، المتماثلة فى النقط والضبط: لابن القيسرانى. طبع فى ليدن ١٨٦٥.

٩٢ - إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون: لعلى بن برهان الدين الحلبى. يعرف بالسيرة الحلبية. ثلاث مجلدات. طبع بمصر ١٢٩٢هـ.

٩٣ - الأنيس المطرب القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاج مدينة فاس: لأبى عبد الله محمد بن عبد الحليم المعروف بابن أبى زرع. مطبوع على الحجر بفاس ١٣٠٥هـ.

٩٤ - أيام العرب فى الجاهلية: لمحمد أحمد جاد المولى، وعلى البجاوى، ومحمد أبى الفضل إبراهيم. طبع فى مصر ١٣٦١/١٩٤٢.

٩٥ - إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون: لإسماعيل باشا بن محمد أمين البابانى البغدادى. مجلدان. طبع فى استانبول، الأول ١٣٦٤/١٩٤٥ والثانى ١٣٦٦/١٩٤٧.

٩٦ - بحر الأنساب، المسمى بالمشجر الكشاف لأصول السادة الأشراف: لمحمد بن أحمد بن عميد الدين الحسينى النجفى. طبع بمصر، على الحجر ١٣٥٦هـ.

Marfat.com

٩٧ - البحر الزاخر فى تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر: لمحمود فهمى المهندس. أربعة أجزاء. طبع فى بولاق ١٣١٢-١٣١٣هـ.

٩٨ - البخلاء: للجاحظ. طبع بمصر ١٩٤٨. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٩٩ - البدء والتاريخ: المنسوب لأحمد بن سهل البلخى، وهو لمطهر بن طاهر المقدسى. ستة أجزاء. طبع فى شالون ١٩١٦.

١٠٠ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور: لابن إياس. ثلاثة أجزاء. طبع بمصر ١٣١١هـ. والرابع والخامس منه: طبعا فى استامبول ١٩٣١و١٩٣٢.

١٠١ - البداية والنهاية فى التاريخ: لابن كثير. أربعة عشر جزءًا. طبع فى مصر ١٣٥١-١٣٥٨هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.

١٠٢ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: للشوكانى مجلدان. طبع بمصر ١٣٤٨هـ.

١٠٣ - بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبد الواد: ليحيى بن محمد بن خلدون. مجلدان. طبع فى الجزائر مع ترجمة فرنسية ١٣٢١/١٩٠٣.

١٠٤ - بغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيد: لعبد الرحمن بن على الشيبانى المعروف بابن الديبع. مطبوع بالكويت.

١٠٥ - بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس: لابن عميرة الضبى. طبع فى مجريط ١٨٨٤. ودار الكتب العلمية. بيروت.

١٠٦ - بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة: لجلال الدين السيوطى. طبع بمصر ١٣٢٦هـ.

١٠٧ - بلاغات النساء: لأحمد بن طيفور. طبع بمصر ١٣٢٦/١٩٠٨.

١٠٨ - بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب: لمحمود شكرى الآلوسى البغدادى. الطبعة الثانية، بمصر ١٣٤٢/١٩٢٤ ثلاثة أجزاء. ودار الكتب العلمية. بيروت.

١٠٩ - بلوغ المرام، فى شرح مسك الختام، فى من تولى ملك اليمن من ملك وإمام: لحسين بن أحمد العرشى. ختم حوادثه سنة ١٣١٨هـ، وزاد عليه الأب أنستاس مارى الكرملى، فأوصله إلى ١٣٥٨هـ. طبع بمصر ١٩٣٩.

١١٠ - بهجة الناظرين إلى تراجم المتأخرين من الشافعية البارعين: لمحمد بن أحمد بن عبد الله الغزى الشافعى الدمشقى. مخطوط. فى الظاهرية بدمشق.

١١١ - البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب: للمقريزى. رسالة طبعت بمصر ١٣٣٤/ ١٩١٦. ودار الكتب العلمية. بيروت.

Marfat.com

١١٢ - البيان والتبيين: للجاحظ. أربعة أجزاء. طبع فى مصر ١٣٦٧ - ١٣٦٩ هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.

١١٣ - البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب: لابن عذارى المراكشى. أربعة أجزاء، الأول والثانى طبعة ليدن ١٩٤٨و١٩٥١ والثالث طبعة باريس ١٩٣٠ والرابع طبعة تطوان ١٩٥٦.

١١٤ - تاج التراجم: لقاسم بن قطلوبغا الحنفى. مخطوط ناقص الآخر. فى المكتبة الخالدية بالقدس. (طبع فى ليبسيك ١٨٦٢).

١١٥ - تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد مرتضى الزبيدى. عشر مجلدات. طبع بمصر ١٣٠٦-١٣٠٧هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.

١١٦ - تاج اللغة وصحاح العربية: للجوهرى. مجلدان. طبع بمصر ١٢٨٢هـ.

١١٧ - تاريخ دمشق، لأبى القاسم على بن الحسين بن هبة الله المعروف بابن عساكر المتوفى ٥٧١ هـ، نسخة الظاهرية (تاريخ ١، ٢).

١١٨ - تاريخ آداب العرب: لمصطفى صادق الرافعى. ثلاثة أجزاء طبع اثنان منها بمصر ١٣٣٠ - ١٣٣٢ هـ. ثم طبع الثالث بعد وفاة مؤلفه.

١١٩ - تاريخ الآداب العربية، فى الربع الأول من القرن العشرين: للويس شيخو. طبع فى بيروت ١٩٢٦.

١٢٠ - تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عُصر بنى أمية: محاضرات لكارلو نالينو. نسقتها وترجمت بعض حواشيها الإيطالية إلى العربية، ابنته مريم نالينو. طبع فى مصر ١٩٥٤.

١٢١ - تاريخ الآداب العربية من نشأتها إلى أيامنا: للفيف من الأساتذة بمدارس والفرير. طبع بالإسكندرية ١٩٢٥هـ.

١٢٢ - تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام: للذهبى طبع منه بمصر، خمسة أجزاء.

١٢٣ - تاريخ الأمم والملوك: لابن جرير الطبرى. ودار الكتب العلمية. بيروت.

١٢٤ - تاريخ الأمير حيدر أحمد الشهابى: المسمى بالغرر الحسان فى تواريخ حوادث الأزمان ثلاثة أجزاء. طبع بمصر ١٩٠٠.

١٢٥ - تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين: ليوسف أشباخ (الألمانى). ترجمه وعلق عليه محمد عبد الله عنان. جزآن. طبع بمصر ١٣٥٩/١٩٤٠.

١٢٦ - تاريخ بغداد: للخطيب البغدادى. أربعة عشر مجلدًا. طبع بمصر ١٣٤٩هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.

١٢٧ - تاريخ حماة: لأحمد الصابونى. طبع فى حماة ١٣٣٢هـ. وأعيد طبعه فيها ١٩٥٦ معلقًا عليه، ومصدرًا بترجمة لمؤلفه.

١٢٨ - تاريخ الحياة النيابية فى مصر: لمحمد خليل صبحى. ستة أجزاء. أخذت عن الجزء السادس منها، وهو مطبوع بمصر ١٩٣٩.

١٢٩ - تاريخ الخط العربى وآدابه: لمحمد طاهر بن عبد القادر الكردى المكى الخطاط. طبع فى مصر ١٣٥٨/١٩٣٩.

١٣٠ - تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس: لحسين بن محمد الديار بكرى. مجلدان. طبع فى مصر ١٢٨٣هـ.

١٣١ - تاريخ دولة المماليك فى مصر: لوليم موير. ترجمه إلى العربية محمود عابدين وسليم حسن. طبع بمصر ١٣٤٢ هـ.

١٣٢ - تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية: لمحمد بن إبراهيم اللولوى المعروف بالزركشى. طبع بتونس ١٢٨٩هـ.

١٣٣ - تاريخ السلطان سليم مع قانصوه الغورى: لأحمد بن زنبل الرمال. طبع بمصر ١٢٧٨.

١٣٤ - تاريخ السليمانية: لمحمد أمين زكى. طبع ببغداد ١٣٧٠/١٩٥١.

١٣٥ - تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء: لحمزة بن الحسن الأصفهانى. طبع فى برلين ١٣٤٠هـ.

١٣٦ - تاريخ السودان: لعبد الرحمن عبد الله بن عمر السعدى. طبع فى باريس ١٨٩٨.

١٣٧ - تاريخ الشعراء الحضرميين: لعبد الله بن محمد بن حامد السقاف. خمسة أجزاء. طبع بمصر ابتداء من ١٣٥٣هـ.

١٣٨ - تاريخ الشعوب الإسلامية: لكارل بروكلن. نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكى. خمسة أجزاء. طبع فى بيروت ١٩٤٨-١٩٥٠.

١٣٩ - تاريخ طرابلس الغرب، المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس، وما كان بها من الأخبار: وهو شرح لمحمد بن خليل غلبون الطرابلسى، على قصيدة أحمد بن عبد الدائم الأنصارى. طبع فى مصر ١٣٤٩هـ.

١٤٠ - تاريخ العرب قبل الإسلام: لجواد على. طبع منه سبعة مجلدات، ببغداد ١٩٥٠-١٩٥٨.

١٤١ - تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب: لروحى الخالدى. طبع بمصر ١٩١٢.

Marfat.com

١٤٢ - تاريخ علماء الأندلس: لابن الفرضى. جزآن . طبع فى مدريد ١٨٩٠. ودار الكتب العلمية. بيروت.

١٤٣ - تاريخ علماء أهل مصر: لأبى القاسم يحيى بن على بن الطحان. جزء صغير منه. مخطوط فى المكتبة الظاهرية بدمشق.

١٤٤ - تاريخ علماء بغداد، المسمى منتخب المختار: لمحمد بن رافع السلامى، ذيل به على تاريخ ابن النجار. انتخبه التقى الفاسى المكى. طبع ببغداد ١٣٥٧/١٩٣٨.

١٤٥ - تاريخ فتح الأندلس: لابن القوطية. قطعة منه طبعت بمصر.

١٤٦ - تاريخ الفتح العربى فى ليبيا: للطاهر أحمد الزاوى الطرابلسى. طبع فى مصر ١٣٧٣/١٩٥٤.

١٤٧ - تاريخ ابن الفرات: لمحمد بن عبد الرحيم بن الفرات. المجلدات ٧، ٨، ٩ طبعت فى بيروت ١٩٣٦-١٩٤٢.

١٤٨ - تاريخ القادرى: لمحمد بن الطيب القادرى الحسنى. مخطوط فى جزء واحد، مرتب على السنين. اختصره من كتابه «التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر فى أخبار أعيان أهل المائة الحادية والثانية عشر» الذى جعله ذيلاً لكتاب لقط الفرائد لابن القاضى ذيل كتاب شرف الطالب لابن الخطيب القسطنينى. فى الخزانة العامة بالرباط، رقم د١٨٤.

١٤٩ - تاريخ ابن قاضى شهبة: لتقى الدين أبى بكر ابن قاضى شهبة الأسدى. مرتب على السنين للحوادث والوفيات، يبدأ بحوادث ٧٤١ وينتهى بنهاية ٧٨٥هـ. مخطوط فى مجلدين. كتب سنة ٨٠٤ على يد على بن موسى بن محمد بن القابونى. أوله بعد البسملة: «رب يسر وأعن يا كريم الحمد لله مميت الأحياء ومحيى الأموات، ومبدى الأشياء ومبيد البريات». مخطوط محفوظ فى معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية.

١٥٠ - تاريخ القضاء فى الإسلام: لمحمود عرنوس. طبع فى مصر ١٣٥٢/١٩٣٤.

١٥١ - تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها. مخطوط.

١٥٢ - تاريخ المساجد الأثرية (فى مصر) : لحسن عبد الوهاب. طبع بمصر ١٩٤٦.

١٥٣ - تاريخ مصر: لعمر الإسكندرى وسفدج. جزآن. طبع بمصر ١٩١٥.

١٥٤ - تاريخ مصر فى عهد الخديوى إسماعيل: لإلياس الأيوبى. مجلدان. طبع بمصر ١٣٤١/١٩٢٣.

١٥٥ - تاريخ الموصل: لابن إياس الأزدى. مخطوط.

١٥٦ - تاريخ الموصل: لسليمان صائغ الموصلى. جزآن. طبع الأول فى مصر ١٩٢٣ والثانى فى بيروت ١٩٢٨.

١٥٧ - تاريخ نجد الحديث وملحقاته: تأليف أمين الريحانى. طبع فى بيروت ١٩٢٨.

Marfat.com

١٥٨ - تاريخ نصارى العراق: لرفائيل أبو إسحاق . طبع فى بغداد ١٩٤٨ .

١٥٩ - تاريخ اليعقوبى: لأحمد بن إسحاق بن واضح اليعقوبى. ثلاثة أجزاء. طبعة النجف ١٣٥٨هـ.

١٦٠ - التبر المسبوك فى ذيل السلوك: للسخاوى. طبع بمصر ١٨٩٦ .

١٦١ - التبيان فى تخطيط البلدان: لإسماعيل رأفت. طبع بمصر ١٣٢٩هـ.

١٦٢ - تتمة اليتيمة: لأبى منصور الثعالبى. جزآن صغيران. طبع فى طهران ١٣٥٣هـ.

١٦٣ - تحفة الأحباب وبغية الطلاب فى الخطط والمزارات: لعلى بن أحمد السخاوى. طبع بمصر ١٣٥٦هـ.

١٦٤ - تحفة الإخوان: لعبد الله بن عبد الكريم الجرافى. طبع بمصر ١٣٦٥هـ.

١٦٥ - تحفة الأديب بأسماء سلاطين مخلديب: لمحمد سعيد ديدى. طبع بمصر ١٣٥٤هـ.

١٦٦ - تحفة الأعيان فى سيرة أهل عمان: لعبد الله بن حميد السالمى. جزآن طبع أولهما سنة ١٣٣٢ والثانى ١٣٤٧ بمصر .

١٦٧ - تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء: لهلال بن المحسن الصابى. طبع فى بيروت ١٩٠٤.

١٦٨ - تحفة الدهر ونفحة الزهر فى أعيان المدينة من أهل العصر: لعمر بن المدرس عبد السلام الداغستانى المدنى. مخطوط.

١٦٩ - تحفة ذوى الأرب: لابن خطيب الدهشة. طبع بليدن ١٩٠٥ .

١٧٠ - تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين: لعبد الله الشرقاوى. طبع بمصر على هامش «أخبار الأول» للإسحاقى ١٣٠٣هـ.

١٧١ - تذكرة الحفاظ: للذهبى. أربعة أجزاء. طبع فى حيدر آباد ١٣٣٣-١٣٣٤هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.

١٧٢ - التذكرة الكمالية مخطوط فى الخزانة التيمورية بدار الكتب بمصر.

١٧٣ - تذكرة النسيان، فى أخبار ملوك السودان: طبع مع ترجمة فرنسية، فى باريس ١٨٩٩-١٩٠١ .

١٧٤ - تذكرة النوادر من المخطوطات العربية: رتبت وطبعت بأمر جمعية دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ١٣٥٠هـ.

١٧٥ - تراث الإسلام: لجمهرة من المستشرقين، بإشراف توماس أرنولد. ترجمه إلى العربية جرجيس فتح الله. جزآن. طبع فى الموصل ١٩٥٤ .

١٧٦ - تراجم الأعيان، من أبناء الزمان: للحسن بن محمد البورينى. مخطوط، فى دار الكتب المصرية.

١٧٧ - تراجم بعض أعيان دمشق: لعبد الرحمن بن شاشو. طبع ببيروت ١٨٨٦.

١٧٨ - تراجم علماء طرابلس وأدبائها: لعبد الله حبيب نوفل، طبع فى طرابلس ١٩٢٩.

١٧٩ - تراجم مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر: لجرجى زيدان. جزآن. طبع فى مصر ١٩٢٢.

١٨٠ - ترتيب المدارك، وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك: للقاضى عياض، مجلدان.

١٨١ - تقريب التهذيب: لابن حجر العسقلانى. طبع فى دلهى ١٢٩٠هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.

١٨٢ - تقويم البلدان: للملك المؤيد أبى الفداء إسماعيل بن على بن أيوب. طبع فى باريس ١٨٤٠.

١٨٣ - التكملة لوفيات النقلة: إملاء الحافظ زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى. مخطوط.

١٨٤ - تلخيص مجمع الآداب: لابن الفوطى. مخطوطة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، عن نسخة فى الظاهرية بدمشق، بخط المؤلف.

١٨٥ - تلفيق الأخبار، وتلقيح الآثار، فى وقائع قزان وبلغار وملوك التتار: تأليف م.م. الرمزى. مجلدان. طبع فى أورنبورغ ١٩٠٨.

١٨٦ - تلقيح فهوم أهل الأثر، فى عيون التاريخ والسير: لابن الجوزى. طبع مختصرًا فى ليدن ١٨٩٢ وكاملاً فى دلهى ١٢٨٦/١٨٦٩.

١٨٧ - تمام المتون، فى شرح رسالة ابن زيدون: لصلاح الدين الصفدى. طبع فى دمشق ١٣٢٧هـ.

١٨٨ - التنبيه، على أوهام أبى على فى أماليه: لأبى عبيد، عبد الله بن عبد العزيز البكرى. طبع بمصر مع كتاب «ذيل الأمالى والنوادر» ١٣٤٤/١٩٢٦.

١٨٩ - التنبيه والإشراف: للمسعودى. طبع بمصر ١٣٥٧/١٩٣٨.

١٩٠ - التنبيه والإيقاظ، لما فى ذيول تذكرة الحفاظ: لأحمد رافع الطهطاوى. طبع بدمشق ١٣٤٨هـ.

١٩١ - التنقيح، لألفاظ الجامع الصحيح: لبدر الدين الزركشى مطبوع.

١٩٢ - تهذيب الأسماء واللغات: لأبى زكريا النووى. طبع بمصر. أربعة أجزاء. ودار الكتب العلمية. بيروت.

Marfat.com

١٩٣ - تهذيب الكمال، لأبى الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزى، المتوفى ٧٤٢هـ. النسخة المصورة بواسطة دار المأمون للتراث بدمشق، عن نسخة دار الكتب المصرية المخطوطة.

١٩٤ - تهذيب مستمر الأوهام، لأبى نصر على بن هبة الله بن جعفر الأمير ابن ماكولا، المتوفى ٤٧٨ هـ، نسخة معهد المخطوطات بالقاهرة (تاريخ ١٩٠) عن نسخة تركيا.

١٩٥ - تهذيب تاريخ ابن عساكر: لعبد القادر بدران. طبع منه سبعة أجزاء، فى دمشق ١٣٢٩-١٣٥١هـ.

١٩٦ - تهذيب التهذيب: لابن حجر العسقلانى. اثنا عشر جزءًا. طبع فى حيدر آباد الدكن ١٣٢٥-١٣٢٧هـ.

١٩٧ - التوفيقات الإلهامية: فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنكية والقبطية: لمحمد مختار باشا. طبع فى بولاق ١٣١١ هـ.

١٩٨ - الثغر الباسم فى مناقب أبى القاسم: لأحمد رافع الطهطاوى، فى تراجم أسرته طبع بمصر ١٣٣٣هـ.

١٩٩ - الثمرة البهية: لمحمد بن سالم الحنفى. رسالة فى أسماء أهل بدر. طبعت بمصر.

٢٠٠ - الجامع لأحكام القرآن ، المعروف بتفسير القرطبى: عشرون جزءًا . طبع فى مصر ١٣٥٤-١٣٦٩هـ. ودار الكتب العلمية بيروت.

٢٠١ - جامع التصانيف المصرية الحديثة، من ١٣٠١ إلى ١٣١٠هـ: لعبد الله الأنصارى. رسالة طبعت بمصر ١٣١٢هـ.

٢٠٢ - جامع التواريخ، المسمى بكتاب «نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة»: للمحسن ابن على بن أبى الفهم التنوخى. طبع الأول منه بمصر ١٩٢١ والثانى والثامن بدمشق ١٣٤٨/١٩٣٠ .

٢٠٣ - جامع العلوم، الملقب بدستور العلماء فى اصطلاحات العلوم والفنون: لعبد النبى بن عبد الرسول الأحمد نكرى: أربعة أجزاء . طبع فى حيدر آباد ١٣٢٩-١٣٣١هـ.

٢٠٤ - جامع كرامات الأولياء: ليوسف النبهانى. مجلدان. طبع بمصر ١٣٢٩هـ.

٢٠٥ - جامع مسانيد الإمام الأعظم أبى حنيفة: لمحمد بن محمود الخوارزمى. جزآن. طبع فى حيدر آباد ١٣٣٢هـ.

٢٠٦ - جذوة الاقتباس، فيمن حل من الأعلام مدينة فاس: لابن القاضى. طبع بفاس، على الحجر ١٣٠٩هـ.

٢٠٧ - جذوة المقتبس، فى ذكر ولاة الأندلس: للحميدى. طبع بمصر ١٩٥٢/١٣٧٢. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٢٠٨ - الجرح والتعديل: لعبد الرحمن بن محمد الرازى. أربعة مجلدات ضخمة. طبع فى ثمانية أجزاء، فى حيدر آباد ١٩٥٢/١٣٧١-١٩٥٣/١٣٧٣. ودار الكتب العلمية بيروت.

٢٠٩ - جزيرة العرب فى القرن العشرين: لحافظ وهبة. طبع بمصر ١٩٣٥/١٣٥٤.

٢١٠ - الجمل، أو النصرة فى حرب البصرة: لمحمد بن محمد بن النعمان العكبرى، المعروف بالشيخ المفيد. طبع فى النجف ١٣٦٨هـ.

٢١١ - جمهرة أشعار العرب: لابن أبى الخطاب. طبع بمصر ١٣٠٨هـ.

٢١٢ - جمهرة اللغة: لابن دريد، أربعة مجلدات، الأخير منها فهارس. طبع فى حيدر آباد ١٣٤٤-١٣٥١هـ.

٢١٣ - الجواهر المضية فى طبقات الحنفية: لعبد القادر بن محمد القرشى. مجلدان. طبع فى حيدر آباد ١٣٣٢هـ.

٢١٤ - حديقة الأفراح، لإزالة الأتراح: لأحمد بن محمد الشروانى اليمنى. طبع فى بولاق ١٢٨٢هـ.

٢١٥ - حسن البيان، عما بلغته إفريقية فى الإسلام من السطوة والعمران: لمحمد النيفر. الجزء الأول. طبع فى تونس ١٣٥٣هـ.

٢١٦ - حسن الصحابة ، فى شرح أشعار الصحابة: لعلى فهمى الموستارى. طبع الأول منه بالآستانة ١٣٢٤ رومية.

٢١٧ - حسن المحاضرة، فى أخبار مصر والقاهرة: لجلال الدين السيوطى. جزآن . طبع بمصر ١٢٩٩هـ.

٢١٨ - حضارة الإسلام، فى دار السلام: لجميل نخلة المدور. طبع بمصر ١٣٢٣هـ.

٢١٩ - الحضارة الإسلامية، فى القرن الرابع الهجرى: لأدم متز. ترجمه إلى العربية محمد عبد الهادى أبو ريدة. جزءان. طبع بمصر ١٩٤٧/١٣٦٦.

٢٢٠ - حضارة العرب: لجوستاف لوبون. نقله إلى العربية عادل زعيتر. طبع بمصر ١٩٤٨/١٣٦٧.

٢٢١ - حقائق الأخبار، عن دول البحار: لإسماعيل سرهنك. مجلدان وقسم من

الثالث. طبع بمصر ١٣١٤-١٣٤١هـ.

٢٢٢ - الحقيقة والمجاز، فى رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز: لعبد الغنى النابلسى. مخطوط فى ثلاثة أجزاء، الأول فى بقاع الشام، والثانى فى زيادات مصر، والثالث فى ديار الحجاز.

٢٢٣ - الحلل السندسية، فى الأخبار والآثار الأندلسية: لشكيب أرسلان. طبع منه ثلاثة مجلدات بمصر ١٣٥٥-١٣٥٨هـ.

٢٢٤ - الحلل السندسية، فى الأخبار التونسية: لمحمد بن محمد الوزير. قطعة من الجزء الأول منه. طبعت فى تونس ١٢٨٧هـ.

٢٢٥ - الحلل الموشية، فى ذكر الأخبار المراكشية : للسان الدين ابن الخطيب (كذا) طبع فى تونس ١٣٢٩/١٩١١.

٢٢٦ - الحلة السيراء: لابن الأبار. قطعة منه. طبعت فى ليدن ١٨٤٧-١٨٥١.

٢٢٧ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأبى نعيم الأصبهانى. عشرة مجلدات. طبع بمصر ١٣٥١هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٢٢٨ - حلية البشر، فى تاريخ القرن الثالث عشر: لعبد الرزاق البيطار. مخطوط فى مكتبته بدمشق ثلاثة مجلدات.

٢٢٩ - الحماسة: لابن الشجرى. طبع فى حيدر آباد ١٣٤٥هـ.

٢٣٠ - حوادث الدهور، فى مدى الأيام والشهور: لابن تغرى بردى. منتخبات منه. أربعة أجزاء. طبعت فى بركلى (كليفورنيا) ١٩٣٠.

٢٣١ - الحور العين: لنشوان الحميرى. طبع بمصر ١٩٤٨.

٢٣٢ - الحيوان: للجاحظ. جزآن طبع بمصر ١٣٢٣-١٣٢٤هـ. ودار الكتب العلمية بيروت.

٢٣٣ - الخطط التوفيقية الجديدة: لعلى مبارك. عشرون جزءًا. طبع بمصر ١٣٠٤ - ١٣٠٦هـ.

٢٣٤ - خطط الشام: لمحمد كرد على. ستة أجزاء. طبع فى دمشق ١٣٤٣ - ١٣٤٧هـ.

٢٣٥ - خلاصة الأثر، فى أعيان القرن الحادى عشر: للمحبى. أربعة مجلدات. طبع بمصر ١٢٨٤هـ.

٢٣٦ - خلاصة تاريخ تونس: لحسن حسنى عبد الوهاب. طبع بتونس ١٣٧٣هـ.

٢٣٧ - خلاصة تاريخ العرب فى الأندلس: لشكيب أرسلان. انظر وآخر بنى سراج.

Marfat.com

٢٣٨ - دائرة المعارف: وتعرف بدائرة المعارف البستانية. أحد عشر مجلدًا. طبعت في بيروت ١٨٧٦ - ١٩٠٠.

٢٣٩ - دائرة المعارف الإسلامية: نقلها إلى العربية محمد ثابت الفندى، وأحمد الشنتناوى، وإبراهيم زكى خورشيد، وعبد الحميد يونس. طبع منها أحد عشر مجلدًا، في مصر ١٩٣٣ - ١٩٥٧.

٢٤٠ - دائرة معارف القرن الرابع عشر (العشرين): لمحمد فريد وجدى. عشرة أجزاء، طبعت في مصر ١٣٥٦/ ١٩٣٧.

٢٤١ - الدارس في تاريخ المدارس: لعبد القادر النعيمى الدمشقى. مجلدان. من مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق ١٣٦٧ - ١٣٧٠هـ. ودار الكتب العلمية بيروت.

٢٤٢ - الدر الثمين، في أدباء القرن العشرين: لعيسى إسكندر المعلوف. مخطوط.

٢٤٣ - در الحبب، في تاريخ أعيان حلب: لرضىّ الدين ابن الحنبلى. مخطوط، مصور في الخزانة التيمورية بمصر.

٢٤٤ - الدر الفريد، الجامع لمتفرقات الأسانيد: لعبد الواسع بن يحيى الواسعى. طبع في مصر ١٣٥٧هـ.

٢٤٥ - الدر الكمين، في علماء دمشق سنة ١٣٤٠: لمحمد جميل الشطى: رسالة بخطه، اشتملت على ٤٠ ترجمة. في المكتبة العربية بدمشق.

٢٤٦ - الدر المنتخب، في تاريخ المصريين والعرب: لأتربى أبى العز. الجزء الأول منه، طبع بمصر ١٣١١/ ١٨٩٤.

٢٤٧ - الدرر البهية، والجواهر النبوية في الفروع الحسنية والحسينية: لإدريس بن أحمد الحسنى العلوى. مجلدان. مطبوع على الحجر بفاس، بالخط المغربى، في حياة مؤلفه ١٣١٤هـ.

٢٤٨ - الدرر السنية، في أخبار السلالة الإدريسية: لمحمد بن على السنوسى الخطابى. طبع بمصر ١٣٤٩هـ.

٢٤٩ - الدرر الفاخرة، بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة: لعبد الرحمن بن زيدان الحسنى العلوى. طبع في الرباط ١٣٥٦/١٩٣٧.

٢٥٠ - الدرر الكامنة، في أعيان المائة الثامنة: لابن حجر العسقلانى: أربعة أجزاء. طبع في حيدر آباد ١٩٤٥ - ١٩٥٠. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٢٥١ - دمية القصر، وعصرة أهل العصر: لعلى بن الحسن الباخرزى. طبع في حلب ١٣٤٩ هـ.

Marfat.com

٢٥٢ - دول الإسلام للذهبى: جزآن فى مجلد. طبع فى حيدر آباد ١٣٣٧هـ.

٢٥٣ - الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب (المالكى): لابن فرحون. طبع بمصر ١٣٢٩ و١٣٥١هـ.

٢٥٤ - ديوان الإسلام: لشمس الدين الغزى. مخطوط. فى الخزانة التيمورية بمصر.

٢٥٥ - ديوان الحماسة: لأبى تمام. جزآن. طبعة مصر ١٣٣٥هـ.

٢٥٦ - ديوان المعانى: لأبى هلال العسكرى. جزآن. طبع بمصر ١٣٥٢هـ.

٢٥٧ - ديوان المفضليات: لأبى العباس المفضل بن محمد الضبى، مع شرحه لأبى محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنبارى. طبعة كارلوس يعقوب لايل. فى بيروت ١٩٢٠ مجلدان.

٢٥٨ - ذخائر العقبى، فى مناقب ذوى القربى: لمحب الدين أحمد بن عبد الله الطبرى. طبع بمصر ١٣٥٦ هـ.

٢٥٩ - ذخائر القصر، فى تراجم أبناء العصر: لابن طولون. مخطوط بمعهد المخطوطات فى جامعة الدول العربية.

٢٦٠ - الذخيرة، فى محاسن أهل الجزيرة: لعلى بن بسام. أقسام منه فى ثلاثة أجزاء، طبعت بمصر ١٣٥٨ - ١٣٦٤ هـ.

٢٦١ - ذخيرة الدارين، فيما يتعلق بسيدنا الحسين: للسيد عبد المجيد. طبع فى النجف (على الحجر) ١٣٤٥ هـ.

٢٦٢ - الذخيرة السنية، فى تاريخ الدولة المرينية: مجهول المصنف. كتب فى عصر السلطان يعقوب بن عبد الحق (فى القرن السابع للهجرة) طبع فى الجزائر ١٣٣٩هـ.

٢٦٣ - ذكر أخبار أصبهان: للحافظ أبى نُعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى. مجلدان. طبع فى ليدن ١٩٣١.

٢٦٤ - ذكريات مشاهير المغرب: لعبد الله كنون. سبع عشرة رسالة. طبعت فى تطوان.

٢٦٥ - الذهب المسبوك، فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك: رسالة للمقريزى. نشرت فى المجلد السادس من مجلة الحج بمكة. ثم طبعت مستقلة فى مصر ١٩٥٥.

٢٦٦ - الذيل على طبقات الحنابلة: لابن رجب. الجزء الأول منه. طبع فى بيروت ١٩٥١/١٣٧٠ ونشر كاملاً فى جزأين بمصر ١٣٧٢ هـ.

٢٦٧ - ذيل المذيّل فى تاريخ الصحابة والتابعين: لابن جرير الطبرى. مختارات منه. طبعت فى مصر ١٣٢٦ هـ، فى آخر كتابه «تاريخ الأمم والملوك».

Marfat.com

٢٦٨ - الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة: لمحمد بن محمد بن عبد الملك. ثلاثة أجزاء مخطوطة منه.

٢٦٩ - الرسالة القشيرية: لعبد الكريم بن هوزان القشيرى. طبعت بمصر ١٢٨٤ هـ.

٢٧٠ - رفع نقاب الخفا عمن انتمى إلى وفا وأبى الوفا: لمرتضى الحسينى الزبيدى. مخطوط فى عشرين ورقة.

٢٧١ - الروض الأنف، فى تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام: لعبد الرحمن بن عبد الله السهيلى. جزآن. طبع بمصر ١٣٣٢/١٩١٤.

٢٧٢ - الروض الباسم فى حوادث العمر والتراجم: لعبد الباسط بن خليل الملطى. طبعت فى الجزائر ١٩٣٦.

٢٧٣ - الروض المعطار فى أخبار الأقطار: لأبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد المنعم الحميرى.

٢٧٤ - روض المناظر، فى علم الأوائل والأواخر: لابن الشحنة. طبع على هامش الجزئين ١١، ١٢ من الكامل لابن الأثير، فى مصر ١٣٠٣ هـ، باسم «روضة المناظر».

٢٧٥ - الروض الهتون، فى أخبار مكناسة الزيتون: لمحمد بن أحمد بن غازى العثمانى المكناسى مطبوع على الحجر، بفاس ١٣٣١ هـ.

٢٧٦ - روضات الجنات فى أحوال العلماء والسادات: لمحمد باقر الموسوى الخوانسارى الأصبهانى أربعة أجزاء فى مجلد واحد. الطبعة الثانية على الحجر ١٣٤٧ هـ.

٢٧٧ - روضة الأفكار والأفهام، لمرتاد حال الإمام، وتعداد غزوات ذوى الإسلام: لحسين بن غنام. جزآن فى مجلد. طبع على الحجر فى بمى (غير مؤرخ) وأعادت المكتبة الأهلية (فى الرياض) طبعه بالحروف ١٣٦٨.

٢٧٨ - الروضة الفيحاء، فى تاريخ النساء: لياسين الخطيب العمرى. مخطوط فى الخزانة التيمورية بمصر.

٢٧٩ - الرياض النضرة فى مناقب العشرة: للمحب الطبرى. جزآن. طبع فى مصر ١٣٢٧هـ.

٢٨٠ - رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان وإفريقية (إلخ): للمالكى. الجزء الأول منه، طبع فى مصر ١٩٥١.

٢٨١ - ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا: للخفاجى. طبع فى مصر ١٢٧٣هـ.

٢٨٢ - زهرة الآس فى بناء مدينة فاس: لأبى الحسن على الجزنائى. طبع فى الجزائر ١٣٤١/١٩٢٣.

٢٨٣ - سراج الملوك: للطرطوشى. طبع بمصر ١٢٨٩هـ.

Marfat.com

٢٨٤ - سلك الدرر، فى أعيان القرن الثانى عشر: للمرادى. أربعة أجزاء. طبع بمصر ١٣٠١ هـ.

٢٨٥ - السلوك فى طبقات العلماء والملوك، ويعرف بطبقات الجندى: لمحمد بن يوسف الجندى اليمانى. مخطوط.

٢٨٦ - سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس، فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس: لمحمد بن جعفر الكتانى. ثلاثة أجزاء. طبع بفاس ١٣١٦هـ.

٢٨٧ - سمط اللآلى: يحتوى على «اللآلى فى شرح أمالى القالى» لأبى عبيد البكرى، جزآن فى مجلد متسلسل الأرقام، و«شرح ذيل الأمالى وصلة ذيله والتنبيه على الأغلاط المعدودة فيهما» فى جزء ثالث منفرد، و«فهارس سمط اللآلى» فى جزء آخر. نسَّقه وأكثر من التعليق عليه عبد العزيز الميمنى (الراجكوتى). طبع فى مصر ١٣٥٤/١٩٣٦.

٢٨٨ - سير النبلاء: للذهبى. مخطوط فى ١٥ مجلدًا.

٢٨٩ - سيرة أحمد بن طولون: لعبد الله بن محمد المدينى البلوى. طبع فى دمشق ١٣٥٨هـ.

٢٩٠ - السيرة النبوية: لابن هشام. «شرحها مصطفى السقا وإبراهيم الأبيارى وعبد الحفيظ شلبى». ودار الكتب العلمية. بيروت.

٢٩١ - شذا الند، فى تاريخ نجد: لمطلق بن صالح. مخطوط صغير.

٢٩٢ - شرح ديوان الحماسة: للتبريزى. أربعة أجزاء. طبع بمصر ١٢٩٦ هـ.

٢٩٣ - شرح شواهد المغنى: للسيوطى. طبع بمصر ١٣٢٢ هـ.

٢٩٤ - شرح نهج البلاغة: لابن أبى الحديد. أربعة مجلدات. طبع فى بيروت ١٣٧٤ هـ.

٢٩٥ - الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية: لطاشكبرى زاده. مطبوع على هامش وفيات الأعيان، طبعة مصر ١٣١٠ هـ.

٢٩٦ - صاحب الأغانى: لمحمد أحمد خلف الله. طبع فى مصر ١٩٥٣.

٢٩٧ - صبح الأعشى: للقلقشندى. أربعة عشر مجلدًا. طبع فى مصر ١٣٣١ - ١٣٣٨ هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٢٩٨ - صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار: لمحمد بن عبد الله بن بليهد النجدى. خمسة أجزاء. طبع فى مصر ١٣٧٠ - ١٣٧٢ هـ.

٢٩٩ - صفة جزيرة الأندلس: منتخبة من كتاب الروض المعطار، لمحمد بن عبد الله ابن عبد المنعم الحميرى. طبع بمصر ١٩٣٧.

Marfat.com

٣٠٠ - صفة جزيرة العرب: للهمدانى. طبع فى ليدن ١٨٨٤ ثم بمصر.

٣٠١ - صفوة الاعتبار، بمستودع الأمصار والأقطار: لمحمد بيرم (الخامس) خمسة أجزاء طبع بمصر ١٣٠٢ - ١٣١١ هـ.

٣٠٢ - صفوة العصر، فى تاريخ ورسوم مشاهير رجال مصر: لزكى فهمى. الجزء الأول. طبع بمصر ١٣٤٤/ ١٩٢٦.

٣٠٣ - صلة تاريخ الطبرى: لغريب بن سعد القرطبى. طبع فى مصر ١٣٢٦ باسم والجزء الثانى عشر، من تاريخ الطبرى.

٣٠٤ - صلة التكملة، فى وفيات النقلة: للحافظ أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسينى: مخطوط.

٣٠٥ - صلة الصلة: لابن الزبير. مخطوط فى مجلد.

٣٠٦ - صورة الأرض: لابن حوقل. طبع القسم الأول منه، فى ليدن ١٩٣٨.

٣٠٧ - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: للسخاوى. اثنا عشر جزءًا. طبع فى مصر ١٣٥٣.

٣٠٨ - الطالع السعيد، الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد: للأدفوى. طبع فى مصر ١٣٣٢/١٩١٤.

٣٠٩ - طبقات الأطباء والحكماء: لأبى داود سليمان بن حسان الأندلسى، المعروف بابن جلجل.

٣١٠ - طبقات الحفاظ: للسيوطى. دار الكتب العلمية بيروت.

٣١١ - طبقات الحنابلة: لابن أبى يعلى. جزآن. طبعة الفقى بمصر ١٣٧١/١٩٥٢.

٣١٢ - طبقات الشافعية: لأبى بكر بن هداية الله الحسينى الملقب بالمصنف. طبع فى بغداد.

٣١٣ - الطبقات الصغرى: لتاج الدين عبد الوهاب السبكى. مخطوط فى جزء واحد.

٣١٤ - طبقات فحول الشعراء: لمحمد بن سلام الجمحى. شرحه محمود محمد شاكر. طبع فى مصر ١٩٥٢. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٣١٥ - طبقات المفسرين: لمحمد بن على الداودى المالكى. طبع بدار الكتب العلمية. بيروت.

٣١٦ - طبقات النحاة واللغويين: لابن قاضى شهبة. مخطوط فى معهد المخطوطات.

٣١٧ - الطبقات الوسطى: لمحمد بن إبراهيم المناوى. مخطوط.

٣١٨ - عجائب الآثار فى التراجم والأخبار: ويعرف بتاريخ الجبرتى. مطبوع.

Marfat.com

٣١٩ - عدة الأديب: لسليم الجندى ومحمد الداوودى. ثلاثة أجزاء صغير. طبع فى دمشق ١٣٤٥/١٩٢٦.

٣٢٠ - العسجد المسبوك فى من تولى اليمن من الملوك: لأبى الحسن على بن الحسن الخزرجى الأنصارى. مخطوط.

٣٢١ - عصر سلاطين المماليك: لمحمود رزق سليم. أربعة أجزاء. طبع بمصر ١٣٦٦م - ١٣٦٩هـ.

٣٢٢ - العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين: لتقى الدين محمد بن أحمد الحسنى الفاسى. مخطوط فى مكتبة الحرم بمكة.

٣٢٣ - عقد الدرر، فيما وقع فى نجد من الحوادث فى آخر القرن الثالث عشر والرابع: جمعه إبراهيم بن صالح بن عيسى. طبع فى دمشق ١٣٧٢/١٩٥٢ صفحة.

٣٢٤ - العقد الفريد: لابن عبد ربه. سبعة أجزاء. سابعها للفهارس. طبع بمصر ١٣٥٩ - ١٣٧٢هـ.

٣٢٥ - العقد المفصل: لحيدر الحسينى الحلى. جزآن. طبع فى بغداد ١٣٣١ - ١٣٣٢هـ.

٣٢٦ - العقد المنظوم فى ذكر أفاضل الروم: للشقائق النعمانية. مطبوع على هامش الجزء الثانى من «وفيات الأعيان» فى مصر ١٣١٠هـ.

٣٢٧ - عقود الجمان، فى أيام آل سعود فى عمان: جمعه عبد الله بن صالح المطوع من أهالى بلدة الشارقة فى ساحل عمان، سنة ١٣٧٤هـ. مخطوط، فى ٢٢٠ صفحة.

٣٢٨ - عقود الجمان، فى شعراء هذا الزمان (أى عصر المؤلف): لابن الشعار، من أهل أواخر القرن السادس وأوائل السابع. مخطوط فى معهد المخطوطات بالقاهرة.

٣٢٩ - العمدة: لابن رشيق القيروانى. طبع بمصر ١٣٢٥/ ١٩٠٧.

٣٣٠ - عمدة الأخبار، فى مدينة المختار: لحمد بن عبد الحميد العباسى. نشره أسعد درابزونى، بمكة.

٣٣١ - عنوان الأريب، عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم أديب: لمحمد النيفر. جزآن. طبع فى تونس ١٣٥١ هـ.

٣٣٢ - عيون الأخبار: لابن قتيبة. أربعة مجلدات. طبع بمصر ١٣٤٣ - ١٣٤٩ هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٣٣٣ - غاية الأرب، فى خلاصة تاريخ العرب: ترجمه عن الفرنسية محمد بن أحمد ابن عبد الرزاق. طبع بمصر ١٢٨٩ هـ.

٣٣٤ - غاية المرام، فى رجال البخارى إلى سيد الأنام: لمحمد بن داود البازلى. مخطوط.

Marfat.com

٣٣٥ - غاية النهاية فى طبقات القراء: لشمس الدين أبى الخير ابن الجزرى. مجلدان. طبع بمصر ١٣٥١ هـ. ويسمى «طبقات القراء».

٣٣٦ - الفُلك المشحون فى أحوال محمد بن طولون: من تأليفه. طبع فى دمشق ١٣٤٨ هـ.

٣٣٧ - الفهرست: لأبى جعفر الطوسى. طبع فى النجف ١٣٥٦ هـ.

٣٣٨ - القاموس: للفيروزآبادى. أربعة أجزاء. طبع بمصر ١٣٣٠ هـ.

٣٣٩ - القاموس الجغرافى للبلاد المصرية: لمحمد رمزى. ثلاثة أجزاء منه. طبع فى مصر ١٩٥٣ - ١٩٥٨.

٣٤٠ - فنون العجائب، للنقاش ، نسخة دار الكتب المصرية.

٣٤١ - قبول الأخبار ومعرفة الرجال: لأبى القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود (الكعبى) البلخى. مخطوط.

٣٤٢ - قصص الأنبياء، المسمى بالعرائس (أو عرائس المجالس): لأحمد بن محمد الثعلبى. طبع فى مصر ١٢٨٢ هـ.

٣٤٣ - القلائد الجوهرية، فى تاريخ الصالحية: لابن طولون. جزآن. طبع فى دمشق ١٣٦٨/ ١٩٤٩.

٣٤٤ - قلائد العقيان، للفتح بن خاقان: طبعه سليمان الحرائرى، بباريس ١٢٧٧هـ. طبع مصر ١٢٨٣ هـ.

٣٤٥ - قلائد العقيان فى مفاخر دولة آل عثمان: لإبراهيم بن عامر بن على العبيدى المالكى.

٣٤٦ - الكافى، فى تاريخ مصر القديم والحديث: لميخائيل شاروبيم. أربعة أجزاء. طبع فى مصر ١٣١٥/ ١٨٩٨.

٣٤٧ - الكامل: لابن الأثير ١٢ جزءًا. طبع فى مصر ١٣٠٣ هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٣٤٨ - كتاب الروضتين، فى أخبار الدولتين: لأبى شامة. جزآن. طبع بمصر ١٢٨٧ هـ.

٣٤٩ - كتاب المعانى الكبير فى أبيات المعانى لابن قتيبة. مجلدان، متسلسلا الأرقام. طبع فى حيدر آباد ١٣٦٨/ ١٩٤٩.

٣٥٠ - كتاب المعمرين: لسهل بن محمد السجستانى. طبع بمصر ١٣٢٣ هـ.

٣٥١ - كشاف اصطلاحات الفنون: للتهانوى. مجلدان. طبع بالهند ١٨٦٢.

Marfat.com

٣٥٢ - كشف الأستار عن رجال معانى الآثار: للطحاوى. تلخيص رشد الله شاه السندهى. طبع على الحجر فى دلهلى ١٣٤٩ هـ.

٣٥٣ - كشف الحجب والأستار، عن أسماء الكتب والأسفار: لإعجاز حسين النيسابورى الكنتورى. طبع فى كلكتا ١٣٣٠ هـ.

٣٥٤ - كشف الظنون، عن أسامى الكتب والفنون: لمصطفى بن عبد الله الشهير بحاجى خليفة وبكاتب جلبى. مجلدان طبع فى استامبول ١٣٦٠/ ١٩٤١.

٣٥٥ - كشف النقاب، عما روى الشيخان للأصحاب: للحافظ خليل العلائى الشافعى، رسالة مخطوطة فى الخزانة البديرية بالقدس.

٣٥٦ - كشف النقاب عن وجه التلفظ بالكنى والألقاب: لمحمد بن إسماعيل الصفايحى التونسى.

٣٥٧ - الكنى والأسماء: للدولابى. جزآن. طبع فى حيدر آباد ١٣٢٢ هـ.

٣٥٨ - الكواكب الدرية، فى تراجم السادة الصوفية: لعبد الرءوف المناوى. الجزء الأول. طبع فى مصر ١٣٥٧ هـ.

٣٥٩ - الكواكب السائرة، فى أعيان المائة العاشرة: لنجم الدين الغزى. مخطوط فى مجلد ضخم. كتب سنة ١١٧٣ هـ.

٣٦٠ - لب الألباب: لمحمد صالح السهروردى. جزآن فى مجلد واحد متسلسل الأرقام. طبع فى بغداد ١٣٥١/ ١٩٣٣.

٣٦١ - لب اللباب، فى تحرير الأنساب: للسيوطى. طبع فى ليدن ١٨٦٠ - ١٨٦٢. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٣٦٢ - لب الآداب: لأسامة بن منقذ. طبع بمصر ١٣٥٤/ ١٩٣٥.

٣٦٣ - اللباب، فى تهذيب الأنساب: لابن الأثير (المؤرخ). ثلاثة أجزاء. طبع بمصر ١٣٥٦ - ١٣٦٩ هـ.

٣٦٤ - لسان العرب: لابن منظور. عشرون جزءًا. طبعة بولاق ١٣٠٠ - ١٣٠٨هـ.

٣٦٥ - لسان الميزان: لابن حجر العسقلانى. ستة أجزاء. طبع فى حيدر آباد ١٣٣١ هـ.

٣٦٦ - اللطائف، فى تاريخ الطائف: لحمد بن محمد بن أحمد الحضراوى. رسالة فى خمسة كراريس، مخطوط.

٣٦٧ - لطف السمر، وقطف الثمر، من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادى عشر: لنجم الدين الغزى. ذيل على كتابه «الكواكب السائرة» مخطوط فى ١١٦

Marfat.com

ورقة. فى معهد المخطوطات عن الأصل المحفوظ فى مكتبة أحمد عارف، بالمدينة.

٣٦٨ - لقط الفرائد: لابن القاضى. مخطوط مختصر.

٣٦٩ - مثير الوجد، فى معرفة أنساب ملوك نجد: لراشد بن على بن خُرَيس النجدى النعامى الحنبلى. رسالة مخطوطة.

٣٧٠ - مرآة الجنان: لليافعى. أربعة أجزاء. طبع فى حيدر آباد ١٣٣٧ - ١٣٣٩هـ.

٣٧١ - مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان: لسبط ابن الجوزى. مخطوط.

٣٧٢ - مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: لعبد المؤمن بن عبد الحق. ثلاثة مجلدات. طبعة بريل ١٨٥٢ - ١٨٥٤.

٣٧٣ - المرادفات من قريش: لأبى الحسن، على بن محمد المدائنى. رسالة طبعت بمصر ١٣٧٠/ ١٩٥١ (فى نوادر المخطوطات ١: ٥٧).

٣٧٤ - المزهر: لجلال الدين السيوطى. جزآن. طبعة بولاق ١٢٨٢ هـ.

٣٧٥ - مسالك الممالك: للاصطخرى. طبع فى ليدن ١٩٢٧.

٣٧٦ - مختصر المنتظم، (١٩٩٠ تاريخ) نسخة معهد المخطوطات بالقاهرة وكذلك (١٧٤٤ تاريخ).

٣٧٧ - مسامرات الظريف بحسن التعريف، تاريخ فقهاء الدولة الحسينية بتونس: لمحمد السنوسى. النصف الأول منه، مطبوع فى تونس.

٣٧٨ - المستطرف فى كل فن مستظرف: للأبشيهى. جزآن. طبع بمصر ١٢٧٢هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٣٧٩ - مطالع البدور فى منازل السرور: لعلاء الدين البهائى الغزولى. جزآن. طبع فى مصر ١٢٩٩ - ١٣٠٠ هـ.

٣٨٠ - المعارف: لابن قتيبة الدينورى. طبع فى مصر ١٣٥٣/ ١٩٣٤. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٣٨١ - معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى: للمستشرق زامباور. أخرجه جماعة برئاسة زكى محمد حسن. جزآن، متسلسلا الأرقام. طبع فى مصر ١٩٥١.

٣٨٢ - معجم البلدان: لياقوت الحموى. ثمانية أجزاء. طبع فى مصر ١٣٢٣ - ١٣٢٥ هـ ودار الكتب العلمية. بيروت.

٣٨٣ - معجم الشعراء: للمرزبانى. طبع فى مصر ١٣٥٤ هـ، ملحقًا بكتاب

«المؤتلف والمختلف» للآمدى.

٣٨٤ - معجم الشيوخ، المسمى رياض الجنة أو المدهش المطرب: لعبد الحفيظ الفاسى. جزآن. طبع فى الرباط ١٣٥٠ هـ.

٣٨٥ - المعزة فيما قيل فى المزة: لمحمد بن على بن طولون. رسالة طبعت فى دمشق ١٣٤٨ هـ.

٣٨٦ - المغنى، فى أسماء رجال الحديث: لمحمد طاهر الفتنى. طبع فى دلهى، على هامش «تقريب التهذيب» ١٢٩٠ هـ.

٣٨٧ - مقاتل الطالبيين: لأبى الفرج الأصفهانى. طبع فى مصر ١٣٦٨/ ١٩٤٩ (وسبق الأخذ عن طبعة النجف ١٣٥٣ هـ).

٣٨٨ - المقاصد النحوية: لمحمود بن أحمد العينى. أربعة أجزاء. طبع على هامش خزانة الأدب للبغدادى، فى مصر ١٢٩٩ هـ.

٣٨٩ - المقتطف من تاريخ اليمن: لعبد الله بن عبد الكريم الجرافى. طبع فى مصر ١٣٧٠/ ١٩٥١.

٣٩٠ - المقصد الأرشد فى ذكر أصحاب الإمام أحمد: لبرهان الدين إبراهيم بن محمد، ابن مفلح الحنبلى. مخطوط فى مجلد. فى المكتبة العربية بدمشق.

٣٩١ - المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم: لأبى الفرج ابن الجوزى. طبع دار الكتب العلمية. بيروت. تحقيق محمد عبد القادر عطا ، ومصطفى عبد القادر عطا.

٣٩٢ - المنهل الصافى، والمستوفى بعد الوافى: لابن تغرى بردى. طبع فى مصر ١٣٧٥/١٩٥٦.

٣٩٣ - المنهل العذب، فى تاريخ طرابلس الغرب: لأحمد بن حسين النائب الأوسى الأنصارى. طبع فى الآستانة ١٣١٧هـ.

٣٩٤ - المهدية فى الإسلام: لسعد محمد حسن. طبع فى مصر ١٣٧٣/١٩٥٣.

٣٩٥ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ويعرف بخطط المقريزى: طبع فى مصر ١٣٢٧هـ.

٣٩٦ - المؤتلف والمختلف: للآمدى. طبع فى مصر ١٣٥٤هـ.

٣٩٧ - المؤتلف والمختلف، فى أسماء نقلة الحديث: لعبد الغنى الأزدى. طبع فى الهند ١٣٢٧هـ.

٣٩٨ - ميزان الاعتدال فى نقد الرجال: للذهبى. ثلاثة مجلدات. طبع فى مصر ١٣٢٥هـ.

٣٩٩ - نثار الأفكار: جزآن، أصدرتهما جريدة الهدى فى نيويورك ١٩١٣.

Marfat.com

٤٠٠ - النجوم الزاهرة، فى ملوك مصر والقاهرة: لابن تغرى بردى. طبع فى دار الكتب المصرية.

٤٠١ - النزاع والتخاصم، فيما بين بنى أمية وبنى هاشم: للمقريزى. رسالة. طبعت فى مصر ١٩٣٧.

٤٠٢ - نزهة الألباب، فى تاريخ مصر وشعراء العصر ومراسلات الأحباب: لمحمد حسنى العامرى. طبع بمصر ١٣١٤هـ.

٤٠٣ - نزهة الأنام، فى محاسن الشام: لعبد الله بن محمد البدرى. طبع بمصر ١٣٤١هـ.

٤٠٤ - نزهة الأنظار، فى فضل علم التاريخ والأخبار، ويعرف بالرحلة والورثيلانية: للحسن بن محمد الورثيلانى. طبع فى الجزائر ١٣٢٦/١٩٠٨.

٤٠٥ - نزهة الجليس، ومنية الأديب الأنيس: للعباس بن على الموسوى. مجلدان طبع فى مصر١٢٩٣هـ.

٤٠٦ - نزهة الخواطر، وبهجة المسامع والنواظر: للشريف عبد الحى بن فخر الدين الحسنى. ثلاثة أجزاء طبعت فى حيدر آباد.

٤٠٧ - نسب قريش: للمصعب بن عبد الله الزبيرى. طبع فى مصر ١٩٥٣.

٤٠٨ - نشر اللطائف فى قطر الطائف: لابن عراق. مخطوط بدار الكتب المصرية.

٤٠٩ - نشر المثانى لأهل القرن الحادى عشر والثانى عشر: لمحمد بن الطيب القادرى. جزآن فى مجلد. طبع بفاس ١٣١٥هـ.

٤١٠ - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: للمقرى. أربعة مجلدات. طبع فى مصر ١٣٠٢هـ.

٤١١ - نفحة البشام فى رحلة الشام: لمحمد عبد الجواد القاياتى. طبع فى مصر ١٣١٩هـ.

٤١٢ - نكت الهميان، فى نكت العميان: لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى. طبع فى مصر ١٣٢٩/١٩١١.

٤١٣ - نهاية الأرب، فى معرفة أنساب العرب: للقلقشندى. طبع فى بغداد.

٤١٤ - نهاية الأندلس: لمحمد عبد الله عنان. طبع فى مصر ١٣٦٨/١٩٤٩.

٤١٥ - نهاية الإيجاز، فى سيرة ساكن الحجاز: لرفاعة رافع (الطهطاوى) طبع فى مصر ١٢٩١هـ.

٤١٦ - النهج السديد، والدر الفريد، فيما بعد تاريخ ابن العميد: لمفضل بن أبى الفضائل. طبع مع ترجمة إلى الفرنسية ١٩١٢.

Marfat.com

٤١٧ - النوادر السلطانية، والمحاسن اليوسفية، المسمى سيرة صلاح الدين الأيوبى: لابن شداد. طبع فى مصر ١٣١٧ .

٤١٨ - النور السافر عن أخبار القرن العاشر: لعبد القادر بن شيخ العيدروس. طبع فى بغداد ١٣٥٣/١٩٣٤ .

٤١٩ - هدى السارى ، مقدمة فتح البارى: لابن حجر العسقلانى. جزآن. طبع بمصر ١٣٤٧هـ.

٤٢٠ - هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: لإسماعيل «باشا» البغدادى. مجلدان. طبع فى استامبول ١٥٩١ - ١٩٥٥ .

٤٢١ - الوافى بالوفيات: للصفدى. طبع منه أربعة أجزاء، أولها استامبول ١٩٣١ .

٤٢٢ - الوسيط، فى الأدب العربى وتاريخه: لأحمد الإسكندرى ومصطفى عنانى. طبع فى مصر. ١٣٤٧/١٩٢٨ .

٤٢٣ - الوسيط، فى تراجم أدباء شنقيط: لأحمد بن الأمين الشنقيطى. طبع فى مصر ١٣٢٩/١٩١١ .

٤٢٤ - وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى: لعلى بن عبد الله السمهوردى. جزآن. طبع فى مصر ١٣٢٦هـ.

٤٢٥ - وفيات الأعيان: لابن خلكان. مجلدان. طبع فى مصر ١٣١٠هـ.

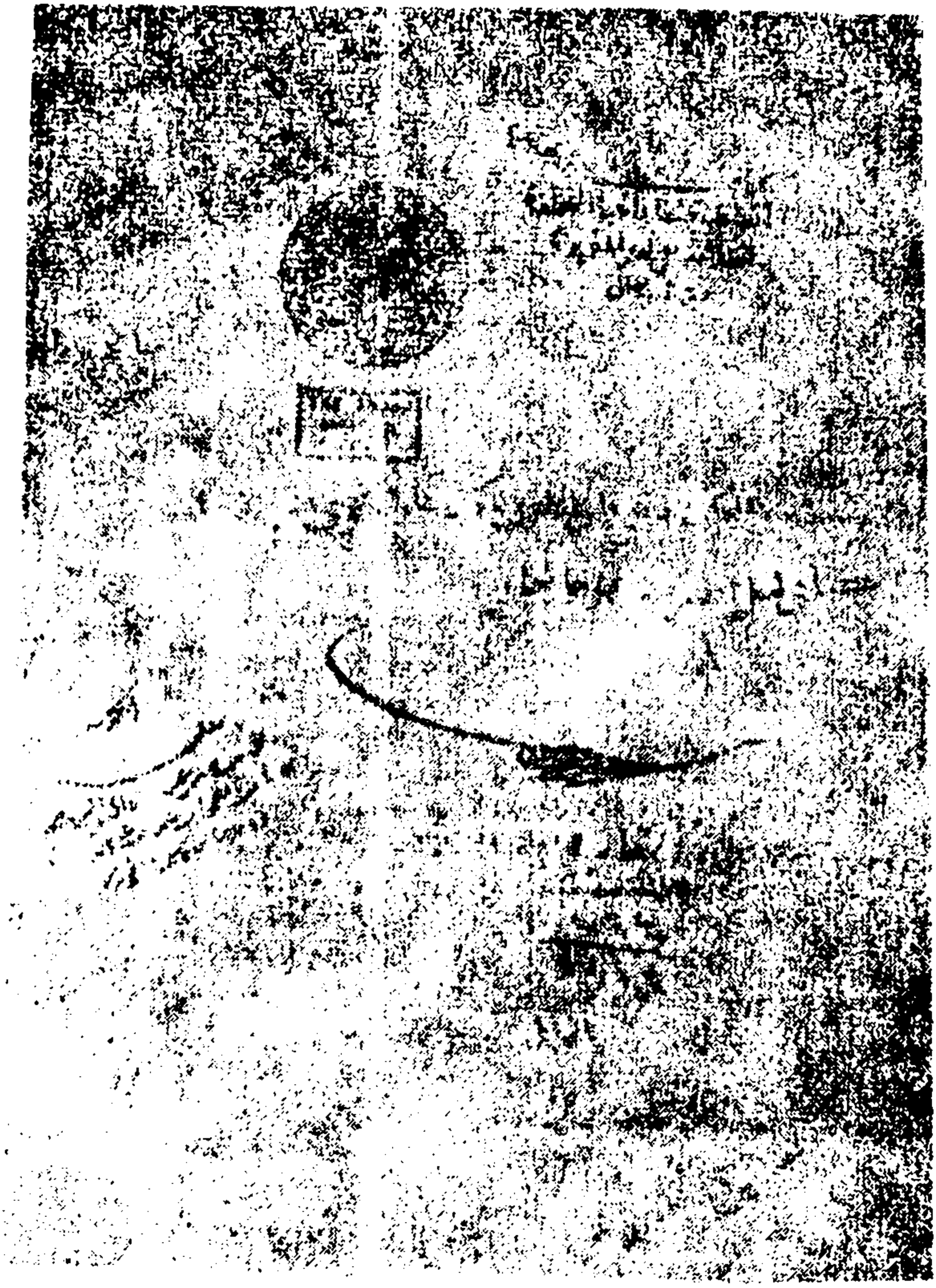
٤٢٦ - الولاة والقضاة: لمحمد بن يوسف الكندى. طبع فى بيروت ١٩٠٨ .

٤٢٧ - يتيمة الدهر: للثعالبى. أربعة أجزاء. طبع فى دمشق ١٣٠٣هـ.

٤٢٨ - اليواقيت الثمينة، فى أعيان مذهب عالم المدينة: لمحمد البشير ظافر الأزهرى. طبع فى مصر ١٣٢٤هـ.

* * *

Marfat.com

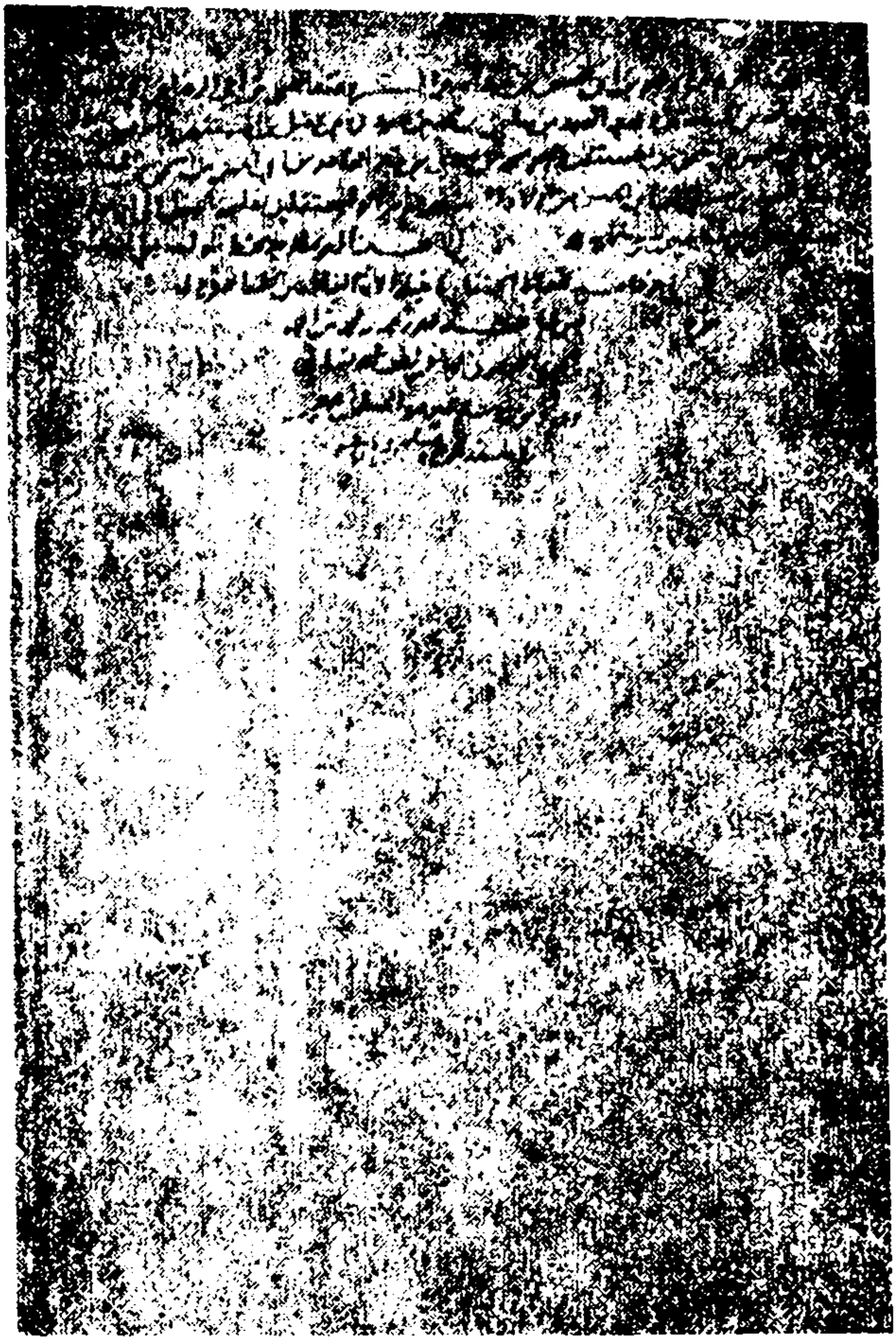


صورة غلاف المخطوط



صورة الصفحة الأولى من المخطوط

Marfat.com



صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط

Marfat.com

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم كلما ذكره الذاكرون، وكلما غفل عن ذكره الغافلون.

الحمدُ لله الذى برأ سماوات طباقا رفيعات، ولما دونها محيطات، وجعلها فى الأقدار متفاوتات، وبالحركة متباينات، وفى التراكيب مختلفات، ذات بروج معدودة، وأقسام مقدرة محدودة، وكواكب نيَّرة موَّارة، فى أفلاك بها دوَّارة، تتحرك لأنفسها تارة فتردها أفلاكُها بقدرته تعالى مقسورة؛ كلٌّ ذلك يجرى على ما قُدِّر له من إسراع وتأثير، وإبطاء وتدبير، وإنماء وتغيير، بأمر الحكيم القدير، وتقدير العليم الخبير، ودحا الأرض فسطحها مهادًا، وأرسى عليها الجبال فصارت أوتادًا.

ثم خلق الإنسانَ من طين، وأنشأ منه البشر من سلالة من ماء مَهين، واستعمرهم فى الأرض؛ لينظر كيف يعملون، وسخَّر لهم ما فى السموات وما فى الأرض لعلهم يشكرون، ومكَّنهم من الاقتدار على إظهار العجائب، فأبدوا ما شاءوا من البدائع والغرائب، وتخوَّلوا فيما اشتهوا من النعماء، وتبسَّطوا فى فنون الأفضال والآلاء، وأثاروا الأرض وعمروها، واتخذوا المدائن واستوطنوها، وقهروا الأعداء ممن ناوأهم، وخضَّدُوا بالقهر شوكة من عاندهم أو شانأهم.

حتى إذا كفروا النعم، ولم يخشوا العقوبة والنقم، أبادهم الله الذى آيَّدهم، وأهلكهم القادرُ الذى مكَّنهم، جزاءً بما اكتسبوا من السيئات، وعقوبة لهم على اجتراح الخطيئات، وسيعيدهم أجمعين إليه، ويوقفهم كلَّهم للحساب بين يديه.

أحمده حمدًا يليق بجلاله، وينبغى لعظمته وكماله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ظهير ولا معاون له - فيما يريده - ولا وزير، شهادةً تعبِّر عن قلب قد عَمُرَ بالإخلاص، وذخيرة لنجاء من النار والخلاص.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ونبيُّه وخليله، الذى أنقذ اللهُ به العباد من الهلاك، وخلَّصهم به من أشراك الإشراك، حتى قاموا لله سبحانه بما شرع له من طاعته، وأنزل عليه من أحكام عبادته.

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأوليائه ومُتَّبعيه وأحبابه، وشرف وكرم.

وبعد: فإنى لما أعاننى الله جلَّتْ قدرته، وتعالتْ عظمته؛ على إكمال كتاب: **عقد**

Marfat.com

جواهر الأسفاط فى أخبار مدينة الفسطاط، وضمنتُه ما وقفتُ عليه، وأرشدنى الله سبحانه إليه من أحوال مدينة الفسطاط منذ افتتح أرض مصر أصحاب رسول الله - ﷺ - وصارت دار إسلام، إلى أن قدمت جيوش الإمام المعز لدين الله أبى تميم معد من بلاد الغرب مع عبده وقائده وكاتبه أبى الحسين جوهر القائد الصقلى فى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، ونزلت فى شمالى الفسطاط بالمناخ، وأسس مدينة القاهرة وحلّ بها، وأحببتُ أن أضع لمن مَلَكَ القاهرة من الخلفاء ديوانا يشتمل على جُمَلٍ خبرهم، ويعرب عن أكثر سيرهم، فجمعتُ هذا الكتاب وسميته كتاب:

«إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا»

والله تعالى أسأل أن يحفظنى فيه، وفيما خولنى من دنيا ودين، ويجعلنى، يوم الفزع الأكبر من الآمنين بمنه وكرمه.

* * *

Marfat.com

ذكر أولاد أمير المؤمنين

على بن أبى طالب ،كرم الله وجهه،[1]

اعلم أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب - رضى الله عنه - قُتل ليلة الجمعة لإحدى عشرة، وقيل: لثلاث عشرة، وقيل: لثمانى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة أربعين من سنى الهجرة بالكوفة.

وولد له من الأولاد الذكور: الحسن [2] والحسين [3] - أمهما فاطمة [4] بنت رسول الله ﷺ.

ومحمد الأكبر المعروف بابن الحنفية [5] - أمه خولة بنت قيس بن جعفر الحنفى. والعباس الأكبر، وعبد الله، وعثمان الأكبر وجعفر الأكبر - أمهم أم البنين بنت المحل ابن الدَّيان بن حرام الكلابى - وقتل هؤلاء الأربعة مع الحسين بن على - عليه السلام - بالطَّفِّ. [6] وعمر الأصغر أمه الصهباء أم حبيبة بنت ربيعة التغلبى. وعبد الرحمن - الذى يكنى أبا بكر - وعبيد الله. أمهما ليلى بنت مسعود بن خالد التميمى. ويحيى

---

(١) انظر: الطبرى ٨٣/٦، والبدء والتاريخ ٧٣/٥، وصفة الصفوة ١١٨/١، نهج البلاغة ٥٧٩/٢، وتاريخ الخميس ٢٧٦/٢، والأعلام ٢٩٥/٤، ٢٩٦.

(٢) انظر: تهذيب التهذيب ٢٩٥/٢، والإصابة ٣٢٨/١، واليعقوبى ١٩١/٢، وتهذيب ابن عساكر ١٩٩/٤، وابن الأثير ١٨٢/٣، وصفة الصفوة ٣١٩/١، وتاريخ الخميس ٢٨٩/٢، ٢٩٢، والأعلام ١٩٩/٢، ٢٠٠.

(٣) انظر: تهذيب ابن عساكر ٢١٥/٦٠، وتاريخ الخميس ٢٩٧/٢، واليعقوبى ٢١٦/٢، وصفة الصفوة ٣٢١/١، والأعلام ٢٤٣/٢.

(٤) انظر: طبقات ابن سعد ١١/٨-٢٠، والإصابة ٨٣٠، وصفة الصفوة ٣/٢، والدر المنثور ٣٥٩، وحلية الأولياء ٣٩/٢، وذيل المذيل ٦٨، وأعلام النساء ١١٩٩/٣، وتاريخ الخميس ٢٧٧/١، والأعلام ١٣٢/٥.

(٥) محمد بن على بن أبى طالب، الهاشمى القرشى، أبو القاسم المعروف بابن الحنفية : أحد الأبطال الأشداء فى صدر الإسلام. وهو أخو الحسن والحسين، غير أن أمه هى خولة بنت جعفر الحنفية، ينسب إليها تمييزًا له عنهما. وكان يقول الحسن والحسين أفضل منى، وأنا أعلم منهما. كان واسع العلم، ورعا، أسود اللون ، مولده ووفاته بالمدينة. انظر: طبقات ابن سعد /٦٦، ووفيات الأعيان ٤٤٩/١، وصفة الصفوة ٤٢/٢، وحلية الأولياء ١٧٤/٣، والبدء والتاريخ ٧٥/٥، ونزهة الجليس ٢٥٤/٢، والأعلام ٢٧٠/٦.

(٦) الطَّفُّ فى اللغة: ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق. وهى أرض ناحية الكوفة فى طريق البرية، قريبة من الريف فيها عدة عيون ماء جارية. انظر: معجم البلدان ٣٥/٤، ٣٦.

Marfat.com

وعون - أمهما أسماء بنت عميس الخثعمية - (١). ومحمد الأصغر - أمه أمامة بنت أبى العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس - وأمها زينب بنت رسول الله ﷺ. وجعفر الأصغر من أم ولد. ومحمد الأوسط وعباس الأصغر أمهما أم ولد. وعمر الأصغر وعثمان الأصغر. فهؤلاء هم الذكور من ولد أمير المؤمنين على بن أبى طالب، منهم من مات فى حياة أبيه وهو طفل صغير، ومنهم من قُتل ولا عقب له. وولد له أيضا إناث.

ولم يعقب من أولاده الذكور سوى خمسة، هم: الحسن، والحسين، ومحمد بن الحنفية، والعباس، وعمر، وسائرهم لم يُعقب.

فوُلد للحسن بن على بن أبى طالب - عليه السلام -: زيد من أم ولد. والحسن بن الحسن (٢) من أم ولد والقاسم وأبو بكر وعبد الله، لا عقب لهم، قتلوا مع عمهم الإمام الحسين بن على - عليه السلام - بالطَّفِّ وعمرو بن الحسن وعبد الرحمن بن الحسن، والحسين، ومحمد، ويعقوب، وإسماعيل بنو الحسن.

فهؤلاء هم الذكور من ولد الحسن بن على بن أبى طالب - رضى الله عنه -.

ولم يعقب - من ولد الحسن بن على - سوى رجلين: هما الحسن بن الحسن وزيد ابن الحسن، وسائر ولد الحسن بن على لا عقب لهم.

فولد الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب محمدا، وبه كان يُكْنَى، وعبد الله - أعقب - وحسنا، وإبراهيم، وجعفر، وداود - وهذه الخمسة قد أعقبوا - ولم يعقب محمد بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ولدا ذكرا.

فولد عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب محمدا (٣)- وهو الذى قتل

---

(١) أسماء بنت عميس بن معد بن تيم بن الحارث الخثعمى : صحابية كان لها شأن، أسلمت قبل دخول النبى ﷺ دار الأرقم بمكة، وهاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبى طالب، فولدت له عبدالله ومحمدًا وعونًا، ثم قتل عنها جعفر شهيدا فى وقعة مؤتة سنة ٨هـ فتزوجها أبو بكر الصديق فولدت له محمد بن أبى بكر، وتوفى عنها أبو بكر فتزوجها على بن أبى طالب فولدت له يحيى وعونا. وماتت بعد على. انظر: طبقات ابن سعد ٢٠٥/٨، والدر المنثور ٣٥، وحلية الأولياء ٧٤/٢، وصفة الصفوة ٣٣/٢، والأعلام ٣٠٦/١.

(٢) الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب، أبو محمد، الهاشمى، كبير الطالبيين فى عهده. كان وصى أبيه وولى صدقة جده. إقامته ووفاته فى المدينة. انظر: تهذيب ابن عساكر ١٦٢/٤، والأعلام ١٨٧/٢.

(٣) محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب، أبو عبد الله، الملقب بالأرقط-

Marfat.com

بمدينة رسول الله ﷺ وإبراهيم المقتول بالبصرة، قتلا فى الحرب أيام الخليفة أبى جعفر المنصور [١] سنة خمس وأربعين ومائة. وموسى بن عبد الله [٢] ويحيى بن عبد الله[٣] وهو الذى كان بالديلم [٤]، ونزل بالأمان على يد الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك [٥]، ثم حبسه الخليفة هارون الرشيد، ومات فى حبسه، ويقال إنه قتل عند سندى بن شاهك. وسليمان [٦] - الذى قتل فى وقعة فخ. وإدريس الأصغر [٧] - الذى صار إلى بلاد

-وبالمهدى وبالنفس الزكية : أحد الأمراء الأشراف من الطالبيين. ولد ونشأ بالمدينة. كان عزيز العلم، فيه شجاعة وحزم وسخاء. انظر: مقاتل الطالبيين ٢٣٢، وابن خلدون ٣/١٩٠، وابن الأثير ٥/٢٠١، والطبرى ٩/٢٠١، والاستقصا ١/٦٦، وشذرات الذهب ١/٢١٣، والوافى بالوفيات ٣/٢٩٧، ودول الإسلام ١/٧٣، والأعلام ٦/٢٢٠.

(١) عبدالله بن محمد بن على بن العباس، أبو جعفر المنصور : ثانى خلفاء بنى العباس. ولد فى الحميمة من أرض الشراة وولى الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح سنة ١٣٦هـ وهو بانى مدينة بغداد أمر بتخطيطها سنة ١٤٥هـ وجعلها دار ملكه بدلا من الهاشمية التى بناها السفاح. توفى ببئر ميمون محرما بالحج، ودفن فى الحجون بمكة ومدة خلافته ٢٢ عاما. انظر: ابن الأثير ٥/١٧٢، والطبرى ٩/٢٩٢، - ٣٢٢، والبدء والتاريخ ٦/٩٠، واليعقوبى ٣/١٠٠، وتاريخ الخميس ٢/٣٢٤ و٣٢٩، والأعلام ٤/١١٧.

(٢) موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب، أبو الحسن : من شعراء الطالبيين. له رواية قليلة للحديث، من سكان المدينة. قبض عليه المنصور فضربه ثم عفا عنه. وسكن بغداد. انظر: مقاتل الطالبيين ٣٩٠ - ٣٩٧ - ٤٥٥، ولسان الميزان ٦/١٢٣، وتاريخ بغداد ١٢/٢٥، وجمهرة الأنساب ٤٠، والأعلام ٧/٣٢٤.

(٣) يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب : من كبار الطالبيين فى أيام موسى الهادى وهارون الرشيد العباسى، رباه جعفر الصادق فى المدينة، فروى الحديث وتفقه. حبسه الرشيد إلى أن مات فى حبسه. انظر: مقاتل الطالبيين ٣٠٨، والنجوم الزاهرة ٢/٦٢، والبداية والنهاية ١٠/١٦٧، وابن خلدون ٣/٢١٥، ٢١٨، وتاريخ بغداد ١٤/١١٠، والأعلام ٨/١٥٤.

(٤) الديلم: اسم ماءٍ لبنى عبس، وقال الحفصى: فى العَرَمَة من أرض اليمامة ماءٌ يقال له الديلم. انظر: معجم البلدان (ديلم).

(٥) الفضل بن يحيى بن خالد البرمكى : وزير الرشيد العباسى، وأخوه فى الرضاع. استوزره الرشيد مدة قصيرة، ثم ولاه خراسان سنة ١٧٨هـ فأقام فيها إلى أن فتك الرشيد بالبرامكة سنة ١٨٧هـ. توفى الفضل فى سجنه بالرقة.انظر: ابن الأثير ٦/٦٩، ووفيات الأعيان ١/٤٠٨، وتاريخ بغداد ١٢/٣٣٤، والأعلام ٥/١٥١، ١٥٤.

(٦) سليمان بن عبدالله بن الحسن المثنى بن الحسن بن على بن أبى طالب : حد السليمانيين أصحاب الدولة فى تلمسان، كان من أهل المدينة. وصحب الحسين بن على فى خروجه على الهادى وحضر معه وقعة فخ بمكة واستشهد بها. انظر: نسب قريش ٥٥، والكامل ٦/٣٠، والأعلام ٣/١٢٨.

المغرب، وبه عقبه وعقب أخيه سليمان - فولد محمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن ابن على بن أبى طالب - المقتول بالمدينة - عبد الله الأشتر - وهو المعقب من ولده - قتل بكابل (١). وعليا - أخذ بمصر، وحبس فى سجن المهدى حتى مات، وطاهر، وإبراهيم ابنا محمد، لا عقب لهما.

وولد إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على - وهو المقتول بالبصرة - حسنا، فولد حسن بن إبراهيم عبد الله - ومات متغيبا - ومحمدًا، وإبراهيم.

وولد يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على محمدًا.

وولد سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على - المقتول بفخ - محمدًا فرَّ

---

(٧) إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب : موسس دولة الأدارسة فى المغرب. وإليه نسبتها. كان مع الحسين فى المدينة أيام ثورته على الهادى سنة ١٦٩هـ. فلما انهزم الحسين وقتل فر إدريس إلى مصر فالمغرب الأقصى سنة ١٧٢هـ ونزل بمدينة وليلى ثم جمع البربر على القيام بدعوته فتم له الأمر سنة ١٧٢هـ. فجمع جيشا كثيفا وخرج به غازيا إلى بلاد تادلة ففتح معاقلها وعاد إلى وليلى، ثم غزا تلمسان فبايع له صاحبها. استمر إلى أن توفى فى وليلى. انظر: الاستقصاء ٦٧/١، وابن خلدون ١٢/٤، والبيان المغرب ٨٢/١، ٢١٠، وإتحاف أعلام الناس ٢/٢-١٧، والأعلام ٢٧٩/١.

(١) كَابُلُ: بضم الباء الموحدة، ولام، وكابل فى الإقليم الثالث، طولها من جهة المغرب مائة درجة، وعرضها من جهة الجنوب ثمان وعشرون درجة وقال الإصطخرى: الخِلج صنف من الأتراك وقعوا فى قديم الزمان إلى أرض كابل التى بين الهند ونواحى سجستان فى ظهر الغور وهم أصحاب نعم على خلق الأتراك فى زيّهم ولسانهم وكابل: اسم يشمل الناحية ومدينتها العظمى أوهند، ونسبتُها إلى الهند أولى، وأما قول ابن الفقيه إنه من ثغور طخارستان فليس ببعيد من الصواب، ولعلّ طخارستان تكون فى المثلثة الشرقية منها، قال ابن الفقيه: كابل من ثغور طخارستان، ولها من المدن: واذان وخُواش وخُتّك وحِزَه، قال: وبكابل عود ونارجيل وزعفران وإهليلج لأنها متاخمة للهند، وكان خراجها ألفى ألف وخمسمائة ألف درهم ومن الوصائف ألفا رأس قيمتها ستمائة ألف درهم، غزاها المسلمون فى أيام بنى مَروان وافتتحوها وأهلها مسلمون، قلتُ: فإن كانت غير الساحلية فجائزٌ . انظر: معجم البلدان (كابل).
وفى معجم ما استعجم: كَابُل بضمّ الباء: مدينة معروفة فى بلاد التّرْك، غزاها مُجَاشِع ابن مسعود، فصَالَحَهُ الإصْبَهْبَذ، فدخل مُجاشع بَيْتَ أصنامهم، فأخَذَ جوهرةً جليلةً من عَيْنِ أكبرها. قال: فأصابه فى مُنْصَرَفة الثلجُ والدّمَقُ، فماتوا إلاّ رجلَيْن فزعم الإصبَهْبذ أنّ الصنم فعل ذلك بهم. وقال جرير:

غَلَبَتْ أمّهُ أباهُ عليهِ فهو كالكَابُلِى أشْبَهَ خَالَهْ

يَعْنِى يزيد بن المهلّب، وكانت أمّه من سَبْى كَابل، فلذلك نسبه إلى كابُل. معجم ما استعجم (كابل).

إلى المغرب، وولده هناك.

وولد إدريس الأصغر بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على - وهو الذى صار إلى المغرب، وغلب على موضع منه فى أيام المنصور، فدسَّ إليه المنصور بمتطبب فسقاه، فقتله - إدريس بن إدريس، ولد بالمغرب، وأمه بربرية، وعقبه بالمغرب.

وولد الحسن بن الحسن بن الحسن بن على أبا جعفر عبد الله، وعليا - مات فى حبس المنصور مع أبيه - وحسنا - درج ولا عقب له -، والعباس وطلحة ابنا الحسن بن الحسن بن على - انقرضا -.

وولد إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على إسماعيل - أعقب - وإسحاق - أعقب ثم انقرض - ويعقوب - لا عقب له - ومحمدا - الذى يسمى الديباج الأصغر - لا عقب له - وعليا أعقب الحسن، وولد الحسن محمدا وإبراهيم.

وولد إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على حسنا وإبراهيم - أعقبا-.

وولد جعفر بن الحسن بن الحسن بن على الحسن، فولد الحسن بن جعفر عبد الله، وولد عبد الله عبيد الله - ولاه المأمون الكوفة ثم مكة - وإبراهيم بن جعفر؛ فولد إبراهيم عبد الله - كان له بنات -.

وولد دواد بن الحسن بن الحسن بن على سليمان وعبد الله، كان عبد الله من أهل الفضل والورع؛ وقد أعقب سليمان وعبد الله ابنا دواد.

وولد زيد بن الحسن بن على الحسن - لا عقب له إلا منه - وكان فاضلا، ولاه المنصور المدينة.

فولد الحسن بن زيد بن الحسن بن على إسماعيل و القاسم، وعبد الله، وإبراهيم، وزيدا، وعليا، وإسحاق.

فمن بيوت بنى الحسن بن على بن أبى طالب: بنو طباطبا [1] والرسِّيون [2] وبنو المطوق وبنو تج - واسمه الحسن - وولد الهادى [3] باليمن الذى له الإمارة، وبنو الأذرع، وولد الداعى إلى الحق بطبرستان [4]. وولد الحسن بن زيد الذى له الإمارة

---

(١) نسبة إلى إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى.

(٢) نسبة إلى الإمام القاسم الرسِّى ترجمان الدين، أحد أئمة اليمن، ولد سنة ١٦٩هـ. وتوفى سنة ٢٤٦هـ تولى الإمامة بعد موت أخيه محمد بن طباطبا، وسمى الرسى لأنه مات فى الرس.

(٣) هو الإمام الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسى، ولد سنة ٢٤٥هـ. وتوفى سنة ٢٩٨هـ.

(٤) الطبر فى الفارسية هو: ما يشقق به الأحطاب. وستان الموضع أو الناحية. وهى بلدان واسعة-

Marfat.com

بالديلم. وولد الناصر الحسنى (١) الذى كان باليمن.

وغير ذلك من بيوتات ولد الحسن بن على بن أبى طالب - رضى الله عنهم -.

وأما ولد الحسين بن على بن أبى طالب فإن الحسين: ولد عليا الأكبر وقتل بالطف، ولا عقب له؛ وعليا الأصغر - وفيه البقية - وجعفرا - لا عقب له - وعبد الله، - قتل صغيرا بالطف، ولا عقب له -.

هؤلاء هم الذكور من ولد الحسين بن على، وهم لأمهات شتى.

فولد على الأصغر (٢) بن الحسين حسنا وحسينا - لا عقب لهما - وأبا جعفر محمدا وعبد الله - أمهما أم ولد -.

وزيدا وعمر وعليا، ومحمدا الأوسط - ولا عقب له - وعبد الرحمن، وحسينًا الأصغر؛ وسليمان؛ والقاسم - ولا عقب له -.

وهؤلاء هم الذكور من ولد على بن الحسين بن على؛ وعدتهم ثلاثة عشر ذكرا أعقب منهم ستة وهم: محمد المكنى بأبى جعفر. وعبد الله وزيد وعمر. وعلى. والحسين الأصغر.

فولد أبو جعفر محمد (٣) بن على بن الحسين بن على جعفرا الصادق؛ وعبد الله -

---

- كثيرة يشملها هذا الاسم خرج من نواحيها من لا يُحصى كثرة من أهل العلم والأدب والفقه، والغالب على هذه النواحى الجبال، فمن أعيان بُلْدانها دهستان وجرجان واستراباذ وآمُل، وهى قصبتها، وسارية، وهى مثلها، وشالوس، وهى مقاربة لها، وربما عُدّت جرجان من خراسان إلى غير ذلك من البلدان، وطبرستان فى البلاد المعروفة بمازَنْدَران، وهى بين الرّى وقومس والبحر وبلاد الديلم والجيل، وهى كثيرة المياه متهدّلة الأشجار كثيرة الفواكه إلا أنها مخيفة وخِمَة قليلة الارتفاع كثيرة الاختلاف والنّزاع.

وفى معجم ما استعجم: طَبَرْسَتَان بفتح أوّله وثانيه، وإسكان الراء المهملة، وفتح السين المهملة وفتح التاء المعجمة باثنتين من فوقها: مدينة معروفة. وسُمّيت بذلك لأنّ الشجر كان حولها أشبا، فلم تصِلْ إليها حُنُودُ كِسْرى، حتّى قطعوه بالفُئُوس. والطّبَر والتّبَر، بالفارسيّة: الفَأس، ولذلك قيل طَبَرْزِين. وأستان: الشجر. وقد عَرّبتِ العَرَبُ أستان، فقالت لضرب من الشجر: أسْتَن. انظر: معجم ما استعجم (طبرستان).

(١) هو أبو الفتح الإمام الناصر بن الحسين بن محمد بن عيسى بن محمد بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن على بن الحسن بن زيد. قام باليمن سنة ٤٢٠هـ. قتله الصليحى سنة ٤٤٧هـ.

(٢) هو أبو الحسن على بن الحسين ، المعروف بزين العابدين. ولد سنة ٣٨هـ. وتوفى سنة ٩٤هـ ودفن فى البقيع.

(٣) هو أبو جعفر محمد بن على زين العابدين، الملقب بالباقر. ولد سنة ٥٧هـ. وتوفى بالحميمة سنة ١١٤هـ.

أمهما أم ولد - وإبراهيم، وعبيد الله - لا بقية لهما، درجا، وأمهما أم ولـد -وعليـا - لا عقب له، وأمه أم ولد -.

فولد جعفر بن محمد الصادق [١] إسماعيل - أعقب - وعبد الله - لا عقـب لـه - أمهما فاطمة ابنة الحسن بن الحسـن بن علـى بن أبـى طـالب وموسـى [٢]، وإسـحاق، ومحمـدًا - لأم ولـد - والعبـاس - لا عقـب لـه، وأمـه أم ولـد - وعليـا - المعـروف بالعريضى - وأمه أم ولد -.

* * *

وحيث انتهينا إلى ذكر إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد بن على بن الحسـين بـن على بن أبى طالب [٣] فإنه الغرض، وإليه ينسب الخلفاء الفاطميون بناة القاهرة، فنقـول: إن إسماعيل بن جعفر الصادق مات فـى حيـاة أبيـه جعفـر سنة ثمـان وثلاثـين ومائـة، وخلف من الأولاد محمدا، وعليا، وفاطمة.

فأما محمد بـن إسـماعيل [٤] فإنـه الـذى إليـه الدعـوى وكـان لـه مـن الولـد جعفـرا وإسماعيل فقط - أمهما أم ولد -.

فولد جعفر بن محمد بن إسماعيل محمدا، وأحمد؛ أما أحمد فلا عقب له. وأما محمـد، فولد جعفرًا، وإسماعيل، وأحمد، والحسن.

وقال أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم [٥]: وولد إسماعيل بن جعفـر: عليًـا ومحمدًا فقط، وإمامة محمد وإسماعيل منهـم بنـو جعفـر البغيـض بـن الحسـن بـن محمـد

---

(١) هو أبو عبدالله جعفر الصادق. ولد سنة ٨٠هـ وتوفى سنة ١٤٨هـ. بالمدينة ودفن بالبقيع.

(٢) هو أبو الحسن موسى الكاظم. ولد بالمدينة سنة ١٢٩هـ. وتوفى سنة ١٨٣هـ.

(٣) إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر، الهاشمى القرشى : جد الخلفاء الفاطميين وإليه نسبة الإسماعيلية وهى من فرق الشيعة فى الأصل. توفى فى حياة والده. انظر: فرق الشـيعة للنوبختى ٦٧، وابن خلدون ٣٠/٤، وملوك العرب ٢١٥/١، والأعلام ٣١١/١، ٣١٢.

(٤) محمد بن إسماعيل بن جعفر الصـادق الحسينى الطـالبى الهاشـمى : إمـام عنـد القرامطـة. تـرى الطائفة الإسماعيلية أنه قام بالإمامة بعد وفاة أبيه ١٣٨هـ وأنه كان يكنى عنه بالمكتوم حذرا مـن بطش العباسيين. طلبه الرشيد العباسى ففر من المدينـة إلى الـرى واسـتقرَّ بمدينـة دبنـاوند وتـزوج فيها. وخلف أولادا وأمر أن لا تقام الدعوة إلا باسم المستور من آل البيت ومات فـى فرغانـة أو فى نيسابور. انظر: مفرج الكروب ٢٠٧/١، وفرق الشيعة ٧١، ٧٣، ومنهـاج السـنة ٢٢٨/١، والأعلام ٣٤/٦.

(٥) هو أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح الظـاهرى الأندلسـى، ولـد فـى قرطبة ٣٨٤هـ. ومات سنة ٤٥٦هـ. له مؤلفات منها «الفصل فى الملل والنحل».

Marfat.com

الحبيب ابن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق. وادعى عبيد الله القائم بالمغرب أنه أخو حسن بن محمد هذا، وشهد له بذلك رجل من بنى البغيض، وشهد له أيضا بذلك جعفر بن محمد بن الحسين بن أبى الجن على بن محمد الشاعر بن على بن إسماعيل بن جعفر، ومرة ادعى أنه ولد الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر؛ وكل هذه دعوى مفتضحة لأن محمد بن إسماعيل بن جعفر لم يكن له قط ولد اسمه الحسين.

وهذا كذب فاحش لأن مثل هذا النسب لا يخفى على من له أقل علم بالنسب، ولا يجهل أهله إلا جاهل.

قلت: وأما ما ذكره أبو محمد من انتسابهم إلى الحسين بن محمد بن إسماعيل، قول افتعله معاديهم، فقد كان أبو محمد بقرطبة، وملوكها بنو أمية، وهم أعدى أعادى القوم، فنقل ما أشاعه هناك ملوك بلده، حتى اشتهر كما هى عادة الأعداء.

والذى يقول أهل هذا البيت ويذهبون إليه: إن الإمام من ولد جعفر الصادق هو إسماعيل ابنه من بعده، وأن الإمام بعد إسماعيل بن جعفر هو ابنه محمد، ويلقبونه بالمكتوم، وبعد المكتوم ابنه جعفر بن محمد بن إسماعيل ويلقبون جعفرًا هذا بـ«المصدق» وبعد جعفر المصدق ابنه محمد الحبيب[1] بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم بن إسماعيل الإمام بن جعفر الصادق.

قالوا: فولد محمد الحبيب عبيد الله بن محمد بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم بن الإمام إسماعيل.

وعبيد الله هذا هو القائم بالمغرب، والملقب بالمهدى [2] المنسوب إليه سائر الخلفاء

---

(١) محمد بن جعفر بن محمد، أبو جعفر: من علماء الطالبيين وأعيانهم وشجعانهم. كانت إقامته بمكة، وكان يظهر الزهد. ولما ظهر الخلاف على المأمون العباسى، فى أوائل أيامه، أقبل بعض الطالبيين على صاحب الترجمة سنة ١٩٩هـ وبايعوه بالخلافة وإمارة المؤمنين (سنة ٢٠٠) وبايعه أهل الحجاز. وهو أول من بايعوا له من ولد على بن أبى طالب. وقاتلهم إسحاق بن موسى العباسى وعيسى الجلودى، فانهزموا. وانصرف محمد إلى الجحفة (على ثلاث مراحل من مكة، فى طريق المدينة) ومنها إلى بلاد جهينة، فجمع خلقًا، وهاجم المدينة، فقتل كثير من أصحابه وفقئت عينه، فقفل إلى مكة. واستأمن الجلودى فأمنه، فخلع نفسه وخطب معتذرًا بأنه ما رضى البيعة إلا بعد أن قيل له إن المأمون توفى. وأنفذه الجلودى إلى المأمون، وكان بمرو، فأكرمه واستبقاه معه إلى أن توفى (بجرجان) فكان المأمون أحد من صلوا عليه.

(٢) عبيدالله بن محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم، الفاطمى العلوى، من ولد جعفر الصادق: مؤسس دولة العلويين فى المغرب، وجد العبيديين الفاطميين أصحاب مصر، وأحد=

Marfat.com

الفاطميين بالمغرب وبمصر. هذا هو الثابت فى درج نسبهم.

وقال الشريف محمد بن أسعد بن على الحسينى الجوانى النقيب (١):

«وأما إسماعيل بن جعفر - يعنى الصادق - فعقبه من ابنيه: محمد وعلى. فأما على فمن ولده أبو الجن بن الحسين بن على بن محمد بن على بن إسماعيل بن جعفر وهم بدمشق ويقال لهم: «بنو أبى الجن»- بجيم ونون -.

وأما محمد بن إسماعيل فينسب إليه الذين تغلبوا على إفريقية الغرب، ثم تغلبوا على مصر والشام. ففى النسابين من أثبتهم، وفيهم من نفاهم، وفيهم من أمسك.

سألت الشريف النسابة جمال الدين أبا جعفر محمد بن عبد العزيز بن أبى القاسم الإدريسى الحسنى (٢) بمدينة القاهرة عن هؤلاء، فقال: المثبتون لأنساب أهل القصر بالقاهرة هم: شيخ الشرف العبيدلى، وابن ملقطة العمرى، وأبو عبد الله البخارى.

والنافون لأنسابهم هم: الشريف ابن العابد، وابن وكيع من أصحاب سحنون (٣)

=الدعاة، كان يسكن سلمية (بسورية) ومولده بها وكان أبوه قد أرسل الدعاة، وأعظمهم أبو عبد الله الحسين بن أحمد الملقب بالعلم والشهير بالشيعى فمهد له بيعة المغرب. وفتح بلدانا ووصلت إلى المهدى رسل أبى عبد الله تدعوه، فبلغ خبره المكتفى بالله العباسى، فطلبه، ففر من سلمية إلى العراق، ثم لحق بمصر فالإسكندرية ومنها إلى المغرب واستفحل أمره بسجلماسة فى أواخر ٢٩٦هـ. وبويع فى القيروان سنة ٢٩٧هـ. مات بعد أن حكم أربعا وعشرين سنة. انظر: ابن الأثير ٨/٩٠، وابن خلدون ٤/١١، وابن خلكان ١/٢٧٢، وتاريخ الخميس ٢/٣٨٥، وكنز الدرر ٦/١٠٨، ١٠٩، والأعلام ٤/١٩٧.

(١) محمد بن أسعد بن على بن معمر العبيدى العلوى، أبو على، شرف الدين الجوانى المالكى : عالم بالأنساب. أصله من الموصل. ومولده ووفاته بمصر. ولى نقابة الأشراف فيها مدة وصنف كتاب «الطالبين و«تاج الأنساب». انظر: خريدة القصر ١/١١٧، ومعجم البلدان ٣/١٥٦، والتاج ٩/١٦٩، ولسان الميزان ٥/٧٤، والأعلام ٦/٣١.

(٢) محمد بن عبد العزيز بن أبى القاسم عبد الرحيم بن عمر بن سليمان، أبو جعفر وأبو عبدالله وأبو القاسم، الشريف الهاشمى الإدريسى الجغرافى، نشأ بالقاهرة وتعلم بها وبالإسكندرية وغيرها، تصدر للتدريس فى العمرية بالقاهرة، وله كتب منها «أنوار علو الأحرام فى الكشف عن أسرار الأهرام». انظر: الطالع السعيد ٢٩٧، والتبر المسبوك ٥/٢٦٢، وحسن المحاضرة ١/٣١٩، والأعلام ٦/٢٠٨.

(٣) محمد بن عبد السلام (سحنون) بن سعيد بن حبيب التنوخى، أبو عبدالله : فقيه مالكى مناظر كثير التصانيف من أهل القيروان. لم يكن فى عصره أحد أجمع لفنون العلم منه، رحل إلى المشرق سنة ٢٣٥هـ وتوفى بالساحل، ونقل إلى القيروان فدفن فيها. من كتبه «آداب=

Marfat.com

وابن حزم الأندلسى صاحب كتاب «الجماهير فى أنساب المشاهير».

والمتوقفون فى أنسابهم هم: محمد المبرقع، وأخوه الحسن الزيديان، فى جماعة كثيرة من النسابين، كابن خداع، وشبل بن تكين، وغيرهم.

والذى قاله شيخ الشرف: «وبنو عبد الله بالمغرب فى نسب القطع».

هذا ما أملاه علىَّ الإدريسى، وكان من العلماء بالنسب والتاريخ.

قال: ووجدت فى كتاب أبى الغنائم عبد الله النسابة الزيدى الحسينى فى ذكره ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر: المعقب من جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر رجل واحد هو محمد، أمه فاطمة بنت على بن جعفر بن عمر بن على بن الحسين بن على، وأمها أروى ابنة الهيثم بن العريان بن الهيثم بن الأسود الجشمى، والمعقب من محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل رجل واحد، وهو الحسن الحبيب (لأم ولد)، وكان له: جعفر، وإسماعيل، وأحمد، وعبيد الله، وعلى اغتربوا فلم يعلم كيف جرى أمرهم، وهل أعقبوا أم لا؟.

ويقال: إن ولد عبد الله بالمغرب، وآخر من ذكره من عقب محمد بن إسماعيل: الحسين بن أبى طالب، على بن الحسين، أبى القاسم بن الحسين بن الحسن بن محمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق.

وأما غيرهم فيقول: إن محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ولد جعفرا، وإسماعيل، وأحمد، والحسن. وولد الحسن جعفرا - توفى بمصر سنة ثلاث وتسعين ومائتين -. فولد جعفر بن الحسن بن محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق أبا جعفر محمدا.

فولد محمد أبا عبد الله جعفرًا، وعليًا، وأحمد، والحسن، ويحيى. هؤلاء هم الذكور من ولد الحسن بن محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق - وكانوا بمصر.

وولد إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب أحمد، ويحيى، ومحمدًا، وعليًا- درج ولا عقب له -.

فولد أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق إسماعيل - توفى

-المعلمين». انظر: معالم الإيمان ٢/٨٩، والوافى بالوفيات ٢/٨٦، ورياض النفوس ٣/٢٤٥، والأعلام ٦/٢٠٤، ٢٠٥.

Marfat.com

بمصر فى ذى القعدة سنة أربع وسبعين ومائتين - ومحمدا - لا عقب له -.

وزيدا، وعليا، والحسين - لأم ولد -. فولد إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد ابن إسماعيل بن جعفر الصادق أبا عبد الله أحمد - توفى سنة خمس وعشرين وثلاثمائة بمصر - وأبا جعفر محمدا - توفى سنة اثنتين وثلاثمائة بمصر -.

وأبا القاسم جعفرا - توفى سنة أربع وسبعين ومائتين بمصر - وحمزة - درج فى سنة خمس وسبعين ومائتين ولا عقب له - وأبا عبد الله الحسين (توفى سنة أربع وتسعين ومائتين) وأبا الحسن عليا - توفى فى طريق مكة سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة.

فولد أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق أبا محمد إسماعيل، وأبا الحسن عليا، وأبا القاسم جعفرا، - وتوفى سنة ثلاثمائة - وموسى - ولا عقب له -.

فولد إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق أبا الحسن عليا، وأبا عبد الله الحسين، والحسن.

وولد على بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق بنتا - لم يلد غيرها -.

وولد جعفر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق أبا عبد الله الحسين، وأبا إبراهيم إسماعيل، وأبا جعفر محمدًا، وأبا الحسين محمدًا.

هؤلاء هم بنو أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق - وهم بمصر -.

وولد محمد بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق عليا، والحسين، وموسى.

وولد على بن محمد بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق الحسن - وتوفى سنة سبع وعشرين وثلاثمائة ولا عقب له -.

وولد الحسين بن محمد بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر زيدا - ولا عقب له - ومحمدًا، وجعفرًا، وأحمد، وإسماعيل - ولد بالمغرب ولا عقب له -.

وولد موسى بن محمد بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن

Marfat.com

جعفر يحيى، وجعفرا، وعليا، وإبراهيم، وإسماعيل - ولا عقب له -.

فهؤلاء بنو محمد بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر - وهم بمصر - وولد الحسين بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق محمدًا أبا الحسين، ومحمدا أبا عبد الله - وهم بمصر -.

وولد جعفر بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر زينب - لم يلد غيرها -.

وولد على بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق إسماعيل، ومحمدا، والحسين، والحسن وجعفرا.

وولد إسماعيل بن على بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر محمدا - ولا عقب له - وعبد الله.

وولد محمد بن على بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر إبراهيم، وزيدا، وعبد الله، ومحسنا، وعليا.

وولد الحسين بن على بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق حمزة وجعفرا، وهم بمصر.

وولد زيد بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق موسى - ولا عقب له -.

وولد على بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر فاطمة - ماتت بدمشق -.

وولد الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر زيدا - مات ببغداد- ومحمدا، وإسماعيل - النقيب بدمشق - وأحمد، والحسن، وعليا، وجعفرا - ولا عقب له -.

فولد زيد بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الحسين - ولا عقب له - وأم سلمة، وخديجة - وكان لها ولد ببغداد - وموسى - لا عقب له.

وولد محمد بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر فاطمة - لم يخلف غيرها -.

وولد إسماعيل بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق محمدًا، وموسى، وإبراهيم، والحسين، وطاهرا.

Marfat.com

فولد محمد بن إسماعيل بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر أحمد.

وولد أحمد بن الحسين حمزة، ومحمدا - وقد انقرضا ولا عقب لهما من الذكور -.

وولد الحسن بن الحسين بن أحمد محمدًا، وعقيلا، وإبراهيم - ولا عقب له - وعبيد الله، ومحسنا - ولا بقية لهما -.

وولد على بن الحسين بن أحمد المحسن وأحمد ومحمدا - المعروف بأخى محسن - كان سكن دمشق، ولا عقب لأحمد ومحمد هذين.

وولد يحيى بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر أحمد وفاطمة - درجا -.

وولد محمد إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر محمدًا.

فولد محمد هذا الحسن، والحسين، ومحمدا.

وولد الحسن بن محمد الحسين وأحمد - وهم بالكوفة -.

فهؤلاء جميع ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق. وأما بقية أولاد إسماعيل بن جعفر الصادق فلا حاجة بنا إلى ذكرهم هنا.

* * *

Marfat.com

ذكر ما قيل فى أنساب خلفاء الفاطميين

قال مؤلفه – رحمة الله تعالى عليه –: وقد وقفت على مجلد يشتمل على بضع وعشرين كراسة فى الطعن على أنساب الخلفاء الفاطميين، تأليف الشريف العابد المعروف بأخى محسن [1] وهو محمد بن على بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد ابن إسماعيل بن جعفر الصادق – ويكنى بأبى الحسين – وهو كتاب مفيد.

وقد غبرت زمانًا أظن أنه قائل ما أنا حاكيه حتى رأيت محمد بن إسحاق النديم[2] فى كتاب «الفهرست» ذكر هذا الكلام بنصه، وعزاه إلى أبى عبد الله بن رزام [3]، وأنه ذكره فى كتابه الذى رد فيه على الإسماعيلية، قال – وأنا برىء من قوله –:

هؤلاء القوم من ولد ديصان الثنوى [4]، الذى ينسب إليه الثنوية[5] – وهو مذهب يعتقدون فيه خالقين، أحدهما يخلق النور، والآخر يخلق الظلمة – فولد ديصان هذا ابنا يقال له ميمون القداح [6] وإليه تنسب الميمونية، وكان له مذهب فى الغلو؛ فولد لميمون هذا ابن يقال له عبد الله، كان أخبث من أبيه، وأعلم بالحيل، فعمل أبوابا عظيمة من المكر والخديعة على بطلان الإسلام؛ وكان عارفا عالما بجميع الشرائع والسنن، وجميع علوم المذاهب كلها، فرتب ما جعله من المكر فى سبع دعوات، يتدرج الإنسان من واحدة إلى أخرى، حتى ينتهى إلى الأخيرة، فيبقى مُعَرًّى عن جميع الأديان، لا يعتقد غير التعطيل والإباحة، ولا يرجو ثوابا، ولا يخشى عقابًا، ويقول: إنه على هدى هو وأهل مذهبه، وغيرهم ضال مغفل.

وكان عبد الله بن ميمون يريد بهذا فى الباطن أن يجعل المخدوعين أمة له يستمد من أموالهم بالمكر والخديعة، وأما فى الظاهر فإنه يدعو إلى الإمام من آل البيت: محمد ابن إسماعيل بن جعفر الصادق، ليجمع الناس بهذه الحيلة.

---

(١) علوى عاش فى النصف الثانى من القرن الرابع.

(٢) محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق، أبو الفرج بن أبى يعقوب النديم : صاحب كتاب «الفهرست» من أقدم كتب التراجم ومن أفضلها. وهو بغدادى، يظن أنه كان وراقا يبيع الكتب، وكان معتزليا متشيعا. انظر: لسان الميزان ٥/٧٢، وإرشاد الأريب ٦/٤٠٨، والأعلام ٦/٢٩.

(٣) هو أبو عبدالله محمد بن على بن رزام الطائى الكوفى، عاش فى النصف الأول من القرن الرابع

(٤) عاش ديصان ومات قبل ظهور الدعوة الإسماعيلية بنحو أربعة قرون.

(٥) الثنوية: مذهب قديم كان أتباعه يعتقدون أن للعالم أصلين، هما النور والظلمة.

(٦) ميمون بن داود بن سعيد، القداح : رأس الفرقة الميمونية من الإسماعيلية فى نسبه وسيرته اضطراب، قيل اسم أبيه ديصان أو غيلان. وفى الإسماعيلية من ينسبه إلى سلمان الفارسى. كان يظهر التشيع ويبطن الزندقة، ولد بمكة وانتقل إلى الأهواز. واتصل بمحمد الباقر وابنه جعفر الصادق. انظر: فرق الإسماعيلية ١٣٣ – ١٥٦، وأعلام الإسماعيلية ٥٥٩، والأعلام ٧/٣٤١.

Marfat.com

وكان عبد الله بن ميمون هذا أراد أن يتنبأ فلم يتم له، وأصله من موضع بالأهواز(١) يعرف «بقورج العباس»، ثم نزل «عسكر مكرم» (٢) وسكن «ساباط»(٣) أبى نوح فنال

---

(١) الأَهْوَاز: آخره زاى، وهى جمع هوْز، وأصْله حَوْز، فلما كَثُرَ استعمالُ الفُرس لهذه اللفظة غيّرتها حتى أذهبت أصلها جملةً لأنه ليس فى كلام الفُرس حاء مهملة، وإذا تكلّموا بكلمة فيها حاءٌ قلبوها هاءً فقالوا فى حَسن هَسن، وفى مُحَمّد مُهَمّد، ثم تَلَقّفَها منهم العرب فَقُلِبَت بحُكم الكثرة فى الاستعمال، وعلى هذا يكون الأَهْواز اسمًا عربيًّا سُمّى به فى الإسلام، وكان اسمها فى أيام الفُرس خُوزستان. وفى خوزستان مواضع يقال لكل واحد منها خوز كذا[1] منها: خوز بنى أسد وغيرها. فالأهواز اسم للكورة بأسرها، وأما البلد الذى يغلب عليه هذا الاسم عند العامة اليوم فإنما هو سوق الأهواز. وأصل الحَوْز فى كلام العرب مصدر حَازَ الرجلُ الشىء يَحُوزُهُ حَوْزًا إذا حصله وملكه[1] قال أبو منصور الأَزْهَرى: الحَوْز فى الأرضين أن يَتّخذها رجلٌ ويُبَيّن حدودها فيستحقها فلا يكون لأحد فيها حقّ فذلك الحوز، هذا لفظه، حكاه شِمْرُ بن حَمْدُوَيه وقرأتُ بعد ما أَثْبَتُه عن التَوّزى أنه قال: الأهواز تسمّى بالفارسية هُرْمشير، وإنما كان اسمها الأَخواز فعرّبها الناس فقالوا الأهواز.

وقال أبو زيد: الأهواز اسمها هُرْمُزْشَهْر وهى الكورة العظيمة التى ينسب إليها سائر الكُوَر وفى الكتب القديمة أن سابور بَنى بخوزستان مدينتين سمّى إحداهما باسم الله عز وجل، والأخرى باسم نفسه ثم جمعها باسم واحد وهى هُرْمُز دادسابور، ومعناه عطاءُ الله لسابور، وسمّتها العرب سوق الأهواز يريدون سوق هذه الكورة المحوزة، أو سوق الأخواز، بالخاء المعجمة، لأن أهل هذه البلاد بأسْرها يقال لهم الخوز. وقيل: إن أول من بَنى الأهواز أردشير وكانت تسمّى هُرْمزأردشير[1] وقال صاحب كتاب العين: الأهواز سبع كُوَر بين البصرة والفارس، لكل كورة منها اسم ويجمعهن الأهواز ولا يُفْرَد الواحد منها بهَوْز. وأهل الأهواز معروفون بالبخل والحمق وسقوط النفس، ومن أقام بها سنة نقص عقلُهُ، وقد سكنها قوم من الأشراف فانقلبوا إلى طباع أهلها، وهى كثيرة الحُمّى ووجوه أهلها مصفرّة مغبرة. ولذلك قال مغيرة بن سليمان: أرض الأهواز نحاسٌ تُنْبِتُ الذهبَ وأرضُ البصرة ذهب تنبت النحاس. وكُوَر الأهواز: سوق الأهواز ورامُهرمز وإيذج وعَسْكَر مُكْرَم وتُسْتَر وجنديسابور وسُوْس وسُرّق ونهرتيرَى ومَنادِر، وفُتحت الأهواز فيما ذكر بعضهم على يد حُرْقُوص بن زُهَيْر بتأمير عُتْبة بن غزوان أيام سيره إليها فى أيام تمصيره البصرة وولايته عليها[1] وقال البلاذُرى: غزا المغيرة بن شُعْبة سوق الأهواز فى ولايته بعد أن شخص عُتْبة ابن غزوان من البصرة فى آخر سنة ١٥، أو أول سنة ١٦، فقاتله البيرُوَانُ دهقانُها ثم صالحه على مال، ثم نكث فغزاها أبو موسى الأشعرى حين ولاه عُمَرُ البصرة بعد المغيرة ففتح سوق الأهواز عَنوةً، وفتح نهر تِيرَى عنوة، وَوَلِى ذلك بنفسه فى سنة ١٧، وسبى سبيًا كثيرًا، فكتب إليه عمر أنه لا طاقة لكم بعمارة الأرض فخلّوا ما بأيْديكم من السبى واجعلوا عليهم الخراج. قال: فَرَدَدْنا السبى ولم نملكهم، ثم سار أبو موسى ففتح سائر بلاد خوزستان. انظر: معجم البلدان ١/٢٨٤، ٢٨٦. ومعجم ما استعجم (الأهواز).

(٢) عَسْكَرُ مُكْرَم: بضم الميم، وسكون الكاف، وفتح الراء، وهو مُفْعَل من الكرامة: وهو بلد-

Marfat.com

بدعوته مالا، وكان يتستر بالتشيع والعلم، وصار له دعاة، فظهر ما هو عليه من التعطيل والإباحة والمكر والخديعة، فثارت به الشيعة والمعتزلة، وكسروا داره، ففر إلى البصرة ومعه رجل من أصحابه يعرف بالحسين الأهوازى، فادعى أنه من ولد عقيل بن أبى طالب، وأنه يدعو إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، ثم اشتهر خبره، فطلبه العسكريون، فهرب هو والحسين الأهوازى إلى سلمية (١) ليخفى أمره بها، فولد له بها ابن يقال له أحمد، ومات عبد الله بن ميمون، فقام من بعده ابنه أحمد هذا فى ترتيب الدعوة، وبعث الحسين الأهوازى داعية إلى العراق، فلقى حمدان بن الأشعث قرمط بسواد الكوفة.

وولد لأحمد بن عبد الله بن ميمون القداح ولدان، هما: الحسين ومحمد - المعروف بأبى الشلعلع، ثم هلك أحمد، فخلفه ابنه الحسين فى الدعوة؛ فلما هلك الحسين بن أحمد خلفه أخوه محمد بن أحمد - المعروف بأبى الشلعلع -.

=مشهور من نواحى خوزستان منسوب إلى مكرم بن معزاء الحارث أحد بنى جَعْوَنَة بن الحارث بن نُمَير ابن عامر بن صعصعة، وقال حمزة الأصبهانى: رُستَقُباذ تعريب رُستَم كُوَاد، وهو اسم مدينة من مدن خوزستان خربها العرب فى صدر الإسلام ثم اختطت بالقرب منها المدينة التى كانت مُعَسكر مكرم بن معزاء الحارث صاحب الحجاج بن يوسف، وقيل: بل مكرمٌ مولًى كان للحجّاج أرسله الحجاج بن يوسف لمحاربة خُرزاد بن باش حين عصى ولحق بإيذَج وتحصن فى قلعة تعرف به، فلما طال عليه الحصار نزل مستخفيًا ليلحق بعبد الملك بن مروان فظفر به مكرم ومعه دُرّتان فى قلنسوته فأخذه وبعث به إلى الحجاج[1] وكانت هناك قرية قديمة فبناها مكرم ولم يزل يبنى ويزيد حتى جعلها مدينة وسماها عسكر مكرم. انظر: معجم البلدان ٤/١٢٣.

(٢) الساباط عند العرب سقيفة بين دارين من تحتها طريق نافذ والجمع سوابيط وساباطات. انظر: معجم البلدان ٣/١٦٦.

(١) سَلَمِيَّةُ: بفتح أوّله وثانيه، وسكون الميم، وياء مثناة من تحت خفيفة.

قيل: سلمية قرب المؤتفكة، فيقال: إنه لما نزل بأهل المؤتفكة ما نزل من العذاب رحم الله منهم مائة نفس فنجاهم فانتزحوا إلى سلمية فعمروها وسكنوها فسميت سَلَم مائة ثمّ حرف الناس اسمها فقالوا سلمية، ثم إن صالح بن على بن عبدالله بن عباس اتخذها منزلا وبنى هو وولده فيها الأبنية ونزلوها، وبها المحاريب السبعة يقال تحتها قبور التابعين، وفى طريقها إلى حمص قبر النعمان بن بشير: وهى بليدة فى ناحية البَرّيّة من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين، وكانت تعدّ من أعمال حمص، ولا يعرفها أهل الشام إلاّ بسلميّة. انظر: معجم البلدان ٣/٢٤٠، ٢٤١.

وفى معجم ما استعجم: سَلَمِيَة بفتح أوّله، وثانيه، وكسر الميم، وتخفيف الياء: من ثغور الشام معروفة. قال أبو حاتم قال: وكذلك سَلَقِيَة ورُومِيَة وأَنْطَاكِيَة، مخففات الياءِ كلهنّ. معجم ما استعجم (سلمية).

Marfat.com

وكان للحسين ابن اسمه سعيد، فبقيت الدعوة له حتى كبر، وكان قد بعث محمد هذا داعيتين إلى المغرب، وهما: أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد [١]، وأخوه أبو العباس محمد بن أحمد بن محمد؛ فنزلا فى قبيلتين من البربر، وأخذا على أهلها. وقد كان اشتهر أمرهم بسلمية، وأيسروا، وصار لهم أملاك كثيرة، فبلغ خبرهم السلطان، فبعث فى طلبهم، ففر سعيد من سلمية يريد المغرب، وكان على مصر يومئذ عيسى النوشرى [٢]، فدخل سعيد على النوشرى ونادمه، فبلغ السلطان خبره، وكان يتقصى عنه، فبعث إلى النوشرى بالقبض عليه، فقرئ الكتاب وفى المجلس ابن المدبر، وكان مؤاخيا لسعيد، فبعث إليه يحذره، فهرب سعيد، وكبس النوشرى داره فلم يوجد، وسار إلى الإسكندرية، فبعث النوشرى إلى والى الإسكندرية بالقبض على سعيد، وكان رجلا ديلميا يقال له على بن وهسودان. وكان سعيد خداعًا، فلما قبض عليه ابن وهسودان قال: «إنى رجل من آل رسول الله». فرق له، وأخذ بعض ما كان معه وخلاه، فسار حتى نزل سجلماسة [٣]-وهو فى زىّ التجار- فتقرب إلى واليها وخدمه، وأقام عنده مدة، فبلغ المعتضد [٤] خبره، فبعث فى طلبه، فلم يقبض عليه والى

(١) الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا، أبو عبدالله ، المعروف بالشيعى، ويلقب بالمعلم: مهد الدولة للعبيديين، ونشر دعوتهم فى المغرب كان من الدهاة الشجعان، من أعيان الباطنية وأعلامهم، من أهل صنعاء. انظر: وفيات الأعيان ١/١٦٢، وابن خلدون ٣/٣٦٢، وابن الأثير ٨/١٠ - ١٧، والبداية والنهاية ١١/١٨٠، والأعلام ٢/٢٣٠.

(٢) عيسى النوشرى أول وال على مصر بعد زوال دولة بنى طولون. دخلها بعد ولايته من قبل الخليفة المكتفى سنة ٢٩٢هـ، ولما توفى المكتفى وتولى المقتدر أقره على ولاية مصر. مات عيسى سنة ٢٩٧هـ. وهو على إمرة مصر.

(٣) سِجِلْماسَةُ: بكسر أوّله وثانيه، وسكون اللام، وبعد الألف سين مهملة: مدينة فى جنوبى المغرب فى طرف بلاد السودان، بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب، وهى فى منقطع جبل دَرَن، وهى فى وسط رمال كرمال زَرُود ويتصل بها من شماليها حَدَدٌ من الأرض، يمر بها نهر كبير يخاض قد غرسوا عليه بساتين ونخيلاً مدّ البصر، وعلى أربعة فراسخ منها رستاق يقال له تيومتين على نهرها الجارى فيه من الأعناب الشديدة الحلاوة ما لا يُحد وفيه ستة عشر صنفًا من التمر ما بين عجوة ودقَل، واكثر أقوات أهل سجلماسة من التمر وغلتهم قليلة، ولنسائهم يد صَنَاعٌ فى غزل الصوف، فهن يعملن منه كلّ حسن عجيب بديع من الأزر تفوق القصب الذى بمصر يبلغ ثمن الإزار خمسة وثلاثين دينارًا وأكثر كأرفع ما يكون من القصب الذى بمصر، ويعملون منه غفارات يبلغ ثمنها مثل ذلك ويصبغونها بأنواع الأصباغ، وبين سجلماسة ودَرْعة أربعة أيام، وأهل هذه المدينة من أغنى الناس وأكثرهم مالاً لأنها على طريق من يريد غانة التى هى معدن الذهب، ولأهلها جراءة على دخولها. انظر: معجم البلدان ٣/١٩٢.

(٤) أحمد بن طلحة بن جعفر ، أبو العباس المعتضد بالله بن الموفق بالله بن المتوكل : خليفة عباسى، ولد ونشأ ومات فى بغداد. كان عون أبيه فى حياته أيام خلافة المعتمد. مدة خلافته ٩ سنوات=

Marfat.com

سجلماسة؛ فورد عليه كتاب آخر، فقبض عليه وحبسه؛ وكان خبره قد اتصل بأبى عبد الله الداعى - الذى تقدم ذكر خروجه هو وأخوه إلى البربر - فسار حينئذ بالبربر إلى سلجماسة، وقتل واليها، وأخذ سعيدا، وصار صاحب الأمر، وتسمى بعبيد الله، وتكنى بأبى محمد، وتلقب بالمهدى؛ وصار إماما علويا من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق؛ ولم يلبث إلا يسيرا حتى قتل أبا عبد الله الداعى، وتملك البربر، وقلع بنى الأغلب ولاة المغرب.

قال: «فعبيد الله - الملقب بالمهدى -: هو سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله ابن ميمون القداح بن ديصان الثنوى الأهوازى، وأصلهم من المجوس».

قال: أما سعيد هذا الذى استولى على المغرب، وتسمى بعبيد الله، فإنه كان بعد أبيه يتيمًا فى حجر عمه - الملقب بأبى الشلعلع -، وكان على ترتيب الدعوة بعد أخيه، فرتب أمرها لسعيد، فلما هلك وكبر سعيد، وصار على الدعوة، وترتيب الدعاة والرياسة، ظهر أمره، وطلبه المعتضد، فهرب إلى المغرب من سلمية.

ويقال إنه ترسم بالتعليم كى يخفى أمره، وكان يقول عن محمد: إنه ربيب فى حجره، وأنه من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر، وذلك لضعف أمره فى مبدئه، ولذلك يقال عن محمد بن عبيدالله «يتيم المعلم».

وزعم آخر أن عبيدالله كان ربيبا فى حجر بعض الأشراف، وكان يطلب الإمامة، فلما مات ادعى عبيدالله أنه ابنه، وقيل: بل كان عبيد الله من أبناء السوقة صاحب علم.

انتهى ما ذكره الشريف.

قال: ولم يدَّع سعيد هذا - المسمى عبيدالله - نسبا إلى على بن أبى طالب إلا من بعد هربه من سلمية، وآباؤه - من قبله - لم يدعوا هذا النسب؛ وإنما كانوا يظهرون التشيع والعلم، وأنهم يدعون إلى الإمام محمد بن إسماعيل بن جعفر، وأنه حى لم يمت.

وهذا القول باطل، وباطنهم غير ظاهرهم، وليس يعرف هذا القول إلا لهم؛ وهم أهل تعطيل وإباحة، وإنما جعلوا علاقتهم بآل رسول الله - ﷺ - بابا للخديعة والمكر.

ولم يتم لسعيد أمر بالمغرب إلا أن قال: «أنا من آل رسول الله - ﷺ -» فتم له بذلك الحيلة والخديعة، وشاع بين الناس أنه علوى فاطمى من ولد إسماعيل بن جعفر، فاستعبدهم بهذا القول، وخفى أمر مذهبه عليهم إلا من كشف له من خاصته ودعاته

-و٩ أشهر و١٣ يوما. انظر: النجوم الزاهرة ٣/١٢٨، وشذرات الذهب ٢/١٩٩، وفوات الوفيات ١/٤٥، وابن الأثير ٧/١٤٧ - ١٦٩، وتاريخ بغداد ٤/٤٠٣، والأعلام ١/١٤٠.

فى تعطيل البارئ، والطعن على جميع الأنبياء، وإباحة أنفس أممهم وأموالهم وحريمهم، ومع ما كانوا يظهرون لم يكن لهم جسارة أن يذكروا لهم نسبا على منبر، ولا فى مجمع بين الناس، سوى ما يشيعون أنهم من آل رسول الله - ﷺ - بغير نسب ينتسبونه، تمويها على العامة. ولم يكن أحد من السلاطين المتقدمين كاشفهم فى أمر نسبهم احتقارا منه بهم وببلدهم، ولبعد ما بينهم من المسافة، فجرى أمرهم على ما ذكرنا - منذ ملك سعيد المسمى بعبيد الله المغرب إلى أن جلس نزار بن معد - يعنى العزيز [1] بمصر.

ثم ملك فنا خسرو بن الحسن الديلمى [2] بغداد، فقرب ما بينهما من المسافة، فجمع العلويين ببغداد، وقال لهم: «هذا الذى بمصر يقول إنه علوى منكم» فقالوا: «ليس هو منا» فقال لهم: «ضعوا خطوطكم» فوضعوا خطوطهم أنه ليس بعلوى، ولا من ولد أبى طالب. ثم أنفذ إلى نزار بن معد رسولا يقول له: «نريد نعرف ممن أنت؟». فعظم ذلك عليه، فذكر أن قاضيه ابن النعمان [3] ساس الأمر، لأنه كان يلى أمر الدعوة والمكاتبة فى أمرها، فنسب نزار إلى آبائه، وكتب نسبه، وأمر به أن يقرأ على المنابر، فقرئ على منبر جامع دمشق صدر الكتاب، ثم قال: نزار العزيز بالله بن معد المعز لدين الله بن إسماعيل المنصور بالله، بن محمد القائم بأمر الله، بن عبيد الله المهدى، ابن الأئمة الممتحنين - أو قال المستضعفين - وقطع. ثم إن رسول فنا خسرو سار راجعا،

---

(١) نزار العزيز بالله بن معد (المعز لدين الله) بن المنصور العبيدى الفاطمى، أبو منصور: صاحب مصر والمغرب ولد فى المهدية، وبويع بعد وفاة أبيه سنة ٣٦٥هـ وكانت فى أيامه فتن وقلاقل. طالت مدته، إلى أن خرج يريد غزو الروم، فلما كان فى مدينة بلبيس أدركته الوفاة. انظر: مورد اللطافة ٤ - ٦، وابن خلكان ١٥٢/٢، وخطط المقريزى ٢٨٤/٢، وابن خلدون ٥١/٤، وابن الأثير ٢٢٠/٨ و٤٠/٩، والأعلام ٨/١٦.

(٢) فناخسرو، الملقب عضد الدولة، بن الحسن الملقب ركن الدولة بن بويه الديلمى، أبو شجاع: أحد المتغلبين على الملك فى عهد الدولة العباسية بالعراق. تولى ملك فارس ثم ملك الموصل وبلاد الجزيرة. وهو أول من خطب له على المنابر بعد الخليفة، وأول من لقب فى الإسلام (شاهنشاه). توفى ببغداد وحمل فى تابوت، فدفن فى مشهد النجف. انظر: بغية الوعاة ٣٧٤، وابن الوردى ٣٠٥/١، وابن خلكان ٤١٦/١، والبداية والنهاية ٢٩٩/١١، ومرآة الجنان ٣٩٨/٢، ويتيمة الدهر ٢/٢، والأعلام ١٥٦/٥.

(٣) على بن النعمان بن محمد بن حيون، أبو الحسن : من قضاة مصر. كان فقيها عادلا عالما بالأدب، وافر الحرمة عند الفاطميين، له شعر جيد. قدم مع المعز من المغرب إلى مصر، ونظر فى الحكم ثم ولى القضاء استقلالا سنة ٣٦٦هـ وهو أول من لقب بقاضى الديار المصرية. استمر إلى أن توفى. انظر: وفيات الأعيان ١٦٧/٢، والولاة والقضاة ٤٩٥، و٥٨٩، والأعلام ٢٩/٥.

Marfat.com

فقتل بالسم فى طرابلس، فلم يأتهم من بعده رسول، وهلك فنا خسرو.

وذكر أبو الحسين هلال بن المحسن بن إبرا هيم بن هـلال الصـابى [١]، وابنـه غـرس الدولة محمد [٢] - فى تاريخهما - أن القادر بالله عقد مجلسا أحضر فيه الطاهر أبا أحمـد الحسين بن موسى بن محمد بن إسـماعيل بـن موسـى بـن جعفـر الصـادق [٣] وابنـه أبـا القاسـم عليًـا المرتضـى، وجماعـة مـن القضـاة والشـهود والفقهـاء، وأبـرز إليهـم أبيـات الشريف الرضى أبى الحسن محمد بن أبى أحمد الحسين [٤] التى أولها:

مـا مُقـامي علـى الهـوان وعنـدى	مِقْـوَلٌ صـارمٌ، وأنْـفٌ حَمِـىٌ
وإبـاءٌ محلّـقٌ بـى عـن الضَّيْـمِ	كمـا رَاغَ طـائرٌ وَحْشِـىٌ
أىُّ عُـذْر لـه إلى المجـدِ إن ذلَّ	غـلامٌ فـى غمْـدِه المشْـرَفىُّ
أحمـل الضَّيْـمَ فـى بـلاد الأعـادى	وبمصـرَ الخليفـةُ العلـوىُّ
مَـنْ أبـوه أبـى، ومـولاه مـولا	ى، إذا ضـامنى البعيـدُ القَصـىُّ
لَـفَّ عِرْقـى بعرقـه سـيدا النـا	سِ جميعـا: محمـدُ وعلـىٌّ
إنَّ جوعـى بذلـك الربْـع شِـبْعٌ	وأوامى بذلـك الظِـلُّ رِىٌّ
مِثْـلُ مَـنْ يركبُ الظلام وقد أسـ	رى ومِـنْ خلفـه هِـلالٌ مُضـِىٌّ

---

(١) هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابئ الحرانى، أبو الحسين أو أبو الحسن: مؤرخ كاتب، من أهل بغداد. كان أبوه وجده من الصابئة، وأسلم هو فى أواخر عمره. وكان قـد تعلـم الأدب وهو على دين آبائه. وولى ديوان الإنشاء ببغداد زمنا. من كتبه «تحفة الأمراء فى تاريخ الـوزراء». انظر: ابن خلكان ٢/٢٠٢، وتاريخ بغداد ١٤/٧٦، والمنتظم ٨/١٧٦، والأعلام ٨/٩٢.

(٢) محمد بن هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابئ، أبو الحسن : مؤرخ أديب مترسل من أهل بغداد. كان محترما عند الخلفاء والملوك. له «عيون التواريخ» جعله ذيلا لتاريخ أبيه. انظر: النجوم الزاهرة ٥/١٢٦، وكشف الظنون ٥/٢٠٤، والأعلام ٧/١٣٢.

(٣) الحسين بن موسى الحسينى العلوى الطالبى، أبو أحمد: نقيب العلويين فى بغداد ووالـد الشـريفين الرضى والمرتضى. ولى نقابة العلويين وإمارة الحاج سنة ٣٥٤هـ وكتـب لـه منشـور مـن ديـوان الخليفة. عزل عن النقابة سنة ٣٨٤هـ وأعيد إليها سنة ٣٩٤هـ وأضيف إليه الحـج والمظـالم، فلـم يزل على ذلك إلى أن توفى ضريرا. انظر: نشر العرف ١/٦١٧، والأعلام ٢/٢٦٠.

(٤) محمد بن الحسين بن موسى، أبو الحسن ، الرضى العلوى الحسـين الموسـوى : أشـهر الطـالبيين، على كثرة المجيدين فيهم. مولده ووفاته فى بغداد. انتهت إليه نقابة الأشـراف فـى حيـاة والـده. وخلع عليه بالسواد، وحدد له التقليد سنة ٤٠٣هـ. لـه «ديـوان شـعر» وكتـب منهـا «مـن شـعر الصـادق » و«المجـازات النبويـة» و«مجـاز القـرآن». انظـر: وفيـات الأعيـان ٢/٢، وتـاريخ بغـداد ٢/٢٤٦، والمنتظم ٧/٢٧٩، ويتيمة الدهر ٢/٢٩٧ - ٣١٥، ونزهة الجليس ١/٣٥٩، والذريعـة ٧/١٦، والأعلام ٦/٩٩.

Marfat.com

وقال الحاجب للنقيب أبى أحمد: «قل لولدك محمد: أى هوانٍ قد أقام فيه عندنا؟ وأى ضيم لقى من جهتنا؟ وأى ذل أصابه فى مملكتنا ؟ وما الذى يعمل معه صاحب مصر لو مضى إليه ؟ أكان يصنع إليه أكثر من صنيعنا ؟ ألم نوله النقابة ؟ ألم نوله المظالم؟ ألم نستخلفه على الحرمين والحجاز وجعلناه أمير الحجيج؟ فهل كان يحصل له من صاحب مصر أكثر من هذا ؟ ما نظنه كان يكون - لو حصل عنده - إلا واحدا من أبناء الطالبيين بمصر».

فقال النقيب أبو أحمد: «أما هذا الشعر فمما لم نسمعه منه، ولا رأيناه بخطه، ولا يبعد أن يكون بعض أعدائه نحله إياه، وعزاه إليه».

فقال القادر: «إن كان كذلك فليكتب الآن محضر يتضمن القدح فى أنساب ولاة مصر، ويكتب محمد خطه فيه».

فكتب محضر بذلك، شهد فيه جميع من حضر المجلس، منهم: النقيب أبو محمد، وابنه المرتضى. وحمل المحضر إلى الرضى ليكتب فيه خطه، حمله أبوه وأخوه، فامتنع، وقال: «لا أكتب، وأخاف دعاة صاحب مصر». وأنكر الشعر، وكتب بخطه أنه ليس بشعره، ولا يعرفه، فأجبره أبوه على أن يسطر خطه فى المحضر، فلم يفعل وقال: «أخاف دعاة المصريين وغلبتهم، فإنهم معروفون بذلك».

فقال أبوه: «يا عجبا! أتخاف من بينك وبينه ستمائة فرسخ، ولا تخاف من بينك وبينه مائة ذراع؟». وحلف أن لا يكلمه، وكذلك المرتضى [1]، فعلا ذلك تقية وخوفا من القادر، وتسكينا له. فلما انتهى الأمر إلى القادر سكت على سوء أضمره له، وبعد ذلك بأيام صرفه عن النقابة، وولاها محمد بن عمر النهرسابسى.

* * *

(١) على بن الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم، أبو القاسم، من أحفاد الحسين بن على بن أبى طالب : نقيب الطالبيين، وأحد الأئمة فى علم الكلام والأدب والشعر. يقول بالاعتزال. مولده ووفاته ببغداد. له تصانيف كثيرة منها «الغرر والدرر» و«الشهاب فى الشيب والشباب». انظر: روضات الجنات ٣٨٣، ومجلة العرفان ٣٢/٢، وميزان الاعتدال ٢٢٣/٢، وإشارات الأديب ١٧٣/٥ - ١٧٩، ولسان الميزان ٢٢٣/٤، وابن خلكان ٣٣٦/١، والذريعة ٤٠١/٢، والأعلام ٢٧٨/٤، ٢٧٩.

Marfat.com

وقال الإمام على بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير الجزرى (١) فى كتاب «الكامل فى التاريخ»:

ذكر ابتداء الدولة العلوية بافريقية

هذه الدولة اتسعت أكناف مملكتها، وطالت مدتها، فنحتاج نستقصى ذكرها، فنقول: أول من ولى منهم: أبو محمد عبيدالله، فقيل: هو محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، ومن ينسبه غير هذا النسب يجعله: عبيدالله بن ميمون القداح - الذى ينسب إليه القداحية -.

وقيل: هو عبيدالله بن أحمد بن إسماعيل الثانى بن محمد بن إسماعيل بن جعفر - يعنى الصادق - وقد اختلف العلماء فى صحة نسبه.

فقال:- هو وأصحابه القائلون بإمامته - إن نسبه صحيح، ولم يرتابوا فيه. وذهب كثير من العلماء بالأنساب إلى موافقتهم أيضا، وشهد بصحة هذا القول ما قاله الشريف الرضى.

ما مُقَامى على الهوان؟ وعندى ... مِقْوَلٌ صارمٌ، وأنفٌ حَمِىُّ
أَلْبَسُ الذُلَّ فى بلادِ الأعادى! ... وبمصرَ الخليفةُ العلوىُّ؟
مَنْ أبوه أبى، ومولاه مولا ... ىَ ضامنى البعيدُ القَصِىُّ
لفَّ عرقى بعرقه سيِّدا النا ... س جميعا: محمدٌ وعلىُّ
إنَّ ذُلّى بذلك الحىِّ عزٌّ، ... وأوامى بذلك الرَّبْعِ رِىُّ

قال - أى ابن الأثير -: إنما لم يودعها ديوانه خوفا، ولاحجة فيما كتبه فى المحضر المتضمن القدحَ فى أنسابهم، فإن الخوف يحمل على أكثر من هذا، على أنه قد ورد ما يصدق ما ذكرته، وهو أن القادر بالله لما بلغته هذه الأبيات أحضر القاضى أبا بكر

---

(١) على بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى الجزرى، أبو الحسن عز الدين ابن الأثير: المورخ الإمام، من العلماء بالنسب والأدب. ولد ونشأ فى جزيرة ابن عمر، وسكن فى الموصل وتجول فى البلدان، وعاد إلى الموصل وتوفى بها. من تصانيفه «الكامل» اثنا عشر مجلدا، مرتب على السنين، و«أسد الغابة فى معرفة الصحابة» و«اللباب». انظر: وفيات الأعيان ١/٣٤٧، ومفتاح السعادة ١/٢٠٦، وطبقات السبكى ٥/١٢٧، وآداب اللغة ٣/٨٠، والأعلام ٤/٣٣١، ٣٣٢.

Marfat.com

الباقلانى (١)، وأرسله إلى الشريف أبى أحمد الموسوى - والد الشريف الرضى - يقول له: «قد عرفت منزلك منا، وما نزال عليه من صدق الموالاة، وما تقدم لك فى الدولة من مواقف محمودة، ولا يجوز أن تكون أنت على خليقة نرضاها، ويكون ولدك على ما يضادها؛ ولقد بلغنا أنه قال شعرا، وهو كذا وكذا، فياليت شعرى على أى مقام ذل أقام؟ وهو ناظر فى النقابة والحج - وهما من أشرف الأعمال - ولو كان فى مصر لكان كبعض الرعايا». وأطال القول.

فحلف أبو أحمد أنه ما علم بذلك، وأحضر ولده، فقال له فى المعنى، فأنكر الشعر، فقال له: «اكتب خطك إلى الخليفة بالاعتذار، واذكر فيه أن نسب المصرى مدخول، وأنه مدع فى نسبه».

فقال: «لا أفعل». فقال أبوه: «أتكذبنى فى قولى؟». فقال: «ما أكذبك، ولكن أخاف الديلم، وأخاف من المصرى، ومن الدعاة التى له فى البلاد».

فقال أبوه: «أتخاف من هو بعيد منك وتراقبه، وتسخط من أنت على مرأى منه ومسمع، وهو قادر عليك وعلى أهل بيتك؟».

وتردد القول بينهما، ولم يكتب الرضى خطه، فحرد عليه أبوه وغضب، وحلف أن لا يقيم معه فى بلد، فآل الأمر إلى أن حلف الرضى أنه ما قال هذا الشعر.

واندرجت القصة على هذا.

ففى امتناع الرضى من الاعتذار، ومن أن يكتب طعنا فى نسبهم دليل قوى على صحة نسبهم. وسألت أنا جماعة من أعيان العلويين عن نسبه فلم يرتابوا فى صحته. وذهب غيرهم إلى أن نسبه مدخول ليس بصحيح، وغلا طائفة منهم إلى أن جعلوا نسبه يهوديا.

وقد كتب فى الأيام القادرية محضر يتضمن القدح فى نسبه ونسب أولاده، وكتب فيه جماعة من العلويين وغيرهم: أن نسبه إلى أمير المؤمنين على - كرم الله وجهه - غير صحيح.

---

(١) محمد بن نصيب بن محمد بن جعفر ، أبو بكر : قاض، من كبار علماء الكلام. انتهت إليه الرياسة فى مذهب الأشاعرة. ولد فى البصرة، وسكن بغداد فتوفى فيها. كان جيد الاستنباط، سريع الجواب. وجهه عضد الدولة سفيرا عنه إلى ملك الروم، وجرت له فى القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدى ملكها. من كتبه «إعجاز القرآن» و«الإنصاف». انظر: وفيات الأعيان ٤٨١/١، وقضاة الأندلس ٣٧ - ٤٠، وتاريخ بغداد ٣٧٩/٥، والوافى بالوفيات ١٧٧/٣، والأعلام ١٧٦/٦.

Marfat.com

وزعم القائلون بصحة نسبه أن العلماء ممن كتب فى المحضر إنما كتبوا خوفا وتقية، ومن لا علم عنده بالأنساب فلا احتجاج بقوله.

وزعم الأمير عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن شداد بن تميم بن المعز بن باديس - صاحب تاريخ إفريقية والغرب - أن نسبه معرق فى اليهودية، ونقل به جماعة من العلماء، وقد استقصى ذلك فى ابتداء دولتهم وبالغ. وأنا أذكر معنى ما قاله مع البراءة من عهدة طعنه فى نسبه، وما عداه فقد أحسن فيما ذكر، قال: «لما بعث الله محمدا - ﷺ - عظم ذلك على اليهود والنصارى والروم والفرس وسائر العرب، لأنه سفّه أحلامهم، وعاب أديانهم، فاجتمعوا يدا واحدة عليه، فكفاه الله كيدهم، وأسلم منهم من هداه الله، فلما قبض - ﷺ - نجم النفاق، وارتدت العرب، وظنوا أن أصحابه يضعفون بعده، فجاهد أبو بكر - رضى الله عنه - فى سبيل الله، فقتل مسيلمة وأهل الردة، ووطأ جزيرة العرب، وغزا فارس والروم، فلما حضرته الوفاة ظنوا أن بوفاته ينتقض الإسلام، فاستخلف عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فأذل فارس والروم، وغلب على ممالكهما، فدس عليه المنافقون أبا لؤلؤة فقتله، ظنا منهم أن بقتله ينطفئ نور الإسلام، فولى عثمان - رضى الله عنه - فزاد فى الفتوح، فلما قتل وولى على - رضى الله عنه - قام بالأمر أحسن قيام، فلما يئس أعداء الإسلام من استئصاله بالقوة أخذوا فى وضع الأحاديث الكاذبة، وتشكيك ضعفة العقول فى دينهم، بأمور قد ضبطها المحدثون، وأفسدوا الصحيح بالتأويل والطعن عليه.

وكان أول من فعل ذلك أبو الخطاب محمد بن أبى زينب - مولى بنى أسيد - وأبو شاكر ميمون بن ديصان، وغيرهما، فألقوا إلى كل من وثقوا به أن لكل شىء من العبادات باطنا، وأن الله لم يوجب على أوليائه ومن عرف من الأئمة والأبواب صلاة ولا زكاة ولا غير ذلك، ولا حرم عليهم شيئا، وأباحوا لهم نكاح الأمهات والأخوات، وقالوا: هذه قيود للعامة، وهى ساقطة عن الخاصة، وكانوا يظهرون التشيع لآل النبى - ﷺ - ليستروا أمرهم، ويستميلوا العامة. وتفرق أصحابهم فى البلاد، وأظهروا الزهد والعبادة، يغرون الناس بذلك وهم على خلافه، فقتل أبو الخطاب وجماعة من أصحابه بالكوفة، وكان أصحابه قالوا له: «إنا نخاف الجند». فقال لهم: «إن أسلحتهم لا تعمل فيكم». فلما ابتدأوا فى ضرب أعناقهم، قال له أصحابه: «ألم تقل إن سيوفهم لا تعمل فينا؟». فقال: «إذا كان قد بدا لله فما حيلتى؟» وتفرقت هذه الطائفة فى البلاد، وتعلموا الشعبذة (١) والنارنجيات (٢)، والنجوم، والكيمياء، فهم يحتالون على كل قوم بما يتفق

(١) الشعبذة: خفة فى اليد، وأخذ كالسحر، يرى الشىء بغير ما عليه أصله فى رأى العين.
(٢) النارنجيات: الرقى أو الطلاسم أو السحر.

Marfat.com

عليهم، وعلى العامة بإظهار الزهد.

ونشأ لابن ديصان ابن يقال له «أبو عبيدالله القداح» علمه الحيل، وأطلعه على أسرار هذه النحلة، فحذق وتقدم.

وكان بنواحى أصبهان [١] رجل يعرف بمحمد بن الحسين، ويلقب بدندان [٢]، يتولى تلك المواضع، وكان يبغض العرب، ويجمع مساويهم، فسار إليه القداح، وعرفه من ذلك ما زاد به محله، وأشار إليه أن لا يظهر ما فى نفسه ويكتمه، ويظهر التشيع والطعن على الصحابة، فاستحسن قوله، وأعطاه مالا ينفقه على الدعاة إلى هذا المذهب، فسير دعاته إلى كور الأهواز، والبصرة، والكوفة، والطالقان [٣]، وخراسان، وسلمية من أرض حمص.

---

(١) أَصبَهَانُ: منهم من يفتح الهمزة، وهم الأكثر، وكسرها آخرون، منهم: السمعانى وأبو عبيد البكرى الأندلسى؛ وهى مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، ويسرفون فى وصف عظمها حتى يتجاوزوا حدّ الاقتصاد إلى غاية الإسراف. وأصبهان: اسم للإقليم بأسره، ولهم فى تسميتها بهذا الاسم خلاف. قال أصحاب السير: سميت بأصبهان بن فَلّوج بن لنطى بن يونان ابن يافث. وقال ابن الكلبى: سميت بأصبهان بن فَلّوج بن سام بن نوح، عليه السلام. قال ابن دريد: أصبهان اسم مَرَكّب لأن الأَصْب البَلَدُ بلسان الفرس، وهان اسم الفارس، فكأنه يقال بلاد الفُرسان، قال عبيد الله المستجير بعَفْوه: المعروف أن الأَصْبَ بلُغة الفُرس هو الفرَس، وهان كأنه دليل الجمع، فمعناه الفرسان والأصبهانى الفارسُ. وقال حمزة بن الحسن: أصبهان اسم مشتقّ من الجندية وذلك أن لفظ أصبهان، إذ رُدّ إلى اسمه بالفارسية، كان أسباهان وهى جمع أسباه وأسباه: اسم للجند والكلب. وكذلك سك: اسم للجند والكلب، وإنما لزمهما هذان الاسمان واشتركا فيهما لأن أفعالهما لِفْقٌ لأسمائهما وذلك أن أفعالهما الحراسة، فالكلب يسمى فى لغة سك وفى لغةٍ أسباه، وتخفف. فيقال: أسبه، فعلى هذا جمعوا هذين الاسمين وسمّوا بهما بلدين كانا معدن الجند الأساورة. فقالوا لأصبهان: أسباهان. ولسجستان: سكان وسكستان.
قال: وذكر ابن حمزة فى اشتقاق أصبهان حديثًا يَلَهَجُ به عوامّ الناس وهوامّهم، قال: أصله أسباه آن أى هم جُنْد الله.

(٢) هو محمد بن الحسين الملقب بدندان أو زيدان، كان رحلا ثريا يعيش بنواحى كرخ وأصفهان، كما كان فارسيا شعوبيا، كارها للعرب اجتمع وعبدالله بن ميمون فى سجن والى العراق حيث أسسا مذهب الباطنية، ثم بدأ دندان ينشر دعوته فى منطقة الجبل.

(٣) طَالَقَانُ: بعد الألف لام مفتوحة وقاف، وآخره نون: بلدتان إحداهما بخراسان بين مرو الروذ وبلخ، بينها وبين مرو الروذ ثلاث مراحل، وقال: الإصطخرى: أكبر مدينة بطخارستان طالقان، وهى مدينة فى مستوى من الأرض وبينها وبين الجبل غلوة سهم، ولها نهر كبير وبساتين، ومقدار الطالقان نحو ثلث بلخ ثم يليها فى الكبر وزَوْالين.
والأخرى بلدة وكورة بين قزوين وأبهر وبها عدة قرى يقع عليها هذا الاسم. انظر: معجم البلدان ٤، ٦، ٧، ٨.

Marfat.com

وتوفى القداح ودندان، فقام من بعد القداح ابنه أحمد، وصحبه إنسان يقال له أبو القاسم رستم بن الحسين بن فرج بن حوشب بن زاذان النجار ، من أهل الكوفة، وألقى إليه مذهبه فقبله، وسيره إلى اليمن، وأمره بلزوم العبادة والزهد، ودعا الناس إلى المهدى، وأنه خارج فى هذا الزمان، فنزل بعدن (١) بقرب قوم من الشيعة يعرفون ببنى موسى، فأظهر أمره، وقرَّب أمر المهدى، وأمرهم بالاستكثار من الخيل والسلاح.

واتصلت أخباره بالشيعة الذين بالعراق، فساروا إليه، وكثر جمعهم، وعظم بأسهم، وأغاروا على من جاورهم، وسبوا، وجبوا الأموال، وأرسل إلى من بالكوفة من ولد القداح هدايا عظيمة.

وأوفدوا إلى المغرب رجلين: أحدهما الحلوانى، والآخر أبو سفيان (٢)، وقالوا لهما: «إن المغرب أرض بور، فاذهبا فأحرثا حتى يجىء صاحب البذر». فسارا، ونزل أحدهما بأرض كتامة، فمالت قلوب أهل تلك النواحى إليهما، وحملوا إليهما الأموال والتحف، فأقاما سنين كثيرة وماتا، وكان من إرسال أبى عبد الله الشيعى إلى المغرب ما كان.

فلما توفى عبد الله بن ميمون القداح ادعى ولده أنه من ولد عقيل بن أبى طالب، وهم مع هذا يسترون أمرهم، ويخفون أشخاصهم.

وكان ولده أحمد هو المشار إليه منهم، فتوفى وخلف ولده محمدًا، ثم توفى محمد وخلف أحمد والحسين، فسار الحسين إلى سلمية، وثَّه بها ودائع من جهة جده عبد الله القداح، ووكلاء وغلمان. وبقى ببغداد من أولاد القداح أبو الشلعلع، وكان الحسين يدعى أنه الوصى وصاحب الأمر، والدعاة باليمن والمغرب يكاتبونه، واتفق أنه جرى بحضرته حديث النساء بسلمية، فوصفوا له امرأة رجل يهودى حداد مات عنها زوجها وهى فى غاية الحسن ولها ولد من الحداد يماثلها فى الجمال، فأحبها وحسن موقعها

---

(١) عَدَنُ: بالتحريك، وآخره نون، وهو من قولهم عَدَن بالمكان إذا أقام به، وبذلك سميت عدَن، وقال الطبرى: سمّيت عدَن وأبْيَنُ بعَدَن وأبين ابنَى عَدْنان، وهذا عجب لم أرَ أحدًا ذكر أن عدنان كان له ولدٌ اسمه عدَن غير ما ورد فى هذا الموضع: وهى مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن لا ماء بها ولا مرعى وشربهم من عين بينها وبين عدن مسيرة نحو اليوم وهو مع ذلك ردىء إلا أن هذا الموضع هو مرفأ مراكب الهند والتجار يجتمعون إليه لأجل ذلك فإنها بلدة تجارة، وتضاف إلى أبْين وهو مخلاف عدن من جملته. وقال ابن الكلبى: سميت عدن بعدَن ابن سنان بن فيشان بن إبراهيم، وروى عبد المنعم عن وهب أن الحبشة عبرت فى سُفُنهم فخرجوا فى عدن فقالوا: عدونا فسميت عدن بذلك، وتفسيره خرجنا. انظر: معجم البلدان ٤/٨٩، ٩٠.

(٢) الحلوانى وأبو سفيان أنفذهما جعفر الصادق إلى بلاد المغرب فى سنة خمس وأربعين ومائة.

Marfat.com

منه، وأحب ولدها، وأدَّبه وعلمه، فتعلم العلم، وصارت له نفس عظيمة، وهمة كبيرة، فمن العلماء من أهل هذه الدعوة من يقول: إن الإمام الذى كان بسلمية - وهو الحسين - مات ولم يكن له ولد، فعهد إلى ابن اليهودى الحداد - وهو عبيدالله - وعلمه أسرار الدعوة من قول وفعل، وأين الدعاة، وأعطاه الأموال والعلامات، وتقدم إلى أصحابه بطاعته وخدمته، وأنه الإمام والوصى، وزوجه ابنة عمه أبى الشلعلع، وجعل لنفسه نسبا، وهو: عبيدالله بن الحسين بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب. وبعض الناس يقول: إن عبيدالله هذا من ولد القداح».

وقال - أى ابن الأثير -: هذه الأقوال فيها ما فيها، فياليت شعرى، ما الذى حمل أبا عبد الله الشيعى وغيره ممن قام فى إظهار هذه الدعوة حتى يخرجوا الأمر من أنفسهم ويسلموه إلى ولد يهودى ؟ وهل يسامح نفسه بهذا الأمر من يعتقده دينا يثاب عليه؟!.

قال: فلما عهد الحسين إلى عبيدالله قال له: «إنك ستهاجر بعدى هجرة بعيدة، وتلقى محنا شديدة». فتوفى الحسين، وقام بعده عبيدالله، وانتشرت دعوته، وأرسل إليه أبو عبد الله رجالا من كتامة من المغرب ليخبروه بما فتح الله عليه، وأنهم ينتظرونه.

وشاع خبره عند الناس أيام المكتفى، فطلب، فهرب هو وولده أبو القاسم (١) - الذى ولى بعده وتلقب بالقائم - وهو يومئذ غلام، وخرج معه خاصته ومواليه يريد المغرب، وذلك أيام زيادة الله بن الأغلب.

انتهى ما ذكره ابن الأثير.

قال المؤلف - رحمة لله عليه -: وأما المحضر فنسخته: «هذا ما شهد به الشهود: أن معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد ينسب إلى ديصان بن سعيد الذى تنسب إليه الديصانية. وأن هذا الناجم بمصر هو منصور بن نزار المتلقب بالحاكم - حكم الله عليه بالبوار والخزى والدمار- ابن معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد، لا أسعده الله.

وأن من تقدمه من سلفه الأرجاس الأنجاس - عليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين -

---

(١) محمد بن عبيد الله، أبو القاسم، القائم بن المهدى العبيدى الفاطمى: صاحب المغرب ويسمى نزارا، ولد ونشأ فى سلمية بسورية، ودخل المغرب مع أبيه. ولما استقر أبوه فى ملك المغرب جهزه إلى مصر مرتين سنة ٣٠١ و٣٠٧هـ. فملك فى الأولى الإسكندرية والفيوم، وفى الثانية وصل إلى الجيزة، وقاتله جيش المقتدر العباسى فعاد القائم إلى المغرب. وبويع بعد أبيه سنة ٣٢٢هـ. وهو ثانى ملوك الدولة الفاطمية العبيدية، وأول من تلقب بأمير المؤمنين فيها، مات محصورا بالمهدية. انظر: النجوم الزاهرة ٣/٢٨٧، والأعلام ٦/٢٥٩.

أدعياء خوارج، لا نسب لهم فى ولد على بن أبى طالب - رضى الله عنه -: وأن ما ادعوه من الانتساب إليه زور وباطل. وأن هذا الناجم فى مصر - هو وسلفه - كفار، فساق، زنادقة، ملحدون، معطلون، وللإسلام جاحدون، أباحوا الفروج، وأحلوا الخمور، وسبُّوا الأنبياء، وادعوا الربوبية».

وفى آخره: «وكُتب فى شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمائة».

وقال العلامة أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون [١] فى كتاب: «العبر وديوان المبتدأ والخبر»: ومن الأخبار الواهية ما يذهب إليه كثيرون من المؤرخين فى العبيدين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة، من نفيهم عن أهل البيت - صلوات الله عليهم - والطعن فى نسبهم إلى إسماعيل الإمام بن جعفر الصادق، يعتمدون فى ذلك على أحاديث لفقت للمستضعفين من خلفاء بنى العباس، تزلفًا إليهم بالقدح فيمن ناصبهم، وتفننا فى الشمات بعدوهم، حسب ما تذكر بعض هذه الأحاديث فى أخبارهم، ويغفلون عن التفطن لشواهد الواقعات وأدلة الأحوال التى اقتضت خلاف ذلك من تكذيب دعواهم، والرد عليهم، فإنهم متفقون فى حديثهم عن مبدأ دولة الشيعة أن أبا عبد الله المحتسب لما دعا - بكتامة - للرضى من آل محمد، واشتهر خبره، وعلم تحويمه على عبيدالله المهدى، وابنه أبى القاسم خشيا على أنفسهما، فهربا من المشرق - محل الخلافة - واجتازا بمصر. وأنهما خرجا من الإسكندرية فى زى التجار، ونمى خبرهما إلى عيسى النوشرى - عامل مصر - فسرَّح فى طلبهما الخيالة، حتى إذا أدركا خفى حالهما على تابعهما بما لبسوا من الشارة والزى، فأقبلوا إلى المغرب.

وأن المعتضد أوعز إلى الأغالبة - أمراء إفريقية بالقيروان - وبنى مدرار [٢]- أمراء سجلماسة - بأخذ الآفاق عليهما، وإذكاء العيون فى طلبهما، فعثر اليسع [٣] -

---

(١) عبد الرحمن بن محمد بن أحمد، بن خلدون أبو زيد، ولى الدين الحضرمى الإشبيلى. الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعى البحاثة. أصله من إشبيلية، ومولده ومنشأه بتونس، رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس، وتولى أعمالا وعاد إلى تونس ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها. وولى فيها قضاء المالكية وعزل وأعيد. وتوفى فجأة فى القاهرة، من كتبه «العبر وديوان المبتدأ والخبر». انظر: الضوء اللامع ٤/١٤٥، وجذوة الاقتباس ٧، ونفح الطيب ٤/٤١٤، والعبر ٧/٣٧٩، وآداب زيدان٣/٢١٠، والأعلام٣/٣٣٠.

(٢) أمراء سجلماسة حكموا هذه المدينة قرنين من الزمان (١٥٥ - ٣٥٢هـ (٧٧٢ - ٩٦٣م) إلا ثلاث فترات استولى فيها الفاطميون على هذه المدينة.

(٣) هو اليسع الثانى المستنصر ثامن حكام سجلماسة من آل مدرار، حكمها بين سنتى (٢٧٠ - ٢٩٦هـ ٨٨٣ - ٩٠٩م).

Marfat.com

صاحب سجلماسة ابـن آل مـدرار - علـى خفـى مكانهمـا ببلـده، واعتقلهمـا مرضـاة للخليفة. هذا قبل أن تظهر الشيعة على الأغالبة بالقيروان.

ثم كان بعد ذلـك ماكـان مـن ظهـور دعوتهـم بإفريقيـة والمغـرب، ثـم بـاليمن، ثـم بالإسكندرية، ثم بمصر والشام والحجاز، وقاسموا بنى العباس فـى ممـالك الإسـلام شـق الأبلمة (١)، وكادوا يلجون عليهم مواطنهم، ويديلون من أمرهم.

ولقـد أظهـر دعوتهـم ببغـداد وعراقهـا الأمـير البساسـيرى (٢) - مـن مـوالى الديلـم المتغلبين على خلفاء بنى العباس - فى مغاضبة جرت بينه وبـين أمـراء العجـم، وخطـب لهم على منابرها حولا كاملا. وما زال بنو العباس يغصون بمكـانهم ودولتهـم، وملـوك بنى أمية - وراء البحر - ينادون بالويل والحرب منهم. وكيف يقع هذا كله لدعـى فـى النسب، يكذب فى انتحال الأمر.

واعتبر حال القرمطى إذ كان دعيا فى انتسابه، كيف تلاشت دعوته، وتفرق أتباعـه، وظهر سريعا على خبثهم ومكرهم، فساءت عاقبتهم، وذاقـوا وبـال أمرهـم، ولـو كـان أمر العبيديين كذلك لعرف ولو بعد مهلة:

ومهمـا تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلـم

فقد اتصلت دولتهم نحوا من مائتين وسبعين سـنة، وملكـوا مقـام إبراهيـم ومصـلاه، وموطن الرسول ومدفنه، وموقف الحجيج، ومهبط الملائكة، ثم انقرض أمرهم وشيعتهم فى ذلك كله على أتم ما كانوا عليه من الطاعة لهم، والحب فيهـم، واعتقـادهم بنسـب الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق. ولقد خرجـوا مـرارًا - بعـد ذهـاب الدولـة ودروس أثرها - داعين إلى بدعتهم، هاتفين بأسماء صبيـان مـن أعقـابهم، يزعمـون اسـتحقاقهم للخلافة، ويذهبون إلى تعيينهم بالوصية ممن سـلف قبلهـم مـن الأئمـة، ولـو ارتـابوا فـى نسبهم لما ركبوا أعناق الأخطار فى الانتصار لهم، فصاحب البدعة لا يلبـس فـى أمـره، ولا يشبه فى بدعته، ولا يكذب نفسه فيما ينتحله.

والعجب فى القاضى أبى بكر الباقلانى - شيخ النظار من المتكلمين - يجنح إلى هـذه

---

(١) المقصود نصفين.

(٢) أرسلان بن عبدالله ، أبو الحارث البساسيرى : قائد، ثائر تركى الأصل. كان مـن مماليك بويـه. وخدم القائد العباسى فقدمه على جميع الأتراك فى بغداد وقلده الأمور بأسرها، وخطب لـه علـى منابر العراق وخوزستان، فعظم أمره وهابته الملوك. ثم خـرج علـى القـائم وأخرجـه مـن بغـداد. تغلـب عليـه أعـوان القـائم فقتلـوه. انظـر: النجـوم الزاهـرة ٥/٦٤٢، ووفيـات الأعيـان ١/٦١، واللباب ١/١٢١، والأعلام ١/٢٨٧/٢٨٨.

المقالة المرجوحة، ويرى هذا الرأى الضعيف، فإن كان ذلك لما كانوا عليه من الإلحاد فى الدين، والتعمق فى الرافضية، فليس ذلك بدافع فى صدد بدعتهم، وليس إثبات منتسبهم بالذى يغنى عنهم من الله شيئا فى كفرهم، وقد قال تعالى لنوح - عليه السلام - فى شأن ابنه: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّه عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ، فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ به عِلْمٌ﴾ (١). و قال - ﷺ - لفاطمة يعظها: «يا فاطمة: اعملى، فلن أغنى عنك من الله شيئا».

ومتى عرف امرؤ قضية، أو استيقن أمرا، وجب عليه أن يصدع به ﴿واللهُ يَقُولُ الحقَّ وَهُوَ يَهْدِى السبيلَ﴾ (٢).

والقوم كانوا فى مجال لظنون الدول بهم، وتحت رقبة من الطغاة لتوفر شيعتهم، وانتشارهم فى القاصية بدعوتهم، وتكرر خروجهم مرة بعد أخرى، فلاذت رجالاتهم بالاختفاء، ولم يكادوا يعرفون كما قيل:

فلو تسألُ الأيامُ ما اسمى مَا دَرَتْ وأين مكانى ؟ ما عَرَفْنَ مَكانِىَ

حتى لقد سمى محمد بن إسماعيل الإمام - جد عبيد الله المهدى - بالمكتوم، سمته بذلك شيعتهم لما اتفقوا عليه من إخفائه حذرا من المتغلبين عليهم، فتوصل شيعة آل العباس بذلك عند ظهورهم إلى الطعن فى نسبهم، وازدلفوا بهذا الرأى الفائل (٣) إلى المستضعفين من خلفائهم، وأعجب به أولياؤهم وأمراء دولتهم، المتولون لحروبهم مع الأعداء، يدفعون به عن أنفسهم وسلطانهم معرة العجز عن المقاومة والمدافعة لمن غلبهم على الشام ومصر والحجاز من البربر الكتاميين - شيعة العبيديين وأهل دعوتهم - حتى لقد سجل القضاة ببغداد بنفيهم من هذا النسب، وشهد بذلك من أعلام الناس جماعة، منهم: الشريف الرضى وأخوه المرتضى وابن البطحاوى ومن العلماء: أبو حامد الاسفراينى (٤). والقدورى (٥) والصيمرى (٦)وابن الأكفانى (٧) والأبيوردى (٨) وأبو

---

(١) سورة هود آية ٤٦.

(٢) سورة النساء آية ٣٣.

(٣) هو الرأى الضعيف أو الخاطئ.

(٤) أحمد بن محمد بن أحمد الاسفراينى، أبو حامد : من أعلام الشافعية. ولد فى اسفراين بالقرب من نيسابور، ورحل إلى بغداد، فتفقه فيها وعظمت مكانته. وألف كتبا، منها مطول فى «أصول الفقه» وتوفى ببغداد. انظر: طبقات الشافعية ٣/٢٤، والبداية والنهاية ١٢/٢، وابن خلكان ١/١٩، وياقوت ١/٢٤٧ - ٧٤٨، والأعلام ١/٢١١.

(٥) أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان أبو الحسين القدورى : فقيه حنفى. ولد ومات فى بغداد. انتهت إليه رئاسة الحنفية فى العراق، وصنف المختصر المعروف باسمه «القدورى» فى فقه

عبد الله بن النعمان (١) فقيه الشيعة.

وغيرهم من أعلام الأئمة ببغداد، فى يوم مشهود وذلك سنة اثنتين وأربعمائة فى أيام القادر (٢) وكانت شهادتهم فى ذلك على السماع لما اشتهر وعرف بين الناس ببغداد، وغالبها شيعة بنى العباس، الطاعنون فى هذا النسب، فنقله الإخباريون - كما سمعوه - ورووه - حسبما وعوه - والحق من ورائه.

وفى كتاب المعتضد - فى شأن عبيدالله - إلى ابن الأغلب بالقيروان، وابن مدرار بسجلماسة أصدق شاهد، وأوضح دليل على صحة نسبهم، فالمعتضد أقعد بنسب أهل البيت من كل أحد، والدولة والسلطان سوق للعالم تجلب إليه بضائع العلوم والصنائع، وتلتمس فيه ضوال الحكم، وتحدو إليه ركائب الروايات والأخبار، وما نفق فيها نفق عند الكافة، فإن تنزهت الدولة عن التعسف والميل والإفن والشقشقة، وسلكت النهج الأمم، ولم تجز عن قصد السبيل، نفق بأسواقها الإبريز الخالص، واللجين المصفى، وإن ذهبت مع الأغراض والحقود، وماجت بسماسرة البغى والباطل، نفق البهرج (٣) والزائف، والناقد البصير قسطاس نظره، وميزان بحثه وملتمسه.

الحنفية. انظر: وفيات الأعيان ٢١/١، والجواهر المضية ٩٣/١، والنجوم الزاهرة ٢٤/٥، والأعلام ٢١٢/١.

(٦) الحسين بن على بن محمد بن جعفر ، أبو عبدالله الصيمرى : قاض فقيه، كان شيخ الحنفية ببغداد. أصله من صيمر ولى قضاء المدائن، ثم ربع الكرخ إلى أن مات ببغداد. له «مناقب الإمام أبى حنيفة». انظر: الفوائد البهية ٦٧، والجواهر المضية ٢١٤/١، وتهذيب ابن عساكر ٣٤٤/٤، وتاريخ بغداد ٧٨/٨، ودار الكتب ٣١٨/٥، والأعلام ٢٤٥/٢

(٧) عبد الله بن محمد بن عبد الله أبو محمد المعروف بابن الأكفانى، قاضى قضاة بغداد، ولد سنة ٣١٦هـ وتوفى سنة ٤٠٥هـ عن تسع وثمانين سنة.

(٨) أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد أبو العباس الأبيوردى، أحد أئمة الشافعية.

(١) محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبرى، يرفع نسبه إلى قحطان، أبو عبدالله، المفيد، ويعرف بابن المعلم : محقق إمامى، انتهت إليه رئاسة الشيعة فى وقته، كثير التصانيف له نحو مائتى مصنف منها «الإعلام فيما اتفقت الإمامية عليه من الأحكام». «الإرشاد». انظر: مجلة العرفان ٢٥٣/٣، وروضات الجنات ٢٤/٤، وميزان الاعتدال ١٣١/٣، والذريعة ٣٠٢/١ البداية والنهاية ٥٠٩، والأعلام ٢١/٧.

(٢) أحمد بن إسحاق بن المقتدر، أبو العباس، القادر بالله : الخليفة العباسى، أمير المؤمنين. ولى الخلافة سنة ٣٨١هـ وطالت أيامه ودامت لمدة ٤١ سنة. توفى ببغداد. انظر: ابن الأثير ٢٨/٩ البداية والنهاية ١٤٣، وتاريخ الخميس ٣٥٥/٢، وتاريخ بغداد ٣٧/٤، والأعلام ٩٥/١، ٩٦.

(٣) هو الباطل أو الردىء أو الزائف.

Marfat.com

قال - أى ابن خلدون -: «وكان الإسماعيلية من الشيعة يذهبون إلى أن الإمام من ولد جعفر الصادق هو إسماعيل ابنه من بعده، وأن الإمام بعده ابنه محمد المكتوم، وبعده ابنه جعفر المصدق، وبعده ابنه محمد الحبيب، وكانوا أهل غلو فى دعاويهم فى هؤلاء الأئمة. وكان محمد بن جعفر هذا يؤمل ظهور أمره والظفر بدولته.

وكان باليمن من هذا المذهب كثير بعدن فى قوم يعرفون ببنى موسى، وكذلك كان بإفريقية من لدن جعفر الصادق بمرماجنة (١) وفى كتامة، وفى نفزة (٢) وسماتة، تلقوا ذلك من الحلوانى وابن بكار - داعيتى جعفر الصادق - وقدم على جعفر بن محمد - والد عبيد الله - من أهل اليمن رجل من أولئك الشيعة، يعرف بعلى بن الفضل، فأخبره بأخبار اليمن، فبعث معه أبا القاسم رستم بن الحسين بن فرج بن حوشب الكوفى - من رجالات الشيعة - وقال له: «ليس لليمن إلا أنت». فخرجا من القادسية سنة ثمان وستين ومائتين، ودخلا اليمن، على حين انخلع محمد بن يعفر(٣) من الملك، وأظهر التوبة، فدعوا للرضى من آل محمد، وظهرت الدعوة سنة سبعين، وتسمى أبو القاسم بالمنصور، وابتنى حصنا بجبل لاعة(٤)، وزحف بالجيوش، وفتح مدائن اليمن، وملك صنعاء(٥)، وأخرج بنى يعفر، وفرق الدعاة فى اليمن(٦) والبحرين، واليمامة، والسند(٧)

---

(١) مَرْماجَنَة: بالفتح ثم السكون، وبعد الألف جيم، ونون مشددة: قرية بإفريقية لهوارة قبيلة من البربر. وقال المهلبى: بين مرْماجَنَة والأرْبُس مرحلة. انظر: معجم البلدان ١٠٩/٥.

(٢) نَفْزَةُ: بالفتح ثم السكون، وزاى: مدينة بالمغرب بالأندلس، وقال السلفى: نِفْزة، بكسر النون، قبيلة كبيرة منها بنو عميرة وبنو ملحان المقيمون بشاطبة. انظر: معجم البلدان ٢٩٦/٥

(٣) محمد بن يعفر بن عبد الرحيم الحوالى الحميرى : أمير صنعاء، من رجالات الأسرة الحوالية فى اليمن، وهى تعد من بقايا التابعة ودار ملكه شبام. كان أبوه يتولى صنعاء استقلالا، وقاوم ولاة بنى العباس وخالفه ابنه فأخذ البيعة للمعتمد العباسى سنة ٢٥٧هـ وجاءه مرسوم المعتمد بالولاية على صنعاء، فقام بأمرها وضم إليها جميع مخاليف اليمن. انظر: بلوغ المرام ١٨، والإكليل ١٠٥/٨، والأعلام ١٤٤/٧.

(٤) لاعَةُ: بالعين مهملة: مدينة فى جبل صَبر من نواحى اليمن إلى جانبها قرية لطيفة يقال لها عَدَنُ لاعَةَ، ولاعَة: موضع ظهرت فيه دعوة المصريين باليمن. ودخلها من دُعاة المصريين أبو عبد الله الشيعى صاحب الدعوة بالمغرب، وكان محمد بن الفضل المذكور آنفًا قد استولى على جبل صبر وهو جبل المذرعة فى سنة ٣٤٠ ودعا إلى المصريين ثم نزعه منه أسعد بن أبى يعفر.

(٥) صَنْعَاءُ: منسوبة إلى جودة الصنعة فى ذاتها، كقولهم: امرأة حسناء وعجزاء وشهلاء، والنسبة إليها صنعانىّ على غير قياس كالنسبة إلى بهراء بهرانى. وصنعاء: موضعان أحدهما باليمن. وهى العظمى. وأخرى قرية بالغوطة من دمشق. والمشار إليها هنا اليمانية، قال أبو القاسم الزجاجى: كان اسم صنعاء فى القديم أزال. قال ذلك الكلبى والشَرَقى وعبد المنعم، فلمّا وافتها الحبشة قالوا نعم نعم فسمّى الجبل نعم أى انظر، فلمّا رأوا مدينتها وجدوها مبنية بالحجارة حصينة=

Marfat.com

والهند، ومصر والمغرب.

وكان أبو عبد الله المحتسب داعى المغرب، وأصله من الكوفة، واسمه الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا (١)، من رام هرمز (٢) وكان محتسبا بسوق الغزل من البصرة، وقيل: إنما المحتسب أخوه أبو العباس محمد. ويعرف أبو عبد الله بالمعلم، كان يعلم الناس مذهب الإمامية الباطنية، واتصل بالإمام محمد بن جعفر، ورأى أهليته، فأرسله

=فقالوا هذه صنعة ومعناه حصينة فسمّيت صنعاء بذلك، وبين صنعاء وعدن ثمانية وستون ميلاً، وصنعاء قصبة اليمن وأحسن بلادها، تُشبّه بدمشق لكثرة فواكهها وتدفق مياهها فيما قيل، وقيل: سميت بصنعاء بن أزال بن يقطن بن عابر ابن شالخ وهو الذى بناها. انظر: معجم البلدان (صنعاء).

(٦) اليَمَنُ: بالتحريك، قال الشرقى: إنما سميت اليمن لتَيَامُنهم إليها، قال ابن عباس: تفرّقت العرب فمن تَيامَنَ منهم سُمّيت اليمن، ويقال إن الناس كثروا بمكة فلم تحملهم فالتأمَتْ بنو يمن إلى اليمن وهى أيمَنُ الأرض فسميت بذلك، وقولهم تَيامَنَ الناس فسمّوا اليمن فيه نظرٌ لأن الكعبة مربعة فلا يمين لها ولا يسار فإذا كانت اليمن عن يمين قوم كانت عن يسار آخرين وكذلك الجهات الأربع إلا أن يريد بذلك من يستقبل الركن اليمانى فإنه أحلّها فإذًا يصحّ، والله أعلم، انظر: معجم البلدان (يمن).

(٧) السِّنْدُ: بكسر أوله، وسكون ثانيه، وآخره دال مهملة: بلاد بين بلاد الهند وكرمان وسجستان، قالوا: السند والهند كانا أخوين من ولد بوقير بن يقطن بن حام بن نوح، يقال للواحد من أهلها سِندى والجمع سند مثل زنجى وزنج، وبعضهم يجعل مُكْران منها ويقول: هى خمس كوَر، فأوّلها من قبل كرمان مكران ثمّ طوران ثمّ السند ثمّ الهند ثمّ المُلتان. وقصبة السند: مدينة يقال لها المنصورة، ومن مُدنها دَيبل، وهى على ضفة بحر الهند والتيز، وهى أيضًا على ساحل البحر فتحت فى أيام الحجاج بن يوسف، ومذهب أهلها الغالب عليها مذهب أبى حنيفة، ولهم فقيه يكنّى بأبى العبّاس داودى المذهب له تصانيف فى مذهبه وكان قاضى المنصورة ومن أهلها.

والسند أيضًا: ناحية من أعمال طلبَيرة من الأندلس. والسند أيضًا: مدينة فى إقليم فِرَيش بالأندلس. والسند أيضًا: قرية من قرى بلدة نَسا من بلاد خراسان قريب من بلدة أبيورد. معجم البلدان (صنعاء).

(١) الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا، أبو عبد الله ، المعروف بالشيعى ويلقب بالمعلم. مهّد الدولة للعبيديين، وناشر دعوتهم فى المغرب. انظر: وفيات الأعيان ١/١٦٢، وابن خلدون ٣/٣٦٢، ٣٧، وابن الأثير ٨/١٠ - ١٧، والبداية والنهاية ١١/١٨٠، والأعلام ٢/٢٣٠.

(٢) رامَهُرْمُز: ومعنى رام بالفارسيّة المراد والمقصود، وهُرْمُز أحد الأكاسرة، فكأنّ هذه اللفظة مركبة معناها: مقصود هُرْمُز أو مراد هرمز. وقال حمزة: رامهرمز اسم مختصر من رامهرمز أردشير، وهى مدينة مشهورة بنواحى خوزستان، والعامّة يسمونها رامز كسلاً منهم عن تتمة اللفظة بكمالها واختصارًا، ورامهرمز من بين مُدُن خوزستان تجمع النخل والجوز والأترنج، وليس ذلك يجتمع بغيرها من مدن خوزستان. انظر: معجم البلدان ٣/١٧، ١٨.

Marfat.com

إلى ابن حوشب - صاحب اليمن - وأمره بامتثال أمره، والاقتداء بسيرته، ثم يذهب بعدها إلى المغرب، ويقصد بلد كتامة، فلما بلغ إلى ابن حوشب لزمه، وشهد مجالسه، وأفاد علمه، ثم خرج مع حاج اليمن إلى مكة حتى أتى الموسم، ولقى به رجالات كتامة واختلط بهم، ووجد لديهم بذرا من ذلك المذهب - كما قدمنا - فاشتملوا عليه، وسألوه الرحلة فارتحل معهم إلى بلدهم، ونزل بها، وجاهر بمذهبه، وأعلن إمامة أهل البيت، ودعا للرضى من آل محمد - على عادة الشيعة - وأطاعته قبائل كتامة بعد فتن وحروب، ثم اجتمعوا على تلك الدعوة.

ثم هلك الإمام محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق بعد أن عهد لابنه عبيد الله المهدى، وشاع خبر دعاته باليمن وإفريقية، وطلبه المكتفى، وكان يسكن عسكر مكرم، فانتقل إلى الشام، ثم طُلب ففر بنفسه وبابنه أبى القاسم - وكان غلاما حدثا - وبلغ مصر، وأراد قصد اليمن، فبلغه أن على بن المفضل أحدث فيها الأحداث من بعد ابن حوشب، وأساء السيرة، فكره دخول اليمن، واتصل به شأن أبى عبد الله، وما فتح الله عليه بالمغرب، فاعتزم على اللحاق به؛ وسرح عيسى النوشرى - عامل مصر - فى طلبه، وكانوا خرجوا من الإسكندرية فى زى التجار، فلما أُدركت الرفقة خفى حالهم، بما اشتبه من الزى، فأفلتوا إلى المغرب». انتهى كلام ابن خلدون - رحمه الله -.

قال المؤلف - رحمة الله عليه -: وأنت إذا سلمت من العصبية والهوى، وتأملت ما قد مر ذكره من أقوال الطاعنين فى أنساب القوم علمت ما فيها من التعسف والحمل مع ظهور التلفيق فى الأخبار، وتبين لك منه ما تأبى الطباع السليمة قبوله، ويشهد الحس السليم بكذبه، فإنه قد ثبت أن الله تعالى لا يمد الكذاب المفتعل بما يكون سببا لانحراف الناس إليه، وطاعتهم له على كذبه.

قال تعالى عن نبيه محمد - ﷺ -: ﴿**وَلَو تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ لأَخَذْنَا مِنهُ بِاليَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعنا مِنْه الوَتِينَ**﴾ (١).

وقال تعالى فى الدلالة على صدقه: ﴿**أَفَلاَ يَرَوْنَ أَنَّا نَأتِى الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الغَالِبُونَ**﴾ (٢).

وقد علم أن الكذب على الله تعالى، والافتراء عليه فى دعوى استحقاق الخلافة النبوية على الأمة، والإمامة لهم شرعا بكونه من ذرية رسول الله - ﷺ - وآل بيته، من

(١) سورة الحاقة الآيات ٤٤ - ٤٦.
(٢) سورة الأنبياء آية ٤٤.

Marfat.com

أعظم الجنايات، وأكبر الكبائر، فلا يليق بحكمة الله تعالى أن يظهر من تعاطى ذلك واجتراً عليه، ثم يمده فى ظهوره بمعونته، ويؤيده بنصره حتى يملك أكثر مدائن الإسلام، ويورثها بنيه من بعده، وهو تعالى يراه يستظهر بهذه النعم الجليلة على كذبه، ويفتن بمخرقته العباد، ويحدث بباطله الفتن العظيمة والحروب المبيدة فى البلاد، ثم يخليه - تعالى- وما تولى من ذلك بباطله من غير أن يشعره شعار الكذابين، ويحل به ما من عادته تعالى أن يحل بالمفسدين، فيدمره وقومه أجمعين. كما لا يليق بحكمته تعالى أن يخذل من دعا إلى دينه، وحمل الكافة على عبادته، ولا يؤيده على إعلاء كلمته، بل يسلمه فى أيدى أعداء دينه المجاهرين بكفرهم وطغيانهم، حتى يزيدهم ذلك كفرا إلى كفرهم، وضلالا إلى ضلالهم، فإن فعله هذا بالصادق فى دعائه إليه تعالى كتأييده الكاذب فيها سواء، بل الحكمة الإلهية والعادة الربانية، وسنة الله التى قد خلت فى عباده، واقتضت أنه تعالى إذا رأى الكذاب يستظهر بالمحافظة على التنمس بالباطل، ويتوصل إلى إقامة دولته بالكذب، ويحيلها بالزور فى ادعائه نسبا إلى رسول الله - ﷺ - غير صحيح، وصرفه الناس عن طاعة بنى العباس - الثابتة أنسابهم، المرضية سيرتهم، العادلة بزعمهم أحكامهم ومذاهبهم - أن يحول بينه وبين همه بذلك، ويسلبه الأسباب التى يتمكن بها من الاحتراز، ويعرضه لما يوقعه فى المهالك، ويسلك به سبيل أهل البغى والفساد.

فلما لم يفعل ذلك بعبيد الله المهدى، بل كتب تعالى له النصر على من ناواه، والتأييد بمعونته على من خالفه وعاداه، حتى مكن له فى الأرض، وجعله وبنيه من بعده أئمة، أورثهم أكثر البسيطة، وملكهم من حد منتهى العمارة فى مغرب الشمس إلى آخر ملك مصر والشام والحجاز وعمان والبحرين واليمن، وملكهم بغداد وديار بكر مدة، ونشر دعوتهم إلى خراسان، ونصرهم على عدوهم أى نصر، تبين أن دعواهم الانتساب إلى رسول الله - ﷺ - صحيحة، وهذا دليل يجب التسليم له.

وقد روى موسى بن عقبة (١) أن هرقل لما سأل أبا سفيان بن حرب عن رسول الله- ﷺ - كان مما قاله له: «أتراه كاذبا أو صادقا؟». قال أبو سفيان: «بل هو كاذب»، قال هرقل: «لا تقولوا ذلك، فإن الكذب لا يظهر به أحد، ﴿واللهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى السَّبِيلَ﴾ (٢).

وقد نقل عن أئمة أهل البيت - عليهم السلام - الإشارة إلى أمر عبيد الله المهدى،

---

(١) موسى بن عقبة بن أبى عياش الأسدى بالولاء، أبو محمد، مولى آل الزبير : عالم بالسيرة النبوية، من ثقات رجال الحديث. من أهل المدينة. مولده ووفاته فيها. له «كتاب المغازى».

(٢) سورة الأحزاب آية ٤.

فمن ذلك: أن موسى الكاضم بن جعفر الصادق سئل عن ظهور القائم متى يكون ؟ فقال: «إن ظهور القائم مثله كمثل عمود من نور سقط من السماء إلى الأرض، رأسه بالمغرب، وأسفله بالمشرق».

وكذلك كان بداية أمر المهدى عبيد الله، فإنه ابتدأ من المغرب، وانتهى أمره على يد بنيه إلى المشرق، فإنه ظهر بسجلماسة - فى ذى الحجة سنة تسعين ومائتين - وهى أقصى مسكون المغرب، ودعى للمستنصر ببغداد فى سنة إحدى وخمسين وأربعمائة.

وكان على بن محمد بن على بن موسى الكاظم يقول: «فى سنة أربع وخمسين ومائتين ستكشف عنكم الشدة، ويزول عنكم كثير مما تجدون إذا مضت عنكم سنة اثنتين وأربعين؛ يشير بذلك إلى أن البداية من تاريخ وقته، فيكون المراد سنة ست وتسعين ومائتين، وفى ذى الحجة منها كان ظهور الإمام المهدى بالله - رحمة الله عليه -.

* * *

Marfat.com

ذكر ما كان من ابتداء الدولة الفاطمية
إلى أن بنيت القاهرة

«وذلك أن أبا عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعى، سار إلى أبى القاسم رستم بن الحسن بن فرج بن حوشب بن زاذان الكوفى باليمن، وصحبه وصار من كبار أصحابه، وكان له علم وفهم ودهاء ومكر، فلما ورد على ابن حوشب موت الحلوانى ورفيقه بالمغرب، قال لأبى عبد الله الشيعى: «إن أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلوانى وأبو سفيان، وقد ماتا، وليس لها غيرك، فبادر فإنها موطأة ممهدة لك».

فخرج أبو عبد الله إلى مكة، وقد أعطاه ابن حوشب مالا، فلما قدم مكة سأل عن حجاج كتامة، فأرشد إليهم، واجتمع بهم، ولم يعرفهم قصده، وذلك أنه جلس قريبا منهم، فسمعهم يتحدثون بفضائل آل البيت، فاستحسن ذلك، وحدثهم فى معناه، فلما أراد القيام سألوه أن يأذن لهم فى زيارته، فأذن لهم، وسألوه أين مقصده؟ فقال: مصر، ففرحوا بصحبته، فرحلوا، وهو لا يخبرهم بغرضه، وأظهر العبادة والزهد، فازدادوا فيه رغبة، وخدموه. وكان يسألهم عن بلادهم وأحوالهم وقبائلهم، وعن طاعتهم لسلطان إفريقية؛ فقالوا: «ما له علينا طاعة، وبيننا وبينه عشرة أيام».

قال: أتحملون السلاح؟ قالوا: «هو شغلنا» ولم يزل يتعرف أحوالهم حتى وصلوا إلى مصر، فلما أراد وداعهم قالوا له: «أى شىء تطلب بمصر؟».

قال: «أطلب التعليم بها». قالوا: «إذا كنت تقصد هذا، فبلادنا أنفع لك، ونحن أعرف بحقك». ولم يزالوا به حتى أجابهم إلى المسير معهم. فلما قاربوا بلادهم لقيهم رجال من الشيعة فأخبروهم بخبره، فرغبوا فى نزوله عندهم، وأقرعوا فيمن يضيفه منهم.

ثم ارتحلوا حتى وصلوا إلى أرض كتامة منتصف ربيع الأول سنة ثمان وثمانين ومائتين فسأله قوم أن ينزل عندهم حتى يقاتلوا دونه، قال لهم: «أين يكون فج الأخيار؟». فعجبوا من ذلك، ولم يكونوا ذكروه له، فقالوا له: «عند بنى سليمان». فقال: إليه نقصد، ثم نأتى كل قوم منكم فى ديارهم، ونزورهم فى بيوتهم». فأرضى بذلك الجميع.

وسار إلى جبل يقال له «إيكجان»، وفيه «فج الأخيار»، فقال: «هذا فج الأخيار، وما سمى إلا بكم، ولقد جاء فى الآثار: للمهدى هجرة تنبو عن الأوطان، ينصره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان، قوم اسمهم مشتق من الكتمان، وبخروجكم فى هذا الفج سمى فج الأخيار».

Marfat.com

فتسامعت القبائل، وأتاه البرابر من كل مكان، فعظم أمره إلى أن تقاتلت كتامة عليه مع قبائل البربر، وهو لا يذكر فى ذلك اسم المهدى، فاجتمع أهل العلم على مناظرته وقتله، فمنعه الكتاميون من المناظرة، وكان اسمه عندهم «أبا عبد الله المشرقى» وبلغ خبره إلى إبراهيم بن أحمد بن الأغلب(١) - أمير إفريقية - فأرسل إلى عامله على مدينة ميلة(٢) ليسأله عن أمره، فصغره عنده، وذكر أنه يلبس الخشن، ويأمر بالخير والعبادة، فسكت عنه.

ثم إن أبا عبد الله قال للكتاميين: أنا صاحب البذر الذى ذكر لكم أبو سفيان والحلوانى. فازدادت محبتهم له، وتعظيمهم لأمره، فلما ظهر لأهل المغرب علمه وفضله، قال أحد الأولياء لأصحابه: «لولا واحدة كان الحلوانى يقولها ما تخالجنى الشك فى أن هذا الرجل هو الذى كان الحلوانى يبشر به».

قالوا: «وما هى؟». قال «كان إذا وصفه قال: فى فيه إصبع» فبلغ ذلك أبا عبد الله فتبسم وقال: «هذا لا يكون» فلما أخذ العهد بعد ذلك على من سمع هذا القول، واشترط عليهم الكتمان، وضع إصبعه على فيه وقال: «هذا هو الإصبع الذى كان يقوله الحلوانى، أمركم بالصمت والكتمان، فأما أن يكون فى فم رجل إصبع فلا». فقالوا «كذلك والله هو» وتفرقت البرابر وكتامة بسببه، وأراد بعضهم قتله، فاختفى، ووقع بينهم قتال شديد، واتصل الخبر بالحسن بن هارون - من أكابر كتامة - فأخذ أبا عبد الله إليه، ودافع عنه، ومضى به إلى مدينة تاصروت، فأتته القبائل من كل مكان، وعظم

---

(١) إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب : من أمراء الأغالبة أصحاب إفريقية. كانت إقامته فى القيروان، واليا عليها لأخيه أبى الغرانيق وولى إفريقية بعد وفاة أخيه (سنة ٢٦١هـ) انتقل إلى تونس سنة ٢٨١ فسكنها واتخذ بها القصور. أصيب بالماليخوليا فعزله المعتضد العباسى سنة ٢٨٩هـ فرحل إلى صقلية غازيا فمات بها ثم حمل إلى القيروان. مدة ولايته ٢٨ سنة و٦ أشهر. انظر: ابن خلدون ٢٠٣/٤، والبيان المغرب ١١٦/١، والأعلام ٦٨/١.

(٢) مِيلَةُ: بالكسر ثم السكون، ولام: مدينة صغيرة بأقصى إفريقية، بينها وبين بجاية ثلاثة أيام، ليس لها غير المُزْدَرَع وهى قليلة الماء، بينها وبين قسطنطينية يوم واحد، قال البكرى: وفى سنة ٣٧٨ فى شوال خرج المنصور بن المهدى من القيروان غازيًا لكتامة فلما قرب من ميلة زحف إليها ناويًا على اصطلام أهلها واستباحتها، فخرج إليه النساء والعجائز والأطفال فلما رآهم بكى وأمر ألا يُقتل منهم أحد، وأمر بهدم سورهم وتسيير من فيها إلى مدينة باغاية، فخرجوا بجماعتهم يريدونها وقد حملوا ما خفّ من أمتعتهم، فلقيهم ماكس بن زيرى بعسكر فأخذ جميع ما كان معهم وبقيت ميلة خرابًا ثم عُمّرت بعد ذلك وسوّرت وجعل فيها سوق وحمامات، وهى من أصل مُدُن الزاب، فى وسطها عين تعرف بعين أبى السباع بحلوبة تحت الأرض من جبل بنى ساروت. انظر: معجم البلدان ٢٤٤/٥.

Marfat.com

شأنه، وصارت الرئاسة للحسن بن هارون، وسلم إليه أبو عبد الله أعنة الخيل، وظهر من الاستتار، وشهد الحروب، فكان الظفر له، وغنم الأموال، وخندق على مدينة تاصروت، وقد زحفت إليه قبائل المغرب، فاقتتلوا عدة مرار، كان له فيها الظفر، وصار إليه أموالهم، فاستقام له أمر البربر وعامة كتامة، وزحف إلى مدينة ميلة، وقاتل أهلها قتالا شديدا، وأخذ الأرباض، ثم ملك البلد بأمان، فبعث إليه إبراهيم بن الأغلب ابنه الأحول فى اثنى عشر ألفا، وأتبعه بمثلهم، فالتقى مع أبى عبد الله، فانهزم أبو عبد الله، وقتل كثير من أصحابه، وتبعه الأحول، فحال بينهما الثلج، ولحق أبو عبد الله بجبل إيكجان، وملك الأحول مدينة تاصروت، وأحرقها وأحرق مدينة ميلة، فبنى أبو عبد الله دار هجرة بإيكجان، وقصده أصحابه، وعاد الأحول إلى إفريقية، فمات إبراهيم بن الأغلب، وقتل ابنه أبو العباس، وولى زيادة الله بن الأغلب[1]، واشتغل باللهو واللعب، فاشتد سرور أبى عبد الله. ثم إن أبا مضر زيادة الله قتل الأحول، فانتشرت حينئذ جنود أبى عبد الله فى البلاد، وصار يقول: «المهدى يخرج فى هذه الأيام، ويملك الأرض، فيا طوبى لمن هاجر إلىّ، وأطاعنى».

وأخذ يغرى الناس بزيادة الله ويعيبه، وكان أكثر من عند زيادة الله من الوزراء شيعة، فلم يكن يسوءهم ظفر أبى عبد الله، خصوصا وقد كان يذكر لهم من كرامات المهدى، وأنه يحيى الموتى، ويرد الشمس من مغربها، ويملك الأرض بأسرها، وهو مع ذلك يبعث إلى الوزراء، ويعدهم، وبعث أبو عبد الله برجال.

* * *

(١) زيادة الله بن أبى العباس عبدالله بن إبراهيم الأغلبى التميمى : آخر أمراء الدولة الأغلبية بتونس. وهو الثانى عشر ممن ولوا إمارتها. ولد ونشأ بتونس وكان ميالاً إلى اللهو وولاه أبوه إمارة صقلية فعكف على لذاته. فعزله عنها وسجنه فدس لأبيه ثلاثة قتلوه وجعلوه أميرا على إفريقية سنة ٢٩٠هـ ثم فر من إفريقية سنة ٢٩٦هـ بعد أن استفحل أمر عبدالله الشيعى فنزل بمصر ثم قصد بغداد، فمر بالرقة ثم رجع إلى مصر فمرض فقصد بيت المقدس فمات بالرملة. انظر: ابن خلدون ٤/٢٠٥، والبيان المغرب ١/١٣٤ - ١٧٣، والأعلام ٢/٥٦.

ذكر خروج عبيد الله المهدى إلى المغرب

وكان من خبر ذلك أن أبا عبد الله سيَّر إلى عبيد الله رجالا من كتامة يخبرونه بما فتح الله عليه، وأنهم ينتظرونه، فوافوه بسلمية من أرض حمص، وقد كان اشتهر خبر عبد الله عند الناس، فطلبه المكتفى، ففر من سلمية ومعه ابنه أبو القاسم نزار - الذى قام بالأمر من بعده، وخرج معهما خاصته ومواليه.

فلما انتهى إلى مصر أقام مستترا بزى التجار، فأتت الكتب إلى عيسى النوشرى - أمير مصر - من المعتضد بالله العباسى بصفة عبيد الله وحليته، وأنه يأخذ عليه الطرق ويقبضه وكل من يشبهه؛ فلما قرئت الكتب كان فى المجلس ابن المدبر الكاتب، فبلغ ذلك عبيد الله، فسار من مصر مع أصحابه ومعه أموال كثيرة، فأوسع فى النفقة على من صحبه، وفرق النوشرى الأعوان فى طلب عبيدالله، وخرج بنفسه، فلما رآه لم يشك فيه، وقبض عليه، ووكل به وقد نزل فى بستان، ثم استدعاه ليأكل معه، فأعلمه أنه صائم، فرق له، وقال: «أعلمنى حقيقة أمرك حتى أطلقك».

فخوفه الله تعالى وأنكر حاله، وما زال يتلطف به حتى أطلقه وخلى سبيله، وأراد أن يرسل معه من يوصله إلى رفقته، قال: «لا حاجة إلى ذلك»، ودعا له. وقيل: إنه أعطاه مالا فى الباطن حتى أطلقه، فرجع بعض أصحاب النوشرى عليه باللوم، فندم على إطلاقه وأراد أن يبعث الجيش وراءه ليرده.

وكان عبيد الله قد لحق بأصحابه، فإذا ابنه القاسم قد ضيع كلبا كان يصيد به، وهو يبكى عليه، فعرَّفه عبيده أنهم تركوه فى البستان الذى كانوا فيه، فرجع عبيدالله بسبب الكلب حتى دخل البستان ومعه عبيده، فلما رآه النوشرى سأل عن خبره، فقيل إنه عاد بسبب كلب لولده، فقال النوشرى لأصحابه: «قبحكم الله، أردتم أن تحملونى على هذا الرجل حتى آخذه، فلو كان يطلب ما يقال أو لو كان مريبا لكان يطوى المراحل ويخفى نفسه، ولا كان يرجع فى طلب كلب». وتركه، ولم يعرض له.

فسار عبيد الله وخرج عليه عدة من اللصوص بموضع يقال له: «الطاحونة(١)»، فأخذوا بعض متاعه، منه كتب وملاحم كانت لآبائه، فعظم أمرها عليه، فيقال إنه لما خرج ابنه أبو القاسم فى المرة الأولى إلى الديار المصرية أخذها من ذلك المكان.

ثم إن عبيد الله انتهى - هو وولده - إلى مدينة طرابلس، ففارق التجار، وكان فى صحبته أبو العباس أخو أبى عبيد الله، فقدمه عبيد الله إلى القيروان، فسار إليها، فوجد خبر عبيدالله قد سبق إلى زيادة الله بن الأغلب، فقبض على أبى العباس وقرره، فأنكر،

---

(١) الطَّاحُونَةُ: بعد الألف حاءٌ مهملة ثم واو ساكنة، ونون، بلفظ واحدة الطواحين: موضع بالقسطنطينية. معجم البلدان (الطاحونة).

وقال: «أنا رجل تاجر صحبت رجلا فى القفل»، فحبس. وبلغ الخبر إلى عبيد الله، فسار إلى قسطنطينية.

ووصل كتاب زيادة الله إلى ناظر طرابلس بأخذ عبيد الله، فلم يدركه، ووافى عبيدالله قسطنطينية (١)، فلم يقصد أبا عبد الله، لأن أخاه أبا العباس كان قد أخذ، وسار إلى سجلماسة، فوافت الرسل فى طلبه، وقد سار فلم يوجد، ووصل إلى سجلماسة فأقام بها، وقد أقيمت له المراصد بالطرقات. وكان على سجلماسة اليسع بن مدرار، فأهدى إليه عبيد الله ووصله، فقربه اليسع وأخيه، فأتاه كتاب زيادة الله يعرّفه أن الرجل الذى يدعو إليه أبو عبد الله الشيعى عنده فلم يجد بدا من القبض على عبيد الله وحبسه.

وأخذ زيادة الله فى جمع العساكر، فقدم إبراهيم بن حنيش من أقاربه على أربعين ألفا، وسلم إليه الأموال والعدد، وسار وقد انضاف إليه مثل جيشه، فنزل مدينة قسطنطينية وأتاه كثير من كتامة الذين لم يطيعوا أبا عبد الله، وقتل فى طريقه خلقا كثيرا من أصحاب أبى عبد الله هذا، وأبو عبد الله متحصن بالجبل، فأقام إبراهيم بقسطنطينية ستة أشهر، فلما رأى أن أبا عبد الله لا يتقدم إليه زحف بعساكره، فأخرج إليه أبو عبد الله خيلا، فلما رآها إبراهيم قصد إليها بنفسه، والأثقال على ظهور الدواب لم تحط، فقاتلهم قتالا كثيرا، وأدركهم أبو عبد الله، فانهزم إبراهيم بمن معه وجرح، فغنم أبو عبد الله جميع ما معهم وقتل منهم خلقا كثيرا، فسار إبراهيم إلى القيروان، وعظم أمر أبى عبد الله، واستقرت دولته. وكتب كتابا إلى عبيد الله - وهو بسجن سجلماسة - يبشره، وسير الكتاب مع بعض ثقاته، فدخل عليه السجن فى زى قصاب يبيع اللحم، فاجتمع به وعرفه.

ونازل أبو عبد الله عدة مدائن فأخذها بالسيف، وضايق زيادة الله، فحشد وجمع عساكره، وبعث إليه هارون الطيبى فى خلق كثير، فقتل هارون فى خلائق لا تحصى فاشتد الأمر على زيادة الله، وخرج بنفسه، فوصل إلى الأربس (٢) فى سنة خمس وتسعين ومائتين، وسير جيشا مع ابن عمه إبراهيم بن الأغلب.

واشتغل زيادة الله بلهوه ولعبه، وأبو عبد الله يأخذ المدائن - شيئا بعد شىء - عنوة وصلحا، فأخذ «بجانة» و «تيفاش (٣)»، و «مسكيانة» و «تبسة» (٤)، وسار إلى إبراهيم، فقتل من أصحابه، وعاد إلى جبل إيكجان.

---

(١) انظر: معجم البلدان ٤/٣٤٧، ٣٤٨.

(٢) مدينة وكورة بإفريقية وكورتها واسعة، بينها وبين القيروان ثلاثة أيام من جهة المغرب. انظر: معجم البلدان ١/١٣٦.

(٣) مدينة أزلية بإفريقية، شاخة البناء. وتسمى تيفاس الظالمة. انظر: معجم البلدان ٢/٦٦، ٦٧.

(٤) بلد بإفريقية، بينها وبين القيروان خمس مراحل. انظر: معجم البلدان ٥/٥٦.

Marfat.com

فلما دخل فصل الربيع، وطاب الزمان، جمع أبو عبد الله عسكره فبلغت مائة ألف فارس وراجل، وجمع زيادة الله ما لا يحصى، وسار أول جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ومائتين، فالتقوا مع أبى عبد الله، واقتتلوا أشد قتال، وطال زمنه، وظهر أصحاب زيادة الله، ثم إن أبا عبد الله كادهم بخيل بعثها من خلفهم، فانهزم أصحاب زيادة الله، وأوقع فيهم القتل، وغنم أموالهم، وكان ذلك فى آخر جمادى الآخرة، ففر زيادة الله إلى ديار مصر، فدخل إبراهيم بن الأغلب إلى القيروان، فقصد قصر الإمارة، ونادى بالأمان، وتسكين الناس، وذكر زيادة الله وذمه، وصغر أمر أبى عبد الله، ووعد الناس بقتاله، وطلب منهم الأموال، فقالوا: «إنما نحن فقهاء وعامة وتجار، وما فى أموالنا ما يبلغ غرضك»، ثم إنهم ثاروا به ورجموه. فخرج عنهم.

ودخل أبو عبد الله إلى مدينة رقادة (١) فأمَّن الناس، ومنع من النهب، وخرج الفقهاء ووجوه أهل القيروان إلى لقاء أبى عبد الله، وسلموا عليه، وهنوه بالفتح، فرد عليهم ردا حسنا، وأمنهم، وقد أعجبوا به وسرهم، فأخذوا فى ذم زيادة الله وذكر مساوئه، فقال لهم: «ما كان إلا قويا وله منعة ودولة شامخة، وما قصر فى مدافعته، ولكن أمر الله لا يعاند ولا يدافع»، فامسكوا عن الكلام.

وكان دخول أبى عبد الله رقادة يوم السبت مستهل رجب سنة ست وتسعين ومائتين، فنزل ببعض قصورها، وفرق دورها على كتامة، ونادى بالأمان، فرجع الناس إلى أوطانهم، وأخرج العمال إلى البلاد، وطلب أهل الشر فقتلهم، وأمر بجمع ما كان لزيادة الله من الأموال والسلاح وغيره، فاجتمع منه كثير، وكان له عدة من الجوارى لهن حظ من الجمال، فلم ينظر إلى واحدة منهن، وأمر لهن بما يصلحهن.

فلما كان يوم الجمعة أمر الخطباء بالقيروان ورقادة فخطبوا ولم يذكروا أحدا، وأمر بضرب السكة (٢) وألا يتسم عليها اسم، وجعل فى الوجه الواحد: «بلغت حجة الله»، وفى الآخر: «تفرق أعداء الله». ونقش على السلاح: «عدة فى سبيل الله».

ووسم الخيل على أفخاذها: «الملك لله». وأقام على ما كان من لباس الخشن الدون، والقليل من الطعام الغليظ.

ولما استقرت الأمور لأبى عبد الله فى رقادة وسائر بلاد إفريقية أتاه أخوه أبو العباس

---

(١) بلد مشهور من أرض إفريقية، بينه وبين قفصة ست مراحل فى قفز سبيبة، وبينها وبين سطيف ست مراحل فى بادية تسكنها العرب. انظر: معجم البلدان ١٣/٢.

(٢) السكة: هى الحديدة التى تطبع عليها الدراهم.

Marfat.com

أحمد المخطوم، ففرح به، وكان هو الكبير.

* * *

Marfat.com

ذكر ظهور عبيد الله المهدى [1] من سجلماسة

وذلك أن أبا عبد الله الشيعى لما دخل شهر رمضان سنة ست وتسعين ومائتين سار من رقادة - وقد استخلف أخاه أبا العباس على إفريقية - فى جيوش عظيمة، فاهتز المغرب لخروجه، وخافته زناتة، وزالت القبائل عن طريقه، وأتته رسلهم فدخلوا فى طاعته، فلما قرب من سجلماسة بعث اليسع بن مدرار صاحبها إلى عبيدالله - وهو فى جيشه - يسأله عن نسبه وحاله، وهل أبو عبد الله قصد إليه؟ فحلف له أنه ما رأى أبا عبد الله، «وإنما أنا رجل تاجر»، فأفرده معتقلا بدار وحده، وأفرد ابنه أيضا، فجعل عليهما الحرس، وقرر ولده، فما حال عن كلام أبيه، وقرر رجالا كانوا معه وضربهم، فلم يقروا بشىء.

وبلغ ذلك أبا عبد الله، فشق عليه، وأرسل إلى اليسع يتلطف به وأنه لم يقصده للحرب، وإنما له حاجة مهمة عنده، فرمى الكتب وقتل الرسل، فعاوده بالملاطفة خوفا على عبيدالله، ولم يذكره، فقتل الرسول ثانيًا، فأسرع أبو عبد الله فى السير، ونزل عليه، فخرج إليه اليسع وقاتله يومه كله، فلما جنه الليل فرق أصحابه من أهله وبنى عمه، وبات أبو عبد الله فى غم عظيم خوفا على عبيد الله.

فلما أصبح خرج إليه أهل البلد، وأعلموه بهرب اليسع، فدخل هو وأصحابه البلد، وأتوا مكان عبيدالله وأخرجوه وأخرجوا ابنه فى يوم الأحد لسبع خلون من ذى الحجة سنة ست وتسعين ومائتين، وقد انتشر فى الناس سرور عظيم كادت تذهب منه عقولهم؛ فأركبهما أبو عبد الله، ومشى هو ورؤساء القبائل بين أيديهما، وأبو عبد الله يقول للناس: «هذا مولاكم»، وهو يبكى من شدة الفرح، حتى وصل إلى فسطاط ضربه له فنزل فيه، وبعث الخيل فى طلب اليسع، فأدرك وأخذ، فضرب بالسياط وقتل. وأقام عبيد الله المهدى بسجلماسة أربعين يوما، ثم سار إلى إفريقية، وأحضر الأموال من إيكجان فجعلها أحمالا، وصار بها إلى رقادة فى العشر الأخير من ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين.

---

(١) عبيدالله بن محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم، الفاطمى العلوى، من ولد جعفر الصادق : مؤسس دولة العبيديين الفاطميين أصحاب مصر مولده بسلمية بسورية. بويع فى القيروان سنة ٢٩٧هـ وبعث الولاة إلى طرابلس وصقلية وبرقة. واستولى على تاهرت. وحاول امتلاك مصر فلم يستطع. مات بعد أن حكم أربعا وعشرين سنة. انظر: ابن الأثير ٨/٩٠، وابن خلدون ٤/١١، وابن خلكان ١/٢٧٢، وتاريخ الخميس ٢/٣٨٥، وكنز الدرر ٦/١٠٨ - ١٠٩، والأعلام ٤/١٩٧.

Marfat.com

وزال ملك بنى الأغلب من إفريقية، وملك بنى مدرار من سجلماسة، وملك بنى رستم من تاهرت(١).

وملك المهدى جميع ذلك، فلما قرب من رقادة تلقاه أهلها وأهل القيروان وأبو عبد الله ورؤساء كتامة مشاة بين يديه، وابنه خلفه، فسلموا عليه، فرد عليهم ردا جميلا، وأمرهم بالانصراف، ونزل قصر من قصور رقادة.

وأمر يوم الجمعة أن يذكر اسمه فى الخطبة، ويلقب بالمهدى أمير المؤمنين فى جميع البلاد، فلما كان بعد صلاة الجمعة جلس رجل يعرف بالشريف - ومعه الدعاة - وأحضروا الناس، ودعوهم إلى مذهبهم، وقتل من لم يوافق. وعرض المهدى جوارى زيادة الله فاختار منهن لنفسه ولولده، وفرق ما بقى على وجوه كتامة، وقسم عليهم أعمال إفريقية، ودون الدواوين، وجبا الأموال، واستقرت قدمه، ودانت له أهل البلاد، واستعمل العمال عليها.

* * *

(١) اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب، يقال لإحداهما تاهرت القديمة وللأخرى تاهرت الحديثة؛ بينها وبين المسيلة ست مراحل. انظر: معجم البلدان ٢/٧، ٨.

Marfat.com

ذكر قتل أبى عبد الله الشيعى

وكان سبب قتله أن المهدى لما استقامت له البلاد باشر الأمور بنفسه، وكف يد أبى عبد الله ويد أخيه أبى العباس، فداخل أبا العباس الحسد، وعظم عليه الفطام عن الأمر والنهى، والأخذ والعطاء، فأقبل يزرى على المهدى فى مجلس أخيه، ويتكلم فيه، وأخوه ينهاه، ولا يزيده ذلك إلا لجاجًا، ولام أخاه وقال له: «ملكت أمرا، فجئت بمن أزالك عنه، وكان الواجب عليه أن لا يسقط حقك».

وما زال به حتى أثر فى قلب أبى عبد الله، وقال للمهدى:

«لو كنت تجلس فى قصرك وتتركنى مع كتامة آمرهم وأنهاهم، لأنى عارف بعاداتهم لكان ذلك أهيب لك فى أعين الناس».

وكان قد بلغ المهدى ما يجهر به أبو العباس، فرَّد ردًا لطيفا، وأسرَّ ذلك فى نفسه. وأخذ أبو العباس يسرُّ إلى المقدمين بما فى نفسه ويقول: «ما جازاكم على ما فعلتم، بل أخذ هو الأموال من إيكجان، ولم يقسمها فيكم». وكل ذلك يبلغ المهدى وهو يتغافل، فزاد أبو العباس فى القول، حتى قال: «إن هذا ليس بالذى كنا نعتقد طاعته وندعو إليه، لأن المهدى يأتى بالآيات الباهرة». فأثر ذلك فى قلوب كثير من الناس، حتى إن بعضهم من كتامة واجه المهدى بذلك وقال: «إن كنت المهدى فأظهر لنا آية، فقد شككنا فيك». فقتله المهدى.

وخافه أبو عبد الله، وعلم أن المهدى قد تغير عليه؛ فاتفق مع أخيه بجماعة من كتامة على المهدى، ودخلوا عليه مرارا، فلم يجسروا على قتله، ونقل ذلك إلى المهدى من رجل كان يوافقهم على ما هم فيه، ثم يأتى المهدى فيخبره، فأخذ المهدى فى تفريق القوم فى البلاد، وكان كبيرهم أبو زاكى تمام بن معارك الإيكجانى، فسيَّره واليا على طرابلس، وكتب إلى عاملها سرا بقتله عند وصوله، فلما وصل أبو زاكى قتله العامل، وأرسل برأسه إلى المهدى، فأمر حينئذ بقتل جماعة، وأعد رجالا لأبى عبد الله وأخيه أبى العباس، فلما وصلا إلى قرب القصر حمل القوم على أبى عبد الله، فقال: «لا تفعلوا». فقالوا له: «إن الذى أمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك»، فقتل هو وأخوه فى اليوم الذى قتل فيه أبو زاكى، وذلك يوم الاثنين للنصف من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائتين بمدينة رقادة، وصلى عليه المهدى، وقال: «رحمك الله أبا عبد الله وجزاك خيرا بجميل سعيك». وثارت فتنة بسبب قتلهما، وجرد أصحابها السيوف، فركب المهدى وأمن الناس فسكنوا، ثم تتبعهم حتى قتلهم.

وثارت فتنة ثانية بين كتامة وأهل القيروان قتل فيها خلق كثير، فخرج المهدى وسكَّن الفتنة، وكف الدعاة عن طلب التشيع من العامة.

وكان أبو عبد الله من الرجال الدهاة الخبيرين بما يصنعون، وأحد رجالات العالم القائمين بنقض الدول وإقامة الممالك العظيمة من غير مال ولا رجال.

ولما قتل أبو عبد الله واستقام أمر المهدى عهد إلى ولده أبى القاسم بالخلافة، ورجعت كتامة إلى بلادهم فأقاموا طفلا، وقالوا: «هذا هو المهدى»، ثم زعموا أنه يوحى إليه، وزعموا أن أبا عبد الله لم يمت، فبعث إليهم المهدى ابنه أبا القاسم، فقاتلهم حتى هزمهم، واتبعهم إلى البحر، وقتل منهم خلقا كثيرا، وقتل الطفل الذى أقاموه. ثم إن أهل صقلية (١) خالفوا على المهدى، فأنفذ إليها، وقتل من أهلها. وخالف عليه أهل تاهرت، فغزاها، وقتل أهل الخلاف، وتتبع بنى الأغلب، فقتل منهم جماعة برقادة.

فلما كان سنة إحدى وثلاثمائة: جهز المهدى العساكر من إفريقية مع ولده أبى القاسم إلى مصر، فساروا إلى برقة، واستولوا عليها فى ذى الحجة، وساروا إلى الإسكندرية والفيوم (٢) فضيق على أهلهما، وبعث المقتدر بالله مؤنسا الخادم (٣) فى جيش كثيف، فحاربهم وأجلاهم عن مصر إلى المغرب.

وكان سبب تحرك أبى القاسم بن المهدى إلى حرب أهل مصر أنه وجه إلى بغداد

---

(١) صقلية: بثلاث كسرات وتشديد اللام والياء، من جزائر بحر المغرب مقابلة إفريقية. انظر: معجم البلدان (صقلية)، وفى الروض المعطار صقلية: جزيرة صقلية فى قطعة من البحر الشامى افتتحها المسلمون فى صدر الإسلام وغزاها أسد بن الفرات الفقيه أميرًا قاضيًا سنة اثنتى عشرة ومائتين، وصقلية اسم لإحدى مدنها فنسبت الجزيرة كلها إليها، وفيها مدن كثيرة، وهى جزيرة عظيمة ضخمة حصينة خطيرة قيل إن فيها مائة بلد وثلاثين بلدًا بين مدينة وقلعة غير ما بها من الضياع والمنازل. انظر: الروض المعطار ٣٦٦، ٣٦٧.

(٢) الفيوم: فى البلاد المصرية، وهو نظير كبير فيه قرى كثيرة، يقال إن فيه من القرى عدد ما فى قطر مصر كلها من القرى، فإن يوسف عليه السلام حين صنعه أنزل فى كل قرية أهل بيت من قرى مصر، وصيَّر لكل قرية من الماء بقدر ما يروى أرضها من غير زيادة ولا نقصان، ويقال أيضًا إن بالفيوم ثلاثمائة قرية على عدد أيام السنة لا تقصر عن الرى أبدًا لحكمة شربها، فإذا نقص النيل فى سنة من السنين وغلا السعر بمصر مارت كل قرية منها مصر يومًا. وقيل: وإنما سميت الفيوم لأن خراجها ألف دينار كل يوم. انظر: الروض المعطار ٤٤٥، ٤٤٦، والاستبصار ٩٠، ومعجم البلدان (الفيوم)، والإدريسى ١٤٦، وخطط المقريزى ١/٢٤٥، وابن الوردى ٢٣، وصبح الأعشى ٣/٢٩٧.

(٣) مؤنس الخادم الملقب بالمظفر المعتضدى : أحد الخدام الذين بلغوا رتبة الملوك. كان من خدم المعتضد العباسى. بقى ستين سنة أميرا. وندب لحرب المغاربة العبيديين. وولى دمشق للمقتدر ثم حاربه. ومثل المقتدر، وخلفه القاهر بالله، فلما تمكن القاهر قتله. انظر: النجوم الزاهرة ٣/٢٣٩، وابن العبرى ٢٦٩ - ٢٧٨، والأعلام ٧/٣٣٥.

قصيدة يفخر فيها بنسبه، وبما فتح من البلاد، فأجابه الصولى [1] بقصيدة على وزنها ورويها، فمنها:

فلو كانت الدنيا مثالا لطائرٍ لكان لكم منها بما حُزْتُمْ الذَّنَبُ

فحرك همته هذا البيت، وقال:

«والله لا أزال حتى أملك صدر الطائر ورأسه إن قدرت، وإلا أهلك دونه».

وكابد على ديار مصر من الحروب أهوالا، ومات ولم يظفر بها، وأوصى ابنه المنصور بما كان فى عزمه، فشغلته الفتن، وكان الظافر بها المعز.

فلما كان فى سنة اثنتين وثلاثمائة: أنفذ المهدى جيشا مع قائد من قواده يقال له حباسة فى البحر، فغلب على الإسكندرية، ثم سار منها يريد مصر، فأرسل المقتدر بالله مؤنسا فى عسكر إلى مصر، وأمده بالسلاح والأموال، فالتقى بحباسة فى جمادى الأولى، فكانت بينهما حروب كثيرة، قتل فيها من الفريقين جمع عظيم، وانهزم حباسة فى سلخ جمادى الآخرة، ويقال إنه قتل فى هذه الواقعة سبعة آلاف، ولما صار حباسة إلى المغرب قتله المهدى.

وفيها، خالف عليه عروبة بن سيف الكتامى بالقيروان، واجتمع عليه خلق كثير من كتامة والبرابر، فأخرج إليهم المهدى مولاه غالبا، فاقتتلوا، فقتل غالب فى عالم لا يحصى، وجىء بعدة رءوس إلى المهدى فى قفة، فقال: «ما أعجب أمور الدنيا، قد جمعت هذه القفة رءوس هؤلاء، وقد كان يضيق بهم فضاء المغرب».

ثم إن المهدى خرج بنفسه يرتاد موضعا على ساحل البحر يتخذ فيه مدينة، وكان يجد فى الكتب خروج أبى يزيد النكارى على دولته، فلم يجد موضعا أحسن ولا أحصن من موضع المهدية، وهى جزيرة متصلة بالبر كهيئة كف متصلة بزند، فبناها، وجعلها دار ملكه، وجعل لها سورا محكما، وأبوابا عظيمة، زنة كل مصراع مائة قنطار. وكان ابتداء بنائها فى يوم السبت لخمس خلون من ذى القعدة سنة ثلاث وثلاثمائة، فلما ارتفع السور أمر راميا بالقوس يرمى سهما إلى ناحية المغرب، فرمى بسهم فانتهى إلى موضع المصلى، فقال: «إلى موضع هذا يصل صاحبُ الحمار» - يعنى أبا يزيد الخارجى فإنه كان يركب حمارا -.

---

(١) محمد بن يحيى بن عبدالله ، أبو بكر الصولى، وقد يعرف بالشطرنجى، نديم، من أكابر علماء الأدب. له تصانيف منها «الأوراق» فى أخبار آل العباس وأشعارهم «أخبار بن المهدى». انظر: وفيات الأعيان ٥٠٨/١، والنجوم الزاهرة ٢٩٦/٣، وتاريخ بغداد ٤٢٧/٣، ولسان الميزان ٤٢٧/٥، والأعلام ١٣٦/٧.

Marfat.com

وكان يأمر الصناع بما يعملون، وأمر أن تنقر دار صناعة [١] فى الجبل تسع مائة شينى [٢] وعليها باب مغلق، ونقر فى أرضها أهراء [٣] للطعام، ومصانع للماء، وبنى فيها القصور والدور، فلما فرغ منها قال: «اليوم آمنت على الفاطميَّات» - يعنى بناته - وارتحل عنها.

ولما رأى إعجاب الناس بها وبحصانتها قال: «هذه بنيتها لتعتصم بها الفواط ساعة من نهار». فكان كذلك، لأن أبا يزيد وصل إلى موضع السهم ووقف فيه ساعة وعاد ولم يظفر.

فلما كان فى سنة ست وثلاثمائة: جهز المهدى جيشا كثيفا مع ابنه أبى القاسم إلى مصر، وهى المرة الثانية، فوصل الإسكندرية فى ربيع الآخر، ودخلها القاسم، ثم سار منها، وملك الأشمونين [٤] وكثيرا من الصعيد، وكتب إلى أهل مكة [٥] يدعوهم إلى طاعته، فلم يقبلوا منه، فبعث المقتدر مؤنسا الخادم فى شعبان، فوصل إلى مصر، وكانت بينه وبين القائم عدة وقعات.

ووصل من إفريقية ثمانون مركبا نجدة للقائم من أبيه، فأرست بالإسكندرية، وعليها سليمان الخادم، ويعقوب الكتامى، وكانا شجاعين. فأمر المقتدر أن تسير مراكب طرسوس [٦] فسار إليهم خمسة وعشرون مركبا، فيها النفط والعدد، فالتقت المراكب على رشيد، فظفرت مراكب المقتدر، وأحرقوا كثيرا من مراكب إفريقية، وأهلك أكثر أهلها، وأسر منهم كثير، فيهم سليمان ويعقوب، فمات سليمان بمصر فى الحبس، وحمل

---

(١) اسم لمكان قد أعد لإنشاء المراكب البحرية.

(٢) الشينى هى السفينة الحربية.

(٣) الأهراء مخزن للغلال.

(٤) نسبة إلى قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل. انظر: معجم البلدان (أشمونين)، وقال ابن إياس فى ذكر مدينة الأشمونين: يقال إنها بناء أشمون بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام قال ابن وصيف شاه: وهو الذى بنى المجالس المصفحة بالزجاج الملون فى وسط النيل، ويقال إنه بنى من الأشمونين إلى أنصنا سرب تحت النيل، وقيل إنه عمله لبناته إذا حئن من أنصنا إلى الأشمونين لزيارة هيكل الشمس، وكان بها الطلمسات والعجائب والبناء والمحكم وكان يجلب منها الخيل والبغال والحمير وكان ينزل بها عدة من بنى جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه وعدة من أولاد بنى أمية وأقاموا بها زمانًا طويلاً. انظر: نزهة الأمم (ذكر مدينة الأشمونين).

(٥) كان حاكم مكة فى تلك السنة هو الشريف محمد بن موسى.

(٦) هى مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، بينها وبين أذنة ستة فراسخ، وبين أذنة وطرسوس فندق بغا والفندق الجديد. انظر: معجم البلدان ٤/٢٨، ٢٩.

Marfat.com

يعقوب إلى بغداد، فهرب منها، وعاد إلى إفريقية.

وغلب مؤنس عساكر القائم، ووقع فيهم الغلاء والوباء، فمات كثير منهم، ورجع من بقى إلى إفريقية، وفيهم القائم، وتلقب مؤنس الخادم من حينئذ بالمظفر، لغلبته عساكر المغرب غير مرة.

فلما كانت سنة خمس عشرة وثلاثمائة: سير المهدى ابنه أبا القاسم من المهدية إلى المغرب فى جيش كثير، فى صفر، بسبب خارجى خرج عليه، وقتل خلقا، فوصل إلى ما وراء تاهرت وعاد فخط برمحه فى الأرض صفة مدينة سماها «المحمدية» وكانت خطة لبنى كملان، فأخرجهم منها إلى فحص القيروان، كالمتوقع منهم أمرا، فلذلك أحب أن يكونوا قريبا منه، وهم كانوا أصحاب أبى يزيد الخارجى.

وكان المهدى يشبه فى خلفاء بنى العباس بالسفاح، فإن السفاح خرج من الحميمة بالشام، يطلب الخلافة والسيف يقطر دما، والطلب مراصد، وأبو سلمة الخلال (١) يؤسس له الأمر، ويبث دعوته، وعبيد الله خرج من سلمية فى الشام، وقد أذكيت العيون عليه، وأبو عبد الله الشيعى ساع فى تمهيد دولته، وكلاهما تم له الأمر، وقتل من قام بدعوته.

وانتقل كثير من الناس إلى المحمدية، وأمر عاملها أن يكثر من الطعام، ويخزنه ويحتفظ به، ففعل ذلك، فلم يزل مخزونا حتى خرج أبو يزيد، ولقيه المنصور بن القائم بن المهدى، ومن المحمدية كان يمتار ما يريد إذ ليس بالموضع مدينة سواها.

فلما كان يوم الاثنين الرابع عشر: وقيل وقت صلاة المغرب ليلة الثلاثاء النصف من ربيع الأول، **سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة:** توفى أبو محمد عبيد الله بالمهدية، وأخفى ابنه أبو القاسم موته سنة لتدبير كان له، فإنه كان يخاف الناس إذا علموا بموت المهدى. وكان عمر المهدى لما توفى ثلاثا وستين سنة - لم تكمل -.

وكانت ولايته - منذ دخل رقادة ودعى له بالإمامة إلى أن توفى - أربعا وعشرين سنة، وعشرة أشهر، وعشرين يوما.

وقيل: كانت ولادته بسلمية من أرض الشام فى سنة تسع وخمسين، وقيل: سنة ستين ومائتين، وقيل: ولد بالكوفة.

ودعى له على منابر رقادة والقيروان يوم الجمعة لسبع بقين من ربيع الآخر سنة سبع

---

(١) حفص بن سليمان أبو سلمة الخلال من كبار دعاة العباسيين الأول، كانت له جهود مشكورة فى الحوادث التى مهدت لسقوط الأمويين.

Marfat.com

وتسعين ومائتين.

وتوفى ليلة الثلاثاء منتصف ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، ونقش خاتمه: «بنصر الإله الممجد، ينتصر الإمام أبو محمد».

وقال فيه سعدون الورجيلى:

كُفِّى عَنِ التّثبيطِ إنّى زائرٌ ... مِنْ أَهْلِ بَيتِ الوَحْيِ خَيْرَ مَزُورِ
هذا أميرُ المؤمنين تَضَعْضَعَتْ ... لقدومه أركانُ كُلِّ أمير
هذا الإمامُ الفاطمىُّ وَمَنْ به ... أمِنَتْ مَغَارِبُها مِنَ المحْذُور
والشرقُ ليس لِشَامِهِ وعِرَاقِهِ ... مِنْ مَهْرَبٍ من جَيْشِهِ المنصور
حتى يفوزَ مِنَ الخلافةِ بالغ ... ويُفازَ مِنْهُ بعَدْلِهِ المنْشُور

* * *

القائم بامر الله أبو القاسم محمد

(وقيل عبد الرحمن) بن المهدى عبيدالله

ولد بسلمية فى المحرم سنة ثمانين - وقيل سبع وسبعين - ومائتين، ورحل مع أبيه إلى المغرب، وعهد إليه من بعده. فلما مات أبوه، وفرغ من جميع ما يريده، وتمكن، أظهر موت أبيه، وتبع سنة أبيه، وثار عليه جماعة، فتمكن منهم.

وخرج عليه ابن طالوت فى ناحية طرابلس، فبعث إليه وقتله، وجهز جيشًا كبيرًا إلى المغرب، فهزم خارجيا هناك. وسير جيشًا فى البحر إلى بلاد الروم، فسبى وغنم فى بلد جنوه. وسير جيشًا، بالغ فى النفقة عليهم إلى مصر، فدخلوا الإسكندرية، فبعث الإخشيد فهزمهم.

* * *

ذكر أبى يزيد مخلد بن كيداد الخارجى وحروبه[1]

ذلك أنه لما كان سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة: خرج أبو زيد بن كيداد النكارى الخارجى بإفريقية، واشتدت شوكته، وكثرت أتباعه، وهزم الجيوش.

وكان ابتداء أمره أنه من زناتة من مدينة توزر [2] وكان أبوه يختلف إلى بلاد السودان للتجارة، فولد له بها أبو زيد من جارية صفراء هوارية، فأتى به إلى توزر، فنشأ بها وتعلم القرآن، وخالط جماعة من النكارية، فمالت نفسه إلى مذهبهم، ثم سافر إلى تاهرت، فأقام بها يعلم الصبيان إلى أن خرج أبو عبد الله الشيعى إلى سجلماسة فى طلب عبيدالله المهدى، فانتقل إلى تقيوس [3] واشترى ضيعة، وأقام يعلم الناس فيها.

---

(١) مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث الزناتى النكارى، أبو يزيد: ثائر، من زعماء الإباضية وأئمتهم. بربرى الأصل. كان يغلب عليه الزهد والتقشف. ويلبس جبة صوف قصيرة ضيقة الكمين ولد ونشأ فى قسطيلة وسافر إلى تاصرت فكان معلما للصبيان فيها. وانتقل إلى تقيوس. لما مات المهدى الفاطمى خرج بأتباعه سنة ٣٢٢ هـ بناحية جبل أوراس وعظم أمره وامتلك رقادة والقيروان وسوسة ثم انتقض عليه البربر فعاد إلى القيروان سنة ٣٣٤هـ. ثم هزمه المنصور ومات متاثرا بجراحه. انظر: ابن خلدون ٤/٤٠ - ٤٤، ووفيات الأعيان ١/٧٧، والبيان المغرب ١/١٩٣والنجوم الزاهرة ٣/٢٨٧، والأعلام ٧/١٩٤.

(٢) توزر: هى قاعدة كور قسطيلة من البلاد الجريدية، ولها سور عظيم حصين وبها نخل كثير جدًا وتمرها يعم بلاد إفريقية وبها الأترج الكثير الطيب. انظر: الروض المعطار ١٤٤، ١٤٥، ومعجم البلدان (توزر)، والإدريسى ١٠٤/٧٥.

(٣) مدينة فى أقصى إفريقية من نواحى الزاب الكبير من أعمال الجريد بينها وبين نقطة عشرة فراسخ. انظر: معجم البلدان ٢/٥٧، ٥٨.

Marfat.com

وكان مذهبه تكفير أهل الملة، واستباحة الأموال والدماء، والخروج على السلطان، فابتدأ يحتسب على الناس فى أفعالهم، وصار له جماعة يعظمونه، وذلك فى أيام المهدى سنة ست عشرة وثلاثمائة.

وتزايدت شوكته، وكثرت أتباعه فى أيام القائم، وحاصر باغاية [١] وهزم الجيوش الكثيرة، ثم حاصر قسطيلية [٢] سنة ثلاث وثلاثين، وفتح تبسة [٣] ومجانة [٤] وهدم سورها، ودخل مدينة مرجنة[٥] فلقيه رجل من أهلها، وأهدى له حمارا أشهب مليح الصورة، فركبه من ذلك اليوم، وصار يعرف براكب الحمار، وكان قصيرا أعرج يلبس جبة صوف قصيرة، وكان قبيح الصورة.

ثم إنه هزم كتامة، وافتتح سبتية[٦] وصلب عاملها، وفتح مدينة الأربس، وأحرقها ونهبها، والتجأ الناس إلى الجامع فقتلهم فيه، وبلغ ذلك أهل المهدية فاستعظموه، وقالوا للقائم: «الأربس باب إفريقية، ولما أخذت زالت دولة بنى الأغلب». فقال: «لابد أن يبلغ أبو يزيد المصلى، وهى أقصى غايته».

وأخرج القائم الجيوش لضبط البلاد، وجمع العساكر، وبعث جيشا مع فتاه ميسور، وجيشا مع فتاه بشرى، فسار أبو يزيد وواقع بشرى على باجة [٧] فانهزم أبو يزيد، وصار فى أربعمائة، فمال إلى خيام بشرى وانتهبها، فانهزم بشرى إلى تونس وقتل كثير من عسكره، وملك أبو يزيد باجة، وحرقها، ونهبها، وقتل الأطفال، وأخذ النساء، وكتب إلى القبائل يدعوهم إلى نفسه فأتوه، وعمل الأخبية والبنود [٨] وآلات الحرب.

وجمع بشرى جيشا وأنفذه إلى أبى يزيد، فسير إليهم أبو يزيد جيشا، والتقوا، وانهزم أصحاب أبى يزيد.

---

(١) مدينة بإفريقية قريبة من توزر. انظر: معجم البلدان ٢/٣٧.

(٢) مدينة بإفريقية على مقربة من جبل أوراس المتصل بالسوس الذى يعرف بجبل المصامدة بين قسطيلية والقيروان مسيرة سبعة أيام.

(٣) بلد مشهور من أرض إفريقية. انظر: معجم البلدان ٢/١٣.

(٤) بلد مشهور بإفريقية. انظر: معجم البلدان ٥/٥٦.

(٥) تقع قريبة من مجانة، وهى مدينة لطيفة بها جامع وفندق وسور.

(٦) بلد مشهور من قواعد بلاد المغرب ومرساها أحود مرسى على البحر. انظر: معجم البلدان ٣/١٨٢.

(٧) بلد بإفريقية تعرف بباجة القمح، بينها وبين تونس يومان. انظر: معجم البلدان ١/٣١٤، ٣١٦.

(٨) البند: العلم الكبير.

Marfat.com

وكانت فتنة بتونس، وهرب عاملها، وكاتبوا أبا يزيد فأمنهم، وولى عليهم رجلا منهم، فخافه الناس، وانتقلوا إلى القيروان، وأتاه كثير منهم، ثم لقيه بشرى، فانهزم عسكر أبى يزيد، وقتل منهم أربعة آلاف، وأسر خمسمائة، وبعث بهم إلى المهدية فى السلاسل، فقتلهم العامة، فغضب لذلك أبو يزيد، وجمع الجموع، وسار إلى قتال الكتاميين فتلاقى مع طلائعهم، فانهزمت الطلائع، وتبعهم البربر إلى رقادة، فنزل أبو يزيد بالقرب من القيروان فى مائة ألف مقاتل، وقاتل أهل رقادة، فقتل من أهل القيروان خلقا كثيرا، ودخل القيروان عسكره فى أواخر صفر، فانتهبوا البلد وقتلوا، وأخذ عامل القيروان فحمل إلى أبى يزيد فقتله.

وخرج شيوخ القيروان إلى أبى يزيد - وهو برقادة - فطلبوا الأمان فماطلهم، وأصحابه يقتلون وينهبون، فعادوا إلى الشكوى وقالوا: «خربت المدينة». فقال: «وما تكون؟ خربت مكة والبيت المقدس؟!».

ثم قدم ميسور فى عساكر عظيمة، فالتقى بأبى يزيد، واشتد القتال بينهما، وقتل ميسور، وحمل رأسه إلى أبى يزيد، فانهزم عامة عسكره.

وسير أبو يزيد الكتب إلى عامة البلاد يخبر بهذا الظفر، فخاف القائم ومن معه بالمدينة، وانتقل الناس من أرباضها، فاحتموا بالسور، فمنعهم القائم، ووعدهم الظفر، فعادوا إلى زويلة واستعدوا، وأقام أبو يزيد شهرين وثمانية أيام فى خيام ميسور، وهو يبعث السرايا إلى كل ناحية، فيغنمون ويعودون، وفتح سوسة [1] بالسيف، وقتل الرجال، وسبى النساء، وأحرق البلد، وشق أصحابه فروج النساء، وبقروا البطون، حتى لم يبق موضع فى إفريقية معمور، ولا سقف مرفوع، ومضى جميع من بقى إلى القيروان حفاة عراة، فمات أكثرهم جوعا وعطشا.

وفى أواخر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة: حفر القائم الخنادق حول أرباض المهدية، وكتب إلى زيرى بن مناد[2] سيد صنهاجة، وإلى سادات كتامة والقبائل يحثهم على الاجتماع بالمهدية، فتأهبوا للمسير إليه.

ورحل أبو يزيد نحو المهدية، فنزل على خمسة عشر ميلا منها، وبث سراياه فانتهبوا

---

(١) سوسة بلد بالمغرب، وهى مدينة عظيمة بينها وبين القيروان ثلاثة آلاف فرسخ. انظر: معجم البلدان ٣/٢٨١، ٢٨٢.

(٢) زيرى بن مناد الصنهاجى الحميرى : أول من ملك من الصنهاجيين بالمغرب الأوسط. وهو الذى بنى مدينة آشير وإليه تنسب. وأعطاه المنصور تاهرت وأعمالها. كان واليا لملوك العبيديين الفاطميين عند ظهورهم مدة ملكه ٢٦ سنة. انظر: أعلام الأعلام ٢٦، ووفيات الأعيان ١/١٩٧، والأعلام ٣/٣٦.

Marfat.com

ما وجدوا، وقتلوا من أصابوا.

فلما كان يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الأولى من السنة: خرجت كتامة وأصحاب القائم إلى أبى يزيد، فالتقوا على ستة أميال من المهدية، واقتتلوا مع أصحاب أبى يزيد، وأدركهم أبو يزيد وقد انهزم أصحابه وقتل كثير منهم، فلما رآه الكتاميون انهزموا من غير قتال، وأبو يزيد فى أثرهم إلى باب الفتح.

واقتحم قوم من البربر باب الفتح، وأشرف أبو يزيد على المهدية، ثم رجع إلى منزله، وعاد إلى المهدية، ووقف على الخندق المحدث، وقاتل عليه حتى وصل إلى باب المهدية عند المصلى الذى للعيد - وبينه وبين المهدية رمية سهم - وتفرق أصحابه فى زويلة ينهبون ويقتلون، وهم لا يعلمون ما صنع أبو يزيد فى ذلك الجانب، فحمل الكتاميون على البُوبر، وهزموهم وقتلوا منهم.

ووصل زيرى بن مناد فعظم القتال، وتحير أبو يزيد، وقد مالوا عليه ليقتلوه، فتخلص إلى منزله بعد المغرب، ورحل إلى ترنوطة[1] وحفر على عسكره خندقا، واجتمع إليه خلق عظيم من إفريقية والبربر ونفوسة والزاب [2] وأقاصى المغرب، فحصر المهدية حصارًا شديدًا، ومنع الناس من الدخول إليها والخروج منها.

ثم زحف إليها لسبع بقين من جمادى الآخرة، فجرى قتال عظيم قتل فيه جماعة من وجوه عسكر القائم، واقتحم أبو يزيد بنفسه حتى وصل قرب الباب، فعرفه بعض العبيد فقبض على لجامه وصاح: «هذا أبو يزيد فاقتلوه»، فأتاه بعض أصحابه وقطع يد العبد وخلص أبو يزيد، وكتب إلى عامل القيروان بإرسال مقاتلة أهلها إليه، ففعل ذلك، وزحف بهم آخر رجب، فجرى قتال شديد، وانهزم أبو يزيد هزيمة منكرة، وقتل جماعة من أصحابه وأكثر أهل القيروان.

ثم زحف الزحفة الرابعة فى العشر الأواخر من شوال، فجرى قتال عظيم، وانصرف إلى منزله، وكثر خروج الناس إليه من الجوع والغلاء، ففتح عند ذلك القائم الأهراء التى عملها أبوه المهدى، وفرق ما فيها على رجاله، وعظم البلاء على الرعية، حتى أكلوا الدواب والميتة، وخرج من المهدية أكثر السوقة والتجار، ولم يبق بها سوى الجند، فكان البربر يأخذون من خرج، ويشقون بطونهم طلبا للذهب.

ثم وصلت كتامة فنزلت بقسطنطينية، فخاف أبو يزيد، وكان البربر يأتون إلى أبى

---

(١) ذكر ياقوت أنها ترنوط، وهى قرية بين مصر والإسكندرية، وهى قرية كبيرة جامعة على النيل. انظر: معجم البلدان ٢/٧٢.

(٢) هو نهر الزاب الأعلى بين الموصل وإربل، وهو حد ما بين أذربيجان وبابغين، وهو ما بين قطينا والموصل من عين فى رأس جبل ينحدر إلى واديه. انظر: معجم البلدان ٣/١٢٣، ١٢٤.

Marfat.com

يزيد من كل ناحية فينهبون ويرجعون إلى منازلهم، حتى أفنوا ما كان فى إفريقية، فلما لم يبق مع أبى يزيد سوى أهل أوراس وبنى كملان أخرج عسكره، فكان بينهم قتال شديد لست خلون من ذى القعدة، ثم صبحوهم من الغد فلم يخرج إليهم أحد.

ثم زحفت عساكر القائم إليه، فخرج من خندقه، واشتد بينهم القتال، ثم عادوا إلى القتال، فانهزم عسكر القائم، وعاد الحصار على ما كان عليه، وهرب كثير من أهل المهدية إلى جزيرة صقلية، وطرابلس، ومصر، وبلد الروم.

فلما كان آخر ذى القعدة: اجتمع لأبى يزيد جمع عظيم، وتقدم إلى المهدية، فقاتل عليها، وكاد أن يؤخذ، ثم خلص.

* * *

ودخلت سنة أربع وثلاثين

وهو مقيم على المهدية.

وفى المحرم منها: ظهر بإفريقية رجل يدعو إلى نفسه، فأجابه كثير من الناس، وادعى أنه رجل عباسى ورد من بغداد، ومعه أعلام سود، فظهر به أصحاب أبى يزيد وساقوه إليه فقتله.

وفر بعض أصحاب أبى يزيد إلى المهدية، وخرجوا مع أصحاب القائم، فقاتلوا أبا يزيد فظفروا، وتفرق عند ذلك أصحاب أبى يزيد، ولم يبق معه غير هوارة وبنى كملان وكان اعتماده عليهم.

ورحل بقية أصحابه إلى القيروان، ولم يشاوروا أبا يزيد، فرحل مسرعا فى طائفة، وترك جميع أثقاله، وذلك فى سادس صفر، فنزل مصلى القيروان، فخرج أهل المهدية إلى أثقاله، فغنموا طعاما كثيرا وخياما، فحسنت حالهم، ورخصت الأسعار، وبعث القائم إلى البلاد عمالا يطردون عمال أبى يزيد.

ثم إن أبا يزيد بعث عسكرا إلى تونس فدخلوها بالسيف فى العشرين فى صفر، فنهبوا جميع ما فيها، وسبوا النساء والأطفال، وقتلوا الرجال، وهدموا المساجد، والتجأ كثير من الناس إلى البحر فغرقوا فسير القائم عسكرا لقتال أصحاب أبى يزيد فى تونس، فانهزم عسكر القائم، وتبعهم أصحاب أبى يزيد، فكر عليهم عسكر القائم وصبروا، فانهزم أصحاب أبى يزيد، وقتل منهم خلق كثير.

ودخلوا إلى تونس خامس ربيع الأول، فأخرجوا من فيها من أصحاب أبى يزيد، فبعث أبو يزيد ابنه فقتل أهل البلد، وأحرق ما بقى فيه، وتوجه إلى باجة، فقتل من بها من أصحاب القائم، ودخلها بالسيف وأحرقها، وكان فى هذه المدة من القتل والسبى

Marfat.com

والتخريب ما لا يوصف.

وهمَّ جماعة من أصحاب أبى يزيد بقتله، وكاتبوا القائم بذلك، فظفر بهم أبو يزيد فقتلهم، وكثر النهب والسبى فى القيروان.

وكان القائم قد بعث العساكر من المسيلة وغيرها، فاجتمع له خلق كثير، فطرقهم أيوب بن أبى يزيد على حين غفلة فقتل منهم، وغنم أثقالهم، وسير جريدة إلى تونس، فأوقعوا بعسكر القائم، وتكررت الحرب بينهم، فانهزم أصحاب أبى يزيد وقُتلوا قتلاً ذريعًا، وأخذت أثقالهم، وانهزم أيوب إلى القيروان فى ربيع الأول، فعظم على أبى يزيد، وجمع على ابنه أيوب فسار، وتوالت بينه وبين أصحاب القائم الحروب إلى أن هزمت أصحاب القائم من عسكر أبى يزيد، ثم تجمعت عسكر القائم، وواقعت أصحاب أبى يزيد على قسطنطينية، فانهزمت أصحاب أبى يزيد.

فجد حينئذ أبو يزيد فى أمره، وجمع العساكر، وسار إلى سوسة سادس جمادى الآخرة، وبها جيش القائم، فحصرها حصرا شديدا، وعمل عليها الدبابات والمنجنيقات[1] وقتل من أهلها خلق كثير.

فلما كان فى شهر رمضان: مات القائم، وقام من بعده ابنه المنصور، فكتم موت أبيه خوفا من أبى يزيد، وعمل المراكب وشحنها بالرجال، وسيرها إلى سوسة، وسار بنفسه إليها، ثم عاد، وقدمت المراكب فواقعت أبا يزيد حتى انهزم هو وأصحابه، وأحرقوا خيامه، فدخل أبو يزيد إلى القيروان وفرَّ البربر على وجوههم، فمات أكثرهم جوعًا وعطشا.

ومنع أهل القيروان أبا يزيد من دخول البلد، وحصروا غامله بها، فالتحق به، وأخذ أبو يزيد امرأته - أم أيوب - وتبعه أصحابه بعيالاتهم على سبيبة [2] - وهى على يومين من القيروان - فنزلوها.

وسار المنصور إلى مدينة سوسة لسبع بقين من شوال، وبعث فنادى فى الناس بالأمان، ورحل إلى القيروان لست بقين من شوال، فخرج إليه الناس فأمنهم، ووجد بالقيروان حرما وأولادا لأبى يزيد، فحملهم إلى المهدية وأجرى عليهم الأرزاق.

وجمع أبو يزيد العساكر، وبعث سرية يتخبرون له، فأرسل إليهم المنصور سرية، فالتقوا واقتتلوا، وهزموا أصحاب المنصور، وبلغ الناس ذلك، فتسرعوا إلى أبى يزيد

---

(١) جمع منجنيق، وهو آلة من آلات الحصار فى العصور الوسطى.

(٢) ناحية من أعمال إفريقية ثم من أعمال القيروان. انظر: معجم البلدان ٣/١٨٦.

Marfat.com

وكثر جمعه، وزحف إلى القيروان، فواقعه المنصور حتى ظفر، وباشر بنفسه القتال، وجعل يحمل يمينا وشمالا، والمظلة [١] على رأسه كالعلم، ومعه نحو خمسمائة فارس، وأبو يزيد فى قدر ثلاثين ألفًا، فانهزم أصحاب المنصور هزيمة عظيمة حتى دخلوا الخندق، وبقى المنصور فى نحو عشرين فارسا وقصده أبو يزيد، فلما رآه شهر سيفه، وثبت مكانه، وحمل بنفسه على أبى يزيد، حتى كاد يقتله، فولى أبو يزيد هاربا، وقتل المنصور من أدرك منهم، وتلاحقت به العساكر، فقتل من أصحاب أبى يزيد خلقًا كثيرًا.

وكان يومًا من الأيام المشهودة التى لم يكن فيما مضى من الأيام مثله، وعاين الناس من شجاعة المنصور ما لم يظنوه، فزادت مهابته فى قلوبهم.

ورحل أبو يزيد عن القيروان أواخر ذى القعدة، ثم عاد إليها غير مرة، فلم يخرج إليه أحد، ونادى المنصور: من أتى برأس أبى يزيد فله عشرة آلاف دينار».

وأذن للناس فى قتال أبى يزيد، فجرى قتال شديد انهزم فيه أصحاب المنصور حتى دخلوا الخندق، ثم عادوا فهزموا أصحاب أبى يزيد، وافترقوا وقد انتصف بعضهم من بعض، وكثرت القتلى من الفريقين، وعادت الحرب بينهما غير مرة، وأبو يزيد يبعث السرايا فيقطع الطريق بين المهدية والقيروان وسوسة.

ثم إنه بعث إلى المنصور يسأل حرمه وعياله الذين خلفهم بالقيروان وأخذهم المنصور ليدخل فى طاعته، على أن يؤمنه وأصحابه، وحلف على ذلك بأغلظ الأيمان، فسير إليه المنصور عياله مكرمين، بعد أن وصلهم وكساهم، فلما وصلوا إليه نكث، وقال: «إنما وجههم خوفا منى».

وانقضت سنة أربع وثلاثين وهم على حالهم.

ففى خامس المحرم سنة خمس وثلاثين: زحف أبو يزيد، وركب المنصور، وكان بينهما قتال ما سمع بمثله، وحملت البربر على المنصور وحمل عليها، وجعل يضرب فيهم، فانهزموا بعد أن قُتل خلق كثير.

فلما انتصف المحرم عىَّ المنصور عسكره، فجعل على ميمنته أهل إفريقية، وعلى ميسرته كتامة، وركب فى القلب ومعه عبيدة وخاصته، فوقع بين الفريقين قتال شديد، وحمل أبو يزيد على ميمنة المنصور فهزمها، ثم حمل على القلب فوقع إليه المنصور [٢]

---

(١) المظلة قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب، على أعلاها طائر من فضة مطلية بالذهب.

(٢) إسماعيل بن محمد بن عبيدالله المهدى، أبو الطاهر، المنصور بنصر الله : ثالث خلفاء الدولة الفاطمية العبيدية بالمغرب. مولده بالقيروان قام بالأمر فى المهدية بعد وفاة أبيه سنة ٣٣٤هـ وبويع سنة ٣٣٦هـ بعد أن فرغ من حرب أبى يزيد النكار. توفى بالمنصورية ودفن بالمهدية. انظر:-

Marfat.com

وقال: «هذا يوم الفتح إن شاء الله تعالى».

وحمل فيمن معه حملة رجل واحد، فانهزم أبو يزيد، وأخذت السيوف أصحابه، فولوا منهزمين، وأسلموا أثقالهم، وفر أبو يزيد على وجهه، وقد قتل من أصحابه ما لا يحصى كثرة، حتى أن الذى أخذه أطفال أهل القيروان خاصة من رءوس القتلى عشرة آلاف رأس.

وأقام المنصور يتجهز ثم رحل أواخر ربيع الأول، فأدرك أبا يزيد، ففر منه فتبعه، وصار كلما قصد أبو يزيد موضعا يتحصن فيه يسبقه المنصور إليه، واستأمن بعض أصحابه فأمنه المنصور، واستمر الهرب بأبى يزيد حتى وصل إلى جبل البربر - وأهله على مذهبه - وسلك الرمال، فاجتمع معه خلق كثير، وواقع عسكر المنصور، فهزم الميمنة، وحمل عليه المنصور بنفسه فانهزم، وتبعه المنصور إلى جبال وعرة، وأودية عميقة خشنة الأرض، فمنعت الأدلاء المنصور من سلوك تلك الأرض، وقالوا: إنه لم يسلكها جيش قط.

واشتد الأمر على عسكر المنصور، فبلغ عليق كل دابة دينارا ونصفا، وبلغت قربة الماء دينارا، هذا وما وراء ذلك رمال وقفار وبلاد السودان التى ليس فيها عمارة، وقيل للمنصور: «إن أبا يزيد اختار الموت جوعا وعطشا على القتل بالسيف».

فلما سمع المنصور ذلك رجع إلى بلاد صنهاجة، فاتصل به الأمير زيرى بن مناد الصنهاجى، بعساكر صنهاجة، فأكرمه المنصور، وأتته الأخبار بموضع أبى يزيد من الرمال.

ونزل بالمنصور مرض شديد أشفى منه، فلما أفاق من مرضه رحل إلى المسيلة (١) ثانى رجب، فإذا أبو يزيد قد سبقه إليها لما سمع بمرض المنصور وهو يحاصرها، فلما علم بالمنصور هرب منه يريد بلاد السودان، فخدعه بنو كملان- هم وهوارة - ومنعوه من ذلك، وأصعدوه إلى جبال كتامة وغيرها فتحصن بها، واجتمع إليه أهلها، وصاروا ينزلون ويتخطفون الناس، فسار المنصور عاشر شعبان إليه، فلم ينزل أبو يزيد، فلما أخذ المنصور فى العود، نزل أبو يزيد إلى ساقة العسكر، فرجع المنصور، ووقعت الحرب، فانهزم أبو يزيد، وأسلم أصحابه وأولاده، وأدركه فارسان فعقرا فرسه، فسقط عنه، فأركبه بعض أصحابه، وأدركه الأمير زيرى فطعنه وألقاه، وكثر عليه القتال حتى

=وفيات الأعيان ١/٧٦، وابن خلدون ٤/٤٣، وابن الأثير ٨/١٥٠، والبيان المغرب ١/٢١٨، والأعلام ١/٣٢٢.

(١) مدينة بالمغرب تسمى المحمدية. انظر: معجم البلدان ٥/١٣٠.

Marfat.com

خلصه أصحابه، وخلصوا به، وتبعهم المنصور فقتل منهم ما يزيد على عشرة آلاف.

وسار المنصور فى أثره أول رمضان، فاقتتلوا أشد قتال، ولم يقدر أحد الفريقين على الهزيمة لضيق المكان وخشونته، ثم انهزم أبو يزيد، وطلع أصحابه على رءوس الجبال يرمون بالصخر، واشتد الأمر حتى تواخذوا بالأيدى، وكثر القتل حتى ظنوا أنه الفناء، وافترقوا على السواء.

والتجأ أبو يزيد إلى قلعة كتامة وهى منيعة فاحتمى بها، وأقبلت هوارة وأكثر من مع أبى يزيد يطلبون الأمان، فأمنهم المنصور، وسار فحصر القلعة، وفرق جنده حولها، فناشبه أبو يزيد القتال، وزحف إليها المنصور غير مرة حتى ملك بعض أصحابه مكانا من القلعة، وألقوا فيها النيران، فانهزم أصحاب أبى يزيد، وقتلوا قتلا ذريعا، وامتنع أبو يزيد وأولاده فى قصر بالقلعة ومعه أعيان أصحابه، فاجتمع أصحاب المنصور، وأحرقوا شعارى الجبل حتى لا يهرب أبو يزيد فصار الليل كالنهار.

فلما كان آخر الليل خرج أصحاب أبى يزيد وهم يحملونه على أيديهم، وحملوا على الناس حملة منكرة، فأفرجوا له، ونجوا به، ونزل من القلعة خلق كثير، فأخذوا وأخبروا بخروج أبى يزيد، فأمر المنصور بطلبه، وقال: «ما أظنه إلا قريبا منا».

فبينما هم كذلك إذ جاء الخبر أن ثلاثة من أصحاب أبى يزيد حملوه من المعركة لقبح عرجه، فذهب لينزل من الوعر فسقط فى مكان صعب، فأخذ وحُمل إلى المنصور يوم الأحد لخمس بقين من المحرم، وبه جراحات، فلما رآه سجد شكرا لله. وقدم به والناس يكبرون حوله، فأقام عنده إلى سلخ المحرم من سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، فمات من جراح كانت به، فأمر المنصور بإدخاله فى قفص عمل له، وجعل معه قردين يلعبان عليه، وأمر بسلخ جلده، وحشاه تبنا، وكتب إلى سائر البلاد بالبشارة.

وخرج عليه - بعد أبى يزيد - عدة خوارج، ظفر بهم المنصور.

ثم عاد المنصور إلى المهدية فى شهر رمضان سنة ست وثلاثين.

وكانت وفاة القائم بأمر الله أبو القاسم محمد بن عبيدالله المهدى لثلاث عشرة خلت من شوال سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة.

وقام بالأمر من بعده ابنه أبو الطاهر إسماعيل المنصور بنصر الله، وكتم موته خوفا أن يعلم أبو يزيد، فإنه كان على سوسة قريبا منه، فأبقى الأمور على حالها، ولم يتسم بالخليفة، ولا غير السكة ولا الخطبة ولا البنود، وبقى كذلك حتى فرغ من أمر أبى يزيد، فلما فرغ منه أظهر موت أبيه، وتسمى بالخلافة، وعمل آلات الحرب.

Marfat.com

ويقال: إن القائم لم يرق سريرا، ولا ركب دابة صيد منذ أفضى إليه الأمر حتى مات، وإنه صلى مرة على جنازة، وصلى مرة العيد بالناس. وكانت مدة خلافته ثنتى عشرة سنة، وسبعة أشهر، واثنى عشر يوما. وعمره ثمانيا وخمسين سنة، وقيل أربعا وخمسين سنة، وتسعة أشهر، وستة أيام. وأولاده: أبو الطاهر إسماعيل، وأبو عبد الله جعفر - ومات فى أيام المعز - وحمزة، وعدنان، وأبو كنانة - قبضوا بالمغرب - ويوسف - مات ببرقة سنة اثنتين وستين وثلاثمائة - وعبد الجبار - توفى بمصر سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة - وأربع بنات وترك سبع سرارى. وكانت قضاته: إسحاق بن أبى المنهال، ثم مات فولى أحمد بن يحيى - وقتله أبو يزيد لما فتح إفريقية فى صفر سنة ثلاث وثلاثين - ثم أحمد بن الوليد. ونقش خاتمه: «بنصر الدائم، ينتصر الإمام أبو القاسم».

وقال فيه أيوب بن إبراهيم:

يا ابن الإمام المرتضى، وابن الو ... صى المصطفى، وابن النبى المرسل
الله أعطاك الخلافة، واهبا ... ورآك للإسلام أمنع معقل
نلت الخلافة، وهى أعظم رتبة ... نيلت، وليست من علاك بأفضل
فمنعت حوزتها، وحطت حريمها ... بالمشرفية والوشيج الذبل

وقال خليل بن إسحاق لما بعثه لقتال أبى يزيد:

وما ودَّعت خير الخلق طرا ... ولا فارقته عن طيب نفس
ولكنى طلبت به رضاه ... وعفو الله يوم حلول رمس
عاش مملكا ما لاح نجم ... على الثقلين من جن وإنس

* * *

Marfat.com

المنصور بنصر الله

أبو الطاهر إسماعيل

ابن محمد القائم بن عبيد الله المهدى

ولد بالمهدية فى أول ليلة من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثمائة، وقيل: ولد بالقيروان فى سنة اثنتين وثلاثمائة، وقيل: بل فى سنة إحدى وثلاثمائة. وبويع له فى شوال سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة.

وتوفى يوم الأحد الثالث والعشرين من شوال، وقيل: يوم الجمعة مع الظهر سلخ شوال سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة، وسترت وفاته إلى يوم الأحد سابع ذى الحجة منها. وكان له من العمر إحدى وأربعين سنة وخمسة أشهر. وكانت ولايته الخلافة - بعد أبيه - ثمانى سنين، وقيل: سبع سنين وعشرة أيام، وقيل: كان عمره تسعا وثلاثين سنة.

وكان فصيحًا بليغًا خطيبًا حاد الذهن، حاضر الجواب، بعيد الغور، جيد الحدس، يخترع الخطبة لوقته، وأحواله التى تقدم ذكرها مع أبى يزيد وغيره تدل على شجاعته وعقله.

قال أبو جعفر أحمد بن محمد المروروذى (١): «كنت مع المنصور فى اليوم الذى أظهره الله بمخلد بن كيداد أبى يزيد، وهزمه، فتقدمت إليه، وسلمت عليه، وقبلت يده، ودعوت له بالنصر والظفر، فأمرنى بالركوب - وقد جمع عليه سلاحه وآلة حربه، وتقلد سيف جده ذا الفقار، وأخذ بيده رمحين - فحدثته ساعة، فجال به الفرس، ورد أحدهما إلى يده اليسرى، فسقط أحد الرمحين من يده إلى الأرض، فتفاءلت له بالظفر، ونزلت مسرعا، فرفعت الرمح من الأرض، ومسحته بكمى، فرفعته إليه، وقبلت يده، وقلت:

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

فأخذ المنصور الرمح من يدى وقال: «هلا قلت ما هو خير من هذا وأصدق؟».

قال: قلت: «وما هو؟».

قال: قال الله عز وجل: ﴿وأوْحَيْنا إلى مُوسى أنْ أَلْقِ عَصاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ ما

---

(١) نسبة إلى مرو الروذ وهى مدينة قريبة من مرو الشاهجان بينهما خمسة أيام، وهى على نهر عظيم. انظر: معجم البلدان ٥/١١٢

Marfat.com

يأفِكون فَوَقَعَ الحقُّ وبَطَلَ مَا كَانَوا يعْمَلُون، فغُلِبُوا هُنالِكَ وانقَلَبُوا صاغرينَ﴾(١).

قال: فقلت: «يا مولانا: أنت ابن رسول الله - ﷺ - وإمام الأمة، عليكم نزل القرآن، ومن بيتكم درجت الحكم، فقلتَ أنت بما عندك من نور النبوة، وقال عبدك بما بلغه من علمه ومعرفته بكلام العرب وأهل الشعر».

وكان الأمر كما قال، فما هو إلا أن أشرف على عسكر أبى يزيد حتى ضرب الله فى وجوههم، فقتلوا، وأحرق عسكرهم وخيامهم بالنار، وولى أبو يزيد فى بقية أصحابه خائبين إلى داخل المغرب.

ولما صارت الخلافة إلى المنصور فى الشهر الذى توفى أبوه فيه، لم يغير السكة ولا البنود، وأقام على ذلك إلى سنة ست وثلاثين وثلاثمائة فأظهر موت أبيه بعد أن ظفر بأبى يزيد.

وكان سبب موته: أنه خرج إلى سفاقس (٢) وتونس، ثم إلى قابس وبعث يدعو أهل جربة (٣) إلى الطاعة فأجابوه، وأخذ منهم رجالا وعاد، وكانت سفرته شهرا. وعهد إلى ابنه معد وجعله ولى عهده.

فلما كان شهر رمضان سنة إحدى وأربعين: خرج متنزها إلى مدينة جلولاء (٤) - وهو موضع كثير الثمار، وفيه من الأترج ما لا يحمل الجمل منه غير أربع أترجات لعظمه - فحمل منه إلى قصره، وكانت له حظية (٥) يحبها، فلما رأت الأترج استحسنته، وأحبت أن تراه فى أغصانه، فأجابها إلى ذلك، ورحل بها فى خاصته، وأقام بها أياما ثم عاد إلى المنصورية، فأصابه فى الطريق ريح شديد، وبرد ومطر أقام أياما، وكثر الثلج، فمات جماعة ممن معه.

واعتل المنصور علة شديدة، ووصل المنصورية، فأراد عبور الحمام فنهاه طبيبه إسحاق ابن سليمان الإسرائيلى عن ذلك، فلم يقبل، ودخل الحمام ففنيت الحرارة الغريزية منه، ولازمه السهر، فأخذ طبيبه يعالج المرض دون السهر، فاشتد ذلك على المنصور وقال

---

(١) سورة الأعراف الآيات ١١٧ - ١١٩.

(٢) مدينة من نواحى إفريقية على ضفة الساحل، بينها وبين المهدية ثلاثة أيام وبين سوسة يومان وبين قابس ثلاثة أيام. انظر: معجم البلدان ٣/٢٢٣.

(٣) جزيرة بالمغرب من ناحية إفريقية قابس يسكنها البربر. انظر: معجم البلدان ٢/١١٨.

(٤) طسوج من طساسيج السودانى طريق خراسان، بينها وبين خانقين سبعة فراسخ. انظر: معجم البلدان ٢/١٥٦

(٥) المراد جارية.

Marfat.com

لبعض خواصه: «أما فى القيروان طبيب غير إسحاق ؟». فأحضر إليه شاب من الأطباء يقال له: «أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبى خالد بن الجزار [١]» فجمع له أشياء مخدرة، وكلفه شمها، فنام وخرج وهو مسرور بما فعله، فجاء إسحاق ليدخل على المنصور، فقيل له: إنه نائم، فقال: «إن كان صنع له شىء ينام منه فقد مات» فدخلوا عليه فإذا هو ميت، فدفن فى قصره.

وأرادوا قتل ابن الجزار الذى صنع له المنوم، فقام معه إسحاق، وقال: «لا ذنب له، إنما داواه بما ذكره الأطباء، غير أنه جهل أصل المرض، وما عرفتموه، وذلك أننى فى معالجته أقصد تقوية الحرارة الغريزية، وبها يكون النوم، فلما عولج بما يطفئها علمت أنه قد مات».

وكان نقش خاتمه: «بنصر الباطن الظاهر، ينتصر الإمام أبو الطاهر».

وكان يشبه بأبى جعفر المنصور - من خلفاء بنى العباس - لأن كلا منهما اختلت عليه الدولة، وأصفقت [٢] عليه الحروب، وكاد يسل من الخلافة، فهب له ريح النصر، وتراجع له أمره حتى لم يبق مخالف.

وأولاده: أبو تميم المعز لدين الله [٣] وحيدرة - مات بمصر فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة، وصلى عليه العزيز بالله - وهاشم - مات بمصر فى ربيع الأول سنة ثمان وستين وثلاثمائة، وصلى عليه العزيز بالله - وطاهر - مات فى المحرم سنة تسع وخمسين وثلاثمائة بالمغرب - وأبو عبد الله الحسين - مات بالمغرب -وخمس بنات: هبة، وأروى، وأسماء - متن بمصر أيام المعز لدين الله، وأم سلمة - ماتت بمصر أيام العزيز بالله، ومنصورة - ماتت بالمغرب -.

وكان له أمهات أولاد ثلاث.

وقضاته: أحمد بن محمد بن أبى الوليد ثم محمد بن أبى المنصور، ثم عبد الله بن

---

(١) أحمد بن إبراهيم بن أبى خالد، أبو جعفر القيروانى، ابن الجزار: طبيب مؤرخ، من أهل القيروان. له «زاد المسافر وقوت الحاضر» و«البغية» فى الأدوية المركبة. انظر: الإرشاد ١/٨١، وطبقات الأطباء ٢/٣٧ الأعلام ١/٨٥، ٨٦.

(٢) المراد: أطبقت.

(٣) معد (المعز لدين الله) بن إسماعيل (المنصور) بن القائم بن المهدى عبيد الله الفاطمى، أبو تميم : صاحب مصر وإفريقية. ولد بالمهدية وبويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٣٤١هـ وانقادت له بلاد إفريقية كلها. واستولى على مصر وجعلها مقرا لملكه وملك الفاطميين إلى آخر أيامه. توفى سنة ٣٦٥هـ. انظر: الخلاصة النقية ٤١، ووفيات الأعيان ٢/١٠١، ومورد اللطافة ١/٣، وابن إياس ١/٤٥، وابن الأثير ٨/١٦٥ - ٢٢٠، والبيان المغرب ١/٢٢١، والأعلام ٧/٢٦٥.

Marfat.com

المنصور بنصر الله أبو الطاهر ١٦٩

قاسم، ثم على بن أبى سفيان، ثم أبو محمد زرارة، ثم أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمى. (١) وحاجبه: جعفر بن على.

* * *

(١) النعمان بن محمد بن منصور، أبو حنيفة بن حيون التميمى، ويقال له القاضى النعمان : من أركان الدعوة للفاطميين ومذهبهم بمصر. كان واسع العلم بالفقه والقرآن والأدب والتاريخ. من أهل القيروان، مولدًا ومنشأ. تفقه بمذهب المالكية، وتحول إلى مذهب الباطنية. توفى بالقاهرة. له «اختلاف أصول المذاهب» و«الهمة فى آداب اتباع الأئمة». انظر: ابن خلكان ١٦٦/٢، والميزان ١٦٧/٦، والنجوم الزاهرة ١٠٦/٤، ودار الكتب ٢٠/١، والذريعة ٢٥١/٣، والأعلام ٤١/٨، ٤٢.

Marfat.com

المعز لدين الله أبو تميم معد
ابن المنصور أبى الطاهر بن القائم أبى القاسم محمد
ابن عبيد الله المهدى

قال: ولى الأمر بعد أبيه سلخ[1] شوال - وقيل يوم الجمعة سابع عشر - سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة:

وأقام فى تدبير الأمور إلى سابع ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة، وأذن للناس فدخلوا عليه وقد جلس لهم، فسلّموا عليه بالخلافة، وكان عمره أربعا وعشرين سنة.

ومولده بالمحمدية على أربع ساعات وأربع أخماس ساعة من يوم الاثنين الحادى عشر من رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة.

ومدة أيامه ثلاث وعشرون سنة، وخمسة أشهر، وسبعة عشر يومًا.

فلما كان فى سنة اثنتين وأربعين: جالت عساكره فى جبل أوراس، وكان ملجأ كلّ منافق على الملوك، يسكنه بنو كَمْلان ومَلِيلَة[2] وبعض هوّارة، ولم يدخلوا فى طاعة مَنْ تقدمه، فأطاعوا المعز، ودخلوا معه البلاد، وتقدَّم إلى نوابه بالإحسان إلى البربر، فلم يبقَ منهم إلا مَنْ أتاه وشمله إحسان المعزّ، فعظم أمره.

وفى سنة سبع وأربعين: عظم أمر أبى الحسين جوهر[3] عند المعز، وعلا محله، وصار فى رتبة الوزارة، فسيَّره فى صفر منها على جيش كثيف، فيهم الأمير زيرى بن مناد الصنهاجى وغيره، فسار إلى تاهرت، وحارب قومًا، وافتتح مدنا، ونهب وأحرق،

---

(١) المراد: آخره.

(٢) مَلِيلَةُ: بالفتح ثم الكسر، وياء تحتها نقطتان، ولام أخرى: مدينة بالمغرب قريبة من سبتة على ساحل البحر. انظر: معجم البلدان (مليلة).

(٣) جوهر بن عبد الله الرومى، أبو الحسن: القائد، بانى مدينة القاهرة والجامع الأزهر. كان من موالى المعز العبيدى (صاحب إفريقية) وسيَّره من القيروان إلى مصر بعد موت كافور الإخشيدى فدخلها سنة ٣٥٨هـ. وأرسل الجيوش لفتح بلاد الشام وضمها إليها. ومكث بها حاكما مطلقا إلى أن قدم المعز سنة ٣٦٢هـ. فحل المعز محله، وصار هو من عظماء القواد فى دولته وما بعدها إلى أن توفى بالقاهرة. انظر: وفيات الأعيان ١/١١٨، والنجوم الزاهرة ٤/٢٨، وابن عساكر ٣/٤١٦، وخطط مبارك ٢/٤٥، ومعجم البلدان ٧/١٩، والأعلام ٢/١٤٨.

Marfat.com

وسار إلى فاس[1] فنازلها مدة، وسار إلى سِجِلْمَاسَة، وقد قام بها رجل وتلقب بالشاكر لله، وخوطب بأمير المؤمنين، ففرَّ من جوهر فَتبعه حتى أَخذه أَسيرًا.

ومضى جوهر إلى البحر المحيط، فأمر أَن يصاد من سمكه، وبعثه فى قلال الماء إلى المعز، وسلك ما هنالك من البلاد فافتتحها، ثم عاد فقاتل أَهل فاس حتى افتتحها عنوة، وقبض على صاحبها، وجعله مع صاحب سجلماسة فى قفصين، وحملهما إلى المعز بالمهدية، وعاد فى أَخريات السنة.

وفى سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة: كان إعذار[2] المعز لدين الله الأَمراءَ بنيه: عبد الله، ونزار، وعقيل؛ فحين عزم على طهورهم كاتب عُمَّاله وولاته من لدن برقة إلى أَقصى سِجِلْماسة، وما بين ذلك، وما حوته مملكته إلى جزيرة صقلية وما والاها، فى حضر وبدو، وبحر وبر، وسهل وجبل، بطهور مَنْ وُجد من أَولاد سائر الخلق، حُرِّهم وعبدهم، وأَبيضهم وأَسودهم، ودنيئهم وشريفهم، ومليهم وذميهم، الذين حوتهم مملكته، لمدة شهر، وتوعَّد على ترك ذلك، وأَمرهم بالقيام بجميع نفقاتهم وكسوتهم، وما يصلح أَحوالهم من مطعم ومشرب وملبس وطيب وغيره بمقدار رتبهم وأَحوالهم، فكان من جملة المنفق فى ذلك مما حُمل إلى جزيرة صقلية وحدها من المال - سوى الخلع والثياب - خمسون حِمْلاً من الدنانير، كلُّ حِمْلٍ عشرة آلاف دينار، ومثل ذلك إلى كل عامل من عمال مملكته ليفرقه على أَهل عمله.

وابتدئ بالختان فى مستهل ربيع الأَول منها، فكان المعز يظهر فى اليوم من أَيام الشهر بحضرته اثنا عشر أَلف صبى وفوقها ودونها، وخُتن من أَهل صقلية وحدها خمسة عشر أَلف صبى، وكان وزن خِرَق الأَكياس المفرغة مما أَنفق فى هذا الإعذار مائة وسبعين قنطارا بالبغدادى.

---

(١) فاس: مدينة عظيمة، وهى قاعدة المغرب، وهما مدينتان مقترنتان يشق بينهما نهر كبير يسمى وادى فاس، يأتى من عيون تسمى عيون صنهاجة، وفى كل زقاق ساقية يجرونها متى شاءوا، وفيهما معًا ضياع ومبان سامية وقصور، ولأهلها اهتمام بحوائجهم، ونعمها كثيرة، والحنطة بها رخيصة، وفواكهها كثيرة، وخصبها زائد، وفى أَهلها عزة ومنعة، ومنها إلى سجلماسة ثلاث عشرة مرحلة. وبالجملة فمدينة فاس قطب بلاد المغرب الأَقصى ويسكن حولها قبائل من البربر، لكنهم يتكلمون بالعربية، فهى حضرة المغرب الكبرى وإليها تشد الركائب وتقصد القوافل، وتجلب إلى حضرتها كل غريبة من الثياب والبضائع والأَمتعة، وأَهلها مياسير ولها من كل شىء حسن أَوفر حظ. انظر: الروض المعطار ٤٣٤، ٤٣٥، الإدريسى ٧٥/٥٠، والبكرى ١١٥ وما بعدها، وابن الوردى ١٤، وصبح الأَعشى ٥/١٥٤.

(٢) الاعذار: هو الختان.

Marfat.com

واستدعى المعز - وهو بالمنصورية - فى يوم شاتٍ باردة الريح عدة شيوخ من شيوخ كتامة، وأمر بإدخالهم إليه من غير الباب الذى جرى الرسم به، فإذا هو فى مجلس مربع كبير مفروش باللبود على مطارح، وحوله كساء، وعليه جبة، وحواليه أبواب مفتحة تُفضى إلى خزائن كتب، وبين يديه مرفع ودواة، وكتبٌ حواليه، فقال: «يا إخواننا: أَصبحتُ اليوم فى مثل هذا الشتاء والبرد، فقلتُ لأم الأمراء - وإنها الآن بحيث تسمع كلامى -: أَترى إخواننا يظنون أنا فى مثل هذا اليوم نأكل ونشرب ونتقلّب فى المُثْقل[1] والديباج[2] والحرير والفنك[3] والسَّمُّور والمسك والخمر والغناء كما يفعل أَرباب الدنيا؟!.

ثم رأَيت أَن أَنفذ إليكم فأَحضركم لتشاهدوا حالى إذا خلوت دونكم واحتجبتُ عنكم، وأَنى لا أَفضلكم فى أحوالكم إلا فيما لابد منه من دنياكم، وبما خصَّنى اللهُ به من إمامتكم، وأَنى مشغول بكتبٍ ترد علىَّ من المشرق والمغرب أجيب عنها بخطى، وأنى لا أَشتغل بشىء من ملاذ الدنيا إلا بما صان أَرواحكم، وعمَّر بلادكم، وأَذلَّ أعداءكم، وقمع أَضدادكم.

فافعلوا يا شيوخ فى خلوتكم مثل ما أَفعله، ولاتظهروا التجبر والتكبر، فينزع الله النعمة عنكم، وينقلها إلى غيركم، وتحننوا على من وراءكم ممن لا يصل إلىّ كتحننى عليكم، ليتصل فى الناس الجميلُ، ويكثر الخير، وينتشر العدل.

وأَقبلوا بعدها على نسائكم، والزموا الواحدة التى تكون لكم، ولاتشرهوا إلى التكثير منهن، والرغبة فيهن، فيتنغص عيشكم، وتعود المضرةُ عليكم، وتنهكوا أبدانكم، وتذهب قوتكُم، وتضعف نحايزكم[4]؛ فحسبُ الرجل الواحد الواحدة، ونحن محتاجون إلى نصرتكم بأَبدانكم وعقولكم.

واعلموا أَنكم إذا لزمتم ما آمركم به رجوت أَن يقرَّب اللهُ علينا أَمر المشرق كما قرَّب أَمر المغرب بكم. انهضوا رحمكم الله ونصركم».

وفى سنة خمس وخمسين وثلاثمائة: أَمر المعز بحفر الآبار فى طريق مصر، وأَن يُبنى له فى كل منزلة قصر، ففُعل ذلك.

---

(١) المثقل هو ما كان منسوجا بالذهب.

(٢) قماش من الحرير.

(٣) نوع صغير جدا من الثعالب فى حجم القط.

(٤) المراد: أصولكم.

Marfat.com

وفى يوم الجمعة لثلاث بقين من جمادى الآخرة من السنة: وردت النجب[١] من مصر بموت كافور الإخشيدى يوم الأربعاء لعشر بقين من جمادى الأولى.

واستدعى المعز يوما أبا جعفر بن حسين بن مهذب - صاحب بيت المال - وهو بالمغرب، فوجده فى وسط القصر جالسا على صندوق، وبين يديه ألوف صناديق مبددة فى صحن القصر، فقال له:

«هذه صناديق مال، وقد شذّ عنّى ترتيبها، فانظرها ورتبها».

قال: «فأخذت أجمعها إلى أن صارت مرتبة، وبين يدىَّ جماعة من خدام بيت المال والفراشين»، وأنفذت إليه أعلمه، فأمر برفعها فى الخزائن على ترتيبها، وأن يُغلق عليها، وتختم بخاتمه، وقال: «قد خرجت عن خاتمنا وصارت إليك»، ففعل.

وكانت جملتها أربعة وعشرين ألف ألف دينار، **وذلك فى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة**، فأنفقها أجمع على العساكر التى سيَّرها إلى مصر - فى سنتى ثمان وتسع وخمسين - مع القائد جوهر.

وكان رحيله فى رابع عشر ربيع الأول منها، ومعه ألف حمل مال، ومن السلاح والخيل والعدد ما لا يوصف، فقدم جوهر إلى مصر، ووصلت البشارة بفتحها **فى نصف رمضان سنة ثمان وخمسين**، فسرَّ المعز سرورًا كثيرًا وأنشده ابن هانئ[٢] قصيدة أولها:

يقولُ بنو العباس: هل فتحتْ مصر ... فَقُلْ لبنى العباسِ: قد قُضِى الأمر

ولما وصلت البشارة من الشام بكسر عسكر أبى عبد الله الحسن بن أحمد القرمطى - المعروف بالأعصم[٣] - أنشده ابن هانئ قصيدة منها:

---

(١) المراد: الأخبار.

(٢) محمد بن هانئ بن محمد بن سعدون الأزدى الأندلسى، أبو القاسم، أشعر المغاربة على الإطلاق. ولد بإشبيلية واتهمه أهلها بمذهب الفلاسفة، وفى شعره نزعة إسماعيلية بارزة. رحل إلى إفريقية والجزائر ثم اتصل بالمعز العبيدى وأقام عنده فى المنصورية بقرب القيروان مدة قصيرة إلى أن رحل المعز إلى مصر، فشيعه ابن هانئ وعاد إلى إشبيلية فأخذ عياله وقصد مصر فلما وصل إلى برقة قتل فيها غيلة. له «ديوان شعر». انظر: وفيات الأعيان ٢/٤، والتكملة ١/١٠٣، والنجوم الزاهرة ٤/٦٧، والإحاطة ٢/٢١٢ - ٢١٥، وإرشاد الأريب ٧/١٢٦، وشذرات الذهب ٣/٤١، ونفح الطيب ٢/١٠١٠، والأعلام ٧/١٣٠.

(٣) الحسن بن أحمد بن أبى سعيد الحسن بن بهرام الجنابى القرمطى الملقب بالأعصم، متغلب، من أمراء القرامطة. فارسى الأصل. ولد بالأحساء. استولى على الشام سنة ٣٥٧. وجه إليه المعز-

Marfat.com

ما شئتَ لا مـا شـاءت الأقـدارُ فاحكـم فـأنت الواحـدُ القّهـارُ

وأنشد أيضا أخرى أولها:

وعلـى أميـر المؤمنـين مَظَلّـةٌ زَاحَمْـت تحت لوائـها جبْريـلا

وفى سنتى ستين وإحدى وستين قال: ولقـد وصلنـا إلى برقـة ومعنـا خمسـون ألـف دينار.

ولما أنفذ جوهر إلى مصر، وبرز يريد المسير إلى مصر، بعث المعـز خفيفًـا الصَّقْلبـى - صاحب السِّتْر - إلى شيوخ كتامة، يقول:

«يا إخواننا: قد رأينا أن ننفذ رجـالا مـن رجالنـا إلى بلـدان كتامـة، يقيمـون بينهـم، ويأخذون صدقاتهم ومراعيهم، ويحفظونها علينا فى بلادهم، فـإذا احتجنـا إليهـا أنفذنـا خلفها فاستعنا بها على ما نحن بسبيله».

فقال بعض شيوخهم لخفيف - وقد بلّغهم ذلك:

«قل لمولانا: والله لا فعلنا هذا أبدًا. كيف تـؤدى كتامـة الجزيـة، ويصـير عليهـا فـى الديوان ضريبة؟؟ وقـد أعزَّهـا اللـه قديمًـا بالإسـلام، وحديثًـا معكـم بالإيمـان، وسـيوفنا بطاعتكم فى المشرق والمغرب؟».

فعاد خفيف بذلك إلى المعز، فأمر بإحضار جماعة كتامة، فدخلوا عليـه وهـو راكـب فرسه، فقال: «ما هذا الجواب الذى صدر عنكم؟».

فقالوا: «نعم هو جواب جماعتنا، ما كنا يا مولانا بالذى يؤدى جزية تبقى علينا».

فقام المعز فى ركابه، وقال: «بارك الله فيكم، فهكـذا أريـد أن تكونـوا، وإنمـا أردت أن أجربكم، فانظروا كيف أنتم بعدى إذا سـرنا عنكـم إلى مصـر، هـل تقبلـون هـذا أو تفعلونه وتدخلون تحته ممن يرومه منكم؟ والآن سررتمونى بارك الله فيكم».

وكتب إلى جوهر - وهو بمصر - من الغرب:

«وأما ما ذكرتَ يا جوهر من أن جماعة من بنى حمدان وصلت إليك كُتبهم، يبذلـون الطاعة، ويعدون بالمسارعة فى المسير إليـك، فاسـمع لمـا أذكـره لـك: احـذر أن تبتـدئ أحدا من بنى حمدان بمكاتبـة - ترهيبـا لـه ولا ترغيبـا، ومـن كتـب إليـك منهـم فأجبـه

=العبيدى جيشا بقيادة جعفر بن فلاح فهزمَ جعفر وذبحه وزحف إلى مصر سنة ٣٦١ فحاصرهـا أشهرًا وترك عليها أحد قواده وعاد يريد الشام فمات بالرملـة. انظـر: فـوات الوفيـات ١/١١٥، والنجوم الزاهرة ٤/١٢٨، وتهذيب ابن عساكر ٧/١٤٨، والأعلام ٢/١٧٩.

Marfat.com

بالحسن الجميل، ولا تستدعه إليك، ومن ورد إليك منهم فأحسن إليه، ولا تمكّن أحدا منهم من قيادة جيش ولا ملك طَرَف، فبنو حمدان يتظاهرون بثلاثة أشياء، عليها مدار العالم، وليس لهم فيها نصيب: يتظاهرون بالدين، وليس لهم فيه نصيب، ويتظاهرون بالكرم وليس لواحد منهم كرم فى الله، ويتظاهرون بالشجاعة، وشجاعتهم للدنيا لا للآخرة؛ فاحذر كل الحذر من الاستنامة إلى أحد منهم».

ولما عزم المعز على المسير إلى مصر أجال فكره فيمن يخلفه بالمغرب، فوقع اختياره على أبى أحمد جعفر بن على الأمير، فاستدعاه، وأسرَّ إليه أنه يريد استخلافه بالمغرب، فقال: «تترك معى أحد أولادك أو أخوتك جالسا فى القصر وأنا أُدبِّر، ولا تسألنى عن شىء من الأموال إن كان ما أجبيه بإزاء ما أُنفقه؛ وإذا أردتُ أمرًا فعلتُه ولم أنتظر ورودَ الأمر فيه، لبعد ما بين مصر والمغرب، ويكون تقليد القضاء والخراج وغيره من قبل نفسى». فغضب المعز وقال: «يا جعفر: عزلتنى عن ملكى، وأردت أن تجعل لى شريكا فى أمرى، واستبددت بالأموال والأعمال دونى، قم فقد أخطأت حظك، وما أصبت رشدك»، فخرج.

واستدعى المعز يوسف بن زَيْرى الصنهاجى(١)، وقال له: «تأهب لخلافة المغرب».

فأكبر ذلك وقال: «يا مولانا: أنت وآباؤك الأئمة من ولد رسول الله - ﷺ - ما صفا لكم المغرب، فكيف يصفو لى وأنا صنهاجى بربرى؟ قتلتنى يا مولاى بلا سيف ولا رمح». ولم يزل به حتى أجاب وقال: «يا مولانا: بشريطة أن تولى القضاء والخراجَ لمن تراه وتختاره، والخبرَ لمن تثق به، وتجعلنى أنا قائما بين أيديهم، فمن استعصى عليهم أمرونى به حتى أعمل فيه ما يجب، ويكون الأمر لهم وأنا خادم بين ذلك».

فحسن هذا من المعز وشكره، فلما انصرف قال له عم أبيه أبو طالب أحمد بن المهدى عبيد الله: «يا مولانا: وتثق بهذا القول من يوسف أنه يفى بما ذكره؟».

فقال المعز: «يا عمنا: كم بين قول يوسف وقول جعفر؟ واعلم يا عم أن الأمر الذى

---

(١) بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى، أبو الفتوح، سيف الدولة، المسمى « يوسف» يرفع نسبه إلى حمير. مؤسس الإمارة الصنهاجية بتونس. كان فى بدء أمره من قواد المعز الفاطمى فلما أراد المعز الانتقال إلى مصر ولاه إفريقية ما عدا صقلية وطرابلس وسماه يوسف وكناه أبا الفتوح ولقبه سيف الدولة أو سيف العزيز بالله وأوصاه بثلاث: ألا يرفع السيف عن البربر، ولا يرفع الجباية عن أهل البادية، ولايولى أحدًا من أهل بيته. وقد دان له المغرب. وتوفى فى موضع بين سجلماسة وتلمسان يقال له «واركنفو». انظر: وفيات الأعيان ١/٩٢، وابن خلدون ٦/١٥٥، والبيان المغرب ١/٢٢٨ - ٢٣٩، والأعلام ٢/٧٤.

Marfat.com

طلبه جعفر ابتداء هو آخر ما يصير إليه أمر يوسف، فإذا تطاولت المدة سينفرد بالأمر، ولكن هذا أولى وأحسن وأجود عند ذوى العقل، وهو نهاية ما يفعله من يترك دياره».

ووجَّهتْ أمُّ الأمراء من المغرب بصبيَّةٍ ربَّتْها لتُباع فى مصر، فطلب الوكيلُ فيها ألف دينار، فجاءَت امرأةٌ شابة على حمار، فلم تزل حتى اشترتها منه بستمائة دينار، وقيل له يا مغربى: «هذه بنت الإخشيد اشترت الجارية تتمتع بها، وهى ست كافور».

فلما عاد أخبر المعز بذلك، فأمر بإحضار الشيوخ، وأمر الرجل فحدثهم بخبر الجارية، ثم قال: «يا إخواننا: انهضوا إليهم، فلن يحول بينكم وبينهم شىء، وإذا كان قد بلغ بهم الترف إلى أن صارت امرأة من بنات ملوكهم تخرج وتشترى لنفسها جارية تتمتع بها فقد ضعفت نفوس رجالهم، وذهبت الغيرة منهم، فانهضوا بنا إليهم». فقالوا: «السمع والطاعة». فقال: «خذوا فى حوائجكم، فنحن نقدم الاختيار لمسيرنا إن شاء الله».

ولما عزم المعز على الرحيل إلى مصر أتاه بُلُكين بن زَيْرى بألفى جمل من إبل زَنَاتَة، وحمل ما له بالقصور من الذخائر، وسبك الدنانير على شكل الطواحين، جعل على كل جمل قطعتين، فى وسط كل قطعة ثقبا تُجمع به القطعة إلى الأخرى، فاستعظم ذلك الجند والرعيَّة، وصاروا يقفون فى الطرق لرؤية بيت المال المحمول.

وخرج المعز من المغرب **يوم الاثنين لثمان بقينْ من شوال سنة إحدى وستين وثلاثمائة**: وخرج من المنصورية ومعه بُلُكين - واسمه يوسف - إلى سردانية[1] من بلاد إفريقية، فسلم إليه إفريقية والمغرب يوم الأربعاء لتسع بقين من ذى الحجة، وأمر سائر الناس له بالسمع والطاعة، وفوض إليه أمور البلاد، ما خلا جزيرة صقلية - فإنه ترك أمرها للحسن بن على بن أبى الحسين[2]، وطرابلس وأعمالها.

---

(١) سردانية: جزيرة على طرف من البحر الشامى، وهى كثيرة الجبال قليلة المياه، طولها مائتان وثلاثون ميلا وعرضها من المغرب إلى الشرق مائة وثمانون ميلا، وفيها ثلاث مدن: الفيصنة، وهى مدينة عامرة، ومنها مدينة قالمرة، وهى رأس المجاز إلى جزيرة قرشقة، والثالثة تسمى قشتالة. وقيل: سميت سردانية باسم ساردوس بن هرقل إذ قصدها بجمع عظيم وحاصرها وافتتحها، وهى كثيرة الزرع والضرع كثيرة الخير، وقيل: طولها مائة وثلاثون ميلاً وعرضها مائة وعشرون ميلاً وحكى أن دورها يزيد على أزيد من خمسمائة ميل، ويقابلها من المشرق مدينة رومية، وبها أربع مدن. انظر: الروض المعطار ٣١٤، ٣١٥، معجم البلدان ٢/٢٠٩.

(٢) الحسن بن على بن أبى الحسين الكلبى: أول الأمراء الكلبيين فى صقلية. تولى حكم صقلية سنة ٣٣٦هـ. وقمع الثورة التى حدثت فيها واستطاع هزيمة حملة ملك الروم وتملك ريو ولم يزل-

Marfat.com

وقال له: «إن نسيت، ما وصيناك به فلا تنس ثلاثة أشياء: إياك أن ترفع الجباية عن أهل البادية، ولا ترفع السيف عن البربر، ولا تول أحدا من أخوتك وبنى عمك، فإنهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منك؛ وافعل مع أهل الحاضرة خيرا».. وفارقه.

وكان قيصر ومظفر الصلقبيان قد بلغا رتبةً عظيمةً عند المنصور والمعز، وكان المظفر يُدل على المعز لأنه علّمه الخطّ وهو صغير، فاتفق أنه حرد يوما، فسمعه المعز يتكلم بكلمة صقلبية استراب بها، فأخذ المعز نفسه بحفظ اللغات، فابتدأ بالبربرية فأحكمها، ثم بالرومية، ثم بالسودانية، ثم استدعى الصقلبية فمرَّت به تلك الكلمة فيها، فإذا هى شتمة، فبقيت فى نفسه حتى قتلهما. وبلغه - وهو بالمغرب - أمر الحرب من بنى حسن وبنى جعفر بن أبى طالب بالحجاز، وأنه قُتل من بنى الحسن أكثر ممن قَتَلَ بنو حسن من بنى جعفر، فأنفذ مالا ورجالا سرا سعوا بين الطائفتين حتى اصطلحوا، وتحملوا الحمالات عنهما.

وكان فاضل القتلى لبنى حسن عند بنى جعفر سبعين قتيلاً، فأدَّى القومُ ذلك إليهم، وعقدوا بينهم فى المسجد الحرام صلحًا، وتحملوا دياتهم من مال المعز، وذلك فى سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة، فصار ذلك جميلا عند بنى حسن للمعز، فلما دخل جوهر مصر بادر حسنُ بن جعفر الحسنى فملك مكة ودعا للمعز، وكتب إلى جوهر بذلك، فبعث بالخبر إلى المعز، فأنفذ من المغرب إليه بتقليد الحرم وأعماله.

* * *

-فى صقلية إلى أن بلغه وفاة المنصور سنة ٣٤١هـ فرحل إلى المهدية ثم عاد إلى صقلية سنة ٣٤٥هـ. انتصر على الروم فى معركة رمطة وتوفى بعدها بشهر. انظر: ابن الأثير ٨/١٥٦، ومعجم البلدان ٤/٢٨٥، والأعلام ٢/٢٠١.

Marfat.com

ذكر بناء القاهرة

قال أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن زولاق [1] المصرى فى كتاب «إمام أخبار أمراء مصر للكندى» - رحمهما الله:

وفى جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة: صحت الأخبار بمسير عساكر المعز لدين الله من المغرب إلى مصر، عليها عبده جوهر، وكانت بمصر للمعز دعاة استدعوا خلقا فى البلد وكانوا يقولون: «إذا زال الحجر الأسود ملك مولانا المعز لدين الله الأرض كلها، وبيننا وبينكم الحجر الأسود - يعنون كافور الإخشيدى». فلما مات كافور أنفذ المعز إلى دعاته بنودا، وقال: «فرقوها على من يبايع من الجند»، وأمرهم إذا قربت العساكر ينشرونها، فلما قربت العساكر من الإسكندرية جمع الوزير أبو الفضل جعفر[2] بن الفضل بن جعفر بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات الناس وشاورهم، فاتفقوا على مراسلة جوهر، وأن يشترطوا عليه شروطا، وأنهم يسمعون له ويطيعونه، ثم اجتمعوا على محاربته، ثم انحل ذلك، وعادوا إلى المراسلة بالصلح.

وكانت رسلُ جوهر ترد سرا إلى ابن الفرات، ثم اتفقوا على خروج أبى جعفر مسلم الحسينى، وأبى إسماعيل الرسّى، ومعهما القاضى أبو طاهر، وجماعة، فبرزوا إلى الجيزة لاثنتى عشرة بقيت من رجب، ولم يتأخر عن تشييعهم قائد، ولا كاتب، ولا عالم، ولا شاهد، ولا تاجر، وساروا فلقوا جوهر بترجة[3] ووافقوه، واشترطوا عليه، فأجابهم إلى ما التمسوه، وكتب لهم:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من جوهر الكاتب - عبد أمير المؤمنين المعز

---

(١) الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن، من ولد سليمان بن زولاق، الليثى بالولاء، أبو محمد: مؤرخ مصرى، زار دمشق سنة ٣٣٠هـ. وولى المظالم فى أيام الفاطميين، بمصر، وكان يظهر التشيع لهم. من كتبه «خطط مصر» و«أخبار قضاة مصر». انظر: وفيات الوفيات ١/١٣٤، والبداية والنهاية ١١/٣٢١، وآداب اللغة ٢/٣٢٠، وابن الوردى ١/٣٥١، ولسان الميزان ٢/١٩١، والأعلام ٢/١٧٨.

(٢) جعفر بن الفضل بن جعفر، من بنى الحسن بن الفرات، أبو الفضل ابن جنزابة؛ وزير، ابن وزير. من العلماء الباحثين. من أهل بغداد. نزل بمصر واستوزره بنو الإخشيد بها مدة إمارة كافور، وبعد موت كافور قبض عليه وصودر وعذب ثم أطلق فنزح إلى الشام سنة ٣٥٨هـ وأمنه القائد جوهر فعاد إلى مصر. له كتب منها: «أسماء الرجال» و«الأنساب». توفى بمصر وحمل إلى المدينة - بوصية منه - فدفن فيها. انظر: ابن خلكان ١/١١٠، والنجوم الزاهرة ٤/٢٠٣، وتاريخ بغداد ٧/٢٣٤، وحسن المحاضرة ١/١٩٩، والأعلام ٢/١٢٦.

(٣) قرية بمصر من قرى البحيرة من أعمال الإسكندرية. انظر: معجم البلدان ٢/٢٧، ٢٨.

Marfat.com

لدين الله – صلوات الله عليه – لجماعة أهل مصر الساكنين بها، من أهلها ومن غيرهم: أنه قد ورد مَنْ سألتموه الترسل والاجتماع معى، وهم:

أبو جعفر مسلم الشريف – أطال الله بقاءه – وأبو إسماعيل الرسِّى – أيّده الله – وأبو الطيب الهاشمى – أيّده الله – وأبو جعفر أحمد بن نصر – أعزه الله – والقاضى – أعزه الله.

وذكروا عنكم أنكم التمستم كتابا يشتمل على أمانكم فى أنفسكم وأموالكم وبلادكم وجميع أحوالكم، فعرفتم ما تقدم به أمر مولانا وسيدنا أمير المؤمنين – صلوات الله عليه – وحسن نظره لكم.

فلتحمدوا الله على ما أولاكم، وتشكروه على ما حماكم، وتدأبوا فيما يلزمكم، وتسارعوا إلى طاعته العاصمة لكم، العائدة بالسلامة لكم، وبالسعادة عليكم، وهو أنه– صلوات الله عليه – لم يكن إخراجه للعساكر المنصورة، والجيوش المظفرة إلا لما فيه إعزازكم وحمايتكم والجهاد عنكم، إذا قد تخطفتكم الأيدى، واستطال عليكم المستذل وأطمعته نفسه بالاقتدار على بلدكم فى هذه السنة، والتغلب عليه وأَسْر من فيه، والاحتواء على نعمكم وأموالكم حسب ما فعله فى غيركم من أهل بلدان المشرق، وتأكد عزمه، واشتد كَلَبُه، فعاجله مولانا وسيدنا أمير المؤمنين – صلوات الله عليه – بإخراج العساكر المنصورة، وبادره بإنفاذ الجيوش المظفرة دونكم، ومجاهدته عنكم وعن كافة المسلمين ببلدان المشرق، الذين عمَّهم الخزى، وشملتهم الذلة، واكتنفتهم المصائب وتتابعت الرزايا عليهم، واتصل عندهم الخوف وكثرت استغاثتهم، وعظم ضجيجهم، وعلا صراخهم، فلم يُغثهم إلا من أرمضه أمرهم، ومضَّه حالهم، وأبكى عينه ما نالهم، وأسهرها ما حلَّ بهم، وهو مولانا وسيدنا أمير المؤمنين – صلوات الله عليه – فرجا بفضل الله، وإحسانه لديه، وما عوده وأجراه عليه، استنقاذ من أصبح منهم فى ذل مقيم، وعذاب أليم، وأن يؤمن من استولى عليه الوَهْل[1]، ويفرخ رَوْعَ من لم يزل فى خوف ووجل، وآثر إقامة الحج الذى تعطل وأهمل العباد فروضه وحقوقه لخوف المستولى عليهم، وإذ لا يأمنون على أنفسهم ولا على أموالهم، وإذا قد أوقع بهم مرة بعد أخرى، فسُفكت دماؤهم، وابتزت أموالهم، مع اعتماد ما جرت به عادته من صلاح الطرقات، وقطع عبث العابثين فيها، ليتطرق الناس آمنين، ويسيروا مطمئنين، ويتحفوا بالأطعمة والأقوات، إذ كان قد انتهى إليه – صلوات الله عليه – انقطاع طرقاتها، لخوف مادتها، إذ لا زاجر للمعتدين، ولا دافع للظالمين.

---

(١) المقصود: الفزع.

Marfat.com

ثم تجديد السكّة، وصرفها إلى العيار الذى عليه السكة الميمونة المنصورية المباركة، وقطع الغش منها، إذ كانت هذه الثلاث خصال هى التى لا يتسع لمن ينظر فى أمور المسلمين إلا إصلاحها، واستفراغ الوسع فيما يلزمه منها.

وما أوعز به مولانا وسيدنا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - إلى عبده من نشر العدل، وبسط الحق، وحسم الظلم، وقطع العدوان، ونفى الأذى، ورفع المؤن، والقيام فى الحق، وإعانة المظلوم مع الشفقة والإحسان، وجميل النظر، وكرم الصحبة، ولطف العشرة، وافتقاد الأحوال، وحياطة أهل البلد فى ليلهم ونهارهم، وحين تصرفهم فى أوان ابتغاء معاشهم، حتى لا تجرى أمورهم إلا على ما لمَّ شعثهم، وأقام أودهم، وأصلح بالهم، وجمع قلوبهم، وألّف كلمتهم، على طاعة وليّه ومولانا وسيدنا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - وما أمر به مولاه من إسقاط الرسوم الجائرة التى لا يرتضى - صلوات الله عليه - بإثباتها عليكم.

وأن أجريكم فى المواريث على كتاب الله وسنة نبيه - ﷺ - وأضع ما كان يؤخذ من تركات موتاكم لبيت المال من غير وصية من المتوفى بها، فلا استحقاق لمصيرها لبيت المال.

وأن أتقدم فى رم مساجدكم، وتزيينها بالفرش والإيقاد، وأن أعطى مؤذنيها وقَوَمَتَها ومن يؤمُّ الناسَ فيها أرزاقهم، وأدرها عليهم، ولا أقطعها عنهم، ولا أدفعها إلا من بيت المال، لا بإحالةٍ على من يقبض منهم.

وغير ما ذكره مولانا وسيدنا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - مما ضمنه كتابه هذا ما ذكره من ترسل عنكم - أيدهم الله، وصانكم أجمعين بطاعة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - من أنكم ذكرتم وجوهًا التمستم ذكرها فى كتاب أمانكم، فذكرتُها إجابة لكم، وتطمينًا لأنفسكم.

وإلا فلم يكن لذكرها معنى، ولا فى نشرها فائدة، إذ كان الإسلام سنة واحدة، وشريعة متبعة، وهى إقامتكم على مذهبكم، وأن تتركوا على ما كنتم عليه من أداء الفروض فى العلم، والاجتماع عليه فى جوامعكم ومساجدكم، وثباتكم على ما كان عليه سلف الأمة من الصحابة - رضى الله عنهم - والتابعين بعدهم، وفقهاء الأمصار الذين جرت الأحكام بمذاهبهم وفتواهم، وأن يجرى الأذان، والصلاة، وصيام شهر رمضان وفطره، وقيام لياليه، والزكاة، والحج، والجهاد على أمر الله وكتابه، وما نصَّه نبيُّه - ﷺ - فى سنته، وإجراء أهل الذمة على ما كانوا عليه.

Marfat.com

ولكم علىَّ أمانُ الله التام العام، الدائم المتصل، الشامل الكامل، المتجدد المتأكد على الأيام وكرور الأعوام، فى أنفسكم، وأموالكم، وأهليكم، ونعمكم، وضياعكم، ورباعكم، وقليلكم وكثيركم.

وعلى أنه لا يعترض عليكم معترض، ولا يتجنى عليكم متجنٍ، ولا يتعقب عليكم متعقب.

وعلى أنكم تصانون وتحفظون وتحرسون، ويُذَبَّ عنكم، ويُمنع منكم، فلا يُتعرض إلى آذاكم، ولا يسارع أحد فى الاعتداء عليكم، ولا فى الاستطالة على قويكم - فضلا عن ضعيفكم.

وعلى أن لا أزال مجتهدا فيما يعمكم صلاحُه، ويشملكم نفعُه، ويصل إليكم خيره، وتتعرفون بركته، وتغتبطون معه بطاعة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه -.

ولكم علىَّ الوفاءُ بما التزمته، وأعطيتكم إياه، عهدَ الله، وغليظ ميثاقه وذمته، وذمة أنبيائه ورسله، وذمة الأئمة موالينا أمراء المؤمنين - قدَّس الله أرواحهم - وذمة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين المعز لدين الله - صلوات الله عليه - فتصرحون بها وتعلنون بالانصراف إليها، وتخرجون إلىّ وتسلمون علىَّ، وتكونون بين يدى، إلى أن أعبر الجسر، وأنزل فى المناخ(١) المبارك، وتحافظون - من بعد - على الطاعة، وتثابرون عليها، وتسارعون إلى فروضها، ولا تخذلون وليًّا لمولانا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - وتلزمون ما أُمرتم به، وفقكم الله وأرشدكم أجمعين».

وكتب القائد جوهر الأمان بخطه فى شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين الأخيار.

وكتب بخطه فى هذا الكتاب: «قال جوهر الكاتب عبد أمير المؤمنين - صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين -: كتبتُ هذا الأمان على ما تقدم به أمرُ مولانا وسيدنا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - وعلى الوفاء بجميعه لمن أجاب من أهل البلد وغيرهم على ما شرطت فيه. والحمد لله رب العالمين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين».

وكتب جوهر بخطه فى التاريخ المذكور:

---

(١) هو المكان الذى أنيخت فيه دواب الجيش الفاطمى عند نزوله خارج الفسطاط.

Marfat.com

وأشهد جوهر على نفسه جماعة الحاضرين، وهم: أبو جعفر مسلم بن محمد بن عبيد الله الحسينى، وأبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد الرسّى الحسنى، وأبو الطيب العباس بن أحمد الهاشمى، والقاضى أبو الطاهر محمد بن أحمد، وابنه أبو يعلى محمد بن محمد، ومحمد بن مهلب بن محمد، وعمرو بن الحارث بن محمد.

وأخذ منه أبو جعفر مسلم كتابا إلى أبى الفضل جعفر بن الفرات - الوزير - وجماعة وجوه الدولة، وخاطب ابن الفرات - فى كتابه - بالوزير بعد مراجعة، وكان قد توقف فى مخاطبته بالوزير، وقال: «ما كان وزير خليفة»، وأجاز الجماعة وحملهم، ولم يقبل أبو جعفر مسلم شيئا منه، وأكلت الجماعة معه، وودعوه وانصرفوا، فوافوا لثمان خلون من شعبان.

قال ابن زولاق: «سألتُ أبا جعفر مسلمًا عند رجوعه عن مقدار العسكر، فقال: «هو مثل جمع عرفات كثرة وعدة»؛ وسألته عن سن القائد جوهر، فقال لى: «نيف وخمسون سنة».

فلما قدم الجماعة انتقض الإخشيدية والكافورية، وكان قد بلغهم ذلك وهم عند القائد جوهر، فتسرعوا فى الانصراف من عنده، وبلغ جوهر - بعد انصرافهم - انتقاض الصلح، فأدرك الجماعة، وأعلمهم بأن القوم قد نقضوا الصلح، وطلب إعادة أمانه إليه، فرفقوا به، فقال للقاضى أبى طاهر: «ما تقول يا قاضى فى هذه المسألة؟» فقال: «ما هى»؟ فقال: «ما تقول فيمن أراد العبور إلى مصر ليمضى إلى الجهاد لقتال الروم فمُنِع، أليس له قتالهم؟». فقال له القاضى: «نعم». فقال: «وحلال قتالهم؟». قال: «نعم».

ولما وافى أبو جعفر مسلم ومَنْ معه من عند جوهر جاءه الناس، وركب إليه ابن الفرات فى موكب عظيم، وعنده جماعة الوجوه، فقرأ عليهم كتاب جوهر بالأمان والشرط، وأوصل كتاب ابن الفرات وكُتُبَ الجماعة، فامتنع القوم من قبول ذلك، وقال فَرَح البجكمى للشريف مسلم: «لو جاءنا جدُّك بهذا ضربنا وجهه بالسيف».

فلامهم ابن الفرات على ذلك، وقال: «أنتم سألتم الشريف هذه المسألة، فلم يقنع حتى أخذ معه أبا إسماعيل - وهو رجل حسنى - وأخذ معه قاضى المسلمين، وأخذ معه رجلاً عباسيًا». وسكت الشريف مسلم، فلم يُزد على أن قال: «خار الله لكم».

واشتغل ابن الفرات يسارر الشريف مسلم، والإخشيدية والكافورية فى خوض الحرب، فقالوا كلهم: «ما بيننا وبين جوهر إلا السيف».

فسلموا على تحرير شُوَيْزان بالإمارة، وخرجوا يحجبونه إلى داره، وبقى أحمد بن على ابن الإخشيد لا يُفكر فيه.

Marfat.com

واستعدوا للحرب، وساروا لعشرٍ خلون من شعبان، فنزلوا الجزيرة بالرجال والسلاح، ووافى جوهر الجزيرة، فلما شاهد ما فعلوه عاد إلى منية شلقان(١)، وعبر إلى مصر من ذلك الموضع، وأرسل فاستقبل المراكب الواردة من تِنِّيس (٢) ودمياط وأسفل الأرض فأخذها، وتولى العبور إليهم جعفر بن فلاح(٣) عريانًا فى سراويل مع جمع من المغاربة، وبلغ الإخشيدية، فأنفذوا نحرير الأرغلى، ويمن الطويل، ومبشر الإخشيدى فى خلق، فساروا إلى الموضع، وكانوا قد وكلوا به مزاحم بن محمد بن رائق فلقوه راجعًا، ووقع القتال فقُتل خلق من المصريين.

وانصرف الناس عشية الأحد النصف من شعبان، فلما كان نصف الليل انصرف من كان بالجزيرة إلى دورهم، وأصبحوا غادين إلى الشام، وقد قُتل جماعة، منهم: نحرير الأرغلى، ومبشر الإخشيدى، ويُمْن الطويل، وخلق كثير.

وأصبح الناس على خطة عظيمة، فبكروا فى يوم الاثنين إلى دار الشريف مسلم يسألونه الكتابة إلى جوهر فى إعادة أمانهم، فكتب إليه، وجلس الناس عنده، وقد طاف على بن الحسين بن لؤلؤ - صاحب الشرطة السفلى - ومعه رسول جوهر، وبند عليه اسم المعز لدين الله، وبين أيديهما الأجراس بأن لا مئونة ولا كلفة، وأَمَّن الناس، وفُرقت البنود، فنشر كلٌ من عنده بندٌ بَنْدَه فى درب حارته.

---

(١) هى قرية شرقى القناطر الخيرية بمركز قليوب.

(٢) تنيس: جاء ذكرها فى الروض المعطار فى فهرس الأماكن تنس، وفى متن الكتاب تنيس، من الواضح أنه خطأ أو لم تظهر الياء أثناء الطباعة، جاء ذكرها بعد مدينة تنس، وجاء ذكرها كالتالى تنيس: من مدن مصر، وهى مدينة كبيرة أولية فيها آثار كثيرة للأول، وأهلها ذوو يسار وثروة وأكثرهم حاكية وبها تحاك ثياب الشروب التى لا يصنع مثلها فى الدنيا. وهذه البحيرة قليلة العمق يسار بالمعادى وتلتقى فيها السفينتان هذه صاعدة وهذه نازلة بريح واحدة وقلع واحدة كل منهما مملوء بالريح، سيرهما فى السرعة مستو، وكانت من أخصب بلاد الله تعالى وأكثرها ثمارًا وفاكهة، وكانت مقسومة بين ملكين أخوين كان أحدهما مؤمنًا والآخر كافرًا. انظر: الروض المعطار ١٣٧، ١٣٨، والاستبصار ٨٧، والإدريسى ١٥٦، وصبح الأعشى ٣٠٤/٣، ٣٨٣.

(٣) جعفر بن فلاح الكتامى، أبو على: أحد قواد المعز العبيدى، كان شجاعا مظفرا، سيره المعز مع القائد جوهر لافتتاح الديار المصرية، فدخلاها. وبعثه جوهر إلى الشام، فامتلك الرملة (بفلسطين) سنة ٣٥٨هـ. ثم امتلك دمشق سنة ٣٥٩هـ. وقتله بها الحسن بن أحمد القرمطى. انظر: وفيات الأعيان ١١٣/١، والنجوم الزاهرة ٥٨/٤، ومرآة الجنان ٣٧٢/٢، واللباب ٢٨/٢، والأعلام ١٢٦/٢.

Marfat.com

وجاء الجواب إلى الشريف وقت العصر، ونسخته بعد البسملة: «وصل كتاب الشريف الجليل - أطال الله بقاءه، وأدام عزه وتأييده وعلوه - وهو المهنأ بما هنأ به من الفتح الميمون؛ فوقفت على ما سأل من إعادة الأمان الأول، وقد أعدتُه على حاله. وجعلت إلى الشريف - أعزه الله - أن يؤمن كيف رأى وكيف أحب، ويزيد على ما كتبته كيف يشاء، فهو أمانى، وعن إذنى وإذن مولانا وسيدنا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه -. وقد كتبتُ إلى الوزير - أيّده الله - بالاحتياط على دور الهاربين إلى أن يرجعوا إلى الطاعة، ويدخلوا فيما دخلتْ فيه الجماعة، ويعمل الشريف - أيّده الله تعالى - على لقائى فى يوم الثلاثاء لسبع عشرة تخلو من شعبان».

فاستبشرت الجماعة وابتهجوا، وعملوا على الغدو[1] إلى الجيزة للقاء جوهر مع الشريف مسلم، وبات الناس على هدوء وطمأنينة.

فلما كان غداة يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شعبان: خرج الشريف أبو جعفر مسلم، وجعفر بن الفضل بن الفرات، وسائر الأشراف والقضاة والعلماء والشهود ووجوه التجار والرعية إلى الجيزة، فلما تكامل الناس أقبل القائد جوهر فى عساكره، فصاح بعضُ حجابه: «الأرض، إلا الشريف والوزير».

وتقدم الناس واحدًا واحدًا، فلما فرغوا من السلام عليه عاد الناس إلى الفسطاط[2].

فلما زالت الشمس أقبلت العساكر، فعبرت الجسْر، ودخلت أفواجا أفواجا، ومعهم صناديق المال على البغال - ويقال: إن المال كان فى ألف وخمسمائة صندوق - وأقبلت القباب، وأقبل جوهر فى حلة مذهبة مثقل فى فرسانه ورجالته، وقاد العسكر بأسره إلى المَنَاخ الذى رسم له المعز موضع القاهرة؛ واختط موضعَ القصر، وأقام عسكره سبعة أيام يدخل - من يوم الثلاثاء إلى آخر يوم الاثنين - واستقرت به الدار.

وجاءته الألطاف والهدايا فلم يقبل من أحد طعاما إلا من الشريف مسلم، ويقال: لما أناخ جوهر فى موضع القاهرة الآن اختطّ القصر، فأصبح المصريون ليهنئوه، فوجدوه قد حفر أساس القصر فى الليل.

ويقال: إن جوهر لما بنى القصور، وأدار عليها السور سماها: «المنصورية»، فلما قدم المعز لدين الله إلى الديار المصرية سماها «القاهرة». ويقال فى سبب تسميتها بالقاهرة: أن القائد جوهر لما أراد بناء القاهرة أحضر المنجمين، وعرَّفهم أنه يريد عمارة بلد ظاهر

---

(١) المراد: المسير.

(٢) انظر: معجم البلدان ٤/٢٦١، ٢٦٦.

Marfat.com

مصر ليقيم بها الجند، وأمرهم باختيار طالع لوضع الأساس، بحيث لا يخرج البلد عن نسلهم، فاختاروا طالعا لحفر السور، وطالعا لابتداء وضع الحجارة فى الأساس، وجعلوا بدائر السور قوائم من خشب، بين كل قائمتين حبل فيه أجراس، وقالوا للعمال: «إذا تحركت الأجراس أرموا ما بأيديكم من الطين والحجارة».

فوقفوا ينتظرون الوقت الصالح لذلك، فاتفق أن غرابا وقع على حبل من تلك الحبال المعلق بها الأجراس، فتحركت كلها، وظن العمال أن المنجمين حركوها، فألقوا ما بأيديهم من الطين والحجارة وبنوا، فصاح المنجمون: «القاهرة فى الطالع».

فمضى ذلك وفاتهم ما قصدوه.

ويقال: إن المريخ كان فى الطالع عند ابتداء وضع أساس القاهرة، وهو قاهر الفلك، فسموها القاهرة، فحكموا لذلك أن القاهرة لا تزال تحت حكم الأتراك.

وأدار السور اللَبِن حول بئر العظام، وجعلها فى القصر، وجعل القاهرة حارات للواصلين صحبته وصحبة مولاه المعز، وعمل القصر بترتيب ألقاه إليه المعز.

ويقال: إن المعز لما رأى القاهرة لم يعجبه مكانها فى البرية بغير ساحل، وقال لجوهر:

«يا جوهر فاتتك عمارتها ها هنا» - يعنى المقس[1] بشاطئ النيل.

فلما رأى سطح الجرف المعروف اليوم بالرَّصَد[2]، قال: «يا جوهر: لما فاتك الساحل كان ينبغى عمارة القاهرة بهذا الجبل على هذا السطح، وتكون قلعة لمصر».

حكاه ابن الطوير[3] قال: «وكان المعز عارفا بالأمور، مطلعا على الأحوال بالذكاء، وكان يضرب فى فنون منها النجامة، فرتب فى القصر ما يحتاج إليه الملوك بل الخلفاء، بحيث لا يراهم العيان فى النُقْلة من مكان إلى مكان، وجعل لهم فى ساحاته البحر والميدان والبستان، وتقدم بعمارة المصلى ظاهر القاهرة لأهلها، لخطبتهم فيها والصلاة فى عيدى الفطر والنحر، والآخر بالقرافة لأهل مصر».

وقال ابن عبد الظاهر[4]: «فلما تحقق المعز وفاة كافور جهز جوهر وصحبته

---

(١) المقس كانت ضيعة تعرف بأم دنين.

(٢) جبل الرصد مكان مرتفع كان موقعه جنوبى الفسطاط.

(٣) ابن الطوير مؤرخ فاطمى.

(٤) عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان الجذامى السعدى، محيى الدين، أبو الفضل ابن رشيد الدين: قاض أديب مؤرخ. من أهل مصر مولدا ووفاة. كان كاتب الإنشاء فى الديار المصرية. له كتب منها «الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة» و«الألطاف الخفية». انظر: بغية الوعاة-

العساكر، ثم نزل بموضع يعرف برقادة، وخرج فى أكثر من مائة ألف فارس، وبين يديه أكثر من ألف صندوق من المال، وكان المعز يخرج إلى جوهر فى كل يوم ويخلو به، وأمره أن يأخذ من بيوت الأموال ما يريد زيادة على ما أعطاه.

وركب إليه المعز يوما فجلس وقام جوهر بين يديه، فالتفت المعز إلى المشايخ الذين وجههم معه وقال: «والله لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر، وليدخلنَّ إلى مصر بالأردية من غير حرب، ولينزلنَّ فى خرابات ابن طولون، وتبنى مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا».

قال: «ونزل جوهر مناخه موضع القاهرة الآن فى يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، واختط القصر، وبات الناس، فلما أصبحوا حضروا للهناء فوجدوه قد حفر أساس القصر بالليل، وكانت فيه زَوْرات غير معتدلة، فلما شاهد ذلك جوهر لم يعجبه، ثم قال: «قد حُفر فى ليلة مباركة وساعة سعيدة، فتركه على حاله».

وقال ابن زولاق: «ولما أصبح أنفذ علىَّ بن الوليد القاضى لعسكره، وبين يديه أحمال مال ومنادٍ ينادى: «من أراد الصدقة فليسر إلى دار أبى جعفر»، فاجتمع خلق من المستورين والفقراء، فصاروا بهم إلى الجامع العتيق[1] ففرّق فيهم.

ولما كان يوم الجمعة لعشرٍ بقين من شعبان: «نزل جوهر فى عسكر إلى الجامع العتيق لصلاة الجمعة، وخطب بهم هبةُ الله بن أحمد - خليفة عبد السميع بن عمر العباسى - ببياضٍ، فلما بلغ إلى الدعاء قرأه من رقعة وهو:

«اللهم صَلِّ على عبدك ووليك، ثمرة النبوة، وسليل العترة الهادية المهدية، عبد الله الإمام معد أبى تميم المعز لدين الله، أمير المؤمنين، كما صليت على آبائه الطاهرين وأسلافه الأئمة الراشدين».

اللهم ارفع درجته وأعلِ كلمته، وأوضح حجته، واجمع الأمة على طاعته، والقلوب على موالاته وصحبته، واجعل الرشاد فى موافقته، وورثه مشارقَ الأرض ومغاربها، وأحمده مبادئ الأمور وعواقبها، فإنك تقول وقولك الحق: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فى الزَّبُورِ من بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبَادِىَ الصَّالِحُون**﴾.[2]

-٢٨٥، والأعلام ٤/٩٨.

(١) هو جامع عمرو بن العاص بالفسطاط.

(٢) سورة الأنبياء آية ١٠٥.

Marfat.com

فقد امتعض لدينك، ولما انتهك من حرمتك، ودرس من الجهاد فى سبيلك، وانقطع من الحج إلى بيتك وزيارة قبر رسولك ﷺ؛ فأعدَّ للجهاد عدته، وأخذ لكل خَطْب أهبته، فسير الجيوش لنصرتك، وأنفق الأموال فى طاعتك، وبذل المجهود فى رضاك، فارتدع الجاهل، وقصر المتطاول، وظهر الحقُّ وزهق الباطل، فانصر اللهم جيوشه التى سيرها، وسراياه التى انتدبها، لقتال المشركين، وجهاد الملحدين، والذب عن المسلمين، وعمارة الثغور والحرم، وإزالة الظلم والتهم والنهم، وبسط العدل فى الأمم.

«اللهم اجعل راياته عالية مشهورة، وعساكره غالبة منصورة، وأصلح به وعلى يديه، واجعل لنا منك واقية عليه».

وأمر جوهر بفتح دار الضرب، وضرب السكة الحمراء(١)، وعليها: «دعا الإمام معد بتوحيد الإله الصمد» فى سطر. وفى السطر الآخر: «المعز لدين الله أمير المؤمنين». وفى سطر آخر: «بسم الله. ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة» وفى الوجه الآخر: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. على أفضل الوصيين وزير خير المرسلين».

ورجع مزاحم بن رائق - وكان قد سار مع الإخشيدية - ومعه جيش كبير.

وأفطر جوهر يوم الفطر على عدد بغير رؤية، وصلى صلاة العيد بالقاهرة، صلى به على بن وليد الإشبيلى وخطب، ولم يصل أهل مصر، وصلوا من الغد فى الجامع العتيق، وخطب لهم رجل هاشمى. وكان أبو طاهر القاضى قد التمس الهلال على رسمه فى سطح الجامع فلم يره، وبلغ ذلك جوهر فأنكره وتهدد عليه.

وجلس جوهر للمظالم فى كل يوم سبت، ثم رد المظالم إلى أبى عيسى مرشد.

وفى شوال: صرف على بن لؤلؤ عن الشرطة السفلى، وردَّ شبل المعرضى، وولى عدة من جهات الخراج، وعلى الضياع.

وفى ذى الحجة: قدم ستة آلاف من الإخشيدية والكافورية، فأنزلوا خارج القاهرة وزيد فى الخطبة: «اللهم صلِّ على محمد النبى المصطفى، وعلى علىٍّ المرتضى، وعلى فاطمة البتول، وعلى الحسن والحسين سبطى الرسول، الذين أذهبتَ عنهم الرجس وطهَّرتهم تطهيرا، اللهم صلِّ على الأئمة الراشدين آباء أمير المؤمنين، الهادين المهديين».

---

(١) السكة الحمراء هى: الدينار الأحمر أى المصنوع من الذهب الجيد العيار الذى كان يمتاز به العصر الفاطمى.

ونودى برفع البراطيل[١]، وقائم الشرطتين، وسائر رسوم البلد.

وورد الخبر بدخول القرامطة الرملة[٢].

وورد كتاب المعز من المغرب بوصول رأس نحرير ومُبَشِّر ويُمْن وبلال.

وتولى الحسبة رجل يُعرف بأبى جعفر الخراسانى.

وفى نصف ذى الحجة: تكاملت الإخشيدية والكافورية المستأمنة بمصر، وهم أربعة عشر رئيسا، فى عسكر عدته خمسة آلاف كانوا فى معسكر لهم عند مصلى العيد بالقاهرة، فهرب منه فاتك الهيكلى إلى الشام، فلم يدركه الطلب، وبلغ جوهر أن المستأمنة من الإخشيدية والكافورية اتفقوا على فساد.

---

(١) هى الأموال التى تؤخذ من ولاة البلاد ومحتسبيها وقضاتها وعمالها.

(٢) الرَّمْلَةُ: واحدة الرَّمل: مدينة عظيمة بفلسطين وكانت قصبتها قد خربت الآن، وكانت رباطًا للمسلمين، والرملة: محلة خربت نحو شاطىء دجلة مقابل الكرخ ببغداد. والرملة أيضًا: قرية لبنى عامر من بنى عبد القيس بالبحرين. والرملة: محلة بسَرخس. ورملة بنى وَبْر: فى أرض نجد، ينسب إلى وبر ابن الأضبط بن كلاب، فأما رملة فلسطين فبينها وبين البيت المقدس ثمانية عشرة يومًا، وهى كورة من فلسطين، وكانت دار ملك داود وسليمان ورحبعم بن سليمان، ولما ولى الوليد بن عبد الملك وولّى أخاه سليمان جند فلسطين نزل لُدّ ثم نزل الرملة ومصّرها، وكان أوّل ما بنى فيها قصره ودارًا تعرف بدار الصباغين واختط المسجد وبناه، وذكر البشارى أن السبب فى عمارته لها أنّه كان له كاتب يقال له ابن بطريق سأل أهل لُدّ حارًا كان للكنيسة أن يعطوه إيّاه ويبنى فيه منزلاً له فأبوا عليه، فقال: والله لأخربنها، يعنى الكنيسة، ثمّ قال لسليمان: إن أمير المؤمنين، يعنى عبد الملك، بنى فى مسجد بيت المقدس على هذه الصخرة قبّة فعرف له ذلك وإن الوليد بنى مسجد دمشق فعرف له ذلك فلو بنيت مسجدًا ومدينة ونقلت الناس إلى المدينة، فبنى مدينة الرملة ومسجدها فكان ذلك سبب خراب لُدّ، فلمّا مات الوليد واستخلف سليمان بن عبد الملك. ولم تكن الرملة قبل سليمان بن عبد الملك، أذن للناس أن يبنوا فبنوا مدينة الرملة واحتفر لهم القناة التى تُدعى بردة واحتفر أيضًا آبارًا عذبة وصارت بعد ذلك لوَرَثَة صالح بن على لأنّها قُبضت مع أموال بنى أُمَيّة، وكان بنو أمية ينفقون على آبار الرملة وقناتها، فلمّا استخلف بنو العبّاس أنفقوا عليها أيضًا، وكان الأمر فى تلك النفقة يخرج فى كلّ سنة من خليفة بعد خليفة، فلمّا استخلف المعتصم أسجل بذلك سجلاً فانقطع الاستئمار وصارت النفقة يحتسب بها للعُمّال، وشربهم من الآبار الملحة، والمترَفون لهم بها صهاريج مقفلة، وكانت أكثر البلاد صهاريج مع كثرة الفواكه وصحة الهواء، واستنقذها صلاح الدين يوسف بن أيوب فى سنة ٥٨٣ من الأفرنج وخرّبها خوفًا من استيلاء الأفرنج عليها مرّة أخرى فى سنة ٥٨٧، وبقيت على ذلك الخراب إلى الآن.

انظر: الروض المعطار ٢٦٨، والمقدسى ١٦٤، ١٦٥، وناصر خسرو ١٩، وصبح الأعشى ٩٩/٤، ومعجم البلدان ٦٩/٣.

Marfat.com

وتوفى ابن لجعفر بن فَلاَح، فحضر جوهر الجنازة، وحضر الناس وفيهم الإخشيدية والكافورية، وانصرفوا معه، فقال لهم فى طريقه: «قد حضر كتاب مولانا ومولاكم بما تسروا به، فسيروا حتى تقفوا عليه».

فساروا معه إلى مضاربه بالقاهرة، ودخلوا معه، فقبض على ثلاثة عشر من وجوههم وهم: نحرير شويزان، وقنك الخادم الأسود، ودرى الصقلى، وحكل الإخشيدى، ولؤلؤ الطويل، ومفلح الوهبانى؛ وقيلق التركى، وفرح البجكمى؛ واعتقلهم ستة أشهر حتى سيَّرهم مع الهدية إلى المعز، ومعهم الحسن بن عبيد الله بن طغج، وقبض على ضِياع نحرير الأرغلى وأمواله، وقبض من يحيى بن مكى بن رجاء ثمانين ألف دينار عينا؛ وصارين من عود رطب.

وورد كتاب المعز إلى جوهر، وإلى أبى جعفر مسلم، وإلى أبى إسماعيل الرَّسِّى، وإلى الوزير جعفر بن الفرات.

وولىّ جوهرُ مزاحمَ بن محمد بن رائق الحوْف والفرما.(١)

ودخل جوهر والغلاء شديد، فزاد فى أيامه حتى بلغ القمح تسعة أقداح بدينار.

وكان عامل الخراج على بن يحيى بن العرمرم، فأقرَّه جوهرُ شهرًا، ثم أشرك معه رجاء بن صولان. وأقرَّ ابن الفرات على وزارته.

وأزال جوهر من مصر السواد. ومنع من قراءة «سبح اسم ربك» فى صلاة الجمعة. وأزال التكبير بعد صلاة الجمعة. ولم يَدَع عملا إلا جعل فيه مغربيا شريكا لمن فيه.

وكان القاع ثلاثة أذرع وتسعة عشر إصبعا. وبلغ الماء سبعة عشر ذراعا وتسعة

---

(١) الفَرَمَا: بالتحريك، والقصر، وهو اسم عجمى أحسبه يونانيًا. قال أبو بكر محمد بن موسى: الفَرَما مدينة على الساحل من ناحية مصر. وقال الحسن بن محمد المهلّبى: وأما الفرَما فحصن على ضفّة البحر لطيفٌ لكنه فاسدُ الهواء وَخِمُهُ لأنه من كل جهة حوله سباخٌ تتوحّل فلا تكاد تنضُب صيفًا ولا شتاء، وليس بها زرع ولا ماء يُشرب إلا ماء المطر فإنه يخزَن فى الجباب ويخزنون أيضًا ماء النيل يُحمل إليهم فى المراكب من تنّيس، وبظاهرها فى الرمل ماء يقال له العُذَيب ومياه غيره فى آبار بعيدة الرشاء وملحة تنزل عليها القوافل والعساكر، وأهلها نحافُ الأجسام متغيّرو الألوان، وهم من القبط وبعضهم من العرب من بين حَرَى وسائر حُذَام، وأكثر متاجرهم فى النوَى والشعير والعَلَف لكثرة احتياز القوافل بهم، ولهم بظاهر مدينتهم نخل كثير له رُطَبٌ فائقٌ وتمرٌ حسنٌ يجهّز إلى كل بلد.
انظر: الروض المعطار ٤٣٩، ومعجم ما استعجم ١٠٢٢/٣. واليعقوبى ٣٣٠، والخطط ٢١١/١.

Marfat.com

عشر إصبعا؛ وخلع جوهر على ابن أبى الردَّاد(١)، وحمله فأجازه.

ودخلت سنة تسع وخمسين وثلاثمائة

وفى المحرم: أنفذ بشير الإخشيدى من تِنِّيس نحو مائة وخمسين رجلا طيف بهم.

وكثر الفساد فى الطرق فضرب جوهرُ أعناقَ جماعة وصلبهم فى السكك.

ولاثنتى عشرة بقيت منه: سار جعفر بن فَلاَح بن أبى مرزوق إلى الشام، وقاتل القرامطة بالرملة وهزمهم، وأسر الحسين بن عبيد الله بن طغج وجماعة، وبعثهم فى القيود إلى جوهر وسيَّر جوهر إلى الصعيد فى البر والبحر.

وفى ربيع الأول: قبض على دواب الإخشيدية والكافورية، وصرفهم مشاة، وأمرهم بطلب المعيشة. وسيَّر الهديَّة إلى جعفر بن الفضل بن الفرات مع ابنه أحمد فى ربيع الآخر.

وفى سلخ ربيع الآخر: زاد الغلاء، ونزعت الأسعار؛ وتوفى أبو جعفر المحتسب، فرد جوهر أمر الحسبة إلى سليمان بن عزَّة؛ فضبط الساحل، وجمع القماحين فى موضع واحد، ولم يدع كف قمح يجمع إلا بحضرته؛ وضرب أحد عشر رجلا من الطحانين وطيف بهم.

وفى يوم الجمعة لثمان خلوْن من جمادى الأولى: صلى جوهر الجمعة فى جامع ابن طولون، وأذّن المؤذنون بحى على خير العمل، وهو أول ما أُذن به بمصر، وصلى به عبد السميع الجمعة فقرأ سورة الجمعة: و ﴿**إذا جاءَك المنافقون**﴾ وقنت فى الركعة الثانية، وانحطّ إلى السجود، ونسى الركوع، فصاح به على بن الوليد - قاضى عسكر جوهر: «بطلت الصلاة، أعد ظهرا أربعا».

ثم أذن بحى على خير العمل فى سائر مساجد العسكر، وأنكر جوهر على عبد السميع أنه لم يقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم» فى كل سورة، ولا قرأها فى الخطبة، فصلى به الجمعة الأخرى وفعل ذلك، وكان قد دعا لجوهر فى الجمعة الأولى فى الخطبة، فأنكر ذلك ومنعه.

وقبض جوهر الأحباس من القاضى أبى طاهر، وردها إلى غيره.

ولأربع بقين منه: أُذّن فى الجامع العتيق بحى على خير العمل، وجُهر فيه بالبسملة فى الصلاة.

ولسبع عشرة خلت من جمادى الآخرة: أنفذ جوهر هديته إلى المعز ومعها المعتقلون

---

(١) ابن أبى الرداد هو الموظف الذى كان يشرف على أمور مقياس النيل بالروضة.

Marfat.com

فى القيود، فكان فيما أهداه تسع وتسعون بختية، وإحدى وعشرون قبة عليها الديباج المنسوج بالذهب، ولها مناطق من ذهب مكللة بالجوهر، ومائة وعشرون ناقة بأجلّة الديباج، وأعنّة محلاة بالفضة، وخمسمائة جمل عرابا، وستة وخمسون جُلاً، وثمانية وأربعون دابة منها بغلة واحدة، وسبعة وأربعون فرسا بأجلّة حرير منقوش، وسروج كلها ما بين ذهب وفضة، ولجمها كذلك؛ وعودان كأطولَ ما يكون العود الذى يُتبخر به.

وكان الأسرى: الحسن بن عبيد الله بن طُغْج، وابن غزوان - صاحب القرامطة - وفاتك الهنكرى، والحسن بن جابر الرياحى - كاتب الحسن بن عبيد الله بن طُغْج، ونحرير شويزان، ومفلح الوهبانى، ودرى الخازن، وفرقيك، وقيلغ التركى الكافورى، وأبو مَحل، وحكل الإخشيدى، وفرح اليحكمى، ولؤلؤ الطويل، وقنك الطويل الخادم، فحملوا فى المراكب إلى الإسكندرية، وساروا منها إلى القيروان فى البر.

ونافق تبر الإخشيدى بأسفل الأرض، فاستعطف جوهر، فلم يجب، فسيَّر إليه العساكر، فحاربها بصهرجت[1] ونهبها، ومضى منهزما إلى الشام فى البحر، فأُخذ بصور، وأُدخل به على فيل ومعه جماعة، وبعث به جعفر بن فلاح.

وفى رمضان: حفر جوهر سوارى الجامع العتيق الخشب.

وفى ذى القعدة: رُدَّت الحسبة إلى سليمان بن عَزَّة المغربى، فجمع سماسرة الغلات فى مكان، وسدَّ الطرق إلا طريقا واحدا، فكان البيع كله هناك، ولا يخرج قدح غلة حتى يقف عليه.

ومنع جوهر من الدينار الأبيض، وكان بعشرة دراهم، فأمر أن يكون الراضى بخمسة عشر درهما، والمعزى بخمسة وعشرين درهما ونصف، فلم يفعل الناس ذلك، فردَّ الأبيض إلى ستة دراهم، فتلف وافتقر خلق.

وضُربت أعناق عدة من أصحاب تِبْر والإخشيدية، وصلبوا حتى دخل المعز من المغرب.

وأنفذ المعز عسكرا وأحمال مال - عدتها عشرون حملا - للحرمين، وعدة أحمال متاع.

وورد الخبر بفتح جعفر بن فلاح دمشق ودخولها، وكان من خبر جعفر بن فلاح:

---

(١) صَهْرَجْتُ: قريتان بمصر متلاحمتان لمنية غمر شمالى القاهرة معروفتان بكثرة زراعة السكر وتعرف بمدينة صهرجت بن زيد، وهى على شعبة النيل، بينها وبين بنها ثمانية أميال. وهى إحدى قرى

أنه لما سار من القاهرة فى عسكره كان على الرملة ودمشق الحسن بن عبيد الله بن طُغْج، فلما بلغه دخول جوهر القائد إلى مصر بعساكر المعز سار عن دمشق فى شهر رمضان، واستخلف عليه شمول الإخشيدى، وكان شمول يحقد فى نفسه منه، ويكاتب جوهر القائد، فنزل ابن طغج الرملة، وتأهب لحرب مَنْ يسير إليه من مصر، فوردت عليه الأخبار بمسير القرامطة إليه، ووافوه بالرملة، فلقيهم وحاربهم، فانهزم منهم، ثم صالحهم وصاهرهم فى ذى الحجة.

ورحل عنه القَرْمَطى بعد ما أقام بظاهر الرملة ثلاثين يوما، فبعث إلى شمول بالمسير إليه لمحاربة من تقدَّم من مصر، وأنفذ إلى الصباحى - والى بيت المقدس - بالقدوم عليه، فتقاعد عنه شمول، وقرب منه جعفر بن فلاح، وقد انتشرت كتبه إلى ولاة الأعمال يعدهم الإحسان، ويدعوهم إلى طاعة المعز، فالتقى مع ابن طغج وحاربه، فانهزم منه واحتوى على عسكره، فقتل كثيرا من أصحابه، وأخذه أسيرا فى النصف من رجب سنة تسع، فأقام بالرملة يتبع ما كان لابن طغج ولأصحابه، وسار إلى طبرية[1] فبنى قصرا عند الجسر ليحارب فاتك غلام ملهم - وكان عليها من قبل كافور الإخشيدى - فلم يعرض له مُلْهَم، وملك جعفر طبرية.

وكان بحَوْران[2] والبَثَنِيَّة بنو عقيل - من قِبَل الإخشيد - وهم: شبيب، وظالم بن

مديرية الدقهلية الحالية. انظر: معجم البلدان (صهرجت).

(١) طبرية: بلدة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية وهى فى طرف جبل، وجبل الطور مطل عليها، وهى من أعمال الأردن فى طرف الغور، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وكذلك بينها وبين بيت المقدس وبينها وبين عكا يومان. انظر: معجم البلدان ٤/١٧، ١٨.
وفى الروض المعطار طبرية: مدينة من بلاد الأردن بالشام، بينها وبين عكا يومان، وبنى هذه المدينة طيباريوس أحد ملوك الروم، وإلى اسمه أضيفت فعربتها العرب حين افتتحت البلاد فقال: طبرية، وطبرية مدينة جليلة على جبل مطل، وهى طويلة فى ذاتها قليلة العرض فى طولها نحو ميلين. وقال اليعقوبى: وهى مدينة الأردن، وهى فى أصل جبل على بحيرة جليلة عذبة يخرج منها نهر الأردن المشهور تحمل فيها الغلات إلى المدينة. انظر: الروض المعطار ٣٨٥، ونزهة المشتاق ١١٥، وابن الوردى ٢٦، واليعقوبى ٣٢٧.

(٢) حَوْرانُ: بالفتح، يجوز أن يكون من حار يحور حوْرًا، ونعوذ بالله من الحوْر بعد الكَوْر أى من النَّقْصان بعد الزيادة[1] وحَوْرانُ: كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة، ذات قرى كثيرة ومزارع وحرار، وما زالت منازلَ العرب، وذكرها فى أشعارهم كثير، وقصبتها بُصْرى.
وأهل الشام يسمون كل كورة جندًا، وقال: حوران الجنود أى بها جنود، ويقال: أنا من أبعدها جنودًا أى بلدًا وفتحت حوران قبل دمشق، وكان اجتمع المسلمون عند قدوم خالد على بُصرى ففتحوها صلحًا وانبثوا إلى أرض حوران جميعًا وجاءهم صاحب أذرعات فطلب الصلح على مثل

Marfat.com

موهوب، وملهم بن[.....][1] قد ملكوا تلك الديار، فأخذ جعفر بن فلاح يستميل إليه من العرب فزارة ومرَّة، وباطنهم على قتل ملهم، فرتبوا له رجالا قتلوه على حين غفلة، وأظهر جعفر أن ذلك من غير علمه، وقبض على من قتله وبعث بهم إلى ملهم، فعفا عنهم[2].

وسار من دمشق مشايخ أهلها إلى طبرية للقاء جعفر، فاتفق وصولهم إليها يوم قتل فاتك، وقد ثارت فتنة، فأخذوا وسلبوا ما عليهم، فلقوا جعفر بن فلاح، وعادوا إلى دمشق وهم غير شاكرين ولا راضين، فبسطوا ألسنتهم بذم المغاربة حتى استوحش أهل دمشق منهم.

وكان شمول قد خرج منها إلى جعفر، فلقيه بطبرية، وصار البلد خاليا من السلطان، فطمع الطامع، وكثر الذعار[3] وحمال السلاح به وجهز جعفر من طبرية من استمالهم من مرة وفزارة لحرب بنى عقيل بحَوْران والبَثَنِيَّة، وأردفهم بعسكر من أصحابه، فواقعوا بنى عقيل، وهزموهم إلى أرض حمص وهم خلفهم؛ ثم رجعوا إلى الغوطة[4]، وامتدت أيديهم إلى أخذ الأموال - وهم سائرون - حتى نزلوا بظاهر دمشق، فثار عليهم أهل البلد، وقاتلوهم وقتلوا منهم كثيرًا من العرب، فانهزموا عنها، وذلك لثمان خلون من ذى الحجة، فلحقوا بطلائع جعفر، فساروا معها إلى دمشق، وخرج إليهم الناس مستعدين لمحاربتهم - فى خيل ورجل - فاقتتلوا يومهم ثم انصرفوا، وأصبحوا يوم الجمعة فاقتتلوا، وصاح الناس فى الجامع بعد الصلاة: «النفير»، فخرج النفير، واشتد

ما صولح عليه أهل بُصرى. انظر: معجم البلدان ٢/٣١٧، ٣١٨.

وفى الروض المعطار حوران: جبل بالشام، وحوران أيضًا من أعمال دمشق، ومدينتها بصرى، تسير فى صحراء حوران عشرة فراسخ فى منازل ومزارع حتى تصل إلى مدينة بصرى، وهى مدينة حوران، وفى شرقى هذه المدينة بحيرة فيها تجتمع مياه دمشق وتسير منها فى صحراء ورمال مقدار خمسة عشر فرسخًا فتدخل دمشق. انظر: الروض المعطار ٢٠٦.

(١) بياض فى الأصل.

(٢) العبارة فى الأصل هكذا، ويبدوا أن بها اضطراب، أو سقط، إذ أنه لا يتفق قتل ملهم، مع عفوه بعد ذلك عن قتلته.

(٣) الذعار: هو اللص المحتال والعيار الحرفوش.

(٤) الغوطة: قيل هى قصبة دمشق، وقيل: هى موضع متصل بدمشق من جهة الفراديس، جبال ومزارع. وطول الغوطة مرحلتان فى عرض مرحلة، وبها ضياع كالمدن وجامع قريب الشبه بجامع دمشق. ويخرج ماء الغوطة من عين تنحط من أعلى الجبل كالنهر العظيم لها صوت هائل ودوى عظيم يسمع على بعد. انظر: الروض المعطار ٤٣١، ومعجم ما استعجم ٣/١٠٠٨، ومعجم البلدان ٤/٢١٩.

Marfat.com

القتال إلى آخر النهار.

ونزل جعفر يوم السبت لعشر خلوْن منه بالشماسيَّة، وأصبح الناس للقتال، ولم يصلوا ذلك اليوم فى المصلى صلاة العيد، فاستمروا طول النهار ومعهم الجند الذين كانوا مع شمول، فكلوا، وحملت معهم المغاربة فانهزموا، وتمكن السيف منهم وهم منهزمون إلى أرض عاتكة(١) وقصر حجاج، فقتل خلق كثير؛ وكان رئيس أهل الشام فى هذه الحروب أبو القاسم بن أبى يعلى العباسى، ومحمد بن عصودا وصدقة الشوا.

فلما ملك المغاربة ظاهر البلد طرحوا النار فيما هنالك من الأسواق وغيرها، وساروا إلى باب الجابية، وأصبحوا وقد ضبط الرعية أبواب البلد، فاستمرت الحرب طول النهار مما يلى المصلى، ثم كفوا عن القتال وباتوا؛ فلما أصبح النهار خرج قوم من مشايخ البلد لمخاطبة جعفر -وهو بالشماسية - فى إصلاح أمر البلد، فأخذهم قوم من المغاربة، وسلبوهم ثيابهم، وقتلوا منهم وجرحوا عدة، وعلم بذلك أهل البلد، فصاحوا من أعلى المآذن بالناس يعلمونهم الخبر، ثم قدم المأخوذون فارتاع الناس واشتد خوفهم وتحيروا، ثم جرت بينهم - بعد ذلك - وبين جعفر مراسلة، فخرجوا إليه، فاشتد عليهم وخوفهم بالنار والسيف، فعادوا وقد ملئوا رعبًا، فبلغوا قوله للناس وقد تحيروا، فاقتضى رأيهم معاودة جعفر فى طلب العفو، فرجع المشايخ إليه، وما زالوا يتضرعون إليه حتى قال:

«ما أعفو عنكم حتى تخرجوا إلىّ ومعكم نساؤكم مكشوفات الشعور فيتمرغن فى التراب بين يدى لطلب العفو».

فقالوا له: «نفعل ما يقول القائد».

وما برحوا يذلون له حتى انبسط معهم فى الكلام، وتقرر الأمر على أنه يدخل يوم

---

(١) أَرْضُ عَاتِكَةَ: خارج باب الجابية من دمشق، منسوبة إلى عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان بن حَرْب أمّ البنين. وهى زوجة عبد الملك بن مروان، وأمّ يزيد بن عبد الملك، وكان لعاتكة بهذه الأرض قصْرٌ. وبها مات عبد الملك بن مروان. قال ابن حبيب: كانت عاتكة بنت يزيد بن معاوية تَضَعُ خِمَارها بين يَدَى اثنى عشر خليفة، كلّهم لها مَحْرَمٌ، أبوها يزيد بن معاوية، وأخوها معاوية بن يزيد، وجدّها معاوية بن أبى سفيان، وزوجها عبد الملك بن مروان، وأبو زوجها مروان بن الحكم، وابنها يزيد بن عبد الملك، وبنو زوجها الوليد وسليمان وهشام، وابن ابنها الوليد بن يزيد، وابن ابن زوجها يزيد بن الوليد بن عبد الملك، وإبراهيم بن الوليد المخلوع، وهو ابن ابن زوجها أيضًا، وعاشت إلى أن أدركَتْ مقتل ابن ابنها الوليد بن يزيد. انظر: معجم البلدان (أرض عاتكة).

الجمعة إلى الصلاة فى الجامع.

فلما كان يوم الجمعة: ركب فى عسكره، ودخل البلد فصلى بالجامع وخرج، فوضع أصحابه أيديهم ينهبون الناس، فثاروا عليهم، وقتلوا منهم كثيرا؛ وخرج إليه المشايخ فأنكر عليهم، وقال لهم: «دخل رجال أمير المؤمنين للصلاة فقتلتموهم» وهددهم، فلطفوا معه القول وداروه، فأوماً إلى مال يأخذه من البلد ديَةَ مَنْ قُتل من رجال أمير المؤمنين، فأجابوه، وكان فى الجماعة أبو القاسم أحمد المعروف بالعقيقى العلوى وهو أحمد بن الحسن الأشل بن أحمد بن على - الرئيس بالمدينة كان - ابن محمد العقيقى بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب - عليهم السلام - فانصرفوا من عنده، وفرضوا له المال، فعمَّ الناسَ البلاءُ فى جبايته.

ونزل بظاهر سور دمشق فوق نهر يزيد أصحاب جعفر فبنوا المساكن، وأقاموا بها الأسواق، وصارت شبه المدينة، واتخذ لنفسه قصرا عجيبا من الحجارة، وجعله عظيما شاهقا فى الهواء غريب البناء، وتطلب حمال السلاح فظفر بقوم منهم، وضرب أعناقهم، وصلب جثثهم، وعلّق رءوسهم على الأبواب، وفيها رأس إسحاق بن عصودا.

وكان ابن أبى يَعْلَى لما انهزم خرج إلى الغوطة يريد بغداد، فقبض عليه ابن عليان العدوى عند تَدْمُر(١)، وجاء به جعفر بن فلاح، فشهره على جمل، وفوق رأسه

---

(١) تدْمُرُ: بالفتح ثم السكون، وضم الميم: مدينة قديمة مشهورة فى برّية الشام، بينها وبين حلب خمسة أيام. قيل: سميت بتَدْمُر بنت حسان أذينة بن السّميدَع بن مزيد بن عمليق ابن لاوذ بن سام بن نوح، عليه السلام، وهى من عجائب الأبنية، موضوعة على العَمَد الرخام، زعم قوم أنها مما بَنته الجنّ لسليمان عليه السلام. وأهل تدمر يزعمون أن ذلك البناءَ قبل سليمان بن داود، عليه السلام، بأكثر مما بيننا وبين سليمان، ولكن الناس إذا رأوا بناءًا عجيبًا جهلوا بانيه أضافوه إلى سليمان وإلى الجن.

وعن إسماعيل بن محمد بن خالد بن عبد الله القَسْرى قال: كنت مع مروان بن محمد آخر ملوك بنى أمية حين هدم حائط تدمر، وكانوا خالفوا عليه فقتلهم وفرّق الخيل عليهم تدوُسهم وهم قتلى، فطارت لحومهم وعظامهم فى سنابك الخيل، وهدم حائط المدينة، فأفضى به الهدم إلى جرف عظيم، فكشفوا عنه صخرة فإذا بيت مجصص كأن اليد رُفعت عنه تلك الساعة، وإذا فيه سرير عليه امرأة مستلقية على ظهرها وعليها سبعون حلّة، وإذا لها سبع غدائر مشدودة بخلخالها، قال: فذرعت قدمها فإذا ذراع من غير الأصابع، وإذا فى بعض غدائرها صحيفة ذهب فيها مكتوب: باسمك اللهم! أنا تدَمر بنت حسان، أدخل الله الذلّ على من يدخل بيتى هذا. فأمر مروان بالجرف فأُعيد كما كان ولم يأخذ مما كان عليها من الحلى شيئًا، قال: فوالله ما-

Marfat.com

قلنسوة(١) وفى لحيته ريش وبيده قصبة، ثم بعث به إلى مصر.

وأما محمد بن عصودا فإنه لحق بالقرامطة فى الأحساء(٢) - هو وظالم بن موهوب العقيلى - لما انهزم بنو عقيل عن حوران والبَثَنِيَّة، فحثوهم على المسير إلى دمشق.

فلما كان فى ربيع الأول سنة ستين: أنفذ جعفر غلامه فتوح على عسكر إلى أنطاكية(٣) وكان لها فى أيدى الروم نحو من ثلاث سنين، وسيَّر إلى أعمال دمشق

-مكثنا على ذلك إلا أيامًا حتى أقبل عبد الله بن على فقتل مروان وفرّق جيشه واستباحه وأزال الملك عنه وعن أهل بيته.

وفتحت تَدمُرُ صلحًا، وذاك أن خالد بن الوليد، رضى الله عنه، مرّ بهم فى طريقه من العراق إلى الشام فتحصنوا منه، فأحاط بهم من كلّ وجه، فلم يقدر عليهم، فلما أعجزه ذلك وأعجله الرحيل قال: يا أهل تدمر والله لو كنتم فى السحاب لاستنزلناكم ولأظهرنا الله عليكم، ولئن أنتم لم تصالحوا لأرجعنّ إليكم إذا انصرفت من وجهى هذا ثم لأدخلنّ مدينتكم حتى أقتل مقاتليكم وأسبى ذراريكم. فلما ارتحل عنهم بعثوا إليه وصالحوه على ما أدّوه له ورضى به. انظر: معجم البلدان ٢/١٧، ١٨، وفى الروض المعطار تدمر: من كور الأندلس سميت باسم ملكها تدمير. انظر: الروض المعطار ١٣١، ١٣٢.

(١) القلنسوة ما يلف على الرأس تكويرا مثل العمامة.

(٢) الأَحْسَاءُ: بالفتح والمدّ، جمع حِسْى، بكسر الحاء، وسكون السين: وهو الماءُ الذى تَنْشُفه الأرضُ من الرمل، فإذا صارَ إلى صلابة أمسكتْه، فتحْفر العربُ عنه الرملَ فَتستخرجه.

والأحساءُ: مدينة بالبحرين، معروفة مشهورة، كان أول من عمرها وحصنها وجعلها قصبة هَجَرَ أبو طاهر سليمان بن أبى سعيد الجنّانى القرمطى، وهى إلى الآن، مدينة مشهورة عامرة. وأحساءُ بنى وهْبٍ، على خمسة أميال من المُرتَمَى، بين القَرْعاءِ وواقصة، على طريق الحاجّ، فيه بركة وتسع آبار كبار وصغار. والأحساءُ ماءٌ لغِنىّ. انظر: الروض المعطار ١٤، ونزهة المشتاق ١٢١، ومعجم البلدان ١/١١١، ١١٢.

(٣) أنْطاكِيَة: بالفتح ثم السكون، والياء مخففة. وكانت العرب إذا أعجبها شىء نسبته إلى أنطاكية. قال الهيثم بن عدى: أول من بَنى أنطاكية انطيخس وهو الملك الثالث بعد الإسكندر. وذكر يحيى بن جرير المتطبب التكريتى: أن أول من بَنى أنطاكية انطيغونيا فى السنة السادسة من موت الإسكندر ولم يُتمها فأتمها بعده سَلُوقُوس، وهو الذى بَنى اللاذقية وحلب والرّها وأفامية. وقال فى موضع آخر من كتابه: بنى الملك أنطيغونيا على نهر أُورَنْطَس مدينة وسماها أنطيوخيا وهى التى كَمّلَ سلوقوس بناءها وزخرفها وسماها على اسم ولده انطيُوخُوس وهى أنطاكية. وقيل: إن أول من بناها وسكنها أنطاكية بنت الروم بن اليقين (اليفز) بن سام بن نوح، عليه السلام، أخت أنطالية، باللام، ولم تزل أنطاكية قصبة العواصم من الثغور الشامية، وهى من أعيان البلاد وأمهاتها، موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير. انظر: الروض المعطار ٣٨، ٣٩، ونزهة المشتاق ١٩٥، والمروج ٢/٢٨٢، والبكرى ٥٨، وصبح-

Marfat.com

وطبرية وفلسطين فجمع منها الرجال، وبعث عسكرا بعد عسكر إلى أنطاكية، وكان الوقت شتاء، فنازلوها حتى انصرم الشتاء، وسارت القوافل وهم ملحون فى القتال، فأردفهم جعفر بعساكر فى نحو أربعة آلاف مددا لهم، فظفروا بنحو مائتى بغل تحمل علوفة لأهل أنطاكية فأخذوها وقد أشرفوا على إسكندرونة(١) وعليها عساكر الروم فواقعوهم، فانهزم العسكر، وقتلوا منهم كثيرا.

وورد على ابن فلاح خبر هزيمة عسكره، وخبر مسير القرامطة إلى الشام، وأنهم وردوا الكوفة، فأمدهم صاحب بغداد بالسلاح، وكتب لهم بأربعمائة ألف درهم على أبى تغلب بن حمدان، تقوية لهم على حرب المغاربة، فبعث إلى غلامه فتوح برحيله عن أنطاكية ومسيره إليه، فوافاه ذلك أول رمضان، فسار بمن معه، وتركوا كثيرا من العلف والطعام، وأتوه إلى دمشق، فسار كل قوم منهم إلى أماكنهم.

وقدم القرمطى إلى الرحبة(٢)، فأمده أبو تغلب بالمال، وبمن كان عنده من الإخشيدية الذين كانوا بمصر وفلسطين، ساروا إليه لما انهزموا من المغاربة، وسار بهم القرمطى حتى قرب دمشق، فخرج إليهم جعفر بن فلاح - وقد استهان بهم - وواقعهم، فانهزم منهم، وأخذ السيف أصحابه، وقُتل - فلم يدر قاتله - لست خلون من ذى القعدة سنة ستين، ووجد مطروحا على الطريق خارج دمشق، فجاءه محمد بن عصودا فقطع رأسه، وصلبه على حائط داره؛ أراد بذلك أخذ ثأر أخيه إسحاق لما قتله جعفر وصلبه. وملك

=الأعشى ١٢٩:٤. ومعجم البلدان (أنطاكية).

(١) إسكندرونة: هى مدينة فى شرقى أنطاكية على ساحل بحر الشام، بينها وبين بغراس أربعة فراسخ، وبينها وبين أنطاكية ثمانية فراسخ. انظر: معجم البلدان ١٨٢/١.
وفى الروض المعطار: إسكندرونة: مدينة أو حصن بينه وبين أنطاكية خمسة وأربعون ميلاً، وهو حصن على ساحل البحر فيه نخيل وزروع كثيرة وغلات، وبينها وبين المصيصة أربعون ميلاً.
انظر: الروض المعطار ٥٦، ونزهة المشتاق ١٩٥.

(٢) رُحبَةُ: بضم أوّله، وسكون ثانيه، وباء موحدة: ماء لبنى فَرير بأحاً. والرَحبة أيضًا: قرية بحذاء القادسية على مرحلة من الكوفة على يسار الحُجّاج إذا أرادوا مكّة، وقد خربت الآن بكثرة طروق العرب لأنّها فى ضفّة البرّ ليس بعدها عمارة، والرّحب، بالضم، فى اللغة: السعة، والرّحب، بالفتح: الواسع، ورُحبة: قرية قريبة من صنعاء اليمن على ستة أيّام منها، وهى أودية تنبت الطلحَ وفيها بساتين وقُرًى، لها ذكر فى حديث العنسى. والرّحبة: ناحية بين المدينة والشام قريبة من وادى القُرَى، عن نضر، وقال لى الصاحب الأكرم، أحسن الله رعايته: فى طرف اللّجاة من أعمال صَلْخد قرية يقال لها الرّحبة. انظر: معجم البلدان ٣٣/٣.
وفى الروض المعطار: رحبة مالك ابن طوق: هى مدينة فى شرقى الفرات حصينة عامرة عليها سور تراب ولها أسواق وعمارات وكثير من التمر، ومنها مع الفرات إلى الخابور مرحلتان.
انظر: الروض المعطار ٢٦٨.

القرامطة دمشق، وأمنوا أهلها، ثم ساروا إلى الرملة فملكوها، واجتمع إليهم كثير من الإخشيدية.

وفيها اصطلح قرعويه - مولى سيف الدولة بن حمدان - متولى حلب، وأبو المعالى شريف بن سيف الدولة، فخطب له قرعويه بحلب، وخطبا الاثنان فى معاملتيهما للإمام المعز بحلب وحمص.

ودخلت سنة ستين وثلاثمائة

ففى المحرم: اشتدت الأمراض والوباء بالقاهرة، وورد جماعة من الوافدين إلى المغرب بجوائز وخلع.

وفى صفر: ضرب تِبْر بالسياط، وقبضت ودائعه.

وفى ربيع الآخر: جرح تبر - القائد أبو الحسن - نفسه، ومات بعد أيام، فسلخ بعد موته وصلب حتى مزقته الرياح عند المنظر.

وفى جمادى الأولى: منع جوهر من بيع الشواء مسموطا، وأن يسلخ من جلده.

وفى جمادى الآخرة: نقل جوهر مجلس المظالم إلى يوم الأحد، وأطلق لأصحاب الراتب ألف دينار فُرقت فيهم، وورد شمول من الشام مستأمنا، فخلع عليه سبع خلع، وحمل على فرسين، وأعطى اثنا عشر كيسا عينا وورقا؛ وقدم سعادة بن حيان من المغرب فى جيش كبير، فتلقاه جوهر فترجل له سعادة.

وفى شعبان: وردت الرسل من المغرب برأس محمد بن خزر، ومعه ثلاثة آلاف رأس، فقرأ عبد السميع يوم الجمعة كتاب المعز بخبر المذكور، وكان محمد بن الخير بن محمد بن خزر الزناتى أكبر ملوك المغرب سلطانا على زناتة وغيرهم، قد هجم عليه أبو الفتوح يوسف بن زيرى بن منادٍ وهو فى قليل من أصحابه يشرب، فلما أحيط به قتل نفسه بسيفه فى سابع عشر ربيع الآخر سنة ستين وثلاثمائة، فقدم رأسه على المعز لثلاث بقين منه.

وفى شوال: أنفذ جوهر سعادة بن حيان إلى الرملة واليا عليها، وقد كثر الإرجاف بالقرامطة، وأن جعفر بن فلاح قتل منهم، وملكوا دمشق، فتأهب جوهر لقتالهم، وعمل الخندق، ونصب عليه البابين الحديد اللذين كانا على ميدان الإخشيدى، وبنى القنطرة على الخليج، وفرق السلاح على المغاربة والمصريين، ووكل بابن الفرات خادما يبيت معه فى داره، ويركب معه حيث سار، ووثب أهل تِنِّيس على واليهم وقتلوا جماعة منهم الإمام فى القبلة ووجدت رقاع فى الجامع العتيق فيها التحذير من جوهر، فجمع الناس ووبخهم فاعتذروا.

Marfat.com

وفى ذى الحجة: كبست القرامطة مدينة القُلْزُم(١)، وأخذوا واليها عبد العزيز بن يوسف، وما كان له من خيل وإبل.

وكان القاع خمسة أذرع، وبلغ ماء النيل سبعة عشر ذراعا وأربعة أصابع، وخلع جوهر على ابن أبى الرداد، وأجازه وحمله.

وفيها: مات أبو سعيد يانس أحد قواد الإخشيدية فى المحرم.

وقتل تبرُ القائدُ أبو الحسن نفسَه بسكين الدواة فى شهر ربيع الآخر، فسلخه القائد جوهر، وصلبه عند المنظر حتى مزقته الرياح.

ودخلت سنة إحدى وستين وثلاثمائة

وفى المحرم: دُخل برعوس من بنى هلال.

وفيه كُبست الفرما، وعصى أهل تنيس، وغيروا الدعوة وسودوا، فحاربهم العسكر، ودخل بعض المنهزمين من القرامطة، وتبعهم القرامطة إلى عين شمس(٢)،

---

(١) القُلْزُمُ: بالضم ثم السكون ثم زاى مضمومة، وميم، القلزمة: ابتلاع الشىء، يقال: تقلزمه إذا ابتلعه، وسمى بحر القلزم قُلْزُمًا لالتهامه مَنْ ركبه: وهو المكان الذى غرق فيه فرعون وآله. انظر: الروض المعطار ٤٦٦، ٤٦٧، وخطط المقريزى ١/٢١٣، وابن حوقل ٥٣، وابن الوردى ٢٤.

(٢) عَينُ شَمس: بلفظ الشمس التى فى السماء: اسم مدينة فرعون موسى بمصر، بينها وبين الفسطاط ثلاثة فراسخ، بينه وبين بلبيس من ناحية الشام قرب المطرية وليست على شاطئ النيل، وكانت مدينة كبيرة، وهى قصبة كورة اتريب، وهى الآن خراب وبها آثار قديمة وأعمدة تسميّها العامة مَسالّ فرعون، سود طوالٌ جدًا تبين من بُعد تخيل بلا رءوس. وبالصعيد مقابل طِهنةَ بلد يقال له عين شمس غير التى عند المطرية.

وعين شمس أيضًا: ماء بين العُذَيب والقادسية، له ذكر فى أيام الفتوح. وفى الروض المعطار: عين شمس: مدينة فرعون مما يلى جبل المقطم من البلاد المصرية، وهى مدينة خربة فيها صنمان من حجارة: أحدهما مما يلى المشرق والآخر مما يلى المغرب، طول كل صنم منهما ست أذرع، فإذا نظر الناظر إليهما خيّل إليه أن الشرقى منهما يضحك والغربى يبكى، وبين عين شمس ومصر أربعة فراسخ، وفيها آثار كثيرة وبنيان عجيب من أساطين رخام وتماثيل ونقوش، وفيها بركة عظيمة قد نقرت فى حجر صلد، وحواليها كراس من رخام، فكان يجلس فرعون عليها ويملؤها بالخمر، وحواليها أنهار العسل وأنواع المشروبات، وبالقرب منها صورة من رخام يخيل للناظر أنها تتكلم، ذكر أنها ماشطة فرعون، وهذه المدينة كانت طاعة لوالد زليخا زوجة العزيز. وبعين شمس مما يلى الفسطاط ينبت البلسان وهو النبات الذى يستخرج منه دهن البلسان ولا يعرف بمكان من الأرض إلا هناك. انظر: الروض المعطار ٤٢٢، والاستبصار ٨٤، واليعقوبى ٣٣٧، والخطط ١/٢٢٨، وابن الوردى ٢٢، والإدريسى ١٤٥.

Marfat.com

فاستعد جوهر لقتالهم، وغلق أبواب الطابية، وضبط الداخل والخارج، وقبض على أربعة من الجند المصريين، وضرب أعناقهم وصلبهم، وبعث فأخرج ابن الفرات من داره وأسكنه بالقاهرة.

وفى مستهل ربيع الأول: التحم القتال مع القرامطة على باب القاهرة.

وكان يوم الجمعة: فقُتل من الفريقين جماعة، وأسر عدة، وأصبحوا يوم السبت متكافئين، وغدوا يوم الأحد للقتال، فسار الحسن بن أحمد بهرام الذى يقال له الأعْسَم - زعيم عسكر القرامطة - بجميع عسكره على الخندق، والباب مغلق، فلما زالت الشمس فتح جوهر الباب، واقتتلوا قتالا شديدا قُتل فيه خلق كثير، وانهزم الأعْسَم ونهب سواده بالجب، وأخذت صناديقه وكتبه، وهو فى الليل على طريق القُلْزُم، فنهبتْ بنو عَقِيل وبنو طيِّئ كثيرًا من سواده، ونادى جوهر فى المدينة: «من جاء بالقَرْمَطى أو برأسه فله ثلاثمائة ألف درهم، وخمسون خِلْعَة، وخمسون سرجا بحلى على دوابها».

فلما كان الغد من وقعة القَرْمَطى ورد أبو محمد الحسن بن عَمَّار[1] من المغرب؛ وسار عسكرٌ لقتال أهل تِنِّيس، وقبض على تسعمائة من جند مصر فى ساعة واحدة وقيدوا، وردَّ جوهرُ تدبير الأموال إلى جعفر بن الفرات، وخرج سعادة بن حيان[2] فى عسكر إلى الرَّمْلَة بسبب القرامطة فدخلها، ثم قدم عليه الأعسم القَرْمَطى، فعاد سعادة بمن معه إلى مصر.

وفى شهر رمضان: قبض على عجوز عمياء تُنْشِد فى الطريق وحُبست، ففرح جماعة من الرعية، ونادوا بذكر الصحابة، وصاحوا: «معاوية خال المؤمنين، وخال على».

فبعث جوهر ونادى فى الجامع العتيق: «أيها الناس: أقلوا القول، ودعوا الفضول، فإننا حبسنا العجوز صيانةً لها، فلا ينطقن أحد إلا حلت عليه العقوبة الموجعة». ثم أطلقت العجوز.

وخرج عبد العزيز بن إبراهيم الكلابى بالصعيد، وسودَّ، ودعا لبنى العباس، فبعث إليه جوهر فى البحر أربعين مركبا عليها بشارة النوبى، وأنفذ بأزرق فى البر على

---

(١) الحسن بن عمار بن على الكلبى، أبو محمد: من وزراء الحاكم بأمر الله الفاطمى بمصر. ولى له الأمور سنة ٣٨٦هـ. واعتزل العمل سنة ٣٨٧هـ. ثم قتل غيلة فى القاهرة، وكان من عقلاء الوزراء. انظر: الإشارة إلى من نال الوزارة ٢٦، وخطط مبارك ٢/٩٣، والأعلام ٢/٢٠٨.

(٢) سعادة بن حيان، غلام المعز الفاطمى، قائد. مغربى الأصل والمولد. ارتفع شأنه بمصر فى أيام المعز، ينسب إليه «باب سعادة» من أبواب القاهرة. توفى بها. انظر: خطط مبارك ٢/٤٥، والأعلام ٣/٨٢.

Marfat.com

عسكر، فأخذ وأدخل به فى قفص مغلولا، وطيف به وبمن معه.

ووافى الأسطول من المغرب، وسار إلى الشام فأسر وغنم.

وأمر جوهر برفع الدنانير البيض.

وفى آخر ذى الحجة: نهبت المغاربة مواضع بمصر، فثارت الرعية، فاقتتلوا قتالا شديدا، وركب إليهم سعادة بن حيَّان، وغرم جوهر للناس ما نهب لهم، وقبل قولهم فى ذلك.

ودخلت سنة اثنتين وستين وثلاثمائة

ففى المحرم: قدَّر جوهر قيمة الدنانير، فجعل الأبيض بثمانية دراهم.

ولخمس بقين منه: توفى سعادة بن حيان، فحضر جوهر جنازته، وصلى عليه الشريف مسلم.

وفى ربيع الأول: عزل سليمان بن عَزَّة المحتسب جماعة من الصيارفة، فشغب طائفة منهم، وصاحوا: «معاوية خال على بن أبى طالب».

فهمَّ جوهرُ بإحراق رَحْبَة الصيارفة، لولا خوفه على الجامع.

وفيه أمر ألا يظهر يهودىٌّ إلا بالغيار(١).

ودخل الحسن بن عَمَّار ببضع وتسعين أسيرا، وشُهِّروا.

ودخل عبد الله بن طاهر الحسينى على جوهر بطَيْلَسان(٢) كُحْلِى - وفى مجلسه القضاةُ والعلماء والشهودُ - فأنكر الطَيْلَسانَ الكحلىَّ، ومدَّ يده فشقَّه، فغضب ابنُ طاهر وتكلم، فأمر جوهر بتمزيقه فمُزِّق، وجوهر يضحك، وبقى حاسرا بغير رداء، فقام جوهر وأخرج له عمامة، ورداءً أخضر، وألبسه وعمَّمه بيده.

وفى يوم الثلاثاء رابع المحرم المذكور: زلزلت دمشق وأعمالها زلزلة عظيمة وقتا من الزمان، ثم هدأ، وانهدم بها من أنطاكية عدة أبرجة.

وفى شهر ربيع الآخر: تواترت الأخبارُ بمسير المعز إلى مصر، وورد كتابُه من قَابِس(٣) فتأهب جوهر لذلك، وأخذ فى عمارة القصر والزيادة فيه.

---

(١) الغيار: الملابس التى كان يتميز بها أهل الذمة عن المسلمين فى العصور الوسطى.

(٢) الطيلسان هو الثوب يحيط بالبدن خال من التفصيل أوالخياطة.

(٣) قَابِسُ: إن كان عربيًّا فهو من أقْبَسْتُ فلانًا علمًا ونارًا أو قَبسته فهو قابِسٌ، بكسر الباء الموحدة: مدينة بين طرابلس وسفاقس ثم المهدية على ساحل البحر فيها نخل وبساتين غربى طرابلس=

وفى النصف من جمادى الأولى: مات عبد العزيز بن هيج فسُلخ وصُلب.

وفى أول رجب: كَدَّ جوهرُ الناسَ للقاء المعز، فتأهبوا لذلك، وخرج أبو طاهر القاضى، وسائر الشهود والفقهاء ووجوه التجار إلى الجيزة مبرزين للقاء المعز، فأقاموا بها أربعين يومًا حتى ورد الكتاب بوصول المعز إلى برقة، فسار القاضى ومَنْ معه.

وسار الحسن بن عمار إلى الحوف فى عشرة آلاف فواقعوا القرامطة هناك.

ولخمس بقين من شعبان: ورد الخبر بوصول المعز إلى الإسكندرية، ولقيه أبو طاهر القاضى ومَنْ معه، فخاطبهم بخطاب طويل، وأخبرهم أنه لم يسر لازدياد فى ملك ولا رجال، ولا سار إلا رغبة فى الجهاد ونصرة للمسلمين، وخلع على القاضى وأجازه وحمله.

ولقيه أبو جعفر مسلم فى جماعة الأشراف، ومعهم وجوه البلد بنواحى محلة حفص، وترجلوا له كلُهم - وكان سائرًا فوقف - وتقدَّم إليه أولا أبو جعفر مسلم، ثم الناس على طبقاتهم، وقبَّلوا له الأرض وهو واقف، حتى فرغ الناس من السلام عليه، ثم سار وسايره أبو جعفر مسلم - وهو يحادثه - وسأل عن الأشراف، فتقدم إليه أكابرهم: أبو الحسن محمد بن أحمد الأدرع، وأبو إسماعيل الرسى، وعيسى أخو مسلم، وعبد الله بن يحيى بن طاهر بن السويح.

ثم عزم على الشريف مسلم، وأمره بركوب قبة لأن الحر كان شديدا وكان الصوم، فقُدمت إليه قبة محلاة على ناقة، وعَادَلَهُ غلامٌ له، ونزل المعز إلى الجيزة، فكانت مدة القائد أبى الحسن جوهر أربع سنين وتسعة عشر يوما.

* * *

=الغرب، بينها وبين طرابلس ثمانية منازل.

وساحل مدينة قابس مَرْفأ للسّفن من كل مكان، وحوالى قابس قبائل من البربر: لواتة ولماتة ونَفوسة وزواوة وقبائل شَتّى أهل أخصاص، وكانت ولايتها منذ دخل عبيد الله إفريقية تتردد فى بنى لقمان الكنانى.

وبين مدينة قابس والبحر ثلاثة أميال. ويذكر أهل قابس أنها كانت أصحّ البلاد هواء حتى وجدوا طلسمًا ظنوا أن تحته مالاً فحفروا موضعه فأخرجوا منه قربة غبراء فحدث عندهم الوباء من حينئذٍ بزعمهم. انظر: الروض المعطار ٤٥٠، ٤٥١، والاستبصار ١١٢، والبكرى ١٧، والإدريسى ١٠٦.

ذكر قدوم المعز لدين الله أبى تميم معد إلى مصر وحلوله بالقصر من القاهرة المعزية

وما كان من ولاية الخلفاء من بعده حتى انقضت ايامهم واناخ بهم حِمامهم

فى يوم الاثنين لثمان بقين من شوال سنة إحدى وستين وثلاثمائة: دخل المعز لدين الله إفريقية.

وفى يوم الاثنين رابع عشرين جمادى الأولى سنة اثنتين وستين: نزل بقصره خارج بَرْقة.

ووصل إلى الإسكندرية يوم الجمعة لست بقين من شعبان، ونزل تحت منارتها ثم سار. ونزل المعز إلى الجيزة فخرج إليه جماعه من بقى، وعقد جوهر جسر الجيزة، وعقد جسرا آخر عند المختار بالجزيرة حتى سار عليه إلى الفسطاط، ثم إلى القاهرة. وزينت له الفسطاط فلم يشقها، ودخل معه جميع من كان قد وفد إليه، وجميع أولاده وإخوته وعمومته، وسائر ولد المهدى، وأدخل معه توابيت آبائه: المهدى والقائم والمنصور. وكان دخوله إلى القاهرة، وحصوله فى قصره **يوم الثلاثاء لسبع خلون من شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة**، فصارت مصر دار خلافة بعد أن كانت دار إمارة.

قال الفقيه الحسن بن إبراهيم بن زولاق - رحمه الله - ومن خطه نقلتُ:

«حدثنى أحمد بن جعفر قال: كان القائم بأمر الله - عليه السلام - يومًا فى مجلس أبيه المهدى جالسا بين يديه، وكان ابنه المنصور قائما بين يدى جَدِّه، فقال المهدىُّ لابن ابنه المنصور: «ايتنى بابنك» - يعنى المعز لدين الله - فجاءت به دايته - وله سنة أو فوقها - فأخذه المهدى فى حجره وقبَّله، وقال لابنه القائم بأمر الله: «يا أبا القاسم: ما على ظهر الأرض مجلس أشرف من هذا المجلس، اجتمع فيه أربعة أئمة، يعنى المهدىُ نفسَه، وابنه القائم، وابن ابنه المنصور، وابن ابنه المعز لدين الله. وزادنى أبو الفضل ريدان - صاحب المظلة - فى هذا الخبر أن المهدى جمعهم فى دُوَّاج[1] وقال: «جمع رسولُ الله - ﷺ - معه ثلاث أئمة فى كساء سوى نفسه، وقد جمع هذا الدُوَّاج أربعة أئمة».

قال ابن زولاق: «ولما وصل المعز إلى قصره خَرَّ ساجدا، ثم صلى ركعتين، وصلى بصلاته كل من دخل معه، واستقر فى قصره بأولاده وحشمه وخواص عبيده، والقصر

(١) الدُوَّاج ضرب من الثياب.

Marfat.com

يومئذ مشتمل على ما فيه من عَيْن وورق وجوهر وحُلى وفرش وأوان وثياب وسلاح وأسفاط وأعدال وسروج ولجم؛ وبيت المال بحاله بما فيه، وفيه جميع ما يكون للملوك.

وخرج غد هذا اليوم - وهو يوم الأربعاء - جماعةُ الأشراف والقضاة والعلماء والشهود ووجوه أهل البلد وسائر الرعية لتهنئة المعز.

ولعشر خلون من رمضان: أمر المعز بالكتاب على المشايخ فى سائر مدينة مصر: «خيرُ الناس بعد رسول الله - ﷺ - أمير المؤمنين على بن أبى طالب، عليه السلام» وأثبت اسم المعز لدين الله، واسم ابنه عبد الله الأمير.

ووقّع المعز بيده إلى محمد بن الحسين بن مهذب - صاحب بيت المال -: «تقدَّمْ يا محمد بابتياعٍ لنا ولمولاك عبد الله فى كل يوم من الفاكهة الرطبة واليابسة كذا وكذا بسعر الناس، ولا تعرف الرسول لئلا تقع محاباةَ ولا مسامحة، وكذلك حوائج المطبخ».

وللنصف منه: جلس المعز فى قصره على السرير[1] الذهب الذى عمله جوهر فى الإيوان الجديد، وأَذِنَ بدخول الأشراف أولاً، ثم بعدهم الأولياءُ وسائر وجوه الناس، وجوهرٌ قائمٌ بين يديْه يقدِّم الناسَ قوما بعد قوم؛ ثم مضى جوهر وأقبل بهديته ظاهرةً يراها الناسُ، وهى: من الخيل: مائة وخمسون فرسا مسرجة ملجمة، منها مذهب، ومنها مرصع، ومنها بعنبر، وإحدى وثلاثون قبة على بخاتى بالديباج والمناطق والفرش، منها تسعة بديباج مثقل وتسع نوق بحنوبة مزينة بمثقل وثلاثة وثلاثون بغلا، منها سبعة مسرجة ملجمة، ومائة وثلاثون بغلا للنقل، وتسعون نجيبا، وأربعة صناديق مشبكة يُرى ما فيها، وفيها أوانى الذهب والفضة، ومائة سيف محلى بالذهب والفضة، ودرجان من فضة مخرَّقة فيها جوهر، وشاشية مرصعة فى غلاف، وتسعمائة ما بين سفط وتخت[2] فيها سائر ما أعدَّه له من ذخائر مصر.

وأَذِنَ المعزُّ لابنه عبد الله فى الجلوس فى مجلسه.

وحمل أبو جعفر مسلم بن عبيد الله الحسينى هديته، وهى: أحد عشر سفطا من متاع تونة[3] وتنيس[4] ودمياط[5] وخيلا وبغالا.

---

(١) السرير بمعنى العرش.

(٢) التخت وعاء تصان فيه الثياب.

(٣) تُونَةُ: جزيرة قرب تنيس ودمياط من الديار المصرية من فتوح عُمَير بن وهب، يُضرب المثل بحسن معمول ثيابها وطرزها.

(٤) تِنِّيسُ: بكسرتين وتشديد النون، وياء ساكنة، والسين مهملة: جزيرة فى بحر قريبة من البر ما-

Marfat.com

وقال: «كنت أشتهى أن يلبس منها المعز لدين الله ثوبا أو ينعم بالعمامة التى فيها، فما عُمل لخليفة قطُّ مثلها».

وأذن المعز لجماعة بالجلوس فى مجلسه، وأطلق جماعة المعتقلين من الإخشيدية والكافورية الذين اعتقلهم جوهر، وعدتهم نحو الألف.

وقال للقاضى أبى طاهر: «كم رأيت من خليفة؟».

فقال: «ما رأيت خليفة غير مولانا المعز لدين الله - صلوات الله عليه».

فاستحسن ذلك منه على البديهة، مع علم المعز أن أبا طاهر رأى المعتضد، والمكتفى، والمقتدر، والقاهر، والراضى، والمتقى، والمستكفى، والمطيع؛ فشكره وأعجب بقوله.

=بين الفَرَما ودمياط، والفرما فى شرقيّها. قال: وليس بتنيس هوَامّ مؤذية لأن أرضها سبخة شديدة الملوحة. قال: وسميت تِنِّيس باسم تنيس بنت دَلوكة الملكة، وهى العجوز صاحبة حائط العجوز بمصر، فإنها أول من بنى بتنيس وسمتها باسمها، وكانت ذات حدائق وبساتين، وأجرت النيل إليها، ولم يكن هناك بحر، فلما ملك دركون بن ملوطس وزمطرة من أولاد العجوز دلوكة فخافا من الروم، فشقا من بحر الظلمات خليجًا يكون حاجزًا بين مصر والروم فامتدّ وطغى وأخرب كثيرًا من البلاد العامرة والأقاليم المشهورة، فكان فيما أتى عليها أحنّة تنّيس وبساتينها وقراها ومزارعها. ولما فتحت مصر فى سنة عشرين من الهجرة كانت تنيس حينئذ خصاصًا من قصب، وكان بها الروم، وقاتلوا أصحاب عمرو، وقتل بها جماعة من المسلمين، وقبورهم معروفة بقبور الشهداء.

(٥) دِمْيَاطُ: مدينة قديمة بين تنّيس ومصر على زاوية بين بحر الروم الملح والنيل، مخصوصة بالهواء الطيب وعمل ثياب الشرب الفائق، وهى ثغر من ثغور الإسلام جاءَ فى الحديث عن عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، أنه قال: قال رسول الله، ﷺ: «يا عمر، إنه سيفتح على يديك بمصر ثغران الإسكندرية ودمياط، فأما الإسكندرية فخرابها من البربر، وأما دمياط فهم صفوة من شهداء من رابَطَها ليلة كان معى فى حظيرة القدس مع النبيّين والشهداء»، ومن شمالى دمياط يصبّ ماءُ النيل إلى البحر الملح فى موضع يقال له الأشتُومُ. انظر: معجم البلدان ٢/٤٧٢، ٤٧٣.

وفى الروض المعطار جاءت بالذال وتكتب ذمياط: مدينة فى البلاد المصرية على ساحل البحر قريبة من تنيس إليها ينتهى ماء النيل، وبها تعمل الثياب الرفيعة وغيرها مما يقارب الثياب التنيسية. وذكر فى هوامش الروض المعطار: أن الإدريسى أثبتها بالذال، وقال ابن خلكان: ولفظ دمياط سريانية وأصلها بالذال المعجمة. انظر: الروض المعطار ٢٥٧، ٢٥٨، والإدريسى ١٥٧، وابن خلكان ٥/٨٠، ٩٠، ٩١، ٦/٢٥٨، وخطط المقريزى ١/٢١٥. وأحداث سنتى ٦١٥، ٦١٨ فى مرآة الزمان.

Marfat.com

وركب المعزُّ يوم الفطر - لصلاة العيد - إلى مصلى القاهرة الذى بناه جوهر، وكان محمد بن أحمد بن الأدرع الحسينى قد بكّر وجلس فى المصلى تحت القبة، فجاءَ الخدم وأقاموه وأقعدوا موضعه أبا جعفر مسلم، وأقعدوه دونه، فكان أبو جعفر مسلم خلف المعز عن يمينه وهو يصلى.

وأقبل المعز فى زيه وبنوده وقبابه، وصلى بالناس صلاة العيد صلاةً تامة طويلة، قرأ فى الأولى بأم الكتاب، و﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الغَاشِيَةِ﴾ (١)، ثم كبر بعد القراءَة، وركع فأطال، وسجد فأطال.

قال ابن زولاق: «أنا سبَّحتُ خلفه فى كل ركعة وفى كل سجدة نيفًا وثلاثين تسبيحة، وكان القاضى النعمان بن محمد يبلغ عنه التكبير؛ وقرأ فى الثانية بأم الكتاب وسورة «والضحى»، ثم كبَّر أيضا بعد القراءة، وهى صلاة جده على بن أبى طالب، وأطال أيضا فى الثانية الركوع والسجود، وأنا سبَّحت خلفه نيفًا وثلاثين تسبيحة فى كل ركعة وفى كل سجدة؛ وجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فى كل سورة، وأنكر جماعة يترسمون بالعلم قراءَته قبل التكبير، لقلة علمهم وتقصيرهم فى العلوم.

فلما فرغ من الصلاة صعد المنبر، وسلّم على الناس يمينا وشمالا، ثم نشر البندين اللذين كانا على المنبر فخطب وراءَهما، وكان فى أعلى درجة من المنبر وسادة ديباج مثقل، فجلس عليها بين الخطبتين، واستفتح الخطبة ببسم الله الرحمن الرحيم.

وكان معه على المنبر جوهر، وعمار بن جعفر، وشفيع - صاحب المظلة - ثم قال: «الله أكبر.. الله أكبر»، استفتح بذلك «وخطب وأبلغ وأبكى الناس، وكانت خطبته بخضوع وخشوع.

فلما فرغ من خطبته انصرف فى عساكره، وخلفه أولاده الأربعة بالجواشن(٢) والخوذ على الخيل بأحسن زى، وساروا بين يديه بالفيلين، فلما حصل فى قصره أحضر الناس فأكلوا ونشطهم إلى الطعام، وعتب على من تأخر، وتهدَّد من بلغه عنه صيام العيد». ورد إلى أبى سعيد عبد الله بن أبى ثوبان أحكام المغاربة ومظالمهم. وتحاكم إليه جماعة من المصريين فحكم بينهم وسجَّل، فكان شهود مصر يشهدون عنده ويشهدون على أحكامه، ولم يُرَ هذا بمصر قبل ذلك؛ واستخلف أبو سعيد أحمد بن محمد الدوادى.

ومنع المعز من النداء بزيادة النيل، وألا يكتب بذلك إلا إليه وإلى جوهر، فلما تم

---

(١) سورة الغاشية آية ١.

(٢) جمع جوش، وهى الدرع.

ذكر قدوم المعز لدين الله أبى تميم معد إلى مصر ٢٠٧

أباح النداء يعنى لما تم ست عشرة ذراعًا.

وخلع على جوهر خلعة مذهبة، وعمامة حمراء، وقلده سيفا، وقاد بين يديه عشرين فرسًا مسرجة ملجمة، وحمل بين يديه خمسين ألف دينار، ومائتى ألف درهم، وثمانين تختا من ثياب.

وركب المعز إلى المقدس، وأشرف على أسطوله، وقرأ عليه وعوذه، وخلفه جوهر والقاضى النعمان ووجوه أهل البلد، ثم عاد إلى قصره.

وضُربت أعناق جماعة عاثوا بنواحى القرافة.

وفى ذى القعدة: احترق سوق القاهرة، وأعيد.

وركب المعز لكسر خليج القاهرة، فكُسر بين يديه، وسار على شط النيل، ومر على سطح الجرف، وعطف على بركة الحبش(١)، ثم على الصحراء إلى الخندق الذى حفره جوهر فى موكب عظيم، وخلفه وجوه أهل البلد، وأبو جعفر أحمد بن نصر يعرِّفه بالمواضع، وبلغ المعز أن محمدًا أخا أبى إسماعيل الرَّسِّى يريد الفرار إلى الشام، فقُبض عليه وسُجن مقيَّدا.

وفى يوم عرفة: نصب المعزُّ الشَّمْسَةَ(٢) التى عملها للكعبة على إيوان قصره، وسعتها اثنا عشر شبرًا فى مثلها، وأرضها ديباج أحمر، ودَوْرُها اثنا عشر هلالاً ذهبًا، وفى كل هلال أُتْرُجة ذَهب مُشبَّك، جَوْفُ كل أُتْرُجَّة خمسون دُرَّة كبيض الحمام، وفيها الياقوت الأحمر والأصفر والأزرق، وفى دَوْرها مكتوب آيات الحج بزمرد أخضر، وحَشْوُ الكتابة دُرٌّ كبار لم يُرَ مثله، وحَشْوُ الشَّمْسَة المِسْكُ المسحوق؛ فرآها الناس فى القصر ومن خارجه لِعُلُوِّ موضعها، ونصبها عِدَّةُ فراشين، وجَرُّوها لِثِقَلِ وزنها.

وأول من عمل الشَّمْسَة للكعبة أميرُ المؤمنين جعفر المتوكل على الله(٣)، فبعث

(١) بِرْكَةُ الحَبَشِ: هى أرض فى وَهْدَة من الأَرْض واسعة، طولها نحو ميل، مشرفة على نيل مصر خلف القَرَافة، وَقفٌ على الأشراف، تُزْرَعُ فتكون نَزِهة خضرة لزكاء أرضها واستفالها واستضحائها وريّها، وهى من أحلّ متنزهات مصر، رأيتُها وليست ببركة للماء وإنما شُبِّهت بها، وكانت تعرف ببركة المَعَافِر وبركة حِمْيَر، وعندها بساتين تُعرَف بالحبش، والبركة منسوبة إليها. انظر: معجم البلدان ٢/٤٠١، ٤٠٢.

(٢) هى حلية ضخمة كانت ترسل إلى الكعبة فى موسم الحج، وتشبه الشمس ولها اثنا عشر ذراع تشبه أشعة الشمس.

(٣) جعفر (المتوكل على الله) بن محمد (المعتصم بالله) بن هارون الرشيد، أبو الفضل: خليفة=

Marfat.com

سلسة من ذهب كانت تُعَلّق مع الياقوتة التى بعثها المأمون، وصارت تُعَلّقُ كل سنة فى وجه الكعبة، وكان يؤتى بهذه السلسلة فى كل موسم وفيها شمسة مكللة بالدُرّ والياقوت والجوهر قيمتها شيء كثير، فيقدم بها قائد يبعث من العراق، فتُدفع إلى حَجَبَة الكعبة، ويُشهد عليهم بقبضها، فيعلقونها يوم سادس الثمان، فتكون على الكعبة، ثم تُنزع يوم التروية.

وغدا المعز لصلاة عيد النحر فى عساكره، وصلى كما ذكر فى صلاة الفطر من القراءة والتكبير وطول الركوع والسجود، وخَطَبَ وانصرف فى زيِّه، فلما وصل إلى القصر أذن للناس عامة فدخلوا والشمسةُ منصوبة على حالها، فلم يبقَ أحد حتى دخل - من أهل مصر والشام والعراق - فذكر أهل العراق وأهل خراسان، ومن يواصل الحج أنهم لم يروا قط مثل هذه الشمسة، وذكر أصحاب الجوهر ووجوه التجار أنه لا قيمة لما فيها، وأن شمسة بنى العباس كان أكثرها مصنوعا ومن شبه، وأن مساحتها مثل ربع هذه.

وكذلك كانت شمسة كافور[1] التى عملها لمولاه أونوجور بن الإخشيد، وكان يسير بها إلى الحرم جعفر بن محمد الموسوى، ثم ابنه أبو الحسين، ثم بعده ابنه مسلم، ثم أبو تراب بعد أخيه، إلى أن أخذها القائد جوهر من أبى تراب وأمر المعز للناس بالطعام فأكلوا.

ووردَ الخبر بوصول أسطول القرامطة إلى تِنّيس فى البحر، فكانت بينهم وبين أهل تِنّيس حرب انهزم فيها أصحاب القرامطة، وأخذ منهم عدة مراكب، وأسر طائفة منهم، وأن «أسكر» نهبت، فعظم ذلك على المعز، واشتد خوف الناس فى المقابر حتى كانوا يصلون على الجنائز ولا يتبعونها، ويمضى بها الحفارون؛ فأنكر المعز ذلك، وأمّن

=عباسى. ولد ببغداد وبويع بعد وفاة أخيه الواثق سنة ٢٣٢هـ. نقل مقر الخلافة من بغداد إلى دمشق فأقام بها شهرين، فلم يطب له مناخها، فعاد وأقام فى سامراء، إلى أن اغتيل فيها ليلا سنة ٢٣٦هـ. انظر: الدول الإسلامية ٢٠، وتاريخ الخميس ٣٣٧/٢، وتاريخ بغداد ١٦٥/٧، والنبراس ٨٠ - ٨٥، واليعقوبى ٢٠٨/٣، وابن الأثير ١١/٧، ٢٩، والطبرى ١١، ٢٦، ٦٢، ومروج الذهب ٢٨٨/٢، والأعلام ١٢٧/٢.

(١) كافور بن عبد الله الإخشيدى، أبو المسك: الأمير المشهور، كان عبدا حبشيا اشتراه الإخشيدى، ملك مصر سنة ٣١٢هـ. فنسب إليه، وأعتقه فترقى عنده. وما زالت همته تصعد به حتى ملك مصر سنة ٣٥٥. كانت مدة إمارته على مصر اثنتين وعشرين سنة. انظر: دول الإسلام ١٧٣/١، ووفيات الأعيان ٤٣١/١، وابن خلدون ٣١٤/٤، والنجوم الزاهرة ١/٤-١٠، والأعلام ٢١٦/٥.

Marfat.com

الناس.

ولثمانى عشرة من ذى الحجة: وهو يوم غدير خُمّ[1]، تجمَّع خلقٌ من أهل مصر والمغاربة للدعاء، فأعجب المعز ذلك، وكان هذا أول ما عمل عيدُ الغدير بمصر.

وقدم من تِنّيس مائةٌ وثلاثة وسبعون رجلا أسارى، وعدةُ رءوس، ومعهم أعلام القرامطة منكوسة، وسلاح لهم، فشُهِّر ذلك فى البلد، وجلس المعز حتى مروا بين يديه وهو فى علو باب قصره.

وكانت فتنة فى البلد نهبت المغاربة فيها جماعة من الرعية، فركب جوهر فى طلب النّهابة وأخذهم وجلدهم.

وفى سلخ ذى الحجة: سُلخ إمام جامع القرافة محمد بن عبد السميع فى طريق القرافة، وانصرف الناس من جامع القرافة من غير جمعة.

وأحضر جوهر جماعةً من أهل تنيس، وطالبهم بديات المغاربة الذين قتلوا عندهم، وألزموا بمائتى ألف دينار، ثم استقر أمرهم على ألف ألف درهم.

وانتهى النيل فى نقصانه إلى ست أذرع وإصبعين، وبلغت زيادة الماء الجديد سبع عشرة ذراعا وإصبعين، وأطلق المعز لمتولى المقياس الجائزة والخلع والحملان، فزاده على رسمه.

وفيها: مات أبو عمرو محمد بن عبد الله السهمى - قاضى مكة -، ومات الإشبيلى - قاضى المغاربة بمصر.

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وثلاثمائة

وأمير المؤمنين المعز لدين الله. وخليفته القائد جوهر. والقاضى أبو طاهر محمد بن أحمد. والخراج نصفين: إلى على بن محمد بن طباطبا، وعبد الله بن عطاء الله؛ والنصف الآخر إلى الحسن بن عبد الله، والحسين بن أحمد الروذبارى. وصاحب بيت المال محمد ابن الحسين بن مهذب. وصاحب المظلة شفيع الصقلى. وطبيبه موسى بن العازار. والشرطة السفلى إلى عروبة بن إبراهيم، وشبل المعرضى. والشرطة العليا إلى خير بن القاسم. وإمام الجامع العتيق والخطبة إلى عبد السميع بن عمر العباسى.

---

(١) عيد غدير خم: هو من أعياد الشيعة والذين يقولون إن فيه أوصى الرسول ﷺ بعد حجة الوداع سنة ١٠هـ. لعلى بن أبى طالب وقال فيه: «على منّى كهارون من موسى، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله».

Marfat.com

وإمام الصلوات الخمس الحسن بن موسى الخياط.

ولست عشرة بقيت من المحرم: قلّد المعزُّ الخراجَ، ووجوه الأموال جميعها، والحسبة، والسواحل، والجوالى، والأحباس، والمواريث، والشرطتين، وجميع ما ينضاف إلى ذلك، وما يطوى فى مصر وسائر الأعمال أبا الفرج يعقوب بن يوسف الوزير، وعسلوج بن الحسن، وكتب لهما بذلك سجلا قُرئ يوم الجمعة على منبر جامع أحمد ابن طولون، وقبضت أيدى سائر العمال والمتضمنين.

وجلسا غد هذا اليوم فى دار الإمارة فى جامع أحمد بن طولون للنداء على الضياع وسائر وجوه الأموال، وحضر الناس للقبالات، وطالبوا بالبقايا من الأموال مما على المالكين والمتقبلين والعمال، واستقصيا فى الطلب، ونظرا فى المظالم.

وفيه: تبسطت المغاربة فى نواحى القرافة والمعافر، فنزلوا فى الدور، وأخرجوا الناس من دورهم، ونقلوا السكان وشرعوا فى السكنى فى المدينة، وكان المعز قد أمرهم أن يسكنوا فى أطراف المدينة، فخرج الناس واستغاثوا إلى المعز، فأمر أن يسكنوا نواحى عين شمس، وركب المعز بنفسه حتى شاهد المواضع التى ينزلون فيها، وأمر لهم بمال يبنون به، وهو الموضع الذى يُعرف اليوم بالخندق، وخندق العبيد؛ وجعل لهم واليا وقاضيا؛ وأسكن أكثرهم فى المدينة مخالطين لأهل مصر، ولم يكن جوهر يبيحهم سكنى المدينة ولا المبيت فيها، وحظر ذلك عليهم، وكان مناديه ينادى كل عشية: «لايبيتن فى المدينة أحدٌ من المغاربة».

وفى يوم عاشوراء: انصرف خلق من الشيعة وأتباعهم من المشاهد من قبر كلثم بنت محمد بن جعفر بن محمد الصادق، ونفيسة[1]، ومعهم جماعة من فرسان المغاربة ورجالتهم قاموا بالنياحة والبكاء على الحسين، وكسروا أوانى السقائين فى الأسواق، وشققوا الروايا، وسبُّوا من ينفق فى هذا اليوم، وثارت إليهم جماعة، فخرج إليهم أبو محمد الحسن بن عمَّار، ومنع الفريقين، ولولا ذلك لعظمت الفتنة؛ لأن الناس كانوا قد غلقوا الدكاكين وعطلوا الأسواق، وقويت أنفس الشيعة بكون المعز بمصر.

وكانت مصر لا تخلو من الفتن فى يوم عاشوراء عند قبر كلثم وقبر نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب فى الأيام الإخشيدية والكافورية، وكان سودان كافور يتعصبون على الشيعة، ويتعلق السودان فى الطرق بالناس ويقولون للرجل: «من خالك؟». فإن قال: «معاوية» أكرموه، وإن سكت لقى المكروه، وأخذت ثيابه وما معه، حتى كان كافور يوكل بأبواب الصحراء، ويمنع الناس من الخروج.

ولما جلس يعقوب بن كِلّس وعسلوج بن الحسن الونهاجى لعقد الضياع توفرت

---

(١) هى: السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب.

Marfat.com

الأموال، وزيد فى الضياع، وتكاشف الناس.

وفى صفر: طيف بنحو مائتى رأس قُدم بها من المغرب.

ومات ابن عم للمعز، فصلى عليه المعز، وكبَّر سبعا، وكبَّر على غيره خمسا، وهذا مذهب على بن أبى طالب: أنه يكبر على الميت على قدر منزلته.

ومات إسحاق بن موسى طبيب المعز، فجعل موضعه أخاه إسماعيل بن موسى.

وامتنع يعقوب وعسلوج أن يأخذا فى الاستخراج إلا دينارا معزيا، فاتضع الدينار الراضى وانحط، ونقص من صرفه أكثر من ربع دينار، فخسر الناس من أموالهم، وكان صرف المعزى خمسة عشر درهما ونصف.

واشتد الاستخراج، وأكّد المعز فيه ليرد ما أنفقه من أمواله على مصر، لأنه قدم مصر يظن أن الأموال مجتمعة، فوجدها قد فرقتها مؤن مصر وكثرة عساكرها، وكان الذى أنفقه المعز على مصر ما لا يضبط أو يعرفه إلا هو أو خزانه.

وحدثنى أحد كتاب بيت ماله قال:

«حملنا إلى مصر أكياسا فارغة - أنفق ما كان فيها - قى أربعة أعدال على جملين».

وكدَّ يعقوب وعسلوج نفسيهما فى الاستخراج، فاستُخرج فى يوم نَيِّفُ وخمسون ألف دينار معزية، وكان استخراجًا بغير براءة ولا خرج ولا حوالة، واستخرج فى يوم مائة وعشرون ألف دينار معزية، وفى يوم آخر من مال تِنيس ودمياط والأشمونين أكثر من مائتى ألف وعشرين ألف دينار، وهذا لم يسمع بمثله قط فى بلد، إلا أن فى أيام العزيز استخرج خير بن القاسم، وعلى بن عمر العدَّاس، وعبد الله بن خلف المرصدى فى ثلاثة أيام مائتى ألف دينار وعشرين ألف دينار عزيزية، منها فى أول يوم أربعة وسبعين ألف دينار والباقى فى يومين، وذلك فى سنة أربع وسبعين وثلاثمائة.

وفى شهر ربيع الآخر: كثر الإرجاف بالقرامطة وانتشارهم فى أعمال الشام، وكان معهم عبد الله بن عبيد الله أخو أبى جعفر مسلم، فكتب إليه المعز بعد ما شكاه إلى أخيه مسلم.

وفيه: دخل الناس إلى قصر المعز وفيهم: الأشراف، والعمال، والقواد، وسائر الأولياء من كتامة وغيرهم، فقال إنسان لبعض الأشراف: «اجلس يا شريف». فقال بعض الكتاميين: «وفى الدنيا شريف غير مولانا؟! لو ادعى هذا غيره قتلناه».

وخرج الإذن للناس، وبلغ المعز هذا، فلما جلس على سريره وأذن للناس بالجلوس

Marfat.com

قال: «يا معشر الأهل وبنى العم من ولد فاطمة: أنتم الأهل، وأنتم العدة، وما نرضى بما بلغنا من القول، وقد أخطأ من تكلم بما قيل لنا، لكم بحمد الله الشرف العالى، والرحم القريبة، ولئن عاود أحد لمثل ما بلغنا لننكلن به نكالا مشهورا».

فقبَّلت الجماعة الأرض، ودعوا وشكروا، وكان المتكلم حاضرا فانقمع وندم.

وحدَّث المعز أنه رأى فى منامه رسول الله - ﷺ - كان جالسا وبين يديه سيوف منها ذو الفقار، فأخذ على بن أبى طالب ذا الفقار فضرب به عنق القرمطى الأعسم، وضرب حمزةُ عنق أخى الأعسم، وضرب جعفر عنق آخر، وانكبَّ المعز يقبِّل رجل النبى - ﷺ - فنسخ الناس هذه الرؤيا.

وحُمل مال الأحباس من المودع[1] إلى بيت المال الذى لوجوه البِرِّ، وطولب أصحاب الأحباس بالشرائط ليُحملوا عليها.

ولما وقف المعز على حبس عمرو بن العاص، وأن محمد بن أبى بكر كان قد قبضه وضرب عليه صافية لأمير المؤمنين على بن أبى طالب - أهل الحق - وأن عمرو بن العاص إنما حبسه لما عاد إلى مصر فى أيام معاوية، أخرج ذلك - من كتاب أبى عمر الكندى[2] - القاضى النعمان بن محمد، فحمله إلى المعز فقال: «هذا مال لنا، فليحمل إلينا مفردا من مال الأحباس». ففُعل ذلك.

وفى ربيع الآخر: ثارت المغاربة فى صحراء المقابر«ونهبوا الناس، فأنكر المعز ذلك، وقبض على جماعة.

وفيه: اعتلَّ واحتجب، فاضطربت الرعية، ولم يره أحد.

وفى جمادى الأولى: أُرجف بالقرامطة، وقوى الاستخراج، ومنع الناس من الحضور فى الديوان لئلا يقفوا على مبلغه، وجلس المعز للناس، فسُرُّوا بسلامته.

وحمل أبو جعفر مسلم إلى المعز المصحفَ الكبير الذى كان يُذكر أنه كان ليحيى بن خالد بن برمك، وكان شراؤه أربعمائة دينار على مسلم، فلما رآه المعز قال:

---

(١) المودع: صندوق كان يعد لحفظ مال مخصص لجهة معينة أو لغرض معين، ويعهد بحفظه إلى القاضى.

(٢) محمد بن يوسف بن يعقوب، من بنى كندة: مؤرخ. كان من أعلم الناس بتاريخ مصر وأهلها وأعمالها وثغورها. وله علم بالحديث والأنساب. ولد وتوفى بمصر. من كتبه «الولاة والقضاة» و«تسمية ولاة مصر» و«أخبار قضاة مصر». انظر: حسن المحاضرة ٣١٩/١، وآداب اللغة ٣١٩/٢، والأعلام ١٤٨/٧.

Marfat.com

«أراك معجبا به، وهو يستحق الإعجاب، ولكن نفاخرك نحن أيضا».

فدعا بمصحف نصفين ما رؤى أحسن منهما خطا وإذهابا وتجليدًا، فقال: «هذا خط المنصور، وإذهابه وتجليده بيده». فقال له مسلم: «فَثَمَّ مصحف بخط مولانا المعز لدين الله - عليه السلام -؟» فقال: «نعم» وأخرج له نصفين فقال: «ما رأيتُ أصبح من هذا الخط». فقال المعز(١): «بعد مشاهدتك لخط المنصور تقول: ما رأيت أصبح من هذا الخط، ولكنه أصبح من خطك» ثم ضحك وقال: «أردت مداعبتك».

وكان أبو جعفر مسلم إذا ذكر المعز يقول: «وددت أن أبى وجدى شاهداه ليفتخرا به، فما أقدر أن أقرن به أحدًا من خلفاء بنى أمية ولا بنى العباس».

وتوفى محمد بن الحسن بن أبى الحسين - أحد خواص المعز - فخرج المعز وهو فى بقايا علته، وتقدم إلى القاضى النعمان بن محمد بغسله وبكفنه، وصلى عليه المغرب، وفتح تابوته وأضجعه.

وبعد تسعة عشر يومًا توفى القاضى النعمان بن محمد أول رجب، فخرج المعز يبين الحزن عليه، وصلى عليه، وأضجعه فى التابوت، ودفن فى داره بالقاهرة.

وفى شعبان: دخل أبو جعفر مسلم على المعز، فلما توسط صحن الإيوان قال له أخوه عيسى: «إن الأمير عبد الله فى المجلس فسلّم عليه».

وكان فى المجلس جماعة، فدخل أبو جعفر على المعز وقبل الأرض، وقام قائما، وقال: «يا أمير المؤمنين: حدثنى أبى عن أبيه عن جده عن إسحاق بن موسى بن جعفر ابن محمد قال: «دخلت أنا وأخى عبد الله على يعقوب بن صالح بن المنصور - وهو يومئذ أمير المدينة - فقال: من أين أقبل الشيخان؟ فقالا: من عند رسول الله - ﷺ - سلمنا عليه وأتيناك، فقال: سلمتما على صاحبيه؟ فقلنا: لا، فقال: سبحان الله، كيف لم تسلما على صاحبيه؛ فقال له أخى عبد الله: سألتك بالله أيها الأمير أيهما أقرب؟ ابنك هذا منك أو صاحبى رسول الله من رسول الله؟ فقال: ابنى هذا، فقال: ما سلمنا

---

(١) المعز لدين الله بن إسماعيل (المنصور) بن القائم بن المهدى عبيد الله الفاطمى العبيدى، أبو تميم: صاحب مصر وإفريقية، وأحد الخلفاء فى هذه الدولة. ولد بالمهدية (فى المغرب) وبويع له بالخلافة فى (المنصورية) بعد وفاة أبيه (سنة ٣٤١هـ.) فجهز وزيره القائد جوهرًا وأصحبه بجيش كثيف ليفتح ما استعصى عليه من بلاد المغرب، فسار إلى فاس وسجلماسة ففتحها. انظر: الخلاصة النقية ٤١، ووفيات الأعيان ٢/١٠١، والمنتظم ٧/٨٢، ومورد اللطافة ١-٣، وابن إياس ١/٤٥، وأعمال الأعلام ٢٤، وابن خلدون ٤/٤٦، وابن الأثير ٨/١٦٥ - ٢٢٠، والبيان المغرب ١/٢٢١، والأعلام ٧/٢٦٥.

على ابنك فى مجلسك إجلالا لك، فنسلم على صاحبى رسول الله بحضرة رسـول اللـه؟ فقال: والله ما قصرتما». ثم قال مسلم: «تأذن يا أمير المؤمنين فى السلام على الأمير عبد الله؟» فأذن له، قال عيسى: «وكان المعزُّ لمسلم مُكرِمًا».

وفيه: كثر الإرجافُ بالقرامطـة ودخـول مقدمتهـم أريـاف مصـر وأطـراف المحلـة، وأنهم نهبوا واستخرجوا الخراج ثم رجعوا إلى أعمال الشام.

وأمر المعزُّ المغاربة بالخروج من مصر والسكنى بالقاهرة ففعلوا.

وردَّ المعز الشرطة العليا إلى خير بن القاسم فاستقصى علـى المغاربـة فـى الخـروج إلى القاهرة.

وعاودت المعز العلة فاحتجب أيامًا لا يراه أحد، ثـم جلـس للنـاس فهنـوه، وعرضـوا أنفسهم للقتال، فشكرهم على ذلك.

ووصلت سَرِيَّة القرامطة إلى أطراف الحوف، وأنفذ القرمطىُّ عبدَ الله بنَ عبيْد الله - أخا مسلم - إلى الصعيد، فـنزل فـى نواحـى أسـيوط(١) وإخميـم(٢)، وحـارب العمـال،

---

(١) أسيُوطُ: مدينة فى غربى النيل من نواحى صعيد مصر، وهى مدينة جليلـة كبـيرة، حدثنـى بعـض النصارى من أهلها أنّ فيها خمسًا وسبعين كنيسة للنصارى، وهـم بهـا كثير. وقـال الحسـن بـن ابراهيم المصرى: أسيوط من عمل مصـر وبهـا مناسـج الأرمنـى والدبيقِـى المثلـث وسـائِر أنـواع السكّر لا يخلو منه بلد إسلامى ولا جاهلى، وبها السفرجل تزيد فى كثرته على كـل بلـد، وبهـا يُعمـل الأفيـون، يُعتصَرُ مـن ورق الخشـخاش الأسـود والخـس ويُحمـل إلى سـائر الدنيـا! قـال: وصورت الدنيا للرشيد فلم يستحسن إلا كورة أسيوط، وبها ثلاثون ألف فدان فـى اسـتواءٍ مـن الأرض لو وقعت فيها قطرةُ ماءٍ لانتشرت فى جميعها لا يظمأُ فيها شِبرٌ، وكانت أحـد متنزهـات أبى الجيش خُمارَوَيه بن أحمد بن طولون. انظر: معجم البلدان ١٩٣/١، ١٩٤.
وفى الروض المعطار أسيوط: مدينة على الضفة الغربية مـن نيـل مصـر وهـى كبـيرة عـامرة آهلة جامعة لضروب المحاسن كثيرة الجنات والبساتين واسعة الأرضين جميلة حسنة بينها وبـين إخميـم صاعدًا من النيل نصف مجرى. انظر: الروض المعطار ٥٨، والإدريسى ٤٨.

(٢) إخميم: بالكسر، ثم السكون، وكسر الميم، وياء ساكنة، وميم أخرى: بلـد بـالصعيد فـى الإقليـم الثانى، وهو بلد قديم على شاطىء النيل بالصعيد! وفى غربيّه جبل صغير، من أصغـى إليـه بأذنـه سمع خرير الماءِ، ولَغطًا شبيهًا بكلام الآدميين، لا يُدرى ما هو. وبإخميم عجـائب كثـيرة قديمـة، منها البَرابى وغيرها. والبرابى أبنية عجيبة فيها تماثيل وصور، واختُلِف فى بانيها، والأكثر الأشهر أنها بنيت فى أيام الملكة دَلوكة، صاحبة حائط العجوز، وهو بناءٌ مسـقفٌ بسـقف واحـد، وهـو عظيم السعة، مُفرطها، وفيه طاقات ومداخل، وفى جدرانه صـور كثـيرة، منهـا صـور الآدميـين، وحيوان مختلف، منه ما يُعرف، ومنه ما لا يعرف وفى تلك الصور، صورة رجل لم يُـر أعظـم-

Marfat.com

ذكر قدوم المعز لدين الله أبى تميم معد إلى مصر ٢١٥

واستخرج الأموال، فثقل ذلك على المعز، وعاتب أبا جعفر مسلم، فاعتذر إليه، وتبرأ من أفعاله، ونزل الأعْسَم القرمطى بعسكره بلبيس(١)، وتأهَّب المعزُّ لمنعه وردِّه.

وقد أحببتُ أن أورد هنا جملةً من أخبار القرامطة لتكرر دخولهم إلى مصر:

* * *

=منه، ولا أبهى، ولا أنبل، وفيها كتابات كثيرة، لا يعلم أحدٌ المراد بها، ولا يُدرى ما هى، والله أعلم بها.

وإخميم أيضًا: موضع بأرض العرب، قال أبو عبد الله محمد بن المعلّى بن عبد الله الأزدى فى شرحه لشعر تميم بن أبَى بن مقبل، وذكر أسماء جاءت على وزن إفعيل، فقال: وإخميم موضع غَورى نزله قوم من عنزةَ، فهم به إلى اليوم. انظر: الروض المعطار ١٥، ١٨، والاستبصار ٨٤، ومعجم البلدان ١/٤٥.

(١) بِلْبِيسُ: بكسر الباءَين، وسكون اللام، وياء، وسين مهملة. كذا ضبطه نصر الإسكندرى، قال: والعامة تقول بِلْبَيْس: مدينة بينها وبين فُسْطَاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام، يسكنها عَبْسُ ابن بغيض، فُتِحَتْ فى سنة ١٨ أو ١٩ على يد عمرو بن العاص.

قال ابن إياس فى ذكر مدينة بلبيس: وسميت فى التوراة أرض حاشان وفيها نزل يعقوب عليه السلام، وذكر ابن خراداذبة أن بين بلبيس ومدينة فسطاط مصر أربعة وعشرون ميلاً، وكانت مدينة كبيرة من أجل مدائن مصر إلى أن خربت فى سنة ست وثمانمائة. انظر: نزهة الأمم، ومعجم البلدان (بلبيس).

Marfat.com

ذكر طرف من أخبار القرامطة

وذلك أن الحسين الأهوازى لما خرج داعية إلى العراق لقى حمدان بن الأشْعَث قَرْمَط بسواد الكوفة(١)، ومعه ثور ينقل عليه، فتماشيا ساعةً، فقال حمدان للحسين:

«إنى أراك جئتَ من سفرٍ بعيد، وأنت مُعْيىً فاركب ثورى هذا». فقال الحسين: «لم أومر بذلك». فقال له حمدان: «كأنك تعمل بأمر أُمر لك». قال: «نعم». قال: «ومن يأمرك وينهاك؟» قال: «مالكى ومالكك، ومن له الدنيا والآخرة». فبُهت حمدان قَرْمَط ففكر، ثم قال له: «يا هذا: ما يملك ما ذكرتَه إلا الله». قال: «صدقتَ، والله يهبُ ملكه لمن يشاء». قال حمدان: «فما تريد فى القرية التى سألتنى عنها؟». وكان الحسين لما رأى قَرْمَط فى الطريق سأله: «وكيف الطريق إلى قَس بَهرام؟».

فعرَّفه قَرْمَط أنه سائر إليه، فسأله عن قرية تعرف «بباتنورا» فى السواد، فذكر أنها قريبة من قريته، وكان قرمط من قرية تعرف «بالدور» على نهر «هد» من رُسْتاق(٢) «مهروسا» من طَسُّوج(٣) «فرات بادقلى».

وإنما قيل له قَرْمَط لأنه كان قصيرا ورجلاه قصيرتيْن، وخطوه متقاربا، فسمى لذلك قَرْمَطًا.

فلما قال للحسين: «ما تريد فى القرية التى سألتنى عنها؟». قال له: «رُفع إلىّ جرابٌ فيه عِلْمٌ وسِرٌ من أسرار الله، وأمرتُ أن أشفى هذه القرية، وأغنى أهلها وأستنقذهم،

---

(١) الكُوفَةُ: بالضم: المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ويسمّيها قوم حدّ العذراء، قال أبو بكر محمد بن القاسم: سميت الكوفة لاستدارتها أخذًا من قول العرب: رأيت كُوفانًا وكَوْفانًا، بضم الكاف وفتحها، للرميلة المستديرة، وقيل: سميت الكوفة كوفة لاجتماع الناس بها من قولهم: تكوّف الرمل. ويقال: يتكوّف تكوّفًا إذا ركب بعضه بعضًا، ويقال: أخذت الكوفة من الكوفان، يقال: هم فى كوفان أى فى بلاء وشر، وقيل: سميت كوفة لأنها قطعة من البلاد، من قول العرب: قد أعطيت فلانًا كيفة أى قطعة، ويقال: كِفْتُ أكِيفُ كَيفًا إذا قطعت، فالكوفة قطعة من هذا انقلبت الياء فيها واوًا لسكونها وانضمام ما قبلها، قال أبو القاسم: قد ذهبت جماعة إلى أنها سميت كوفة بموضعها من الأرض وذلك أن كل رملة يخالطها حصباء تسمى كوفة، وقال آخرون: سميت كوفة لأن جبل ساتيدما يحيط بها كالكفاف عليها، وقال ابن الكلبى: سميت بجبل صغير فى وسطها كان يقال له كوفان. انظر: الروض المعطار ٥٠١، ٥٠٢، ونزهة المشتاق ١٢٠، معجم البلدان ٤/٤٩٠ - ٤٩٤.

(٢) رستاق - والرسداق والجمع رساتيق، أرض السواد والقرى واللفظ معرب عن القارب. انظر: شفاء الغليل صـ ١٠٧.

(٣) طسوج: لفظ معرب وهو الناحية، ثم قال: والطسوج واحد من طساسيج السواد، الطسوج وزن من الأوزان. انظر: لسان العرب لابن منظور.

Marfat.com

وأملكهم أملاك أصحابهم». وابتدأ يدعوه، فقال له حمدان قَرْمَط: «يا هذا: نشدتُك الله، ألا رفعت إليّ من هذا العلم الذى معك، وأنقذتنى ينقذك الله؟». قال له: «لا يجوز ذلك أو آخذ عليك عهدا وميثاقا أخذه الله على النبيين والمرسلين، وألقى إليك ما ينفعك». فما زال يضرع إليه حتى جلسا فى بعض الطريق، وأخذ عليه العهد، ثم قال له: «ما اسمك؟» قال له قرمط: «قم معى إلى منزلى حتى تجلس فيه، فإن لى إخوانا أصير بهم إليك لتأخذ عليهم العهد للمهدى».

فصار معه إلى منزله، وأخذ على الناس العهد، وأقام بمنزل حمدان قرمط، فأعجبه أمره، وعظّمه؛ وكان الحسين على غاية ما يكون من الخشُوع صائمًا نهاره، قائمًا ليله، فكان المغبوط مَنْ أخذه إلى منزله ليلةً، وكان يخيط لهم الثياب ويكتسب بذلك، فكانوا يتبركون به وبخياطته.

وأدرك الثمر، فاحتاج أبو عبد الله محمد بن عمر بن شهاب العدوى - وكان أحد وجوه الكوفة ومن أهل العلم والفضل - إلى عمل ثمره، فوُصف له الحسين الأهوازى، فنصَّبه لحفظ ثمره، والقيام فى حظيرته، فأحسن حفظها، واحتاط فى أداء الأمانة، وظهر منه من التشدد فى ذلك ما خرج به عن أحوال الناس فى تساهلهم فى كثير من الأمور، وذلك فى سنة أربع وستين ومائتين.

واستحكمت ثقةُ الناس به، وثقته هو بحمدان قرمط، وسكونه إليه، فأظهر له أمره، وكان مما دعا إليه أنه جاء بكتاب فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم: يقول الفرج بن عثمان إنه داعية المسيح، وهو عيسى، وهو الكلمة، وهو المهدى، وهو أحمد بن محمد بن الحنفية؛ وهو جبريل؛ وأن المسيح تصور فى جسم إنسان، وقال: إنك الداعية، وإنك الحجة، وإنك الناقة، وإنك الدابة، وإنك يحيى بن زكريا، وإنك روح القدس؛ وعرَّفه أن الصلاة أربع ركعات: ركعتان قبل طلوع الشمس، وركعتان قبل غروبها، وأن الأذان فى كل صلاة أن يقول المؤذن: «الله أكبر.. ثلاث مرات. أشهد ألا إله إلا الله.. مرتين. أشهد أن آدم رسول الله. أشهد أن نوحا رسول الله. أشهد أن إبراهيم رسول الله. أشهد أن موسى رسول الله. أشهد أن عيسى رسول الله. أشهد أن محمدًا رسول الله. أشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله». والقراءة فى الصلاة: «الحمد لله بكلمته، وتعالى باسمه، المنجد لأوليائه بأوليائه، قل إن الأهلة مواقيت للناس ظاهرها ليعلموا عدد السنين والحساب والشهور والأيام، وباطنها لأوليائى الذين عرفوا، عبادى وسيلتى، فاتقونى يا أولى الألباب، وأنا الذى لا أسأل عما أفعل وأنا العليم الحكيم، وأنا الذى أبلو عبادى

وأمتحن خلقى، فمن صبر على بلائى ومحنتى واختبارى أدخلته فى جنتى، وأخلدته فى نعيمى، ومن زال عن أمرى، وكذب رسلى أخلدته مُهانًا فى عذابى، وأتممت أجلى، وأظهرت أمرى على ألسنة رسلى، وأنا الذى لم يعلُ جبارٌ إلا وضعتُه، ولا عزيز إلا أذللته، وليس الذى أصر على أمره، وداوم على جهالته، وقال: إن نبرح عليه عاكفين وبه موقنين، أولئك هم الكافرون». ثم يركع.

ومن شرائعه: صيام يومين فى السنة هما: المهرجان[1]، والنوروز[2]. وأن الخمر حلال. ولا غُسْلَ من جَنَابة، ولكن الوضوء كوضوء الصلاة. وأن لا يؤكل ما له ناب ولا مخلب. ولايُشرب النبيذ. وأن القِبْلَة إلى بيت المقدس، والحجَّ إليه. وأن الجمعةَ يوم الاثنين لا يُعمل فيه شغل.

ولما حضرته الوفاة جعل مكانه حَمْدان بن الأشْعَث قَرْمَط، وأخذ على أكثر أهل السواد، وكان ذكيا داهية.

فكان ممن أجابه: مِهْرَوَيْه بن زَكْرَوَيْه السَّلْمانى، وجَلَنْدى الرَّازى، وعِكْرِمَة البابلى، وإسحاق السورانى، وعُطَيْف النِيلى، وغيرهم، وبثَّ دعاته فى السواد يأخذون على الناس.

وكان أكبر دعاته عَبْدان، وكان فطنًا خبيثًا، خارجا عن طبقة نظرائه من أهل السواد، ذا فَهْمٍ وحِذْق، وكان يعمل عند نفسه على نصب له من غير أن يتجاوز به إلى غيره، ولا يظهر غير التشيع والعلم، ويدعو إلى الإهام من آل رسول الله - ﷺ - محمد بن إسماعيل بن جعفر.

فكان أحد من تبع عَبْدان زَكْرَوْيه بن مِهْرَوَيْه، وكان شابًا ذكيًا فطنًا من قرية بسواد الكوفة على نهر «هد» فنصَّبه عَبْدان على إقليم نهر «هد» وما والاه، وَمِنْ قِبَلِهِ جماعةٌ دعاة متفرقون فى عَمَلِهِ.

وكان داعيةُ عَبْدان على فرات بادقلى: الحسنَ بن أَيْمَن، وداعيتُه على طَسُّوج تُسْتَر: المعروف بالبورانى - وإليه نُسب البورانية، وداعيته على جهة أخرى: المعروف بوليد، وفى أخرى: أبو الفوارس، وهؤلاء رؤساء دعاة عَبْدان، ولهم دعاة تحت أيديهم، فكان كلُّ داعٍ يدور فى عمله ويتعاهده فى كلِّ شهرٍ مرة، وكل ذلك بسواد الكوفة.

ودخل فى دعوته من العرب طائفة، فنصب فيهم دعاة، فلم يتخلف عنه رفاعى ولا

---

(١) كان المهرجان من أعياد الفرس القديمة وقد عرفه الخفاجى فى شفاء الغليل. ص ٢٠٦.

(٢) النوروز: ويقال النيروز لفظ فارسى مصرى ومعناه اليوم الجديد وكان الفرس يتخذونه عيدًا. انظر: الخطط ٢/٣٨٩ - ٣٩١.

ضبعى، ولم يبقَ من البطون المتصلة بسواد الكوفة بَطْن إلا دخل فى الدعوة منه ناس كثير أو قليل: من بنى عابس، وذهل، وعنزة، وتيم الله، وبنى ثعل، وغيرهم من بنى شيبان؛ فقوى قَرْمَط، وزاد طمعه، فأخذ فى جمع الأموال من قومه:

فابتدأ يفرض عليهم أن يؤدوا درهما عن كل واحد، وسمى ذلك: «الفُطْرَة»، على كل أحد من الرجال والنساء، فسارعوا إلى ذلك.

فتركهم مُدَيْدَة، ثم فَرَضَ «الهِجْرَة» وهو دينار على كلّ رأس أَدْرَكَ، وتلا قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوَاتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١).

وقال: «هذا تأويل هذا».

فدفعوا ذلك إليه، وتعاونوا عليه، فمن كان فقيرا أسعفوه.

فتركهم مُدَيْدَة، ثم فرض عليهم «البُلْغَة» وهى سبعة دنانير، وزعم أن ذلك هو البرهان الذى أراد الله بقوله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(٢).

وزعم أن ذلك بلاغ من يريد الإيمان، والدخول فى السابقين المذكورين فى قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾(٣).

وصنع طعامًا طيبًا حلوًا لذيذًا، وجعله على قدر البنادق، يُطعم كل من أَدَّى إليه سبعة دنانير منها واحدة، وزعم أنه طعام أهل الجنة نزل إلى الإمام، فكان يُنفذ إلى كلّ داعٍ منها مائة بُلْغَة، ويطالبه بسبعمائة دينار، لكل واحدة منها سبعة دنانير.

فلما توطّأ له الأمر فرض عليهم أَخماس ما يملكون وما يتكسبون، وتلا عليهم: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ (٤) الآية، فقوَّموا جميع ما يملكونه من ثوب وغيره وأَدَّوْا ذلك إليه، فكانت المرأة تُخرج خُمُس ما تغزل، والرجل يُخرج خُمسَ ما يكسبه.

فلما تمَّ ذلك فرض عليهم الأُلْفَة، وهو أن يجمعوا أموالهم فى موضع واحد، وأن يكونوا فيه أسوة واحدة لا يفضل أحدٌ منهم صاحبَه وأخاه فى مِلْكٍ يملكه، وتلا عليهم: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ

(١) سورة التوبة الآية ١٠٣.
(٢) سورة البقرة الآية ١١١.
(٣) سورة الواقعة الآية ١٠، ١١.
(٤) سورة الأنفال الآية ٤١.

Marfat.com

بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (١) الآية، وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٢).

وعرَّفهم أنه لا حاجة بهم إلى أموال تكون معهم، لأن الأرض بأسرها ستكون لهم دون غيرهم، وقال: «هذه محنتكم التى امتُحنتم بها ليعلم كيف تعملون».

وطالبهم بشراء السلاح وإعداده. وذلك كله فى سنة ست وسبعين ومائتين.

وأقام الدعاةَ فى كل قرية: رجلا مختارا من ثقاتها يجمع عنده أموال أهل قريته من بقر وغنم وحلى ومتاع وغيره، وكان يكسو عاريهم، وينفق على سائرهم ما يكفيهم، ولا يدع فقيرا بينهم ولا محتاجا ولا ضعيفا، وأخذ كل رجل منهم بالانكماش فى صناعته والكسب بجهده، ليكون له الفضل فى رتبته، وجمعت المرأة كسبها من مغزلها، والصبى أجرة نظارته للطير، وأتوه به، فلم يتملك أحد منهم إلا سيفه وسلاحه.

فلما استقام له ذلك أمر الدعاة أن يجمعوا النساء ليلةً معروفة، ويختلطن بالرجال، ويتراكبن ولا يتنافرن، فإن ذلك من صحة الود والألفة بينهم.

فلما تمكن من أمورهم، ووثق بطاعتهم، وتبيَّن مقدار عقولهم، أخذ فى تدريجهم، وأتاهم بحجج من مذهب الثنوية، فسلكوا معه فى ذلك حتى يقضى ما كان يأمرهم به فى مبدأ أمرهم من الخشوع والورع والتقوى، وظهر منهم بعد تدين كثير إباحة الأموال والفروج، والغناء عن الصوم والصلاة والفرائض، وأخبرهم أن ذلك كله موضوع عنهم، وأن أموال المخالفين ودماءهم حلال لهم، وأن معرفة صاحب الحق تغنى عن كل شىء، ولا يخاف معه إثم ولا عذاب - يعنى إمامه الذى يدعو إليه، وهو محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق(٣) - وأنه الإمام المهدى الذى يظهر فى آخر الزمان ويقيم الحق، وأن البيعة له، وأن الداعى إنما يأخذها على الناس له، وأن ما يجمع من الأموال مخزون له إلى أن يظهر، وأنه حى لم يمت، وأنه يظهر فى آخر الزمان، وأنه مهدى الأمة.

فلما أظهر هذه الأمور كلها بعد تعلقه بذكر الأئمة والرسل والحُجَّة والإمام، وأنه المعول والمقصد والمراد، وبه اتسقت هذه الأمور، ولولا هذه لهلك الخلق وعدم الهدى والعلم، ظهر فى كثير منهم الفجور، وبسط بعضُهم أيديهم بسفك الدماء، وقتلوا جماعة

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٣.

(٢) سورة الأنفال الآية ٦٣.

(٣) محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق الحسينى الطالبى الهاشمى: إمام عند القرامطة. ترى الطائفة الإسماعيلية أنه قام بالإمامة بعد وفاة أبيه. انظر: مفرج الكروب ٢٠٧/١، وفرق الشيعة ٧١و٧٣، ومنهاج السنة ٢٨/١، والأعلام ٣٤/٦.

Marfat.com

ممن خالفهم، فخافهم الناس واستوحشوا من ظهور السلاح بينهم، فأظهر موافقتَهم كثيرٌ من مجاوريهم؛ جزعًا منهم.

ثم إن الدعاة اجتمعوا واتفقوا على أن يجعلوا لهم موضعًا يكون وطنًا ودارَ هجرةٍ يهاجرون إليها، ويجتمعون بها، فاختاروا من سواد الكوفة - فى طَسُّوج الفرات من ضياع السلطان المعروفة بالقاسميات - قريةً تُعرف «بمَهَتْماباد»، فحاذوا إليها صخرا عظيما، ثم بنوا حولها سورا منيعا عرضه ثمانى أَذرع، ومن ورائه خندق عظيم، وفرغوا من ذلك فى أَسرع وقت، وبنوا فيها البناءَ العظيم، وانتقل إليها الرجال والنساء من كل مكان، وسُميت «دار الهجرة»، وذلك فى سنة سبع وتسعين ومائتين، فلم يبقَ حينئذ أَحدٌ إلا خافهم، ولا بقى أَحد يخافونه لقوتهم وتمكنهم فى البلاد.

وكان الذى أَعانهم على ذلك تشاغل الخليفة بفتنة الخوارج، وصاحب الزَّنْج بالبصرة[1]، وقصر يد السلطان، وخراب العراق، وتركه لتدبيره، وركوب الأعراب واللصوص بعد السبعين ومائتين بالقَفْر، وتلاف الرجال، وفساد البلدان، فتمكّن هؤلاء، وبسطوا أَيديهم فى البلاد، وعلت كلمتهم.

وكان منهم مِهْرَوَيْه أَحد الدعاة فى مبدأ أَمره يَنْظُرُ النخل ويأخذ أجرته تمرا فيفرغ منه النوى ويتصدق به، ويبيع النوى ويتقوت به، فعظم فى أَعين الناس قدرُه، وصارت له مرتبة فى الثقة والدين، فصار إلى صاحب الزَّنْج لما ظهر على السلطان وقال له: «ورائى مائةُ أَلف ضارب سيف أَعينك بهم».

فلم يلتفت إلى قوله، ولم يجد فيه مطمعا، فرجع وعظم بعد ذلك فى السواد، وانقاد إليه خلق كثير، فادعى أَنه من ولد عبد الله بن محمد بن إِسماعيل بن جعفر، فقيل له: «لم يكن لمحمد بن إِسماعيل ابن يقال له عبد الله».

فكفَّ عن هذه الدعوى، وصار بعد ذلك فى قبة على جمل، ودُعى بالسيد، وظهر بسواد الكوفة، وسيأتى ذكر ابنه زَكْرَويه، وابن ابنه الحسين بن زَكْرَويه إن شاءَ الله.

وكان رجلٌ من أَهل قرية جَنّابَة[2] يعمل الفراءَ، يقال له أَبو سعيد الحسن بن بَهْرام

---

(١) البصرة: بالعراق، كانت قبة الإسلام، ومقر أهله، بنيت فى خلافة عمر رضى الله عنه سنة أربع عشرة واختط عتبة بن غزوان المنازل بها وبنى مسجدًا من قصب، ويقال بل كان ذلك سنة سبع عشرة. وعتبة أول من اختطها ونزلها فى ثمانمائة رحل وهو الذى فتح الأبلة. وبالبصرة خطب عتبة بن غزوان خطبته المشهورة وهى ثابتة فى صحيح مسلم. انظر: الروض المعطار ١٠٥، ١٠٨، ومعجم البلدان ١/٢٢٢.

(٢) جَنّابَةُ: بالفتح ثم التشديد، وألف، وباء موحدة: بلدة صغيرة من سواحل فارس.

Marfat.com

الجَنَابى(١)، أصله من الفرس، سافر إلى سواد الكوفة، وتزوج من قوم يقال لهم: «بنو القصَّار» كانوا من أصول هذه الدعوة، فأخذ عن عَبْدان، وقيل بل أخذ عن حَمْدان قَرْمَط، وسار داعيةً، فنزل القَطِيف(٢) - وهى حينئذ مدينة عظيمة - فجلس بها يبيع الرقيق، فلزم الوفاءَ والصدق، وكان أول من أجابه الحسين بن سُنْبُر، وعلى بن سُنْبُر، وحَمْدان بن سُنْبُر، فى قوم ضعفاءَ، ما بين قصَّاب وحمَّال وأمثال ذلك، فبلغه أن بناحيته داعيا يقال له أبو زكريا، أنفذه عَبْدان قبل أبى سعيد وكان قد أخذ على بنى سنبر من قبل، فعظم أمره على أبى سعيد وقبض عليه وقتله، فحقد عليه بنو سنبر قَتْلَه.

واتفق أن البلد كان واسعًا، ولأهله عادة بالحروب، وهم رجال شِدَادٌ جُهَّال، فظفر أبو سعيد باشتهار دعوته فى تلك الديار، فقاتل بمن أطاعه مَنْ عصاه، حتى اشتدَّتْ شوكتُه.

وكان لا يظفر بقريةٍ إلا قتل أهلها ونهبها، فهابه الناس، وأجابه كثير منهم، وفرَّ منه خلق كثير إلى بلدان شتى خوفًا من شرِّه، ولم يمتنع عليه إلا هَجَر - وهى مدينة البحرين(٣) ومنزل سلطانها، وبها التجار والوجوه - فنازلها شهورا يقاتل أهلها، ثم وكل بها رجلا.

وارتفع فنزل الأحْسَاءَ - وبينها وبين هَجَر ميلان - فابتنى بها دارا، وجعلها منزلا، وتقدم فى زراعة الأرض وعمارتها، وكان يركب إلى هَجَر، ويحارب أهلها، ويعقب قومه على حصارها.

ودعا العرب فأجابه بنو الأضبط من كلاب، وسأروا إليه بحرمهم وأموالهم، فأنزلهم

---

(١) اختلف فى أبى سعيد الجنابى فقال قوم: اسمه الحسن بن على بن محمد بن عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب وأنه صاحب الزنج القائم بالبصرة بعد سنة خمسين ومائتين.

(٢) القَطِيفُ: بفتح أوله، وكسر ثانيه، فعيل من القَطْف وهو القطع للعنب ونحوه، كلّ شىء تَقْطفه عن شىء فقد قطعته، والقطف الخَنْش: وهى مدينة بالبحرين هى اليوم قصبتها وأعظم مُدُنها وكان قديمًا اسمًا لكورة هناك غلب عليها الآن اسم هذه المدينة، وقال الحفصى: القطيف قرية لجذيمة عبد القيس. انظر: الروض المعطار ٤٦٥، ومعجم البلدان (القطيف).

(٣) البَحْرين: هكذا يتلفظ بها فى حال الرفع والنصب والجر، ولم يُسمعْ على لفظ المرفوع من أحد منهم، إلاّ أن الزمخشرى قد حكى أنه بلفظ التثنية فيقولون: هذه البحران وانتهينا إلى البحريَن، ولم يبلُغنى من جهة أخرى. وقال صاحب الزيج: البحرَين فى الإقليم الثانى، وقال قوم: هى من الإقليم الثالث وهو اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعُمان، قيل: هى قصبَةُ هَجَرَ، وقيل: هَجَرُ قصبة البحرين وقد عَدّها قوم من اليمن وجعلها آخرون قصبةً برأسها. وفيها عيون مياه وبلاد واسعة، وربما عدّ بعضهم اليمامة من أعمالها والصحيح أن اليمامة عَمَلٌ برأسه فى وسط الطريق بين مكة والبحرين. انظر: معجم البلدان ١/٣٤٦ - ٣٤٩.

Marfat.com

الأحساءَ، وأطمعوه فى بنى كلاب، وسائر من يقرب منه من العرب فضم إليهم رجالا، وساروا فأكثروا من القتل، وأقبلوا بالحريم والأموال والأمتعة إلى الأحساء، فدخل الناس فى طاعته، فوجَّه جيشًا إلى بنى عقيل فظفر بهم، ودخلوا فى طاعته.

فلما اجتمع إليه العرب منّاهم مُلْكَ الأرض كلها، وردَّ إلى من أجابه من العرب ما كان قد أخذ منهم من أهل وولد، ولم يرد عبدًا ولا أمَة ولا إبلا ولا صبيا إلا أن يكون دون الأربع سنين.

وجمع الصبيان فى دور وأقام عليهم قومًا، وأجرى عليهم ما يحتاجون إليه، ووَسَمَهم لئلا يختلطوا بغيرهم، ونصب لهم عرفاءَ، وأخذ يعلمهم ركوب الخيل والطعان، فنشأوا لا يعرفون غير الحرب، وقد صارت دعوتُه طبعًا لهم. وقبض كلَّ مال فى البلد، والثمار، والحنطة، والشعير. وأقام رعاةً للإبل والغنم، ومعهم قوم لحفظها، والتنقل معها على نوب معروفة. وأجرى على أصحابه جرايات فلم يكن يصل لأحد غير ما يطعمه.

هذا وهو لا يغفل عن هَجَر، وطال حصاره لهم على نيف وعشرين شهرًا حتى أكلوا الكلاب، فجمع أصحابه، وعمل دبابات، ومشى بها الرجال إلى السور، فاقتتلوا يومهم، وكثر بينهم القتلى، ثم انصرف عنهم إلى الأحساء، وباكرهم فناوشوه، فانصرف إلى قرب الأحساء، ثم عاد فى خيل، فدار حول هجر يفكر فيما يكيدهم به، فإذا لهجر عين عظيمة كثيرة الماء، تخرج من نشز من الأرض غير بعيد منها، فيجتمع ماؤها فى نهر يستقيم حتى يمر بجانب هجر، ثم ينزل إلى النخل فيسقيه، فكانوا لا يفقدون الماء فى حصارهم.

فلما تبيَّن له أمر العين انصرف إلى الأحساء، ثم غدا فأوقف على باب المدينة رجالا كثيرا، ورجع إلى الأحساء، وجمع الناس كلهم، وسار فى آخر الليل فورد العين بكرة بالمعاول والرمل وأوقار الثياب الخلقان ووبر وصوف، وأمر بجمع الحجارة ونقلها إلى العين، وأعدَّ الرمل والحصى والتراب، ثم أمر بطرح الوبر والصوف وأوقار الثياب فى العين، وطرح فوقها الرمل والحصى والتراب والحجارة، فقذفته العين، ولم يغن ما فعله شيئًا فانصرف إلى الأحساء بمن معه.

وغدا فى خيل فضرب البر حتى عرف أن منتهى العين بساحل البحر، وأنها تنخفض كلما نزلت، فردَّ جميع من كان معه، وانحدر على النهر نحوًا من ميلين، ثم أمر بحفر نهر هناك، وأقبل يركب هو وجمعه فى كل يوم والعمال يعملون حتى حفره إلى السباخ، ومضى الماء كله فصبَّ فى البحر ثم سار فنزل على هجر - وقد انقطع الماء

Marfat.com

عنهم - ففر بعضهم فركب البحر، ودخل بعضهم فى دعوته، وخرجوا إليه فنقلهم إلى الأحساء وبقيت طائفة لم يفرُّوا لعجزهم، ولم يدخلوا فى دعوته فقتلهم، وأخذ ما فى المدينة، وأخربها فبقيت خرابًا، وصارت مدينة البحرين هى الأحساء.

ثم أنفذ سَرِيَّةً إلى عُمان فى ستمائة، وأردفهم بستمائة أخرى، فقاتلهم أهلُ عُمان حتى تفانوا، وبقى من أهل عُمان خمسة نفر، ومن القرامطة ستة نفر، فلحقوا بأبى سعيد، فأمر بهم فقتلوا، وقال: «هؤلاء خاسوا بعهدى ولم يواسوا أصحابهم الذين قُتلوا».

وتطيَّر بهلاك السرية، وكفَّ عن أهل عُمان.

واتصل بالمعتضد[1] بالله خبرُه، فخاف منه على البصرة، فأنفذ العباسَ بن عمرو الغَنَوى فى ألفى رجل، وولاّه البحرين، فخرج فى سنة تسع وثمانين ومائتين والتقى مع أبى سعيد، فانهزم أصحابه، وأُسر العباس فى نحو من سبعمائة رجل من أصحابه، واحتووا على عسكره، وقتل من غده جميع الأسرى، ثم أحرقهم وترك العباس، ومضى المنهزمون فتاه أكثرهم فى البر، وتلف كثير منهم عطشًا، وورد بعضهم إلى البصرة، فارتاع الناس وأخذوا فى الرحيل عن البصرة.

ثم لما كان بعد الوقعة بأيام أحضر أبو سعيد العباس بن عمرو وقال له:

«أتحب أن أطلقك؟» قال: «نعم». قال: «على أنْ تُبَلِّغَ عنى ما أقول صاحبَك». قال: «أفعل». قال: «تقول له: الذى أنزل بجيشك ما أنزل بغيك، هذا بلدٌ خارج عن يدك، غلبت عليه، وقمت به، وكان بى من الفضل ما آخذ به غيره، فما عرضت لما كان فى يدك، ولا هممت به، ولا أخفت لك سبيلا، ولا نلتُ أحدًا من رعيتك بسوء؛ فتوجيهك إلىّ الجيوش لأى سبب؟ اعلم أنى لا أخرج عن هذا البلد، ولا توصل إليه وفى هذه العصابة التى معى روح، فأكفنى نفسك، ولا تتعرض لما ليس لك فيه فائدة، ولا

---

(١) أحمد بن طلحة بن جعفر، أبو العباس المعتضد بالله بن الموفق بالله بن المتوكل: خليفة عباسى، ولد ونشأ ومات فى بغداد. كان عون أبيه فى حياته أيام خلافة المعتضد، وأظهر بسالة ودراية فى حروبه مع الزنج والأعراب وهو فى سن الشباب، وبويع له بالخلافة بعد وفاة عمه المعتمد (سنة ٢٧٩هـ.) فحل عن بنى العباس عقدة المتغلبين وظهر بمظهر الخلفاء العاملين، ثم جعل يتوجه بنفسه إلى أصحاب الشغب فى البلاد فيقمع ثائرتهم، وجعل أمراء الجند مسئولين عن أعمال أتباعهم وكان شجاعًا. انظر: النجوم الزاهرة ١٢٨/٣، وشذرات الذهب ١٩٩/٢، وفوات الوفيات ٤٥/١، وابن الأثير ١٤٧/٧- ١٦٩، والطبرى ٣٧٣/١١ وما قبلها، وتاريخ الخميس ٣٤٣/٢، والأعلام ١٤٠/١.

تصل إلى مرادك منه إلا ببلوغ القلوب الحناجر».

وأطلقه، وبعث معه من يرده إلى مأمنه، فوصل إلى بغداد فى شهر رمضان، وقد كان الناس يعظمون أمره ويكثرون ذكره، ويسمونه «قائد الشهداء»، فلما وصل إلى المعتضد عاتبه على تركه التحرز فاعتذر، ولم يبرح حتى رضى عنه.

وسأله عن خبره، فعرَّفه جميعه، وبلّغه ما قال القَرْمَطى، فقال: «صدق، ما أخذ شيئًا كان فى أيدينا».

وأطرق مفكرا، ثم رفع رأسه وقال: «كذب عدو الله الكافر، المسلمون رعيتى حيث كانوا من بلاد الله، والله لئن طال بى عمرى لأشخصن بنفسى إلى البصرة وجميع غلمانى، ولأوجهن إليه جيشًا كثيفا، فإن هزمه وجهت جيشا، فإن هزمه خرجت فى جميع قوادى وجيشى إليه حتى يحكم الله بينى وبينه».

فشغل المعتضد عن القَرْمَطِى بأمر وصيف غلام أبى الساج.

ثم توفى فى ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين، ولا يزال يذكر أبا سعيد الجنابى فى مرضه، ويتلهف ويقول: «حسرة فى نفسى كنت أحب أن أبلغها قبل موتى، والله لقد كنت وضعت عند نفسى أن أركب ثم أخرج نحو البحرين، ثم لا ألقى أحدا أطول من سيفى إلا ضربتُ عنقَه، وإنى أخاف أن يكون من هناك حوادث عظيمة».

وأقبل أبو سعيد - بعد إطلاق العباس - على جمع الخيل، وإعداد السلاح، ونسج الدروع والمغافر، واتخاذ الإبل، وإصلاح الرجال، وضرب السيوف والأسنة، واتخاذ الروايا والمزاد والقرب، وتعليم الصبيان الفروسية، وطرد الأعراب من قريته، وسدَّ الوجوه التى يتعرف منها أمر بلده وأحواله بالرجال، وإصلاح أراضى المزارع وأصول النخل، وإصلاح مثل هذه الأمور وتفقدها، ونصب الأمناء على ذلك، وأقام العرفاء على الرجال، واحتاط على ذلك كله، حتى بلغ من تفقده أن الشاة إذا ذبحت يتسلم العرفاء اللحم ليفرقوه على من ترسم لهم، ويدفع الرأس والأكارع والبطن إلى العبيد والإماء، ويجز الصوف والشعر من الغنم ويفرقه على من يغزله، ثم يدفعه إلى من ينسجه عبيا وأكسية وغرائر وجوالقات، ويفتل منه حبال، ويسلم الجلد إلى الدباغ، ثم إلى خَرَّازى القرب والروايا، والمزاد، وما كان من الجلود يصلح نعالا وخفا فأعمل منه، ثم يجمع ذلك كله إلى خزائن.

فكان ذلك دأبه لا يغفله، ويوجه كلَّ قليل خيلا إلى ناحية البصرة، فتأخذ من وجدت، وتصير بهم إليه ويستعبدهم، فزادت بلاده، وعظمت هيبته فى صدور الناس.

وواقع بنى ضبة وقائع مشهورة فظفر بهم، وأخذ منهم خلقا، وبنى لهم حبسا عظيما

Marfat.com

جمعهم فيه، وسدَّه عليهم، ومنعهم الطعام والشراب، فصاحوا فلم يغثهم، فمكثوا على ذلك شهرا، ثم فتح عليهم فوجد أكثرهم موتى، ويسيرا بحال الموتى وقد تغذوا بلحوم الموتى، فحصاهم وخلاهم فمات أكثرهم.

وكان قد أخذ من عسكر العباس خادما له جعله على طعامه وشرابه، فمكث مدة طويلة لا يرى أبا سعيد فيها مصليا صلاةً واحدة، ولا يصوم فى شهر رمضان ولا فى غيره، فأضمر الخادمُ قتله، حتى إذا دخل الحمام معه - وكانت الحمام فى داره - فأعدَّ الخادمُ خنجرا ماضيا - والحمام خالٍ - فلما تمكن منه ذبحه، ثم خرج فقال: «يدعى فلان»، لبعض بنى سُنبُر فأُحضر، فلمّا دخل قبضه وذبحه، فلم يزل ذلك دأبه حتى قتل جماعةً من الرؤساء والوجوه، فدخل آخرهم فإذا فى البيت الأول دمٌ جار، فارتاب وخرج مبادرا، وأعلم الناس، فحصروا الخادم حتى دخلوه، فوجدوا الجماعة صرعى، وذلك فى سنة إحدى وثلاثمائة، وقيل اثنتين وثلاثمائة، وكان قتله بأحساء من البحرين.

وكانت سِنّه يوم قتله نيفا وستين سنة.

وترك أبو سعيد من الأولاد: أبا القاسم سعيدا وأبا طاهر سليمان وأبا منصور أحمد وأبا إسحاق إبراهيم وأبا العباس محمدا وأبا يعقوب يوسف. وكان أبو سعيد قد جمع رؤساء دولته، وأوصى إن حدث به موت يكون القيم بأمرهم سعيد ابنه إلى أن يكبر أبو طاهر، وكان أبو طاهر أصغر سنا من سعيد، فإذا كبر أبو طاهر كان المدبر؛ فلما قُتل جرى الأمر على ذلك.

وكان قد قال لهم سيكون الفتوح له، فجلس سعيد يدبر الأمر بعد قتل أبيه، وأمر فشُدَّ الخادم بحبال، وقرض لحمه بالمقاريض حتى مات؛ فلما كان فى سنة خمس وثلاثمائة سلّم سعيد إلى أخيه أبى طاهر سليمان الأمر، فعظموا أمره.

وكان ابتداءُ أمر أبى سعيد الحسن بن بهرام الجنابى بالقطيف وما والاها فى سنة ست وثمانين ومائتين؛ فكانت مدته نحو خمس عشرة سنة.

الصنادقى

وفيها: استولى النجار أبو القاسم الحسن بن فرج الصناديقى على اليمن، وكانت جيوشه بالمُذَيْخِرَة(١) وسَهْفَنَة(٢)، وكان ابن أبى الفوارس - أحد دعاة عَبْدان - قد أنفذه

---

(١) المُذَيْخِرَةُ: بالخاء معجمة، والراء: وهو اسم قلعة حصينة فى رأس جبل صَبِر وفيها عين فى رأس الجبل يصير منها نهر يسقى عدّة قرى باليمن، وهى قريبة من عدن يسكنها آل ذى مناخ، وبها كان منزل أبى جعفر المناخى من حمير، قال عمارة بن أبى الحسن: المذيخرة من أعمال صنعاء وهو جبل بلغنى أن أعلاه نحو عشرين فرسخًا فيه المزارع والمياه ونبت الوَرْس وفى شفيره الزعفران ولا يُسلك إلا من طريق واحد، وهو فى مخلاف السَّحول. انظر: معجم البلدان

Marfat.com

داعيا إلى اليمن، وكان من أهل النَرْس(١) - موضع يعمل فيه الثياب النرسى، وكان يعمل من الكتان - فصار إلى اليمن، ودخل فى دعوته خلق كثير، فأظهر العظائم وقتل الأطفال، وسبا النساء، وتسمَّى برب العِزَّة، وكان يُكاتَب بذلك، وأعلن سبَّ النبى - ﷺ - وسائر الأنبياء، واتخذ دارا خاصة سماها «دار الصَفْوَة» يجتمع فيها النساء ويأمر الرجال بمخالطتهن ووطئهن، ويحفظ من تحبل منهن فى تلك الليلة ومن تلد من ذلك، ويتخذ تلك الأولاد لنفسه خَوَلاً، ويسميهم «أولاد الصَفْوَة».

قال بعضهم: «دخلت إليها لأنظر فسمعتُ امرأة تقول: «يا بنى»، فقال: يا أَمَه نريد أن نُمضى أَمْرَ وَلِى الله فينا».

وكان يقول: «إذا فعلتم هذا لم يتميز مالٌ من مال، ولا ولدٌ من ولد، فتكونوا كنَفْسٍ واحدة».

فعظمت فتنتُه باليمن، وأَجْلَى أَكثرَ أهله عنه، وأجلى السلطان، وقاتل أبا القاسم محمدا بن يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الحسنى الهادى (٢) وأزاله عن عَمَلِهِ من صعْدة(٣) ففرَّ منه بعياله إلى الرس(٤)، ثم أظفره الله به فهزمه بأمر إلهى، وهو أن الله

(المذيخرة).

(٢) سَهْفَنَة: بلدة باليمن. انظر: معجم البلدان (سهفنة) وطبقات فقهاء اليمن، نشر فؤاد السيد ص ٣١٨.

(١) نَرْسُ: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وآخره سين مهملة: وهو نهر حفره نَرْسى بن بَهرام بن بهرام ابن بهرام بنواحى الكوفة مأخذه من الفرات عليه عدة قُرى قد نسب إليها قوم والثياب النرسية منه، وقيل: نرْسُ قرية كان ينزلها الضّحاك بيوراسب ببابل وهذا النهر منسوب إليها ويسمّى بها. وقال صاحب تاج العروس نرس - بالفتح ثم السكون - بلدة بالعراق، ومنها الثياب النرسية. انظر: تاج العروس.

(٢) محمد بن يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم العلوى الطالبى، الملقب بالمرتضى: إمام زيدى فقيه عالم بالأصول. من أهل صعدة فى اليمن وهو ابن الهادى صاحب الوقائع مع القرامطة ورئيسهم على بن الفضل. انتصب الأمر بعد وفاة أبيه، وله كتب منها الإيضاح والنوازل. انظر: الكامل لابن الأثير ٢١١٨، ٢٢، المختصر لأبى الفداء ٦٦/٢، وتاريخ ابن الوردى ٢٥٣/١، والأعلام ١٢٥/٧.

(٣) صَعْدَةُ: بالفتح ثمّ السكون، بلفظ صَعَدْتُ صعدةً واحدة، والصعد: القناة المستوية تنبت كذلك لا تحتاج إلى تثقيف، وبنات صَعدة: حُمرُ الوحش. وصعدة: مخلاف باليمن بينه وبين صنعاء ستون فرسخًا وبينه وبين خَيْوان ستة عشر فرسخًا، قال الحسن بن محمد المهلبى: صعدة مدينة عامرة آهلة يقصدها التجار من كل بلد، وبها مدابغ الأدم وجلود البقر التى للنعال، وهى خصبة كثيرة الخير، وهى فى الإقليم الثانى، ومنها إلى الأعشبية قرية عامرة خمسة وعشرون ميلاً،-

جلّت قدرته أُلقى على عسكره وقد بايته بَرَدًا وثلجا قُتل به أكثرُ أصحابه فى ليلة واحدة، وقلّما عُرف مثل ذلك فى تلك الناحية.

وسلّط الله عليه الأَكِلَة، وذلك أن القاسم أنفذ إليه طبيبًا بمبضع مسموم فصده به فقتله؛ وأنزل الله بالبلدان التى غلب عليها بَثْرًا يخرج فى كتف الرجل منهم بَثْرَةٌ فيموت سريعا، فسمى ذلك البَثْرُ - بتلك البلاد - «حَبَّةَ القَرْمَطى» مدّة من الزمان.

وأخرب الله أكثر تلك البلاد التى ملكها، وأفنى أهلها بموت ذريع، فاعتصم ابنُه بجبال وأقام بها، وكاتب أهلَ دعوتهم، وعَنْوَن كُتُبَهُ: «من ابن ربِّ العِزَّة».

فأهلكه الله، وبقى منهم بقية، فاستأمنوا إلى القاسم بن أحمد الهادى، ولم يبق للنجار- لعنه الله - ولا لمن كان على دعوته بقية.

وكان قَرْمَط يكاتب مَنْ بسَلَمِيَة، فلما مات من كان فى وقته، وخلفه ابنُه من بعده كتب إلى قَرْمَط فأنكر منه أشياء، فاستراب وبعث ابن مليح - أحد دعاته - ليعرف الخبر فامتنع، فأنفذ عبدان، وعرف موت الذى كانوا يكاتبونه، فسأل ابنه عن الحُجَّة، ومَن الإمامُ الذى يدعو إليه، فقال الابن: «ومن الإمام؟». فقال عبدان: «محمد بن إسماعيل بن جعفر صاحب الزمان». فأنكر ذلك وقال: «لم يكن إمام غير أبى، وأنا أقوم مقامه».

فرجع عبدان إلى قَرْمَط؛ وعرَّفه الخبر، فجمع الدعاة وأمرهم بقطع الدعوة حنقا من قول صاحب سَلَمِيَة: «لا حق لمحمد بن إسماعيل فى هذا الأمر ولا إمامة».

-ومنها إلى خَيوان أربعة وعشرون ميلاً

وصَعدة أيضًا: ماء حَوف العلمين علمى بنى سَلول قريب من مُخَمَّر، وهو ماء اليوم فى أيدى عمرو بن كلاب فى حوف الضَّمْر، ومُحَمَّير: ماء فُوَيقه لبنى ربيعة بن عبد الله. انظر: الروض المعطار ٣٦٠، ٣٦١، ونزهة المشتاق ٢٠، وصبح الأعشى ٥/٤١، والهمدانى ٦٧، وتقويم البلدان ٩٥، ومعجم البلدان ٣/٤٠٦ - ٤٠٧، معجم ما استعجم.

(٤) الرَّس: بفتح أوّله، والتشديد: البئر، والرّس: المعدن، والرس: إصلاح ما بين القوم، قال أبو منصور: قال أبو إسحاق الرس فى القرآن بئر يروى أنّهم قوم كذبوا نبيهم ورسّوه فى بئر أى دسّوه فيها، قال: ويروى أن الرس قرية باليمامة يقال لها فلج، وروى أن الرس ديار لطائفة من ثمود وكلّ بئر رَسّ.

وقال ابن دريد: الرّس والرّسَيْس بوزن تصغير الرس واديان بنجد أو موضعان.

وقال الزمخشرى: قال عُلَى الرّس من أودية القبلية، وقال غيره: الرسّ ماء لبنى منقذ بن أعياء من بنى أسد. انظر: الروض المعطار ٢٧٢، ومعجم البلدان ٣/٤٣، ٤٤.

Marfat.com

وكان قَرْمَط إنما يدعو إلى إمامة محمد بن إسماعيل، فلما قطعوها من ديارهم لم يمكنهم قطعها من غير ديارهم، لأنها امتدت فى سائر الأقطار، ومن حينئذ قطع الدعاةُ مكاتبةَ الذين كانوا بسَلَمِيَة.

وكان رجل منهم قد نفذ إلى الطّالِقان يبثُّ الدعوة، فلما انقطعت المكاتبة طال انتظاره، فشخص يسأل عن قَرْمَط، فنزل على عَبْدان بسواد الكوفة، فعتبه وعتب الدعاة فى انقطاع كتبهم، فعرَّفه عبدان قطعهم الدعوة، وأنهم لا يعودون فيها، وأنه تاب من هذه الدعوة حقيقة، فانصرف عنه إلى زكَرْوَيْه بن مهرويه ليدعو كما كان أبوه، ويجمع الرجال، فقال زكَرْوَيْه:

«إن هذا لا يتم مع عَبْدان لأنه داعى البلد كله والدعاة من قبله، والوجه أن نحتال على عَبْدان حتى نقتله». وباطن على ذلك جماعة من قرابته وثقاته، وقال لهم: «إن عبدان قد نافق وعصى وخرج من الملة». فبيتوه ليلا وقتلوه، فشاع ذلك، وطلب الدعاةُ وأصحابُ قَرْمَط زكَرْوَيْه بن مِهْرَوَيْه [1] ليقتلوه فاستتر، وخالفه القوم كلهم إلا أصل دعوته، وتنقل فى القرى وذلك فى سنة ست وثمانين - والقرامطة تطلبه إلى سنة ثمان وثمانين، فأنفذ ابنه الحسن إلى الشام، ومعه من القرامطة رجل يقال له أبو الحسين القاسم بن أحمد، وأمره أن يقصد بنى كلاب، وينتسب إلى محمد بن إسماعيل، ويدعوهم إلى الإمام من ولده، فاستجاب له فخذ من بنى العليص ومواليهم وبايعوه، فبعث إلى زكرويه يخبر بمن استجاب له بالشام، فضم إليه ابن أخيه - فتسمى بالمدثِّر لقبا، وبعبد الله اسما، وتأول أنه المذكور فى القرآن بالمدثِّر ويقال إن المدثر هذا اسمه عيسى بن مهدى، وإنه تسمى عبد الله بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وعهد إليه صاحب الخال من بعده، وغلاما من بنى مهرويه يتلقب بالمطوِّق - وكان سيافا - وكتب إلى ابنه الحسن يعرِّفه أنه ابن الحجة، ويأمره بالسمع والطاعة له، وابن الحجة هذا ادعى أنه محمد بن عبد الله، وقيل: على بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وأنكر قوم هذا النسب، وقالوا: إنما اسمه يحيى بن زكرويه ابن مهرويه، وكنيته أبو القاسم، ويلقب بالشيخ ويعرف بصاحب الناقة، وبصاحب الجمل، وهو أخو صاحب الخال، القائم من بعده، فسار حتى نزل فى بنى كليب، فلقيه

---

(١) زكرويه بن مهرويه القرمطى: من زعماء القرامطة ومتألهيهم. من أهل القطيف، اختفى أربع سنين فى أيام المعتضد العباسى فلم يظفر به ولما مات المعتضد أظهر نفسه، واستهوى طوائف من أهل بادية العراق وبث الدعاة وكان أتباعه يسجدون له ويسمونه السيد والمولى. انظر: عريب ٩- ١٧ اليافعى ٢/٢٢١، ٢٢٢، وشذرات الذهب ٢/٢١٥، والنجوم الزاهرة ٣/١٥٩، والأعلام ٣/٤٥.

الحسن بن زكرويه، وسُرَّ به، وجمع له الجمع، وقال: «هذا صاحب الإمام»، فامتثلوا أمره، وسروا به، فأمرهم بالاستعداد للحرب، وقال: «قد أظلكم النصر»، ففعلوا ذلك.

واتصلت أخبارهم بشبل الدَيْلَمى - مولى المعتضد - فى سنة تسع وثمانين، فقصدهم، فحاربوه وقتلوه فى عدة من أصحابه بالرُّصافة[1] من غربى الفرات، ودخلوها فأحرقوا مسجدها ونهبوا.

وساروا نحو الشام يقتلون ويحرقون القرى وينهبونها إلى أن وردوا أطراف دمشق، وكان عليها طُغْج بن جُف من قِبَل هارون بن خمارويه بن أحمد[2] بن طولون - فبرز إليهم فهزموه وقتل كثير من أصحابه، والتجأ إلى دمشق فحصروه وقاتلوه.

وكان القرمطى يحضر الحرب على ناقة، ويقول لأصحابه: «لا تسيروا من مصافكم حتى تنبعث بين أيديكم، فإذا سارت فاحملوا، فإنه لا تُرَدُّ لكم راية، إذا كانت مأمورة». فسمى بذلك: «صاحب الناقة».

فأقام طُغْج سبعة أشهر محصورا بدمشق، فكتب إلى مصر بأنه محصور وقد قُتل أكثر أصحابه وضرب البلد، فأُنفذ إليه بدر الكبير - غلام ابن طولون المعروف بالحمَّامى - فسار حتى قرب من دمشق، فاجتمع هو وطُغْج على محاربة القَرْمَطى بقرب دمشق، فقتل القرمطى واحتمى أصحابه وانحازوا، فمضوا، وكان القرمطى قد ضرب دراهم ودنانير وكتب عليها: «قل جاءَ الحق وزهق الباطل»؛

وفى الوجه الآخر: «لا إله إلا الله. قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى».

فلما انصرف القرامطة عن دمشق وقد قُتل محمد بن عبد الله «صاحب الناقة» بايعوا الحسن بن زكرويه - وهو الذى يقال له أحمد بن عبد الله، ويقال عبد الله بن أحمد بن

---

(١) الرُّصافة: كثيرة: منها رصافة هشام بن عبد الملك بالشام، وهى قصور وحولها مساكن وقرى عامرة وأسواق وبيع وشراء وأخذ وعطاء، وهى قنسرين وفيها توفى هشام بن عبد الملك سنة خمس وعشرين ومائة وفيها بويع الوليد بن يزيد بعد هشام، وهناك رصافة أخرى بشرقى بغداد، ورصافة أخرى بالأنبار بناها أبو العباس، ورصافة أخرى بقرطبة فى الجهة الجوفية منها، ورصافة أخرى ببلنسية بينها وبين البحر. انظر: الروض المعطار ٢٦٩، ومعجم البلدان ٣/٤٦ - ٥٠.

(٢) هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون: من ملوك الدولة الطولونية بمصر: ولد بمصر. وبويع له - وهو صبى - سنة ٢٨٣هـ. وظهر ضعفه بضياع رحاله فى حرب القرامطة، فنزل للمعتضد العباسى عن قنسرين وأطرافها ولما صار الأمر ببغداد للمكتفى بالله سير جيشا لاستخلاص مصر من بنى طولون فافتتحت له. انظر: الولاة والقضاة ٢٤٢، والنجوم الزاهرة ٣/٩٣، وتاريخ الطبرى ٦، ٧، والأعلام ٨/٦٠.

محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، ويعرف «بصاحب الخال»، فسار بهم، وافتتح عدة مدن من الشام، وظهر على حمص(١)، وقتل خلقا، وتسمى بأمير المؤمنين المهدى على المنابر وفى كتبه، وذلك فى سنة تسع وثمانين وبعض سنة تسعين.

ثم صاروا إلى الرقّة(٢)، فخرج إليهم مولى المكتفى وواقعهم فهزموه وقتلوه، واستباحوا عسكره، ورجعوا إلى دمشق وهم ينهبون جميع ما يمرون به من القرى، ويقتلون ويسبون، فخرج إليهم جيش كثيف عليه بشير - غلام طُغْج - وقاتلهم حتى قُتل فى خلق من أصحابه.

---

(١) حِمْصُ: بالكسر ثم السكون، والصاد مهملة: بلد مشهور قديم كبير مسوّر، وفى طرفه القبلى قلعة حصينة على تلّ عال كبيرة، وهى بين دمشق وحلب فى نصف الطريق، يذكر ويؤنث، بناه رجل يقال له حمص بن المَهْر بن حان بن مكنف، وقيل: حمص بن مكنف العمليقى وقال أهل الاشتقاق: حَمَصَ الجُرْح يَحْمُصُ حُمُوصًا وانْحَمَصَ ينحمص انحماصًا إذا ذهب وَرَمُه.
وأما فتحها فذكر أبو المنذر عن أبى مِخنَف أن أبا عبيدة بن الجرّاح لما فرغ من دمشق قدم أمامه خالد بن الوليد ومِلْحان بن زَيّاد الطائى ثم اتبعهما فلما توافوا بحمص قاتلهم أهلها ثم لجئوا إلى المدينة وطلبوا الأمان والصلح، فصالحوه على مائة ألف وسبعين ألف دينار، وقال الواقدى وغيره: بينما المسلمون على أبواب دمشق إذ أقبلت خيل للعدوّ كثيفة فخرج إليهم جماعة من المسلمين فلقوهم بين بيت لِهْيا والثنيّة فولّوا منهزمين نحو حمص على طريق قارا حتى وافوا حمص وكانوا متخوفين لهرب هرقل عنهم فأعطوا ما بأيديهم وطلبوا الأمان، فأمنهم المسلمون فأخرجوا لهم النّزُل فأقاموا على الأرْنط، وهو النهر المسمى بالعاصى، وكان على المسلمين السَّمْط بن الأسود الكندى، فلما فرغ أبو عبيدة من أمر دمشق استخلف عليها يزيد بن أبى سفيان ثم قدم حمص على طريق بَعْلَبَكّ فنزل بباب الرّستَنْ فصالحه أهل حمص على أن أمنهم على أنفسهم وأموالهم وسور مدينتهم وكنائسهم وأرحائهم واستثنى عليهم ربع كنيسة يوحنا للمسجد واشترط الخراج على من أقام منهم، وقيل: بل السمط صالحهم فلما قدم أبو عبيدة أمضى الصلح، وإن السمط قسم حمص خططًا بين المسلمين وسكنوها فى كل موضع حلا أهله أو ساحة متروكة.
وحِمْصُ: أيضًا بالأندلس، وهم يسمون مدينة إشبيلية حِمص، وذلك أن بنى أمَية لما حصلوا بالأندلس وملكوها سمّوا عدة مُدُن بها بأسماء مدن الشام. انظر: الروض المعطار ١٩٨، ١٩٩، ومعجم البلدان ٢/٣٠٢، ٣٠٣.

(٢) الرقة: مدينة بالعراق مما يلى الجزيرة، وكل أرض إلى جانب واد ينبسط عليها الماء عند المدّ فهى رقة، وبه سميت المدينة، والرقة واسطة بلاد مضر، ومن مدنها الرها وسروج وشمشاط ورأس العين وغيرها، والرقة على شارعة الفرات فى الشمال منه، وعليها سوران، وهى فى فحص يبعد عن الجبال على مسافة أكثر من يومين، وفى شرقيها جبلان يسميان المنخرين. انظر: الروض المعطار ٢٧٠، ٢٧١، ومعجم ما استعجم ٢/٦٦٦، ونزهة المشتاق ١٩٦، ومعجم البلدان ٣/٥٨، ٥٩، ٦٠.

Marfat.com

واتصل ذلك بالمكتفى بالله فندب أبا الأغر السلمى - فى عشرة آلاف - وخلع عليه لثلاث عشرة بقيت من ربيع الآخر سنة تسعين، فسار حتى نزل حلب، ثم خرج فوافاه جيش القرامطة غفلة يقدمهم المطوق، فانهزم أبو الأغرّ، وركبت القرامطة أكتاف الناس يقتلون ويأسرون حتى حجز بينهم الليل وقد أتوا على عامة العسكر، ولحق أبو الأغر بطائفة من أصحابه، فالتجأوا بحلب، وصار فى نحو الألف، فنازله القرامطة، فلم يقدروا منه على شىء فانصرفوا.

وجمع الحسن بن زكرويه بن مهرويه أصحابه، وسار بهم إلى حمص، فخُطب له على منابرها.

ثم سار إلى حماة والمعرة، فقتل الرجال والنساءَ والأطفال، ورجع إلى بعلبك(١) فقتل عامة أهلها. ثم سار إلى سلمية فحارب أهلها وامتنعوا منه فأمَّنهم، ودخلها فبدأ بمن فيها من بنى هاشم - وكانوا جماعة - فقتلهم.

ثم كرَّ على أهلها فقتلهم أجمعين، وخرَّبها، وخرج عنها وما بها عينٌ تطرف، فلم يمر بقرية إلا أخربها، ولم يدع فيها أحدًا، فخرَّب البلاد وقتل الناس، ولم يقاومه أحد،

---

(١) بَعْلَبَكّ: بالفتح ثم السكون، وفتح اللام، والباء الموحدة، والكاف مشددة: مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور على أساطين الرّخام لا نظير لها فى الدنيا، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وقيل اثنا عشر فرسخًا من جهة الساحل. وهو اسم مركب من بَعْل اسم صنم وبكّ أصله من بكّ عُنُقَه أى دقّها، وتَباكّ القومُ أى ازدحموا، فإما أن يكون نُسب الصنم إلى بكّ وهو اسم رجل، أو جعلوه يَبْكّ الأعناق، هذا إن كان عربيًا، وإن كان عجميًا فلا اشتقاق.
وقيل: إنّ بعلبكّ كانت مَهْرَ بلقيس وبها قصرُ سليمان بن داود، عليه السلام، وهو مبنى على أساطين الرخام، وبها قبر يزعمون أنه قبر مالك الأشتر النخعى وليس بصحيح، فإن الأشترَ مات بالقلزم فى طريقه إلى مصر، وكان على، رضى الله عنه، وجّهَهُ أميرًا، فيقال إنّ معاوية دسّ إليه عسلاً مسمومًا فأكله فمات بالقلزم، فقال معاوية: إنّ لله جنودًا من عسل، فيقال إنه نقل إلى المدينة فدفن بها وقبره بالمدينة معروف وبها قبرٌ يقولون إنه قبر حفصةَ بنت عمر زوجة النبى، صلى الله عليه وسلم، والصحيح أنه قبر حفصة أخت معاذ بن جبل، لأن قبر حفصة زوج النبى، صلى الله عليه وسلم، بالمدينة معروف. وبها قبر إلياس النبى، عليه السلام، وبقَلْعتها مقام إبراهيم الخليل، عليه السلام، وبها قبر أسباط.
ولما فرغ أبو عبيدة بن الجرّاح من فتح دمشق فى سنة أربع عشرة، سار إلى حمص فمرّ ببعْلبك فطلب أهلها إليه الأمان والصلح، فصالحهم على أن أمنهم على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وكتب لهم كتابًا أجّلَهم فيه إلى شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى، فمن حلا سار إلى حيث شاءَ ومن أقام فعليه الجزية. انظر: معجم البلدان جـ١، والروض المعطار ١٠٩، ونزهة المشتاق ١١٦، وصبح الأعشى ٤/١٠٩.

Marfat.com

وفنيت رجال طُغْج، وبقى فى عدة يسيرة، فكانت القرامطة تقصد دمشق فلا يقاتلهم إلا العامة وقد أشرفوا على الهلكة، فكثر الضجيج ببغداد، واجتمعت العامة إلى يوسف ابن يعقوب(١) القاضى، وسألوه إنهاء الخبر إلى السلطان.

ووردت الكتب من مصر إلى المكتفى بخبر قتل عسكرهم الذى خرج إلى الشام بيد القرامطة، وخراب الشام، فأمر المكتفى الجيش بالاستعداد، وخرج إلى مضربه فى القواد والجند لاثنتى عشرة خلت من رمضان، ومضى نحو الرقّة بالجيوش حتى نزلها، وانبثت الجيوش بين حلب وحمص، وقلّد محمد بن سليمان حرب الحسن بن زكرويه، واختار له جيشا كثيفا - وكان صاحب ديوان العطاء.

وعارض الجيش فسار إليهم والتقاهم لستٍ خلون من المحرم سنة إحدى وتسعين ومائتين بموضع بينه وبين حماة اثنا عشر ميلا، فاقتتلوا قتالا شديدا حتى حجز الليل بينهم، وقتل عامة رجال القرامطة فولوا مدبرين.

وكان الحسن بن زكرويه لما أَحسَّ بالجيوش اصطفى مقاتلة ممن معه، ورتّب أحوالهم، فلما انهزم أصحابه رحل من وقته، وتلاحق به مَنْ أفلت، فقال لهم: «أتيتم من قبل أنفسكم وذنوبكم وأنكم لم تصدقوا الله»، وحرَّضهم على المعاودة إلى الحرب، فاعتلوا بفناء الرجال وكثرة الجراح فيهم، فقال لهم: «قد كاتبنى خلق من أهل بغداد بالبيعة لى ودعاتى بها ينتظرون أمرى، وقد خلت من السلطان الآن، وأنا شاخصٌ نحوها لأظهر بها، ومستخلف عليكم أبا الحسين القاسم بن أحمد - صاحبى - وكتبى ترد عليه بما يعمل، فاسمعوا وأطيعوا».

فضمنوا ذلك له، وشَخَصَ معه قريبه عيسى ابن أخت مهرويه المسمى «بالمدثّر»، وصاحبه المعروف «بالمطوّق»، وغلام له رومى، وأخذ دليلا يرشدهم إلى الطريق، فساروا يريدون سواد الكوفة، وسلك البر، وتجنّب القرى والمدن حتى صار قريبا من الرحبة بموضع يقال له الدالية، فأمر الدليل فمال بهم إليها، ونزل بالقرب منها خلف رابية، ووجَّه بعضَ من معه لابتياع ما يصلحه، فدخل القرية فأنكر بعضُ أهلها زيَّه، وسأله عن أمره، فورَّى وتلجلج، فارتاب به وقبض عليه، وأتى به واليها - ويقالَ له أبو خبزة يخلف أحمد بن كشمرد صاحب الحرب بطريق الفرات، والدالية قرية من عمل

---

(١) يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم الأزدى، مولاهم، البصرى ثم البغدادى، أبو محمد: حافظ للحديث، له فيه كتاب «السنن»، كان ثقة صالحًا مهيبًا. ولى قضاء البصرة وواسط سنة ٢٧٦هـ. وضم إليه قضاء الجانب الشرقى من بغداد ومات مصروفا عن القضاء. انظر: تذكرة الحفاظ ٢/٢٠٩، وتاريخ بغداد ١٤/٣١٠، والأعلام ٨/٢٥٨.

Marfat.com

الفرات - فسأله أبو خبزة ورهب عليه، فعرَّفه أن القرمطى الذى خرج الخليفة المكتفى فى طلبه خلف رابية أشار إليها، فسار الوالى مع جماعة بالسلاح فأخذوهم وشدوهم وثاقا، وتوجَّه بهم إلى ابن كشمرد، فصار بهم إلى المكتفى - وهو بالرقّة - فشهَّرهم بالرقة، وعلى الحسن بن زكرويه دُرَّاعة ديباج وبُرْنُس حرير، وعلى المدثِّر دُرَّاعة وبُرْنُس[1] حرير، وذلك لأربع بقين من المحرم.

وقدم محمد بن سليمان بجيوشه إلى الرقّة - ومعه الأسرى - فخلّف المكتفى عساكره مع محمد بن سليمان بالرقّة، وشَخَصَ فى خاصته وغلمانه، وتبعه وزيره القاسم بن عُبَيْد الله إلى بغداد، ومعه القَرْمَطى وأصحابه.

فلما صار إلى بغداد عُمل له كرسى سُمْكُه ذراعان ونصف، ورُكِّب على فيل وأُركب عليه، ودخل المكتفى وهو بين يديه مع أصحابه الأسرى، وذلك ثالث ربيع الأول، ثم سجنوا.

فلما وصل محمد بن سليمان ببقية القرامطة لاثنتى عشرة خلت منه أمر المكتفى القواد بتلقيه والدخول معه، فدخل فى زى حسن وبين يديه نيف وسبعون أسيرا، فخُلع عليه، وطُوِّق بطوق من ذهب، وسور سوارين من ذهب، وخُلع على جميع من كان معه من القواد وطوقوا وسُوِّروا.

وأمر المكتفى ببناء دِكّة فى الجانب الشرقى مربعة، ذَرْعُها عشرون ذراعا فى مثلها، وارتفاعها عشرة أذرع، يُصعد إليها بدَرَج، فلما كان لأربع بقين منه خرج القواد والعامة، وحُمل القرامطة على الجمال إلى الدِكّة، وقتلوا جميعا وعدتهم ثلاثمائة وستون، وقيل دون ذلك.

وقدم الحسن بن زكرويه، وعيسى ابن أخت مهْرَوَيْه إلى أعلى الدكة ومعهما أربعة وثلاثون إنسانا من قبل وجوه القرامطة ممن عرف بالنكاية، وكان الواحد منهم يُبطح على وجهه، وتقطع يده اليمنى، فيُرمى بها إلى أسفل ليراها الناس، ثم تُقطع رجله اليسرى، ثم رجله اليمنى ويرمى بهما، ثم يُضرب عنقه ويرمى بها.

ثم قُدِّم المدثِّر ففُعل به كذلك بعدما كُوى ليُعذب، وضربت عنقُه.

ثم قُدِّم الحسن بنَ زَكْرَوَيْه فضُرب مائتى سَوْط، ثم قطعت يداه ورجلاه، وكوى، وضربت عنقه، ورفع رأسه على خشبة، وكَبَّر مَنْ على الدكة، فكبَّر الناس وانصرفوا.

وحُملت الرءُوس فصلبت على الجسر وصلب بَدَنُ القرمطى فمكث نحو سنة.

---

(١) البرنس: ويقال برنوس بفتح الباء وضمها - قلنسوة طويلة كان النساك يلبسونها فى صدر الإسلام. انظر: محيط المحيط.

Marfat.com

ومن كتب الحسن بن زكرويه إلى عماله ما هذه نسخته بعد البسملة:

«من عند المهدى، المنصور بالله، الناصر لدين الله، القائم بأمر الله الحاكم بحكم الله، الداعى إلى كتاب الله، الذاب عن حرم الله، المختار من ولد رسول الله، أمير المؤمنين، وإمام المسلمين، ومذل المنافقين، وخليفة الله على العالمين، وحاصد الظالمين، وقاصم المعتدين، ومبيد الملحدين، وقاتل القاسطين، ومهلك المفسدين، وسراج المستبصرين وضياء المستضيئين، ومشتت المخالفين، والقيِّم بسنة سيِّد المرسلين، وولد خير الوصيين - صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وسلّم كثيرًا».

كتابٌ إلى فلان: «سلام عليك، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلى على محمد جدى رسول الله.

أما بعد: فقد أُنهى إلينا ما حدث قِبَلك من أخبار أعداء الله الكفرة، وما فعلوه بناحيتك من الظلم والعبث والفساد فى الأرض، فأعظمنا ذلك، ورأينا أن ننفذ إلى ما هنالك من جيوشنا من ينتقم اللهُ به من أعدائه الظالمين الذين يسعون فى الأرض فسادا؛ فأنفذنا عُطَيْرًا داعيتنا وجماعة من المؤمنين إلى مدينة حمص وأمددناهم بالعساكر، ونحن فى أثرهم، وقد أوعزنا إليهم فى المصير إلى ناحيتك لطلب أعداء الله حيث كانوا، ونحن نرجو أن يجزينا الله فيهم على أحسن عوائده عندنا فى أمثالهم.

فينبغى أن تشد قلبك وقلوب من اتبعك من أوليائنا، وتثق بالله وبنصره الذى لم يزل يعودنا فى كل مَنْ مَرَقَ عن الطاعة، وانحرف عن الإيمان، وتبادر إلينا بأخبار الناحية وما يحدث فيها، ولا تُخْفِ عنا شيئا من أمرها إن شاء الله.

سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على جدى محمد رسوله، وعلى أهل بيته وسلم كثيرا».

وكانت عماله تكاتبه بمثل هذا الصدد.

وسلم القاسم بن أحمد أبو الحسين - خليفة الحسن بن زكرويه - فقدم سواد الكوفة إلى زكرويه بن مهرويه، فأخبره بخبر القوم الذين استخلفهم ابنه عليهم، وأنهم اضطربوا فخافهم وتركهم، فلامه زكرويه على قدومه لوما شديدا، وقال له: «ألا كاتبتنى قبل انصرافك إلىّ؟».

ووجده مع ذلك على خوف شديد من طلب السلطان ومن طلب أصحاب عبدان.

ثم إنه أعرض عن أبى الحسين، وأنفذ إلى القوم - فى سنة ثلاث وتسعين - رجلا من أصحابه - كان معلما - يقال له محمد بن عبد الله بن سعيد، ويكنى بأبى غانم،

Marfat.com

فتسمى نصرا ليعمى أمره، وأمره أن يدور أحياءَ كلب ويدعوهم، فدار ودعاهم، فاستجاب له طوائف من الأصبغيين، ومن بنى العليص، فسار بهم نحو الشام، وعامِلُ المكتفى بالله يومئذ على دمشق والأردن أحمد(١) بن كَيْغَلَغ، وهو بمصر فى حرب ابن الخليج، فاغتنم ذلك محمد بن عبد الله المعلم، وسار إلى بصرى وأذرعات فحارب أهلها، وسبى ذراريهم وأخذ جميع أموالهم، وقتل مقاتليهم، وسار يريد دمشق، فخرج إليه جيش مع صالح بن الفضل خليفة أحمد بن كَيْغَلَغ، فظهروا عليه، وقتلوا عسكره، وأسروه فقتلوه، وهمُّوا بدخول دمشق فدافعهم أهلها، فمضوا إلى طبرية فكانت لهم وقعة على الأردن غلبوا فيها، ونهبوا طبرية، وقتلوا وسبوا النساء فبعث المكتفى بالحسين ابن حمدان فى طلبهم مع وجوه من القواد، فدخل دمشق وهم بطبرية، فساروا نحو السماوة، وتبعهم ابن حمدان فى البرية، فأخذوا يغوِّرون ما يرتحلون عنه من الماء، فانقطع ابن حمدان عنهم لعدم الماء، ومال نحو رحبة مالك بن طوق(٢)، فأسرى القرامطة إلى هيت، وأغاروا عليها لتسع بقين من شعبان سنة ثلاث وتسعين، ونهبوا الرَّبَض والسفن التى فى الفرات، وقتلوا نحو مائتى إنسان.

ثم رحلوا بعد يومين بما غنموه، فأنفذ المكتفى إلى هيت محمد بن إسحاق بن كُنْداج فى جماعة من القواد بجيش كثيف، وأتبعه بمؤنس، فإذا هم قد غَوَّروا المياه، فأنفذ إليهم من بغداد بالروايا والزاد، وكتب إلى ابن حمدان بالنفوذ إليهم من الرحبة.

فلما أحسوا بذلك ائتمروا بصاحبهم المعلم، وثَوَّب عليه رجل من أصحابه يقال له الذئب بن القائم فقتله، وشخص إلى بغداد متقربا بذلك، فأُسنيت له الجائزة، وكفَّ عن طلب قومه، وحُملت رأسُ القائم المسمى بنصر المعلم إلى بغداد.

ثم إن قوما من بنى كلب أنكروا فعل الذئب وقتله المعلم، ورضيه آخرون، فاقتتلوا قتالا شديدا، وافترقوا فرقتين، فسارت الفرقة التى رضيت قتل المعلم إلى عين التمر،

---

(١) أحمد بن إبراهيم كيغلغ، أبو العباس: من أمراء العصر العباسى. تركى الأصل.. ولد ونشأ ببغداد، وارتقى إلى مرتبه القواد، فكان مع محمد بن سليمان فى قتاله القرامطة بالشام سنة ٢٨٣هـ. فىعهد المكتفى وقدم مصر فى بعض جيوش المكتفى لقمع ثورات نشبت فيها. انظر: النجوم الزاهرة ٣/١٠٩و٢٠٦، ويتيمة الدهر ١/٦٥، والولاة والقضاة ٢٧٩ - ٢٨٦، وابن الأثير ٨/١٠٥، والأعلام ١/٨٥.

(٢) مالك بن طوق بن عتاب التغلبى، أبو كلثوم: أمير كان من الأشراف الفرسان الأجواد. ولى إمرة دمشق للمتوكل العباسى وبنى بمساعدة الرشيد بلدة الرحبة التى على الفرات، تعرف برحبة مالك نسبة إليه. انظر: فوات الوفيات ٢/١٤٢، ومعجم البلدان ٤/١٣٦، ودول الإسلام للذهبى ١/١٢٣، والأعلام ٥/٢٦٢.

Marfat.com

وتخلفت الأخرى؛ وبلغ ذلك زكرويه - وأحمد بن القاسم عنده - فردَّه إليهم، فلما قدم عليهم جمعهم ووعظهم وقال: «أنا رسول وليكم، وهو عاتب عليكم فيما أقدم عليه الذئب بن القائم، وأنكم قد ارتددتم عن الدين».

فاعتذروا، وحلفوا ما كان ذلك بمحبتهم، وأعلموه بما كان بينهم من الخلف والحرب، فقال لهم:

«قد جئتكم الآن بما لم يأتكم به أحد تقدمنى، يقول لكم وليكم: قد حضر أمركم، وقرب ظهوركم، وقد بايع له من أهل الكوفة أربعون ألفا، ومن أهل سوادها أكثر، وموعدكم اليوم الذى ذكره الله فى شأن موسى ﷺ وعدوه فرعون إذ يقول: «موعدكم يوم الزينة، وأن يحشر الناس ضحى، فأجمعوا أمركم، وسيروا إلى الكوفة، فإنه لا دافع لكم عنها، ومنجز وعدى الذى جاءتكم به رسلى».

فسروا بذلك، وارتحلوا نحو الكوفة، فنزلوا دونها بستة وثلاثين ميلا قبل يوم عرفة بيوم من سنة ثلاث وتسعين، فخلفوا هناك الخدم والأموال، وأمرهم أن يلحقوا به على ستة أميال من القادسية.

ثم شاور الوجوه من أصحابه فى طروق الكوفة أى وقت، فاتفقوا على أن يكمنوا فى النجف، فيريحوا الخيل والدواب، ثم يركبوا عمود الصبح فيشنوها غارةً والناس فى صلاة العيد.

فركبوا وساروا، ثم نزلوا فناموا، فلم يوقظهم إلا الشمس يوم العيد لطفًا من الله بالناس، فلم يصلوا إلى الكوفة إلا وقد انقضت الصلاة، وانصرف الناس وهم متبددون فى ظاهر الكوفة، ولأمير البلد طلائع تتفقد، وكان قد أرجف فى البلد بحدوث فتن فأقبلوا ودخلت خيل منهم الكوفة، فوضعوا السيف وقتلوا كثيرا من الناس وأحرقوا، فارتجت الكوفة، وخرج الناس بالسلاح، وتكاثروا عليهم يقذفونهم بالحجارة، فقتلوا منهم عدةً، وأقبل بقيتهم فخرج إليهم إسحاق بن عمران [1] فى يسير من الجند، وتلاحق به الناس، فاقتتلوا قتالا شديدا فى يوم صائف شديد الحر، فانصرف القرامطة مكدودين، فنزلوا على ميلين من الكوفة، ثم ارتحلوا عشاء نحو سوادهم، واجتازوا بالقادسية وقد تأهبوا لحربهم، فانصرفوا عنها، وبعث أمير الكوفة بخبر ذلك إلى بغداد.

---

(١) إسحاق بن عمران: طبيب بغدادى الولادة والمنشأ مسلم الملة. احترف الطب واشتهر، ودعى إلى إفريقية فجاءها سنة ٢٦٤هـ. قال ابن جلجل: وبه ظهر الطب بالمغرب وعرفت الفلسفة. انظر: طبقات الأطباء ٢/٣٥، والأعلام ١/٢٩٥.

وسار القرامطة إلى سواد الكوفة، فاجتمع أحمد بن القاسم بزكرويه بن مهرويه - وكان مستترا - فقال للعسكر: «هذا صاحبكم وسيدكم ووليكم الذى تنتظرونه».

فترجَّل الجميع وألصقوا خدودهم بالأرض، وضربوا لزكرويه مضربا عظيما، وطافوا به، وسروا سرورًا عظيما، واجتمع إليهم أهل دعوته من السواد، فعظم الجيش جدا.

وسيَّر المكتفى جيشا عظيما، فساروا بالأثقال والبنود والبزاة على غير تعبئة مستخفين بالقوم، فوصلوا وقد تعب ظهرهم وقل نشاطهم، فلقيهم القرامطة وقاتلوهم وهزموهم، ووضعوا فيهم السيوف، فقُتل الأكثر، ونجا الأقل إلى القادسية(١) فأقاموا فى جمع الغنائم ثلاثًا، فكان مَنْ قُتل من الجيش نحو الألف وخمسمائة، فقويت القرامطة بما غنموا، وبلغ المكتفى فخاف على الحاج، وبعث محمد بن إسحاق بن كُنْداج لحفظ الحاج، وطلب القرامطة، وضم إليه خلقا عظيما.

فسار القرامطة وأدركوا الحاج، فأخذوا الخراسانية لإحدى عشرة خلت من المحرم سنة أربع وتسعين، ووضعوا فيهم السيف وقتلوا خلقا عظيما، واستولى زكرويه على الأموال.

وقدم ابن كُنْداج فأقام بالقادسية - وقد أدركه مَنْ هرب من حاج خراسان - وقال: «لا أغدر بجيش السلطان».

وقدمت قافلة الحاج الثانية والثالثة، فقاتلوا القرامطة قتالا شديدا حتى غلبوا، وقتل كثير من الحاج، واستولوا على جميع ما فى القافلة، وأخذوا النساءَ ولم يطلقوا منهم إلا من لا حاجة لهم فيها، ومات كثير من الحاج عطشا، ويقال إنه هلك نحو من عشرين ألفا، فارتجت بغداد لذلك.

وأخرج المكتفى الأموال لإنفاذ الجيوش من الكوفة لإحدى عشرة بقيت من المحرم، وخزائن السلاح.

ورحل زكرويه فلم يدع ماء إلا طرح فيه جِيَفَ القتلى، وبثّ الطلائع فوافته القافلة التى فيها القواد والشَّمْسَة - وكان المعتضد قد جعل فيها جوهرا نفيسا - ومعهم

---

(١) القادِسِيَّةُ: قال أبو عمرو: القادسُ السفينة العظيمة، بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخًا، وبينها وبين العذيب أربعة أميال، قيل: سميت القادسية بقادس هراة، وقال المدائنى: كانت القادسية تسمى قديسًا، وروى ابن عيينة قال: مرّ إبراهيم بالقادسية فرأى زهرتها ووجد هناك عجوزًا فغسلت رأسه فقال: قُدّستِ من أرض، فسميَتِ القادسية، وبهذا الموضع كان يوم القادسية بين سعد بن أبى وقّاص والمسلمين والفُرس فى أيام عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، فى سنة ١٦ من الهجرة، وقاتل المسلمون يومئذٍ وسعد فى القصر ينظر إليهم فنسب إلى الجبن. انظر: الروض المعطار ٤٤٧، ٤٤٨، ومعجم ما استعجم ٣/١٠٤٢، ومعجم البلدان ٤/٢٩١ - ٢٩٣.

الخزانة ووجوه الناس والرؤساء ومياسير التجار، وفيها من أنواع المال ما يخرج عن الوصف، فناهضهم زكرويه بالهبير(١)، وقاتلهم يومه، فأدركتهم قافلة العُمْرَة، وكان المعتمرون يتخلفون للعُمْرَة بعد خروج الحاج، ويخرجون إذا دخل المحرم، ويتفردون قافلة، وانقطع ذلك من تلك السنة، فاجتمع الناس وقاتلوا يومهم وقد نفد الماء، فملك القافلة، وقتل الناس، وأخذ ما فيها من حريم ومال وغيره، وأفلت ناس فمات أكثرهم عطشا، وسار فأخذ أهل فَيْد(٢).

وأما بغداد فإنه حصل بها وبالكوفة وجميع العراق مصاب بحيث لم يبقَ دارٌ إلا وفيها مصيبة، وعَبْرَةٌ سائلة، وضجيجٌ وعويل، واعتزل المكتفى النساء هما وغما، وتقدم بالمسير خلف زكرويه، وأنفذ الجيوش فالتقوا مع زكرويه لسبع بقين من ربيع الأول، فاقتتلوا قتالا شديدا صبر فيه الفريقان حتى انهزم زكرويه وقتل أكثر من معه، وأسر منهم خلق كثير، وطرحت النار فى قبته، فخرج من ظهرها، وأدركه رجل فضربه حتى سقط إلى الأرض، فأدركه رجل يعرفه، فأركبه نجيبا فارها، وسار به إلى نحو بغداد، فمات من جراحات كانت به، وصُبِّر وأُدخل به إلى بغداد ميتا فشُهِّر كذلك، ومعه حرمه وحرم أصحابه وأولادهم أسرى ورءوس من قتل بين يديه فى الجوالقات، ومات خبر القرامطة بموت زكرويه. ودعوتهم ذكرها شائع.

فلما دخلت سنة خمس وتسعين ومائتين: خرج رجل من السواد من الظُطّ يعرف

---

(١) الهبير من الأرض أن يكون مطمئنا وما حوله أرفع منه والهبير رمل زرود فى طريق مكة. انظر: معجم البلدان (الهبير).

(٢) فَيْدُ: بالفتح ثم السكون، ودال مهملة. قال ابن الأعرابى: الفَيْدُ الموت، والفيد: الشعرات فوق حَحْفَلة الفرس، وقيل للمورّج: لم اكتنيْتَ بأبى فَيْد؟ قال: فيد منزل بطريق مكة، والفيد: وَرْدُ الزعفران، ويجوز أن يكون من قولهم: استفاد الرّجلُ فائدَةً، وقلّ ما يقولون فادَ فائدة! قاله الزجاجى. وفيْدُ: بليدة فى نصف طريق مكة من الكوفة عامرة إلى الآن يُودعُ الحاجّ فيها أزوادَهم وما يثقل من أمتعتهم عند أهلها، فإذا رجعوا أخذوا أزوادهم ووهبوا لمن أودعوها شيئًا من ذلك، وهم مغوثة للحاجّ فى مثل ذلك الموضع المنقطع، ومعيشة أهلها من ادّخار العُلوفة طول العام إلى أن يقدم الحاجّ فيبيعونه عليهم، قال الزجاجى: سميت فيد بفَيْد بن حام وهو أول من نزلها، وقال السكونى: فيد نصف طريق الحاجّ من الكوفة إلى مكة، وهى أثلاثٌ: ثُلثٌ للعُمَريّين وثلث لآل أبى سلامة من همدان وثلث لبنى نبهان من طىء، وبين فَيد ووادى القرى ستّ ليال على العُرَيمة، وليس من دون فيد طريق إلى الشام، بتلك المواضع رمالٌ لا تسلك حتى تنتهى إلى زُبالة أو العقبة على الحزن فربما وُجد به ماء وربما لم يوجد فيجنب سلوكه. قالوا: وقول زُهير فَيْدُ القُرّيات موضع آخر، والله أعلم. انظر: الروض المعطار ٤٤٣، ٤٤٤، وابن حوقل ٤٠، والمناسك ٣٠٦.

Marfat.com

بأبى حاتم الظُطَّى، فقصد أصحاب البورانى داعيا - وهم يعرفون بالبورانية - وحَرَّم عليهم الثوم والبصل والكرات والفجل، وحرَّم عليهم إراقة الدم من جميع الحيوان، وأمرهم أن يتمسكوا بمذهب البورانى، وأمرهم بما لا يقبله إلا أحمق، وأقام فيهم نحو سنة، ثم زال، فاختلفوا بعده، فقالت طائفة: «زَكْرَوَيْه بن مِهْرَوَيْه حىٌّ، وإنما شُبِّه على الناس به». وقالت فرقة: «الحجة لله محمد بن إسماعيل».

ثم خرج رجل من بنى عجل قَرْمَطِىٌّ يقال له محمد بن قطبة، فاجتمع عليه نحو مائة رجل، فمضى بهم نحو واسط، فنهب وأفسد فخرج إليه آمر الناحية، فقتلهم وأسرهم.

ثم حمدت أحوال القرامطة إلى أن تحرك أبو طاهر بن أبى سعيد الجنّابى، وعمل على أخذ البصرة سنة عشر وثلاثمائة، فعمل سلالم عراضا يصعد على كل مرقاة اثنان سورافيت، إذا احتيج إليها نُصبت، وتُخلع إذا حملت، فرحل يريد البصرة، فلما قاربها فرَّق السلاح، وحشى الغرائر بالرمل، وحملها على الجمال، فسار إلى السور قبل الفجر، فوضع السلالم، وصعد عليها قوم، ونزلوا فوضعوا السيف وكسروا الأقفال، فدخل الجيش، فأول ما عملوا أن طرحوا الرمل المحمول فى الأبواب ليمنع من غلقها، وبدر لهم الناس ومعهم الأمير، فقاتلوا وقتل الأمير، فأقاموا النهار يقتتلون حتى حجز بينهم الظلام، فخرجوا وقد قتل من الناس مقتله عظيمة، فباتوا ثم باكروا البلد فقتلوا ونهبوا. ثم رحلوا إلى الأحساء، فأنفذ السلطان عسكرا؛ وكان أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان قد قُلِّد أعمال الكوفة والسواد وطريق مكة، فدخل فى أثرهم وأسر منهم وعاد.

فلما قدمت قوافل الحاج اعترضها أبو طاهر القرمطى فقتل منهم، وأدركهم أبو الهيجاء بن حمدان بجيوش كثيرة، فحملت القرامطة عليهم فهزموهم، وأخذ أبو الهيجاء أسيرا، فلما رآه أبو طاهر تضاحك وقال له: «جئناك عبد الله، ولم نكلفك قصدنا».

فتلطف له أبو الهيجاء حتى استأمنه، وأمر بتمييز الحاج، وعزل الجمالين والصناع ناحية، فأخذوا ما مع الحاج وخلوهم، فردوا بشَرٍّ حال فى صورة الموتى، ورحل من الغد من بعد أن أخذ من أبى الهيجاء وحده نحو عشرين ألف دينار مع أموال لا تحصى كثرة، ثم أطلق أبا الهيجاء بعد أشهر، فورد بغداد.

فلما كان فى سنة اثنتى عشرة وثلاثمائة: خرج من بغداد جيش كثيف لحفظ الحاج، فلقى أبو طاهر القَرْمَطى الحاج بالعقبة، فرجع الحاج إلى الكوفة، فتبعهم القَرْمَطى حتى نزل بظاهرها لثلاث عشرة خلت من ذى القعدة، فناوشه الناس وانكفأ راجعًا، ثم باكرهم بالقتال وخرجت إليه جيوش السلطان، فقاتلهم وهزمهم، وقتل قوادهم وكثيرا من العامة، ونهب البلد إلى العشرين منه، فرحل عن البلد.

فلما كان فى سنة خمس عشرة وثلاثمائة: خرج القرمطى من بلده لقتال ابن أبى الساج، وكان السلطان قد أنزله فى جيش كثير بواسط ليسير إلى بلد القرمطى، فاستصعب مسيره لكثرة من معه، وثقل عليه سيره فى أرض قَفْر، فاحتال على القرمطى، وكاتبه بإظهار المواطأة، وأطمعه فى أخذ بغداد ومعاضدته، فاغتر بذلك، ورحل بعيال وحشم وأتباع، وجيشه على أقوى ما يمكنه، وأقبل يريد الكوفة.

ورحل ابن أبى الساج بجيشه عن واسط إلى الكوفة، وقد سبقه القَرْمَطى، ودخلها لسبع خلون من شوال، فاستولى عليها، وأخذ منها الميرة، وأعد ما يحتاج إليه، وأقبل ابن أبى الساج على غير تعبئة، وعبر مستهينا بأمر القَرْمَطى مستحقرا له، ثم واقعه وهو فى جيش يضيق عنه موضعه، ولا يملك تدبيره، وقد تفرق عنه عسكره، وركبوا - من نهب القرى وأذى الناس وإظهار الفجور - شيئا كثيرا، فأقبل إليه القرمطى وقاتله، فانهزمت عساكر ابن أبى الساج بعد ما كثر بينهما القتلى والجرحى، فقتلوا الناس قتلا ذريعًا حتى صاروا فى بساط واحد نحو فرسخين أو أربع، واحتوى على عسكره، ونهب الأَكَرةُ من أهل السواد ما قدروا عليه، وأقام أربعين يومًا، وخرج بعد أن يئس من مجىء عسكر إليه، فقصد بغداد، ونزل بسواد الأنبار(١)، وعبر الفرات إلى الجانب الغربى، وتوجه بين الفرات ودجلة يريد بغداد، فجيَّش الجيش إليه، وسار مؤنس حتى نازله على نحو ثلاثة فراسخ من بغداد، وقاتل القرامطة قتالا شديدا، وورد كتاب المقتدر يأمر مؤنسا بمعاجلته القتال، ويذكر ما لزم من صرف الأموال إلى وقت وصوله.

---

(١) الأَنْبارُ: بفتح أوله: مدينة قرب بَلْخ وهى قصبة ناحية خُوزَحان وبها كان مقام السلطان، وهى على الجبل، وهى أكبر من مَرْو الروذ وبالقرب منها، ولها مياه وكروم وبساتين كثيرة، وبينها وبين شبورقان مرحلة فى ناحية الجنوب.

والأنبار أيضًا: مدينة على الفرات فى غربى بغداد بينهما عشرة فراسخ، وكانت الفرس تسميها فيروزسابور. وكان أول من عمّرها سابور بن هُرْمز ذو الأكتاف، ثم جدّدها أبو العباس السفّاح أول خلفاء بنى العباس وبَنى بها قصورًا وأقام بها إلى أن مات.

وقيل: إنما سميّت الأَنْبَار لأَن بُخْت نصّر لما حارب العرب الذى لا خلاق لهم حَبَسَ الأسراءَ فيها. وقال أبو القاسم: الأنبار حدّ بابل سميت به لأنه كان يُجْمع بها أنابيرُ الحِنطة والشعير والقتّ والتبن، وكانت الأكاسرة تَرْزُق أصحابها منها، وكان يقال لها الأهْراءُ، فلما دخلتها العرب عرّبتها فقالت الأنبار. وقال الأزهرى: الأنبار أهراءُ الطعام، واحدُها نِبرٌ ويجمع على أنابير جَمع الجمع، وسمّى الهُرْى نِبرًا لأنّ الطعام إذا صُبّ فى موضعه انتبر أى ارتفع، ومنه سمّى المِنبر لارتفاعه[1] قال ابن السكيت: النَبرُ دُوَيْبّة أصغر من القراد يَلْسعُ فيَحبَطُ موضع لَسْعها أى يَرِمُ، والجمع أنبار.

والأنبار أيضًا: مكة الأنبار بمَرْوَ فى أعلى البلد. انظر: الروض المعطار ٣٦، ٣٧، ونزهة المشتاق ١٩٨، ومعجم البلدان ١/٢٥٧، ٢٥٨.

Marfat.com

فكتب إليه: «إن فى مقامنا – أطال الله بقاء مولانا – نفقة المال، وفى لقائنا نفقة الرجال، ونحن أحرياء باختيار نفقة المال على نفقة الرجال».

ثم أنفذ إلى القَرْمَطى يقول له: «ويلك، ظننتنى كمن لقيك أبرز لك رجالى، والله ما يسرنى أن أظفر بك بقتل رجل مسلم من أصحابى، ولكنى أطاولك وأمنعك مأكولا ومشروبا حتى آخذك أخذًا بيدى إن شاء الله».

وأنفذ يلبق فى جيش للإيقاع بمن فى قصر ابن هُبَيْرة، فعظم ذلك على القرمطى فاضطرب، وأخذ أصحابه يحتالون فى الهرب، وتركوا مضاربهم، فنهب مؤنس ما خلّفوه، وسار جيش القرمطى من غربى الفرات، وسار مؤنس من شرقيه، إلى أن وافى القرمطى الرَّحْبَة، ومؤنس يحتال فى إرسال زواريق فيها فاكهة مسمومة، فكان القرامطة يأخذونها، فكثرت الميتة فيهم، وكثر بهم الذَّرْب، وظهر جهدهم، فكروا راجعين وقد قل الظهر معهم، فقاتلوا أهل هَيْت وانصرفوا مفلولين، فدخل الكوفة على حال ضعف وجراحات وعلل – لثلاث خلون من رمضان سنة ست عشرة وثلاثمائة – فأقام بها إلى مستهل ذى الحجة، ولم يقتل ولا نهب، ثم رحل.

فلما كان فى سنة سبع عشرة: رحل بجيشه، فوافى مكة لثمان خلوْن من ذى الحجة، فقتل الناس فى المسجد قتلا ذريعا، ونهب الكعبة، وأخذ كسوتها وحليها، ونزع الباب وستائره، وأظهر الاستخفاف به، وقلع الحجر الأسود وأخذه معه – وظن أنه مغناطيس القلوب – وأخذ الميزاب أيضا.

وعاد إلى بلده فى المحرم سنة ثمانى عشرة وقد أصابه كدٌّ شديد، وقد أخذ ستة وعشرين ألف حمل خفا، وضرب آلاتهم وأثقالهم بالنار، واستملك من النساء والغلمان والصبيان ما ضاق بهم الفضاء كثرةً، وحاصرته هذيل فأشرف على الهلكة حتى عدل به دليلٌ إلى غير الطريق المعروف إلى بلده.

فلما كان فى شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة: سار إلى الكوفة، فعاث عسكره فى السواد، وأسروا خلقا، واشتروا أمتعة، ورجعوا – بعد خمسين ليلة أقاموا بها – إلى بلدهم.

وبعث أبوطاهر سريَّة فى البحر نحو أربعين مركبا فوضعوا السيف فى أهل الساحل، ولم يلقوا أحدا إلا قتلوه – من رجل وامرأة وصبى – فما نجا منهم إلا من لحق بالجبال، وسبوا النساء، واجتمع الناس، فقتلوا منهم – فى الحرب معهم – خلقا كثيرا، وأسروا جماعة، ثم تحاملوا عليهم، وتبادوا بالشهادة، وجدوا فقتلوا أكثرهم، وأخذوا جميع من بقى أسرًا بحيث لم يفلت منهم أحد، وحملت الأسرة إلى بغداد مع الرءوس –

Marfat.com

وهم نحو المائة رجل ومائة رأس - فحبسوا ببغداد.

ثم خلصوا وساروا إلى أبى طاهر فكانوا يتحدثون بعد خلاصهم إلى أبى طاهر أن كثيرا من الكبراء وغيرهم كانوا يرسلون إليهم بما يتقربون به إليهم، وكان سبب خلاصهم مكاتبة جرت بينهم بالمهادنة على أن يردوا الحجر الأسود، ويطلق الأسرى، ولا يعترضوا الحاج، فجرى الأمر على ذلك.

ودخل القرمطى - فى سنة ثلاث وعشرين - إلى الكوفة والحاج قد خرج فى ذى القعدة، وعاد الحاج إلى الكوفة، ولم يقدر على مقاومتهم، فظفر بمن ظفر منهم، فلم يكثر القتل، وأخذ ما وجد.

وبلغ القرمطى أن رجلا من أصحابه قال: «والله ما ندرى ما عند سيدنا أبى طاهر من تمزيق هؤلاء الذين من شرق الأرض وغربها، واتخاذهم ومَنْ وراءهم أعداء، وما يفوز بأكثر أموالهم إلا الأعراب والشذاذ من الناس، فلو أنه حين ظفر بهم دعاهم إلى أن يؤدى كل رجل منهم دينارًا ويطلقهم ويؤمنهم لم يكره ذلك منهم أحد، وخفَّ عليهم وسهل، وحجَّ الناسُ من كل بلد، لأنهم ظمأى إلى ذلك جدا، ولم يبقَ ملك إلا كاتبه وهاداه واحتاج إليه فى حفظ أهل بلده وخاصته، وجاءَ فى كل سنة من المال ما لا يصير لسلطان مثله من الخراج، واستولى على الأرض وانقاد له الناس، وإن منع من ذلك سلطان اكتسب المذمة، وصار عند الناس هو المانع من الحج».

فاستصوب القرمطى هذا الرأى، ونادى من وقته فى الناس بالأمان، وأحضر الخراسانية، فوطَّأ أمرهم على أنهم يحجوا ويؤدوا إليه المال فى كل سنة، ويكونوا آمنين على أنفسهم وأموالهم، وأخرج أهلُ مصر أيضا عن الحاج ضرائب من مال السلطان، ثم ولى تدبير العراق من لم ير ذلك دناءة ولا منقصة، فصار لهم على الحاج رسما بالكوفة.

فلما كان سنة خمس وعشرين: كبس أبو طاهر الكوفة، وقبض على شفيع اللؤلؤى - أميرها - بأمان، فبعثه إلى السلطان يعرفه أنهم صعاليك لا بد لهم من أموال، فإن أعطاهم مالا لم يفسدوا عليه، وخدموه فيما يلتمسه، وإلا فلا يجدوا بدا من أن يأكلوا بأسيافهم، وبر أبو طاهر شفيعا ووصله، فوصل شفيع إلى السلطان وعرَّفه، فبعث إليهم رجلا فناظر القرمطى، ومالأ صدره من السلطان وأتباعه، فزاده انكسارًا، وسار عن البلد، فابتلاه الله بالجدرى وقتله، فملك التدبير بعده إخوته وابن سنبر.

Marfat.com

فلما كان فى سنة تسع وثلاثين: أرادوا أن يستميلوا الناس فحملوا الحجر الأسود إلى الكوفة، ونصبوه فيها على الأسطوانة بالجامع.

وكان قد جاء عن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب؛ الملقب زين العابدين(١): «أن الحجر الأسود يعلق فى مسجد الجامع بالكوفة فى آخر الزمان».

ثم قدم به سنبر بن الحسين بن سنبر إلى مكة - وأمير مكة معه - فلما صار بفناء البيت أظهر الحجر من سفط كان به مصونا، وعلى الحجر ضِبَابُ فِضَّة قد عُملت عليه، تأخذه طولا وعرضا، تضبط شقوقًا حدثت فيه بعد انقلاعه، وكان قد أحضر له صانعًا معه جِص يشد به الحجر، وحضر جماعة من حَجَبَة البيت، فوضع سنبر بن الحسين بن سنبر الحجرَ بيده فى موضعه - ومعه الحَجَبَة - وشدَّه الصانع بالجِص - بعد وضعه - وقال لما ردَّه: «أخذناه بقدرة الله، ورددناه بمشيته».

ونظر الناس إليه وقبلوه والتمسوه، وطاف سنبر بالبيت.

وكان قلع الحجر من ركن البيت يوم الاثنين لأربع عشرة خلت من ذى القعدة سنة سبع عشرة وثلاثمائة: وكان رَدُّه يوم الثلاثاء لعشر خلون من ذى الحجة - يوم النحر - سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة: فكانت مدة كينونته عند الجنابى وأصحابه اثنين وعشرين سنة إلا أربعة أيام.

وكان فى سنة ست عشرة وثلاثمائة: قد تحركت القرامطة بسواد الكوفة عند انصراف أبى طاهر القرمطى عن بغداد إلى نحو الشام، وتداعوا إلى الاجتماع فى دار هجرتهم فكثروا، وكبسوا نواحى الوسط، وقتلوا خلقا كثيرا، وملكوا ما حواه العسكر هناك من سلاح وغيره، فقوى أمرهم، وسار بهم عيسى بن موسى والحجازى - وهما داعيان - وكان الحجازى بالكوفة يبيع الخبز، فصحب يزيد النقاش، واجتمع عليهما غلمان، وساروا فنهبوا وأخافوا، والبلد ضعيف لاتصال الفتن وتخريب البورانى لسواده وضعف يد السلطان، وطالبوا جميع أهل السواد بالرحيل إليهم، فاجتمعوا نحو العشرة آلاف، وفرقوا العمال، ورحلوا إلى الكوفة فدخلوها عنوة، وهرب واليها، وولوا على خراجها وعلى حربها، وأحدثوا فى الأذان ما لم يكن فيه، فأنفذ السلطان إليهم جيشا فواقعهم فانهزموا، وقتل منهم ما لا يحصى، وغرق منهم وهرب الباقون، وحُملت الأسرى إلى بغداد فقتلوا وصلبوا، وحبس عيسى بن موسى مدة، ثم تخلّص بغفلة السلطان وحدوث الفتن آخر أيام المقتدر، فأقام ببغداد يدعو الناس، ووضع كتبا نسبها إلى عبدان الداعى نسبه فيها إلى الفلسفة، وأنه يعلم ما يكون قبل كونه، فصار له أتباع،

---

(١) الملقب بزين العابدين هو على بن الحسين، لا محمد ابنه.

Marfat.com

وأفسد فسادا عظيما، وصار له خلفاء من بعده مدة.

وأما خراسان فقدم إليها بالدعوة أبو عبد الله الخادم فأول ما ظهرت بنيسابور(١)، فاستخلف عند موته أبا سعيد الشعرانى، وصار منهم خلق كثير هناك من الرؤساء وأصحاب السلاح.

وانتشرت فى الرى من رجل يعرف بخلف الحلاج، وكان يحلج القطن، فصُرف بها طائفة «الخلفية»، وهم خلق كثير، ومال إليهم قوم من الديلم وغيرهم، وكان منهم أسفار فلما قتل مرداويج أسفار عظمت شوكة القرامطة فى أيامه بالرى وأخذوا يقتلون الناس غيلةً حتى أفنوا خلقا كثيرا.

ثم خرج مرداويج إلى جُرْجان(٢) لقتال نصر بن أحمد السامانى، فنفر عليهم وقتلهم مع صبيانهم ونسائهم حتى لم يبقَ منهم أحد، وصار بعضهم إلى مُفْلِح - غلام ابن أبى الساج - فاستجاب له، ودخل فى دعوته.

فلما كان فى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة: وقد استعد الحسن بن عبيد الله بن طُغْج بالرملة لقتال مَنْ يرد عليه من قِبَل جوهر القائد، فورد عليه الخبر بأن القرامطة تقصده، ووافت الرملة فهزموا الحسن بن عبيد الله، ثم جرى بينهم صلح، وصاهر إليهم فى ذى الحجة منها، فأقام القرمطى بظاهر الرملة ثلاثين يوما ورحل.

وسار جعفر بن فَلاَح من مصر فهزم الحسن بن عبيد الله بن طُغْج، وقتل رجاله،

---

(١) نَيْسَابُور: بفتح أوله، والعامة يسمونه نَشَاوُور: وهى مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة معدن الفضلاء ومنبع العلماء، واختُلف فى تسميتها بهذا الاسم فقال بعضهم: إنما سميت بذلك لأن سابور مرّ بها وفيها قصب كثير فقال: يصلح أن يكون ههنا مدينة، فقيل لها نيْسابور، وقيل: فى تسمية نيسابور وسابور خواست وحنديسابور: أن سابور لما فقدوه حين خرج من مملكته لقول المنجمين، خرج أصحابه يطلبونه فبلغوا نيسابور فلم يجدوه فقالوا: نيست سابور أى ليس سابور، فرجعوا حتى وقعوا إلى سابور خواست فقيل لهم: ما تريدون؟ فقالوا: سابور خواست، معناه سابور نطلب، ثم وقعوا إلى حنديسابور فقالوا وند سابور أى وُجد سابور، ومن أسماء نيسابور أبْرَشَهْر وبعضهم يقول إيرانشهر، والصحيح أن إيرانشهر هى ما بين حيحون إلى القادسية. انظر: الروض المعطار ٥٨٨، ٥٨٩، معجم البلدان ٣٣١/٥ - ٣٣٣.

(٢) جرجان: فى خراسان، أول من نزلها جرجان بن أميم بن لاوذ بن سام فسميت به، وسار وبار ابن أميم أخوه إلى جانب الدهناء مما يلى اليمامة فسميت به أرض وبار. والغالب على أعمال جرجان الجبال والقلاع، وربما بلغت قلاعها تسعمائة قلعة، وجرجان وطبرستان مدينتان من عمل خراسان، والرى وجرجان وأعمالها مضافة لطبرستان. انظر: الروض المعطار ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ومعجم ما استعجم ٣٧٥/٢، ومعجم البلدان ١١٩/٢ - ١٢٢.

Marfat.com

وأخذه أسيرا، فسار إلى دمشق فنزل بظاهرها، فمنعه أهل البلد وقاتلوا قتالا شديدا، ثم إنه دخلها بعد حروب، وفرَّ منه جماعة - منهم ظالم بن موهوب العُقَيْلى، ومحمد بن عصودا - فلحقا بالأحساء إلى القرامطة، وحثوهم على المسير إلى الشام، فوقع ذلك منهم بالموافقة، لأن الإخشيدية كانت تحمل إليهم فى كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، فلما صارت عساكر المعز إلى مصر مع جوهر، وزالت الدولة الإخشيدية انقطع المال عن القرامطة، فسارت [.....][1] بعد أن بعثوا عرفاءهم لجمع العرب، فنزلوا الكوفة وراسلوا السلطان ببغداد، فأنفذ إليهم خزانة سلاح، وكتب لهم بأربعمائة ألف درهم على أبى تَغْلِب بن ناصر الدولة بن حمدان، ورحلوا إلى الرحبة - وعليها أبو تَغْلِب - فحمل إليهم العلوفة والمال الذى كتبا به لهم.

وجمع جعفر بن فلاح أصحابه واستعد لحربهم، فتفرق الناس عنه إلى مواضعهم، ولم يفكروا بالموكلين على الطرق، وكان رئيس القرامطة الحسن بن أحمد بن أبى سعيد الجنابى، فبعث إليه أبو تغلب يقول:

«هذا شىء أردت أن أسير أنا فيه بنفسى وأنا مقيم فى هذا الموضع إلى أن يرد علىَّ خبرُك، فإن احتجت إلى مسيرى سرتُ إليك».

ونادى فى عسكره: «من أراد المسير من الجند الإخشيدية وغيرهم إلى الشام مع الحسن بن أحمد فلا اعتراض لنا عليه؛ فقد أذنا له فى المسير، والعسكران واحد».

فخرج إلى عسكر القرمطى جماعة من عسكر أبى تغلب، وفيهم كثير من الإخشيدية الذين كانوا بمصر، صاروا إليه - لما دخل جوهر - من مصر وفلسطين؛ وكان سبب هذا الفعل من أبى تغلب أن جعفر بن فلاح كان قد أنفذ إليه من طبرية داعيا يقال له أبو طالب التنوخى - من أهل الرملة - يقول له: «إنى سائر إليك فنقيم الدعوة»، فقال له أبو تغلب - وكان بالموصل[2]: «هذا ما لا يتم لأنا فى دهليز بغداد، والعساكر قريبة منا، ولكن إذ قربت عساكركم من هذه الديار أمكن ما ذكرتم». فانصرف من عنده على غير شىء.

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض بالأصل.

(٢) الموصل: مدينة مشهورة، إحدى قواعد بلاد الإسلام. انظر: معجم البلدان ٥/٢٢٣، ٢٢٥، وفى الروض المعطار الموصل: فى الجانب الغربى من دجلة وسميت بهذا الاسم لأنها وصلت بين الفرات ودجلة، وشرب أهلها من ماء دجلة، وبساتينها قليلة، وضياعها ومزدرعاتها ممتدة، وأبنيتها بالجص والحجارة، ولها رساتيق عظيمة وكور كثيرة. انظر: الروض المعطار ٥٦٣، ٥٦٤، ونزهة المشتاق ١٩٩.

Marfat.com

وبلغ ذلك القرمطى فسرَّه وزاده قوة، وسار عن الرَّحْبَة، فأشار أصحاب جعفر - لما قارب القرامطة دمشق - أن يقاتلهم بطرف البرية، فخرج إليهم وواقعهم، فانهزم، وقُتل لستٍ خلون من ذى القعدة سنة ستين وثلاثمائة:

ونزل القرمطى ظاهر المزَّة[1] فجبى مالا، وسار يريد الرملة - وعليها سعادة بن حيان - فالتجأ إلى يافا[2]، ونزل عليه القرمطى، وقد اجتمعت إليه عرب الشام وأتباع من الجند، فناصبها القتال حتى أكل أهلها الميتة، وهلك أكثرهم جوعا ثم سار عنها، وترك على حصارها ظالم العقيلى وأبا الهيجا بن منجا[3]، وأقام القرامطة الدعوة للمطيع لله العباسى فى كل بلد فتحوه، وسودوا أعلامهم، ورجعوا عما كانوا يُمَخْرِقون به، وأظهروا أنهم كأمراء النواحى الذين من قِبَل الخليفة العباسى.

ونزل على مصر أول ربيع الأول سنة إحدى وستين وثلاثمائة، فقاتله جوهر على الخندق وهزمه، فرحل إلى الأحساء.

وأنفذ جوهر جيشا نحو يافا فملكوها، ورحل المحاصرون لها إلى دمشق، ونزلوا بظاهرها، فاختلف ظالم العقيلى وأبو الهيجا بسبب الخراج، فكان كل منهما يريد أخذه للنفقة فى رجاله، وكان أبو الهيجا أثيرا عند القرمطى يولج إليه أموره، ويستخلفه على تدبيره.

ورجع الحسن بن أحمد القرمطى من الأحساء فنزل الرملة ولقيه أبو الهيجا وظالم، وبلغه ما جرى بينهما من الاختلاف، فقبض على ظالم واعتقله مدة ثم خلّى عنه.

---

(١) المِزَّةُ: بالكسر ثم التشديد، أظنه عجميًّا فإنى لم أعرف له فى العربية مع كسر الميم معنًى: وهى قرية كبيرة غنّاء فى وسط بساتين دمشق، بينها وبين دمشق نصف فرسخ، وبها فيما يقال قبر دحية الكلبى صاحب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ويقال لها مِزّة كلب. انظر: معجم البلدان ١٢٢/٥.

(٢) يافا: بالفاء، والقصر: مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين بين قيسارية وعكّا فى الإقليم الثالث، قال ابن بُطلان فى رسالته التى كتبها فى سنة ٤٤٢: ويافا بلد قحط والمولود فيها قلّ أن يعيش حتى لا يوجد فيها معلم للصبيان، افتتحها صلاح الدين عند فتحه الساحل فى سنة ٥٨٣ ثم استولى عليها الأفرنج فى سنة ٥٨٧ ثمّ استعادها منهم الملك العادل أبو بكر بن أيوب فى سنة ٥٩٣ وخرّبها، وربما نسب إليها يافونى. انظر: معجم البلدان ٤٢٦/٥، وفى الروض المعطار جاء ذكرها يافة: هى فرضة بيت المقدس، بينهما مرحلتان خفيفتان. انظر: الروض المعطار٦١٥، ونزهة المشتاق ١١٣.

(٣) أبو الهيجا هو عبد الله بن على بن المنجا: أحد أصحاب أبى على الحسين بن أحمد بن الحسين ابن بهرام القرمطى المنعوت بالأعصم، وكان يرجع إليه لرأيه وسياسته واستخلفه على دمشق حين رحل إلى الأحساء بعد انهزامه مع أبى محمود إبراهيم بن جعفر الكتامى.

Marfat.com

وطرح القرمطى مراكب فى البحر، وشحنها بالمقاتلة، وسيَّرها إلى تِنِّيس، وغيرها من سواحل مصر، وجمع مَنْ قدر عليه من العرب وغيرهم، وتأهَّب للمسير إلى مصر، هذا بعد أن كان القرامطة أولا يمخرقون بالمهدى، ويوهمون أنه صاحب المغرب، وأن دعوتهم إليه، ويراسلون الإمام المنصور إسماعيل بن محمد القائم[1] بن عبيد الله المهدى، ويخرجون إلى أكابر أصحابهم أنهم من أصحابه إلى أن افتضح كذبهم بمحاربة القائد جوهر لهم، وقتله كثيرا منهم، وكسره القبة التى كانت لهم.

فلما نزل المعز لدين الله القاهرة عندما قدم من المغرب وقد تيقن أخبار القرامطة كتب إلى الحسن بن أحمد القرمطى كتابًا عنوانه:

«من عبد الله ووليِّه، وخيرته وصفيه، معد أبى تميم المعز لدين الله، أمير المؤمنين، وسلالة خير النبيين، ونجل علىٍّ أفضل الوصيين إلى الحسن بن أحمد»:

بسم الله الرحمن الرحيم: رسوم النطقاء، ومذاهب الأئمة والأنبياء، ومسالك الرسل والأوصياء، السالف والآنف منا، صلوات الله علينا وعلى آبائنا، أولى الأيدى والأبصار، فى متقدم الدهور والأكوار، وسالف الأزمان والأعصار، عند قيامهم بأحكام الله، وانتصابهم لأمر الله، الابتداء بالإعذار، والانتهاء بالإنذار، قبل إنفاذ الأقدار، فى أهل الشقاق والأصار لتكون الحجة على من خالف وعصى، والعقوبة على من باين وغوى، حسبما قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿**وما كُنّا مُعَذِّبينَ حتّى نَبْعَثَ رَسُولا**﴾[2]. و﴿**وإنْ مِنْ أُمَّةٍ إلاّ خَلاَ فيها نَذيرٌ**﴾[3]. وقوله سبحانه: ﴿**قُلْ هَذِه سَبيلى أَدْعُو إلى اللهِ عَلَى بَصِيرةٍ أَنا وَمَنْ اتّبَعَنى وسُبْحانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكين**﴾[4]. ﴿**فَإنْ آمَنوا بِمِثْلِ ما آمَنْتُمْ به فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإنْ تَوَلَّوْا فَإنَّمَا هُمْ فى شِقَاق**﴾[5].

أما بعد، أيها الناس فإنا نحمد الله بجميع محامده، ونمجده بأحسن مماجده، حمدا دائما

---

(١) إسماعيل بن محمد بن عبيد الله المهدى، أبو الطاهر المنصور بنصر الله: ثالث خلفاء الدولة الفاطمية العبيدية بالمغرب. مولده بالقيروان، قام بالأمر فى المهدية (بإفريقية) بعد وفاة أبيه القائم بأمر الله سنة ٣٣٤هـ، وبويع سنة ٣٣٦ هـ. بعد أن فرغ من حرب أبى يزيد النكار [مخلد بن كيداد] فبنى مدينة بقرب القيروان سماها «المنصورية». انظر: وفيات الأعيان ١/٧٦، وابن خلدون ٤/٤٣، وابن الأثير ٨/١٥٠، ١٦٤، والبيان المغرب ١/٢١٨، وأعمال الأعلام ٢٢، ٢٣، والأعلام ١/٢٢٢، ٢٢٣.

(٢) سورة الإسراء، الآية ١٥.

(٣) سورة فاطر، الآية ٢٤.

(٤) سورة يوسف، الآية ١٠٨.

(٥) سورة البقرة، الآية ١٣٧.

Marfat.com

أبدا، ومجدا عاليا سرمدا، على سبوغ نعمائه، وحسن بلائه، ونبتغى إليه الوسيلة بالتوفيق والمعونة على طاعته، والتسديد فى نصرته، ونستكفيه مماثلة الهوى والزيغ عن قصد الهدى، ونستزيد منه إتمام الصلوات، وإفاضات البركات، وطيب التحيات، على أوليائه الماضين وخلفائه التالين، منا ومن آبائنا الراشدين المهدين المنتخبين، الذين قضوا بالحق وكانوا به يعدلون.

أيها الناس: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾[1]. ليذكر من يذكر، وينذر من أبصر واعتبر.

أيها الناس: إن الله جلَّ وعزَّ إذا أراد أمرا قضاه، وإذا قضاه أمضاه، وكان من قضائه فينا قبل التكوين أن خلقنا أشباحا، وأبرزنا أرواحا، بالقدرة مالكين، وبالقدوة قادرين، حين لا سماء مبنية، ولا أرض مدحية، ولا شمس تضىء، ولا قمر يسرى، ولا كوكب يجرى، ولا ليل يجن، ولا أفق يكن، ولا لسان ينطق، ولا جناح يخفق، ولا ليل ولا نهار، ولا فلك دوَّار، ولا كوكب سيَّار.

فنحن أول الفكرة وآخر العمل، بقدر مقدور، وأمر فى القدم مبرور، فعند تكامل الأمر وصحة العزم، وإنشاء الله - جلَّ وعزَّ - المنشآت، وإبداء الأمهات من الهيُولات، طبعنا أنوارا وظلما، وحركة وسكونا.

وكان من حكمه السابق فى علمه ما تروْن من فلك دوَّار، وكوكب سيَّار، وليل ونهار، وما فى الآفاق من آثار معجزات، وأقدار باهرات، وما فى الأقطار من الآثار، وما فى النفوس من الأجناس والصور والأنواع، من كثيف ولطيف، وموجود ومعدوم، وظاهر وباطن، ومحسوس وملموس، ودانٍ وشاسع، وهابط وطالع.

كل ذلك لنا ومن أجلنا، دلالة علينا، وإشارة إلينا، يهدى به اللهُ مَنْ كان له لب سجيح، ورأى صحيح، قد سبقت له منا الحسنى، فدان بالمعنى.

ثم إنه - جلَّ وعلا - أبرز من مكنون العلم ومخزون الحكم، آدم وحواء أبوين ذكرا وأنثى، سببا لإنشاء البشرية، ودلالة لإظهار القدرة القويَّة، وزج بينهما فتوالدا الأولاد، وتكاثرت الأعداد، ونحن ننتقل فى الأصلاب الزكيَّة، والأرحام الطاهرة المرضية، كلما ضمنا صُلْبٌ ورَحِم أظهر منا قدرة وعلم، وهلم جرا إلى آخر الجدِّ الأول، والأب الأفضل، سيد المرسلين، وإمام النبيين، أحمد ومحمد صلوات الله عليه وعلى آله فى كل نادٍ ومشهد، فحسن آلاؤه، وبان غناؤه، وأباد المشركين، وقصم الظالمين، وأظهر الحق،

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٠٤.

Marfat.com

واستعمل الصدق، وظهر بالأحديَّة، ودان بالصمدية؛ فعندما سقطت الأصنام، وانعقد الإسلام، وانتشر الإيمان، وبطل السحر والقربان، وهربت الأوثان، وأتى بالقرآن، شاهدا بالحق والبرهان، فيه خبر ما كان وما يكون إلى يوم الوقت المعلوم، منبئا عن كتبٍ تقدمت، فى صحف قد تنزلت، تبيانا لكل شيء، وهدى ورحمة ونورا وسراجا منيرا.

وكل ذلك دلالاتٌ لنا، ومقدمات بين أيدينا، وأسباب لإظهار أمرنا، هدايات وآيات وشهادات، وسعادات قدسيات، إلهيات أزليات، كائنات منشآت، مبدئات معيدات.

فما من ناطق نطق، ولا نبى بُعث، ولا وصىٌّ ظهر، إلا وقد أشار إلينا، ولوح بنا، ودل علينا فى كتابه وخطابه، ومنار أعلامه، ومرموز كلامه، فيما هو موجود غير معدوم، وظاهر وباطن، يعلمه من سمع الندا، وشاهد ورأى، من الملأ الأعلى؛ فمن أغفل منكم أو نسى، أو ضل أو غوى، فلينظر فى الكتب الأولى، والصحف المنزلة، وليتأمل آى القرآن، وما فيه من البيان، وليسأل أهل الذكر إن كان لا يعلم، فقد أمر الله عز وجل بالسؤال، فقال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾(١). وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فى الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُم يَحْذَرُونَ﴾(٢).

ألا تسمعون قول الله حيث يقول: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فى عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(٣). وقوله تقدست أسماؤه: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٤). وقوله له العزة: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فيه كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾(٥).

ومثل ذلك فى كتاب الله تعالى جده كثير، ولولا الإطالة لأتينا على كثير منه ومما دل به علينا، وأنبأ به عنا، قوله عز وجل: ﴿كَمِشْكَاةٍ فيها مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِى اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ

---

(١) سورة النحل، الآية ٤٣.
(٢) سورة التوبة، الآية ١٢٢.
(٣) سورة الزخرف، الآية ٢٨.
(٤) سورة آل عمران، الآية ٣٤.
(٥) سورة الشورى، الآية ١٣.

Marfat.com

﴿وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾(١).

وقوله فى تفضيل الجد الفاضل والأب الكامل محمد - ﷺ - إعلاما بجليل قدرنا، وعلو أمرنا: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِى وَالقُرْآنَ العَظِيمَ﴾(٢).

هذا مع ما أشار ولوَّح، وأبان وأوضح، فى السر والإعلان، من كل مَثَلٍ مضروب، وآية وخبر وإشارة ودلالة، حيث يقول: ﴿وتِلْكَ الأَمثالُ نَضرِبُها لِلنّاسِ ومَا يَعْقِلُها إلاّ الْعَالِمُونَ﴾(٣). وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ والنهَارِ لآيَاتٍ لأُولِى الأَلْبَابِ﴾(٤). وقوله جل وعز: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ وَفِى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾(٥).

فإن اعتبر معتبر، وقام وتدبر ما فى الأرض وما فى الأقطار والآثار، وما فى النفس من الصور المختلفات، والأعضاء المؤتلفات، والآيات والعلامات، والاتفاقات والاختراعات، والأجناس والأنواع، وما فى كون الإبداع من الصور البشرية، والآثار العلوية، وما يشهد به حروف المعجم، والحساب المقوَّم، وما جمعته الفرائض والسنن، وما جمعته السنون من فصل وشهر ويوم، وتصنيف القرآن من تحزيبه وأسباعه، ومعانيه وأرباعه، وموضع الشرائع المتقدمة، والسنن المحكمة، وما جمعته كلمة الإخلاص فى تقاطيعها وحروفها وفصولها، وما فى الأرض من إقليم وجزيرة، وبَرٍّ وبحر، وسهل وجبل، وطول وعرض، وفوق وتحت، إلى ما اتفق عليه فى جميع الحروف من أسماء المدبرات السبعة النطقا، والأوصيا والخلفا، وما صدرت به الشرائع من فرض وسنة وحدوثه، وما فى الحساب من أحاد وأفراد، وأزواج وأعداد، تثاليثه وترابيعه واثنى عشريته وتسابيعه، وأبواب العشرات والمئين والألوف، وكيف تجتمع وتشتمل على ما اجتمع عليه ما تقدم من شاهد عدل وقول صدق، وحكمة حكيم وترتيب عليم.

فلا إله إلا هو له الأسماء الحسنى والأمثال العلى. ﴿وإِنْ تعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوها﴾(٦). ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾(٧). ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِى الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ

---

(١) سورة النور، الآية ٣٥.

(٢) سورة الحجر، الآية ٨٧.

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٤٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٩٠.

(٥) سورة فصلت، الآية ٥٣.

(٦) سورة إبراهيم، الآية ٣٤.

(٧) سورة يوسف، الآية ٧٦.

أَقْلاَمٌ والْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ﴾(١).

وليعلم من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، أنا كلمات الله الأزليات، وأسماؤه النامات، وأنواره الشعشعانيات، وأعلامه النيرات، ومصابيحه البينات، وبدائعه المنشآت، وآياته الباهرات، وأقداره النافذات، لا يخرج منا أمر، ولا يخلو منا عصر.

وإنا لكما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(٢).

فاستشعروا النظر فقد نقر فى الناقور، وفار التنور، وأتى النذير بين يدى عذاب شديد، فمن شاء فلينظر، ومن شاء فليتدبر، وما على الرسول إلا البلاغ المبين.

وكتابنا هذا من فسطاط مصر، وقد جئناها على قدر مقدور، ووقت مذكور، فلا نرفع قدما ولا نضع قدما إلا بعلم موضوع، وحكم مجموع، وأجل معلوم، وأمر قد سبق، وقضاء قد تحقق.

فلما دخلنا وقد قدر المرجفون من أهلها أن الرجفة تنالهم، والصعقة تحل بهم، تبادروا وتعادوا شاردين، وجلوا عن الأهل والحريم والأولاد والرسوم، وإنا لنار الله الموقدة، التى تطّلع على الأفئدة، فلم أكشف لهم خبرا، ولا قصصت لهم أثرا، ولكنى أمرت بالنداء، وأذنت بالأمان، لكل بادٍ وحاضر، ومنافق ومشاقق، وعاص ومارق، ومعاند ومسابق، ومن أظهر صفحته وأبدى لى سوءته، فاجتمع الموافق والمخالف، والباين والمنافق، فقابلت الولى بالإحسان، والمسىء بالغفران، حتى رجع الناد والشارد، وتساوى الفريقان، واتفق الجمعان، وانبسط القطوب، وزال الشحوب، جريا على العادة بالإحسان، والصفح والامتنان، والرأفة والغفران، فتكاثرت الخيرات، وانتشرت البركات.

كل ذلك بقدرة ربانية، وأمرة برهانية، فأقمت الحدود، بالبينة والشهود، فى العرب والعبيد، والخاص والعام، والبادى والحاضر، بأحكام الله - عزَّ وجلَّ - وآدابه، وحقه وصوابه، فالوالى آمن جذل، والعدو خائف وَجِل.

فأما أنت الغادر الخائن، الناكث البائن، عن هدى آبائه وأجداده، المنسلخ عن دين

---

(١) سورة لقمان، الآية ٢٧.

(٢) سورة المجادلة، الآية ٧.

Marfat.com

أسلافه وأنداده، والموقد لنار الفتنة، والخارج عن الجماعة والسنة، فلم أغفل أمرك، ولا خفى عني خبرك، ولا استتر دونى أثرك، وإنك منى لبمنظر ومسمع، كما قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾(١)، ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾(٢).

فعرفنا على أى رأى أصلت، وأى طريق سلكت: أما كان لك بجدك أبى سعيد أسوة، وبعمل أبى طاهر قدوة؟ أما نظرت فى كتبهم وأخبارهم ولا قرأت وصاياهم وأشعارهم؟ أكنت غائبا عن ديارهم وما كان من آثارهم؟.

ألم تعلم أنهم كانوا عبادا لنا أولى بأس شديد، وعزم سديد، وأمر رشيد وفعل حميد، يفيض إليهم موادنا، وينشر عليهم بركاتنا، حتى ظهروا على الأعمال، ودان لهم كلُّ أمير ووال، ولقبوا بالسادة فسادوا، منحة منا واسما من أسمائنا، فعلت أسماؤهم، واستعلت هممهم، واشتد عزمهم، فسارت إليهم وفود الآفاق، وامتدت نحوهم الأحداق، وخضعت لهيبتهم الأعناق، وخِيفَ منهم الفساد والعناد، وأن يكونوا لبنى العباس أضداد، فعبئت الجيوش، وسار إليهم كل خميس بالرجال المنتجبة، والعدد المهذبة، والعساكر الموكبة، فلم يلقهم جيش إلا كسروه، ولا رئيس إلا أسروه، ولا عسكر إلا كسروه، وألحاظنا ترمقهم، ونصرنا يلحقهم، كما قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾(٣)، ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾(٤)، وإن حزبنا لهم المنصورون.

فلم يزل ذلك دأبهم، وعين الله ترمقهم، إلى أن اختار لهم ما اختاره من نقلهم من دار الفناء، إلى دار البقاء، ومن نعيم يزول إلى نعيم لا يزول، فعاشوا محمودين، وانتقلوا مفقودين، إلى روح وريْحان وجناتِ النعيم، فطوبى لهم وحسن مآب.

ومع هذا فما من جزيرة فى الأرض ولا إقليم إلا ولنا فيه حُجَجٌ ودعاة يدعون إلينا، ويدلون علينا، ويأخذون بيعتنا، ويذكرون رجعتنا، وينشرون عِلْمَنا، وينذرون بأسنا، ويبشرون بايامنا، بتصاريف اللغاتِ واختلاف الألسن، وفى كل جزيرة وإقليم رجال منهم يفقهون، وعنهم يأخذون، وهو قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ

---

(١) سورة طه، الآية ٤٦.

(٢) سورة مريم، الآية ٢٨.

(٣) سورة غافر، الآية ٥١.

(٤) سورة الصافات، الآية ١٧٣.

Marfat.com

بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾(١).

وأنت عارف بذلك. فيأيها الناكث الحانث ما الذى أرداك وصدَّك؟.

أشىء شككت فيه، أم أمر استربت به، أم كنت خليا من الحكمة، وخارجًا عن الكلمة، فأزالك وصدَّك، وعن السبيل ردَّك؟ إن هى إلا فتنة لكم ومتاع إلى حين.

وأيمُ الله لقد كان الأعلى لجدك، والأرفع لقدرك، والأفضل لمجدك، والأوسع لوفدك، والأنضر لعودك، والأحسن لعذرك، الكشف عن أحوال سلفك وإن خفيت عليك، والقفو لآثارهم وإن عميت لديك، لتجرى على سننهم، وتدخل فى زمرهم، وتسلك فى مذهبهم، أخذًا بأمورهم فى وقتهم، وزيهم فى عصرهم، فتكون خلفًا قفا سلفًا بجد وعزم مؤتلف، وأمر غير مختلف. لكن غلب الران على قلبك، والصدى على لبك، فأزالك عن الهدى، وأزاغك عن البصيرة والضياء، وأمالك عن مناهج الأولياء، وكنت من بعدهم كما قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةِ واتَّبَعُوا الشَّهواتِ فَسَوف يَلْقَونَ غَيًّا﴾(٢).

ثم لم تقنع فى انتكاسك، وترديتك فى ارتكاسك، وارتباكك وانعكاسك، من خلافك الآباء ومشيك القهقرى، والنكوص على الأعقاب، والتسمى بالألقاب، بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان، وعصيانك مولاك، وجحدك ولاك، حتى انقلبت على الأدبار، وتحملت عظيم الأوزار، لتقيم دعوة قد درست، ودولة قد طُمست، إنك لمن الغاوين، وإنك لفى ضلال مبين. أم تريد أن ترد القرون السالفة، والأشخاص الغابرة؟ أما قرأت كتاب السفر، وما فيه من نص وخبر؟.

فأين يذهبون إن هى إلا حياتكم الدنيا، تموتون وتظنون أنكم لستم بمبعوثين، ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتنبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلى اللهِ يَسِيرٌ﴾(٣).

أما علمت أن المطيع آخر ولد العباس، وآخر المترايس فى الناس؟.

أما تراهم ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٌ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَة﴾(٤).

خُتم والله الحساب، وطوى الكتاب، وعاد الأمر إلى أهله، والزمان إلى أوله، وأزفت الآزفة، ووقعت الواقعة، وقُرعت القارعة، وطلعت الشمس من مغربها، والآية من

---

(١) سورة إبراهيم، الآية ٤.

(٢) سورة مريم، الآية ٥٩.

(٣) سورة التغابن، الآية ٧.

(٤) سورة الحاقة، الآيتان ٧، ٨.

Marfat.com

وطنها، وجيء بالملائكة والنبيين وخسر هنالك المبطلون، هنالك الولاية لله الحق والمُلْك لله الواحد القهار، فله الأمر من قبل ومن بعد، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر به الله من يشاء، ﴿يَومَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾(١).

فقد ضل عملك، وخاب سعيك، وطلع نحسك، وغاب سعدك، حين آثرت الحياة الدنيا على الآخرة، ومال بك الهوى، فأزالك عن الهدى، فإن تكفر أنت ومَنْ فى الأرض جميعا فإن الله هو الغنى الحميد.

ثم لم يكفك ذلك - مع بلائك وطول شقائك - حتى جمعت أرجاسك وأنجاسك، وحشدت أوباشك وأقلاسك، وسرت قاصدا إلى دمشق وبها جعفر بن فلاح فى فئة قليلة منْ كتامة وزويلة، فقتلته، وقتلتهم - جرأة على الله وردًّا لأمره - واستبحت أموالهم، وسبيت نساءهم، وليس بينك وبينهم ترة وثأر، ولا حقد ولا أضرار، فِعْل بنى الأصفر والترك والخزر، ثم سرتَ أمامك ولم ترجع، وأقمت على كفرك ولم تقلع، حتى أتيت الرملة وفيها سعادة بن حيان فى زمرة قليلة وفرقة يسيرة، فاعتزل عنك إلى يافا، مستكفيا شرك، وتاركا حربك، فلم تزل ماكثا على نكثك باكرًا وصابحًا، وغاديًا ورائحًا، تقعد لهم بكل مقعد، وتأخذ عليهم بكل مرصد، وتقعد بكل مقصد، كأنهم تُرْكٌ وروم وخزَر، لا يَنْهَكَ عن سفك الدماء دينٌ، ولا يردعك عهد ولا يقين، قد استوعب من الردى حيزومك، وانقسم على الشقاء خرطومك.

أما كان لك مذكر، وفى بعض أفعالك مزدجر، أو ما كان لك فى كتاب الله عز وجلَّ معتبر حيث يقول: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيهِ وَلَعَنَهُ وَأَعدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾(٢).

فحسبك بها فعلة تلقاك يوم ورودك وحشرك حين لا مناص، ولا لك من الله خلاص، ولم تستقبلها، وكيف تستقبلها وأنى لك مقيلها؟.

هيهات، هيهات، هلك الضالون، وخسر هنالك المبطلون، وقلَّ النصير، وزال العشير، ومن بعد ذلك تماديك فى غِيِّك، ومقامك فى بغيك، عدواة لله ولأوليائه، وكفرا لهم وطغيانًا، وعمى وبهتانًا.

أتراك تحسب أنك مخلد أم لأمر الله راد.

---

(١) سورة الحج، الآية ٢.

(٢) سورة النساء، الآية ٩٣.

أم ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطفِئُوا نُورَ اللهِ بِأفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَو كَرِهَ الكَافِرُونَ﴾(١).

هيهات لا خلود لمذكور، ولا مرد لمقدور، ولا طافئ لنور، ولا مقر لمولود، ولا قرار لموعود، لقد خاب منك الأمل، وحان لك الأجل، فإن شئت فاستعد للتوبة بابا، وللنُقْلة جلبابا، فقد بلغ الكتاب أجله، والوالى أمله، وقد رفع الله قبضته عن أفواه حكمته، ونطق من كان بالأمس صامتا، ونهض من كان هناك خائفا، ونحن أشباح فوق الأمر والنفس، دون العقل وأرواح فى القدس، نسبة ذاتية، وآيات لدنية، نسمع ونرى ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾(٢). ﴿وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾(٣).

ونحن معرضون ثلاث خصال - والرابعة أردى لك، وأشقى لبالك، وما أحسبك تحصل إلا عليها - فاختر:

إما قدْتَ نفسك لجعفر بن فلاح، وأتباعك بأنفس المستشهدين معه بدمشق والرملة من رجاله ورجال سعادة بن حيان، ورد جميع ما كان لهم من رجال وكراع ومتاع إلى آخر حبة من عقال ناقة وخطام بعير - وهى أسهل ما يرد عليك.

وإما أن تردهم أحياء فى صورهم وأعيانهم وأموالهم وأحوالهم - ولا سبيل لك إلى ذلك ولا اقتدار.

وإما سرتَ ومن معك بغير زمام ولا أمان فأحكم فيك وفيهم بما حكمت، وأجريك على إحدى ثلاث: إما قصاص، وإما منّا بعد، وإما فدى، فعسى أن يكون تمحيصا لذنوبك، وإقالة لعثرتك.

وإن أبيت إلا فعل اللعين: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَومِ الدِينِ﴾(٤).

أخرج منها فما يكون لك أن تتكبر فيها، وقيل اخسئوا فيها ولا تكلمون، فما أنت إلا كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، فلا سماء تظلك ولا أرض تقلك، ولا ليل يجنك، ولا نهار يكنك، ولا علم يسترك، ولا فئة تنصرك، قد تقطعت

---

(١) سورة التوبة، الآية ٣٢.

(٢) سورة الشورى، الآية ٥٢.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٩٨.

(٤) سورة الحجر، الآيتان ٣٤، ٣٥.

Marfat.com

بكم الأسباب، وأعجزكم الذهاب، فأنتم كما قال الله عز وجل: ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاَءِ وَلاَ إِلَى هؤَلاَءِ﴾(١).

فلا ملجأ لكم من الله يومئذ ولا منجى منه؛ وجنود الله فى طلبك قافية، لا تزال ذو أحقاد، وثوار أهجاد، ورجال أنجاد، فلا تجد فى السماء مصعدا، ولا فى الأرض مقعدا، ولا فى البر ولا فى البحر منهجا، ولا فى الجبال مسلكا، ولا إلى الهواء سلما، ولا إلى مخلوق ملتجا.

حينئذ يفارقك أصحابك، ويتخلى عنك أحبابك، ويخذلك أترابك، فتبقى وحيدًا فريدًا، وخائفًا طريدًا، وهائمًا شريدًا، قد ألجمك العرق، وكظك القلق، وأسلمتك ذنوبك، وازدراك خزيك، ﴿كَلاَّ لاَ وَزَرَ إِلَى رَبِّكَ، يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾(٢)، ﴿هَذَا يومُ لاَ يَنطقوُنَ وَلاَ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾(٣)، ﴿وَجُوه يَوْمَئِذٍ عَلَيهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾(٤).

واعلم أنا لسنا بمهليك ولا مهمليك إلا ريثما يرد كتابك، ونقف على فحوى خطابك، فانظر لنفسك يا شقي ليومك ومعادك قبل انغلاق باب التوبة، وحلول وقت النوبة، حينئذ لا ينفع نفسًا إيمانُها، لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرًا.

وإن كنت على ثقة من أمرك، ومَهَل فى أمر عصرك وعمرك، فاستقر بمركزك، وأربع على ضلعك، فلينالنك ما نال من كان قبلك من عادٍ وثمود، ﴿وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ وَقَومُ تُبَّع كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسَلَ فَحَقَّ وعِيد﴾(٥)، فلنأتينكم بجنود لا قبل لكم بها ولنخرجنكم منها أذلة وأنتم صاغرون بأولى بأس شديد، وعزم سديد، أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، بقلوب نقية، وأرواح تقية، ونفوس أبية، يقدمهم النصر، ويشملهم الظفر، تمدهم ملائكة غلاظ شداد، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

فما أنت وقومك إلا كَمَنَاخِ نعم، أو كمراح غَنَم؛ فإما نُرينك الذى وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون، وأنت فى القفص مصفودا، ونتوفينك فإلينا مرجعهم فعندها تخسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين، ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى لاَ يَصْلاَهَا إِلاَّ الأَشْقَى

---

(١) سورة النساء، الآية ١٤٣.

(٢) سورة القيامة، الآيتان ١١، ١٢.

(٣) سورة المرسلات، الآيتان ٣٥، ٣٦.

(٤) سورة عبس، الآيات من ٤٠ - ٤٢.

(٥) سورة ق، الآية ١٤.

Marfat.com

الَّذِى كَذَّبَ وَتَولَّىٰ﴾(١)، ﴿كَأَنَّهُمْ يَومَ يَرَونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، بَلاَغٌ فَهَلْ يَهْلَكُ إِلاَّ القَوْمُ الفَاسِقُونَ﴾(٢).

فليتدبر من كان ذا تدبر، وليتفكر من كان ذا تفكر، وليحذر يوم القيامة من الحسرة والندامة، ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِى جَنْبِ اللهِ﴾(٣)، ويا حسرتنا على ما فرطنا، ويا ليتنا نُرَدُّ فنعمل غير الذى كنا نعمل، هيهات غلبت عليكم شقاوتكم وكنتم قومًا بورًا.

والسلام على من اتبع الهدى، وسلم من عواقب الردى، وانتمى إلى الملأ الأعلى، وحسبنا الله وكفى، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ونعم المولى ونعم النصير.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا النبى الأمى والطيبين من عترته، وسلم تسليمًا.

فأجاب الحسن بن الأعصم بما نصه: «من الحسن بن أحمد القرمطى الأعصم:

«بسم الله الرحمن الرحيم: وصل إلينا كتابك الذى كثر تفصيله، وقل تحصيله، ونحن سائرون على إثره، والسلام، وحسبنا الله ونعم الوكيل».

وسار الحسن بن أحمد القرمطى بعد ذلك إلى مصر، فنزل بعسكره بلبيس، وبعث إلى الصعيد بعبد الله بن عبيد الله أخى الشريف مسلم، وانبث سراياه فى أرض مصر، فتأهب المعز وعرض عساكره فى ثالث رجب سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، وأمر بتفرقة السلاح على الرجال، ووسع عليهم فى الأرزاق، وسير معهم الأشراف والعرب.

وسير معهم المعز ابنه الأمير عبد الله، فسار بمظلته وبين يديه الرجال والسلاح والكراع والبنود وصناديق الأموال والخلع، وسير معه أولاده وجميع أهله وجمعا من جند المصريين خلا الشريف مسلم، فإنه أعفاه من ذلك.

وانبسطت سرية القرمطى فى نواحى أسفل الأرض، فأنفذ المعز عبده ريان الصقلبى فى أربعة آلاف، فأزال القرامطة عن المحلة ونواحيها وقتل وأسر.

ولثمان خلون منه: قدمت سرية القرامطة إلى الخندق، فبرز إليهم المغاربة فهزموهم، ثم كروا على المغاربة فقتلوا منهم جماعة وأسروا؛ وفر إليهم على بن محمد الخازن فالتحق بالقرامطة.

وورد الخبر بأن عبد الله بن عبيد الله أخا مسلم أوغل فى الصعيد، وقتل، واستخرج الأموال، وأسرف فى قتل المغاربة وأسرهم، ثم كر راجعا إلى إخميم.

---

(١) سورة الليل، الآيات ١٤-١٦.

(٢) سورة الأحقاف، الآية ٣٥.

Marfat.com

ولست عشرة خلت منه: جمع المعز أولاد الإخشيدية وغيرهم من الجند واعتقلهم.

وفى سلخه: طيف بتسعة من القرامطة على الإبل بالبرانس ومعهم ثلاث رءوس.

وفيه: سار عسكر المعز مع ابنه عبد الله فنزل جُبَّ عُمَيرْة، ونزلت عسكر القرمطى نصفين: نصف مع النعمان أخى الحسن بن أحمد الأعصم مواجهة لعبد الله بن المعز، ونصف مع الحسن بسطح الجب.

فبعث عبد الله العساكر، فأحاطت بالحسن بن أحمد، وعسكر وزحف إلى النعمان فقاتله فانهزم، وقتل من أصحابه، وواقع الآخرون الحسن حتى كاد أن يؤخذ، فإنهم أحاطوا به، وصار فى وسطهم، فاغتنم فرجة مضى منها على وجهه، ونهب سواده وأخذت قبته، وأسر رجاله، وأخذ من عسكره وعسكر أخيه خلق كثير، وأخذ جماعة ممن كان مع المصريين.

ووصل الكتاب مع الطائر إلى عبد الله بن عبيد الله أخى مسلم بهزيمة القرامطة - وهو بالصعيد - فعدى إلى الجانب الشرقى لينقلب إلى الشام، فبلغه مسير عساكر المعز فعاد إلى الجانب الغربى وورد كتاب الطائر إلى المعز من الأمير عبد الله ابنه بأن عبد الله أخا مسلم قد أخذ، فأرسل المعز إلى أخيه أبى جعفر مسلم يخبره، فخلع على البشير.

وكانت فى البرية سرية للمعز قد أخذوا الطريق على عبد الله أخى مسلم، فوقع فى أيديهم فى الليل رجل بدوى، فقال: «أنا عبد الله أخو مسلم» فجاء إلى الأمير عبد الله، فكتب إلى الطائر يأخذ عبد الله، فلما جىء بالبدوى من الغد إلى الأمير عبد الله وهو فى معسكره - وكان فى مجلسه عبد الله بن الشويخ - فقال للأمير عبد الله: «ما هذا عمى عبد الله»، فبطل القول.

وكان خبر هذا البدوى أنه كان مع عبد الله أخى مسلم بالصعيد، وعبر معه يريد الشام فأراد أن يسقى دوابه، فقال له البدوى: «ما نأمن أن يكون على الماء طلب، فدعنى أتقدمك، فإن لم أجد أحدا جئتك، وإن أبطأتُ عليك فاعلم أنى أخذت».

فلما وافى البدوى البئر أخذ فقال لهم: «أنا عبد الله أخو مسلم» ليشغلهم عن طلبه، فلما أبطأ البدوى على عبد الله علم أن الطلب قد أخذوه، فكرَّ راجعًا وعاد إلى الجانب الغربى، وركب البحر إلى عينونا، ومضى إلى الحجاز.

وكان هاروق على عسكر للمعز، فرأى أصحابه عبد الله، فأفلت منهم على فرس دهما عربية بعد ما حط قبته وقطعها بسيفه، فظفر هاروق بنوقه، ووصل عبد الله إلى

---

(٣) سورة الزمر، الآية ٥٦.

Marfat.com

المدينة النبوية، وجلس يتحدث فى المسجد، فقيل له: «إن الكتب قد سبقتك، وبُذل فيك مال عظيم».

فنهض لوقته، وتوجه إلى الأحساء، فاستنهض القرامطة، فلم يكن فيهم نهضة، فوبخهم لما رأى من عجزهم، وقال: «أرونى ما عندكم من القوة التى تقاومون بها صاحب مصر».

فأوقفوه على ما عندهم من المال والسلاح والكراع، فاستقلّه وقال: «بهذا تقاومون صاحب مصر والشامات والمغرب؟».

وانصرف عنهم إلى العراق، فأتبعوه برجل يقال إنه من بنى سنبر، فسمَّه فى لبن بموضع يقال له النصيرية (١) - على ميلين من البصرة - فقام مائتى مجلس فى ليلة ومات بموضعه، فغُسِّل وكُفن وأدخل البصرة، فصلى عليه ودفن بها إلى أن جاء حسن بن طاهر بن أحمد فحمله إلى المدينة.

وورد الخبر بذلك إلى المعز، فأخبر الناس بموته وموت المطيع، فإنَّ ابنه سمَّه أيضا، كما سمت القرامطة عبد الله أخا مسلم.

وأما أخبار القرامطة ففى كتب المؤرخين من المشارقة المتعصبين على الدولة الفاطمية أن سبب انهزام الحسن بن أحمد القرمطى من عساكر المعز أن العرب لما أنكت بمسير سراياها بأرض مصر رأى المعز أن يفل عساكر القرامطة وجموعهم بمخادعة حسَّان بن الجراح الطائى (٢) - أمير العرب ببلاد الشام - وكان قد قدم مع القرمطى فى جمع عظيم قوى به عسكر القرمطى؛ فبعث المعز إلى ابن الجراح وبذل له مائة ألف دينار على أن يفل عسكر القرمطى، فأجاب إلى ذلك، وأن المعز استكثر المال، فعمل دنانير من نحاس وطلاها بالذهب، وجعلها فى أكياس، ووضع على رأس كل كيس منها دنانير يسيرة من الذهب ليغطى ما تحتها، وشدت الأكياس وحملت إلى ثقة من ثقات ابن الجراح بعد ما كانوا استوثقوا منه وعاهدوه أنه لا يغدر بهم، فلما وصل إليه المال تقدَّم إلى كبراء أصحابه بأن يتبعوه إذا تواقف العسكران وقامت الحرب، فلما اشتد القتال ولى ابن الجراح منهزما واتبعه أصحابه - وكان فى جمع كبير - فلما رآه القرمطى - وقد انهزم تحير، فكان جهده أن قاتل بمن معه حتى تخلص، وكانوا قد أحاطوا به من كل جانب، فخشى على نفسه وانهزم، واتبعوه ودخلوا عسكره، فظفروا منه بنحو من ألف وخمسمائة رجل، فأخذوهم أسرى، وانتهبوا العسكر.

---

(١) النصيرية: محلة بالجانب الغربى من بغداد فى طرف البرية. انظر: معجم البلدان ٥/٢٨٧، ٢٨٨.

(٢) حسان بن على بن مفرج بن دغفل بن صرام بن شبيب بن مسعود بن سعيد نسبة إلى عمرو بن القوث الطائى.

Marfat.com

ولما كان لخمس بقين من شعبان: أنفذ المعز أبا محمود إبراهيم بن جعفر إلى الشام خلف القرمطى فى عسكر يقال مبلغه عشرون ألفا، فظفر فى طريقه بجماعة من أصحاب القرمطى، فبعث بهم الى مصر.

وسار الحسن بن أحمد القرمطى فنزل أذرعات، وأنفذ أبا الهيجا فى طائفة الى دمشق.

وبعث المعز إلى ظالم بن موهوب العُقَيْلى لما بلغه ما وقع بينه وبين القرمطى، فاستماله ليكون عونا على القرمطى، فسار يريد بعلبك، فوافاه الخبر بهزيمة القرمطى ونزول أبى الهيجا دمشق، فسار القرمطى ودخل البرية يريد بلده وفى نيته العود.

وكان للحسن بن أحمد القرمطى هذا شعر، فمنه فى أصحاب المعز لدين الله:

زعمتْ رجالُ الغَرْبِ أَنّىَ هِبْتُها ... فدمى إذًا ما بينهم مطلولُ

يا مصرُ إن لم أَسْقِ أرضَك من دمٍ ... يروى ثراكِ، فلا سقاك النيلُ

ولما كان فى سنة خمس وسبعين وثلاثمائة: ورد إسحاق وجعفر الهَجَريان من القرامطة فملكا الكوفة، وخطبا لشرف الدولة، فانزعج الناس لذلك لما فى النفوس من هيبتهم وبأسهم، وكان من الهيبة ما أن عضد الدولة بن بويه وبختيار أقطعاهم الكثير، وكان لهم ببغداد نائب يعرف بأبى بكر بن ساهويه يتحكم تحكم الوزراء، فقبض عليه صمصامُ الدولة بن عضد الدولة، فلما ورد القرامطة الكوفة كتب إليهما صمصام الدولة يتلطفهما ويسألهما عن سبب حركتهما، فذكرا أن قبض نائبهم هو السبب فى قصدهم البلاد، وبثا أصحابهما فجبوا المال، فأرسل صمصام الدولة العساكر ومعهم العرب، فعبروا الفرات إليه وقاتلوه وأسروا، فانجلت الوقائع بينهم وبين العساكر عن هزيمة القرامطة، وقتل مقدمتهم فى جماعة، وأسر عدة، ونهب سوادهم، فرحل من بقى منهم من الكوفة، وتبعهم العساكر إلى القادسية فلم يدركوهم، وزال من حينئذ بأسُهم.

وفى سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة: جمع شخص يُعرف بالأصفر من بنى المتفق جمعا كثيرا وكان بينه وبين جمع من القرامطة وقعة شديدة قتل فيها مقدم القرامطة، وانهزم أصحابه وقد قتل منهم وأسر كثير، فسار الأصفر إلى الأحساء وقد تحصن منه القرامطة بها، فعدَّى إلى القطيف وأخذ ما كان فيها من مال وعبيد ومواشى، وسار بها إلى البصرة [.....][1]. ولنرجع إلى بقية أخبار المعز لدين الله أبى تميم معد الفاطمى بانى القاهرة فنقول:

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

Marfat.com

لما انهزم الحسن بن أحمد القرمطى خرج فى شعبان من سنة ثلاث وستين وثلاثمائة الأشراف والقاضى أبو طاهر، والفقهاء، والشهود، ووجوه التجار، وكثير من الرعية إلى المعسكر لتهنئة الأمير عبد الله بن المعز بالفتح، وكان معسكره بظاهر مشتول، فأكرمهم وأضافهم، وانصرفوا من الغد.

وللنصف من شعبان: صرف المعز الحسن بن عبد الله عن الأحباس[1] بمحمد بن أبى طاهر القاضى، ومحمد بن إقْريطش ضمانا بألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم فى كل سنة تُدفع إلى المستحقين حقوقهم، ويُحمل الباقى إلى بيت المال. وطيف بأربعين رأسًا جىء بها من الصعيد من أصحاب أخى مسلم.

وفى أول شهر رمضان: دخل الأمير عبد الله بعساكره إلى القاهرة - بعد فراغه من قتال القرامطة - بالأسارى والرءوس - وهو بمظلته - فجلس له أبوه المعز فى القبة على باب قصره لينظره، فلما عاين الأمير عبد الله مجلس أبيه المعز ترجل وقبَّل الأرض، ونزل أهلُ العسكر كلهم بنزوله، ومشى إلى القصر والناس معه مشاة.

وورد الخبر بدخول أبى محمود إلى الرملة بغير قتال، وأنه استأمن إليه جماعة من عسكر القرامطة.

وفيه: قبض المعز على جماعة من السعاة والعيَّارين الذين يؤذون الناس وسجنهم.

ووافى رسول ملك الروم برسالة، فاجتمع الناس للنظر إليه، وجلس له المعز على السرير الذهب، فدخل إليه، وقبَّل الأرض مرارًا، وأذن له بالجلوس على وسادة، وكان علىُّ بن الحسين - قاضى أَذَنة - حاضرًا فقال: «يا أمير المؤمنين صلى الله عليك، هذا - وأشار إلى الرسول - آفة على الإسلام، والمؤذى للمسلمين والأسارى». فنظر إليه المعز منكرا عليه وأخرج، وتكلم الرسول فى الهدنة، وأخذ المعز كتابه، وأنزل فى دار.

وفيه: أطلق المعز طنجمية؟ وهم عشرة لكل واحد ثمانمائة رباعى ذهبا، وزنها مائتى مثقال، ووردت الأخبار بأن القرمطى فرَّ على وجهه، وتمزقت عساكره، فلم يفلحوا إلى اليوم. وطيف بأسارى من القرامطة على الإبل بالبرانس، وعدتهم ألف وثلاثمائة، مقدمهم مفلح المنجمى ببرنس كبير على جمل بثوب مشهر مكتوب على ظهره اسمه وما عمل، وخلفه جماعة من وجوه القرامطة، وبين أيديهم الرءوس على الحراب وعدتها آلاف، وكان يوما عظيما واجتماعا كثيرا، فلما فرغوا من التطواف اعتقلوا بالقاهرة.

---

(١) الأحباس: نوع من أنواع الضرائب.

Marfat.com

وفيه: خرج المعز على فرس، وقد اجتمع الناس من الأشراف والقواد والعمال والكتاب والمغاربة، فوقفوا بين يديه، فقال لهم: «قد أنعم الله - عز وجل - وتفضل وخول، ومكن، ونريد الحج وزيارة قبر جدى رسول الله - ﷺ - والجهاد، فايش يقصر عن هذا؟ إن قلت ليس عندى مال، إنى لكاذب، وإن قلت ليس عندى كراع وسلاح، إنى لكاذب، وإن قلت ليس عندى رجال، إنى لكاذب، اللهم أعنّى بنية أقوى من نيتى».

وفيه: خرج الأمر بقتل الأسارى الذين فى الاعتقال، فقتلوا عن آخرهم، وحفرت لهم أخاديد ودفنوا، فلما بلغ المعز ذلك قال: «والله ما أمرت بقتلهم، ولقد أمرت بإطلاقهم، ويدفع لكل منهم ثلاثة دنانير». واغتم لذلك وتصدق وأعتق، وورد الخبر بقتل علىّ بن أحمد العقيقى من الأشراف، وابنه ذا من يح[1] الحسينى، وأن البادية قتلهم بالصعيد، وكانوا من أصحاب أخى مسلم.

وفيه: قبض أبو إسماعيل الرسى على ابنه على بن إبراهيم، وأخبر المعز، فقال له المعز: «يكون عندك محتفظا به». وكان أيضا من أصحاب أخى مسلم الذين ظاهروا مع القرمطى. وبعث أبو محمود بعمال الشام، فحاسوا فى بستان الإخشيد بالقاهرة.

وفى يوم عيد الفطر: ركب المعز وصلى بالناس على رسمه وخطب.

وفيه: ورد الخبر بدخول أبى محمود إبراهيم بن جعفر إلى دمشق، وتمكن سلطانه بها وقوته، وأنه قبض على جماعة أبى الهيجاء القرمطى وابنه، واستأمن إليه جماعة من الإخشيدية والكافورية، وأخذ محمد بن أحمد بن سهل النابلسى، وسيره مع الجماعة إلى المعز، وكان من خبر أبى محمود إبراهيم بن جعفر أنه سار من الرملة، ونزل على أذرعات، وقد سار ظالم بن موهوب العقيلى نحو دمشق بمراسلة أبى محمود ليتفقا على أبى الهيجاء القرمطى، وكان أبو الهيجاء بن منجا القرمطى بدمشق فى نحو الألفى رجل، وقد طلب منه الجند مالا، فقال: «ما معى مال». ووافى ظالم بن موهوب العقيلى عقبة دمر، فخرج إليه أبو الهيجاء وابنه بمن معه، ففر عدة من الجند، ولحقوا بظالم مستأمنين إليه، فقوى بهم، وسار بهم فأحاط بأبى الهيجاء، فلم يقدر على الفرار، فأخذه وابنه، بعد أن وقعت فيه ضربة، وانقلب العسكر كله مع ظالم، فملك دمشق لعشر خلون من شهر رمضان سنة ثلاث وستين، فحبس أبا الهيجاء وابنه، وقبض على جماعة من أصحابه، وأخذ أموالهم، ثم إنه طلب شيخا من أهل الرملة يقال له أبو بكر

---

(١) هكذا بالأصل.

Marfat.com

محمد بن أحمد النابلسى (١) - كان يرى قتال المغاربة وبغضهم ويرى أن ذلك واجب - ويقول: «لو أن معى عشرة أسهم لرميت تسعة فى المغاربة وواحدا فى الروم».

وكان الحسن بن أحمد القرمطى لما انهزم عن مصر، سار أبو بكر النابلسى إلى دمشق، فأخذه ظالم بن موهوب وحبسه، ونزل أبو محمود على دمشق لثمان بقين من رمضان، فتلقاه ظالم، فأنس به أبو محمود، فأخرج إليه أبا الهيجاء بن منجا القرمطى وابنه وأبا بكر بن النابلسى، فعمل لكل واحد منهم قفصا من خشب، وحملهم إلى مصر، فدخلوا إلى القاهرة فى شوال، فطيف بهم على الإبل بالبرانس والقيود، وابن النابلسى ببرنس على جمل وهو مقيد، والناس يسبونه ويشتمونه ويجرون برجله من فوق الجمل، وكان معهم بضع وعشرون رجلا من القرامطة على الإبل، فلما فرغوا من التطواف، ردوا إلى القصر، فعدل بأبى الهيجا وابنه وبقية القرامطة إلى الاعتقال، وسيق ابن النابلسى إلى المنظر ليسلخ، فلما علم بذلك رمى بنفسه على حجارة ليموت، فرد على الجمل، فعاد ورمى نفسه ثانيا، فرد وشد وأسرع به إلى المنظر، فسلخ وحشى جلده تبنا، ونصبت جثته وجلده على الخشب عند المنظر، وأقام أبو محمود بدمشق وهى مضطربة قد كثر فيها الغوغاء وحمال السلاح، وعظم النهب فى القرى، وأخذت القوافل، فلم يقدر أبو محمود على ضبط أصحابه لقلة ماله، فلم يكونوا يفكرون فيه ولا يرجعون عن شىء ينهاهم عنه، وأخذوا فى النهب، وظالم بن موهوب يأخذ أموال السلطان من البلد ولا يدفع إلى أبى محمود شيئا منها، ويحتج أنه أخذ البلد من أبى الهيجاء وسار إليه بمكاتبة المعز له، هذا وكل من الفريقين يخاف الآخر، وقد علم ظالم أن أهل دمشق تكره المغاربة، فكان يدارى الأمر، وكثر قطع المغاربة للطريق، فامتنع الناس عن الذهاب والمجىء، وهرب أهل القرى إلى المدينة، وأوحش ظاهر البلد، فوقع بين المغاربة وبين أهل البلد الحرب أياما كثيرة، قام فيها ظالم مع أهل البلد وقاتل المغاربة، فانهزم وسار إلى بعلبك، ووقع الحريق فى البلد، واشتد القتال، فخرج وجوه أهل البلد إلى أبى محمود ولطفوا به، فقال لهم: «ما نزلت لقتالكم، وإنما نزلت لأرد هؤلاء الكلاب عنكم» - يعنى أصحابه - ففرح الناس واستبشروا وجاءوا إلى خيمته، واختلطت الرعية بأصحابه، وزال عنهم الخوف، ودخل المغاربة فيما يحتاجون عليه، فولى أبو محمود الشرطة لرجلين: أحدهما مغربى، والآخر من الإخشيدية، فدخلا فى جمع عظيم إلى المدينة بالزمر، فجلسوا فى الشرطة، وكان يطوف لهم طوف فى الليل،

---

(١) محمد بن أحمد بن سهل، أبو بكر الرملى المعروف بابن النابلسى: شاعر من أهل الرملة فى فلسطين، أصله من نابلس له اشتغال فى الحديث. كان يكثر الذم لمعد بن إسماعيل المعز الفاطمى وبلغه أنه يريد حبسه. انظر: المحمدون ١١٧، والأعلام ٣١١/٥.

Marfat.com

ومع ذلك فلم ينكسر حمال السلاح ممن يطلب الفتنة، فرهب أبو محمود على مشايخ البلد وتهددهم، فثار أهل الشر من الدماشقة، ورأس الشطار فيهم ابن الماورد بسبب منازعة أهل البلد مع مغربى بسبب صبى، فأراد المغربى أخذه، فرفع البلدى السيف وقتل المغربى فى السوق، فعادت الفتنة، وشهروا السلاح، فاضطرب البلد، وغلقت الأسواق، وثار العسكر من جهة المقتول، وصاح الناس فى البلد بالنفير، وكبروا على الأسطحة، وخرج ابن الماورد فى جماعة، فاشتد القتال بين الفريقين، وألقى المغاربة النار فى الدور، فخرج وجوه البلد ومشايخهم إلى أبى محمود، وما زالوا به حتى بعث إلى العسكر - وقد كادوا يغلبون أهل البلد - فكفهم عن القتال، وكان ذلك فى آخر ذى الحجة، فسكن الأمر، وخرج الناس إلى أبى محمود، ودخل صاحب الشرطة المغربى، إلا أن أهل الغوطة كانوا قد أووا إلى البلد خوفا من النهب، وكان فيهم ذعار، وفى المدينة قوم من أهل الشر، فاجتمعوا يأخذون المستضعفين، ويجبون مستغلات الأسواق، ويكبسون المواضع وينتهبونها، فحسنت أحوالهم، وكانوا يكرهون تمكن السلطان، فهلك لذلك كثير من الناس، ومر صاحب الشرطة فى الليل - وهو يطوف البلد - برجل معه سيف، فأخذه وقتله، فأصبح أهل الشر وقد خشوا من تنديد السلطان لهم، فثاروا بالسلاح إلى صاحب الشرطة، ففر منهم هو وأصحابه إلى معسكرهم، وصعد العامة إلى المآذن، فصيحوا: «النفير إلى الجامع». فثار الناس بالسلاح، وركب عسكر أبى محمود، وطرحوا النار فيما بقى، واشتد القتال، وكثر القتل والحريق، وعظم الخوف على البلد، وعلا الضجيج، وذلك لثلاث خلون من المحرم سنة أربع وستين، فبات الناس على ذلك، وأصبحوا وقد اشتدت الحرب وقويت الدماشقة ونشأ فيهم من أهل الشر غلام يقال له ابن شرارة وقد ترأس، وآخر يقال له ابن بوشرات وابن المغنية، وقسم لكل واحد منهم حزب بأعلام وأبواق، فأظهرت المغاربة قوتها، وبذلوا سيوفهم فى كل من قدروا عليه من الرعية ممن وجدوه بظاهر البلد، واستمر القتال أكثر المحرم، فخرج قوم المستورين إلى أبى محمود، وما زالوا به حتى أجابهم إلى الصلح، وصرف صاحبى شرطته، وولى أبا الثريا - من بانياس - أميرا كان على الأكراد فعبر البلد أول صفر وقد أكمن له عدة من أهل الشر، فثاروا به، ووضعوا السلاح فى أصحابه، فقتل من أصحابه، وانهزم إلى أبى محمود، فركب العسكر، وأخذوا كثيرا من الناس، ووقع النفير فى البلد، واستمر القتال بين الفريقين صفر وربيع الأول، ثم وقع الصلح فى أثناء ربيع الآخر، وولى محمود جيش ابن الصمصامة البلد، فأقام أياما، ثم إن الناس ثاروا وقتلوا عدة من المغاربة، وساروا يريدون جيشا، ففر منهم، ونهبوا ما كان له، فعادت الحرب وطرح النار فى المواضع، وأمر أبو محمود بأن تقصد أهل الشر دون غيرهم من الناس،

Marfat.com

غير أن الرعية كانت تقاتل معهم، فاشتد القتال إلى أول جمادى الأول، ونصبوا الحرب يوما بعد يوم من بكرة النهار إلى آخره، والبلد ممتنع فى جميع هذه الحروب، والقتال من ظاهره، ومعظمه على باب كيسان إلى باب شرقى، وباب الصغير إلى باب الجابية، وكان عسكر أبى محمود من المغاربة عشرة آلاف، سوى من تبعهم من غيرهم ومن حضروا من الساحل، فكانت الحرب مستمرة، تارة تظهر المغاربة على الدماشقة، وتارة تهزم الدماشقة المغاربة، وكانت المغاربة لا تظفر بأحد إلا قطعوا رأسه، فقتلوا خلقا كثيرا، وخلت الغوطة بحيث لم يبق فيها أحد، وانحصر البلد فلم يقو واحد يدخل إليه بشىء البتة، فغلت الأسعار، وبطل البيع والشراء، وقطع الماء عن البلد، فعدم الناس القنى والحمامات، فكانت الأسواق مغلقة، والنساء جلوس على الطرق، والرجال تصيح: «النفير» فساءت حال كثير من الناس فى هذه الفتنة، وماتوا على الطرق من القر والبرد، وهم مع ذلك مجتهدون فى القتال، ونصبوا العردات على أبواب البلد، فلم تبطل الحرب يوما من الأيام، وفى الليل تضرب الأبواق فيثور الناس من فرشهم، ويسيرون بالمشاعل فيقيمون إلى الصباح، فلما تفاقم الأمر، واشتد البلاء، وقوى أهل الشر من أهل البلد، وأكلوا أموال الناس، كتب مشايخ البلد إلى محمود فى الصلح، وأحضروا ابن الماورد و ابن شرارة وزجروهم، وانصرفوا على أن أحدا لا يعارض السلطان فى البلد، وقد فتح المسلمون المصاحف، والنصارى الإنجيل، واليهود التوراة، واجتمعوا بالجامع، وضجوا بالدعاء، وداروا المدينة - وهى منشورة على رءوسهم - وبلغ المعز ما وقع بدمشق من الحروب، وما صارت إليه من الخراب، فكتب إلى ريان الخادم - وهو بطرابلس - يسير إلى دمشق، وينظر فى أمر الرعية، ويصرف أبا محمود عن البلد، فقدم ريان إلى دمشق، وأمر أبا محمود بالرحيل، فسار فى عدد قليل من عسكره، وتأخر أكثرهم مع ريان، ونزل أبو محمود فى الرملة وورد عليه كتاب المعز يوبخه، وكان صرف أبى محمود عن دمشق فى شعبان سنة أربع وستين، هذا ما كان من خبر دمشق، وأما القاهرة فإنه طيف فيها فى ذى القعدة سنة ثلاث وستين بنيف وأربعين رأسا جىء بها من الصعيد.

وفى ذى الحجة : نودى ألا تلبس امرأة سراويل كبارا، ووجد سراويل فيه خمس شقاق، وآخر قطع من ثمانى شقاق دبيقى[1].

وفيه: هلك رسول ملك الروم، فسيره المعز فى تابوت إلى بلد الروم، وركب المعز لكسر الخليج.

وفيها: منع المعز من وقود النيران ليلة النيروز فى السكك و من صب الماء يوم

---

(١) نسبة إلى دبيق إحدى المدن المشهورة بصناعة النسيج فى مصر فى العصر الحديث.

النوروز، وكثر الإرجاف بمسير الروم إلى أنطاكية.

وفى يوم عرفة: نصبت الشمسة فى القصر، وصلى المعز صلاة العيد، وخطب على الرسم الذى تقدم ذكره، وانصرف إلى القصر، فأطعم على الناس، وانتهت زيادة ماء النيل إلى سبع عشرة ذراعا، وجرى الرسم فى الجائزة والخلع والحملان لابن أبى الرداد على العادة.

وفيها: حدث وباء بمصر فمات خلق كثير، ومات القاضى أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون.

ثم دخلت سنة أربع وستين وثلاثمائة: والخليفة أمير المؤمنين المعز لدين الله معد. والخراج ووجوه الأموال إلى يعقوب بن كلس وعسلوج. والقاضى أبو طاهر محمد بن أحمد(١). والشرطة السفلى إلى خير بن القاسم. والشرطة العليا إلى جبر المسالمى. وصاحب المظلة شفيع الخادم الصقلبى. والطبيب موسى بن العازار. وإمام الجمعة عبد السميع بن عمر العباسى. وصاحب بيت المال محمد بن الحسين بن مهذب. وإمام الخمس الحسن بن موسى الخياط. والمحتسب عبد الله بن ذلال.

وفى المحرم: قدم أفلح الناشب من برقة، فخرج إليه بالجيزة وجوه الدولة والقاضى والرعية وأنزل بمكان، وورد الخبر بخلع نفسه وبيعة ابنه الطائع.

وأطلق أبو الهيجاء بن منجا القرمطى وابنه، وخلع عليه وحمل، وأطلق معه بضعة عشر من القرامطة.

ولست بقين من ربيع الآخر: توفيت أم المعز.

وفى جمادى الأولى: أطلق المعز الجائزة لوفد الحجاز من الأشراف وغيرهم، ومبلغها أربعمائة ألف درهم، وقلد أبا الحسن محمد بن عبيد الله بن الحسن الحسينى الكوفى قضاء الشامات، ودار الضرب، والحسبة، وحمل على بغلة وبرذون ومعه ثلاثة عشر تخت، وستة آلاف درهم، وكتب له سجل ، وضمن أبو عبد الله الحسن بن إبراهيم الرسى، وأبو طاهر سهل بن قمامة خراج الأشمونين وحربها، وخلع عليهما، وسارا

---

(١) محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر، أبو الطاهر: فقيه مالكى محدث. من قضاة مصر. كان محدث زمانه، أصله من البصرة. ولى قضاء مدينة المنصور نحو أربعة أشهر سنة ٣٢٩هـ ثم ولاه المستكفى قضاء الشرقية ببغداد سنة ٣٣٤هـ نحو خمسة أشهر، وولى قضاء مصر سنة ٣٤٨هـ فاستمر إلى أن دخل جوهر مصر فأقره، وألزمه أن يحكم فى المواريث والطلاق. انظر: الولاة والقضاة ٥٨١، والأعلام٥/٣١١.

بالبنود والطبول، وضمن أبوالحسن على بن عمر العداس كورة بوصير [1] وأعمالها، وخلع عليه وحمل، وسار بالبنود والطبول، واعتل الأمير عبد الله بن المعز، ومات لسبع بقين منه - بعد جدته بتسعة عشر يوما - فجلس المعز للعزاء، ودخل الناس بغير عمائم، وفيهم من شوه نفسه وأظهر الجزع الشديد، فكان المعز يسكنهم ويقول: «اتقوا الله، وارجعوا إلى الله». وغلقت الأسواق، ثم جلس الناس بزيهم، ومنهم قيام ، فأمر القاضى محمد بن النعمان بغسله، والمعز يتحدث، ويسأل عن آى من القرآن، وعن معانيها؛ لأن القراء كانوا يقرءون، ووصف ابنه عبد الله بالفضل والبر، فقال له أبو جعفر مسلم: « أعوذ بالله من فقد الولد البار»، فقال له المعز: «فما تقول فى الولد العاق والأخ العاق؟». - يعرض له بابنه جعفر وبأخيه عبد الله، وكونهما مع القرامطة - فقال له أبو جعفر مسلم: « إذا بليت بالولد العاق والأخ العاق كان فى الله وفى بقاء مولانا منهما عوض»، فقال له المعز: « لا صان الله من لا يصونك، ولا أكرم من لا يكرمك، ولا أعز من لا يعزك، ولا أجل من لا يجلك».

فقام أبو جعفر وقبّل الأرض هو وجماعة من فى المجلس، وشكروه على قوله.

ثم خرج تابوت عبد الله، وحوله أهل الدولة بالصراخ والبكاء، فصلى عليه المعز، ودخل معه حتى واراه فى القصر.

وفى جمادى الآخرة : ورد الخبر بموت عبدالله أخى مسلم بظاهر البصرة - كما تقدم - وبموت المطيع ببغداد وأن موته كان فى المحرم، وأن ابنه الطائع سمّه، وأن فتنة وقعت ببغداد بين الترك والديلم، وبين الرعية والشيعة، وغلا السعر، ونهبت الأسواق والدور، وأن أبا تغلب بن حمدان رحل إلى بغداد متوسطا بين الطائع وبختيار.

وفيه: سار نصير الخادم الصقلبى - عبد المعز - إلى الشام فى عسكر كثير، ودخل بيروت.

وفى أول رجب: أصلح جسر الفسطاط، ومنع الناس من ركوبه، وقد كان أقام سنين معطلا.

وركب المعز إلى المقس، وسار على شط النيل، ومعه أبو طاهر القاضى يحدثه، حتى عبر الجسر إلى الجزيره، فمضى إلى المختار.

---

(١) بوصير: قرية من قرى الفيوم بصعيد مصر، إليها انهزم مروان بن محمد بن الحكم آخر خلفاء بنى أمية فقتله عامر بن إسماعيل من أهل خراسان سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وكان قال حين وصل إلى بوصير: نحن ببوصير وإلى الله المصير. انظر: الروض المعطار ١١٧، ١١٨، مروج الذهب ٧٦/٦، وصبح الأعشى ٣٧٧/٣.

Marfat.com

وفيه: وردت رءوس من المغرب عدتها ثلاثة آلاف، فطيف بها، وذلك أن خلف بن جبر صعد فى بنى هواس إلى قلعة منيعة، فاجتمع عليه كثير من البربر، فزحف إليه يوسف بن زيرى، فكانت بينه وبينهم حروب عظيمة قتل فيها خلائق كثيرة حتى أخذ القلعة فى عاشر شعبان، ففر خلف، وقتل بها آلافا كثيرة، بعث منها سبعة آلاف رأس إلى القيراون، فطيف بها، ثم حمل منها إلى مصر ما ذكر.

وفيه: وقع الجدرى فى كثير من الناس، وأقام شهورا.

وكانت وقعة مع الروم بطرابلس.

وفى شعبان: وصل أفتكين بعسكر من الأتراك إلى دمشق، وورد كتابه على المعز وهو يستأذن فى المسير، فشاور المعز أبا جعفر مسلم، فقال:

«هم قوم غدر، فإن تأذن لهم غلبوا على دمشق».

فشرع المعز فى تعبئة العساكر وإنفاذها لقتاله.

وكان من خبر أفتكين أن الديلم والأتراك اختلفوا ببغداد، فأراد عز الدولة أبو منصور بختيار بن معز الدولة أبى الحسين أحمد بن بويه الديلمى [1] سلطان العراق أن يقبض على سبكتكين التركى، وكانت الأتراك تتعصب معه وهم فى أربعة آلاف هو أميرهم، فغلبوا بختيار وخرج عن بغداد، وغلب سبكتكين التركى عليها، وكان فى قوة من المال والسلاح والرجال، فلم تطل مدته بعد غلبته على بغداد وهلك، فاستخلف من بعده على الأتراك أفتكين الشرابى مولى معز الدولة بن بويه، وكان شجاعا ثابتا فى الحرب، فسار بالأتراك من بغداد لحرب الديلم، فجرى بينهم قتال عظيم.

وقاتل أفتكين حتى تفرق من حوله إلا يسيرا، وانهزم صاحب رايته، فلحقه وضربه باللت وأخذها من يده، وحمل على الديلم فقتل منهم كثيرا باللتوت[2]، ثم حمل عليهم الديلم فانهزموا وأفتكين فى نحو الأربعمائة من الأتراك، فأخذ على الفرات حتى نزل

---

(١) أحمد بن بويه بن فناخسرو بن تمام، من سلالة سابور ذى الأكتاف الساسانى، أبو الحسن، معز الدولة: من ملوك بنى بويه فى العراق، فارسى الأصل، مستعرب كان فى أول أمره يحمل الحطب على رأسه، ثم ملك هو وأخواه عماد الدولة وركن الدولة البلاد. وكان أصغر منهما سنا. ويقال له الأقطع لأن يده اليسرى قطعت فى معركة مع الأكراد، تولى فى صباه كرمان وسجستان والأهواز، تبعا لأخيه عماد الدولة. انظر: وفيات الأعيان ٥٦/١، وتجارب الأمم ١٤٦/٦، ٢٣١، والأعلام ١٠٥/١.

(٢) اللتوت: مفردها لت، وهى كلمة لفعل فارسى معناه القدوم أو الفأس الكبيرة.

Marfat.com

الرحبة، ثم أخذ فى البر وقد أظهر من المهابة ما لم يتجاسر العرب على نهبه، فنزل جوسية من قرى الشام، فجمع له ظالم[1] بن موهوب العقيلى - وهو حينئذ على بعلبك - من قدر عليه من العرب، وأنفذ إلى أبى محمود قبل أن يسير عن دمشق يطلب منه عسكرا ، فأنفذ إليه جماعة، وخرج يريد أفتكين - وهو فى ألفين - فسار يريد جوسية.

وبعث أبو المعالى بن حمدان بشارة الخادم من حمص فى ثلاثمائة رجل إلى جوسية مددا لأفتكين على ظالم، فبعث بشارة إلى ظالم فصرفه عن محاربة أفتكين وعاد إلى بعلبك، وسار بشارة بأفتكين، فنزل بأفتكين بظاهر حمص، ووعده عن مولاه أبى المعالى بكل جميل، وحمل إليه أبو المعالى وأكرمه، فسار إلى أبى المعالى، فأجلسه على كرسى.

وسأله أفتكين أن يوليه كفر طاب ويكون تبعا له، فما هو إلا أن ورد عليه رسول ابن الماورد الشاطر من دمشق بأن يسير إلى دمشق، وأنه يخرج إليه بأهل البلد، ويقاتلوا عسكر المغاربة، ويملكوه عليهم، فوقع ذلك منه بموقع، فبعث إلى أبى حمدان يقول:

«إنى نظرت فى الذى وليتنى فإذا هو لا يقوم بمن معى من الغلمان، وإنى أريد أن أرجع إلى بغداد».

فقال: «افعل ما تراه». فسار كأنه يريد أن يأخذ طريق البرية إلى بغداد، وأخذ نحو دمشق، وقد نزل ريان عليها، وجاءته أخبار طرابلس: بأن العدو قد خرج، ونحن نخاف على البلد أن يؤخذ، فانزعج وخاف على طرابلس، وإذا بالخبر ورد عليه بأن أفتكين قد توجه نحوه بموافقة أهل البلد، فعرض عساكره، وبرز يريد عقبة دمر.

وأصبح أفتكين على ثنية العقاب، ويعلم بأن ريان الخادم قد ارتحل عن البلد بجميع أصحابه حتى لم يبق منهم أحد، فوصل إلى البلد وقد أجهده وأصحابه التعب لأيام بقيت من شعبان.

ونزل بظاهر البلد، فخرج الناس إليه، واستبشروا به، وسألوه أن يملكهم ويزيل المصريين ويكف عن الأحداث، فأجابهم، واستحلفهم على الطاعة والمساعدة، وحلف

---

(١) ظالم بن مرهوب أو موهوب العقيلى: متغلب من القواد، كانت له إمارة ووقائع. قال ابن عساكر: تغلب على دمشق مرة سنة ٣٥٧ هـ. وأخرى سنة ٣٥٨هـ وولاه عليها الحسن بن أحمد القرمطى سنة ٣٦٠هـ ثم قبض عليه القرمطى فتخلص وهرب إلى حصن له فى شط الفرات، وكاتب حكومة مصر، فأمرته بالعودة إلى دمشق للتشويش على القرمطى فعاد سنة ٣٦٣هـ وأقام دعوة صاحب مصر، وكان فى ذلك الحين المعز العبيدى ولم يلبث أن وصل إلى دمشق وال عليها من قبل المعز. انظر: تهذيب ابن عساكر ١١٧/٧، والنجوم الزاهرة ٥٨/٤، والكامل لابن الأثير ٢١١/٨، ٢١٢، والأعلام ٢٣٧/٣.

لهم على الحماية وكف الأذى عنهم منه ومن غيره.

وقطع خطبة المعز وخطب للطائع، وقمع أهل العبث، فهابته الكافة، وصلح به كثير من أمر البلد، وأقام أياما، وشاع خبر العدو أنه قد أقبل فى جيش عظيم، فاستعدوا لقتاله، ونزل العدو على حمص، فلم يعرض لأحد بأرض حمص، لهدنة كانت بينه وبين أبى المعالى بن حمدان.

وسار أفتكين إلى بعلبك فى طلب ظالم، ففر منه، فنزل أفتكين بعلبك، وكانت العرب قد استولت على ما خرج عن سور دمشق، فأوقع بهم أفتكين، وقتل كثيرا منهم، وظهر منه حسن تدبير وقوة نفس وشجاعة، فأذعن الناس له، وأقطع البلاد، فكثر جمعه، وتوفرت أمواله، وثبت قدمه، وملك بعلبك من ظالم بن موهوب، فقصده الروم وعليهم الدمستق، فقاتلهم أشد قتال، ثم كثروا عليه فانهزم.

ودخل الروم بعلبك، فأخذوا منها ومما حولها سلبا كثيرا، وأحرقوا؛ وذلك فى شهر رمضان، وانتشرت خيلهم وسراياهم فى أعمال بعلبك والبقاع تحرق وتسبى، وامتدوا إلى الزبدانى، فأخذ الناس عليهم المضايق، ومنعوهم من الدخول إلى الوادى.

وخرج من دمشق قوم فخاطبوا كبير الروم فى الهدنة، فطلب منهم مالا لينصرف عن البلد، فخرج إليه أفتكين ليخاطبه عن البلد، وأهدى إليه من كل ما كان معه من بغداد، فأكرمه وقربه، فخاطبه أفتكين فى أمر البلد، وأعلمه بأنه خراب ليس فيه غير حمال السلاح ولا مال فيه، فقال له: «ماجئنا لنأخذ مالا، وإنما جئنا لنأخذ الديار بأسيافنا، وقد جئتنا بهدية، وقد أجبناك إلى ما طلبت، وغرضنا فيما نأخذه من المال أن يقال بلد ملكناه فأخذنا هديته».

فقال أفتكين: « هذا بلد ليس لى فيه إلا أيام يسيرة، ولم آمر فيه ولم أنه، وقد خرج معى إليك رجل له يد فى البلد، يمنعنى من كل ما أفعله».

وقد كان خرج معه علاء بن الماورد، فقال: «ومن يدفعك عما تريد».

قال: «هذا وأصحابه».

فأمر بالقبض على ابن الماورد، فقبض وقيد، وجرت الموافقة مع أفتكين على أنه يجبى المال ويكون على سبيل الهدنة، ويكف عن دمشق وأعمالها، فعاهده ملك الروم على ذلك، وعاد أفتكين إلى دمشق، فثار أصحاب ابن الماورد بالسلاح يريدون أفتكين، فمنعهم الناس، وكان أبو محمود إبراهيم بن جعفر حينئذ بطبرية، فبلغه خروج أفتكين إلى الروم، فسير جيش بن الصمصامة فى نحو الألفين ليأخذ دمشق، فسرى من طبرية، وكان شبل بن معروف العقيلى على شينية وليس لجيش به علم، فركب إليه شبل فى جمع من العرب فواقعوه فانهزم، وأتى الخبر إلى أفتكين وقد خرج من عند ملك الروم،

Marfat.com

فخرج الأتراك وأدركوهم فقتلوا منهم كثيرا، وأخذ جيش أسيرا، فبعث به أفتكين إلى الروم، وهو مقيم على عين الجر ينتظر المال.

وجبى له أفتكين من دمشق ثلاثين ألف دينار بالعنف، ورحل فنزل على بيروت - وبها نصير الخادم من قبل المعز - فلم يزل الرومى يراسل أهل بيروت: «إنى لا أريد خراب بلدكم، وإنما أريد أن تسلموا إلىّ هذا الخادم ومن معه، وأجعل عندكم من قبلى من يدفع عن بلدكم».

حتى خرج إليه نصير الخادم ومن معه، فأخذهم، وولى على بيروت[1] من قبله شخصا فى مائتى رجل.

وسار فنزل على طرابلس - وفيها ريان الخادم الذى كان على دمشق فى خلق من المغاربة - فقاتلوه أشد قتال.

ونزل بالرومى مرض فرحل إلى بلده، وهلك فى الطريق .

وتمكن أفتكين من دمشق، فأنفذ شبل بن معروف العقيلى إلى طبرية، ففر عنها أبو محمود بمن معه إلى الرملة.

وقدمت جيوش المعز، وفيها كثر مخافتهم العرب، واقتتلوا بجوار بيت المقدس مع العرب، فظهر العرب عليهم وهزموهم، وقتلوا كثيرا منهم وسيروا عدة منهم إلى دمشق، فطيف بهم فى الأسواق على الجمال ، وملئوا بهم الحبوس، فأقاموا فى ضر، ثم ضربوا أعناقهم، وكان - مع ذلك - أفتكين - طوال مقامه بدمشق - يكاتب القرامطة ويكاتبونه.

وركب المعز يوم عيد الفطر، فصلى وخطب على رسمه المعتاد، وورد عليه الخبر بوقعة ريان بالرومى وهزيمة الروم - وقد أسر ريان منهم وقتل وغنم - فسر المعز بذلك وتصدق، ودخل الناس عليه فهنئوه، وقال الشعراء فى ذلك، وفى خلع المطيع شعرا كثيرا.

---

(١) بيرُوتُ: بالفتح ثم السكون، وضم الراء، وسكون الواو، والتاء فوقها نقطتان: مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام تُعَدّ من أعمال دمشق، بينها وبين صَيْداء ثلاثة فراسخ.
ولم تزل بيروت فى أيدى المسلمين على أحسن حال حتى نزل عليها بغدوين الأفرنجى الذى ملك القدس فى جمعه وحاصرها حتى فتحها عنوة فى يوم الجمعة الحادى والعشرين من شوال سنة ٥٠٣، وكان صلاح الدين قد استنقذها منهم فى سنة ٥٨٣ وقد خرج منها خلق كثير من أهل العلم. انظر: معجم البلدان (بيروت)، والروض المعطار ١٢٢، ١٢٣، وصبح الأعشى ٤/١١١.

Marfat.com

وبعث إلى الحجاز بالأموال والنفقة وكسوة الكعبة. ووردت رءوس من المغرب فطيف بها. وقدم إليه من المغرب ماء للشرب من العين التى أجراها. وأنفذ رسولا إلى القرامطة برسالة إلى الأحساء.

وفيه: ثارت فتنة بين المصريين والمغاربة، فقبض على جماعة وضربوا.

وفى ذى القعدة: نودى لخمس خلون منه فى الجامع العتيق: «الحج فى البر». وكان قد انقطع منذ سنين. وفيه مات عبد الله بن أبى ثوبان، وكان قد نصبه المعز للنظر فى مظالم المغاربة، فتبسط فى الأحكام بين المصريين، وقال فى كتبه: «قاضى مصر والإسكندرية»، وشهدت عنده شهود مصر من المعدلين.

وفيه: خاطب المعز على بن النعمان بالقضاء، وأذن له فى النظر فى الأحكام، فجلس فى داره ومسجده ونظر فى الأحكام.

وطيف برءوس من الأعراب والروم وردت من الشام ومن الصعيد.

وقدم للنصف منه جواب القرامطة من الأحساء، فخلع على الرسول وعلى جماعة معه، وحملوا.

وفيه: طلع نجم الذنب عند الفجر وله شعاع كبير، فأقام أياما، واضطرب الناس، ولما رآه المعز استعاذ منه. وطُلبت العبيد الصقالبة من جميع الناس، وأخذوا بالثمن.

وانفرد عسلوج بن الحسن بالديوان والنظر فى أبواب المال كلها.

وفى مستهل ذى الحجة: طيف برءوس على رماح يقال عدتها اثنا عشر ألف رأس، وردت من المغرب، فيها رأس خلف بن جبر، وقد ثار بالمغرب واجتمع عليه البربر، فظفر به يوسف بن زيرى، وقتل لخمس خلون من رمضان هو وجماعة من أهله. واعتقل جماعة من الإخشيدية والكافورية وطولبوا ببيع عقارهم ورد ما باعوا منه.

ووردت هدية أبى محمود من الشام، وهى مائة فارس، وأحمال مال.

وبرز ركب المعز يوم عيد النحر على رسمه، فصلى وخطب، وأطعم الناس بالقصر.

وكسر الخليج، ولم يركب إليه المعز.

وفى يوم النوروز زاد اللعب بالماء ووقود النيران، وطاف أهل الأسواق وعملوا فيلة، وخرجوا إلى القاهرة بلعبهم، فأقاموا على ذلك ثلاثة أيام، وأظهروا السماجات فى اللعب بالأسواق، فأمر بالنداء أن يكف عن اللعب، وأخذ قوم فطيف بهم وحبسوا.

Marfat.com

وأمر أن يكون فى الشرطة السفلى فقيهان يجلسان، ثم صرفا.

وورد الخبر بوقعة كانت لأبى محمود مع ابن الجراح الطائى بناحية طبرية.

وأمر المعز بتغيير المكاييل والموازين، وجعلت الأرطال من رصاص.

وأمر المعز القاضى أبا طاهر وشهوده أن يرفعوا إليه أخبار البلد ولا يكتموه شيئا، ونصبوا لذلك رجلا فامتنع.

وبلغ النيل بزيادة الجديد سبعة عشر ذراعا وتسعة عشر إصبعا، فأمر لابن أبى الرداد بالجائزة والخلع والحملان على عادته.

ومات فى هذه السنة: أبو جعفر أحمد بن القاضى النعمان بن محمد بمصر يوم الثلاثاء خامس ربيع الأول.

وحسن بن سعيد الأفرنجى بالقاهرة، فصلى عليه المعز ودفن بها.

وإسماعيل بن لبون الدنهاجى، وصلى عليه المعز. وعلى بن الحرسى صاحب الخراج. ومات حسن بن رستق الدنهاجى.

ومات أيضا أبو الفرج محمد بن إبراهيم بن سكرة فى ربيع الآخر.

ثم دخلت سنة خمس وستين وثلاثمائة:

والأمر على حاله إلا أن القضاء بيد أبى طاهر محمد بن أحمد، واشترك معه القاضى على بن النعمان، فكان كل منهما ينظر فى داره.

وتثاقل يعقوب بن كلس عن حضور الديوان، وانفرد بالنظر فى أمور المعز فى قصره.

وفى المحرم: عمرت كنيسة بقصر الشمع.

وورد سابق الحاج فأخبر بإقامة الدعوة بمكة ومسجد إبراهيم يوم عرفة ومدينة الرسول، وسائر أعمال مكة، وبتمام الحج.

وكان هذا أول موسم دعى فيه للمعز بمكة ومدينة رسول الله - ﷺ - فسر المعز بذلك، وتصدق شكرا لله.

وورد كتاب أمير مكة جعفر بن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن عبد الله ابن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب، وكتاب أخيه الحسن بن محمد الحسنى - وهو أخو صفية امرأة عبد الله بن عبيد الله أخى مسلم -

Marfat.com

يسأل الإحسان إلى أخته صفية - وكانت مستترة - فأمر برد ضياعها وريعها وتسليم ذلك إليها، فأحضر يعقوب بن كلس القاضى أبا طاهر وشهوده، وأشهدهم فى كتاب عن المعز أنه أمره برد ضياعها ورياعها إليها، فظهرت وأمنت.

وكتب جعفر بن محمد الحسنى أمير مكة يسأله فى بنى جمح أن يرد حبسهم إليهم الذى بمصر، وفى ولد عمرو بن العاص أن يرد حبسهم بمصر إليهم، فأطلق المعز ذلك لبنى جمح.

وورد رسول ملك الروم، فغلقت الحوانيت، وخرج الناس تنظر إليه .

قال ابن الأثير. «وكان سبب موت المعز أن ملك الروم بالقسطنطينية أرسل إليه رسولا كان يتردد إليه بإفريقية، فخلا به المعز بعض الأيام، وقال له: «أتذكر إذ أتيتنى رسولا وأنا بالمهدية، فقلت لك: «لتدخلن علىَّ وأنا بمصر مالكا لها؟». قال: «نعم». قال: «وأنا أقول لك لتدخلن علىَّ ببغداد وأنا خليفة». فقال له الرسول: «إن أمنتنى ولم تغضب، قلت لك ما عندى». قال له المعز: « قل وأنت آمن».

فقال: «بعثنى إليك الملك ذلك العام، فرأيت من عظمتك فى عينى وكثرة أصحابك ما كدت أموت منه، ووصلت إلى قصرك فرأيت عليه نورا غطى بصرى، ثم دخلت عليك فرأيتك على سريرك فظننتك خالقا، فلو قلت لى إنك تعرج إلى السماء لتحققت ذلك، ثم جئت إليك الآن فما رأيت من ذلك شيئا، أشرفت على مدينتك فرأيتها فى عينى سوداء مظلمة، ثم دخلت عليك فما وجدت من المهابة ما وجدته ذلك العام، فقلت إن ذلك كان أمرا مقبلا، وإنه الآن بضد ما كان عليه».

فأطرق المعز، وخرج الرسول من عنده، وأخذت المعز الحمى لشدة ما وجد، واتصل مرضه حتى مات.

وقال ابن سعيد فى كتاب المغرب: إن المعز أنفذ إلى ابن السوادكى فقال: « من لك بالحجاز من التجار تكاتبه، اكتب إلى من تراه منهم بأن يكتب إلى عدن بحمل ما يقدر عليه من خشب الأبنوس الحسن التلميع التام الطول، الغليظ مما لا غاية وراءه».

فكتب إلى تاجر بمكة، وأكد عليه، فما كان إلا نحو شهرين حتى عاد جوابه أنه وجد منه ما ليس له فى الدنيا نظير، وحمله فى مركب، فسر بذلك، وبكر إلى المعز فأخبره الخبر، وأنه فى القلزم، فأطرق وتغير لونه، فقال له:

«يا مولانا هذا يوم فرح وسرور بأن تطلب أمرا يكون بعد مدة فيسهله الله فى أقرب وقت». فقال: «يا محمد ليس يدرى إلى حيث خرجت».

Marfat.com

ثم سار خارجا إلى ظاهر القاهرة وهو يقرأ سورة الفتح إلى آخرها، ويرددها كلما فرغ منها، ورجع فاعتل بعد جمعة، وترددت به العلة، فمات فى الشهر الخامس، وما طلبه منى، ولا أذكرته به، وكان قد تأول أن أجله نعى إليه حين رأى الأشياء منقادة له.

قال ابن زولاق: **ولأربع خلون من صفر** ورد حاج البر، وقد كان البر أقام سنين لم يسلك.

وفيه: حضر على بن النعمان القاضى جامع القاهرة، وأملى مختصر أبيه فى الفقه عن أهل البيت، ويعرف هذا المختصر «بالاقتصار»، وكان جمعا عظيما.

وفى ربيع الآخر: وردت رسالة القرامطة بأنهم فى الطاعة.

وفيه: أذن المعز لجماعة المصريين فدخلوا عليه وخاطبهم - وهو على سرير الملك - فصاح به رجل منهم:

«يا أمير المؤمنين»، قال الله - عز وجل -: ﴿**وَلَقَدْ أَهلَكْنا القُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وجاءتْهُم رُسُلُهمْ بالبَيِّناتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِى الْقَوْمَ الْمُجْرِمِين ثُمَّ جعَلْناكُمْ خَلائِفَ فى الأَرْضِ مِنْ بَعْدهِمِ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**﴾[1] يا أمير المؤمنين، لننظر كيف تعملون.

وقال: «صدق الله، كذا قال عز وجل، ونسأل الله التوفيق».

واعتل المعز لثمان خلون من ربيع الأول، فأقام ثمانيا وثلاثين يوما، ووصف له البطيخ البرلسى يؤخذ ماؤه، فطلب بمصر فلم يوجد سوى واحدة اشتريت بخمسة دنانير، ثم وجد منها ثمانى عشرة بطيخة اشتريت بثمانية عشر دينارا، وكان الناس يغدون إلى القصر ويروحون، والذى يمرضه طبيبه موسى بن العازار وعبده جوهر.

فلما كان لأربع عشرة بقيت من ربيع الآخر: اشتدت العلة. وعرف باجتماع الناس وكثرة الرقاع فى الظلامات والحوائج، وسئل فيمن ينظر فى ذلك، فأمر أن ينظر فيه ولى عهده نزار فاستخلفه، وخرج السلام إلى الناس فانصرفوا.

وخرج القائد جوهر وموسى بن العازار الطبيب بالعزيز فأجلسوه، وخرج إليه إخوته وعمومته وسائر أهله فبايعوه، ثم أدخل إليه أكثر الأولياء فبايعوه وسلموا عليه بالإمرة وولاية العهد، فابتهج الناس بذلك.

ودخل عليه من الغد القاضى أبو طاهر وجماعة الشهود والفقهاء فسلموا عليه بولاية

(١) سورة: يونس الآيات ١٣، ١٤.

Marfat.com

العهد، وقبَّلوا له الأرض، فرد عليهم أحسن رد، وأخبرهم بأن المعز بخير، قال: «مولانا - صلوات الله عليه - فى كل عافية وسلامة فى أحواله، وفى رأيه لكم» وانصرفوا.

وكان يوم جمعة: فدعا له عبد العزيز بن عمر العباسى على منبر الجامع العتيق بعد أن دعا للمعز، فقال: «اللهم صل على عبدك ووليك، ثمرة النبوة، ومعدن الفضل والإمامة، عبد الله معد أبى تميم الإمام المعز لدين الله، كما صليت على آبائه الطاهرين، وأسلافه المنتخبين من قبله. اللهم أعنه على ما وليته، وأنجز له ما وعدته، وملكه مشارق الأرض ومغاربها.

واشدد - اللهم - أزره، وأعز نصره بالأمير نزار أبى المنصور ولى عهد المسلمين، ابن أمير المؤمنين، الذى جعلته القائم بدعوته، والقائم بحجته. اللهم أصلح به العباد، ومهد لديه البلاد، وأنجز له به ما وعدته، إنك لا تخلف الميعاد».

وتوفى المعز لدين الله عشية هذا اليوم ليلة السبت السادس عشر من شهر ربيع الآخر، وقيل: يوم الجمعة حادى عشر، وقيل: ثالث عشر، ولم يظهر ذلك ولا نطق به أحد مدة ثمانية أشهر.

وقيل: إن السيدة - لما اشتدت علةُ المعز - أحضرت القائد جوهر وهو ملتف فى برد من [.....][1] وحضر يعقوب بن يوسف بن كلس وعسلوج القائد وأفلح الناشب، وطارق الصقلبى، فقالوا للمعز: «نريد أن تبصرنا رشدنا وتعلمنا لمن الأمر».

فلم يجبهم، فقال له جوهر: «كنت قد سمعت منك قولا فى هذا استعنيت به عن إعادة السؤال، غير أنهم أكرهونى على الدخول». وقال لهم: «قابلتمونى بما لا يجب» وبكى.

فخرجوا، فلما كان اليوم الثالث مات، فصار العزيز إذا رفعت إليه الأمور يدخل كأنه يشاوره ويخرج بالأمر.

قال ابن زولاق: كان - يعنى المعز - فى غاية الفضل والاستحقاق للإمامة، وحسن السياسة.

وكان مولده سنة تسع عشرة وثلاثمائة، أدرك من أيام المهدى جد أبيه أربع سنين، وتوفى القائم وللمعز ست عشرة سنة.

واجتمع للمعز بمصر ما لا يجتمع لآبائه، وذلك أنه حصل له بالمغرب أربعة وعشرون

---

(١) ما بين المعقوفتين طمس فى الأصل.

Marfat.com

بيتا من المال: منها أربعة عشر خلفها المهدى، ولـم يخلـف القـائم عليهـا شيئا، وخلـف المنصور بيتا واحدا وكسوة، وأضاف إليها المعـز تسـعة، فصـارت أربعـة وعشـرين بيتـا، أنفق أكثرها على مصر إلى أن فتحت ودخلها، وحصل له مـن مـال مصـر أربعـة بيـوت سوى ما أنفقه وسوى ما قدم به معه.

واجتمع له أن خلفاءه بمصر استخرجوا له مالم يستخرج لأحد بمصـر، فاستخرج لـه فى يوم واحد مائة ألف دينار وعشرون ألف دينار.

وهزمت القرامطة فى أيامه أربع مرار: مرتين فى البر علـى بـاب مصـر، ومرتـين فـى البحر، وما تم عليهم هذا قط منذ ظهر أمرهم.

وأقيمت له الدعوة يوم عرفة فى مسـجد إبراهيـم - عليـه السـلام - وبمكـة والمدينـة وسائر أعمال الحرمين، ولم ترد له راية.

وسار ابن السميسق ملـك الـروم إلى ريـان - عبـد المعـز - وهـو بطرابلـس، فـانهزم وأخذت غنائمه وأسر رجاله.

وكتب اسمه على الطرز بتنيس ودمياط والقيـس والبهنسـى[1] قبـل أن يملـك مصـر وتتابعت له الفتوح.

ودعى لفاطمة ولعلى - عليهما السلام - فى أيامه على المنابر فى سائر أعمالـه وفـى كثـير مـن أعمـال العـراق. ونصبـت السـتائر علـى الكعبـة وعليهـا اسـمه. ونصبـت لـه المحاريب الذهب والفضة داخـل الكعبـة وعليهـا اسـمه. وكاتبـه أهـل العـراق[2] وأهـل اليمن وأهل خراسان وأهل الحرمين والترك بالخلافة.

وكان على التجهز للمسير للحـج ثـم إلى قسـطنطينية للجهـاد. وكـان مقامـه بمصـر سنتين وسبعة أشهر وعشرة أيام.

---

(١) البهنَسَا: بالفتح ثم السكون، وسين مهملة مقصورة: مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربـى النيـل وتضاف إليها كورة كبيرة، وليست على ضفة النيل، وهى عامرة كبيرة كثيرة الدخل، وبظاهرها مشهدٌ يزار[1] يزعمون أنّ المسيح وأمه أقاما به سبع سنين، وبها برابى عجيبة.
وفى الروض المعطار: البهنسى: مدينة بصعيد مصر فى الجهة الغربية من الخليج الخارج من معظـم النيل، وهى عامرة بالناس حامعة لأمم شتى، ومن هذه المدينة إلى مصر سبعة أيام. انظر: الـروض المعطار ١١٤، والإدريسى ٥٠، وحنى الأزهار ١٠.

(٢) العـراق: هـى بـلاد واسـعة. انظـر: معجـم البلـدان ٤/٩٣، ٩٤، ٩٥، والـروض المعطـار ٤١٠، ومعجم ما استعجم ٣/٩٢٩، وابن خرداذبه ٥ ومابعدها.

قال ابن الأثير: وأمه أم ولد. وولد بالمهدية من إفريقية حادى عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة.

ومات وعمره خمس وأربعون سنة وستة أشهر تقريبا. وكانت ولايته الأمر ثلاثا وعشرين سنة وعشرة أيام. وهو أول الخلفاء العلويين، ملك مصر وخرج إليها.

وكان مغرى بالنجوم، ويعمل بأقوال المنجمين، قال له منجم: إن عليه قطعا فى وقت كذا، وأشار عليه بعمل سرداب يختفى فيه إلى أن يجوز ذلك الوقت، ففعل ما أمره، وأحضر قواده وقال لهم: «إن بينى وبين الله عهدا أنا ماض إليه، وقد استخلفت عليكم ابنى نزار، فاسمعوا له وأطيعوا».

ونزل السرداب، فكان أحد المغاربة إذا رأى سحابا، نزل وأومئ إليه بالسلام ظنا منه أن المعز فيه، فغاب سنة ثم ظهر، وبقى مدة ومرض وتوفى، فستر ابنه نزار العزيز موته إلى عيد النحر من السنة، فصلى بالناس وخطبهم، ودعا لنفسه، وعزى بأبيه.

وذكر القاضى عبد الجبار بن عبد الجبار البصرى [1] فى كتاب «تثبيت نبوة نبينا ﷺ» المعز لدين الله، وقال: «واحتجب عن الناس مدة، ثم ظهر وجلس فى حرير فائق أخضر مذهب، وعلى وجهه الجواهر واليواقيت، وأوهم أنه كان غائبا، وأن الله رفعه إليه، وكان يتحدث بما يأتيه أهل الأخبار فى حال غيبته، وتوهم أن الله أطلعه على تلك الغيوب».

وتعرض بالجمل دون التفصيل.

قال مصنفه - رحمة الله عليه -:

«ليس الأمر كما قال ابن الأثير، فقد حكى الفقيه[2] الفاضل المؤرخ أبو الحسن بن إبراهيم بن زولاق المصرى فى كتاب «سيرة المعز» وقد وقفت عليها بخطه- رحمه الله - أخبار المعز منذ دخل مصر إلى أن مات يوما يوما، وأن المعز إنما عهد لابنه يوم الخميس

---

(١) عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذانى الأسدابادى أبو الحسين: قاض، أصولى. كان شيخ المعتزلة فى عصره: وهم يلقبونه قاضى القضاة ولا يطلقون هذا اللقب على غيره. ولى القضاء بالرى ومات فيها. وله الأمالى وشرح الأصول الخمسة - ط. انظر: الرسالة المستطرفة ١٢٠، السبكى ٣/١٩، ولسان الميزان ٣/٣٨٦، تاريخ بغداد ١١/١١٣، ومعجم المطبوعات ١٢٦٩، والأعلام ٢٧٣، ٢٧٤.

(٢) الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن، من ولد سليمان بن زولاق، الليثى بالولاء، أبو محمد مؤرخ مصرى، سبقت ترجمته. انظر: وفيات الأعيان ١/١٢٤، والبدايه والنهاية ١١/٣٢١، وآداب اللغة ٢/٣٢٠، وابن الوردى ١/٣٥١، والأعلام ٢/١٧٨.

Marfat.com

لأربع عشرة بقيت من شهر ربيع الآخر قبل موته بيومين؛ وذكر أن سبب العهد إليه اجتماع الناس بباب القصر وكثرة الرقاع، وأنه سئل فيمن ينظر فى ذلك، فأمر ابنه نزار العزيز أن ينظر فيه فاستخلفه، وقد ذكرت ملخص هذه السيرة فيما مر من أخبار المعز، وأن ابن زولاق أعرف بأحوال مصر من ابن الأثير خصوصا المعز، فإنه كان حاضرا ذلك ومشاهدا له، وممن يدخل إليه ويسلم مع الفقهاء عليه، ويروى فى هذه السيرة أشياء بالمشاهدة، وأشياء مدته بها ثقات الدولة وأكابرها، كما هو مذكور فيها؛ إلا أن ابن الأثير تبع مؤرخى العراق والشام فيما نقلوه، وغير خاف على من تبحر فى علم الأخبار كثرة تحاملهم على الخلفاء الفاطميين وشنيع قولهم فيهم، ومع ذلك فمعرفتهم بأحوال مصر قاصرة عن الرتبة العلية، فكثيرا ما رأيتهم يحكون فى تواريخهم من أخبار مصرما لا يرتضيه جهابذة العلماء، ويرده الحذاق العالمون بأخبار مصر؛ وأهل كل قطر أعرف بأخباره، ومؤرخو مصر أدرى بما جرياته، وفوق كل ذى علم عليم.

قال ابن الأثير: «وكان المعز عالما فاضلا جوادا جاريا على منهاج أبيه، حسن السيرة وإنصاف الرعية، وستر ما يدعون إليه إلا عن الخاصة، ثم أظهره، وأمر الدعاة بإظهاره، إلا أنه لم يخرج فيه إلى حد يذم به».

وقال ابن سعيد فى كتاب المغرب: «إن جوهر القائد لما كان على عسقلان(١)، وهجم عليه العدو، وأحرقوا خيمته وما قدروا عليه، وقاتل الناس إلى أن كشفوا العدو وعادوا إلى مكانهم، ترجل جوهر وقبّل الأرض وقال: «حذرنى مولانا المعز بالمغرب،

---

(١) عَسْقلانُ: بفتح أوله، وسكون ثانيه ثم قاف، وآخره نون، وهو اسم اعجمى فيما علمت، وقد ذكر بعضهم أن العسقلان أعلى الرأس، فإن كانت عربية فمعناه أنها فى أعلى الشام: وهى مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جِبْرين ويقال لها عروس الشام وكذلك يقال لدمشق أيضًا1 وقد نزلها جماعة من الصحابة والتابعين وحدّث بها خلق كثير، ولم تزل عامرة حتى استولى عليها الأفرنج، خذلهم الله، فى السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٥٤٨ وبقيت فى أيديهم خمسًا وثلاثين سنة إلى أن استنقذها صلاح الدين يوسف بن أيوب منهم فى سنة ٥٨٣، ثم قوى الأفرنج وفتحوا عكّا وساروا نحو عسقلان فخشى أن يتمّ عليها ما تمّ على عكا فخربها فى شعبان سنة ٥٨٧. وعسقلان أيضًا: قرية من قرى بلخ أو محلة من محالها. وبلخ قرية يقال لها عسقلان وفى عسقلان الشام قال النبى صلى الله عليه وسلم: «أبشركم بالعروسين غزّةَ وعسقلان»، وقال: قد افتتحها أولاً معاوية بن أبى سفيان فى خلافة عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، وقد روى فى عسقلان وفضائلها أحاديث مأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه، منها قول عبد الله بن عمر: لكل شىء ذروة وذروة الشام عسقلان، إلى غير ذلك فيما يطول.
انظر: الروض المعطار ٤٢٠، ومعجم البلدان (عسقلان)، وابن الوردى ٢٥.

Marfat.com

وقال لى: احذر النار فى عسكرك ببرقة». فلما جزت بها تحفظت من النار، فلما صرت فى مصر قلت: الحق ما يقول مولانا، وما هو إلا أن أعود إلى المغرب، فيكون ذلك فيها، فلما نزلت هذا المنزل عرفت أنه يقال له برقة، وكنت - والله - خائفا من قول مولانا حتى رأيته عيانا.

قال: «ولما بلغ المعز أن يوسف بن زيرى خليفته على المغرب قبض على صاحب خراجه بالمغرب غضب واستدعى إسماعيل بن أسباط، ودفع إليه كتابا مختوما، وقال له: «أنت عندى موثوق به، غير مستراب بك، قل له يا يوسف، تغير ما أمرتك به، وتنسب ما فعلته لى؟ والله لئن هممت بالعود إليك لآتينك، ولئن أتيتك لا تركت من آل مناد أحدا، بل من بلكانة، لا بل من صنهاجة؛ أخرج ابن الأديم فارددده إلى النظر فى الخراج على رسمه، وامتثل جميع ما أمرتك به، ولا تخالف شيئا منه».

قال: «فسرت بأحسن حال حتى دخلت القيروان فلم أجده، فسرت إليه، فلما رآنى نزل وقبَّل الأرض لما ترجلت له، وقبَّل بين عينى، وقال: «هذه العين الذى رأت مولانا».

وأوصلت إليه السجل، فقرأه سرا مع كاتبه وترجمانه، وأديت إليه الرسالة بينى وبينه، فعهدى به يرتعد وينتفخ ويسود، ويقول: نفعل والله، وكتب برد زيادة الله بن الأديم إلى نظره، وأقمنا مدة.

قال ابن أسباط: « فأنا راكب معه ذات يوم إذ ورد إليه نجاب بكتاب لطيف، فقرأه عليه راكبا الترجمان، فرأيته ضرب الفرس وحركه فأقامه وأقعده، وهز رمحه فى وجوه رجاله يمينا وشمالا، وجعل يقول: «أبلكين، أمليح اسم أمه؟ أزيرى، أمليخ اسم أبيه؟ أمناد، أمليح اسم جده؟».

قال: «فقلت فى نفسى: خبر ورد إليه سره، وأدرت فكرى فوقف فىَّ أن مولانا نظر إلى وجهى متغيرا، فأخذنى ونزل إلى دار إمارته، فأدار إلىّ وجهه، وقال: «مالك تغير وجهك؟». فقلت له: «مات مولانا المعز، فأحسن الله عزاك عنه». فقال: «من أخبرك؟». قلت: «أنت أخبرتنى». قال: «وكيف!». قلت: «رأيتك قد عملت بعد قراءة الكتاب عليك ما لا أعرفه منك». فقال: «قد صدقت، قد مات مولانا المعز». قلت له: «فيقدر أن أحدا لا يقوى من بعده فى مجلسه». فقال: «لابد من ذلك». فقلت له: «ينبغى أن تنتظر كتاب ولده الذى أتى من بعده، فسيأتيك ما تحب».

قال: «صدقت، واكتم ما جرى، ولكن يا ابن اسباط بعدت مصر من المغرب، وقد صار المغرب والله فى أيدينا إلى دهر طويل».

وأقمت، فورد كتاب العزيز إليه يعزيه ويوليه، فسر وخلع علىَّ، وسيرنى».

قال ابن سعيد عن كتاب «سيرة الأئمة» لابن العلاء عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حسين بن مهذب: وأورد ليوسف بن زيرى خطبة كتب بها إلى العزيز بن المعز جوابا عن كتابه يقول فيها: «وأعوذ بالله أن أقول ما شنعه أهل الزور والجحود، بل أنا عبد من عبيده، أيدنى بنور هدايته، وألبسنى قميص حكمته، وتوجنى بعز سلطانه، وحملنى أثقال علم ربوبيته، واختصنى بنفس كلايته، وذكر أنه ولى عهده بعد ابنه الشاعر تميما ثم عزله، وولى ابنه عبد الله إفريقية، ثم ولى بمصر العزيز الذى صحت له الخلافة بعده».

قال ابن سعيد: «وهذا أعجب ما سمعته فى تولية العهد، لا أعلم لهذه الكائنة نظيرا».

وقال ابن الطوير: «لما دخل المعز قرأ أحد القراء عند دخوله - وكان منجما -: ﴿**وحمله وفصاله ثلاثون شهرا**﴾[1]. فقال المعز: «العاقبة». فقال: «حميدة». قال المعز: «الحمد لله».

ومن أحسن ما مدح به المعز قول الحسن بن هانئ فيه:

إذا أنت لم تعلم حقيقة فضله ... فسائل عليه الوحى المنزَّلَ تَعْلَمِ
فأُقْسِمُ لو لم يأخذ الناس فضله ... عن اللهِ لم يعلم ولم يتوهَّمِ
وأىُّ قوافى الشعر فيك أحولها ... وهل ترك القرآنُ مَنْ يَتَرَنَّمِ

وكان نقش خاتمه: «بنصر العزيز العليم ينتصر الإمام أبو تميم».

وكان يُشَبَّه فى بنى العباس بالمأمون فى سفره من القيروان[2].

* * *

(١) سورة الأحقاف، الآية ١٥.

(٢) القيروان: هى مدينة عظيمة بإفريقية. انظر: معجم البلدان ٤/٤٢٠، ٤٢١؛ وفى الروض المعطار القيروان: هى قاعدة البلاد الإفريقية وأم مدائنها، وكانت أعظم مدن المغرب نظرًا، وأكثرها بشرًا، وأيسرها أموالاً، وأربحها تجارة، وأكثرها جباية، وبالجملة فمدينة القيروان دار ملك المغرب، ورأت من المماليك والملوك والدول والفقهاء والعلماء والصالحين ما لم يكن مثله فى قطر من الأرض، ثم محنت بالعرب والفتن، وخلت من الناس وذهبت نضرتها ومحاسنها، وبسط أخبارها يطول فلنقتصر على هذا القدر. انظر: الروض المعطار ٤٨٦، ٤٨٧. والإدريسى ١١٠/٨٠، والبكرى ٣٤٧، والمقدسى ٢٢٤.

Marfat.com

ابن المعز لدين الله أبى تميم معد بن المنصور بنصر الله أبى الطاهر إسماعيل بن القائم بامر الله أبى القاسم محمد بن المهدى عبيد الله

أمه أم ولد، واسمها درزان. ولد بالمهدية يوم الخميس الرابع عشر من المحرم سنة أربع وأربعين وثلاثمائة.

وولى العهد بمصر وبويع لسبع بقين من ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة ومن كتاب ابن مهذب:

سمعت مولانا العزيز يقول:

«خرج مولانا المعز يوما بمصر يمشي فى قصره، وأنا وأخي تَميم، وعبدُ الله، وعَقيل، نمشي خلفه، فخطر ببالي أن قلتُ: «تُرى يصير هذا الأمرُ إلىّ، أو أخى عبد الله، أو إلى أخى تميم، وإن صار إلىّ، تُرى أمشي هكذا وهؤلاء حولى؟».

قال: «وانتهى مولانا المعز إلى حيث أراد، ووقفنا بين يديه، وانصرفت الجماعة، وأردت الانصراف، فقال: «لا تبرح يا نزار»، فوقفت حتى إذا لم يبق أحد بين يديه غيرى استدنانى وقال: «بحياتى يا نزار إذا سألتك عن شيء تصدقنى؟».

قلت: «نعم يا مولانا». قال: «التفت إليك فرأيتك وقد أعجبتك نفسك، وأنت تنظر إلىّ وإلى نفسك وإلى أخوتك، وأنا أسارقك النظر - وأنت لا تعلم - فقلت فى نفسك: ترى هذا الأمر يصير إلىّ وإخوتى حولى؟».

قال: «فاحمر وجهى، ودنوت منه فقبلت بين يديه، وقلت- وقد غلبنى البكاء: «يجعل الله جميعنا فداك».

فقال: «دع عنك هذا؛ كان كذا؟» . قلت: «نعم يا مولانا، فكيف عرفته؟».

قال: «حزرته عليك، ثم لم أجد نفسى تسامحنى فى إعجابك بنفسك على شيء سوى هذا الأمر، فهو صائر إليك، فأحسن إلى إخوتك وأهلك، خار الله لك ووفقك».

وقد تقدم أن المعز لما مات كتم موته إلى يوم النحر فأظهرت وفاته، فركب العزيز بالمظلة، وخطب بنفسه، وعزى نفسه، والناس تسلم عليه بالخلافة، وركب إلى قصره فسلم عليه عماه: حيدرة وهاشم، وعم أبيه: أبو الفرات، وعم جده : أحمد بن عبيد الله.

وقال ابن الأثير: «لما استقر العزيز فى الملك أطاعه العسكر واجتمعوا عليه، وكان

Marfat.com

هو يدبر الأمر منذ مات والده إلى أن أظهره؛ ثم سيَّر إلى المغرب دنانير عليها اسمه فرقت فى الناس؛ وأقر يوسف بن بلكين على ولاية إفريقية، وأضاف إليهما ما كان أبوه استعمل عليه غير يوسف، وهى طرابلس وغيرها، فاستعمل عليها يوسف عماله، وعظم أمره، وأمن ناحية العزيز، واستبد بالملك، وكان يظهر الطاعة بمجاملة لا طائل تحتها».

وخطب للعزيز بمكة بعد أن أرسل إليها جيشا فحصرها، وضيقوا على أهلها ومنعوهم الميرة، فغلت الأسعار بها ولقى أهلها شدة شديدة.

وأما أخبار الشام: فإن أفتكين لم يزل طول مقامه بدمشق يكاتب القرامطة ويكاتبونه بأنهم سائرون إلى الشام، إلى أن وافوا دمشق بعد موت المعز فى هذه السنة، وكان الذى وافى منهم: إسحاق، وكسرى، وجعفر، فنزلوا على ظاهر دمشق، ومعهم كثير من العجم أصحاب أفتكين الذين تشتتوا فى البلاد وقت وقعته مع الديلم، لقوهم بالكوفة فى الموقعات، فأركبوهم الإبل، وساروا بهم إلى دمشق، فكساهم أفتكين وأركبهم الجبل، فقوى عسكره بهم ولقى أفتكين القرامطة وحمل إليهم وأكرمهم وفرح بهم، وأمن من الخوف، فأقاموا على دمشق أياما ثم ساروا إلى الرملة وبها أبو محمود إبراهيم بن جعفر - فالتجأ إلى يافا، ونزل القرامطة الرملة، ونصبوا القتال على يافا حتى مل كل من الفريقين القتال، وصار يحدث بعضهم بعضا.

وجبى القرامطة المال فأمن أفتكين من مصر، وظن أن القرامطة قد كفوه ذلك الوجه، وعمل على أخذ الساحل، فسار بمن اجتمع إليه، ونزل على صيدا[1]، وبها ابن الشيخ، ورؤساء المغاربة، ومعهم ظالم بن موهوب العقيلى، فقاتلوه قتالا شديدا، فانهزم عنهم أميالا، فخرجوا إليه، فواقعهم وهزمهم وقتل منهم، وصار ظالم إلى صور؛ فيقال إنه قتل يومئذ أربعة آلاف من عساكر المغاربة، قطعت أيمانهم وحملت إلى دمشق، فطيف بها.

ونزل أفتكين على عكا[2]، وبها جمع من المغاربة، فقاتلوه، فسير العزيز القائد جوهر

---

(١) صيدا: مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق شرقى صور بينهما ستة فراسخ. انظر: معجم البلدان (صيدا)، وفى الروض المعطار صيدا: بأرض الشام، بينها وبين بيروت يومان، وهى على ساحل البحر، وعليها سور حجارة، وتنسب إلى امرأة كانت فى الجاهلية، وهى مدينة كبيرة، غزيرة المياه، ولها أربعة أقاليم، وهى متصلة بجبل لبنان. انظر: الروض المعطار ٣٧٣، ونزهة المشتاق ١١٥، وصبح الأعشى ١١١.

(٢) عكا: اسم بلد على ساحل بحر الشام من عمل الأردن. انظر: معجم البلدان ٤/١٤٣، ١٤٤،-

Marfat.com

بخزائن السلاح والأموال إلى بلاد الشام فى عسكر عظيم لم يخرج قبله مثله إلى الشام من كثرة الكراع[1] والسلاح والمال والرجال، بلغت عدتهم عشرين ألفا بين فارس وراجل، فبلغ ذلك أفتكين وهو على عكا، والقرامطة بالرملة، فسار أفتكين من عكا ونزل طبرية، وخرج القرامطة من الرملة، ونزلها جوهر.

وسار إسحاق وكسرى من القرامطة بمن معهم إلى الأحساء، لقلة من معهم من الرجال الذين يلقون بها جوهر، وتأخر جعفر من القرامطة فلحق بأفتكين وهو بطبرية، وقد بعث فجمع فى حوران والبثنية، وسار جوهر من الرملة يريد طبرية، فرحل أفتكين، واستحث الناس فى حمل الغلة من حوران والبثنية[2] إلى دمشق، وصار أفتكين إلى دمشق، ومعه جعفر القرمطى، فنزل جوهر على دمشق لثمان بقين من ذى القعدة فيما بين داريا والشماسية، فجمع أفتكين أحداث البلد، وأمن من كان قد فزع منه، فاجتمع حمال السلاح والذعار إليه، ورئيسهم قسام.

وأخذ جوهر فى حفر خندق عظيم على عسكره، وجعل له أبوابا، وكان ظالم بن موهوب معه، فأنزله بعسكره خارج الخندق، وصار أفتكين فيمن جمع من الذعار، وأجرى لكبيرهم قسام رزقا.

ووقع النفير على قبة الجامع والمنابر، وساروا فجرى بينهم وبين جوهر وقائع وحروب شديدة وقتال عظيم، وقتل بينهم خلق كثير من يوم عرفة، فجرى بينهم اثنتا عشرة وقيعة إلى سلخ ذى الحجة.

ولم يزل إلى الحادى عشر من ربيع الأول سنة ست وستين فكانت بين الفريقين وقعة عظيمة، انهزم فيها أفتكين بمن معه، وهم بالهرب إلى أنطاكية، ثم إنه استظهر.

ورأى جوهر أن الأموال قد تلفت، والرجال قد قتلت والشتاء قد هجم، فأرسل فى الصلح، فلم يجب أفتكين، وذلك أن الحسين بن أحمد الأعصم القرمطى بعث إلى ابن عمه جعفر المقيم عند أفتكين بدمشق: «إنى سائر إلى الشام»، وبلغ ذلك جوهر، فترددت الرسل بينه وبين أفتكين حتى تقرر الأمر أن جوهر يرحل، ولا يتبع عسكره

=وفى الروض المعطار عكا - وتكتب أيضًا عكة -: مدينة كبيرة من ثغور الشام واسعة بينها وبين طبرية يومان. انظر: الروض المعطار ٤١٠، ٤١١.

(١) الكراع: السلاح وقيل يجمع الخيل والسلاح. انظر: لسان العرب.

(٢) البثنية: مدينة بالشام، وقالوا: هى أذرعات من عمل دمشق. وقالوا: كان نبى الله أيوب كثير المال وكانت له البثنية والجابية من الشام كلها بما فيها، وكان له فيهما ما لا يحصى من العبيد والغنم والدواب، وابتلاه الله تعالى فى ماله وولده فصبر ثم ابتلاه فى جسمه وبقى مطروحًا على كناسة سبع سنين وأشهرًا فصبر. انظر: الروض المعطار ٧٩، ومعجم البلدان (البثنية).

Marfat.com

أحد، فسر أفتكين بذلك، وبعث إلى جوهر بجمال ليحمل عليها ثقله لقلة الظهر عنده، وبقى من السلاح والخزائن ما لم يقدر جوهر على حمله فأحرقه، ورحل عن دمشق فى ثالث جمادى الأولى.

وقدم البشير من الحسن بن أحمد القرمطى إلى عمه جعفر بمجيئه، وبلغ ذلك جوهر، فجد فى السير، وكان قد هلك من عسكره ناس كثير من الثلج، فأسرع بالمسير من طبرية، ووافى الحسن بن أحمد من البرية إلى طبرية، فوجد جوهر قد سار عنها، فبعث خلفه سرية أدركته، فقابلهم جوهر، وقتل منهم جماعة، وسار فنزل ظاهر الرملة، وتبعه القرمطى، وقد لحقه أفتكين، فسارا إلى الرملة، ودخل جوهر زيتون الرملة، فتحصن به، فلما نزل الحسن بن أحمد القرمطى الرملة هلك فيها، وقام من بعده بأمر القرامطة ابن عمه أبو جعفر، فكانت بينه وبين جوهر حروب كثيرة.

ثم إن أفتكين فسد ما بينه وبين أبى جعفر القرمطى، فرجع عنه إلى الأحساء، وكان حسان بن على بن مفرج بن دغفل بن الجراح الطائى أيضا مع أفتكين على محاربة جوهر، فلم ير منه ما يحب، وراسله العزيز فانصرف عن أفتكين، وقدم القاهرة على العزيز، واشتد الأمر على جوهر، وخاف على رجاله، فسار يريد عسقلان، فتبعه أفتكين.

واستولى قسام على دمشق وخطب للعزيز، فسار[٤] أبو تغلب بن حمدان إلى دمشق، فقاتله قسام ومنعه، فسار إلى طبرية.

وأدرك أفتكين جوهر، فكانت بينهما وقعة امتدت ثلاثة أيام انهزم فى آخرها جوهر، وأخذ أصحابه السيف، فجلوا عما معهم، والتحقوا بعسقلان، فظفر أفتكين من عسكر جوهر بما يعظم قدره، واستغنى به ناس كثيرون.

ونزل أفتكين على عسقلان، فجد جوهر حتى بلغ من الضر والجهد مبلغا عظيما، وغلت عنده الأسعار، فبلغ قفيز القمح أربعين دينارا، وأخذت كتامة تسب جوهر وتنتقصه، وكانوا قد كايدوه فى قتالهم، فراسل أفتكين يسأله: ماذا يريد بهذا الحصار، فبعث إليه: «لا يزول هذا الحصار إلا بمال تؤديه إلىّ عن أنفسكم».

فأجابه إلى ذلك، وكان المال قد بقى منه شىء يسير، فجمع من كان معه من كتامة، وجمع منهم مالا؛ وبعث إليه أفتكين يقول: «إذا أمنتكم لابد أن تخرجوا من هذا الحصن من تحت السيف».

وأمنهم، وعلق السيف على باب عسقلان، فخرجوا من تحته وسار جوهر إلى مصر،

Marfat.com

فكانت مدة قتالهم على الزيتون وقفلتهم إلى عسقلان حتى خرجوا منها نحوا من سبعة عشر شهرا، بقية سنة ست إلى أن دنا خروج سنة سبع وستين.

وقدم جوهر على العزيز، فأخبره بتخاذل كتامة، فغضب غضبا شديدا، وعذر جوهر فى باطنه، وأظهر التنكير له، وعزله عن الوزارة، وولى يعقوب بن كلس عوضه فى المحرم سنة ثمان وستين.

وخرج العزيز فضربت له خيمة ديباج رومى عليها صفرية [1] فضة، فخرج إليه أهل البلد كلهم حتى غلقت الأبواب، وسألوه فى التوقف عن السفر، فقال: «إنما أخرج للذب عنكم، وما أريد ازديادا فى مال ولا رجال».

وصرفهم، ومنع العزيز فى هذه السنة - وهى سنة سبع وستين - النصارى من إظهار ما كانوا يفعلونه فى الغطاس [2]: من الاجتماع، ونزول الماء، وإظهار الملاهى، وحذر من ذلك.

وسار العزيز، وعلى مقدمته حسان بن على بن مفرج بن دغفل بن الجراح الطائى، فتنحى أفتكين عن الرملة، ونزل طبرية.

واتفق أن عضد الدولة أبا شجاع فناخسرو بن ركن الدين أبى يحيى الحسن بن بويه أخذ بغداد من ابن عمه بختيار بن أحمد بن بويه، فسار بختيار إلى الموصل، واتفق مع أبى تغلب الغضنفر بن ناصر الدولة بن حمدان على قتال فناخسرو، فسار إليهم فناخسرو وأوقع بهم، فانهزموا، وأسر بختيار وقتله، وفر حينئذ من أولاد بختيار إعزاز الدولة المرزبان، وأبو كاليجار وعماه: عمدة الدولة أبو إسحاق، وأبو طاهر محمد ابنا معز الدولة أحمد بن بويه، وساروا إلى دمشق فى عسكر، فأكرمهم خليفة أفتكين، وأنفق فيهم، وحملهم وصيرهم إلى أفتكين بطبرية، فقوى بهم، وصار فى اثنى عشر ألفا، فسار بهم إلى الرملة، ووافى بها طليعة العزيز، فحمل عليها أفتكين مرارا، وقتل منها نحو مائة رجل، فأقبل عسكر العزيز فى زهاء سبعين ألفا، فلم يكن غير ساعة حتى أحيط بعسكر أفتكين، وأخذوا رجاله، فصالح الديلم الذين كانوا معه: «زنهار، زنهار»، يريدون: «الأمان، الأمان».

واستأمن إليه أبو إسحاق إبراهيم بن معز الدولة، وابن أخيه إعزاز الدولة، والمرزبان ابن بختيار، وقتل أبو طاهر محمد بن معز الدولة، وأخذ أكثرهم أسرى، ولم يكن فيهم كبير قتلى، وأخذ أفتكين نحو القدس، فأخذ وجىء به إلى حسان بن على بن مفرج بن

(١) صفرية: إناء من النحاس الأصفر قدر أو دست.

(٢) ليلة الغطاس: هى الليلة الحادية عشرة من طوبة.

Marfat.com

دغفل بن الجراح فشد عمامته فى عنقه، وساقه إلى العزيز، فشهر فى العسكر وأسنيت الجائزة لابن الجراح.

وكانت هذه الوقعة لسبع بقين من المحرم سنة ثمان وستين.

فورد كتاب العزيز إلى مصر بنصرته على أفتكين، وقتل عدة من أصحابه وأسره، فقرئ على أهل مصر فاستبشروا وفرحوا .

وكتب أبو إسماعيل الرسى إلى العزيز يقول: «يا مولانا: لقد استحق هذا الكافر كل عذاب، والعجب من الإحسان إليه».

فلم يرد عليه جوابا: وسار العزيز ومعه أفتكين - مكرما من الرملة - وبقية الأسرى إلى مصر.

قال المسبحى: فخرج الناس إلى لقائه وفيهم أبو إسماعيل الرسى، فلما رآه العزيز قال: «يا إبراهيم: قرأت كتابك فى أمر أفتكين، وفيما ذكرته، وأنا أخبرك: اعلم أنا وعدناه الإحسان والولاية فما قبل، وجاء إلينا فنصب فازاته وخيامه حذاءنا، وأردنا منه الانصراف فلج وقاتل، فلما ولى منهزما وسرت إلى فازاته ودخلتها سجدت لله الكريم شكرا، وسألته أن يفتح لى بالظفر به، فجىء به بعد ساعة أسيرا؛ ترى يليق بى غير الوفاء؟».

فقبَّل أبو إسماعيل رجله. ودخل العزيز إلى القاهرة ومعه أفتكين والأسرى، وعليه تاج مرصع بالجوهر، فأنزل أفتكين فى دار، وأوصله بالعطاء والخلع حتى قال: «لقد احتشمت من ركوبى مع مولانا العزيز بالله ونظرى إليه مما غمرنى من فضله وإحسانه».

فلما بلغ العزيز ذلك، قال لعمه حيدرة: «يا عم: أحب أن أرى النعم عند الناس ظاهرة، وأرى عليهم الذهب والفضة والجوهرة ولهم الخيل واللباس والضياع والعقار، وأن يكون ذلك كله من عندى». وبلغ العزيز أن الناس من العامة يقولون: «ما هذا التركى؟».

فأمر به فشهر فى أجمل حال، فلما رجع من تطوافه وهب له مالاً جزيلاً، وخلع عليه، وأمر الأولياء بأن يدعوه إلى دورهم، فما منهم إلا من أضافه، وقاد إليه، وقاد: يديه دوابا.

ثم سأله العزيز بعد ذلك: «كيف رأيت دعوات أصحابنا».

فقال: «يا مولاى: حسنة فى الغاية، وما فيهم إلا من أنعم وأكرم». وكان الذى أنفق العزيز على أفتكين حتى أسره ألف ألف دينار.

Marfat.com

وقال العزيز عند خروجه إلى حربه لحسين الرابض: «كم عدد ما تحت يدك من الدواب»؟ فقال: «عشرة آلاف رأس». فقال العزيز: « لقد أوجلتنى يا حسين».

وفيها نافق حمزة بن بعلة الكتامى - متولى أسوان [1] - فخرج إليه جعفر بن محمد ابن أبى الحسين الصقلى، وأخذه وأتى به وبأمواله، فأنعم بها العزيز على أفتكين، ودفعه إليه فقتله شر قتلة.

وفيها قدم حسان بن على بن مفرج بن دغفل بن الجراح الطائى على العزيز، فخلع عليه، وحمل على خمسة أرؤس من الخيل، وقاد إليه - بين يديه - خمسة أحمال مال، وأنزله دارا.

وفيها جهز الفضل بن صالح على جيش إلى الشام، وقلد الشام كله، ولقب بالقائد، وخلع عليه ثوب مذهب، ومنديل مذهب، وقلد بسيف محلى بذهب، وحمل على فرس، وبين يديه أربعة أفراس بمراكبها، ومائة ألف درهم، وخمسون قطعة من الثياب الملونة؛ فركب بالطبول والبنود، وسار.

وخرجت قافلة الحاج فى ذى القعدة، وفيها صلات الأشراف، والقمح والشعير والدقيق والزيت، وسائر الحبوب والزيت، ومحراب من ذهب للكعبة.

وفيها كان بمصر وباء عظيم، ومات فيه خلائق، فحكى بعض من سمع نواب السلطان يقول: «الذى قبر من الديوان سبعة آلاف وسبعمائة وستون، سوى من لم يعلم بموته، أما من دفن بلا كفن فكثير».

وكان الماء فى المقياس خمسة أذرع وثلاثا وعشرين إصبعا، وبلغ خمسة عشر ذراعا وتسعة عشر إصبعا.

وأما بلاد المغرب فإن الأمير أبا الفتوح يوسف بن زيرى كتب إلى العزيز فى سنة سبع وستين يسأله فى طرابلس وسرت وأجدابية [2]، وكان عليها عبد الله بن خلف،

---

(١) أسوان: مدينة كبيرة وكورة فى آخر صعيد مصر وأول بلاد النوبة على النيل فى شرقيه . انظر: معجم البلدان (أسوان)، وفى الروض المعطار أسوان: فى الصعيد آخر بلاد مصر، وفى بلادهم من الجبال والأوعار التى تحول بينهم وبين النوبة، والنيل يهبط من بلاد النوبة على صخور وأوعار لا يدخل ذلك الموضع مركب، وأسوان من ثغور النوبة وهى فى آخر بلاد الصعيد الأعلى، وإلى أسوان تصعد المراكب من فسطاط مصر وعلى أميال منها جبال وأحجار يجرى النيل فى وسطها وهذا الموضع فارق بين سفن الحبشة فى النيل وسفن المسلمين. انظر: الروض المعطار ٥٧، ٥٨، والإدريسى ٢١، ونزهة المشتاق ٢٧، والمروج ٣/ ٤٠.

(٢) أجدابية: مدينة فى حيز برقة وهى آخر ديار لواتة، وهى فى صحصاح من حجر مستو، وكان=

Marfat.com

فأنعم له بها، فرحل عنها عبد الله، وتسلمها أبو الفتوح.

وفى سنة ثمان: كتب أبو طالب أحمد بن أبى القاسم محمد بن أبى المنهال - قاضى المنصورية - إلى العزيز يسأله فى القدوم، فأجابه إلى ذلك، فسار بأهله وأولاده فى آخر شوال، وقدم القاهرة، فأجرى له العزيز فى كل سنة ألف دينار.

وكتب أبو الفتوح إلى العزيز يشاوره من يولى القضاء؟ فكتب إليه: «قد رددت هذا إليك، فول من شئت».

فاختار محمد بن إسحاق الكوفى، وولاه آخر ذى الحجة سنة ثمان وستين، وكتب إلى العزيز يخبره بذلك، فأجاز فعله، وبعث إليه سجلا بالقضاء.

وفى يوم الاثنين لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة خمس وستين: سير الأمير أبو الفتوح الهدية من رقادة، ومعها المال مع محمد بن صالح - صاحب بيت المال - وعيسى بن خلف المرصدى، وقائد المهدية زروال بن نصر، فقدموا إلى القاهرة والعزيز آخذ فى حركة السير لحرب هَفْتِكين، فأمر برد المال الذى أحضره الأمير زيرى مع الهدية، وذلك أن عبد الله بن محمد الكاتب لما وصل إليه السجل من العزيز بموت أبيه المعز وقيامه بعده فى الخلافة، قرأه على الناس بالمنصورية من القيروان، وفرق ما بعثه العزيز من الدنانير والدراهم التى ضربت باسمه على رجال الدولة، ثم بسط رداءه، وألقى فيه دنانير، وقال: «ليلق كل واحد فيه ما يهتطيع من التقرب».

ثم جمع أهل القيروان وصادرهم، فأخذ من عشرة آلاف دينار إلى دينار واحد، حتى عمَّ أكثر أهل البلد وسائر أعمال إفريقية، فجبى زيادة على أربعمائة ألف دينار عينا.

فلما بلغ ذلك العزيز كتب برد المال لأربابه، فرأى عبد الله بن محمد برد المال نقضا عليه وحمله إلى العزيز مع الهدية، وجعل مال الهدية خاصة فى صرر، وكتب على كل صرة اسم صاحبها، فرد العزيز صررا نفيسة إلى أصحابها، وهم يومئذ بمصر، وأمر برد باقى المال إلى المغرب ليفرق على أربابه، فقال له الوزير يعقوب بن كلس:

«هذه أموال عظيمة، ونحن محتاجون إليها للنفقة على هذه العساكر، وإن رجعت

=لها فيما سلف سور ولم يبق منه إلا قصران فى الصحراء، والبحر منها على أربعة أميال ولا شىء حولها من النبات، وفيها يهود ومسلمون ويطيف بها خلق من البربر، وليس بها ماء جار إنما مياههم فى المواحل والسوانى التى يزرعون عليها الشعير وقليل الحنطة وضروبًا من القطانى. انظر: الروض المعطار ١١، ١٢، والإدريسى ٩٨/١٣٢، ومعجم البلدان (أحدابية).

Marfat.com

أمرت بردها إليهم من بيت المال».

فقبلها منه، وأنفقها على العسكر.

ثم دخلت سنة تسع وستين وثلاثمائة

فى أول [.....][1].

وفيها استحضر أخويه وعميه وجماعة من أهله، ورسم لهم الأكل معه على مائدته.

وفيها أرسل أفلح - أمير برقة[2] - للعزيز هدية، فيها مائتا فرس مجللة، ومائة بغل مجللة، ومائة وخمسون بغلا بأكف، وخمسمائة جمل، ومائة نجيب، ومائة صندوق فيها المال.

وفيها سار ناصر الدولة أبو تغلب من طبرية إلى الرملة - فى المحرم - وبها الفضل ابن صالح، وقد انضم إليه دغفل بن مفرج بن الجراح، فقاتلا أبا تغلب قتالا كثيرا حتى لم يبق معه إلا نحو سبعمائة من غلمانه وغلمان أبيه، فولى منهزما، واتبعوه، فأخذ وقتل، وبعث الفضل بن صالح برأس أبى تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان، وعدة أسارى، فأمر العزيز بإطلاق الأسرى، وقدم هديته - وهى: أحمال مخزومة، ومائتا فرس، وخمسون بختيا، ومائة بغل، ومائة ناقة، فخلع عليه، وأركب على فرس، وقيد بين يديه خمسة أفراس، ومائة قطعة من الثياب، وعشرون ألف دينار.

وكان من خبر الفضل بن صالح أن العزيز لما سار من الرملة بأفتكين إلى مصر جعل بلد فلسطين لمفرج بن دغفل بن الجراح الطائى، فأنفذ إلى دمشق واليا من المغرب، يقال له حميدان بن جواس العقيلى فى نحو مائتى رجل، وقد غلب عليها قسام التراب السقاط عندما وردت عليه كتب العزيز عند مسيره إلى محاربة أفتكين [.....][3] من ورائه فأظهر قسام الكتب وقرأها فى الجامع، ووعد الرعية بالإحسان، وبترك الخراج

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) برقة: مدينة كبيرة قديمة بين الإسكندرية وإفريقية بينها وبين البحر ستة أميال وهى مرج أفيح وتربة حمراء افتتحها عمرو بن العاص رضى الله عنه سنة إحدى وعشرين، وفيها آثار للأول كثيرة، ومن حمرة تربتها تحمر ثياب ساكنيها والمتصرفين فيها، وعلى ستة أميال منها جبل كثير الخصب والفواكه والمياه السائحة، وتصلح السائمة فى نواحيها، وأكثر ذبائح أهل مصر والإسكندرية من أغنامها لعظم خلقها وكثرة شحمها ولذة لحمها وقد تقدم ذكرها فى ذكر أنطابلس. انظر: الروض المعطار ٩١، والاستبصار ١٤٣، والإدريسى ٣١/٩٨، والبكرى ٤، معجم البلدان (برقة).

(٣) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

Marfat.com

لهم إن منعوا أفتكين من دخول البلد فقصدت يد الرياشى نائب أفتكين عنه، لقوة قسام، وكثرة أصحابه، ودالتهم بأنهم قاتلوا جوهرا القائد ومنعوه من البلد، فأخذ الخفارة من القرى وأنفق سوق الرياشى، فتمكن وأمن، وكثر الطامع فى البلد، فولى أفتكين [.....][1] رجلا يقال له «تكين» من الأتراك، فلم تنبسط يده لكثرة من غلب على دمشق من أهل الشر، فلما نزل أخو بختيار دمشق قوى تكين، وأراد أن يقهر قساما، فأوقع بطائفة من أصحابه بالغوطة، ثم اصطلحا.

وكان من مجىء القرامطة ما ذكر، فنزلوا على دمشق، فمنعهم قسام من البلد، وعمل على قتالهم، فصار له بذلك يد عند العزيز، فلما رحلوا إلى بلادهم، وتمكن ابن الجراح من فلسطين إلى طبرية، واستولت فزارة ومرة على حوران والبثنية وخربتها حتى بطل الزرع منها، وجلا أهلها، فهلكوا من الضر، وصار كثير منهم إلى حمص وحماة وشيزر وأعمال حلب ، فعمرت بهم البلاد.

ثم إن قساما وقع بينه وبين حميدان العقيلى، فثار به ونهبه، ففر منه، وقوى قسام، وكثرت رجاله، وزاد ماله، فولى دمشق بعد حميدان أبو محمود فى نفر يسير، فكان تحت يد قسام، لا أمر له ولا نهى.

واتفق فى هذه السنة أن ولى دمشق ظالم بن موهوب العقيلى، والقرمطى، ووشاح، وحميدان، وأبو محمود.

وكانت واقعة فناخسرو مع بختيار بالعراق، فكان ممن انهزم أبو تغلب فضل الله بن ناصر الدولة بن حمدان، فسارت خلفه عساكر فناخسرو، وكتب فيها إلى الأكراد والروم أن لا يجيره أحد، ففر أبو تغلب إلى آمد، وسار منها إلى الرحبة، وكتب إلى العزيز أن يقيم فى عمله، وسار فى البر إلى حوران، فنزل على دمشق، وكتب العزيز إلى قسام يمنعه من البلد، فمنعه، ثم أذن أن يتسوق أصحابه من المدينة.

وطمع أبو تغلب فى ولاية دمشق من قبل العزيز، فخافه قسام، وأشير على العزيز فى مصر أن لا يمكن ابن حمدان من دمشق، فإنه إن مكن عظم شره، فكوتب بكل ما يحب، وكتب إلى قسام بألا يمكنه.

هذا وأبو تغلب بن حمدان نازل بظاهر المزة، فأقام شهورا، وثقل على قسام مقامه، وخاف أن يلى البلد، فأكمن لأصحابه فى البلد، وأخذ منهم سبعين، وقتل جماعة، وسلب الباقى، فلحقوا بأبى تغلب، فلم يطق فعل شىء، وكتب إلى العزيز، وكتب قسام أيضا: «بأن أبا تغلب قد حاصر البلد، ومد يده إلى الغوطة، وقتل رجالى، ونحن

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

Marfat.com

على الحرب معه»، فخرج الفضل بن صالح - كما تقدم - ونزل الرملة، وبعث إلى ابن الجراح من مصر بسجل فيه ولايته على الرملة.

وكان أبو تغلب قد سار عن دمشق، وسار الفضل، فنزل طبرية، واجتمع به أبو تغلب بمكاتبة، وقرر معه أن يكون على الرملة، وقدم الفضل دمشق.

فجبى الخراج، وزاد فى العطاء، واستكثر من الرجال، وخرج عنها، فأخذ طريق الساحل، وكان أبو تغلب قد استولى على أهراء [1] كانت بحوران والبثنية، فاجتمعت إليه العرب من بنى عقيل، فيهم شبل بن معروف العقيلى، فسار بهم إلى الرملة فخرج منها ابن الجراح، وأخذ فى جمع العرب، وهو واثق بأن الفضل معه على أبى تغلب، وفى ذهن أبى تغلب أن الفضل معه على ابن الجراح، ونزل الفضل عسقلان، فواقع ابن الجراح بجموعه أبا تغلب، وأدركه الفضل، فاجتمع العسكران، وفر من كان مع أبى تغلب، فلحقوا بالفضل، ووقع القتال، فانهزم أبو تغلب، وأدركه القوم، فأخذ وحمل إلى ابن الجراح، فأركبه جملا، وشهر بالرملة، ونزع جميع ما عليه حتى بقى بثوب رقيق، وحبسه، فطلب شيئا يتوسد عليه، فقال ابن الجراح: «اجمعوا تحته شوكا يتوسده». فحمل إليه، وقالوا له: «توسد بهذا».

فأغلظ فى القول، وشتم ابن الجراح، فبلغه ذلك، فغضب، وأمر بقتله، فقتل، وأحرق ليومين بقيا من صفر سنه تسع وستين، وبعث برأسه إلى العزيز مع الفضل، وخلت الديار لابن الجراح، فأتت طيئ عليها فتعطلت الزروع من القرى.

وكان فناخسرو البويهى قد عزم على إرسال العساكر إلى مصر، فخالف عليه أخ له، واستنجد بصاحب خراسان، فأمده عساكر عظيمة، فسير إليه فناخسرو العساكر من بغداد، فشغل بذلك عن مصر.

وفيها: ولد للوزير يعقوب[2] بن كلس ولد ذكر فأرسل إليه العزيز مهدا من صندل مرصعًا وثلاثمائة ثوب، وعشرة آلاف دينار عزيزية، وخمسة عشر فرسا بسروجها ولجمها، منها اثنان ذهب، وطيب كثير، فكان مقدار ذلك مائة ألف دينار.

وعقد العزيز على امرأة فأصدقها مائتى ألف دينار، وأعطى الذى كتب الكتاب ألف دينار، وخلع على القاضى والشهود، وحملهم على البغال، فطافوا البلد بالطبول والبوقات.

---

(١) الأهراء : بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان. انظر: إغاثة الأمة ٧٨ حاشية.

(٢) يعقوب بن كلس: انظر: الأعلام ٢٠٢، ٢٠٣، وابن الأثير ٢٧/٩، مرآة الجنان ٢٥٠/٢.

Marfat.com

وبعث متولى برقة هدية، وهى: أربعون فرسا بتجافيف[1]، وأربعون بغلا بسروجها ولجمها، وستة عشر حملا من المال، ومائة بغلة، وأربعمائة جمل.

وجهز الحاج وكسوة الكعبة، وصلات الأشراف، والطيب والشمع والزيت فبلغ مصروف ذلك مائة ألف دينار.

وكثر حلف الناس برأس أمير المؤمنين، فنودى: «برئت الذمة من أحد قال هذا، وحلت به العقوبة، فلا يحلفن إلا بالله وحده». فانتهى الناس.

وفيها: قدم كَتّابُ ومغنين ابنا زيرى بن مناد إلى القاهرة فارين من سجن أخيهما الأمير أبى الفتوح يوسف بن زيرى، فأكرمهما العزيز، وخلع عليهما، ووصلهما.

وفيها: أخرج العزيز باديس بن زيرى من القاهرة فى خيل كثيرة إلى مكة مع الحاج، فلما وصل إلى مكة أتى الطرَّارون فقالوا: «نتقبل هذا الموسم بخمسين ألف درهم».

فقال لهم: «اجمعوا أصحابكم حتى أعقد هذا على جميعهم».

فلما اجتمعوا أمر بقطع أيديهم، وكانوا نيفا وثلاثين رجلا، فقطعوا أجمعين.

وأما الشام فإن العزيز بعث سلمان بن جعفر بن فلاح فى أربعة آلاف، فنزل الرملة - وبها ابن الجراح - فتباعد، وقد استوحش كل منهما من صاحبه، فأقام أياما، ورحل إلى دمشق، فوجد قساما قد غلب عليها، فنزل بظاهر البلد، وقد ثقل على قسام، وأراد سلمان يأمر وينهى فى البلد فلم يقدر على ذلك، وطال مقامه فى غير شىء، وقل المال عنده، وأراد إقامة الحرمة فأمر قساما ألا يحمل أحد السلاح، فأبوا عليه، وبعث إلى الغوطة ينهاهم عن حمل السلاح: «وألا يعارضوا السلطان فى بلده، ومن وجدناه بعد هذا يحمل السلاح ويأخذ الخفارة ضربنا عنقه».

فقال لهم قسام: «لا نفكر فيه، كونوا على ما أنتم عليه»، وطاف العسكر الغوطة، فوجدوا قوما يحملون السلاح، ويأخذون الخفارة، فقطعوا رءوسهم، فثار قسام ومن معه إلى الجامع، وثار الغوغاء، وأخرج إلى سلمان قوما فقاتلوه، وأقام بالجامع ومعه شيوخ البلد، وكتب محضرا أشهد فيه على نفسه أنه متى جاء عسكر من قبل فناخسرو، أغلق البلد وقاتلهم، وكتب بما جرى، وسير ذلك إلى العزيز، فبعث إلى سلمان أن يرحل عن دمشق، فرحل بعدما أقام شهورا.

وقدم أبو محمود من طبرية بعد مسير ابن فلاح فى نفر، وخرج الفضل بن صالح من

---

(١) التجفاف - والجمع تجافيف - ما حلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح: انظر: لسان العرب.

Marfat.com

عند العزيز ليحتال على ابن الجراح وعلى قسام، وأظهر أنه يريد حمص وحلب(١)، ليأخذ تلك البلاد، فنزل على دمشق، وفطن ابن الجراح لما يريده، فأخذ حذره، وسار عن الفضل، فرحل فى طلبه، ومعه شبل بن معروف، فكانت بينه وبين ابن الجراح وقعة فى صفر سنة سبعين، فأوقع ببنى سنبس، فقتل شبل بن معروف، طعنه بعض بنى سنبس، فمات.

وبعث ابن الجراح إلى العزيز يتلطف به، ويسأله العفو، فأرسل إلى الفضل يأمره بالكف عن ابن الجراح، وألا يعرض له، فوافاه ذلك وهو يجهز العساكر خلف ابن الجراح فكف عن قتاله، وعاد إلى مصر.

ورجع ابن الجراح إلى بلاد فلسطين على ما كان، فأهلك العمل حتى كان الإنسان يدخل الرملة لطلب شىء يأكله فلا يجده وهلك الفلاحون وغيرهم من الضر، ومات أكثرهم.

هذا ودمشق تمتار من حمص، وكان عليها بكجور من قبل أبى المعالى شريف بن سيف الدولة بن حمدان، وقد عمر حمص بعد خرابها من الروم لما دخلوها فى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة.

واتفق خراب دمشق كما تقدم، فرحل أهل القوافل من حمص إلى دمشق، ودمشق قد طمع فى عملها العرب حتى كانت مواشيهم تدخل الغوطة، وأبو محمود إبرهيم بن جعفر واليا عليها تحت مذلة قسام، فهلك فى صفر سنة سبعين، فكاتب بكجور العزيز، فوعده بولاية دمشق، فورد الخبر بموت فناخسرو، فأمن العزيز مما كان يخاف، وجهز عسكرا عليه رشيق المصطنع.

وكان بشارة الخادم الإخشيدى قد فسد أمره مع أبى المعالى بحلب، ففر منه فى مائة رجل إلى مصر، فأكرمه العزيز، وولاه طبرية، فاستمال رجالا من أهل حلب، وضبط البلد وعمره فقوى أمره، وابن الجراح بفلسطين يخرب ويأخذ الأموال.

وقدم أيضا على العزيز رخا الصقلى فى ثلاثمائة غلام من الحمدانية، فولاه عكا، وقدم رخا فى عدة منهم، فولاه أيضا قيسارية(٢).

---

(١) حلب: مدينة بالشام، بينها وبين قنسرين اثنا عشر ميلاً، وسميت بحلب رجل من العمالقة، وهى مدينة عظيمة مسورة بحجارة بيض، ونهر قويق يجرى على بابها، وفى جانبها قلعة منيعة بها مقام أميرها، ولها سبعة أبواب: منها باب الجنان، وباب أربعين وباب أنطاكية، وباب قنسرين، وباب اليهود، وباب الفراديس، والباب الشرقى. انظر: الروض المعطار ١٩٦، ١٩٧، معجم البلدان (حلب) وصبح الأعشى ٤/١١٦.

(٢) قيسارية: مدينة بالشام على ساحل البحر كبيرة عظيمة لها ربع عامر وحصن منيع، بينها وبين يافا ثلاثون ميلاً، وكانت من أمنع مدن فلسطين، افتتحها معاوية فى خلافة عمر بن الخطاب-

فلما كان فى سنة اثنتين وسبعين: خرج عسكر من مصر إلى الشام عليه بلتكين التركى أحد أصحاب أفتكين ليكون على دمشق بدل رشيق، وكوتب بشارة بمعاونة العسكر على حرب ابن الجراح، ونزل العسكر الرملة، وسار بشارة من طبرية، واجتمعت العرب من قيس إليهم، فكانت الحرب بينهم وبين ابن الجراح، فانهزم، وقتل كثير من أصحابه، وصار إلى أنطاكية مستجيرا بصاحبها.

وكان الروم قد خرجوا من القسطنطينية فى عسكر عظيم يريدون أرض الشام، فخاف ابن الجراح، فكاتب بكجور، وسار بلتكين فنزل على دمشق فى ذى الحجة، فجمع قسام الرجال من الغوطة وغيرها، ورم شعث السور وضبط الأبواب بالرجال، ونصب [.....][1].

وكان مع قسام فى البلد منشا اليهودى على عطاء العسكر وتدبيره، وجيش بن الصمصامة شبه وال فى طائفة من المغاربة، قد ولى بعد خاله أبى محمود، فخرج إلى بلتكين بمن معه، وقد صار معه أيضا بشارة بعسكره، فبعث إلى قسام أن يسلم البلد، ويكون آمنا هو ومن معه، فأبى.

فلما كان التاسع عشر من المحرم سنة ثلاث وسبعين: ابتدأ القتال مع قسام، ووقع النفير فى البلد، فلم يخرج مع قسام إلا حزبه من العيارين، وقوم من أهل القرى كانوا يأخذون الخفارة، ويطلبون الباطل، وقد كره جمهور الناس قساما وأصحابه، فلما تقاصر عنه أهل البلد انكسر قلبه، وأصحابه ثابتون على القتال، وقتلوا جماعة من الجند، وكثر فيهم الجراح من نشاب أصحاب بلتكين، وتبين الانكسار على قسام لتقصير الرعية عن معاونته ومقتهم إياه، وقوة أمر السلطان، وكان قد كثر عليه السلب من أصحابه للمال وقت الحرب، فأمسك عنهم، وشح بماله، فقالوا: «على أى شىء نقتل أنفسنا؟». فتفرقوا عنه إلا وجوه أصحابه وخاصته.

واستمر القتال أياما، فاجتمع الخلق إلى قسام فى أن يخرج إلى بلتكين ويصلحوا الأمر معه، فلان وذل بعد تجبره، وقال: « افعلوا ما شئتم».

وكان العسكر قد قارب أن يأخذ البلد فخرجوا إلى بلتكين وكلموه فى ذلك، فأمر بكف العسكر عن القتال، وأمر قساما وأصحابه فعاد القوم إليه وأخبروه وهو ساكت

=رضى الله عنه، وفى سنة سبعمائة افتتح مسلمة بن عبد الملك مدينة قيسارية عنوة. وتخرج منها فتسير فى رمال مقدار ثمانية فراسخ حتى تنتهى إلى مدينة صور. انظر: الروض المعطار ٤٨٦، ونزهة المشتاق ١١٥، ومعجم البلدان ٤/٤٢١، والمقدسى ١٧٤، واليعقوبى ٣٢٩.

(١) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

Marfat.com

حائر قد تبين الذل فى وجهه، واجتمع أكثر الناس، فصاح من كان قد احترقت داره - وهم كثير - بقسام: «انتقم الله ممن أذلنا وأحرق دورنا، وشتتنا، وتركنا مطرحين على الطرق». فعجب قلبه من سماع صياحهم، وقال: «أسلم البلد».

فولى بلتكين حاجبا يقال له خطلخ، فدخل المدينة فى خيل ورجل، فلم يعرض لقسام ولا لمن معه، فتفرق عن قسام أصحابه، فمنهم من استأمن، ومنهم من هرب، ومنهم من أخذ، واختفى قسام بعد يومين، فأصبح القوم أول صفر وقد علموا باختفائه، فأحاطوا بداره، وأخذوا ما فيها، ونزلوها، وما حولها من دور أصحابه، وبعثوا الخيل فى طلبه فلم يوقف له على خبر، ونودى فى البلد:

«من دل على قسام فله خمسون ألف درهم، ومن دل على أولاده فله عشرون ألف درهم».

وكان له من الأولاد: أحمد، ومحمد ، وبنت. فظفروا بامرأته وابن لها معها، فحبسا.

فلما مضى لقسام جمعة وهو مختف قلق وجاء فى الليل إلى منشا بن الغرار اليهودى، فأوصله إلى بلتكين، فقيده وحمله إلى مصر، فعفا عنه العزيز.

وكان قسام من بطن من العرب يقال لهم «الحارثيون»، من قرى الشام، فنشأ بدمشق وكان يعمل على الدواب فى التراب، ثم إنه صحب رجلا يقال له «ابن الجسطار»، ممن يطلب الباطل ويحمل السلاح، فصار من حزبه، وترقى إلى ما تقدم ذكره.

وكتب بكجور إلى العزيز يسأله فى إرسال جيش ليأخذ به حلب، فأنفذ إليه عسكرا من دمشق، وجمع بنى كلاب فسار بهم إلى حلب وحاصرها، فقدم[1] دمستق الروم إلى أنطاكية، وقصد أن يكبس بكجور، فكتب إليه ابن الجراح يحذره، فارتحل عن حلب، فسار عسكر الروم خلفه، ونزلت حمص، وبعث بأمواله إلى بعلبك، وارتحل إلى جوسية. ودخل ملك الروم إلى حمص فلم يعرض لأحد، ورحل يريد طرابلس، وسار يريد مالا من حمص، فامتنع أهلها، فرجع ونهب، وسبا، وأحرق الجامع وغيره، فاحترق كثير من الناس، وذلك فى تاسع عشر جمادى الأولى، وهى دخلة الروم الثانية حمص.

ويقال إن أبا المعالى بن حمدان لخوفه من بكجور سير إلى برديس ملك الروم أن

(١) الدمستق هو أكبر البطارقة ورئيسهم هو خليفة الملك. انظر: الخوارزمى مفاتيح العلوم ١٢٩.

Marfat.com

يخرب حمص، وفارق أصحاب بلتكين بكجور، وساروا إلى دمشق، فبعث بكجور إلى العزيز يسأله ولاية دمشق، فورد جوابه: «إنا قد ولیناك»، فبعث إلى بعلبك واليا، وإلى بعلبك غلامه وصيف، فأبى عليه بلتكين، لكتاب ورد عليه من الوزير يعقوب بن كلس، فتحير بكجور، وما زال بشارة والى طبرية يتوسط لبكجور فى ولاية دمشق حتى أمسك عنه الوزير، فسار إلى القابون، ثم تسلم البلد بعد أمور.

ورحل بلتكين أول رجب وفى نفسه حقد على الوزير يعقوب بن كلس لمعارضته له فى ولاية دمشق، فعمل على كاتبه ابن أبى العود اليهودى حتى قتله بعض االأحداث الذين كانوا مع قسام فى غيبته عن دمشق ببلاد حوران، فعظم ذلك على الوزير، وأخذ بكجور فى ظلم الناس، وجمع الأموال، ومخالفة ما يأمر به من مصر، وبعث غلامه وصيف فأخذ الرقة فى سنة ست وسبعين، فعصى عليه بها.

وأخذ الوزير فى قتل بكجور فبعث إلى دمشق فهموا به، فلم يتم لهم، وظفر بهم بكجور، وقبض على من أراد ذلك وقتلهم فى شهر رمضان سنة سبع وسبعين، فازداد حنق الوزير، وعلم بكجور بما دبره الوزير، فأخذ يعارضه فى ضياعه، ويهين عماله، وتحزق بابن أبى العود الصغير، وكان قد ولى بعد قتل أخيه.

واشتد جور بكجور وكثر قتله وصلبه للناس والبناء عليهم، وكثرت مخالفته لما يرد عليه من العزيز، فخرج إليه منير الخادم من مصر فى سنة ثمان وسبعين بعسكر كبير، وكتب إلى أهل الأعمال بالمسير معه إلى دمشق لحرب ابن الجراح، فنزل الرملة وقد اختلف بكجور مع بشارة والى طبرية، وأنزل ابن الجراح السواد وأطمعه فى ضياع الوزير، وجعله ضد بشارة، وكاشف بالعصيان فجمع منير العرب من قيس وعقيل وفزارة، وسار إلى عمان، فسار إليه منير، وصاروا جميعا إلى عمل دمشق، فجمع بكجور بنى كلاب، وبعث منير سرية إلى ابن الجراح وهو فى طرف عمل دمشق، فأوقعوا بقومه، وغنموهم، فانهزم.

وكتب منير إلى بكجور. «إنا لم نجئ لقتالك، وإنما جئنا لنخرج ابن الجراح من العمل، لأنه أفسد وعصى، فتكون معينا لنا فى هذا الأمر، لنسير إلى حلب وأنطاكية».

فعلم أن هذا خداع، وقد اشتد خوفه وقلقه من أهل البلد لكثرة إساءته لهم، وجوره وتعديه لئلا يثوروا به، فجمع عسكره وبعثهم إلى قتال منير، وأقام بالبلد، فكانت بينهم وقعة انهزموا فيها، فخاف وبعث إلى منير: «أنى أسلم البلد وأرحل عنه»، فأجيب إلى ذلك.

ورحل للنصف من رجب ومعه ابن الجراح يريد الرقة، وتسلم منير دمشق، وسير إلى مصر بذلك، وبثلاثمائة من أصحاب بكجور استأمنوا، فبعث العزيز إلى بكجور على لسان الوزير يقول: «ما أردنا أن تبرح عن البلد، وإنما بعثنا إلى ابن الجراح من يخرجه عن العمل لما أفسد فيه، وما كان لك من الغلات والضياع فهو على رسمه، أفعل فيه ما أحببت، فما لنا فيه من حاجة».

فأقام بكجور على ما كان له بدمشق من الضياع والأهراء من يتولى أمرها، وبقى بالرقة يقيم الدعوة للعزيز ويراسله، ويراسل كرديا قد غلب على ميافارقين يقال له «باد»، ويكاتب أبا المعالى سعد الدولة، واسمه شريف بن سيف الدولة على بن حمدان بحلب أن يرده إلى حمص ، فولاه حمص، فبعث من يتسلمها، فقلق لذلك الوزير يعقوب ابن كلس، فبعث إلى ناصح الطباخ وهو بعمان أن يسير إلى حمص ويأخذ من بها من أصحاب بكجور، فأسرى إليها وقد حذروا منه، وخرجوا قادمين بأموالهم، فأخذهم وسار إلى دمشق، فبعث بكجور إلى صاحب بغداد فلم ير منه ما يحب، ووقع بينه وبين أبى المعالى.

سنة سبعين وثلاثمائة

فيها: تمكنت حال يعقوب بن كلس مع العزيز، فأذل كتامة وقهرهم، وقدم الأتراك، وعزل القائد جوهر عن الوزارة، وكان العزيز يستشيره فى الباطن.

سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة

فيها: تقدم العزيز إلى بعض من فيه جرأة وشهامة بالتوجه إلى بغداد، ليسرق السبع الفضة الذى على صدر زبزب عضد الدولة فسار إلى بغداد وسرقه، فعجب الناس من ذلك.

سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة

فى يوم الاثنين لثلاث خلت من شوال قبض العزيز بالله على الوزير يعقوب بن كلس وعلى الفضل بن صالح وإخوته، وحمل ما فى دورهم إلى القصر، فكان ما حمل من دار الوزير يعقوب مائة ألف دينار، واعتقل كل واحد بمفرده، فارتجت المدينة، ونهبت الأسواق، وكانت الدواوين تجلس فى دار الوزير، فنقلوا إلى القصر.

وعملت أوراق ما كان للوزير من أنواع البر فبلغت ألف دينار كل شهر، فأمر العزيز بإجرائها على أربابها، ثم أفرج عنهم بعد شهرين، وأعيد موجودهم، وأعيد الوزير إلى وزارته، ورد إليه المائة ألف دينار التى أخذت له، وأعيد اسمه إلى الطراز بعد ما محى.

وفيها كان غلاء عظيم عم بلاد الشام والعراق.

Marfat.com

وفيها مات هَفْتِكين، فاتهم الوزير يعقوب بأنه سمه، فقبض عليه.

ومات القاضى محمد بن الحسن بن أبى الربس.

ومات أبو العباس بن سبك من الإخشيدية، «وأما المغرب فإن العزيز بالله بعث فى سنة ست وسبعين أبا الفهم حسن - الداعى الخراسانى- إلى القيروان[1]، فأكرم إكراما كثيرا، ثم توجه إلى بلاد كتامة، فدعاهم، وعظم عندهم، حتى ضرب السكة، وركب فى عساكر عظيمة.

ثم بعث العزيز فى سنة سبع وسبعين أبا العزم ومحمد بن ميمون الوزان، فلقيا الأمير أبا الفتح منصور بن يوسف بن زيرى، فسبهما وأهانهما لسبب ما فعله أبو الفهم، ووكل بهما، ثم خرج وهما معه فى طلب أبى الفهم، حتى أخذه وقتله شر قتلة، وأخذه العبيد فشرَّحوا لحمه وأكلوه كله، وأمر أبا العزم ورفيقه أن يمضيا إلى مصر، ويخبرا العزيز بما شاهداه، فقدما عليه وقالا: « رأينا شيئًا [.....][2]».

ومن خط ابن الصيرفى: كان رجل من التجار الغرباء ينزل فى قيسارية الإخشيد التى يسكنها البزازون خلف الجامع العتيق، فقتل فى منزله، وأخذ ماله، فأصبح رشيق - غلام ميمون دبة صاحب الشرطة السفلى - فاعتقل جماعة من أولاد التجار ومن كان ساكنا حول قيسارية الإخشيد، فشنع الناس عن رشيق أنه دس على الرجل من قتله وأخذ ماله، ورفع إلى العزيز ذلك، وأنه اعتقل أبرياء مستورين، فوقع على ظهر الرقعة إلى الوزير يعقوب بن يوسف فى ذى الحجة سنة سبع وسبعين وثلاثمائة: «سلم الله الوزير، وأبقى نعمته عليه.

هذه رقعة رفعت إلينا بالأمس، الوزير - سلمه الله - يطلع عليها ويتدبرها، والأمر والله فظيع، يسوء الأولياء، ويسر الأعداء، وبالأمس كنا نضحك من فناخسرو، واليوم ألجمنا بعار منا علينا فى بلد نحن ساكنوه، والأخبار تسير به فى البلدان، وحسبك بقتل الأنفس فى مواضع الأمن والطمأنينة فى وسط عمارة المسلمين وتوخذ الأموال، وقد وكل الأمر إلى رجلين لا يخافان الله - عز وجل - ولا يتقيانه، والدنيا فانية، والآجال متقاربة، وإن أصبح الناس فمن يدرى أنه يمسى [..... الله - عز وجل - ..... هذه الجرائم..... عليه فيها يجرم أجره.... فى ...][3] المتغافل عنه، فوالله لو جرى مثل

---

(١) القيروان: سبق ترجمتها. انظر: الروض المعطار ٤٨٦، ٤٨٧. والإدريسى ١١٠/٨٠، والبكرى ٣٤٧، والمقدسى ٢٢٤. معجم البلدان (القيروان).

(٢) ما بين المعقوفتين طمس فى الأصل.

(٣) بياض بالأصل.

Marfat.com

هذا فى بلد يبعد عنا لوجب الاحتساب لله فيه، فكيف تحت كنفنا وفى بلدنا؟! فليستقص الوزير - سلمه الله - عن هذه القصة، ويوتر الله ويوترنا، ويغسل هذا العار عن الدولة ولا يغمها به.

فوا لله الذى لا إله إلا هو، وحق جدى رسول الله - ﷺ - ما كتبت إلى الوزير - سلمه الله - هذه الرقعة إلا وأنا خائف من نقم الله - جل اسمه - لكثرة تغافلنا وإهمالنا، إلى أن صارت المعاملة فى سفك الدماء وقتل الأنفس، فليس على هذا صبر، ولابد لك من الاستقصاء على هذه القصة، فأوثق الناس إلى أن تنكشف، فينتقم من فاعلها، وتبرأ إلى الله تعالى منه.

فليعمل الوزير- سلمه الله - فى ذلك عملا يأجره الله عليه ونشكره، ولا يتوانى عنه، ليس ما نغسله عن أنفسنا بانكشاف هذه القصة قليلا عند الله - جل وعلا - وعند عبيده من بعد.

وأنا أقسم على الوزير بحياتى ألا يتوانى عن هذا الأمر، وليسرع بالفراغ منه، وخلاص هؤلاء الرجال المساكين من مد يد من يطلب أموالهم وأنفسهم ظلما وعدوانا، والشرط والولاية قد صارت إرثا، فلينظر الوزير - سلمه الله- أن يولى الشرطتين إنسانين يخافان الله - عز وجل- ويتقيانه، فلا جمع الله ما لهما، ولا ما يجىء منهما بتقلد، فقدم ما أمرناك به فى الوجوه، وأظهره فى الناس لتطيب أنفسهم، وليعلموا أنا لا نغفل عن شىء يبلغنا لله فيه رضى، ولهم فيه صيانة. والله حسبى، وعليه توكلى. والسلام على الوزير ورحمة الله».

قال ابن الصيرفى: «فنسخ أهل مصر كافة هذا التوقيع، وصار الصبيان فى المكاتب يعلمونه كما يعلمون الحمد».

وصرف الوزير [.....][1] ورشيقا عن الشرطتين.

سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة

فى سابع عشر ذى الحجة: حدث بالقاهرة ومصر رعد شديد ورياح عاصفة، فاشتدت الظلمة حتى شنعت، وظهر فى السماء عمود نار، ثم احمرت السماء والأرض حمرة زائدة، وظهرت الشمس متغيرة إلى يوم الثلاثاء ثانى المحرم سنة تسع وسبعين، وظهر كوكب له ذؤابة فأقام اثنين وعشرين يوما.

وفيها: مات أبو الحسين أحمد أخو طغج فى المحرم.

وفى رجب سنة ثمانين: خرج الناس فى لياليه على رسمهم فى الليل، ليالى الجمعة

---

(١) بياض بالأصل.

Marfat.com

وليالى النصف إلى جامع القاهرة عوضا عن القرافة ، فزيد فى الوقيد.

وفى يوم الجمعة عشر شهر رمضان: ركب العزيز إلى جامع القاهرة بالمظلة فخطب وصلى.

وفيه خط أساس الجامع الجديد مما يلى باب الفتوح وبدئ بالبناء فيه، وتحلق الفقهاء الذين يتحلقون بجامع القاهرة فيه، وخطب به العزيز وصلى يوم الجمعة النصف منه، وحمل يانس الصقلى صاحب الشرطة السفلى السماط، وبنيت مصاطب ما بين القصر والمصلى ظاهر باب النصر يكون عليها المؤذنون والفقهاء، حتى يتصل التكبير من المصلى إلى القصر، وتقدم أمر القاضى محمد بن النعمان بإحضار المتفقهة والمؤمنين، وأمرهم بالجلوس يوم العيد عليها، وركب العزيز فصلى وخطب.

وفى ذى القعدة: ورد من دمشق مال الموسم وهو ستون حملا.

وفى النصف منه: سارت قافلة الحاج فى البر بالكسوة للكعبة والطيب والصلات، فجلس العزيز للنظر إليهم، وكانت قافلة عظيمة.

وفيها مات الوزير يعقوب بن كلس يوم الخامس من ذى الحجة، فكفن فى خمسين ثوبا ما بين وشى، ومثقل[1]، وشرب دبيقى مذهب، وجفت كافور، وقارورتين من مسك، وخمسين منا ماء ورد، وصلى عليه العزيز، فكان ما كفن به وحنط به عشرة آلاف دينار.

وحزن عليه العزيز حزنا شديدًا، ولم يأكل ذلك اليوم على مائدة، ولا حضر أحد للخدمة وأقام كذلك ثلاثا، وأقيم العزاء على قبره مدة شهر، وأوفى العزيز عنه دينه، وهو ستة عشر ألف دينار.

وكان إقطاعه فى كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، سوى الرباع. واشتملت تركته على أربعة آلاف ألف دينار، سوى ما سوى لابنته، وهو مائتا ألف دينار.

وفى يوم عرفة: حمل يانس السماط، وصلى العزيز، وخطب يوم النحر، ونحر النوق بيده، ومضى إلى القصر، ونصب له السماط والموائد، وفرق الضحايا على أهل الدولة.

وطمع بكجور فى أخذ حلب، فسار، وجمع له أبو المعالى بن حمدان، وواقعه أول صفر، فانهزم بكجور، فبعث إليه وسيق له، فضرب عنقه ثانى صفر وصلبه، وسار فملك الرقة، وأخذ ما كان فيها، وملك الرحبة وعاد.

وبلغ العزيز أن منير يكاتب صاحب بغداد، فجهز عسكرا عليه منجوتكين فيمن

---

(١) المثقل من الثياب: ما كان منسوجا بالذهب.

اصطنعه من الأتراك، وأعطاه مالا وسلاحا، وولاه الشام، فبرز إلى منية الأصبغ[١] فى صفر سنة إحدى وثمانين، وخلع عليه، وحمل إليه مائة ألف دينار ومائة قطعة من الثياب الملونة، وعشر قباب بأغشية، ومناطق مثقلة، وأهلة وفرش، وخمسين بندا، وعشر منجوقات[٢]، وعشرة أفراس، فأقام بمنية الأصبغ شهرين وسبعة عشر يوما يخرج إليه العزيز فى كل غدوة وعشية، وينفذ إليه فى كل يوم الجوائز والخلع، ورفع من منية الأصبغ فى رابع عشرين جمادى الأولى، وخلع على ابن الجراح وحمل، وسار مع منجوتكين فلم يزل بالقصور إلى ثالث شعبان، فسار وودعه العزيز، وجدَّ فى السير، وكان ما أنفق عليه العزيز ألف ألف دينار ونيف، وقدم قبل مسير ابن أبى العود الصغير، وكان على الخراج بدمشق، وكاشف بالعصيان، فسار العسكر إلى الرملة، ولقيه بشارة والى طبرية، وكتب إلى والى طرابلس نزال، وجمع منير رجاله، واعتد للحرب، وسار إليه، فالتقى مع منير بمرج عذرا، وكانت الحرب، فانهزم منير فى تاسع عشر رمضان، وأخذ فحمل إلى منجوتكين، فشهره على جمل ومعه قرد يصفعه فى مائة من أصحابه، وقائل ينادى: «هذا منير لعنه الله، أصبحت دياره خالية، وكلابه عاوية، ونساؤه صائحة، طاعنته الرماة، ونازلته الحماة، هذا جزاء من نافق على الله عز وجل، وعلى مولانا العزيز بالله».

وأقام منجوتكين فى دمشق ومعه ثلاثة عشر ألفا فساءت سيرتهم فى الناس.

ومات أبو المعالى بن حمدان فى رمضان، فسار منجوتكين يريد أخذ حلب من الحمدانية، ونزل عليها وبها أبو الفضل بن أبى المعالى، فقاتله أشد قتال، وأقام نحو الشهرين، ثم عاد إلى دمشق، وترك معضاد على حمص.

وفى سنة ثمانين وثلاثمائة

طمع باد صاحب ديار بكر فى أبى طاهر إبراهيم وأبى عبد الله الحسين ابنى ناصرالدولة بن حمدان، وقاتلهما، فقتل باذ، فسار ابن أخته أبو على بن مروان إلى حصن كيفا[٣]، وبه امرأة خاله باد وأهله، فخدعها حتى صعد إليها، وملك الحصن

---

(١) منية الأصبغ: فى شرقى مصر وهى تنسب إلى الأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان أخى عمر بن عبد العزيز بن مروان. معجم البلدان (منية الأصبغ).

(٢) المنجوقات: نوع من الأعلام والبنود ومفردها منجوق.

(٣) حِصْنُ كَيْفا: ويقال كَيْبا، وأظنّها أرمنية: وهى بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر، وهى كانت ذات جانبَيْن، وعلى دجلتها قنطرة لم أر فى البلاد التى رأيتها أعظم منها، وهى طاق واحد يكتنفه طاقان صغيران، وهى لصاحب آمد من ولد-

Marfat.com

وغيره من بلاد خاله، وجرت بينه وبين ابنى ناصر الدولة عدة حروب، وقدم القاهرة على العزيز بالله، فقلده تلك النواحى، وعاد إليها حتى ثار به عبد البر شيخ آمد، وقتله عند خروجه بالسكاكين شخص يقال له ابن دمنة، واستولى عبد البر على ما بيده، وزوج ابن دمنة بابنته، فوثب ابن دمنة على عبد البر وقتله، وملك آمد.

وكان ممهد الدولة أخو أبى على بن مروان لما قتل أخوه أبو على سار إلى ميافارقين[1] وملكها فى عدة من بلاد أخيه، فثار عليه سروة أحد أكابر أصحابه وقتله، وقتل غالب بنى مروان، وذلك فى سنة اثنتين وأربعمائة.

ودخلت سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة

فورد سابق الحاج أول محرم، فأخبر بتمام الحج، وإقامة الدعوة للعزيز، فخلع عليه، وطيف به المدينة.

ووصل مفرج بن دغفل بن الجراح، فخلع عليه.

وأمر العزيز بإزالة المنكرات، وهدم مواضعها، فكسر لرجل واحد خمسون ألف جرة وردت من الصعيد.

وولد لأبى القاسم على بن القائد الفضل بن صالح ولد، فبعث إليه العزيز ثلاثين ثوبا فاخرة، وعشرة أردية، وعشر عمائم، وثوبا مثقلا، ومنديلا طوله مائة ذراع، ومنديلا دونه، وخمسمائة دينار، وحملت إليه السيدة العزيزية مائة ثوب صحاحا من كل فن، وثلاثمائة دينار، ومهدين، أحدهما أبنوس محلى بذهب، والآخر صندل محلى بفضة مخرقة، ولهما أغشية ومخاد وثياب وفرش مثقلة. وركب العزيز لفتح الخليج.

-داود ابن سُقمان بن أرْتق. انظر: معجم البلدان (حصن كيفا).

(١) ميّافارِقين: بفتح أوله، وتشديد ثانيه ثم فاء، وبعد الألف راء، وقاف مكسورة، وياء، ونون.

ميّافارقين: أشهر مدينة بديار بكر، قالوا: سميت بميّابِنْتِ لأنها أول من بناها، وفارقين هو الخلاف بالفارسية يقال له بارحين، لأنها كانت أحسنت خندقها فسميت بذلك،وقيل: ما بُنى منها بالحجارة فهو بناء أنوشروان بن قباذ وما بُنى بالآجرّ فهو بناء أبرويز. والذى يُعتمد عليه أنها من أبنية الروم لأنها فى بلادهم.

وفى الروض المعطار: ميافارقين: بلد معروف من أرض أرمينية، بين حدود الجزيرة وحدود أرمينية، وبعض الناس يعدها من أرمينية، وبعضهم يعدها من بلاد الجزيرة، وهو فى شرقى دجلة على مرحلتين منها، والمعارف المصنوعة بميافارقين لا نظير لها ولا يعدلها مثلها صنعة. وبينها وبين آمد خمسة فراسخ، وهى منيعة مسورة حصينة وليست بالكبيرة. انظر: الروض المعطار ٥٦٧، ومعجم البلدان (ميافارقين)، ونزهة المشتاق ٢٦٧، والمقدسى ١٤٠، وابن الوردى ٢٨.

Marfat.com

وفى جمادى الآخرة: زفت أخت كاتب السيدة العزيزية إلى زوجها بلتكين التركى، ومعها جهاز بمائة ألف دينار، سوى صناديق محملة على ثلاثين بغلا، وعمل له صنيع ذبح فيه عشرون ألف حيوان، ما بين كبش وخروف وجدى وأوزة ودجاجة وفروج ونزلت إليه فى عشرين قبة، وخلع عليه وحمل، وأقامت عنده خمسة أشهر وأحد عشر يوما، ومات.

وفى رجب: كان عيد الصليب، فمنع العزيز من الخروج إلى بنى وائل، وضبط الطرقات والدروب، فإنه كان يظهر فيه من المنكرات والفسوق ما يتجاوز الوصف.

وبعث العزيز إلى منجوتكين إنعاما بمائة ألف دينار، وكان المهرجان، فسير إليه أيضا هدايا، وأهدى خواص الدولة إلى العزيز فى المهرجان.

وفى ليلة النصف من شعبان: كان الاجتماع بجامع القاهرة.

وفى رمضان: صلى العزيز الجمعة وخطب بجامعه، وعليه طيلسان وبيده القضيب، وفى رجله الحذاء، وصلى أيضا بجامع القاهرة وخطب.

واعتل منصور بن العزيز، فتصدق العزيز على الفقراء بعشرة آلاف دينار، وحمل السماط للعيد على العادة. وصلى العزيز صلاة عيد الفطر، وخطب على رسمه.

وأهدت إليه امرأة من البلدة سبعا قد ربته، فكانت ترضعه ولا يصرعها، وهو فى قدر الكبش الكبير.

وسارت قافلة الحاج فى رابع عشر ذى القعدة بكسوة الكعبة والصلات.

واعتل القائد[1] جوهر، فركب العزيز إليه، وبعث له خمسة آلاف دينار، ومزينة بمثقل، وبعث إليه منصور بن العزيز خمسة آلاف دينار؛ وتوفى لسبع بقين من ذى القعدة، فكفن فى سبعين ثوبا ما بين مثقل ووشى مذهب، وصلى عليه العزيز؛ وخلع على ابنه الحسين، وجعله فى رتبة أبيه، ولقبه القائد ابن القائد ، ولم يعرض لشىء مما تركه.

ومن بديع توقيعات القائد جوهر ما حكاه أبو حيان التوحيدى فى كتاب « بصائر القدماء» قال: «كتب جوهر عبد الفاطمى بمصر موقعا فى قصة رفعها أهلها إليه: سوء الاحترام، أوقع بكم حلول الانتقام، وكفر الإنعام، أخرجكم من حفظ الذمام، فاللازم

---

(١) جوهر بن عبد الله الرومى، أبو الحسين: القائد، بانى مدينة القاهرة والجامع الأزهر. سبق الترجمة له: انظر: وفيات الأعيان ١/١١٨، والنجوم الزاهرة ٤/٢٨، وابن عساكر ٣/٦/٤، وخطط مبارك ٢/٤٥، ومعجم البلدان ٧/١٩، والأعلام ٢/١٤٨.

فيكم ترك الإنجاب واللازم لكم ملازمة الاجتناب، لأنكم بدأتم فأسأتم، وعدتم فتعديتم، فابتداؤكم ملوم، وعودكم مذموم، وليس بينهما فرجة تقتضى إلا التبرم بكم، والإعراض عنكم، ليرى أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - رأيه فيكم».

وحملت أسمطة عيد النحر على العادة، وصلى العزيز بالناس صلاة العيد، وخطب، ثم نحر بالقصر ثلاثة أيام، وفرق الضحايا.

وفى غد يوم النحر: وصل منير الخادم من دمشق، فشهر على جمل بطرطور طويل، فخرجت الكافة للنظر إليه، ومعه سبعمائة رأس على رماح فطيف به، ثم خلع عليه وعفى عنه، وعمل عيد الغدير على رسمه.

وضرب رجل وطيف به المدينة، من أجل أنه وجد عنده موطأ مالك - رضى الله عنه -.

وفى تاسع عشره: جلس على بن عمر العداس بالقصر، فأمر ونهى، ونظر فى الأموال، ورتب العمال، وتقدم أن لا يطلق لأحد شىء إلا بتوقيعه، ولا ينفذ إلا ما قدره وأمر به ألا يرتفق ولا يرتزق ولا تقبل هدية ولا يضيع دينار ولا درهم.

وفيها كان بدمشق زلزلة عظيمة سقط منها ألف دار، وهلك خلق كثير، وخسف بقرية من قرى بعلبك، وخرج الناس إلى الصحراء؛ وكان ابتداؤها فى ليلة السبت سابع عشر المحرم، وخرج الناس إلى الصحراء، ولم تزل الزلازل تتابع إلى يوم الجمعة سابع عشر صفر بلاء.

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة

فورد سابق الحاج بتمام الحج، وإقامة الدعوة للعزيز بالموصل واليمن، وضربت السكة باسمه فى هذه البلاد.

وقدم رسول القرامطة بأنهم فى دعوة العزيز ونصرته.

وفى صفر: سير إلى منجوتكين خمسون حملا من المال، وأربعون حملا من ثياب مخزومة، وخزانة سلاح، وخمسمائة فارس. وقدمت قافلة الحجاج فى سابع عشره.

وجرى فى الأسعار ما يعجب منه، وهو أن اللحم أبيع فى أول ربيع الأول رطل ونصف بدرهم، ثم أبيع فى سادسه عشر أواقى بدرهم، ثم أبيع أربعة أرطال بدرهم، ولحم البقر ستة أرطال بدرهم، والخبز السميذ اثنا عشر رطلا بدرهم، وما دونه سبعة عشر رطلا بدرهم، والدراهم كل خمسة عشر درهما ونصف بدينار، وبلغت القطع

الدراهم سبعة وسبعين درهما بدينار، ثم وصلت كل مائة درهم منها بدينار، واضطربت الأسعار والصرف، فضربت دراهم جدد، وبيعت القطع المسبك كل خمسة دراهم منها بدرهم جديد، وكان على الدرهم الجديد: «الواحد الله الغفور»: وفى الوجه الآخر: «الإمام أبو المنصور».

وفى ربيع الاخر: ورد الخبر بفتح منجوتكين حمص وحماة وشيزر(١)، وأنه محاصر لحلب، فجعل الطائر الذى قدم بالخبر فى قفص عليه ثوب ديباج وطيف به القاهرة ومصر.

وسعى بعض النصارى بالكتاب إلى العزيز فانكف عليه وهدد، فقيل إنه جائع، فرتب له فى كل شهر عشرون دينارا، ونهى عن العود لمثل ذلك، فخاف السعاة وانكفوا.

وخَلَعَ القاضى محمدُ بنُ النعمان على مالك بن سعيد الفارقى، وقلده قضاء القاهرة، فركب بالخِلَع وشق الشارع إلى القاهرة.

وفى جمادى الأولى: ورد الخبر على جناح الطائر بأن سعد الدولة شريف (٢) بن سيف الدولة على بن حَمْدان بذل لمنجوتكين ألف ألف درهم، وألف ثوب ديباج، ومائة فرس مُسْرَجة، ليرحل عنه، فامتنع، وقدم الروم فواقعهم منجوتكين، وقد استخلف على قتال حلب عسكرا، وكان منجوتكين فى خمسة وثلاثين ألفا، والروم فى سبعين ألفا، وانهزم الرومُ عند جسر الجديد، وأُخذ سوادُهم، وقُتل منهم وأُسر كثير، فقرأ العزيز الكتاب بنفسه على الناس، ونزل القاضى محمد بن النعمان(٣) فقرأه على

---

(١) شيزر: مدينة بالشام من أعمال حمص، وإياها عنى امرؤ القيس بقوله:

تقطع أسباب اللبانة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا

انظر: الروض المعطار ٣٥٢. ومعجم البلدان (شيزر).

(٢) شريف بن على بن عبد الله بن حمدان، أبو المعالى، سعد الدولة الحمدانى،ابن سيف الدولة: صاحب حلب وحمص وما بينهما. كان فى ميافارقين لما مات أبوه بحلب، فقصدها وجلس على سرير أبيه سنه ٣٥٦ هـ وقامت وحشة بينه وبين خاله أبى فراس فقتل أبو فراس سنة ٣٥٧هـ انظر: زبدة الحلب ١/١٥٥ - ١٨١، والنجوم الزاهرة ٤/٣٠١، والأعلام ٣/١٦٢- ١٦٣.

(٣) محمد بن النعمان بن محمد القيروانى الإفريقى، أبو عبد الله، المعروف بابن حيون: قاضى مصر، وأحد كبار العلماء، من أنصار مذهب الفاطميين، له اطلاع على الأدب والتاريخ. ولد ونشأ فى القيروان، وقدم القاهرة فولى قضاءها سنة ٣٧٤هـ وخلع عليه وقلد سيفا. وارتفعت رتبته عند العزيز الفاطمى حتى أصعده إلى المنبر يوم عيد الفطر سنة ٣٨٥ هـ ولما توفى العزيز وخلفه ابنه الحاكم أقر ابن حيون على القضاء وبسط يده. وركب إلى داره يوم وفاته فصلى عليه ووقف على دفنه. انظر: الولاة والقضاة ٥٩، والإشارة إلى من نال الوزارة ٢٦، وابن خلكان-

الكافة فوق المنبر بالجامع العتيق، وقال فى كلامه: «فاحمدوا الله أيها الناس، فإن الله تعالى قد صانكم وصان أموالكم بمولانا وسيدنا الإمام العزيز بالله - عليه السلام - فما بالعراق تاجر معه عشرة دنانير أو أكثر إلا وتؤخذ منه».

وسقط الطائر بعده بأن منجوتكين غنم غنيمة عظيمة من الأموال والرجال والدواب، وأنه ظفر بعشرة آلاف أسير فأخذهم، وأنهم قاتلوا معه وهو محاصر للروم فى أنطاكية، فقرأ القاضى الكتاب على المنبر، وتصدق العزيز بصدقات كثيرة.

وسقط الطائر بوصول منجوتكين إلى مَرْعَش وعاد إلى حلب، وركب العزيز لفتح الخليج بالمظلة، وعليه قميص ديباج مثقل، وتاج مُرَصَّعٌ بالجوهر.

ولأربع عشرة خلت من رجب: كان عيد الصليب، فجرى الناس فى الاجتماع فيه للّهو على ما كانوا عليه. وسقط الطائر بعود منجوتكين عن حلب إلى دمشق ليشتى بها.

ورُدَّت الحِسْبَة إلى حميد بن المفلح، وخُلع عليه، فطاف البلدَ بالطبول والبنود، وضمن ضياعا بمبلغ ثلاثمائة ألف دينار ليقوم بالعلف.

وخطب العزيز فى رمضان فى جامع القاهرة، وصلى ، وركب يوم الفطر فصلى بالناس، وخطب على الرسم.

وسارت قافلة الحاج للنصف من ذى القعدة.

ونودى فى السقائين أن يغطوا روايا الجمال والبغال كى لا يدنسوا ثياب الناس.

وعُمل سِماطُ عيد النحر، وركب العزيز فصلّى بالناس صلاة عيد النحر، وخطب على رسمه، ونحر، وفرق الضحايا. وعُمل عيد الغدير على العادة.

وفيها: سار بكجور من الرقة إلى قتال سعد الدولة أبى المعالى شريف بن سيف الدولة على بن حمدان بحلب، فاقتتلا، وانهزم بكجور، ثم قبض عليه، وحمل إلى سعد الدولة أسيرًا فقتله.

وفيها: كتب العزيز سجلا بولاية العهد بالمغرب لأبى مناد باديس بن منصور بن زيرى بعد أبيه، فسر بذلك أبوه.

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة

فى المحرم: ردت الحسبة إلى الوبرة النصرانى ضمانا مع السواحل، فأمر أبو محمد الحسن بن عمار بالنظر فى الظلامات وحوائج الناس، وتدبير الأموال، ومحاسبة أرباب

=٢/١٦٨، وبتيمة الدهر ١/٣٠٥، والأعلام ٧/١٢٦.

Marfat.com

الدواوين، فجلس لذلك، ثم أعفى منه، وأمر القائد الفضل بن صالح بالجلوس لذلك، فجلس بالقصر ومعه القاضى محمد بن النعمان.

وقدم سابق الحاج فخلع عليه، وطيف به. وخرج العزيز إلى الجيزة(١) لصيد سبع، وعاد وهو بين يديه على بغل.

وظهر بمصر جراد لم يعهد بمثله، فبيع بالأسواق منه شىء يجل عن الوصف، وكان يباع أربعة أرطال بدرهم. ووصلت قافلة الحاج لأربع بقين من صفر.

وعرض على العزيز عمل الخراج ووجوه الأعمال وتقدير ذلك، وابتدئ فيه بمصروف مئونته ومطابخه وموائده فحذفه، ولعن من عمله، وقال: «أشبع أنا وتجوع الناس، أطلقوا أرزاق الناس على الأدوار، فقد كدت أن أعطل المائدة».

وفى أول ربيع الأول: أمر العزيز الكتاب كلهم أن يمتثلوا ما يأمر هو به أبو الفضل جعفر بن الفرات، فركبوا إليه، وأمر ونهى، وتكلم فى الدواوين.

وكانت وقعة فى البحر مع الروم بنواحى إسكندرية، وأسر فيها من الروم سبعون.

وأمر بنصب أزيار الماء على الحوانيت مملوءة ماء؛ ووقود المصابيح على الدور وفى الأسواق وقرئ سجل بألا يؤخذ على الموازين والأرطال حَقٌّ طَبْع، وألا يأخذ أعوانُ المحتسب من أحد شيئا.

ووردت مراكب الروم إلى الإسكندرية، فسار إليها العسكر فى البر، والأسطول فى البحر، فولوا من غير حرب إلى الشام، فسار الأسطول إليهم، وزيد فيه ثمانية عشر مركبا، مشحونة بالسلاح والمقاتلة.

وذكر عند العزيز كتاب العين فى اللغة، فأخرج منه نيفا وثلاثين نسخة من خزائنه، منها واحدة بخط الخليل بن أحمد مؤلفها.

وحُملت إليه نسخة من تاريخ الطبرى اشتراها بمائة دينار، فأمر الخُزَّانَ فأخرجوا من خزائنه عشرين نسخة، منها نسخة بخط محمد بن جرير جامعه.

وذكرت عنده جمهرةُ ابنُ دُرَيْد فأخرج منها مائة نسخة.

---

(١) الجيزة: بليدة فى غربى فسطاط مصر قبالتها. وهى من أفضل كور مصر. انظر: معجم البلدان ٢٧/٢٠٠، وفى الروض المعطار الجيزة: بالزاى، اختطها بمصر عمرو بن العاص رضى الله عنه فى زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه، والجيزة قرية كبيرة جميلة البنيان على نيل مصر. انظر: الروض المعطار ١٨٣، وصبح الأعشى ٣/٣٩٢، وخطط المقريزى ١/٢٠٥.

Marfat.com

وفيها: ركب العزيز لفتح الخليج بزيِّه. وظهر رجل من الرسيين يقال له القاسم بن على يطلب الخلافة بأعمال الحجاز(١).

وفى جمادى: وردت هدية منصور بن يوسف بن زيرى من المغرب، وهى: مائة وخمسون فرسا وخمس عشرة بغلة مسرجة ومائة وثمانون فرسا ذكورا وخمسون حجرة وخمسون بغلة بأجلة وثلاثمائة بغل بأكف، منها مائة بغل تحمل صناديق المال وخمسمائة وخمسة وثلاثون جملا تحمل البر وغيره، [.....](٢) مائة عليها أحمال المال. وكلاب الصيد. وخمسة أفراس بسروجها لولد العزيز، وعشرون فرسا بأجله. وخمسة عشر خادما صقالبة. وجلس العزيزُ عند المصلى وعلى رأسه المظلة، وسارت العساكر بين يديه قبيلة قبيلة، وعُرضت عليه الخيول والرجال على الرسم فى كل سنة.

وحضر الفقهاء وغيرهم فى رجب بجامع القاهرة فى ليالى الجمع، فى ليلة النصف على العادة.

وفى تاسع عشر شعبان: ركب العزيز فوقف على فرسه تحت شراع نصب له، ومرت العساكر بالخيل والجواشن والخوذ، فمروا قائدا قائدا، كل واحد بعسكره فى حجابه وشاكريته وبنوده، وكانوا مائة وستين قائدا، فيهم من عسكره ثلاثة آلاف إلى ألفين، وكان الغرض بهذا العرض أن يرى رسول منصور بن زيرى العساكر.

واستعفى جعفر بن الفرات من النظر فى الأموال، فأعفى وحوسب، وضمن عدة من الكتاب القيام بوجوه الأموال، وألزم ابن الفرات بمال.

وخطب العزيز فى رمضان بجامعه، وصلى بالناس صلاة الجمعة، ومعه ابنه منصور، فجعلت المظلة على الأمير منصور بن العزيز، وصار العزيز بغير مظلة، وصلى أيضا صلاة عيد الفطر، ومعه ابنه على الرسم.

وسارت قافلة الحاج للنصف من ذى القعدة بالكسوة للكعبة والصلات، فخرج حاج كبير، وخرج معهم ثلاثة آلاف وخمسمائة مقاتل، وبلغت النفقة على الكسوة

---

(١) الحِجَاز: بالكسر، وآخره زاى. قال أبو بكر الأنبارى: فى الحجاز وجهان: يجوز أن يكون مأخوذًا من قول العرب حجز الرجلُ بعيرَهُ يحجزُه إذا شدّه شدًّا يقيده به، ويقال للحبل حجاز، ويجوز أن يكون سمى حجازًا لأنه يُحتجز بالجبال، يقال: احتجَزَت المرأة إذا شدّت ثيابها على وسطها واتّزَرَتْ، ومنه قيل حُجْزَة السراويل، وقول العامة حُزّة السراويل خطأ. والحجاز: جبل ممتدّ حالّ بين الغَوْر غَوْر تهامة ونجد فكأنه منع كلّ واحد منهما أن يختلط بالآخر فهو حاجزٌ بينهما. انظر: معجم البلدان (حجاز).

(٢) ما بين المعقوفتين طمس فى الأصل.

Marfat.com

والصلات ثلاثمائة ألف دينار.

ووصل البقط[1] من النوبة على العادة، ومعهم فيل وزرافة.

وفيها: كثر بخس الباعة فى البيع من المكاييل والموازين، فكتب سجل فى الأسواق بالنهى عن ذلك، وخوفوا بأن من وجدت عنده صنجة أو كيل أو ميزان بعد ثلاث وفيها عيب حلت به العقوبة، كائنا من كان من ساكن فى عقار الدواوين الخاصة والأملاك أو فى رباع أحد من خواص الدولة، أو ظهر عليه بأنه بخس الناس أو غش.

وحمل سماط العيد، وخطب العزيز بالمصلى بعد ما صلى صلاة عيد النحر بزيه، وفرق الضحايا ونحر.

وخرج على جعفر بن الفرات خراج ضياعه بالشام مبلغ خمسة وخمسون ألف دينار، فألزم بذلك، وتسلمت ضياعه المذكورة حتى استوفى ذلك منها، فأصابه عنت عظيم، وعمل عيد الغدير على العادة.

وفى هذه السنة: كسفت الشمس بأجمعها فى سلخ جمادى الآخرة، فأظلمت الدنيا وظهرت النجوم حتى لم ير الإنسان كفه، ثم انجلى الكسوف آخر النهار.

وفيها: حمل من تنيس صبى يعرف بحسين بن عمر إلى القاهرة لم يبل قط، فاعتبر حاله بها فكان كذلك، وسقى أدوية مدرة للبول فلم يبل، فأحسن إليه، وأعيد إلى تنيس، وأقام بها مدة حتى مات.

سنة أربع وثمانين وثلاثمائة

فى المحرم: قدم عيسى بن جعفر الحسنى أمير مكة بالقاسم بن على الرسى الثائر بالحجاز، فأكرمهما العزيز، وأحسن إليهما. ووصلت قافلة الحاج لست عشرة خلت من صفر.

ونزل منصور بن مقشر طبيب العزيز لتعهده وبين يديه الجنائب، وعلى الصبى شاشية مرصعة، وبين يديه أسطال فضة، وثلاثون شمعة موكبية، وشمع معنبر، فشق الشارع نهارا إلى الكنيسة.

وفى ربيع الأول: جلس منصور بن العزيز فى المكتب.

وورد صندل عامل برقة بالهدية من المال والخيل والبغال والأحمال المحزومة، والجمال، فخلع عليه وحمل.

---

(١) البقط: اسم للهدنة التى كانت قد عقدت فى سنة ٣١هـ بين مصر ومملكة النوبة المسيحية.

Marfat.com

وفيه: حمل إلى القصر بستان من فضة فيه أنواع الأشجار المثمرة وجميع الأزهار، كل ذلك من فضة.

وفى ربيع الآخر: سار منجوتكين من دمشق فى ثلاثين ألفا لقتال ابن حمدان بحلب، وقد اجتمعت عساكر الروم بأنطاكية، فأقام بفامية(١)، وسير إلى ما حول أنطاكية من القرى فأخربها. ثم رحل عنها لكثرة الحر والذباب إلى جبلة(٢)، فأخذها وما حولها، فنال منها شيئا كثيرا.

وسار إلى حلب، فحاصرها نحوا من شهرين، فعزم الروم على نجدة ابن حمدان بحلب، وقد أتتهم أمدادهم وجموع كثيرة وساروا يريدون حلب، فبرز إليهم منجوتكين، وواقعهم فهزمهم، وقتل منهم نحو خمسة آلاف، ومضى من بقى منهم إلى أنطاكية، وذلك فى شعبان، فلما انقضى أمر الوقعة عاد منجوتكين، فنزل على حلب، وضايق أهلها بالحصار والقتال، حتى أكلوا الميتة من الجوع، وخرج منها خلق كثير إلى منجوتكين، وأقام على حصارها بقية السنة.

وفى جمادى الأولى: وصل غزاة البحر إلى القاهرة بمائة أسير، فزينت القاهرة ومصر أعظم زينة، وركب العزيز وابنه منصور، وشقا الشوارع، ثم ركب فى عشارى(٣)، ومعه العشاريات سائرة إلى المقس، ثم ركب من المقس إلى القصر فكان يوما عظيما لم يُرَ بمصر مثله، وقال فيه الشعراء.

وفى جمادى الآخرة: سار عيسى بن جعفر أمير مكة بالجوائز والخلع ومعه القاسم الثائر.

واشتدت المطالبة على ابن الفرات، وأحيل عليه بمال، فأعنته المحتالون عليه، ولحقه منهم مكروه، وألقوه عن فرسه فكسرت إصبعه، وامتدت أيديهم إليه، فالتجأ إلى دار

---

(١) فَامِيَةُ: بعد الألف ميم ثم ياء مثناة من تحت خفيفة: مدينة كبيرة وكورة من سواحل حمص، وقد يقال لها أفامية، بالهمزة فى أوله، وذكر قوم أن الأصل فى فامية ثانية بالثاء المثلثة والنون، وذاك أنها ثانى مدينة بُنيت فى الأرض بعد الطوفان، قال البلاذُرى: سار أبو عبيدة فى سنة ١٧ بعد افتتاح شيزَر إلى فامية فتلقّاه أهلها بالصلح فصالحهم على الجزية والخراج، وفامية أيضًا: قرية من قرى واسط بناحية فَم الصَّلْح. انظر: معجم البلدان ٤/٢٣٣، ٢٣٤، وفى الروض المعطار فامية: بالعراق، وفامية بالشام بين أنطاكية وحمص. انظر: الروض المعطار ٤٣٣.

(٢) جَبَلَةُ: بالتحريك، مرتجل، اسم لعدة مواضع: منها جبلة، ويقال: شعبُ جبَلَة الموضع الذى كانت فيه الوقعة المشهورة بين بنى عامر وتميم وعبس وذُبْيان وفزارة.
وجبلة أيضًا: قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية. وجبلة أيضًا: قرية لبنى عامر بن عبد القيس بالبحرين. انظر: معجم البلدان (جبلة).

(٣) العشارى: نوع من السفن العربية القديمة. انظر: اللطيف البغدادى، الإفادة والاعتبار ٥٤.

Marfat.com

القائد أبى عبد الله الحسين بن البازيار، فأصلح قضيته.

وجهزت هدية إلى ابن زيرى بالمغرب، وهى: فيل، ومائة فرس مسرجة ملجمة وبغال ونوق، وبختاتى وثلاثون قبة مثقلة وأحمال محزومة، فيها بز وكسوة من عمل تنيس ودمياط وغيره وبلور، وصينى، وغرائب وعَشْرُ خِلَع مذَهَبة بمناديلها وعشرة أفراس من خاص العزيز بمراكب ذهب.

وركب العزيز بابنه لفتح الخليج وأمر ألا تباع دارٌ بما فوق مائتى دينار إلا بعد عرضها على من يلى ديوان الأملاك.

وورد سُبكْتِكين من صقلية، فخُلع عليه، ووردت هدية متولى صقلية، وهى: خيل، وجمال، وصناديق مال.

وصلى العزيز بالناس الجمعة بعد ما خطب بجامع القاهرة وبجامعه، ومعه ابنه فى أيام الجمع من شهر رمضان، وعمل فى آخره سماطا للعيد، وصلى العزيز بالناس صلاة عيد الفطر، وخطب على الرسم.

وتسلم عيسى بن نسطورس سائر الدواوين، ونظر فى جميعها، وأمر ونهى، وخاطب سائر الكتاب عن العزيز، وخاطبه سائر الأولياء وكافة الناس فى مهماتهم وتوقيعاتهم.

وقدم يحيى بن النعمان من تنيس ودمياط والفرما بأسفاط وتخوت وصناديق مال، وخيل وبغال وحمير، وثلاث مظلات وكسوتين للكعبة.

ولاثنتى عشرة خلت من ذى القعدة: عرض العزيز العساكر بظاهر القاهرة، فنصب له مضرب ديباج رومى فيه ألف ثوب بصُفْرِيَّة فضة، وفازة مثقل، وقبة مثقل بالجوهر، وضرب لابنه منصور مَضْرَبَ آخر، وعُرضت العساكر، فكانت مائة عسكر، وأحضرت أسارى الروم، وهم مائتان وخمسون، منهم ثمانى بطارقة، وثمانية عشر من أصحاب ابن حَمْدان وطيف بهم، وخُلع على الحمدانية، فكان يوما عظيما.

وسارت قافلة الحاج لأربع عشرة بقيت منه بالكسوة والصلات.

وصلى العزيز صلاة عيد النحر وخطب بالمصلى على رسمه، ونحر وفرق الضحايا وجرى الرسم فى عيد الغدير على العادة.

سنة خمس وثمانين وثلاثمائة

فى المحرم: ورد سابق الحاج، وأخبر أنه لم يحج سوى أهل مصر واليمن، وحضر

Marfat.com

العزيز لمنجوتكين مائة ألف دينار وعسكرا يتبع بعضه بعضا.

وورد البقط من النوبة(١).

ووصل الحاج فى ثامن صفر.

وجلس فى ربيع الأول: القاضى محمد بن النعمان على كرسى بالقصر لقراءة علوم آل البيت، وحضره الناس، فمات فى الزحام أحد عشر رجلاً.

ووردت من منجوتكين أسرى من الروم والحمدانية، وعدة رءوس، فعفا عن الحمدانية، وطيف بمن عداهم.

وورد من برقة أربعة وأربعون صندوقا على اثنين وعشرين جملا فيها المال.

وبعث مُفَرِّج بن دُغْفُل الجرَّاح برجل من أعمال الشام، زعم أنه السفْيانى، فشهر على جمل وهو يُصفع.

وفى ربيع الآخر: ورد الخبر بوصول الروم إلى أنطاكية، فأخرجت مضاربُ العزيز إلى منية الأصبَغ، وذلك أن منجوتكين لم يزل محاصرا لابن حمدان بحلب من شعبان سنة أربع إلى ربيع الأول من هذه السنة، حتى أشرف على أخذ البلد، وراسل ابن حمدان يرد على ملك الروم بما هو فيه.

وكانت فى هدنة الروم وبنى حمدان أنه إن جاء إلى حلب عدو يدفعه ملك الروم، فخاف بَسيل ملك الروم من العزيز أن يتمكن عساكره من حلب، فيأخذ أنطاكية من الروم، فجمع نحو أربعين ألفا، وسار من قسطنطينية، فكَدَّ أصحابه فى السير، والجنائب والبغال تتقطع، حتى وصل إلى أعزاز فى سبعة عشر يوما، وهى مسافة

---

(١) نُوبَةُ: بضم أوله، وسكون ثانيه، وباء موحدة والنّوب: جماعة النحل ترعى ثم تنوبُ إلى موضعها، فشبّه ذلك بنوبة الناس والرجوع مرة بعد مرة، وقيل: النّوب جمع نائب من النحل، والقطعة من النحل تسمى نوبة، شبهوها بالنوبة من السودان، وهو فى عدة مواضع: النوبة بلاد واسعة عريضة فى جنوبى مصر وهم نصارى أهل شدة فى العيش، أول بلادهم بعد أسوان يُجلبون إلى مصر فيباعون بها، وكان عثمان بن عفان، رضى الله عنه، صالح النوبة على أربعمائة رأس فى السنة، وقد مدحهم النبى ﷺ حيث قال: «من لم يكن له أخ فليتخذ أخًا من النوبة»، وقال: «خير سَبْيكم النوبة»، والنوبة: نصارى يعاقبه لا يطؤون النساء فى الحيض ويغتسلون من الجنابة ويختتنون، ومدينة النوبة: اسمها دُمْقُلة وهى منزل الملك على ساحل النيل، وطول بلادهم مع النيل ثمانون ليلة، ومن دُمقلة إلى أسوان أول عمل مصر مسيرة أربعين ليلة، ومن أسوان إلى الفُسطاط خمس ليال، ومن أسوان إلى أدنى بلاد النوبة خمس ليال. انظر: معجم البلدان (نوبة).

Marfat.com

شهرين لسير الاتصال، وقد تقطع أصحابه حتى بقى فى سبعة عشر ألفا، فـأنفذ إلى ابـن حمدان يعلمه بنزوله أعزاز، وكان قد وكل بالدروب والمضائق، ومنع أن يخرج أحد مـن بلاده حتى يخفى خبر مسيره على منجوتكين، فيـأخذه علـى غفلـة، فلمـا بعـث إلى ابـن حمـدان بأنـه قـد نـزل بنفسـه أعـزاز فـأقيموا الحـروب مـع منجوتكـين مـن الغـد حتـى [.....][1] وهو فى الحرب.

وكانت هذه الرسالة مع رجلين من قبله، فلقيهما رجل من أصحاب منجوتكـين فـى الليل فسألهما: «من أين جئتما؟».

فظناه من الحمدانية، فأخبراه، فقبض عليهما، وأتى بهما إلى منجوتكـين، فـأخبراه أن بسيل ملك الروم على أعزاز، فلما أصبح طرح النـار فـى خزائـن السـلاح، وفـى بيـوت وحوانيت كان قد بناها عسكره، فاحترقت، ورحـل فـى آخـر ربيـع الأول إلى دمشـق، ووقع الصارخ فى الناس بأن منجوتكين قد انهزم عن حلب، وأن عسـكر الـروم يطلبـه، فهرب الناس من المدن والقرى، من دمشـق إلى حلـب، وغلـت الأسـعار، وكـانت أيـام الحصاد، فترك الناس غلالهم ودورهم.

وسار ملك الروم، فنزل إلى حلب، واجتمع بابن حمدان، ثـم سـار عنهـا إلى أفاميـة، وبها طائفة من عسكر منجوتكين، فقاتلهم يوما واحدا، ثم سـار فـنزل علـى طرابلـس، وراسل أهلها، ووعدهم بالإحسـان إن يثبتـوا علـى مـا يكـون بينهـم وبينـه مـن العهـد، فخرج إليه ابن نزال والى البلد ليوافقه على أمر، فاجتمع أهل البلد على أن ينصبـوا أخـاه مكانه، ويمنعوه من الدخول، ولا يسلموا البلد إلى الروم، فلما رجع منعوه من الدخـول، فصار إلى ملك الروم.

وصار ملـك الـروم عـن طرابلـس، فـنزل علـى أنطرسـوس(٢) وهـى خـراب، فعمـر حصنها، وجعل فيه أربعة آلاف، وسار إلى انطاكية، فكثرت فيـه الأعـلال، فسـار بمـن معه إلى القسطنطينية.

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) أَنْطَرسُوس: بلد من سواحل بحر الشام وهى آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية وأول أعمـال حمص. وقال أبو القاسم الدمشقى: من أعمال طرابلس مطلة على البحر فى شـرقى عِرْقَـةَ بينهمـا ثمانية فراسخ ولها بُرْجان حصينان كالقلعتين[1] وقال أحمد بن يحيى بـن جـابر: وفتـح عُبـادة ابـن الصامت فى سنة ١٧ بعد فتح اللاذقية وجَبلة أَنْطَرطُوس وكان حصنًا، ثم جلا عنـه أهلـه، فبَنَـى معاوية أنطرطوس وحصّنها وأقطع المقاتلة بهـا القطـائع، وكذلـك فعل بِمَرقَيـةَ وبلينـاس. انظـر: معجم البلدان (انطرسوس).

Marfat.com

وخرج منجوتكين من دمشق فى شوال، فنزل على أنطرسوس، فأقام يقاتل من فيها نحوا من شهر، ثم عاد إلى دمشق.

وأخذ العزيز لما بلغه مسير الروم إلى بلاد الشام فى التأهب للمسير، وأطلق خمسين ألف دينار لابتياع ما يحتاج إليه، وأخرج للكتامين أربعة آلاف فرس، وأمر أن يشترى لهم ألف فرس أخرى، وأخرج الفازة الكبيرة وهى بعمود واحد طوله أربعة وأربعون ذراعا، وفتح الفلكة التى على رأسه سبعة عشر شبرا، وطول ثيابها خمسون ذراعا، وفى رأسها صفرية فضة زنتها سبعة عشر ألف درهم، ويحمل هذه الفازة سبعون بختيا.

وقرئ سجل فى الأسواق بالنفير فاضطربت البلد. ووصلت هدية من الهند فيها شجرة عود رطب. وظهر بمصر من الوطواط شىء كثير.

واجتمع من الرعية وطوائف الناس بالسلاح للسفر مع العزيز ألوف كثيرة، وخرج جيش بن الصمصامة فى عسكر كبير إلى الشام، وسير لابن الجراح خمسون ألف دينار، ولمنجوتكين مائة ألف وخمسون ألف دينار.

وخرج العزيز بسائر العساكر إلى منية الأصبغ فى عاشر رجب، فأقام شهرا ثم رجع إلى منى جعفر(١)، وقتل هناك الذى زعم أنه السفيانى.

وأحصيت الخيول التى سارت مع العزيز فى اسطبلاته فكانت اثنى عشر ألفا، والجمال المحملة للعزيز ولوجوه خاصته فكانت ثلاثين ألفا، سوى ما هو مع وجوه الدولة، وحملت الخزانة السائرة على عشرين جملا سوى خزائن الوجوه والخاصة، وكان معه من المال خمسة آلاف جمل، على كل جمل صندوقان كبيران مملوءان مالا، وألف وثمانمائة بختية وبختى، على كل واحد صندوقان فى كل منهما مثل ما فى الصندوقين المحمولين على الجمل.

وخرج خلق من التجار ووجوه الرعية مرتين إلى العزيز يسألونه المقام، وألا يخرج من مصر ويسير العساكر، فشكرهم، وقال: «إنما أسير لنصرة الإسلام والذب عن بلدانه، وصيانة أهله».

فقدم رسول ملك الروم يخبر بوصوله إلى بلده، ويعتذر عن مسيره، ويسأل الهدنة، فأجيب إلى الصلح.

وورد كتاب ابن حمدان يسأل فيه العفو وأن يقر على عمله، فأجيب بالعفو عنه، وخلع على رسوله، وحمل.

---

(١) مُنى جَعْفَر: جمع مُنْية: اسم لعدة ضياع فى شمالى الفسطاط. انظر: معجم البلدان (منى جعفر).

ونودى فى رمضان بالقاهرة ومصر: «من كان من أهل السلاح فليخرج ليأخذ الرزق الكثير».

وأنفذت العساكر لحفظ الأطراف.

وسير إلى الإسكندرية(١) والصعيد بالعساكر.

وصلى منصور بن العزيز بالناس صلاة عيد الفطر، وخطب بمنى جعفر على رسم أبيه وزيه، وعليه المظلة والجوهر.

وفى نصف شوال: ماتت أم ولد العزيز وزوجته بمنى جعفر فحملت إلى القصر، وصلى عليها العزيز، وكفنها بما مبلغه عشرة آلاف دينار، وأخذت الغاسلة ما كان تحتها من الفرش وعليها من الثياب، فكان مبلغ ما نالها ستة آلاف دينار، ودفع إلى الفقراء ألفا دينار، وللقراء الذين قرءوا على قبرها ثلاثة آلاف دينار.

ورثاها جماعة من الشعراء فأجيزوا، ففيهم من كانت جائزته خمسمائة دينار

ورجع العزيز إلى مضاربه، وأقامت ابنتها على قبرها شهرا تقيم العزاء، والعزيز يأتيها كل يوم، والناس تطعم كل ليلة أصناف الأطعمة والحلوى، وفرق فى الشعراء ألفى دينار.

وسارت قافلة الحاج بالكسوة والصلات فى سادس عشر ذى القعدة.

وتوفيت أم العزيز، فرجع العزيز، إلى القاهرة، وصلى عليها، وأمر بالصدقة، ورجع

---

(١) الإسكَنْدَرِيَة: قال أهل السير: إنّ الإسكندر بن فيلفوس الرومى قتل كثيرًا من الملوك وقَهَرَهم، وَوَطِىءَ البلدان إلى أقصى الصين وبنى السدّ وفعل الأفاعيل، ومات وعمره اثنتان وثلاثون سنة وسبعة أشهر، لم يسترح فى شىء منها. قال أهل السير: بنى الإسكندر ثلاث عشرة مدينة وسمّاها كلها باسمه ثم تغيرت أساميها بعده، وصار لكل واحدة منها اسم جديد، فمنها الإسكندرية التى بناها فى باورنقوس ومنها الإسكندرية التى بناها تدعى المحصّنة ومنها الإسكندرية التى بناها ببلاد الهند ومنها الإسكندرية التى فى حاليقوس ومنها الإسكندرية التى فى بلاد السّقوياسيس ومنها الإسكندرية التى بأرض بابل ومنها الإسكندرية التى هى ببلاد الصّغد وهى سمرقند، ومنها الإسكندرية التى تدعى مَرْغَبلوس وهى مرو، ومنها الإسكندرية التى فى مجارى الأنهار بالهند ومنها الإسكندرية التى سميت كُوش وهى بلخ، ومنها الإسكندرية العظمى التى ببلاد مصر.
وجميع ما ذكرنا من المُدُن ليس فيها ما يعرف الآن بهذا الاسم إلا الإسكندرية العظمى التى بمصر. انظر: الروض المعطار ٥٤، ٥٥، ومعجم البلدان ١/١٨٢-١٨٩، والاستبصار ٩١ وما بعدها.

Marfat.com

إلى مضاربه.

وصلى العزيز بالناس صلاة عيد النحر وخطب فى مضاربه ونحر.

سنة ست وثمانين وثلاثمائة

فى محرم: ورد سابق الحاج، فخلع عليه بالمخيم، وقدم الحاج لثمان بقين من صفر.

وفى ربيع الأول: جهزت المراكب الحربية، وأشحنت بالمقاتلة.

وفى العشرين منه: رفع العزيز إلى غيفة فنزل بالعقارية بعد أن أقام فى مناخه أربعة أشهر وخمسة وعشرين يوما، فأقام بها ليلة، ورفع إلى بلبيس فنزل بظاهرها.

ونودى فى البلد: «لا يتأخر أحد عن المسير فى الأسطول، فوقعت فى الأسطول نار، فاحترق وقت صلاة الجمعة لست بقين من ربيع الآخر، فأتت على ما فيه من عدة وسلاح، حتى لم يبق منه غير ست مراكب، لا شىء فيها، فاتهم بذلك الروم الأسارى، وكانوا فى دار بجوار الصناعة بالمقس، فنهبتهم العامة، وقتلوا منهم مائة وسبعة أنفس.

وحضر عيسى بن نسطورس ويانس الصقلبى متولى الشرطة إلى الروم، فاعترفوا بأنهم أحرقوا الأسطول، فكان ما ذهب فى النهب نحو تسعين ألف دينار، فنودى برد النهب، وتوعد عليه.

وشرع عيسى بن نسطورس فى إنشاء أسطول جديد، وظفر بعدة من النهابة، فقتل بعضهم، وحبس بعضهم بعد الضرب الشديد، فأحضر كثير مما نهب.

ووردت غزاة البحر بمائتى أسير وعشرين أسيرا طيف بهم البلد.

ووصل من برقة ستون فرسا، منها عشرة بسروجها ولجمها، وعشرون بغلة عليها صناديق المال، وخمسمائة جمل عليها قطران وغيره، وعدة من صبيان وعلوج من السبر ونزع السعر، فمنع من بيع القمح لغير الطحانين.

ولخمس بقين من رجب: ابتدأ بالعزيز المرض، فأقام به إلى ثامن عشرين رمضان، فاستدعى القاضى محمد بن النعمان والحسين بن عمار لليلتين بقيتا منه، وخاطبهما فى أمر ولده، ثم استدعى ولده وخاطبه.

ثم توفى من يومه بين صلاتى الظهر والعصر من مرض القولنج والحصاة فى مسلخ الحمام ببلبيس، فلم يكتم موته.

ورحلت سيدة الملك ابنة العزيز فى الليل، وسار بمسيرها القيصرية لأنهم كانوا برسمها، ومعهم القاضى محمد بن النعمان، وريدان صاحب المظلة، وأبو سعيد ميمون

Marfat.com

دبة، فوافوا القاهرة، وأقيم المأتم والصياح بالقصر، وضبط الناس أحسن ضبط، فلم يتحرك أحد، ولم يبق شارع ولا زقاق إلا وفيه صراخ ونحيب.

وبادر برجوان إلى أبى على منصور بن العزيز فإذا هو على شجرة جميز يلعب فى دار ببليس. فقال له: «بسك تلعب؟ انزل». فقال له: «ما أنزل والله الساعة».

فقال له: «انزل، ويحك! الله فينا وفيك»، وأنزله، ووضع على رأسه العمامة بالجوهر وقبل له الأرض، وقال: «السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته».

وأخرج به إلى الناس، فقبل جميعهم له الأرض، وسلموا عليه بالخلافة.

وخرج الناس من الغد للقائه، فدخل إلى القاهرة، وبين يديه البنود والبوقات بالمظلة يحملها ريدان، والعساكر كلها معه، والعزيز بين يديه على عمارية، وقد خرج قدماه منها ونودى فى البلد: «لا مؤنة ولا كلفة، وقد أمنكم الله على أنفسكم، فمن عارضكم أو خاطبكم فقد حل دمه وماله».

وتولى القاضى ابن النعمان غسل العزيز، ودفن مع آبائه فى تربة القصر بعد عشاء الأخيرة. وأصبح الناس والأحوال مستقيمة.

وقد لقب أبو على المنصور «الحاكم بأمرالله»(١)، فاتفق كل المغاربة واشترطوا ألا ينظر فى أموالهم إلا ابن عمار.

وباتوا ليلة العيد وأصبحوا يوم الفطر، فصلى بالناس القاضى محمد بن النعمان، وهو متقلد للسيف، فعندما صعد المنبر قبل موضع جلوس العزيز وبكى، فضج الناس بالبكاء والنحيب، وخطب فندب العزيز وبكاه، ودعا للحاكم، وعاد إلى القصر، والعساكر صفين من المصلى إلى باب القصر، فحضر الحاكم السماط.

وكانت مدة العزيز فى الخلافة بعد أبيه المعز إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصف، ومات وعمره اثنتان وأربعون سنة، وثمانية أشهر وأربعة عشر يوما.

وكان نقش خاتمه: «بنصر العزيز الجبار، ينتصر الإمام نزار».

وخلف من الولد: ابنه منصورا، وسيدة الملك - وولدت بالمغرب فى ذى القعدة

(١) منصور الحاكم بأمر الله بن نزار (العزيز بالله) بن معد (المعز لدين الله) بن إسماعيل بن محمد العبيدى الفاطمى، أبو على : متأله، غريب الأطوار، من خلفاء الدولة الفاطمية بمصر. ولد فى القاهرة، وسلم عليه بالخلافة فى مدينة بلبيس. انظر: ابن إياس ١/٥٠، وخطط المقريزى ٢/٢٨٥- ٢٨٩، والنجوم الزاهرة ٤/١٧٦ - ٢٤٦، ودائرة المعارف البريطانية ٨/٦٠٣، ومورد اللطافة ٧ -٩، وابن خلدون ٤/٥٦، والأعلام ٧/٣٠٥، ٣٠٦.

Marfat.com

سنة تسع وخمسين وثلاثمائة.

وكان أسمر طوالا، أصهب الشعر، أعين، أشهل، عريض المنكبين، شجاعا، حسن العفو والقدرة، لا يعرف سفك الدماء، حسن الخلق، قريبا من الناس، بصيرا بالخيل وجوارح الطير، محبا للصيد، مغرى به، حريصا على صيد السباع خاصة.

ووزر له: يعقوب بن كلس اثنتى عشرة سنة وشهرين وتسعة عشر يوما. ثم أبو الحسن على بن عمر العداس بعد ابن كلس سنة واحدة، ثم أبو الفضل جعفر بن الفرات سنة. ثم أبو عبد الله الحسين بن الحسن البازيار سنة وثلاثة أشهر، ثم أبو محمد ابن عمار شهرين. ثم الفضل بن صالح أياما، ثم عيسى بن نسطورس سنة وعشرة أشهر. وكانت قضاته: أبو طاهر محمد بن أحمد. ثم أبو الحسن على بن النعمان، ثم أبو عبد الله محمد بن النعمان.

وكانت خرجاته إلى السفر: أولها ثامن صفر سنة سبع وستين، ثم عاد من العباسة(١).

والثانية: سار إلى الرملة، وظفر بأفتكين التركى.

والثالثة :سار إلى مضربه بعين شمس فى صفر سنة اثنتين وسبعين، ورجع منه بعد شهر.

والرابعة: نزل منية الأصبغ فى ربيع الأول سنة أربع وسبعين، ثم عاد بعد ثمانية أشهر واثنى عشر يوما.

والخامسة: برز فى عاشر شهر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين، فأقام مبرزا أربعة عشر

---

(١) العَبّاسَةُ: بفتح أوله، وتشديد ثانيه، وبعد الألف سين مهملة، وهو من العبوس ضدّ البَشّ، هكذا يتلفّظون بها من غير إلحاق ياء النسبة: وهى بليدة أول ما يلقى القاصد لمصر من الشام من الديار المصرية، ذات نخل طوال، وقد عُمّرت فى أيامنا لكون الملك الكامل بن العادل بن أيوب جعلها من منتزهاته ويكثر الخروج إليها للصيد لأن إلى جانبها مما يلى البرّيّة مستنقع ماء يأوى إليه طير كثير فهو يخرج إليها للصيد، وبينها وبين القاهرة خمسة عشر فرسخًا، سُمّيت بعَبّاسة بنت أحمد ابن طولون، كان خُمارويه لما زوّج ابنته قَطْر الندىَ من المعتضد وخرج بها من مصر إلى العراق عملت عبّاسة فى هذا الموضع قصرًا وأحكمت بناءه وبرزَت إليه لوَداع بنت أخيها، فلما سارت قطر الندى عُمّر ذلك الموضع بالقفر وصار بلدًا لأنه فى أول أودية مصر من جهة الشام، فكان يقال له قصر عبّاسة، ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فبقى عَبّاسة. معجم البلدان (عباسة).

Marfat.com

شهرا وعشرين يوما، وفيها مات.

وهو أول من اتخذ من أهل بيته وزيرا أثبت اسمه على الطرز، وقرنه باسمه.

وأول من لبس منهم الخفتان والمنطقة.

وأول من اتخذ منهم الأتراك، واصطنعهم، وجعل منهم القواد، وأول من رمى منهم بالنشاب.

وأول من ركب منهم بالذؤابة[1] الطويلة والحنك، وضرب بالصوالجة، ولعب بالرمح.

وأول من عمل مائدة فى الشرطة السفلى فى شهر رمضان، يفطر عليها أهل الجامع العتيق.

وأقام طعاما فى جامع القاهرة لمن يحضر فى رجب وشعبان ورمضان واتخذ الحمير لركوبه إياها وتجدد فى أيامه من العمائر: قصر الذهب بالقاهرة، وجامع القرافة، وجامع القاهرة، المعروف بجامع الحاكم[2]، وبستان سردوس، والفوارة بالجامع العتيق، والقصور بعين شمس، والمصلى الجديد بالقاهرة، وحصن الرسيين، والمنظرة على الخليج، وقنطرة الخليج القديمة - التى بناها عبد العزيز بن مروان - وقنطرة بنى وائل، والحمامات التى بالقاهرة، ودارالصناعة التى بالمقس، والمراكب ما لم ير مثله قبله كبرا ووثاقة وحسنا، وهو أول من ركب فى الجمع وشهر رمضان وصلى بالناس، وأول من بنى دار الفطرة، وقرر فيها ما يحمل إلى الناس فى العيد، وبلغت عدة جواريه عشرة آلاف جارية، وبلغ راتب مطبخه ومائدته فى كل يوم مالا عظيما، فلم يكن أحد من الأتراك والعبيد إلا وله وظيفة راتبة كل يوم.

وكان يعلف له من الخيل فى كل يوم والبغال والحمير والجمال عشرون ألف رأس، منها لركوبه ألف فرس، سوى البغال.

وقال ابن سعيد عن « كتاب سيرة الأئمة لابن مهذب»، قال: كتب أبو جعفر محمد ابن حسين بن مهذب صاحب بيت المال إلى العزيز: «يا مولانا - صلى الله عليك -:

---

(١) الذؤابة: العذبة، هم الذين يدورون عمائمهم على أحناكهم كما تفعل العرب والمغاربة. انظر: صبح الأعشى ٣/٤٣٣.

(٢) بدئ بتأسيس هذا الجامع فى عهد العزيز فى رمضان سنة ٣٨١ هـ ثم أكمل بناءه ابنه الحاكم بأمر الله وبه عرف .انظر: السلوك ٤/١١٥٥.

Marfat.com

ربما سألنى أهلى وكتابى وبعض الكتاب المتصرفين من عبيد الدولة الموثوق بهم فى قرض مال، ومالى لا يحتمل ذلك، ومال مولانا فلا تبسط فيه يدى إلا بإذنه، وقد كتبت هذه الرقعة إلى مولانا أستأذنه فيما أعول عليه».

فوقع العزيز عليها: «يا محمد: سلمك الله، من أتاك من أهلك وكتابك وخزانك والمتصرفين معك، ومن سائر عبيدنا والمتمسكين بأذيالنا يطلب منك سلفا، ورأيت منه ما يدل على صحة ما شكاه من ضرورته، وعلمت صدقه فى ديانته، فادفع إليه ما رأيته، وخذ منه خطه، ولا تطلب منه؛ فإن رده إليك عفوا من ذات نفسه، فخذ منه؛ وإن لم يرده إليك، وعلمت أن يده لا تصل إلى رده، فاعذره فى تأخير ما قبضه، وإن طلب زيادة زدته على شرطه، واسكت عن طلبه، ومن عرفت أنه قادر على رد ما قبضه، ولم يعده إليك، فأمسك عن طلبه، وامنعه من مثله».

وأنفذ العزيز إلى أبى عبد الله حسين بن البازيار ببلبيس - وقد اشتد به الوجع - فبكى لما رآه، فقال له العزيز: «تبكى يا حسين؟! لا تبك على الساعة، ولكن إذا ضرب مولاك الأمير ابنى بيده على لحيته فابك البكاء الطويل إن قدرت».

فلما كان فى سنة أربع وتسعين: قتل الحاكم ابن البازيار عند خروج لحيته.

وكان رشيق الحمدانى يقول عن الحاكم: «هذا يقتلنى».

فسئل عن ذلك، فقال: «دخلت على العزيز - وهو مطرق - كأنه يخاطب نفسه، فبعد وقت رفع رأسه، وقال: «أى وقت جئت؟». فقلت: «من ساعة». فقال: «كنت مفكرا فى قوم أشجوا صدرى، وملئوا بالغيظ قلبى، ولا أدرى ما أعمل». فقلت: «يا مولانا ابعث إليهم فاقتلهم». فقال: «ما هذا يكون بيدى، ولكنه والله سوف يجىء من يقتلهم ويقتلك معهم».

وأرى الحاكم قد قتل جماعة ولابد له منى»، وكذا كان.

وقال القرطى: «كان المثل يضرب بأيام العزيز فى مصر، لأنها كانت كلها أعيادًا وأعراسًا».

وقال ابن الأثير: «قيل إنه ولى عيسى بن نسطورس النصرانى كتابته، واستناب بالشام يهوديا اسمه منشا إبراهيم بن القزاز، فاعتز بهما النصارى واليهود، وآذوا المسلمين، فعمد أهل مصر وكتبوا قصة وجعلوها فى يد صورة عملوها من قراطيس، فيها: «بالذى أعز اليهود بمنشا، والنصارى بعيسى بن نسطورس، وأذل المسلمين بك،

Marfat.com

إلا كشفت ظلامتى».

وأقعدوا تلك الصورة على طريق العزيز، والرقعة بيدها؛ فلما رآها أمر بأخذها، فإذا الصورة من قراطيس، فعلم ما أريد بذلك، فقبض عليهما، وأخذ من عيسى بن نسطورس ثلاثمائة ألف دينار، ومن اليهودى شيئا كثيرا».

وكان يحب العفو ويستعمله، فمن حلمه: أنه كان بمصر شاعر اسمه الحسن بن بشر الدمشقى، وكان كثير الهجاء، فهجا يعقوب بن كلس وزير العزيز، وكاتب الإنشاء من جهته - أبا نصر عبد الله بن الحسين القيروانى - فقال:

قل لأبى نصر كاتب القصر ... والمتأتى لنقض ذلك الأمر
انقض عرى الملك الوزير ... تفز منه بحسن الثنا والذكر
واعط وامنع، ولا تخف أحدا ... فصاحب القصر ليس فى القصر
وليس يدرى ماذا يراد به ... وهو إذا درى فما يدرى

فشكاه ابن كلس إلى العزيز، وأنشده الشعر، فقال: «هذا شىء اشتركنا فيه فى الهجاء فشاركنى فى العفو عنه».

ثم قال هذا الشاعر أيضا وعرض بالفضل القائد:

تنصر فالتنصر دين حق ... عليه زماننا هذا يدل
وقل بثلاثة عزوا وجلوا ... وعطل ما سواهم فهو عطل
فيعقوب الوزير أب وهذا ... العزيز ابن، وروح القدس فضل

فشكاه الوزير إلى العزيز، فامتعض منه، إلا أنه قال: «اعف عنه». فعفا عنه.

ثم دخل الوزير على العزيز، فقال: «لم يبق للعفو عن هذا معنى، وفيه غض من السياسة، ونقص لهيبة الملك، فإنه قد ذكرك وذكرنى وذكر ابن رباح نديمك، وسبك بقوله:

زيارجى نديم، وكليسى وزير ... نعم على قدر الكل يصلح الساجور

فغضب الوزير، وأمر بالقبض عليه، فقبض عليه لوقته، ثم بدا للعزيز إطلاقه، فأرسل إليه يستدعيه، وكان للوزير عين فى القصر فأخبره بذلك، فأمر بقتله فقتل، فلما وصل رسول العزيز فى طلبه أراه رأسه مقطوعا، فعاد إليه وأخبره، فاغتم له.

وقال ابن الأثير: «أبو الفتيان محمد بن حيوس»: «لما مات العزيز وحضر الناس للتعزية بالقصر، واجتمع الناس على اختلاف طبقاتهم أفحم الناس بأجمعهم عن أن يوردوا فى

ذلك المقام شيئا مما يليق بالوقت، ومكثوا مطرقين، فقام صبى من أولاد الأمراء الكتامين، وأنشد:

انظر إلى العلياء كيف تضام ومآتم الأحساب كيف تقام
أخبرتنى ركب الركاب ولم يدع للسفر وجه ترحل فأقاموا

فاستحسن الناس من إيراد الصبى لذلك، وطرق الناس إلى إيراد المراثى، ونهض الشعراء والخطباء فعزوا، وأنشد كل إنسان ما عمل فى التعزية.

وكان الصبى هو الذريعة إلى إيراد ما أوردوه، وكشف ما نزل بهم من المهابة والمخافة.

* * *

Marfat.com

الحاكِمُ بامْر اللهِ أبُو عَلى مَنصُور
ابن العَزِيز باللهِ أبى المنصُور نِزَار
ابن المعِز لدين اللهِ أبى تمِيم مَعَد

ولد فى القصر بالقاهرة ليلة الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثلاثمائة، فى الساعة التاسعة، الموافق صبيحتها الثالث عشر من شهر آب[1] والطالع من السرطان سبع وعشرون درجة، والشمس فى برج الأسد على خمس وعشرين درجة، والقمر بالجوزاء على إحدى عشرة درجة، وزحل بالعقرب على أربع وعشرين درجة، والمشترى بالميزان على ثمانى درج، والمريخ بالميزان على ثلاث عشرة درجة، والزهرة بالميزان على تسع عشرة درجة، وعطارد بالأسد على عشر درج، والرأس بالدلو على خمس درج.

وسُلِّم عليه بالخلافة فى الجيش بعد الظهر من يوم الثلاثاء ثامن عشرى شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلاثمائة. وسار إلى قصره فى يوم الأربعاء بسائر أهل الدولة، والعزيز فى قبة على ناقة بين يديه، وعلى الحاكم دراعة [2] مصمتة [3] وعمامة فيها الجوهر، وبيده رمح وقد تقلد السيف؛ فوصَل إلى القصر ولم يُفقَد من جميع ما كان مع العَساكر شىء، ودخَله قبل صلاة المغرب، وأَخذ فى جهاز أَبيه العزيز ودَفْنِه.

ثم بكر سائر أهل الدولة إلى القصر يوم الخميس، وقد نُصب للحاكم سريرُ من ذهب عليه مرتبة مذهبة فى الإيوان الكبير. وخرج من قصره راكبًا وعليه مُعمَّمة الجوهر؛ فوقف الناس بصحن الإيوان وقبَّلوا الأرض ومشوا بين يديه، حتى جلس على السرير، فوقف مَنْ مهمَّته الوقوف، وجلس من له عادة الجلوس، فسلم عليه الجماعة بالإمامة واللَّقب الذى اختير له، وهو الحاكم بأمر الله. وكان سنه يومئذٍ إحدى عشرةَ سنة وخمسة أَشهر وستة أيام.

وكان جماعة من شيوخ كتامة تخلفوا عن الحضور وتجمعوا نحو المصلَّى [4] فخرج إليهم أبو محمد بن الحسن بن عمار [5] فى طائفةٍ من شيوخهم، وما زالُوا بهم حتى

---

(١) أغسطس، سنة ٩٩٦م.

(٢) الدراعة نوع من الثياب، وقيل جبة مشقوقة المقدم، ولا تكون إلا من الصوف.

(٣) الثوب المصمت هو الذى لا يخالطه لون آخر غير لونه.

(٤) كان يطلق على الجامع الأزهر مصلى القاهرة.

(٥) الحسن بن عمار بن على الكلبى، أبو محمد: من وزراء الحاكم بأمر الله الفاطمى بمصر. ولى له الأمور والتدبير سنة ٣٨٦هـ واعتزل العمل سنة ٣٨٧هـ، ثم قتل غيلة فى القاهرة. وكان من عقلاء الوزراء. انظر: الإشارة إلى من نال الوزارة ٢٦، وخطط مبارك ٢/٩٣.

Marfat.com

أحضروهم بعد امتناعهم من الحضور، وشكَوا من عيسى بن نَسْطُورس [١]، وسألوا صَرْفَه، وأن تكون الوَسَاطة لرجل منهم، فنُدب لذلك أبو محمد الحسن بن عمار، فقرر أحوالهم فيما يُطلق لهم من الرزق بعد خطاب طويل، على أن يطلق لهم ثمانى إطلاقات فى كل سنة، وأن يكون لكل واحد ثمانيةُ دنانير؛ وأن يطلق هذا الفضل [٢] فى يومهم بحضرة أمير المؤمنين، فأُحضر المال ودفع إليهم بحضرة الحاكم الفضلُ، وهو عشرون دينارا لكل واحد منهم. وحَلّفهم ابن عمار بعد ما حلف.

وخَلع على أبى الحسن يَانِس الخادم الصقلّبى وحُمل على فرسين، وقال: يتولى القصور.

وفى أول شوال: فُرِش على سرير الذّهب فى الإيوان مرتبة نسيج فضة، وخرج الحاكم على فرس أدهم بمعمَّمة الجوهر وقد تقلّد السيف، وفى ركابه الأيمن حُسَين بن عبد الرحمن الرابض، وفى ركابه الأيسر برجوان، والنّاس قيام؛ فقبلوا له الأرض، ودعَوا، فقال ابن عمار للقاضى محمد بن النعمان: مولانا يأمرك بالخروج إلى المصلى للصلاة بالناس وإقامة الدعوة لأمير المؤمنين، فنهض قائما، وقلّده برجوان بسيف محلى بذهب من سيوف العزيز، ومضى فصلّى وأقام الدعوة، ثم قدم.

ونُصِب السرير الذهب فى صُفّة الإيوان، ونُصِب السماط الفضَّة، وخرج الحاكم من القصر، وكان قد دخل إليه، وهو على فرس أشقر، فجلس على السماط، وحضر من له رَسمٌ، فأكلوا وانصرفوا.

وفى ثالثه: خُلع على ابن عمار، وقلد بسيف العزيز، وحُمل على فرس بسرج ذهب، وكناه الحاكم، ولقّبه بأمين الدولة وقال له: أنت أمِينى على دَوْلتى ورجالى. وقام بين الخيل، وعمل خمسين ثوبا ملونة من البزّ الرفيع. ومضى فى موكب عظيم إلى داره.

وكُتِب سجل من إنشاء أبى مَنْصور بن سُورين [٣] وبخطه، قرأه القاضى محمد بن النعمان بالجامع يتضمن وراثة الحاكم الملك من أبيه، ويَعد الرعية فيه بحُسْن النّظر لهم، وأمر فيه بإسقاط مكوس كانت بالساحل، ففرح الناس.

وكانت عدةُ ممَّن قتلهم ابن نسطورس - لما احترق الأسطول - على الخشبة، فأمر بتسليمهم إلى أهليهم، وأطلق لكل واحد عشرة دنانير من أجل كفنه، فكثر الدعاء من

---

(١) تولى الوزارة للعزيز بالله، وكان يتولاها عند خلافة الحاكم.

(٢) المراد به الأموال التى كانت تمنح لرجال الدولة والجنود فى المناسبات.

(٣) هو أبو منصور بشر بن عبد الله بن سورين الكاتب النصرانى.

الرعية للحاكم. وأمر بقلع الألواح التى على دور الأخبار وسلمت لأربابها ومستحقيها، فبلغت شيئا كثيرا.

وخلع على القائد أبى عبد الله الحسين بن جوهر (١) القائد، ورد إليه البريد والإنشاء، فكان يخلفه ابن سورين، وحمل بين يديه كثير من الخيل والثياب، وحمل على فرس بمركبين.

واستكتب أمينُ الدولة ابنُ عمار أبا عبد الله الموصلى، واستخلفه على أخذ رقاع الناس وتوقيعاتهم.

وأُقِر عيسى بن نسطورس على ديوان الخاص. وخلع على جماعة بولايات عديدة وقُرِئ بسجل، قرأه القاضى بالجامع، يتضمن ولاية ابن عمار الوساطة، وتلقيبه بأمين الدولة، وأَمْرَ الناسِ كلهم أن يترجلوا لابْن عمار، فترجلوا بأسرهم له.

وفى ثانى ذى القعدة: تجمع الكتاميون عند المصلّى، فأنفذ إليهم واستحضرهم، وتقرر أمرهم على النّفقة فيهم، فأنفق عليهم. وحُمِل راجلُهم على الخيل، وكانوا نحو الألف رجل، وأُركِبتْ شيوخُ كتامة بأسرها على الخيول بالمراكب الحسنة.

وفى ثانى عشرهِ: خلع على أبى تميم سَلْمان بن جعفر بن فلاح (٢)، وقلّد السيف، وحمل على فرس بمركب ذهب وقيد بين يديه أربعة أفراس مُسرجة مُلجمة، وحُمِل بين يديه ثياب كثيرة من كل نوع، وجرد معه عسكر ليسير إلى الشام.

وسارت قافلة الحاج بكسوة الكعبة والصِّلات والنفقة على الرسم المعتاد فى النصف منه.

---

(١) الحسين بن جوهر: قائد القواد. كان فى أيام الحاكم بأمر الله الفاطمى بمصر. ولاه قيادة القواد ورد إليه تدبير المملكة سنة ٣٩٠هـ، فأقام نحو ثلاث سنوات ورأى من حال الحاكم ما أخافه، فهرب هو وولده وصهره فأرسل إليهم الحاكم من أعادهم، وطيب قلوبهم وآنسهم مدة، ثم حضروا للخدمة فى قصره بالقاهرة فأمر بالقبض عليه وقتله. انظر: النجوم الزاهرة ٢/١٣٤، والولاة والقضاة ١٤٢، والأعلام ٢/٢٣٤.

(٢) هو ابن جعفر بن فلاح الكتامى، أبو على: أحد قواد المعز العبيدى صاحب إفريقية، كان شجاعا مظفرا، سيره المعز مع القائد جوهر لافتتاح الديار المصرية، فدخلها. وبعثه جوهر إلى الشام فامتلك الرملة سنة ٣٥٨هـ ثم امتلك دمشق سنة ٣٥٩هـ وقتله بها الحسن بن أحمد القرمطى. انظر: وفيات الأعيان ١/١١٣، والنجوم الزاهرة ٤/٥٨، ومرآة الجنان ٢/٣٢٧، واللباب ٢/٨٢، والأعلام ٣/١٢٦.

Marfat.com

وركب الحاكم يوم الأضحى فصلّى بالناس صلاة العيد بالمصلى وخطب، وأصعد معه المنبر القاضى محمد بن النعمان وبرجْوَان وابن عمار وجماعة.

سنة سبع ولمائين وثلاثمائة

فى المحرم: ورد سابق الحاج، فأخبر بتمام الحج والدعاء للحاكم فى الحرمين.

وفيه نزع سعر القمح وغيرُه، وعزَّ وجوده، واشتد الغلاء. ووقع فى البلد خوف شديد من طَرَف رجُلٍ من اللّصُوص فى الليل وكَبْسِه دورَ الناس فتحارسُوا فى الليل، وأُخِذت نساءٌ من الطُّرقات، وعظم الأمر فى ذلك.

وفيه ضربت رقبة عيسى بن نسطورس.

ووصل الحاج فى رابع عشر صفر، فخلع على سبكْتَكِين، مقدم القافلة، وحمل على عدد من الخيل.

ووقف سعر الخبز على أربعة أرطال بدرهم.

وسار أبو تميم سَلْمان بن جعفر بن فلاح بعد أن خُلع عليه وقيدَ بين يديه عدةُ خيول، وحُمل معه شىء كثير من الثياب، وأنفق فى أهلِ عسكره، فنزل مسجد تَبَر،(١) فأقام إلى تاسع عشر ربيع الأول، فخرج إليه الحاكم وحلفه ومن معه، وعاد. فرحل ابن فلاح إلى القصور فأقام بها.

وقُرئ سجل يوم الجمعة للنصف منه بمدح كتامة ولعن مَنْجُوتكين على سائر منابر مصر وفى القصر. وخلع على جماعة من الحمدانية وجُهزوا إلى ابن فلاح، فساروا معه.

وفى آخره: أَخْرَجَ ابن عمَّار إلى سلمان بن جعفر بن فلاَح بخزانة مال، عَلى ثمانية وستين بغلا، فى صناديق، فيها أربعمائة ألف دينار وسبعمائة ألف درهم، وستة وأربعين حِملاً من السلاح، وعشر جمازات(٢) عليها دُرُوع، وست قباب(٣) بفُرُشِها وأهلّتها ومناطقها وجميع آلاتها، منها قبتان قرقرى مثقل وباقيها ديباج، وست جمازات تجنب بآلة الديباج الملون، وثلاثين جمازة بأجلتها(٤)، وعشرة أفراس وثلاث بغلات بمراكبها، ومنديلٍ حمله خادم فيه ثياب شَرَف، بها من ثياب العزيز وسيف من سيوفه.

---

(١) خارج القاهرة مما يلى الخندق قريبا من المطرية، وكان يسمى مسجد التبن.

(٢) جمز البعير من باب ضرب، والجماز بالفتح والتشديد: البعير الذى يركبه المجمز، والجمازة ناقة المجمر، والناقة تعد والجمزى بالقصر أى تسرع.

(٣) القبة كانت من مستلزمات الجيوش المقاتلة.

(٤) الجل للدابة كالثوب للإنسان يلبس ليقى من البرد.

وفى ثالث ربيع الآخر: ركب الحاكم وابن عمار إلى القصور فودعا ابن فلاح، وسار فى ثلاثة آلاف من كتامة وسبعمائة فارس من الغلمان، وانضم إليه من عرب الرملة ثمانية آلاف.

وفى النصف منه: شق الحاكم المدينة وقد زينت زينة عظيمة، وزيدان يحمل مظلة عن يمينه، وابن عمار عن يساره، وبرجوان وحده خلفه، فدخل الصناعة.

وأَما مَنْجُوتكين فإنه لما بلغه ما فعله ابن عمار من إكرام كتامة وحطّه من مراتب المصْطَنعين الذين اصطنعهم العزيز من الأتراك خاف فلم يكن غير قليل حتى بلغه خروج سلمان بن جعفر بن فلاح إلى الشام بالكتاميين، فسار إلى الرملة مستعدًا لقتال من يجيئه من مصر، فالتقيا برفح (١). وكانت الوقعة بين الطوالع، فانهزم أَصحاب منجوتكين، وسار ابن فلاح إلى منجوتكين، فلقيه بظاهر عسقلان وقد انضم إليه ابن الجراح فى كثير من العرب، فاستأمن إلى ابن فلاح عدة من أَصحاب منجوتكين واقتتلا يوم الجمعة رابع جمادى الأولى، فقتل كثير من أصحاب منجوتكين، وأُسِر عدة منهم، وانهزم منجوتكين بمن بقى معه، فقطع من عسقلان إلى دمشق فى ثلاثة أَيام، وأَهلُها فى مجاعة من غلاء الأسعار وقلة الطعام وقد راجت الغلال. فاجتمع أَهل البلد إلى الجامع وَهُم كثيرٌ، فيهم حُمال السلاح ومن يطلب الفتن. فقال الناس: نُرَحل مَنجوتكين عنا، وقال طلاب الفتن: لا، ما نقاتل معه، وساروا إلى داره ومعهم قوم من المرج(٢) يقال لهم الهياجنة، أَهل شر وفساد، فنهبوها وما حولها من دور أُمرائها. وخرج منهزما فى يسير من الجند فراسخ، فنزل على ابن الجراح.

---

(١) رَفَحٌ: بفتح أوّله وثانيه، وآخره حاء مهملة: منزل فى طريق مصر بعد الداروم بينه وبين عسقلان يومان للقاصد مصر، وهو أوّل الرمل، خرب الآن، تنسب إليه الكلاب، وله ذكر فى الأخبار، قال أبو حاتم: من قرون البقر الأرفح، وهو الذى يذهب قرناه قِبَلَ أُذنيه، قال المهلبى: ورفح مدينة عامرة فيها سوق وجامع ومنبر وفنادق، وأهلها من لخم وجُذَام، وفيهم لصوصية وإغارة على أمتعة الناس حتى إن كلابهم أضرّ كلاب أرض بسَرقَة ما يسرق مثله الكلاب، ولها والى معونة برسمه عدة من الجند، ومن رفح إلى مدينة غزة ثمانية عشر يومًا، وعلى ثلاثة أيام من رفح من جنب هذه غزة شجر جميز مصطفّ من جانبى الطريق عن اليمين والشمال نحو ألف شجرة متصلة أغصان بعضها ببعض مسيرة نحو يومين، وهناك منقطع رمل الجفار، ويقع المسافرون فى الجَلَد. انظر: معجم البلدان (رفح).

(٢) المرج: من الواضح أنه مقصود أحد مروج الشام، وبالقرب من دمشق ثلاثة مروج هى: مرج الصفر: بالشام، ومرج عذراء: بقربة من دمشق بينهما اثنا عشر ميلاً، ومرج راهط: بغوطة دمشق من الشام. انظر: الروض المعطار ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ومعجم البلدان (مرج).

Marfat.com

وبلغ ذلك ابنَ فلاَح فأرسل بأخيه على بن جعفر بـن فـلاح فـى أَلْفَـى رجـل، فـنزل بظاهر دمشق، لستٍ بقين منه، وبعث إلى ابن الجراح رسـولا بـأن يُنفِـذ منجوتكـين إلى مولانا فإنا لا نريد به سوءًا، وهو آمن، وبذل له مالا. فسار منجوتكين ودخـل القـاهرة فى ثانى عشرى رجب، فأَنزله ابن عمار فى دار، وكان يركـب فـى خدمتـه، وإذا لقيـه وهو راكب ترجل له. وكان ابن عمار ينزله أَدْوَن المراتب، وغيَّر رسومه كلها.

وأَما على بن جعفر بن فلاح فإنه لما قدم من عند أخيه ولى البلد لرجـل مـن المغاربـة لم يكن عند ما رآه [.....][1] بل كان فظًا غليظًا، فشاق العَامَّـة وواجههـم، فثـاروا عليه بالسلاح، وركب المغاربة، وكانت بينهم حروب. ثم إن شيوخ البلـد خرجـوا إليـه وأَصلحوا الأمر.

وسار علىٌّ من الرملة فنزل على دمشق فى عسكر عظيم يوم الاثنين لِستٍّ بقـين مـن رجب، وأَقام لا يأْمر بخير ولا شر.

وأَما ابن عمار فإنه لما نظر فى الأمر كان ينزل على باب الحجرة التـى فيهـا الحـاكم، ويدخل القصر راكبا، فيشق قاعة الدواوين، ويدخل من البـاب الـذى يجلـس فيـه خـدم الخاصة [2]، ثـم يعـدل منـه إلى بـاب الحجـرة، فينزل ويركـب منـه. وكـان النـاس مـن الشيوخ والرؤساء على سائر طبقاتهم يبكرون إلى داره والباب مُغلق فيُفتـح بعـد وقـت، فيدخل إليه الوجوه فيجلسون فى قاعة الدار على حُصير وهو فى مجلسـه لا يدخـل إليـه أَحد، فإذا مضـت لهـم سـاعة أَذِن للوجـوه فالقـاضى، وبعـده كُتامـة والقـواد، فيدخـل أَعيانهم، ثم يأْذن لسائر الناس فلا يقدر أحد على الوصـول إِليـه، فمنهـم مـن يومـئ إلى تقبيل الأَرض، ومنهم من يقبل الركاب، ومنهم من يقبل ركبته.

وتسلَّم النَّظر والاسطبلات عامرة، فأَخرج لرجال كتامـة وأَحداثهـم أَلفـا وخمسـمائة فرس، ولم يبق من شيوخهم إلاَّ من قاد إليه الفرسين والثلاثـة بمراكبهـا. وحمـل لسـلمان ابن جعفر بن فلاح ما يتجاوز أَلف رأْس، وجُل رحلِ العزيز وأَمتعتـه. وبـاع مـن الخيـل والبغال والنُّجُب والحمرُ ما يتجاوز الأُلوف، حتـى بيعـت الناقـة بسـتة دنـانير، والحمـار الذى قيمته أَربعون دينارا بأَربعة دنانير. وقطع أَكثر الرسوم التـى كـانت لأَوليـاء الدولـة من الأَتراك والعبيد، وقطع أَكثر ما كان فى المطابخ. وقطع أَرزاق جماعة أَرباب الرتـب، وفـرق كثـيرا مـن الجـوارى طلَبًـا للتَّوفـير، واصطنـع أَحـداث [3] المغاربـة، فكثـر عبـث

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) فرقة من الخدم أو المماليك تختص بخدمة الخليفة أو السلطان أو الأمير.

(٣) الأحداث هم رجال الشرطة المكلفون بإخماد الفتن والاضطرابات وعقاب مثيرى الشغب.

Marfat.com

أشرارهم وامتدت أيديهم إلى أخذ الحرم فى الطرقات، وعرُّوا جماعة من الناس، فكثرت الشكاية منهم ولم يُبْدِ كبير نكير، فأفرط الأمر حتى تَعرضوا إلى الأتراك يريدون أخذ ثيابهم، فثار لذلك شرٌّ قُتل فيه واحد من المغاربة وغلامٌ تركى، فسار أَولياءُ الكتامى ليأخذوا التركى قاتله ويأتوا إلى قبر المقتول فيعتقوه هناك، فلما أخذوه قتلوه على قبر الكتامى. فاجتمعت أكابر الطائفتين وتحزبوا، فوقعت الحرب بينهما وقُتل جماعة، وانطلقت أَلْسُنُ كل منهما فى الآخرين بالقبيح. وأقاموا على مصافهم [1] يومين آخرهما تاسع شعبان، فركب ابن عمار فى عاشره بآلة الحرب وقد حَفَّت به المغاربة، وتبادر إليه الأتراك، فاقتتل الفريقان وقتل منهما جماعة وجرح كثير.

وجىء لابن عمار بعدة رءوس طُرحَت بين يديه، فأنكر ذلك وظهر له الخطأ فى ركوبه، فعاد إلى داره.

وجاءَ بَرْجَوَان ليصلح الأمر، فثار الغلمان وركبوا دارَ ابن عمار للفتك به، فأركب برجوان إلى القصر وانبسطت أيدى المغاربة وأحداث الغلمان والنهابة، فانتهبوا دارَ ابن عمار واسطبلاته، ودار رشا غلامه، وأخذوا ما لا يحصى كثرة. وانعزل لثلاث بقين منه، وتحوَّل من القاهرة إلى داره بمصر. فكانت أيام نظره أحد عشر شهرا غير خمسة أيام. فأقام بمصر سبعة وعشرين يوما، ثم عاد إلى القاهرة بأمر الحاكم فأقام بها لا يركب ولا يجتمع به سوى خدمه، وأطلقت له رسومه وجراياته وجرايات حشمه على رُتَبه فى أيام نظره.

وتقدم الحاكم إلى برجوان أن ينظر فى التّدبير على ما كان ابنُ عمار، فنظر فى ذلك لثلاث بقين من رمضان، وسار إلى القصر وجمع الغلمان الأتراك ونهاهم عن التعرض لأحد من الكتاميين والمغاربة. وقبض على عريف الباطلية [2] فإنهم كانوا قد نهبوا شيئا كثيرا لابن عمار، وألزمه بإحضار ما نهب أصحابه. وأجرى الرسُوم والرواتب التى قطعها ابن عمار، وأجرى لابن عمار ما كان يجرى له فى أيام العزيز، ولآله وحرمه، ومبلغ ذلك من اللحم والتوابل والفاكهة خمسمائة دينار فى كل شهر، يزيد على ذلك تارة وينقص أخرى على قدر الأسعار، مع ما كان له من الفاكهة، وهو فى كل يوم سلة بدينار، وعشرة أرطال شمع كل يوم، وحمل ثلج عن يومين، فأجرى له ذلك مدة حياته.

---

(١) المصاف جمع مصف وهو: الموقف فى الحرب، وموضع الصف فى القتال.

(٢) نسبة إلى جماعة جاءوا إلى المعز لدين الله وسألوه العطاء فقال لهم: نفذ المال، فقالوا: حنا فى الباطل، فسموا الباطلية.

Marfat.com

وجعل برجوانُ أَبا العُلا، فهـد بـن إبراهيـم النّصْرانـى، كاتبـه يوقّـع عنـه، فنظـر فـى قصص الرافعين وظُلاماتهم، وطالعه بما يحتـاج إليـه، فرتـب الغلمـان فـى القصـر وأَكّـد عليهم فى مُلازَمة الخدمـة، وتفقّـد أَحوالهـم. وأَزاح علـل أَوليـاء الدولـة، وتفقّـد أُمـور النـاس وأَزال ضروراتهـم، ومنـع مـن التّرجُّل لـه. وكـان النـاس يلقونـه فـى داره، فـإذا تكاملوا ركب وهُمْ بين يديه إلى القصر. ولقّب كاتبه فهد بـن إبراهيـم بـالرئيس، فكـان يُخاطَب بذلك ويُكاتَب به، ويركب أَكثر الناس إلى داره حتى يخرج برجوان إلى القصـر فيجلس فيه فـى آخـر دهـاليزه، ويجلـس فهـد فـى الدهلـيز الأول يوقّـع وينظـر ويطـالع برجوان بما يحتاج له، فيخرج الأمر بما يكون. فلـم يـزل الأمـر علـى ذلـك حتـى انتهـت مدتهما.

وكان الحاكم يركب كل يوم إلى الميدان، فيجلس على سريره بالطّارِمـة (١) فتعـرض عليه الخيل، والقراء بين يديـه، وربمـا أَنشـده الشـعراء، ثـم ينصـرف إلى القصـر فيجلـس برجوان وكاتبهُ لأَخْذ رقاع المتظلمين وأَرباب الحاجات، فلا يزالان حتى لا يبقـى منهـم أَحد، ثم يدخلان فإذا فرغ الحاكم من غدائه ورفعت المائدة تقدم أَبو العـلا فجلـس بـين يديه وبرجوان قائم على رأسه، حتى يقرأ جميع تلـك الرقـاع ويوقـع عليهـا الحـاكم فـى أَعلاها بما يراه، ثم يَخرُج بها فتفـرق كلهـا ويُمضَـى بهـا إلى الديـوان، فتُنفّـذ مـن غـير مراجعة.

وكـان الحـاكم إذا جلـس فـى الطّارِمـة وأَنشـده الشـعراء تنـاول برجـوان قصـائدهم فجعلها فى كمه، فإذا عرض رقاع الناس وفرغ من التّوقيع قرأ القصائد وقد حضـر مـن له تمييزٌ ومعرفة بالشعر.

وكان الحاكم له من الحذق بذلك ما ليس لغيره، فإذا أَنشده الشاعر أَو أَنشد لـه أَبـو الحسن لا يُنْشد ويُمـرُّ بـالبيت النـادر أَو المعنـى الحسـن إلاّ نبّـه برجـوان عليـه واسـتعاده مرارًا، ثم يوقع لكل واحد منهم بقَدْر استحقاقه ومبلغِه مـن صناعتـه، فتخـرج صلاتُهـم بحسب ذلك.

وفى يوم الثلاثاء تاسع شعبان: أَهدت ست الملـك (٢) إلى أَخيهـا الحـاكم بـأَمر اللـه

---

(١) لفظ فارسى معرب، وهو يعنى بيت من الخشب.

(٢) ست الملك بنت العزيز بالله نزار بـن المعـز لديـن اللـه، الفاطميـة العلويـة: أَميرة مـن الفضليـات الحازمات المدبرات. وهى أُخت الحاكم بأمر الله الفاطمى كان الحاكم يستشيرها فى معضلاتـه، ثم تغير عليها وهم بقتلها. وساءت سيرته. فاتفقت ست الملـك مـع حسـن بـن دولس مـن كبـار القواد ووعدته بتوليته إدارة الملك، فاغتيل الحاكم سنة ٤١١هـ وقامت بإدارة الدولة مـدة أربـع-

Marfat.com

ثلاثين فرسا مُسرجة، أَحدها مرصع وآخر بلور، وبقيتها ذهب، وعشرين بغلة مُسرجة مُلجمة، وخمسين خادما منها عشرة صقالبة، ومائة تخت ثياب، وتاجا مرصعا، وشاشية مرصعة، وأَسفاطا كثيرة من طيب، وبستانا من الفضة مزروعا من أَنواع الشجر.

وفى رمضان: سُومِح أَهل القلزم بما عليهم من مكوس المراكب.

وصلى الحاكم بالناس صلاة عيد الفطر بالمصلى وخطب، وأَصعد معه المنبر الحسين ابن جوهر والقاضى والأستاذ بَرْجَوان وجماعة.

وسارت قافلة الحاج من بركة الجب [1] بالكسوة للكعبة، والزَّيت والدقيق والقمح والشمع والطِّيب لمكة والمدينة، فى تاسع ذى القعدة.

وفيه خرج جيش بن الصمصامة إلى الشام مكان سلمان بن جعفر بن فلاَح، فرحل ابنُ فلاح عن دمشق فى يوم الثلاثاء سابع عشر ذى الحجة بعسكره وسار إلى الرّملة.

وفيها صلّى الحاكم بالمصلّى صلاة العيد يوم النّحر بالناس وخطب على رسمه.

وورد الخبر من مدينة قوص[2] بأَن شَدّةً نزلت بهم من برق ورعد ومطر وحجارة نزلت من السماء، منها ما لم يسمع بمثله، وأَنهم زلزلوا زلزلة شديدة قصفت النخل والجميز، واقتلعت خمسمائة نخلة من أُصولها. وانبثق بقوص وأَعمالها زرقة خضراء على ظهر الأَرض، وغرقت عدة مراكب مشحونة بغلال تساوى أَموالا كثيرة.

وفيها كتب الحاكم بأَمر الله مع الشريف الداعى على بن عبد الله سجلّين لأَبى مناد باديس بن يوسف بن زِيرِى [3]، أَحدهما بولايته المغرب وتلقيبه نصير دولة الحاكم، والثانى بوفاة العزيز بالله وخلافة الحاكم وأَخذه العهد على بنى مناد. فأُنزل وأُكرم وأُخذ العهدُ على جميع قبائل صنهاجة وعمومهم بالبيعة للحاكم فى جمادى الآخرة، ثم عاد، فقدم إلى القاهرة يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادى الآخرة بعد أَن وصله نصير الدولة بمال جليل وثياب وخيول.

=سنوات وتوفيت بمصر. انظر: النجوم الزاهرة ٤، وابن الأثير ٩/١٠٩، ١١٠، والدر المنثور ٢٤٠، وخطط المقريزى ٢/٢٨٩، والأعلام ٣/٧٧، ٧٨.

(١) المقصود به حب عميرة، وهو فى الشمال الشرقى من القاهرة. انظر: الخطط ١/٤٨٩، ٢/١٦٣-١٦٤.

(٢) قوص: مدينة كبيرة فى البلاد المصرية فى الجهة الشرقية من النيل، وهى كبيرة بها منبر وأسواق جامعة وتجارات ودخل وخروج، والمسافر إليها كثير. انظر: الروض المعطار ٤٨٤، ٤٨٥، والإدريسى ٤٩.

(٣) ولد فى ربيع الأول سنة ٣٧٤هـ. وكان عمره حين ولاه الحاكم أربع عشرة سنة. تولى الحكم فى صنهاجة والمغرب الأوسط.

ودخلت سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة

فى المحرم: كان غطاس النصارى[١] فضربت الخيام والمضارب والأشرعة فى عدة مواضع من شاطئ النيل، ونُصبت أَسِرةٌ للرئيس فهد بن إبراهيم وأُوقدت له الشموع والمشاعل، وحضر المغنون والملهون، وجلس مع أهله يشرب إلى أن جاءَ وقت الغطاس فغطس وانصرف.

وورد سابق الحاج لثمان خلون منه.

وخلع على أَبى الحارث فحل بن إسماعيل بن تميم بن فحل الكتامى، وقيد بين يديه، وحمل إليه، وقُلد صُور [٢].

وخلع على أَبى سعيد، وقلد الحسبة. وخلع على أبى الحسن يانس الخادم الصقلبى، وقُلد بسيف ودفع إليه رمح وحُمل على فرس بمركب ذهب ثقيل، وحمل إليه خمسة آلاف دينار وعدة من الخيل والثياب ومائة غلام، وسار لولاية برقة.

وخُلع على خود الصقلّبى وقلّد بسيف، وحمل، وقيد بين يديه فرس، وحمل إليه ثياب، وقلد الشرطة السفلى.

وخلع على قيد الخادم الأسود بشرطة القاهرة.

ووصلت قافلة الحاج سابع عشر صفر. وسارَ ميسور الخادم الصقلبى واليًا على طرابلس. وخلع على فائق الخادم الصقلبى وجعل على الاسطبل.

وفى سادس عشر ربيع الأول: كان نَوْرُوزُ[٣] الفرس، فأَهْدى الأتراك وقوادهم وجماعة الأولياء إلى الحاكم الخيل والسلاح الكثير، فقبل يسيرًا منه وشكر ذلك لهم، ورد الباقى إليهم.

وفى أَول ربيع الآخر: قدم سلمان بن فَلاح وأَخوه من الرملة.

وفى سادس عشر: كان فصح النصارى، فخلع على فهد بن إبراهيم خلعة حُمِلت

(١) هو من أعياد النصارى.

(٢) صور: مدينة من بلاد الشام بحرية، بها دار الصنعة، وهى حصينة حليلة، قريبة من عكا، ويضرب بها المثل فى الحصانة، وهى أنظف من عكا سككًا وشوارع، ولها بابان: أحدهما فى البر والآخر فى البحر. انظر: الروض المعطار ٣٦٩، ومعجم البلدان (صور) رحلة ابن جبير ٣٠٤ وما بعدها.

(٣) من الأعياد الفارسية القديمة التى كان يحتفل بها فى بداية فصل الربيع. انظر: الخطط ١/٤٩٣-٤٩٤.

Marfat.com

إلى داره ومعها بغلتان بمركبيهما وألف دينار. وخُلع على أبى سعادة أيمن الخادم، أخى برجوان، وقلّد غزّة وعسقلان فى سادس جمادى الأولى.

وورد الخبر بفتح صُور. وذلك أن أهل صور ثاروا على مَنْ عندهم من المغاربة وقتلوا منهم جماعة، وقتلوا مَنْ بَقى، وغلب على البلد رجل من البجوية [1] يقال له العلاقة وأرسل إلى الروم، فسيروا إليه بمراكب فيها رجال، فخرج إليهم عسكره، وسارت إليها المراكب من مصر فقاتلوا مَنْ بها من الروم فانهزموا عنها فى مراكبهم، وبَدَت أهلُ البلد فألح القتال عليهم حتى مُلِكت منهم. وامتنع العلاقة ومعهُ طائفه فى بعض الأبرجة، ثم طلبوا الأمان فانتُهِبَت المدينة وأُخذ منها ما لا يُعرف قدرُه كثرةً فى الرابع عشر من جمادى الآخرة. وحمل العلاقة مُقيدا، وسيق فى جماعة معهم إلى القاهرة فشُهِّروا، وقد أُلبِس العلاقة طرطورا من رصاص له عِظم وثِقل على رأسه، وكاد أن يغوص على رقبته، ثم قتل وصُلب وقتلت أصحابه.

وفى شعبان: ورد الخبر من جَيْش بمواقعة الروم على فامية وأنطاكية وذلك أن جيشا نزل على دمشق، ونزل بشَارةُ إلى طبرية أيضا، لأربع خلوْنَ من رجب، وكتب إلى بشارة بولاية دمشق فأقر عليها واليا من قبله، وسار بعساكره، هو وجيش، فى رابع عشرِهِ إلى فامية وبها الروم. فاشتد القتال بينهم وبين الروم، فانهزم المسلمون وملك الروم سوادهم ثم غابوا وعادوا إلى محاربة الروم، فواقعوهم، فانهزم الروم وقتل منهم نحو خمسة آلاف وقُتل مُقدمُهم، وذلك لِتسْع بقين من رجب. ورجع المنهزمون إلى جيش بن الصمصامة وقد خافوه، فسار بهم إلى نحو مرعش [2]، فأحرقوا، وهدموا ولم يَلْقَهم أحد، ونزل على أنطاكية فقاتل أهلها أياما، ثم رحل عنها إلى شَيْزَر.

وسار بشارة إلى دمشق، فنزلها لِلنّصف من شوال على أنه قد وَلِى البلد، فأقبل إليه جيش فنزل ظاهر المزة لسبعٍ بقين من ذى القعدة، وقد هجم الشتاء، فوافى الكتاب من مصر بعزل بشارة عن دمشق وولايته طبرية، واستقرار جيش على ولاية دمشق، فدخلها واستقر بها.

وفى شهر رمضان: صلى الحاكم بجامع القاهرة بالناس بعدما خطب وعليه رداء، وهو متقلد سيفا وبيده قضيب، وزُرِر عليه جلال القبة لما خطب، وقال خطبة مختصرة

---

(١) نسبة إلى بجاوة، وهى أرض بالنوبة. انظر: معجم البلدان (بجاوة).

(٢) مرعش: من ثغور أرمينية، وبينها وبين زبطرة تسعة فراسخ، وهى مدينة حصينة عليها سور من حجارة. فتحها خالد بن الوليد رضى الله عنه. انظر: الروض المعطار ٥٤١، ٥٤٢، ومعجم البلدان (مرعش).

Marfat.com

سمعها من قرُب منه. وهى أول جمعة صلاّها، ثم صلى جمعة أخرى، وصلى صلاة عيد الفطر فى المصلّى، وخطب على الرسم المعتاد، وحضر السماط.

وأُحضرت امرأة من الشام فى علبة طولها ذراع واحد من غير زيادة، وافت من خراسان، ومعها أخ لها فى قد الرجال، فأُنزِلت بالقصر وأُقيم لها ولمن معها الأَنْزال، وكانوا عدة، وقُطع لها فى وقت واحد مائة ثوب مثقل وحرير. وكانت مليحة الكلام نظيفة، ولبثت بضعة وثلاثين يوما وماتت، فكانت لها جنازة عظيمة.

وسارت قافلة الحاج فى ثالث عشر ذى القعدة بالكسوة والصِّلاتِ على العادة. وصلّى الحاكم يوم عيد النحر بالمصلّى وخطب.

ووصل خود من قِبَل جيش بن الصمصامة فى عشرى ذى القعدة ومعه عدة أسارى ورءوس كثيرة، فطِيفَ بهم فى البلد، ثم عُفى عن الأسرى وأُطلقوا.

سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة

فى حادى عشر المحرم: ورد سابقُ الحاج فأَخبر أن عدن احترقت كلها وتلف فيها من المال ما لا يعرف له قيمة لكثرته.

وفى ليلة الرابع من صفر: مات قاضى القضاة محمد بن النعمان، فركب الحاكم وصلى عليه وله من العمر تسع وأربعون سنة إلا يوماً، ومولدُه لثلاثٍ خلون من صفر سنة أربعين وثلاثمائة، وكانت مدةُ ولايته القضاء بمصر وأعمالها أربع عشرة سنة وستة أشهر وعشرة أيام. ودُفن بداره ثم نقل إلى القرافة، وقيدت دوابه إلى الاصطبل. وترك عليه دينًا للأيتام وغيرهم عشرين ألف دينار، وقيل: ستّة وثلاثين ألف دينار، فبعث برجوان كاتبه أبا العلاء فهد بن إبراهيم فختم على جميع ما ترك القاضى، ولم يمكن ورثته من شىء، وباع ذلك كله. وطالب الأمناء والعدول بأموال اليتامى المتبقية عليهم فى ديوان القضاء، فزعموا أن القاضى قبضها، وأقام بعضُهم بينة على ذلك وعجز بعضهم، فأُغرم من لم يُقم بينة ما ثبت عليه. فاجتمع من البيع والأمناء ثمانية عشر ألف دينار، أخذها الغرماءُ بحق النصف مما لهم. وأمر الحاكم ألاّ يُودَع عند عدل ولا أمين شىء من أموال اليتامى، وأن يكْتَرُوا مخزنا فى زقاق القناديل وتودع فيه أموال اليتامى، فإذا أرادوا دفع أموال اليتامى حضر أربعة من ثقات القاضى، وجاءَ كل أمين فأطلق لمن يلى عليه رزقه بعد مشورة القاضى فى ذلك، فكتب على الأمين وثيقة بما يقبضه من المال لمن يلى عليه.

ورجم فى ولايته رجلا زنى فى ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة. وكان

Marfat.com

أكثر أيامه عليلا بالنقرس والقولنج (١)، وكان برجوان، على كلالته يعوده إذا مرض فمن دونه. وكان يكاتَب بقاضى القضاة. وعلت منزلته حتى جاز حد القضاة، وكانت النعمة تليق به، وعم إحسانُه سائر أصحابه وأتباعه. وكان حَسَن الخلق، ندِىَّ الوجه، فاخر الزى يلبس الدراعة والعمامة بغير طيلسان (٢)، كثير الاستعمال للطِّيب والبخور فى مجلسه، وإن أَعْطَى أعطى كثيرًا وافرًا.

ولما مرض رأى كأن الحق تعالى نزل من السماء، فلما بلغ باب داره مات، فقال له ابن قدير عابر الرؤيا: موت الحق إبطاله، والله هو الحق، ولا يزال الحق حيًّا حتى يصير إلى بابك فيموت، فمات هو بعد ذلك بقليل.

ومن شعره:

أيا مُشْبهَ البدر بدر السماء ... لسبعٍ وخمسٍ مضت واثنتين
ويا كامل الحسن فى نَعْتِه ... شغلت فؤادى وأَنْهَرتَ عينى
فهل لى من مَطْمع أرْتجيه ... وإلا انصرفتُ بخفَّىْ حُنين
ويشمت بى شامت فى هواك ... [.....] (٣) صفر اليَدَيْن
فإما مننتَ وإمّا قتلتَ ... فأنت القديرُ على الحالتين

ومنه:

تأمل لذى الدنيا، تجدها مشُوبة ... سرورا بحزن فى تقلب أحوال
وقد قُسمت أشياؤها بين أهلها ... فمالٌ بِلا أمنٍ، وأمنٌ بلا مال

وأقامت البلد بعد موته تسع عشرة ليلة بغير قاض.

وفى ثالث عشر منه: استدعى برجوان أبا عبد الله الحسين بن على بن النعمان، إلى حضرة الحاكم بأمر الله، وأضعف له أرزاق عمه وصِلاتِه وإقطاعاته، وقال له: قد أرحت عليه، فلا تُوجد لى سبيلا إليه بتعرُّضِك لدرهم من أموال المسلمين فقد أغنَيْتُك عنها. ثم خلع عليه ثيابا بيضا ورداءً محشى مذهبا وعمامة مذهبة، وقلّده سيفا وحمله على بغلة، وقاد بين يديه بغلتين بسروجهما ولُجُمهما، وحمل معه ثيابا كثيرة صحاحا، ورد إليه القضاءَ بمصر وأعمالها، ولم يَظُن ذلك أحد لضعف حاله - وكان الناس يتخيلون ولاية عبد العزيز بن محمد بن النعمان بعد أبيه لأنه كان يخلُف أباه، فنزل إلى الجامع العتيق، وقرئ سجلُّه على منبره. فنظر بين الناس، وأوقف شهادة جماعة من

(١) مرض يصيب الأمعاء وقد يؤدى إلى انسدادها فترة، ويعسر مع هذا المرض خروج الثقل والريح.
(٢) لباس يختص به العلماء.
(٣) بياض فى الأصل.

Marfat.com

الشهود، وندب أربعة لكشف أحوال الشهود، وألزم وُلاة أُمور الأيتام برفع حسابهم. وطالب عبد العزيز بن النعمان (١) بما على أبيه من أموال الأيتام. وجعل موضعا بزقاق القناديل يكون مودعا لأموال الأيتام،، وجعل خمسة من الشهود يضبطون ما يرد وما يخرج منه بحُجَج يكتب فيها خطوطهم؛ فاستُحْسِن ذلك من فِعْله. وهو أول من اتخذ مودعا للأيتام من القضاة.

واستخلف بمصر أبا عبد الله الحسين بن محمد بن طاهر، وبالقاهرة أبا الحسن مالك ابن سعيد الفَارِقى (٢)، وعلى العَرْض والنظر بين المتحاكمين، إذا غاب، الحسن بن طاهر وأبا العباس أحمد بن محمد بن عُبَيْد الله بن العوام (٣) واستكتب أبا طاهر زيد بن أحمد بن السندى وأبا القاسم على بن عبد الرزاق، وجعل إلى أخيه أبى النعمان المنذر ابن على النظر فى العيار ودار الضرب واستخلف على الإسكندرية وأعمالها.

وقوى أمره، وتشدد فى الأحكام، وقبل شهادة من أوقف شهادته وعزل آخرين، واتخذ حاجبا. وتولّى أمر الدعوة وقراءَة ما يُقرأ فى القصر من مجالس الدعوة وكُتبها، وعلت منزلته.

وفى خامس عشرِى صفر: وصل حاج البيت وصلى الحاكم فى رمضان بالناس جمعتين، وخطب وصلى صلاة عيد الفطر، وخطب، وأصعد القاضى معه فى جماعة، وجلس على السماط.

وسارت قافلة الحج أول ذى القعدة بالكسوة والصِّلات على العادة. وصلى الحاكم

---

(١) عبد العزيز محمد بن النعمان بن حيون، أبو القاسم: قاضى القضاة بمصر والشام والحرمين والمغرب، من علماء الإمامية الباطنية ومن رجال الدولة الفاطمية العبيدية، أصله من القيروان. نشأ بمصر وولى القضاء سنة ٣٩٤هـ وأضيف إليه النظر فى المظالم، وعظمت مكانته عند الحاكم صاحب مصر والمغرب، ثم عزله سنة ٣٩٩هـ، وقتله غيلة. انظر: ملحق الولاة والقضاة ٥٩٩-٦٠٣، وابن خلكان ١٦٩/٢، والأعلام ٢٥/٤.

(٢) مالك بن سعيد بن مالك الفارقى، أبو الحسن: من قضاة الديار المصرية، ولاه الحاكم العبيدى بعد عزل عبد العزيز بن محمد سنة ٣٩٨هـ وخلع عليه. ثم أضيف إليه النظر فى المظالم سنة ٤٠١هـ وعلت منزلته عند الحاكم حتى صار يجالسه ويسامره. استمر فى القضاء ست سنين وتسعة أشهر. انظر: الولاة والقضاة ٦٠٣- ٦٠٨، والأعلام ٢٦٢/٥.

(٣) أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبى العوام السعدى، أبو العباس: قاضى مصر وبرقة وصقلية والشام والحرمين من فقهاء الحنابلة. مصرى ولى القضاة فى أيام الحاكم بأمر الله، بمصر، سنة ٤٠٥هـ ثبت فى القضاة إلى أن توفى. له مصنف حافل فى « مناقب أبى حنيفة وأصحابه». انظر: الولاة والقضاة ٤٩٦و ٦١، ورفع الإصر ١٠٦/١/١، والأعلام ٦١١/١.

صلاة عيد النحر وخطب على الرسم، وأجرى الناس فى أضاحيهم على عوائدهم. وعمل عيد الغدير على العادة، وطاف الناس بالقصر على رسمهم.

سنة تسعين وثلاثمائة

فى أول يوم المحرم: ظهر الحاكم ودخل الناس فهنئوه بالعام.

كان سعر الخبز ستة عشر رطلاً بدرهم. وسقط اصطبل فهد بن إبراهيم فمات له نحو ستين بغلة.

وفى حادى عشر صفر: وصلت قافلة الحاج من غير أن يدخلوا إلى المدينة النبوية.

وفى سادس عشر من ربيع الآخر: أنْهَد الحاكم إلى برجوان عشية يستدعيه للركوب معه إلى المقس [1]، فجاء بعد بطء وقد ضاق الوقت إلى القصر، ودخل بالموكب ورؤساء الدولة والكتاب إلى الباب الذى يخرج منه الحاكم إلى المقس؛ فلم يكن بأسرع من خروج عقيق الخادم وهو يصيح: قُتِل مولاى، وكان عقيقًا عينًا لبرجوان فى القصر وقد جعله على خزاناته الخاصة، فاضطرب الناس وبادَرُوا إلى باب القصر الكبير فوقفوا عنده، وأشرف عليهم الحاكم وقام زيدان، صاحب المظلة، فصاح بهم: من كان فى الطاعة فلينصرف إلى منزله ويبكر إلى القصر المعمور، فانصرف الجميع. وكان قتل برجوان فى بستان يعرف بدويرة التين والعناب كان الحاكم فيه مع زيدان فجاء برجوان ووقف مع زيدان، فسار الحاكم حتى خرج من باب الدويرة، فعاجل زيدان وضرب برجوان بسكين كانت فى خُفِّه، وابْتَدَره قوم، وقد أعدوا له السكاكين والخناجر، فقتل مكانه، وحُزَّت رأسُه وطُرح عليه حائط.

وسبب ذلك أن برجوان لما بلغ النهاية قصَّر فى الخدمة، واستقل بلذّاته وأقبل على سماع الغناء، وكان كثير الطرب شديد الشغف به، فكان يَجمع المغنين من الرجال والنِّساء بداره فيكون معهم كأحدهم، ولا يخرج من داره حتى يمضى صَدرٌ من النهار ويتكامل الناس على بابه، فيركب إلى القصر، ولا يُمضى إلا ما يختارُ من غير مشاورة؛ فلما استبد بالأمر تجرد الحاكم للنظر.

وكان برجوان من استبداده يُكثر منَ الدَّالّة على الحاكم، فحقد عليه أُمورًا، منها أنه قال بعد قَتله إنه كان سيئ الأدب جدا، والله إنى لأذكر وقد استدعيته يوما ونحن رُكْبان فصار إلىّ ورجلُه على عنق دابته وبَطْنُ خُفه قبالَة وجهى، فشاغلته بالحديث ولم أُرِه فكرة فى ذلك. وغير ذلك مما يطول شرحه.

---

(١) كان ميناء القاهرة فى تلك الفترة ومكانه بالقرب من حديقة الأزبكية.

Marfat.com

وأَنْهد الحاكم بعد قتل برجوان فأَحضر كاتبه فهد بن إبراهيم فى الليل وأَمَّنه، وقال: أنت كاتبى وصاحبُك عبدى، وهو كان الواسطة بينى وبينك؛ وجرت منه أشياء أَنكرتُها عليه فجازيته عليها بما استوجبه؛ فكن أَنت على رَسْمِك فى كتابتك آمنًا على نفسك ومالك.

فكانت مدة نظر برجوان سنتين وثمانية أَشهر غير يوم واحد. وبرجوان بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وفتح الجيم والواو وبعد الألف نون.

وبكر الناس إلى القصر فوقفوا بالباب، ونزل القائد أبو عبد الله الحسين بن جوهر القائد وحده إلى القصر وأُذِن للناس، فدخلوا إلى الحضرة، وخرج الحاكم على فرسٍ أَشقر، فَوقف فى صحن القصر قائمًا، وزيدان عن يمينه وأَبو القاسم الفارقى عن يساره، والناس قيام بين يديه؛ فقال لهم بنفسه من غير واسطة: إن برجوان عبدى، استخدمتُه فنصح فأَحسنت إليه؛ ثم أَساءَ فى أَشياء عملها فقتلتُه؛ والآن فأَنتم شيوخ دولتى - وأَشار إلى كتامة - وأنتم عندى الآن أَفضل مما كنتم فيه مما تقدم. والتفت إلى الأتراك وقال لهم: أَنتم تربية العزيز بالله وفى مقام الأَولاد، وما لكل أَحد عندى إلا ما يؤثِرُه ويحبه، فكونوا على رسومكم، وامضوا إلى منازلكم، وخُذُوا على أَيدى سفهائكم. فدعَوا جميعا وقبَّلوا الأَرض، وانصرفوا.

وأمر بكتابة سجل أَنشأَه أَبو منصور بن سُورين كأَتب الإنشاء، قُرِئ بسائر الجوامع فى مصر والقاهرة والجيزة والجزيرة [1]، نصُّه بعد البسملة.

«من عبد الله ووليه، المنصور أَبى على، الإمام الحاكم بأمر الله، أَمير المؤمنين، إلى سائر من شهد الصلاة الجامعة فى مساجد القاهرة المعزية ومصر والجزيرة: سلام عليكم معاشر المسلمين المصلين فى يومنا هذا فى الجوامع، وسائر الناس كافة أَجمعين، فإن أَمير المؤمنين حمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو، ويسأَله أَن يصلى على جده محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى أَهل بيته الطاهرين أَما بعد؛ فالحمد لله الذى قال، وقوله الحق المبين: ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** ﴾[2] يحمده أَمير المؤمنين على ما أَعطاه من خلافته، وجعل إليه فيها دون بريّته من الضَبط والقبض، والإبرام والنقض، معاشر الناس، إن برجوان كان فيما مضى عبدًا ناصحا، أَرضى أَمير المؤمنين حينا، فاستخدمه كما يشاء فيما يشاء، وفعل به ما شاء كما سبق فى العلوم وجاز عليه فى المختوم. قال

---

(١) المراد جزيرة الروضة.

(٢) سورة الأنبياء: الآيتان ٢٢-٢٣.

Marfat.com

الله عزَّ وجل: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِه لَبَغَوا فى الأَرْضِ وَلكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾[1] كان أمير المؤمنين قد ملّكه، فلما أساءَ ألْبَسه النقم، لقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنهُمْ﴾[2] وقوله عزَّ وجلّ: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾[3] فحظره أمير المؤمنين عما صبا إليه، ونزعه ما كان فيه؛ وتمت مشيئة الله عزَّ وجلّ، ونفذ قضاؤه وتقديره فيه: ﴿وَكَانَ ذَلِكَ فى الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾[4] فأقبلُوا معاشر التجّار والرعية على معايشكم واشتغلوا بأشغالكم، فهو أعْوَد لشأنكم؛ ولا تَطْغَوا فى أمر أنفسكم، فلأمير المؤمنين الرأى فيه وفيكم فمن كانت له منكم مطالبة أو حاجة فلْيَمْضِ إلى أمير المؤمنين بها، فإنه مباشر ذلك لكم بنفسه، وبابه مفتوح بينكم وبينه: ﴿وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾[5] وأنتم رعايا أمير المؤمنين المفتّحة لها أبواب عدله وإحسانه وفضله. والله يريده ويعتمده من الخير لمن أطاعه من الأنام، والحماية لحمى الإسلام؛ «عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ» والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وكتب يوم الجمعة لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسعين وثلاثمائة. وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطّيبين الأخيار وسلم تسليمًا».

وكتبت سجلات على نسخة واحدة، وأُنْفِذت إلى سائر النواحى والأعمال.

ولثلاثٍ خلون من جمادى الأولى: خُلع على القائد الحسين بن جوهر ديباج أحمر، ومنديل أزرق مذهب، وتقلد سيفا عليه ذهب، وحُمل على فرس بسرج ولجام ذهب، وبين يديه ثلاثة أفراس بمراكبها، وخمسون ثوبا من كل فن. ورد إليه الحاكم التوقيعات والنظر فى أمور الناس وتدبير المملكة وإنصاف المظلوم وخُلع على فهد بن إبراهيم، وحمل على بغلة وبين يديه بغلة أخرى وعشرون ثوبا، فانصرف القائد، وخلفه فهد وسائر الناس بين يديه، إلى داره. وتقدم إلى فهد بالتوقيعات فى رقاع الرافعين على رسمه، وأن يعاضد القائد حسينا فى النظر ويعاونه ويخلفه إذا غاب، فكان القائد يبكر إلى القصر ومعه الرئيس فهد، فينظران فى أمور الناس وينهيان الأمور إلى الحاكم، والقائد متقدم وفهد يتبعه، فإذا دخلا إلى حضرة الحاكم جلس القائد وقام خلفه فيعرضان الكتب والرقاع عليه.

---

(١) سورة الشورى: آية ٢٧.

(٢) سورة الزخرف: آية ٥٥.

(٣) سورة العلق: الآيتان ٦-٧.

(٤) سورة الإسراء: آية ٥٨.

Marfat.com

وأمر القائد ألا يلقاه أحد من الناس على طريق ولا يركب إليه إلى داره أحد لقضاء حقٍ ولا سؤال فى مصلحة، ومن كان له حاجة يلقاه فى القصر ونهى الناس أن يخاطبوه فى الرقاع التى تكتب إليه بسيدنا ومولانا، ولا يخاطبونه ويكاتبونه إلا بالقائد فقط، ولا يخاطب فهد ويكاتب إلا بالرئيس فقط.

وحمل فهد إلى الحاكم هدية، منها ثلاثون بغلة بألوان من الأجِلّة، وعشرون فرسا منها عشرة مسرجة ملجمة وعشرة بجلال ملونة، وعشرون ألف دينار، وسفط فيه حلة دبيقية(١) مذهبة لم يُرَ مثلُها، ودرج فيه جوهر، وأسفاط كثيرة فيها البز الرفيع، وخزانة مدهونة. وأمر أبو جعفر محمد بن حسين بن مهذب، صاحب بيت المال، بإحضار تركة برجوان فوجد فيها مائة منديل شرب ملونةٍ معمَّمةٌ كلُّها على مائة شاشية (٢)، وألف سروال دبيقي بألف تكة حرير أرمنى، ومن الثياب المخيطة والصِّحاح والحلى والمصاغ والطيب والفُرُش ما لا يحصى كثرة، ومن العين ثلاثة وثلاثون ألف دينار، ومائة وخمسون فرسا لركابه، وخمسون بغلة، وثلاثمائة رأس من بغال ودواب الغلمان، ومائة وخمسون سرجا منها عشرون من ذهب، ومن الكتب شيء كثير.

ولما ركب القائد حسين رأى جماعة من قواد الأتراك قياما على الطريق ينتظرونه فوقف وقال: كلنا عبيد مولانا - صلوات الله عليه - ومماليكه، وليس والله أبرح من موضعى أو تنصرفوا عنى، ولا يلقانى أحد إلا فى القصر، فانصرفوا وأقام خدما من الصقالبة بنوب على الطريق يمنعون الناس من المسير إلى داره ومن لقائه إلا فى القصر؛ وجلس فى موضع رسم له بالجلوس فيه.

وتقدم حسين بن جوهر إلى أبى الفتوح مسعود الصقلبى صاحب الستر بأن يوصل الناس بأسرهم إلى الحاكم ولا يمنع أحدا، وأن يعرف رسم كل من يحضر ومن يجلس للتوقيع إذا وقع له، فدخل الناس ليأخذ رقاعهم وقصصهم، ووقع فيها، والحاكم فى مكانه جالس يدخل إليه أرباب الحوائج ويشاور فى الأمور المهمة.

ووصل إلى الحاكم جماعة ممن كان يدخل فى الليل إلى العزيز، وأُمِروا بملازمة القصر وقت جلوسه ودوام الجلوس بالعشايا؛ فدخل أول ليلة، وهى ليلة الأربعاء سابع جمادى الأولى، القائد حسين والقائد فضل بن صالح (٣) والحسين بن الحسن البازيار فجلس

(٥) سورة البقرة: آية ١٠٥.

(١) نسبة إلى مدينة دبيق، وهى بليدة كانت بين الفرما وتنيس من أعمال مصر، وتنسب إليها الثياب الدبيقية. انظر: معجم البلدان (دبيق).

(٢) ما يلبس على الرأس دون عمامة.

(٣) فضل بن صالح الوزيرى: قائد، من أعيان الدولة الفاطمية بمصر، ولى المحاسبة للحاكم بأمر الله-

حسين بن جوهر من اليمين، وإلى جانبه فضل بن صالح ودونه ابن البازيار، وبعده أبو الحسن على بن إبراهيم النرسى، ويليه القاضى عبد العزيز بن محمد بن النعمان؛ وجلس من اليسار رجاء ومسعود ابنا أبى الحسين، ودونهما أبو الفتح منصور بن مشعر الطبيب، وأبو الحسين بن المغربى الكاتب وأخوه. ووقف عنده عدة من الأقارب وجماعة من القواد، منهم مَنْجُوتكين وغيره، ثم دخل بعد ذلك جماعة منهم ابن طاهر الوزان، فجرى الرسم على ذلك إلى اثنى عشر جمادى الآخرة. ثم صار السلام يخرج فينصرفون إلا ابن البازيار وابن عشر الطبيب وعبد الأعلى بن هاشم من القرابة، فإنهم يجلسون فربما أطالوا الجلوس وربما خدموا.

وركب الحاكم عدة مرار إلى ناحية سردوس[1] وإلى بركة الجب وإلى عين شمس وحلوان[2] للصيد وغيره.

وفى سابع عشرى جمادى الآخرة: قرئ سجل على سائر منابر المساجد الجامعة بأن يلقب القائد حسين بن جوهر بقائد القواد. وخُلِع على جابر بن منصور الجودرى جبة مثقلة ومنديل بذهب، وحُمِل بين يديه ثياب كثيرة وقُلِّد بسيف، وندب ناظرا فى السواحل والحسبة بمصر.

وأما الشام فإن جيش بن الصمصامة لما استقر بدمشق، وقد خرب البلد وضعُف وقل ناسُه وطمعت رعيته، فكان فيهم جهال يأخذون الْخِفَارة ويَطْمَعون فى أموال

=مدة، ثم قتله الحاكم. انظر: الإشارة إلى من نال الوزارة ٢٥، والأعلام ١٤٩/٥.

(١) سَرْدُوسُ: قال ابن عبد الحكم: كانت خلجان مصر سبعة على جوانبها الجنات، منها خليج سردوس، قال عمرو بن العاص: استعمل فرعونُ هامانَ على حفر خليج سردوس، فلمّا ابتدأ حفره أتاه أهل كل قرية يسألونه أن يجرى الخليج تحت قريتهم ويعطونه مالاً، فكان يذهب إلى هذه القرية من نحو المشرق ثم يردّه إلى قرية من نحو دبر القبلة ثم يرده إلى قرية فى المغرب ثم يردّه إلى قرية فى القبلة ويأخذ من كل قرية مالاً حتى احتمع له فى ذلك مائة ألف دينار فأتَى بذلك يحمله إلى فرعون، فسأله فرعون عن ذلك فأخبره بما فعل فى حفره، فقال له فرعون: ويحك إنه ينبغى للسيّد أن يعطف على عباده ويفيض عليهم ولا يرغب فيما فى أيديهم، رُدّ عليهم أموالهم، فرد على أهل كل قرية ما أخذ منهم جميعه، فلا يُعْلَم فى مصر خليج أكثر عطوفًا من سردوس لما فعله هامان فى حفره.
وقال ابن زولاق: لما فرغ هامان من حفر خليج سردوس سأله فرعون عمّا أنفقه عليه فقال: أنفقت عليه مائة ألف دينار أعطانيها أهل القرى، فقال له: ما أحوجك إلى من يضرب عنقك، آخذ من عبيدى مالاً على منافعهم! رُدّها عليهم، ففعل. انظر: معجم البلدان (خليج سردوس).

(٢) حلوان: من أعمال مصر، بينها وبين الفسطاط نحو فرسخين من جهة الصعيد مشرفة على النيل. انظر: معجم البلدان (حلوان). وفى الروض المعطار اكتفى أن يذكرها بعد مدينة حلوان التى بالعراق وقال: وفى مصر حلوان أيضًا، وهو فوق الفسطاط. انظر: الروض المعطار ١٩٦.

Marfat.com

أهل السلامة، فصارت لهم أموالٌ وخيول ومشى بين أيديهم الرجال، وقويت نفوسهم، وصاروا يوالون خروجهم مع جيشٍ فى وقائع الروم، فأمدهم جيش بالأرزاق فاطمأنوا إليه. ثم إنه رتب جماعة وقبض على المذكورين وقيدهم، وأمر بهم فحبسوا، وأفاض عليهم العذاب حتى سلبهم جميع أموالهم، وتتبَّع من استتر منهم فضرب أعناقهم وصلبهم على أبواب البلد فلم يبق منهم أحد.

فلما خلا له البلد من حُمال السلاح طمع فى أهل القرى، فعم كثيرا من الناس البلاء منه، وشمل أهل المدينة والقرى ضررُه، حتى غلق أكثر الأسواق، وضج الناس إلى الله بالدعاء وهو يَعِدهُم بحريق البلد وبذل السيف فيهم، فهرب كثير من الناس عن البلد.

ووصل الخبر بقدوم عسكر الروم، فأخذ جيشٌ فى جمع العرب؛ ونزل ملك الروم على شَيْزَر وفيها عسكر من قِبَل الحاكم، فقاتلهم حتى ملكهم بأمان. ونزلت العرب الذين جمعهم جيش فيما بين حَرَسْتَا[1] والْقَابُول[2]، وانتقل الروم من شَيْزَر إلى حمص فأخذوها وسَبَوا أهلها وأحرقوا ما فيها؛ وذلك فى ذى الحجة سنة تسع وثمانين، وهى دخلة الروم الثالثة إلى حمص، فأقاموا بها وقد اشتد البرد وغلت عليهم الأسعار حتى بيعت العليقة عندهم بدينار فرحلوا، وقد مات أكثر دَوَابهم، إلى طرابلس، فنزلوا عليها وهم فى ضيق، ثم رحلوا عنها إلى مَيافَارِقِين وآمد[3]، وهادَنوهم. ثم ساروا إلى أرمينية[4].

وزاد جَوْرُ جيش وأسرَف فى الظلم، وكان به طرفٌ جذام فاشتد به، وسقط شعر بدنه، ورشح جسمه واسود حتى انمحت سِحْنَةُ وجهه وزاد وأروح سائر بدنه؛ فكان

---

(١) حرستا: قرية كبيرة عامرة وسط بساتين دمشق على طريق حمص بينها وبين دمشق أكثر من فراسخ. انظر: معجم البلدان (حرستا).

(٢) القابول: مدينة تبعد عن دمشق ميلا واحدا فى طريق القاصد إلى العراق. انظر: معجم البلدان (القابول).

(٣) آمد: مدينة من كور الجزيرة من أعمال الموصل والجزيرة ما بين دحلة والموصل، وآمد بمقربة من ميافارقين. فتحها عياض بن غنم بعد مقتل على، وهى مدينة كبيرة حصينة على جبل فى غربى دحلة وهى كثيرة الشجر، وعليها سور بحجارة الأرحى السوداء، وبينها وبين ميافارقين مرحلتان. انظر: الروض المعطار ٣، ٤، ٥، وابن الفقيه ٦٧، ١٣٤.

(٤) أرمينية: بكسر أوله وإسكان ثانيه بلد معروف يضم كورًا كثيرة، سميت بكون الأرمن فيها، وهى أمة كالروم وغيرها فتحت فى زمان عثمان رضى الله عنه، فتحها سلمان بن ربيعة الباهلى سنة أربع وعشرين، وأرمينية من الثغور الجزرية، وقيل سميت أرمينية باسم أرمين قومس ياشور الملك فسمى البلد باسمه وسميت المراحل باسم بنيه: أردبيل، وورثان، ودبيل، وبيلقن بنى أرمين. انظر: الروض المعطار ٢٥، ٢٦، ومعجم البلدان (أرمينية).

Marfat.com

يصيح ويْحَكم! اقتلونى، أَريحونى! إلى أَن هلك يوم الأحد لسبع خلَوْن من ربيع الآخر، فكان مقامه بدمشق ستة أشهر وستة عشر يوما ووصل ابنه أَبو عبد الله بتركته إلى القاهرة فخلع عليه الحاكم وحمله. ورفع زيدان إلى الحاكم دَرْجًا بخط جيش وفيه وصيةُ وثبتٌ بما خلّف مفصَّلا مشروحا، وأَن ذلك جميعه لأمير المؤمنين الحاكم بأَمر الله لا يستحق أحد من أَولاده منه درهما، وكان ذلك يبلغ نحو مائتى أَلف دينار، ما بين عين ورحْل ومتاع. وقد قال فيه جيش: لو زَيْدَان يتسلم ذلك فإنه على بغال تحت القصر بظاهر القاهرة، فأخذ الحاكم الدَّرْج وأَوصله لابْنَىْ جيش، وخلع عليهما، وقال لهما بحضرة أَولياء الدولة ووجوهها: قد وقفت على وصية أَبيكما، رحمه الله، من عين ومتاع فيما وصى به، فخذوه هنيئًا مباركًا لكما فيه، فانْصَرَفا بجميع التركة.

وأَقطعت سيدة الملك على عبرة [1] سنة تسع وثمانين الخراجية إقطاعا مبلغه مائة أَلف دينار، منها ضياع فى الصعيد وأَسفل الأَرض ثمانية وستون أَلفا وأَربعمائة وخمسون دينارا؛ منها بوتيج ستة آلاف وسبعمائة وخمسون دينارا، وصهرشت [2] سبعة عشر أَلف دينار، ودمنهور خمسة آلاف دينار؛ وباقى ذلك، وهو أَحد وثلاثون أَلف دينار وخمسمائة وخمسون دينارًا، من دُورٍ وبساتين ورسوم.

وأَما المغرب فإن الأستاذ برجوان لما وَلِى تدبير الدولة ثقل عليه أَبو الحسن يانس الصقلبى العزيزى، فإنه كان ينافسه فى الرئاسة، فتحيَّل حتى أُخرجه إلى برقة كما تقدم، فتوالت كتب تَموُصَلت بكار يسأَله أَن يأْتيه أَحد ليسلمه مدينة أَطرابلس، وتقدم إلى الحضرة، فقصد برجوان إبعاد يانس، فكتب إليه حتى سار إليها وقَدم إليها للنصف من جمادى الأُولى سنة سبعين، فسلّمه تَمُوصَلت البلد ومضى إلى القاهرة وقد تأَخر أَكثر عسكره مع يانس، فاختلفوا مع أَصحابه حتى اقتتلوا وخرجوا أَقبح خروج إلى إفريقية، وشكوا ما نزل بهم إلى نصير الدولة أَبى مناد باديس فبعث القائد جعفر بن حبيب على عسكر، فقاتل يانس، فقُتِل فى رابع ذى القعدة. وبادر فتوح بن على بن عِقيَان من أَصحاب يانس إلى أَطرابُلس، فدخلها، وانضم إليه بقية أَصحابه وقاتل بها جعفر بن حبيب سنة إحدى وتسعين، واستمد الحاكمَ، فأَمده بيحيى بن على بن الأَندلسى على عسكر، فاختلف عليه أَصحابُه وعاد أَقبح عَوْدٍ إلى القاهرة، فأَراد الحاكم قتله، فأَظهر كتاب زيدان صاحب المظلة بخطه أَن يدفع إليه المال من برقة، وأَنه

---

(١) أى خراج السنة.

(٢) من أعمال أسيوط، ويطلق عليها الآن أبو تيج. ولعل المقصود صهرجت وهى اثنتان: الأولى بمركز ميت غمر على الشاطئ الشرقى لترعة الساحل، والثانية بمركز منية سمنود فى الجنوب الشرقى لناحية بشلا بنحو ألف قصبة.

Marfat.com

قبض ذلك من مال الحضرة، فلم يجد ببرقة مالاً ينفقه على العساكر، فقبل هذا العذر وقتل زيدان على ما فعل.

وكان مع يحيى بن على عند خروجه من المغرب جماعة من بنى قُرة، فكسروا عسكره ورجعوا إلى موضعهم، فبعث الحاكم يستدعيهم إلى القاهرة، فخافوا وامتنعوا، فأَعرض عنهم مدة ثم كتب إليهم أَمانا، فبعثوا رهائن منهم، فأَمرهم بالوصول إلى الإسكندرية ليقفوا على ما يأمرهم به، فحذِر أكثرُهم، وقدمت طائفة إلى الإسكندرية فقُتلوا وحُملت رءوسهم إلى القاهرة، وقتل من كان بها من رهائنهم، فنفرت عنه بنو قرة، وكان منهم ما يأتى ذكره من قيامهم مع أَبى ركوة.

وفى ثالث رجب: خلع على أَبى القاسم عبد العزيز بن محمد بن النعمان، ونزل إلى الجامع العتيق وبين يديه ثياب صِحَاح، وحمل على بغلتين مُسْرجتين مُلْجَمتين، وقرئ له سجل بالنظر فى المظالم وسماع البينة فيها.

وحُمل رَحْل برجوان إلى القصر على ثمانين حمارا. وقرئ سجلٌ بالقصر نصه بعد البسملة: «معاشر من يسمع هذا النداء من الناس أَجمعين: إن الله - وله الكبرياء والعظمة - أَوجب اختصاص الأئمة بما لا يشركها فيه أَحد من الأُمة، فمن أَقدم بعد قراءَة هذا المنشور على مخاطبةِ أَو مكاتبةٍ لغير الحضرة المقدسة بسيدنا أَو مولانا أَحَل أَميرُ المؤمنين دمه، فلْيُبلِّغ الشاهد الغائب إن شاء الله».

وأَفطر فى رمضان مع الحاكم جماعة رُتِّبوا عن يمينه ويساره، وصلى فيه جمعتين بالناس، وركب لفتح الخليج.

ووصل تموصلت بن بكار الأسود، عبد ابن زِيرِى [1]، وكان قد ولاّه طرابلس المغرب، فَجارَ على أَهلها وأَخذ منها مالا كثيرا وفر خوفا من مولاه، فسار من طرابلس المغرب، ومعه نيف وستون ولدًا ما بين ذكر وأُنثى، فى عسكر كبير، بعد أَن مر ببرقة، ودفع ليانس العزيزى متولِّيها ثلاثين أَلف دينار لخاصة نفقته، وأَنفق فى عسكره ورجاله مالا كثيرا، وسلّم إليه مخازن فيها العسل والسمن والقمح والشعير والزيت وغيره فجلس له الحاكم وأَجلسه، فكان من كلامه للحاكم: قد وصلت إلى حضرة مولانا بالأَهل والمال والولد ومعى ما يكفينى ويكفى عقب عقبى، ولكن الرجال الذين معى رجال مولانا، وهو يحسن إِليهم على ما يراه.

وأَهدى إلى الحاكم مائة أَلف دينار ومائة أَلف درهم، ونيفا وخمسين حملا من البز

---

(١) أبو مناد بن باديس، ناصر الدولة، من أسرة زيرى التى حكمت إفريقية والمغرب الأوسط.

والطرف، وثمانين فرسا منها أربعون بسُرُجها ولُجُمها، وأربعين بغلا، وخمسين بُختيا[1] بأكوارها، ومائتى جمل، فخلع عليه وعلى من حضر من أولاده، وسار إلى دارٍ قد أُعِدت له فيها خمس وثلاثون حجرة، فى كل حجرة آلاتها وفرشها؛ فبلغت النفقة على هذه الدار خمسة آلاف دينار.

وفى يوم عيد الفطر: صلى الحاكم بالناس بالمصلى، وخطب على اسمه، وأصعد ابن النعمان وعدة من القواد معه المنبر، فجلس على الدرج.

ولخمس خلون من شوال: أُذن لابن عمار فى الركوب إلى القصر، فركب ونزلَ حيث ينزل سائر الناس، وواصل الركوب إلى الرابع عشر منه، فأُحضر عشية إلى القصر، فجلس إلى بعد العشاء الآخرة ثم أُذن له فى الانصراف؛ فلما انصرف ابتدره جماعة من الأتراك قد أوقفوا لقتله، فقتلوا واحتزوا رأسه ودفنوه هنالك، ثم نقل إلى تربته بالقرافة، فكانت مدة حياته بعد عزله ثلاث سنين وشهرًا واحدًا وثمانية عشر يومًا.

وسارت قافلة الحاج لاثنتى عشرة خلت من ذى القعدة. وعزل خود عن الشرطة السفلى، وجُمِعت الشرطتان لمسعود الصقلى، فنزل بالخلع والطبول والبنود إلى الجامع العتيق حتى قرئ سجله على المنبر.

وفى ثالث ذى الحجة: أمر الناس بتعليق القناديل على سائر الحوانيت وأبْواب الدُّور كلِّها، وفى جميع المحال والسكك الشارعة وغير الشارعة، ففعلوا.

وصلى الحاكم صلاة عيد النحر بالمصلى، وخطب، ونحر فى القصر على رسمه، وجلس على السّماط. وكان الناس بين عبد العزيز بن النعمان وبين قاضى القضاة الحسين بن النعمان فى شرور ووباء؛ وذلك أن عبد العزيز قبل شهادة جماعة اختارهم، فكان مَنْ حاكم خصْمَه إلى الحسين اختار خصمُه بالمرافعة ابنى عبد العزيز وبالعكس. وكان عبد العزيز إذا جلس للنظر فى المظالم حضر شهوده عنده وسمع شهادتهم وأشهدهم فيما يقول ويُمْضى، ولا يحضر أحد منهم عند الحسين ولا يقرب داره، ويقيد الشهود القدماء يشهدون عنده، غير أنهم لا يحضرون مجلس عبد العزيز مواصلين لذلك ولا يركبون معه.

وفيها عقد ليانس الصقلى على ولاية أطرابلس[2] الغرب بعد موت المنصور بن

---

(١) هى الإبل الخراسانية.

(٢) تسمى مدينة إياس، وهى عاصمة ليبيا. انظر: معجم البلدان ٤/٢٥/٢٦.

Marfat.com

بُلُكّين[1]، فوصل إليها فى ألف وخمسمائة فارس وملكها، فبعث باديس بن جعفر بن حبيب على عسكر فلقيه على زنزوير، واقتتلا يومين، فانهزم عسكر يانس وقتل.

سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة

فى المحرم: واصل الحاكم الركوب فى اللّيل فى كل ليلة؛ وكان يركب إلى موضعٍ موضع وإلى شارعٍ شارع وإلى زقاقٍ زقاق. وأمر الناس بالوقيد[2]، فتزايدوا فيه بالشوارع والأزقة، وزُينت الأسواق والقياسر[3] بأنواع الزينة، وباعوا واشتروا، وأوقدوا الشموع الكبيرة طول الليل، وأنفقوا الأموال الكثيرة فى المآكل والمشارب والغناء واللهو. ومَنَع الرجالُ المشاةُ بين يدى الحاكم أن يقرب أحدٌ من الناس الحاكم، فزجرهم، وقال: لا تمنعوا أحدًا، فأحدق الناس به وأكثروا من الدعاء له. وزينت دار الصناعَة، وخرج سائر الناس بالليل للتفريج وغلب النساء الرجال على الخروج فى الليل، وتزايد الزحام فى الشوارع والطرقات، وتجاهروا بكثير من المسكرات، وأفرط الأمر من ليلة التاسع عشر إلى ليلة الرابع والعشرين فلما خرج الناس عن الحد أمر الحاكم ألا تخرج امرأة من العشاء، فإن ظهرت نكل بها.

ومنع الناس من الجلوس فى الحوانيت.

وهبت فى أول يوم من طوبة: سَمُومٌ لم يُعهد مثلها.

وورد سابق الحاج، ثم قدمت قافلة الحاج فى سادس عشر صفر.

وفى خامس ربيع الأول: أعتَق الحاكمُ زيدانَ، صاحب المظلة [4]، وأمر أن يكتب على مكاتباته من زيدان مولى أمير المؤمنين.

وخلع على القاضى حسين بن النعمان وقِيدَ بين يديه بغْلتان بسُروجهما ولُجمُهما، وحُمِل إليه عدة ثياب لحضوره العتاقة.

---

(١) المنصور بن بلكين (يوسف) بن زيرى بن مناد الصنهاجى، أبو الفتح، يرتفع نسبه إلى حمير: صاحب إفريقية. وليها بعد وفاة أبيه (سنة ٣٧٣هـ)، وجاءه من مصر تقليد العزيز بالله الفاطمى على إفريقية والمغرب. توفى قرب صبرة (المنصورية) المتصلة بالقيروان، ودفن بظاهرها. انظر: البيان المغرب ١/٢٣٩- ٢٤٧، والخلاصة النقية ٤٥، وخلاصة تاريخ تونس ٨٩، والأعلام ٢٩٨/٧.

(٢) المراد تزيين المدينة بإضاءة الأنوار.

(٣) المراد السوق.

(٤) هى قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب بأعلاها شكل طائر من فضة وقد يطلى بالذهب.

Marfat.com

وكثر وقود المصابيح فى الشوارع والطرقات، وأمر الناس بالاستكثار منها وبكَنْسِ الطرقات وحفر الموارد وتنظيفها.

وخلع على فتح، غلام ابن فلاح، وندب إلى الخروج على الأسطول.

وقبض على رجل شامى قال: لا أعرف على بن أبى طالب، وأقول: إن النبى ﷺ مرسل، غير أنى لا أعرف ابن أبى طالب، فحبس وروجع؛ فأصر على أنه لا يعرف عليًا؛ فرفق به القائد حسين فلم يعترف بمعرفة على رضى الله عنه، فخرج الأمر بقتله، فضرب عنقه وصلب.

وفى سادس عشر جمادى الآخرة: وصل رسول ملك الروم (١) فحشدت له العساكر من سائر الأعمال، ووقفوا صفين والحاكم واقفٌ ليراهم. وسار الرسول بين العساكر إلى باب الفتوح، ونزل، ومشى إلى القصر يقبل الأرض فى طول المسافة حتى وصل إلى حضرة الحاكم بالقصر، وقد فُرش إيوان القصر وعُلّق فيه تعاليق غريبة، يقال إنه أمر بتفتيش خزائن الفُرُش إلى أن وجَد فيها أحدًا وعشرين عِدْلا ذكرت السيدة رشيدَةُ بنت المعز أنها كانت فى قطار الفُرُش المحمولة من القيروان إلى مصر مَعَ المعزّ فى جملة أعدال، وأن كُتّاب خزائن الفُرُش وجدوا على بعضها مكتوبا الحادى والثلاثون والثلاثمائة من عمل العبيد، ديباج خز ومذهب، ففرش منه جميع الإيوان وسُتر جميع حيطانه بالتعاليق، فكان جميع أرضه وحيطانه رفيعًا دليلا على عظمته وسعته. وعُلّقت بصدر الإيوان العسجدة، وهى درقة مطعمة بفاخر الجوهر النفيس من كل أصنافه، فأضاءَ لها ما حوله، ووقعت عليها الشمس فلم تطق الأبصار تأمُلَها كلالا، فدخل الرسول وقبل الأرض، ودفع الكتب وعرض الهدية.

وأنفذ الحاكم لأبى الحسن على بن إبراهيم النرسى ألف دينار وأربعة وعشرين قطعة ثياب مختارة، وسُومِحَ بمبلغ ثلاثة آلاف دينار كانت عليه.

وجرى الرسم فى الفطر طول شهر رمضان على مائدة الحاكم كما تقدم.

ولما كثر النزاع بين عبد العزيز بن النعمان والقاضى حسين بن النعمان كتب الحاكم بخطه ورقة إلى الحسين، نصُّها بعد البسملة: « يا حسن أحسن الله عليك. اتّصل بنا ما جرى من شناعات العوام ومن لا خير فيه، وإرجافهم، وأنكرنا أن يجرى مثله فيمن يَحِل محلك من خدمتنا، إذ أنت قاضينا وداعينا وثقتنا. ونحن نتقدم بما يزيل ذلك، ولم نجعل لأحد غيرك نظرًا فى شىء من القضايا والحكم، ولا فى شىء مما استخدمناك فيه، ولا

---

(١) كان ملك الروم فى هذه السنة هو الإمبراطور باسيل الثانى.

Marfat.com

مكاتبة أحد من خلفائك بالحضرة وغيرها وسائر النواحى، ولا أن نكاتب أحدا منهم غيرك؛ ومن تسمى غيرك بالقضاء فذلك على المجاز فى اللفظ لا على الحقيقة. وقد منعنا غيرك أن يسجل فى شىء فيتقدم إلى جميع الشهود والعدول بألاّ يشهدوا فى سجل لأحد سوالك. وإن تشاجر خصمان فدُعى أحدهما إليك ودُعى الآخر إلى غيرك كان الداعى إلى غيرك عليه الرجوع إليك طائعا مكرها، فَاجْرِ على ما أنت عليه من تنفيذ القضايا والأحكام مستعينا بالله عز وجل، ثم بنا، ولك من جميل رأينا فيك ما يسعدك فى الدنيا والآخرة. وقد أذِنّا لك أن يكاتِب جميعُ من يكاتب القاضى بقاضى القضاة كما جعلناك، وتكاتِب من تكاتبه بذلك وتكتب به فى سجلاتك، فاعلم ذلك، وأشهِرْ أمرنا بجميع ما يقتضيه هذا التوقيع لِيُمْتثل ولا يتجاوز. وفّقَك الله لرضاه ورضانا، وأيدكَ على ذلك وأعانك عليه إن شاءَ الله تعالى. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما».

فقرأه القاضى على سائر الشهود، وأمر أن يكتب فى سجلاته قاضى القضاة، وكوتب بذلك وكتب عليه.

وجرى الرسم فى ركوب الحاكم لفتح الخليج وفى يوم العيد إلى المصلّى على العادات.

وسارت قافلة الحاج للنصف من ذى القعدة بالكسوة والشمع والصلات، وزينت البلد مرَّة فى شوال ثلاثة أيام ومرَّة فى ذى القعدة يوْما. وجرى الرسم فى صلاة عيد النّحر على ما تقدم، ثم انصرف فنحر ودخل تربة القصر وحضر السماط.

وفيها توفى أبو الفضل جعفر بن الفرات، فى ثالث ربيع الأول، عن اثنتين وثمانين سنة وثلاثة أشهر وخمسة أيام، فصلى عليه القاضى حسين بن النعمان، ودفن فى داره. وكان من الفضل والعلم والدين بمنزلة، وحدث وأسمع وأمْلَى بمجالس، وكتب على الصحيحين مستخرجا وكان كثير البر والصلات والصدقة، شديد الغيرة حتى إنه حجب أولاده الأكابر عن حرمه وأهله وعن أمهاتهم، فإنه بلغه عن بعض أولاده أنه وَاقَع أختًا له وأحْبَلها. وكان يتنسك منذ تجاوز أربعين سنة. ثم حُمِل من مصر ودفن بالمدينة النبوية.

وفيها قتل الحاكم مؤدّبَه أبا القاسم سعيد بن سعيد الفارقى(١) يوم السبت لثمان

---

(١) سعيد بن سعيد الفارقى، أبو القاسم: نحوىٌ، مات مقتولا بالقاهرة. له «تقسيمات العوامل وعللها» فى النحو، و«تفسير المسائل المشكلة فى أول المقتضب». انظر: إرشاد الأريب ٤/٢٤٠، وبغية الوعاة ٢٥٥، والمخطوطات المصورة ١/٣٨، والأعلام ٣/٩٥.

Marfat.com

بقين من جمادى الأولى وهو يسايره، بأن أشار إلى الأتراك بعينيه بعد أن بيَّت معهم قتله، فأخذته السيوف، وكان قد داخل الحاكم فى أمور الدولة وقرأ عليه الرقاع واستأذنه فى الأمور كهيئة الوزراء.

سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة

فى المحرم: قتل الحاكمُ ابنَ أبى نجدة، وكان بقّالا فترقّت أحواله حتى وَلِى الحسبة ودخل فيما لا يليق به، وأساءَ فى معاملة الناس، فاعتقل، ثم قطعت يده ولسانه وشُهِّر على جمل وضُربت عنقه.

وفى شعبان: بعث هديّةُ إلى المغرب فيها ثلاثمائة فرس بجلال وعشرة بمراكب، وخمسة وأربعون بغلا تحمل السلاح والكسوة، وعشرون بغلا تحمل صناديق فيها ذهب وفضة.

وفى شهر رمضان: خُلع على تَمُوصَلت بن بكار وقُلِّد بسيف، وحُمِل على عشرة أفراس بمراكبها، وقُلِّد إمارة الشام.

وجرى الرسم فى سماط رمضان وصلاتى العيدين وخروج قافلة الحاج على ما تقدم.

وفيها توفى أبو تميم سلمان بن جعفر بن فلاح فى ثامن جمادى الآخرة. وقُتِل عدة أناس.

سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة

فى نصف صفر: قدم الحاج.

وفى ربيع الأول: قرئ سجل برفع المنكرات وإبْطالِها وبمنع ذلك، فَخُتم على عدة مواضع فيها المسكرات لِتُرَاق.

وابتُدِئ فى عمارة جامع راشدة(١)، وكان مكانه كنيسة فبُنى جامعًا، وأقيمت فيه الجمعة.

وفى ثامن جمادى الآخرة: ضُربت رقبة فهد بن إبراهيم، وله منذ نظر فى الرئاسة خمس سنين وتسعة أشهر واثنا عشر يوما، فلما خرج الحاكم سأل عنها فعُرِّف خبرها، فأعرض عنها، وبقيت هناك مدة ثم أمر بها فردت إلى أولاد فهد، وقال: إنا لم نقتله

(١) اشتق اسم هذا الجامع من الخطة التى بنى فيها، وهى خطة راشدة وقد بدأ بناء هذا الجامع فى ١٧ ربيع الثانى سنة ٣٩٣هـ (١٠٠٢- ١٠٠٣م) وكان فى المكان الذى بنى فيه كنيسة حولها مقابر لليهود والنصارى. وفى رمضان سنة ٣٩٥هـ تم بناؤه وفرش وعلقت فيه القناديل وأصبح معدا للصلاة. انظر: تاريخ الدولة الفاطمية فى المغرب ومصر ٥٣٩.

Marfat.com

على مال، فحملت إليهم، ثم رفع أصحاب الأخبار عن أبى غالب كلمة تكلّم بها، فقُتل وأُحرق بالنّار.

وخُلع على أبى الحسن على بن عمر بن العداس (١) مكانه، وخلع على ابنه محمد بن على، وعلى الحسين بن طاهر الوزان (٢)، وحُملوا فى رابع عشره.

وسار الأمير ياروخ متقلدا طبرية وأعمالها.

وقُبضت أموال من قبض عليه من النصارى الكتاب.

وأمر بإتمام بناء الجامع الذى ابتدأ بعمارته العزيز على يد وزيره يعقوب بن كلس خارج باب الفتوح من القاهرة، فقدرت النفقة عليه أربعين ألف دينار، فابتدى بعمله.

وفى خامس عشر من شهر رجب: ضرب عنق أبى طاهر محمود بن النحوى الناظر فى أعمال الشام لكثرة تَجبُّره وعَسْفه بالناس.

وفى غرة شعبان: جُمع فى الجامع الجديد بظاهر باب الفتوح.

وقطع الحاكم الركوب فى الليل.

ورد إلى أولاد فهد بن إبراهيم سُرُوجهم المحلاّة وأُمروا بالركوب بها. وأطلق من اعتقل من الكتاب النصارى.

وصلى الحاكم فى رمضان بالناس أجمعين بعد ما خطب، وصلى صلاة عيد الفطر وخطب على الرسم. وأكثر من الحركة فى شهرى رمضان وشوال إلى دمنهور(٣) والأهرام وغيرهما.

وسافر الحاج للنصف من ذى القعدة.

وأما الشام: فإنه لما مات جَيْشُ بن الصِّمْصامة فى شهر ربيع الآخر سنة تسعين ولَىِ دمشق شيخ من المغاربة يقال له فحْل بن تميم، فلبث شهورا ومات، فقدم عند الحاكم

(١) على بن عمر العداس، أبو الحسن: من وزراء الدولة الفاطمية بمصر. استوزره العزيز بعد وفاة وزيره يعقوب بن كلس سنة ٣٨٠هـ فأقام سنة واحدة، وحوسب وعزل. توفى بالقاهرة. انظر: الإشارة إلى من نال الوزارة ٢٥، والأعلام ٤/٣١٥.

(٢) الحسين بن طاهر الوزان، أبو عبد الله، الملقب بأمين الأمناء: وزير، من أهل مصر. كان متولى بيت المال فى أوائل خلافة الحاكم بأمر الله الفاطمى وخلع عليه بالوزارة سنة ٤٠٣هـ، ثم تغير عليه الحاكم، فبينما كان معه خارج القاهرة ضرب عنقه ودفنه فى مكانه. انظر: الإشارة إلى من نال الوزارة ٢٩، والأعلام ٢/٢٣٩، ٢٤٠.

(٣) دمنهور: بلدة بينها وبين الإسكندرية يوم واحد فى طريق مصر. انظر: معجم البلدان (دمنهور)، وفى الروض المعطار دمنهور: مدينة مسورة فى بسيط من الأرض أفيح متصل من الإسكندرية إلى مصر والبسيط كله محترث، والقرى فيه يمينًا وشمالا لا تحصى كثرة. انظر: الروض المعطار ٢٣٧، وابن دقماق ٥/١٠١، وقاموس رمزى ٢/٢/٢٨٤.

Marfat.com

على بن جعفر بن فلاح فنزل على دمشق ليومين بقيا من شوال، وأقام بها غير مُنْبَسطِ اليد فى ماله، فلما كان فى شهر رمضان، سنة اثنتين وتسعين، قدم من جهة الحاكم داعٍ يقال له خَتْكِين (١) الملقّب بالضَّيف إلى دمشق، فبرز ابن فلاَح وأقام بظاهر دمشق، فأراد الضيف أن ينقص الجند من أرزاقهم، فشَغَبوا وسارُوا يريدون ابن عَبْدون النصرانى، وكان على تدبير المال وعطاءِ الأرزاق، فمنعهم الضَّيف وأغلظ فى القول لهم، وكان قليل المداراة، فرجعوا إليه وقتلوه، وانتهبوا دُورَ الكتّاب والكنائس. وتحالف المغاربة والمشارقة من العسكر على أن يكونوا يدًا واحدة فى طلب الأرزاق، وأنهم يمتنعون مِمن يطالبهم بما فعلوه، وحلف لهم على بن جعفر بن فلاح أنه معهم على ما اجتمعوا عليه، فبلغ ذلك الحاكم فقال: هذا قد عَمِى، فبعث يعزلُه عن دمشق، فسار عنها فى يَسير من أصحابه، وذلك فى شوال منها. وتأخر العسكر بدمشق، فقدم إليها تَمُوصَلْت بن بكار من قِبلَ الحاكم، فلم يزل عليها إلى أن وَلِى مُفْلح اللّحْيانى دمشق فى ذى الحجة سنة ثلاث وتسعين. وكان خادما وفى وجهه شعر، فسار إليها.

وفيها قتل أبو على الحسن بن عُسْلوج (٢) فى المحرَّم وأُحرق.

وقتل على بن عمر بن العداس فى شعبان وأُحرق.

وقتل الأستاذ أبو الفضل زيدان، صاحب المظلّة لعشر بقين من ذى الحجة؛ ضُرب عنقه.

وفيها استأذن عبدُ الأعْلى بن الأمير هاشم بن المنصور أن يخرج إلى بعض ضِياعِه، فأذن له الحاكم، فخرج بجماعة من ندمائه، فبعث الحاكم عَيْنا يأتيه بخبرهم، فصاروا إلى مُتَنَزَّههم فأكلوا وشربوا، وجرى من حديثهم أنْ قال أحد أولاد الْمُغَازلى المنجم لابن هاشم: لابد لك من الخلافة، فأنت إمام العصر، فلما عادوا ودخل ابن هاشم على الحاكم وجلس أخرج الحاكم من تحت فراشه سيفا مجردًا وضربه به، فحُمِل إلى داره وكتب يعتذر عن ذنبه إن كان قيل عنه، ويحلف ويذكر أن ضربته سالمة، ويسأل الإذن فى طبيب يعالجه، فأُجيب إلى ذلك.

فلما أفاق استأذن فى الدخول إلى الحمام، فأُذِن له؛ فبعث الحاكم إلى الحمام من ذبحه فيه وأتاه برأسه. وبعث إلى من حضر المجلس فقُتلوا وأُحرقوا بالنار، وفيهم أولاد المُغَازلى وابن خريطة وأولاد أبى الفضل بن الفرات وفتيانٌ من كتامة. وتتابع القتل فى الناس من الجند والرعية بضروب مختلفة.

---

(١) أبو منصور ختكين العضدى القائد.

(٢) هو عسلوج بن الحسن وكان قد أشرف على الأموال أيام المعز لدين الله مقاسمة مع يعقوب بن كلس، ثم عمل أيضا للعزيز بالله.

سنة أربع وتسعين وثلاثمائة

فى محرم: خلع على مظفّر الخادم الصقلبى، وحمل على ثلاث بغلات بمراكبها، ومعه ثياب كثيرة، وندب لحمل المظلة وخلع على مُتَولى الأسْوَد وحُمِل لواؤه ببرقة. وقبض على أبى داود بن المطيع. وخلع على صاحب ديوان النفقات وضُرب عنقه بسبب أنه سرق مائتى ألف دينار ذهب.

وقدم مفلح اللحيانى إلى دمشق فى المحرم، فسار عنها تَمُوصَلت يريد مصر، ونزل بدارَيّا[1] فمات بها فى ثانى صفر، فلما ورد خبر موته إلى الحاكم خلع على ولديه وحملهما.

وقدم الحاج فى رابع عشريه.

وفى ربيع الأول: أُلزم الناس بوَقُود القناديل باللّيل فى سائر الشوارع والأزقّة بمصر.

وخَلَع على أبى يعقوب بن نَسْطاس المتطبِّب وحمله على بغلتين ومعه ثياب كثيرة، ومنحت له دارٌ بالقاهرة وفُرشت، وأُلزم بالخدمة. وكان قد هلك منصور بن معشر الطبيب.

وهدمت كنيستان بجانب جامع راشدة.

وفى جمادى الآخرة: حُمِل إلى الشريف أبى الحسن على النرسى رسمُه يجارى به العادة فى كل سنة، وهو من الثياب عشرون قطعة بنحو خمسمائة دينار.

وفى رجب: قرئ سجلان؛ أحدهما فيه إنكار الحاكم على من يخاطبه فى المكاتبة بمولى الخلق أجمعين؛ والآخر بمسير الحاج أول ذى القعدة.

وقبض على ثلاثة عشر رجلا ضُربوا وشهروا على الجمال وحُبسوا ثلاثة أيام بسبب أنهم صلّوا صلاة الضحى.

وفى شعبان: خرج الكتاميون إلى باب الفتوح، فترجلوا وكشفوا رءوسهم، واستغاثوا بعفو أمير المؤمنين فأُوصل إلى الحاكم جماعةُ منهم، فوعدهم، وكُتب لهم سجلٌّ قرئ بالقصر والجوامع بالرضا عنهم وإعادتهم إلى رسومهم فى التكرمة.

وأُمِر بهدم جامع عمرو بن العاص بالإسكندرية.

وصلى الحاكم بالناس فى رمضان صلاة الجمعة مرتين وخطب.

وفى سادس عشره: صُرِف الحسين بن النعمان عن القضاء. وكان قد ضرب فى الجامع فندب الحاكم جماعة من شيوخ الأضْياف يركبون معه إلى كل مجلسٍ فيه جماعة

---

(١) قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة. انظر: معجم البلدان ٢/٤٣١، ٤٣٢.

Marfat.com

من الخاصة وأمر أصحاب سيوف الحلى بالمشى بين يديه فى كل يومٍ فكان إذا حضر إلى الجامع العتيق وقام يصلى وقف جماعة الأضياف صفًا خلفه يسترونه، ولا يصلّى أحد منهم حتى يفرغ من صلاته ويعود إلى مجلسه؛ فإذا جلس فى مجلسه كانوا قياما عن يمينه وشماله. وهو أول قَاضٍ فعل ذلك معه، وأول قاض كتب فى سجلاته قاضى القضاة، وعلت منزلته عند الحاكم وتخصص به. وكان له عند الحاكم جماعة يمدحونه ويبالغون فى الثناء عليه، منهم ريحان اللحيانى وزيدان ومصلح اللحيانى، فانبسطت يده وعظم شأنه، ولاعَنَ بين رجل وامرأته، وتشدد على الناس، فكان إذا أبطأ شاهدٌ يوم جلوسه فى الجامع عن الحضور إلى داره والركوب معه رسم عليه وأغرمه مالاً ليأخذه وألزم كُتّابه بملازمة داره دائما. وكانت إليه الدعوة أيضا. وكان قاضى القضاة وداعى الدعاة، وقد أُفضل على جماعة من أهل العلم والأدب والبيوتات.

فكانت مدة نظره فى القضاء خمس سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوما. ومولده لليلتين بقيتا من ذى الحجة سنة ثمانٍ وخمسين. وهو أول قاضٍ أُحْرِق بعد قتله، فإن الحاكم أحرقه بعد ما قتله فى سادسٍ محرم الآتى ذكره.

وفى سادس عشر رمضان: قُلّد أبو القاسم عبد العزيز بن محمد بن النعمان القضاءَ إلى ما بيده من النظر فى المظالم، وخُلع عليه، وقُلّد سيفا محلى بذهب، وحُمِل على بغلة وبين يديه سفط ثياب فنزل فى موكب عظيم إلى الجامع العتيق، فجلس تحت المنبر ورقى أبو على أحمد بن عبد السميع وقرأ سجلّه. وانصرف إلى داره فنزلها وحكم، واستخلف على الحكم أبا الحسن مالك بن سعيد الفارقى مضافًا إلى ما كان مستخلفا عليه من الحكم فى القاهرة واستكتب أبا يوسف منال لِحضرته والتوقيعات عنه، ثم كتب له سجل بأخذ الفطرة والنجوى[1] وحضور المجلس بالقصر وأخذ الدعوة على الناس، وقراءَة ما يُقرأ على من دخل الدعوة.

فحضر يوم الخميس الثانى عشر منه، وقرأ ما جرى الرسم بقراءَته فى القصر، وأخذ النجوى والفطرة، وأوقف سائر الشهود الذين قبلهم حسين فى أيامه، وصرف عدة من المستخلفين بالأعمال، واستكتب أبا القاسم على بن عمر الوراق، وكتب السجلات وكتب القضايا والأحكام. ولزم حسينٌ داره وقد استبد خوفُه، وحُملت كتب ديوان الحكم من داره إلى دار عبد العزيز.

وفيه قرئ سجل بالإنكار على الكتّاب ومن يجرى مجراهم فى أخذ شىء من البراطيل[2] ونحوها.

---

(١) الفطرة والنجوى: رسوم مالية تؤخذ ممن يعتنقون المذهب الفاطمى. انظر: الخطط ١/٣٩١-٣٩٥.

(٢) البراطيل جمع برطيل بمعنى الرشوة.

Marfat.com

وركب الحاكم لصلاة العيد بالمصلّى، فصلّى وخطب وحضر السماط بالقصر على رسمه فى ذلك.

وبرزت قافلة الحاج فى ثامن ذى القعدة بالكسوة والصلاتِ على العادة.

وصلّى الحاكم بالناس صلاة عيد النحر، ونحر فى الملعب.

وفيها قتل سهل بن يوسف، أخو يعقوب بن يوسف بن كلس الوزير، بسبب قوة طمعه وكثرة شَرَهِه. وعندما قُدم للقتل سأل أن يدفع الساعة ثلاثمائة ألف دينار عَيْنًا يفدى بها نفسه، فلم يُجَب.

وقتل أيضا القائد أبو عبد الله الحسين بن الحسن البازيار، من أجل أنه كان إذا دخل من باب البحر[1] تكون رِجْلُه على عنق دَابَّته ويكون الحاكم فى المنظرة التى على بابه، فتصيرَ رِجلُه إلى وجه الحاكم، وكان ابن البازيار قد اعتراه وجع النِّقْرس، فعدَّ ذلك الحاكم عليه دينا قتله به فى شوال لِسُوءِ التوفيق.

وفيها قدم من برقة عدة من بنى قرة إلى الإسكندرية، فقُتِلوا عن آخرهم. وذلك أن يانس لما قُتل وصل عسكره إلى طرابلس، فنازلهم القائد جعفر بن حبيب فزحف إليه فلفول بن خزرون ففر منه، وخرج فتوح بن على ومن معه من أصحاب يانس إلى فلفول وملّكوه عليهم، فقام بدعوة الحاكم، وعقد الحاكم ليحيى بن على بن حَمْدُون الأندلسى على أطرابلس وكتب لبنى قرة أن يسيروا معه، فمضَوْا من برقة معه وخذلوه، فعاد إلى القاهرة ورجع بنو قرة إلى برقة وأظهروا الخلاف، فأمنهم الحاكم حتى قَدموا وحدهم إلى الإسكندرية فقتلوا واستقرت أطرابلس بيد فلفول وتداولها بنوه [2].

سنة خمس وتسعين وثلاثمائة

فى سابع محرم: قرئ سجل فى الجوامع يأمر اليهود والنصارى بشدّ الزُّنار ولبس الغيار، وشعارهم بالسواد شعار الغاصبين العباسيين.

وفيه فحش كثير وقدح فى حق الشيخين[3] رضى الله عنهما.

وقرئ سجل فى الأطعمة بالمنع من أكل الملوخية التى كانت محببة لمعاوية بن أبى سفيان، والبقلة المسماة بالجرجير المنسوبة إلى عائشة رضى الله عنها، والمتوكلية المنسوبة إلى المتوكل.

وفيه المنع من عجْن الخبز بالرجل، والمنع من أكل الدلنيس [4]، والمنع من ذبح البقر

---

(١) من أبواب القصر الغربية.

(٢) بعد موت فلفول سنة أربعمائة.

(٣) الشيخين هما: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب.

Marfat.com

التى لا عاقبة لها إلا فى أيام الأضاحى، وما سواها من الأيام لا يذبح منها إلاّ ما لا يصلح للحرث.

وفيه النكير على النّخّاسين والتشديد عليهم فى المنع من بيع العبيد والإماء لأهل الذمة.

وقرئ سجّل آخر بأن يؤذّن لصلاة الظهر فى أول الساعة السابعة، ويؤذّن لصلاة العصر فى أول الساعة التاسعة. وإصلاح المكاييل والموازين والنهى عن البخس فيهما، والمنع من بيع الفُقّاع [1] وعمله ألبتّة لما يؤثر عن على رضى الله عنه من كراهة شرب الفقّاع.

وضُرب فى الطرقات بالأجراس ونودى ألا يدخل الحمام أحدٌ إلا بمئزَر، وألا تكشف امرأة وجهها فى طريق ولا خَلف جنازة، ولا تتبرج. ولا يباع شىء من السمك بغير قشر، ولا يصطاده أحد من الصيادين. وتُتبعَت الحمامات وقبض على جماعة وُجدوا بغير مئزر فضربوا وشُهِّروا.

وفيه برزت العساكر لقتال بنى قُرة وسارت.

وكتب فى صفر على سائر المساجد، وعلى الجامع العتيق من ظاهره وباطنه فى جميع جوانبه، وعلى أبواب الحوانيت والحُجَر والمقابر والصحراء بسب السلف ولَعْنهم، ونقش ذلك ولُوِّن بالأصباغ والذهب، وعمل كذلك على أبواب القياسر وأبواب الدور، وأكْرِه على عمل ذلك. وأقبل الناس من النواحى والضياع فدخلوا فى الدعوة، وجعل لهم يوم وللنساء يوم، فكثر الازدحام ومات فى الزحمة عدة.

ولما دخل الحاج نالهم من العامة سبٌّ وبطش؛ فإنهم طلبوا منهم سبَّ السلف ولَعْنَهم، فامتنعوا.

ونودى فى القاهرة: لا يخرج أحد بعد المغرب إلى الطريق ولا يظهر بها لبيع ولا شراء فامتثل الناس لذلك.

وفى ربيع الأول: تُتبّعَت الدّورُ وَمَنْ يُعرف بعمل المسكرات، وكُسِر من أوعيتها شىء كثير.

وفيه أمر الحاكم بشونة تحت الجبل مُلِئَت بالسنط والبوص والحلفاء، فتخوّف الناس كافة، مَنْ يتعلّق بخدمة الدولة من الأولياء والقواد والكتاب، وسائر الرعية من العوام.

---

(٤) سمك لا قشر له.

(١) شراب كالرمان.

Marfat.com

وقويت الشَّفاعات وكثر الاضطراب، فاجتمع سائر الكتاب والمتصرِّفين من المسلمين والنصارى، وخرجوا بأجمعهم فى خامسه إلى الرياحين (١) بالقاهرة، وما زالوا يقبلون الأرض حتى وصلوا إلى القصر، فوقفوا على بابه يدعون ويتضرعون، ويضِجون ويسألون العفو عنهم، ومعهم رقعة قد كُتبت عن الجميع. ثم دخلوا باب القصر وهم يسألون أن يُعْفى عنهم ولا يسأل فيهم قول ساع يسعى فيهم. وسلّموا رقعتهم لقائد القواد، فأوصلها إلى الحاكم، فعفا عنهم وأمرهم على لسان قائد القواد بالانصراف والبكور لقراءَة سجل بالعفو عنهم، فانصرفوا بعد العصر. وقرئ من الغد سجل كتب نسخة للمسلمين ونسخة للنصارى ونسخة لليهود بالأمان والعفو عنهم.

وفى ليلة التاسع منه: ولد للحاكم ولد، فجلس فى صبيحتها للهناء، وأمر بإحراق الشونة فأحرقت وكان سابعُ المولود (٢)، فأُخرج على يد خادمٍ إلى قائد القواد، فتسلّمه حتى أعد المزين شعره، وذبح عنه الشريف أبو الحسن النرسى العقيقة بيده، وحمل عثمان الحاجب الدم والعقيقة، فأمر له بألف دينار وفرس ملجم وعدة ثياب من أجل حَمْل الدم والعقيقة، ودُفع إلى المزين مائتا دينار وفرس. وسُمى المولود بالحارث وكُنى بأبى الأشبال.

وخرج قائد القواد إلى سائر الأتراك والديلم والعرفاء وقال: مولانا يقرأ عليكم السلام، ويقول: قد سَميت مولاكم الأمير الحارث وكنّيته أبا الأشبال، فقبّل الجميع الأرض وأكثروا الدعاءَ، وانصرفوا وزُيِّنت البلد أربعة أيام.

وفيه رسم الحاكم لجماعة من الأحداث أن يتقافَزُوا من موضع عالٍ فى القصر، ورسم لكل منهم بِصلة، فحضر جماعة وتقافزوا، فمات منهم نحو ثلاثين إنسانا من أجل سقوطهم خارجًا عن الماء على صخر هناك؛ ووُضع لمن قفز مَالهُ، والمماليك، وصبيان الدار، وأصحاب الإقطاعات، والمرتزقة، والغلمان الحاكمية القُدُم.

وكُتب أمان لجماعة من خدم القصر الموسومين بخدمة الحضرة بعدما تجمعوا وساروا إلى تربة العزيز وضجوا بالبكاء وكشفوا رءوسهم. وكُتبت عدة سجلات بأمانات للديلم والخيل والغلمان الشرابية، والغلمان المرتاحية، والغلمان البشارية، والغلمان المفرقة العجم وغيرهم، والنقباء، والروم المرتزقة. وكتبت عدة أخرى بأمان الزَّوِيلِين، والمنادين، والبطالين، والبرقيين، والعطوفية، والجوانية، والجودرية، والمظفرية، والصنهاجيين، وعبيد الشراء بالحسينية، والميمونية، والفرجية. وكتب أمان لمؤذنى

---

(١) هى حارة نسبت إلى جماعة الريحانية وهى فئة من عسكر الفاطميين نزلوا بها وقت إنشاء القاهرة فعرفوا بها.

(٢) المراد اليوم السابع على ميلاد المولود.

أبواب القصر، وأمانات لسائر البيازرة والفهادين والحجالين، وأمانات أُخَر لعدة أقوام، كل ذلك بعد سؤالهم وتقرُّبهم.

وفيه أمر بقتل الكلاب، فقتل منها ما لا يحصى حتى لم يبق منها بالأزقة والشوارع شىء، وطرحت بالصحراء وبشاطئ النيل، وأُمِر بكنس الأزقّة والشوارع وأبواب الدور فى كل مكان، ففُعل ذلك.

وفى جمادى الآخرة: فتحت دار الحكمة (١) بالقاهرة، وجلس الفقهاء فيها، وحُمِلت الكتب إليها، ودخلها الناس للنّسخ من كتبها وللقراءَة. وانتصب فيها الفقهاء والقراءُ والنُّحاة وغيرهم من أرباب العلوم، وفُرِشت، وأقيم فيها خدام لخدمتها، وأُجريت الأرزاق على مَنْ بها من فقيه وغيره، وجُعل فيها ما يُحتاج إليه من الحبر والأوراق والأقلام.

وفيه اشتد الطلب على الركابية(٢) المستخدمين فى الركاب بعد أن قتل منهم فى يومين أكثر من خمسين نفسا فتغيبوا، وامتنع أحدٌ من الناس أن يمشى بين يديه غلامٌ أو شاكرى(٣)، فكانت القواد ومَنْ جرى رسمه أن يكونُوا بين يديه يسيرون وحدهم، وإذا نزل أحدهم للسلام أمسك خادمُه الدابة، ثم عُفِى عنهم وكتب لهم أمان. وكتب لعدة من الناس عدة أمانات.

وفيه مُنِع كلُّ أحدٍ ممن يركب أن يدخل من باب القاهرة راكبا؛ ومُنِع المكاريون أن يدخلوا بحميرهم، ومُنِع الناس من الجلوس على باب الزهُومة (٤) من التجار وغيرهم، ومُنِع كلُّ أحدٍ أن يمشى مُلاصِقَ القصر من باب الزهُومة إلى باب الزُّمرد. ثم أُذن للمكاريين فى الدخول وكُتِب لهم أمان. وتخوف الناس، فخرج أهل الأسواق على طبقاتهم، كل طائفة تسأل كتابة أمان، فكتب ما ينيف عن المائة أمان لأهل الأسواق خاصة، قُرِئَت كلُّها فى القصر ودُفعت لأربابها، وكلُّها على نسخة واحدة. وهى بعد البسملة:

«هذا كتاب من عبْد الله ووَلِيّه المنصور أبى على الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين،

---

(١) أنشاها الحاكم بأمر الله، وتعرف بدار العلم، وكانت خزائنها تحتوى على كتب فى مختلف العلوم.

(٢) هم الذين يحملون الغاشية بين يدى السلطان أو الخليفة فى المواكب.

(٣) هو الرسول الذى يحمل الرسائل.

(٤) من الأبواب الغربية للقصر الكبير، سمى بذلك لأن اللحوم وحوائج الطعام كانت تدخل إلى القصر منه.

Marfat.com

لأهل مشهد عبد الله إنكم من الآمنين بأمان الله الملك الحق المبين، وأمان سيدنا محمد خاتم النبيين، وأبينا علىٍّ خير الوصيين، وذرية النبوة المهديين آبائنا، صلى الله على الرسول ووصيه وعليهم أجمعين. وأمان أمير المؤمنين على النفس والأهل والدم والمال. لا خوف عليكم، ولا تهديد بسوء إليكم، إلاّ فى حد يقام بواجبه، وحق يُوجَد لمستوجبه، فليُوثَق بذلك وليعول بأمان الله. وكتب فى جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة. والحمد لله وصلى الله على محمّد سيد المرْسَلين، وعلىٍّ خير الوصيين، وعلى الأئمة المهديين ذرية النبوة، وسلم تسليما».

وفى يوم الأربعاء لعشرٍ خلون من رمضان: وُلِد للحاكم ولد ذكر، فجلس الحاكم يوم الخميس للهناء. وكان السابع يوم الثلاثاء، فحمله شكر الخادم، وحضر أبو الحسن على بن إبراهيم النرسى وعقَّ عنه، وحضر المزين فحلق شعره وتناول ماله من الرسم. وسماه الحاكم عليًّا وكناه أبا الحسن؛ وهو الذى وَلِىَ الخلافة وتلقب بالظّاهر.

وفيه فُرِش جامع راشدة. وركب الحاكم يوم عيد الفطر وعليه ثوب مُصمت (١) أصفر، وعلى رأسه منديل منكر، وهو محنك بذؤابة والجوهر بين عينيه. وقيدَ بين يديه ستّةُ أفراس بسروج مرصعة بالجوهر، وست فِيَلَة، وخمس زرافات، فصلى بالناس صلاة العيد وخطبهم، فلعن فى خطبته ظالمَهُ حقّه والمرجفين به، وأصعد معه قائد القواد وقاضى القضاة عز الدين.

وفيه اضطرب السعر واختلف الناس فى الدراهم والصرف، فكانت المعاملة بالدراهم الزائدة والقطع، واستقر سعرها على ستة وعشرين درهما بدينار.

وفى أول ذى القعدة: برزت قافلة الحاج إلى مصلى القاهرة، ثم رُفِعت إلى جُبِّ عميرة (٢) فى سابعه، وسارت ليلة العاشر منه بالكسوة للكعبة والرسُوم على العادة.

وفيه كُسِر الخليج والماء على خمسة عشر ذراعا وسبعة أصابع، وهو آخر يوم من مِسْرى. وحضر الحاكم وعلى رأسه تاج مكلّل بالجواهر. ونُودِى فى الناس بأن يلعبوا بالماءِ فى النَّوْرُوز على عادتهم، ففعلوا.

ونزل الحاكم يوم النّحر إلى المصلّى، فصلّى بالناس وخطب، ونحر بها ثلاث بُدْن، وعاد إلى القصر فحضر السماط، ثم نَحر فى الملعب إحدى وعشرين بَدنةَ؛ وواصَلَ النحر أيامًا.

---

(١) هو الثوب الذى لا يخالطه لون آخر.

(٢) هو المكان الذى كان الحجاج يخرجون إليه ويتجمعون فيه فى المرحلة الأولى استعدادًا للسفر للحج. انظر: الخطط ١/٤٨٩، ٢/١٦٣-١٦٤.

Marfat.com

وفيها قُتِل القاضى حسين بنُ النعمان؛ ضربت رقبتُه ثم أُحرق بالنار. وذلك أن متظلمًا رفع رقعةً إلى الحاكم يذكر فيها أن أباه تُوفِّى وترك له عشرين أَلف دينار، وأَنها فى ديوان القاضى، وقد أَخذ منها رزق أَوقاف معلومة، وأَن القاضى حسين بن النعمان عرفه أَن ماله قد نجز، فدعا به وأَوقفه على الرقعة، فقال كقوله للرجل من أَنه قد استوفى مَالهُ من أجره. وأَمر بإِحضار ديوان القاضى، فأُحضر من ساعته، فوُجد أَن الذى وصل إِلى الرجل أَيسرُ مالِه، فعدد على القاضى حسين ما أَقطعه وأَجرى له وما أَزاح من عِلَله لئلا يتعرض إِلى ما نهاه عنهُ مِنْ هذا وأَمثالِه، فقال: العفو والتوبة، فأَمر به فضُربت عنقه وأُحرق.

وقتل عدة أناس يزيد عددهم على مائة نفس؛ ضربت أَعناقهم وصلبوا، وقتل عبد الأَعلى بن هاشم من القرابة، لأَنه كان يتحدث بأَنه يلى الخلافة، وأَنه كان يجمع قوما ويعدهم بولاية الأَعمال. وقد تقدم خبره.

سنة ست وتسعين وثلاثمائة

فيها ذكر المسبحى[1] خبر أَبى ركوة الوليد بن هشام بن عبد الملك بن عبد الرحمن الأَموى[2] وُلِد بالأَندلس وقدم القَيْرَوان، فانتصب يعلم الصِّبيان بها القرآن، ثم دخل إِلى مصر فأَقام بها وبِأَرْيَافها يعلم الصِّبيان مدة، ثم خرج إِلى الإِسكندرية وقد أَكثر الحاكم

---

(١) هو المؤرخ عز الملك، محمد بن عبيد الله بن أحمد المسبحى: أمير وكان قد اتصل بخدمة الحاكم بأمر الله كانت له معه مجالس ومحاضرات، وقلده البهنسا ثم ولاه ديوان الترتيب. له كتاب كبير فى «تاريخ المغاربة ومصر». انظر: وفيات الأعيان ١/٥١٥، وشذرات الذهب ٣/٢١٦، والتاج ٢/١٥٨، واللباب ٣/١٣٥، والمغرب فى حلى المغرب ١/٢٦٤، والوافى ٤/٧، والأعلام ٦/٢٥٩، ٢٦٠.

(٢) الوليد، أبو ركوة: ثائر أموى، كاد يقضى على دولة الفاطميين بمصر. وهو من نسل هشام بن الملك بن مروان. ولد ونشأ فى الأندلس، وقد يكون من أهل قرطبة، ولما تولى المنصور بن أبى عامر هرب إلى مصر وأقام مدة يقرأ الحديث. ورحل إلى مكة واليمن فى مظهر المتصوفة يحمل ركوة فى أسفاره، على طريقتهم، وبها اشتهر بأبى ركوة، وعاد إلى مصر ثم دعا أبو ركوة إلى خلع طاعة الحاكم فأجابه بنى قرة وقبائل زناتة ثم هزم جيش الحاكم وزحف إلى مصر ودخل الجيزة ثم استطاع الحاكم هزيمته ففر بمن معه إلى النوبة فقبض عليه فيها وحمل إلى مصر فشهر بها وألبس طرطورًا وجعل خلفه قرد يصفعه ثم أخذ إلى ظاهر القاهرة ليقتل ويصلب فتوفى قبل وصوله، فقطع رأسه وصلب. انظر: البداية والنهاية ١١/٣٣٧. ونفح الطيب ٢/٢٦، والنجوم الزاهرة ٤/١٧٩، ٢١٢، ٢١٥-٢١٧، والكامل ٩/٦٨- ٧٠، والإشارة إلى من نال الوزارة ٤٢والأعلام ٨/١١٩.

Marfat.com

من الإيقاع ببنى قرة وأكثر من قتلهم وتحريقهم بالنار، فخلعوا طاعته. وسبب ذلك أن بنى قُرة كان شيخهم مختار بن القاسم، فلما بعث الحاكم يحيى بن على الأندلسى يخرج فلفلول بن سعيد بن خزرون بطرابلس على صنهاجة ساروا معه إلى طرابلس، وجرت الهزيمة عليه ورجعوا إلى برقة، فتنكر لهم الحاكم، فامتنعوا عليه، فبعث لهم بالأمان، فقدم وفْدُهم إلى الإسكندرية فقتلهم عن آخرهم سنة أربع وتسعين. وكان عندهم معلم القرآن واسمه الوليد بن هشام، يُنْسَب إلى المغيرة بن عبد الرحمن من بنى أمية، وكان يزعم أن له أثارةً من علم، ويخبر بأنه سيملك ما ملكه آباؤه وكان يقال له أبو ركوة، فدعاهم إلى نفسه فبايعوه، وتلقب بأمير المؤمنين الناصر لدين الله.

ثم بعث إلى لواتة ومزانة وزناتة فاستجابوا له، ورحل إلى برقة، والناس ياكرونه فى كلّ يوم فيُسلّمون عليه بالخلافة ويقبلون له الأرض، فيجلس فى وسطهم ويقول: أنا واحد منكم وما أريد شيئا من هذه الدنيا، ولا أطلبها إلاّ لكم، وليس معى مالٌ أعطيكم وإنما لى عليكم طاعة، وإن نصرتمونى نصرتم أنفسكم، وإن قاتلتم معى أخذتم حقكم بأيديكم فيقولون له: يا أمير المؤمنين نحن مبايعون لأمرك مطيعون لك، فمُرنا بأمرك.

فلم يزل معهم يطوف قرى برقة ويأخذ البيعة، إلى أن عظم أمْرُه وهو فيما بين الإسكندرية وبرقة، فبعث إليه الحاكم جيشا عليه ينال الطويل التركى فى نصف شعبان سنة خمس وتسعين، فواقعه أبو ركوة وقتله ومُعْظَمَ عسكره، وظفِر من الأموال والخيل والسلاح والنّعم الجليلة بما قوى به، واشتد بأسه.

وكان فى ظهور أبى ركوة طَلَع كوكب الذؤابة، فكان يضىء كالقمر وله بريق ولمعان، ويقوى ويكثرُ نوره وأمْرُ أبى ركوة يشتد ويعظُم، فأقام هذا الكوكب شهورا، ثم اضمحل نوره وضعُف لمعانه وأخذ أمر أبى ركوة ينقُص ويضعف إلى أن أُخِذ أسيرًا، فغاب الكوكب ولم يُرَ بعد ذلك، فكان شأن هذا الكوكب فى دلالته على أبى ركوة من أعجب العجب.

وابتدأ الحاكم فى تجريد العساكر شيئا بعد شىء، ونزل أبو ركوة بعد ظفره على برقة فحاصرها، وصندل الحاكم أميرُها يقاتله، حتى اشتد الحصار ومُنِع أهلُ برقة من الميرة، ففر صندل، ومعه شيوخ البلد، إلى الحاكم، وحثّه على بعث الجيوش، وأعلمه بقوة أبى ركوة واستفحال أمره. ودخل أبو ركوة إلى مدينة برقة واستخرج الأموال، وأقطع بنى قرة أعمال مصر، مثل دمياط وتنيس والمحلة وغيرها، وكتب خطه بذلك، وأقطع دُورَ القواد والأكابر التى بالقاهرة ومصر، وجدد البيعة لنفسه، فندب الحاكم لقتاله القائد أبا الفتوح فضل بن صالح فى ربيع الأول سنة ستٍّ وتسعين، وأتبعه

بالعساكر فاجتمعت بالإسكندرية، وسار بها، فلقيه أبو ركوة بذات الحمام[1] وكانت بينهما حروب آلت إلى هزيمة العسكر والاحتواء على ما فيه من مال وسلاح، فعظُم شأن أبى ركوة.

ووردت الجند على الحاكم بذلك للنِّصف من رمضان، فكان من تدبير الحاكم أن دعا بوُجُوه رجاله وقُواده، فأمرهم أن يكاتبوا أبا ركوة ويعرِّفوه أنهم على مذهبه ورأيه، وأنه إنْ توجه إليهم وقرب منهم صاروا فى جُمْلته وقاتلوا معه؛ وذكروا ما يقاسونه من قَتْل وجوههم وأكابرهم، وأنهم لا يأمنون فى ليلهم ولا نهارهم، مع ما يسمعونه من انتقاص الشرف ونحو هذا، فكتبوا بذلك وأنفذوا إليه عدة كتب من كل واحد منهم كتابا مع رسوله.

فلما تواتر ذلك عليه وثق به ولم يَشُك فيه، وحشد جموعه ووعدهم بأموال مصر ونعمها، وسار فخلع الحاكم على أبى الحسن على بن فلاح، وسيره إلى ضبط بِرْكة الحبش فى عسكر، فأقام بها أياما، ثم عدى إلى الجيزة، وتلاحقت به العساكر برًّا وبحرًا. واضطربت الأسعار بمصر، وعدم الخبز وبيع مَبْلُولا ستّة أرطال بدرهم، وكان يباع عشرة أرطال بدرهم، وأنفق فى العساكر المتوجهة لِكل واحد أربعةً وعشرين دينارا.

وكُوتِب علىِ بن صَفُوح بن دَغْفل بن الجراح الطائى، فحضر فى سابع عشر شوال، وخلع عليه، وطوق بطوق من ذهب، وحمل.

وتزايد سعر الدقيق والخبز وروايا الماء، وازدحم الناس عليها.

وخُلع على القائد فضل بن صالح ثوبُ ديباج مثقل طميم أحمر ومنديل ذهب، وقُلد بسيف وحُمِل على فرس بمركب ذهب، وبين يديه تسعة من الخيل وثلاثون بندا مذهبة وأربعة عشر سفطا فيها أنواع الثياب، وسار إلى الجيزة، وأكمل لكلّ واحدٍ من العساكر السائرة خمسون دينارا. ونزلت إليه خزانة السلاح.

وورد الخبر بنَهْب الفيومِ؛ فجُهزت إليها سرية، فأوقعوا بأصحاب أبى ركوة وبعثوا إلى القاهرة بعدة رءوس طيف بها.

وسار القائد فضل من الجيزة فى رابع ذى القعدة والغلاء بالعسكر، فبيعت الويبة من الشعير بخمسة دراهم والخبز ثلاثة أرطال بدرهم.

وأقام على بن فلاح فى مضاربه بالجيزة، وحُمِل إليه خيمة وخمسة أفراس بمراكبها، وسيف، وألفا دينار وثلاثون ثوبا، فأنفق فى أصحابه.

---

(١) توجد ثلاث قرى تحمل اسم الحمام واحدة بأبنوب، والثانية من أعمال إسنا والثالثة فى أول الفيوم.

فلما كان فى ثامن عشر ذى القعدة: وقع فى الناس خَوْفٌ فى الليل وضجيج، فنزلت العساكر طائفة بعد طائفة، والناس جُلُوس فى الشوارع وعلى أبواب الدور ليلَهُم كلّه، يبتهلون بالدعاء بالنّصر، فلحقت هذه العساكر بابن فلاح وهو بالجيزة، فسير عسكرًا إلى الفيوم، وأقام على خوف ووجل، فبلغ أبا ركوة إقامة على بن فلاح بالجيزة، فأسرع إليه وكبس عسكره ونهب سواده، وأخذت خزائن السلاح، ووقع القتال الشديد فقُتل خلق كثير من أصحابه وجُرح ما لا يحصى. ولما نزلت خزائن السلاح من عند الحاكم مع قائد القواد، وعظم البكاء والضَّجيج على شاطئ النيل لكثرة القتلى فى العسكر، مَنَع بن فلاَح من حمل الموتى إلى مصر، وأمر بدفنهم فى الجيزة. وافتُقِد كثير من العسكر فلم يُعلَمْ لهم خبر، ولم يَسْلَم من العسكر إلاّ القليل؛ فغُلقت الأسواق، وجلس الناس بالشوارع غمًّا لما جرى على العسكر، وتزايد البكاء من الناس على فقد آبائهم ومعارفهم. وباتوا وأصبحوا يوم السبت العشرين منه، فورد الخبر بدخول أبى ركوة فى جموعه إلى الفيوم، وسار فضل بن صالح لقتاله، فالتقى معه فى ثالث ذى الحجة وحاربه، فكانت وقْعَةً عظيمة قُتِل فيها ما لا يحصى كثرة. وانهزم أبو ركوة، واستأمن بنو كلاب وغيرهم من العرب، فسارت العساكر فى طلب أبى ركوة، وحضرت الرءوس من الفيوم ومعها الأسرى، وهى تجاوز ستة آلاف رأس ومائة أسير، فطيف بها البلد، وقُتل الأسرى بالسيوف بعدما لحقتهم أنواع البلاء بيد العامة، يَصْفَعُون أقفيتهم وينْتِفُون لِحَاهُم، ويضربونهم، حتى تفتّحت أكتاف كثيرٍ مِنْهم، فكان أمرًا مَهُولاً. وتواتر مجيءُ من أُخِذ من عسكر أبى ركوة فجىء بخلق كثير وعِدة رءوس.

ودخل ابن فلاح من الجيزة فَخُلع عليه. واستمر القائد فضل فى طلب أبى ركوة وهو يبعث بمن قُبض عليه من الرجال وبرءوس من يقتلهم شيئا بعد شىء وعاد على بن الجراح من عند القائد فضل فخُلع عليه.

وفى الثانى من جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين: ورد الخبر من القائد الفضل بن صالح بحصول أبى ركوة ووقوعه فى يده، فابتهج الناس لذلك؛ وخُلع على قَائد القواد وعلى أولاده وعلى البدوِى الذى خرج فى طلب أبى ركوة حتى أدركه ببلد النوبة؛ وعلى أبى القاسم علىّ بن القائد فضل، وعلى ابنه. وذلك أن أبا ركوة دخل بعد هزيمته إلى بلد النوبة، فتبعه القائد فضل وبعث إلى ملك النوبة بالقبض على أبى ركوة، وسير إليه عسكرًا مع الكِتَاب، فلما بلغوا أطراف النُّوبة وجدوا أبا ركوة قد اختفى بَدَيْرٍ هناك وله فيه أربعة عشر يومًا، فدلهم عليه رجل من العرب، فقبضوا عليه فى ربيع الأول

Marfat.com

منها وأتوا به إلى القائد فضل، فسار به إلى مصر ونزل بركة الحبش [١] يوم الجمعة للنصف من جمادى الآخرة، فخرج إليه قائد القواد بسائر رجال الدولة، وسلم عليه، وأبو ركوة فى مَضْرب ومعه القائد فضل، فأقام هناك إلى بُكرة يوم الأحد سابع عشره؛ فسار من بركة الحبش بعساكره وأبو ركوة على جمل فوق سرير، وعليه ثوب مُشَهر، وفوق رأسه طرطور طويل ومعه رجل يمسكه. وذلك أنه لما أُلْبس الطرطور صاح: يا فضل، يا أبا الفتوح، ما كذا ضَمِنْت لى فصُفع صفعة منكرة وأَمسك يديه هذا القائد خلفه، وقد اجتمع الناس من كل جهة، فكان جمعا لم يُرَ مثلُه كثرة، وأُجرت الدور والحوانيت بحمله وبات الناس على الطرقات حتى وصُل به إلى القصر، فأُوقِف ساعة على باب القصر وهو يشير بأصبعه ويطلب العفو، والصفعُ فى قفاه؛ ويقال له قبل الأرض فيقبل، ثم سِير به إلى تَبَر فلما خرج من باب القاهرة أَشار إلى الناس يرجمونه بالحجر والأجر، ويصفعونه وينتفون لحيته، حتى عاين الموت مرارا، إلى أن بلغ مسجد تبر، فضرب عنقه وصُلب جسده، وحُمِل رأسه إلى الحاكم، فخلع على القائد فضل وغيره من القواد والعرفاء الذين كانوا معه، وخلع على قائد القواد، فكان يومًا عظيما مَهُولا لكثرة اجتماع الناس.

وأَقاموا ليلتين فى الحوانيت والشوارع وعلى أبواب الدور يظهرون المسرة والفرح.

وأظهر أبو ركوة فى مواقف الألم صبرا وتجلُّدا، وكان لا يخاطب القائد الفضل إلا باسمه أو بكنيته. ولما أقام فى بركة الحَبَش، وخرج الناس ورأوه، كان يسأل من يلقاه عن اسمه وكان يتلو القرآن ويترحَّم على السلف. وكان شابًا أسمر تعلُوه حُمرة، مُسْتَن الوجه طويل الجبهة، أشهل [٢] بوُرْقة، أَقْنى، صغير اللحية، أَصْهَب [٣] إلى الشُّقرة ظاهر القطوب تبين فيه الجِد، لا يكاد يتجاوز ثلاثين سنة يوم قُتل. ويقال إنه وَلَدُ رجل من موالى بنى أمية.

ولما قُتل أبو ركوة نفذت الكتب إلى الأعمال كلها بخبر الفتح، فلما كان فى رجب ورد شيوخ كل ناحية وقُضاتُها، وقضاة الشام وشيوخه، لتهنئة الحاكم بالظفر وأخذ أبى ركوة. وقدم أبو الفتوح حسن بن جعفر الحسنى [٤] أمير مكة فى شعبتين لتهنئته،

---

(١) بركة الحبش: وهدة من الأرض واسعة طولها نحو ميل، مشرفة على نيل مصر خلف القرافة. انظر: معجم البلدان (بركة الحبش).

(٢) الشهلة فى العين أن يشوب سوادها زرقة.

(٣) الصهبة احمرار الشعر.

(٤) الحسن بن جعفر بن محمد الموسوى الحسنى الطالبى القرشى، أبو الفتوح: شريف، من الأمراء. ولى مكة سنة ٣٨٤هـ للعبيديين أصحاب مصر، ثم خلع طاعتهم وادعى الخلافة، وخطب=

Marfat.com

وخلع عليه وأكرمه، وأنزل بدار بَرْجَوان.

وفيه أرجف الناس بأن القائد فضل بن صالح ينظر فى أمور الدولة وتدبيرها بدل قائد القواد حسين بن جوهر، وكان بينهما فى الباطن تباعدٌ من جهة الرُّتبة والحسد عليها: وكان القائد فضل قد تفاقم وعظُم تِيهُه وترفُّعه على قائد القواد فى قوله وفعله.

قال المسبحى: قال لى الحاكم بأمر الله وقد جرى حديث أبى ركوة: ما أردت قتله ولكن جرى فى أمره ما لم يكن عن اختيارى، فقلت له: يا أمير المؤمنين، ما قصر عبدك الفضل بن صالح فى خدمته، قال: وإيش تظن أن فضل أخذ؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، هذا قول الناس، فقال: والله العظيم ما أفلح فضل فى حركته تلك، ولا أنجح ميزاننا. أنفقنا ألف ألف دينار ذهبا صناعا، وإنما أخذه ملك النوبة وأنفذ به إلى، فقلت صدقت يا أمير المؤمنين وعلمت أن هذا مما قرر قائدُ القُواد الحسين بن جوهر فى نفسه ليبطل فعل فضْلٍ وخدمته، فاستقر.

وأما خبر القاهرة فإنه جرى الأمر فى يوم عاشوراء على العادة من تعطيل الأسواق وخروج المنشدين والناحة إلى جامع القاهرة، فتظاهروا فيه بسب السلف، فقبض على رجل ونودى عليه: هذا جزاء من سب عائشة وزوجها، وضربت عنقه. وتقدم الأمر إلى أصحاب الشرطة ألا يتعرَّض أحد لسب السلف، ومن فعل ذلك قبض عليه، فانكَفَّ الرعاع عن السب والتعرَّض للحاجّ.

وللنصف من صفر: وردت قافلة الحاج.

وفى نصف ربيع الأول: جمع الحاكم نحو ألفى باقة نرجس وأتحف بها الأولياء.

واستُهل رجب بيوم الأربعاء: فخرج أمر الحاكم إلى أصحاب الدواوين بأن يؤرخوه بيوم الثلاثاء.

وفيه هبت ريح عاصفة، ثم أرعدت ونزل المطر وفيه بَرَدٌ كهيئة الصفائح إذا سقط إلى الأرض تكسر، فكان فيه ما يبلغ وزنه زيادة على أوقيتين، وفيه ما هو قدرُ البيضة، فغطى الأرض، وأقام الناس أياما يتبعونه فى الأسواق. ولم يُعْهَد مثلُ ذلك بمصر.

وجرى الرسم فى شهر رمضان كل ليلة على العادة، وصلى الحاكم فيه بالناس صلاة الجمعة وخطب ثلاث مرات. وصلى يوم عيد الفطر وخطب بالمصلى على عادته.

=لنفسه. وحدثت أمور اضطرته إلى الرجوع عن ذلك وطالت مدة إمارته، فكانت ٤٣ عاما وتوفى بمكة. انظر: خلاصة الكلام ١٦-١٨، والأعلام ٢/١٨٦.

Marfat.com

وللنصف من ذى القعدة: سارت قافلة الحاج بكسوة الكعبة وصِلاَت الأشراف وغيرها على ما جرى به الرسم.

وفتح الخليج فى السابع والعشرين من مسرى والماء على خمس عشرة ذراعًا وأصابع، فلم يركب الحاكم لفتحه، ولم يُوفِ ست عشرة ذراعًا إلى ثامن توت، فخلع على ابن أبى الرداد، وحُمِل.

واجتمع الناس الذين جرت عادتهم بحضور القصر لسماع ما يُقرأ من كتب مجالس الدعوة، فضُربوا بأجمعهم، ولم يُقْرأ عليهم شىء.

وفيها رحل بَنُو قَرة من البحيرة [1] بأرض مصر إلى ناحية من عمل برقة مع كبيرهم مختار بن قاسم.

سنة سبع وتسعين وثلاثمائة

فى شهر ربيع الأول: تزايد أمر الدراهم القطع المتزايدة، فبلغت أربعة وثلاثين درهما بدينار، ونزع السعر واضطرابت أمور الناس، فرُفِعت هذه الدراهم، وأُنْزل من بيت المال بعشرين صندوقا فيها الدراهم الجدُد لتفرَّق على الصَّيَارِفة. وقرئ سجل برفع تلك الدراهم والمنع من المعاملة بها، وأُنظِر مَنْ فى يده منها شىء ثلاثة أيام، وأُمِر الناس بحمل ما كان منها إلى دار الضرب، فقلق الناس، وبلغ كل درهم من الجدد أربعة دراهم من القطع وبيع الخبز كل ثلاثة أرطال بدرهم، فنودى أن يكون الخبز كل اثنى عشر رطلا بدرهم جديد، واللحم رطلين بدرهم، وسُعِّر أكثر الأشياء، واستقر كلُّ دينار بثمانين درهمًا من الجدد وسكن أمر الناس بعد ما ضُرب كثير من الباعة بالسياط وشُهروا. وقُبض على جماعة من أصحاب الفُقاع والسَّمَّاكين، وكُبست الحمامات، وضُرب جماعةٌ لمخالفتهم ما نُهوا عنه وشُهروا.

وفى تاسع ربيع الآخر: أمر الحاكم بِمَحْوِ ما هو مكتوبٌ على المساجد والأبواب وغيرها من سب السلف، فمحِى بأسره، وطاف متولى الشرطة حتى أزال سائر ما كان منه.

وقُرئ سجل بترك الخوض فيما لا يعنى، واشتغال كل أحد بمعيشته عن الخوض فى أعمال أمير المؤمنين وأوامره.

وجرى الأمر فى الفطر على السماط ليالى رمضان، وفى صلاة الحاكم بالناس يوم

---

(١) كورة معروفة من نواحى الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. انظر: معجم البلدان ٢/٣٥١.

Marfat.com

الجمعة على ما تقدم.

وركب الحاكم لفتح الخليج فى ذى القعدة والماءُ على أربعة عشر ذراعا وأصابع، وهو تاسع توت، فانتهى بعد فتح الخليج ماءُ النيل إلى ستة عشر إصبعا من خمسة عشر ذراعا، ثم نقص، فتحرك السعر وازدحم الناس على شراء الغلال وابتدأت الشدة.

وفيها مات يعقوب بن نَسْطَاس النصرانى، طبيب الحاكم، سكران فى بركة ماء، فحُمل إلى الكنيسة فى تابوت، وشُق به البلد، ثم أعيد إلى داره فدفن بها، وسائر أهل الدولة فى جنازته ومعه شموع كثيرة تتّقِدُ، ومداخن عدة فيها بخور. وكان طبيب وقته، عارفا بالطب، آية فى الحفظ، ما يُغنى له قط صوت إلا حفظه. ولو غناه مائةُ مغن فى مجلس واحد لَحَفِظَ سائر ما غنوه به وتكلم على ألحانها وأشعارها. وكانت له يدٌ فى المُوسِيقَا، وانفرد بخدمة الحاكم فى الطِّبِّ فأثرى، وترك زيادة على عشرين ألف دينار عينا، سوى الثياب وغيرها.

وتوفى الأمير مَنْجُوتكين لأربع خلون من ذى الحجة، فصلى عليه الحاكم.

سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة

فى المحرم: ابتدأ نقص ماء النيل من ثامن عشر توت، فاشتدَّ الأمر، وبيع الخبز مبلولا، وضُرب جماعة من الخبازين وشُهرُوا لتعذُّر وجود الخبز بالعشايا.

ووصل الحاجّ لثمان بقين من صفر.

وفى ربيع الأول: خلع على على بن جعفر بن فلاح بولاية دمشق حربا وخراجا.

واشتد الغلاء، فلما كان ليلةُ عيد الشعانين (١) مُنِع النصارى من تزيين كنائسهم كما هِيَ عادتُهم، وقبض على جماعة منهم فى رجب، وأمر بإحضار ما هو معلّقٌ على الكنائس وإثباته فى دواوين السلطان، وكُتب إلى سائر الأعمال بذلك وأُحرقت صلبان كثيرة على باب الجامع وفى الشرطة.

وفى يوم الجمعة سادس عشر رجب: وَلِى مالك بن سعيد الفارقى القضاءَ وخُلِع عليه فى بيت المال قميص مُصْمت وعمامة مذهبة وطيلسان محشى مذهب، وقلد بسيف. وقرأ سجله أحمد بن عبد السميع وهو قائم، فخرج وبين يديه سفط ثياب، وحُمل على بغلة وبين يديه بغلتان. وكان مالك بن سعيد لما قُرئ سِجلُه قائمًا على قدميه، وكلما مر ذكر أمير المؤمنين قبَّل الأرض. ثم سار من القصر إلى الجامع العتيق، وكلما مر بباب من أبواب القصر نزل عن بغلته وقبَّل الباب، فلما وصل إلى الجامع

---

(١) عيد الشعانين هو عيد الزيتونة، ويكون فى سابع أحد من صومهم. انظر: الخطط ١/٢٦٤.

Marfat.com

وقف على المنبر قائما حتى انتهت قراءَة السجل، وقبَّل الأرض كلما ذكر أمير المؤمنين. ثم عاد إِلى داره بالقاهرة وتسلم كتب الدعوة التى تُقْرأ بالقصر على الأولياء.

وفى يوم الجمعة سابع شعبان: اجتمع أَهل الدولة فى القصر بعد ما طُلِبوا لذلك، وأُمِروا أَلا يُقام لأَحد، فخرج خادم وأَسَر إِلى صاحب السِّتر كلاما، فصاح: صالح بن على، فقام صالح بن على الروزبارى، فأَخذ بيده ولا يعلم أحد ما يُراد به، فأُدخل إِلى بيت المال، ثم خرج وعليه دُرَّاعة مصمتة وعمامة مذهبة، ومعه مسعود صاحب الستر، فجلس بحضرة قائد القواد، وأَخرج سجلاً قرأَه ابن عبد السميع، فإذا فيه رَدُّ سائر الأمور التى ينظر فيها قائد القواد حسين بن جوهر إِليه، فعندما سمع فى السجل صالحُ ذِكرَه قام وقبَّل الأرض. ولما انتهى ابن عبد السميع من القراءَة قام قائد القواد وقبل خدَّ صالح وهنأَه وانصرف، فخرج صالح وبين يديه عدة أَسفاط وثلاث بغلات بسروجها ولُجُمها.

وقال المسبحى: قال لى الحاكم بأَمر الله: أَحْضَرتُ ابن سُورين وحلّفته على الإنجيل أَن يكتب سجِل صالح بن على ولا يُطْلِع عليه أَحدا من ابن جوهر ولا غيره، وقلت له: إِنك تعرف ما أَجَازى به من يخالف أَمرى فكُنْ منه على يقين فوالله ما اطلع عليه أحد غيرى وغيره، حتى كان.

وجلس صالح فى مجلس قائد القواد من القصر، ووقع عن الحاكم: ورفع إِليه الأولياء وسائر المتصرفين قصصهم وأَحوالهم، ونفذ أَوامر الحاكم، وطالعه بما تجب مطالعته له. وقلد ديوان الشام، الذى كان يتولاه، لأَبى عبد الله الموصلى الكاتب. وخلع على الشريف أَبى الحسن على بن إِبراهيم النرسى لنقابة الطالبيين وحُمل على فرسين، وقرئ سجله فى القصر والجامع.

وخلع على صقر اليهودى وحمل على بغلة، وقيد إِليه ثلاث بغلات بسروج ولُجُم ثقال وحُمِل معه عشرون سفط ثياب، وأُنْزل فى دار فُرشت وزُينت، وعُلق على أَبوابها وحجرها الستور، وأُعطِى فيها جميع ما يحتاج إِليه، وقيل له هذه دارك، فحصل له فى ساعة واحدة ما قيمته عشرة آلاف دينار. واستقر طبيب الحاكم عوضا عن ابن نسطاس.

وورد الخبر بأَن ابن الجراح فر بعد قتل جماعة من أَصحابه.

وخلع على يَارُوخ وسار إِلى دمشق وتبعه عسكر كثير.

واستهل رمضان: فحضر الأَسماط مع الحاكم القائد صالح قائد القواد، والقاضى مالك بن سعيد، وجلس فوق القاضى عبد العزيز بن النعمان. وقد صلى الحاكم بالناس

Marfat.com

صلاة الجمعة فى جامع راشدة، وصلى صلاة عيد الفطر وخطب على ما جرت عادته به، وأصعد معه المنبر وقت الخطبة قائد القواد صالح بن على ومالك بن سعيد القاضى والشريف النرسى وجماعة.

وفى ثالث شوال: أمر الحاكم قائد القواد السابق حسين بن جوهر والقاضى عبد العزيز بن النعمان بأن يلزما داريهما، ومُنعا من الركوب وسائر أولادهما، فلبسوا الصوف وامتنع الداخل إليهم، وجلسوا على الحصر.

وفى ذى القعدة: ولى غالب بن مالك الشرطتين والحسبة والنظر فى البلد، وقرئ سجله بالجامع العتيق وجامع ابن طولون، وصرف خود ومسعود.

وفى ثالث عشرهِ: سارت قافلة الحاج.

وفى تاسع عشرهِ: عفا الحاكم عن قائد القواد والقاضى عبد العزيز، وأذن لهما فى الركوب فركبا إلى القصر بزيهما من غير حلق شعر ولا تغيير حال.

وتوقفت زيادة النيل، فاستسقى الناس، وخرجوا ومعهم النساء والصبيان مرتين.

وقرئ سجل بإبطال المكوس[1] والمؤن التى تؤخذ من المسافرين عن الغلال والأرز.

وصلّى الحاكم صلاة عيد النحر، وخطب ونحر فى المصلى والملعب على عادته ورَسْمِه وبيع الخبز ثلاثة أرطال بدرهم. وتعذر وجوده. وجرى الرسم فى عيد الغدير على عادته. واشتد تكالُبُ النّاس على الخبز، فاجتمعوا وضَجُّوا من قلّته وسواده؛ ورفعوا للحاكم قصة مع رغيفه، وكانت الحملة الدقيق قد بلغت ستة دنانير.

وفتح الخليج فى رابع توت والماء على خمسة عشر ذراعا، فبلغ التليس[2] أربعة دنانير والوبية من الأرز بدينار، واللحم كل رطلين بدرهم، ولحم البقر رطلين ونصفا بدرهم، والبصل عشرة أرطال بدرهم والخبز ثمانى أواق بدرهم، وزيت الوقود الرطل بدرهم.

وفيها خرج النصارى من مصر إلى القدس لحضور الفصح بقمامة [3] على عادتهم فى كل سنة بتجمل عظيم كما يخرج المسلمون إلى الحج، فسأل الحاكم خَتْكِين الضيف العضدى، أحد قواده، عن ذلك لمعرفته بأمْر قُمامة، فقال هذه بيعة تعظمها النصارى ويُحج إليها من جميع البلاد، وتأتيها الملوك، وتُحمل إليها الأموال العظيمة، والثياب

---

(١) المراد الضرائب.

(٢) التليس يزن مائة وخمسين رطلا.

(٣) المراد بها كنيسة القيامة بالقدس.

Marfat.com

والسُّتُور والفُرُش والقناديل، والصلبان المصوغة من الذهب والفضة، والأوانى من ذلك، وبها من ذلك شىء عظيم، فإذا كان يومُ الفصْح واجتمع النصارى بقُمَامة، ونُصِبت الصُّلبان، وعُلِّقَت القناديل فى المذبح، وتحيَّلوا فى إيصال النار إليه بدهن البلسان مع دهن الزئبق، فيحدث له ضياء ساطع يظن من يراه أَنها نار نزلت من السماء، فأَنكر الحاكم ذلك، وتقدم إِلى بشْر بن سُورين كاتب الإنشاء، فكتب إلى أَحمد بن يعقوب الداعى أَن يقصد القدس ويهدم قُمامة ويُنْهبَهَا الناس حتى يعفى أَثرها، ففعل ذلك. ثم أمر بهدم ما فى أَعمال مملكته من البيع والكَنائس، فخُوِّف أَن تهدم النصارى ما فى بلادها من مساجد المسلمين فأمسك عن ذلك.

سنة تسع وتسعين وثلاثمائة

فى ثالث المحرم: نظر أَبو نصر بن عبدون الكاتب النصرانى فى ديوان الخراج بانفراده من غير شريك.

وفى تاسعه: وهو نصف توت، أشيع وفاء النيل، وخُلع على ابن أَبى الرداد، فابتدأَ فى النقص قبل أَن يوفى ستة عشر ذراعا من تاسع عشر توت؛ فأَمر الناس كافةً بأَلا يتظاهر أَحد منهم على شاطئ النيل بشىء من الغناء، ولا يسمع فى دار ولا يشرب فى المراكب. وكبست عدة دور، وقُبض على جماعة.

وقدم الحاج فى حادى عشرى صفر.

ونودى أَلا يدخل الحمام إلا بمِئْزر، ولا يمشى اليهود والنصارى إلا بالغيار، وضربوا على ترك ذلك. وكبست الحمامات وأُخذ منها جماعة وشُهروا من أَجل أَنهم وُجدوا بغير مِئزر.

ومُنع أَن يدخل أَحد إِلى سوق الرقيق إِلا أَن يكون بائعا أَو مشتريا، وأُفرد الجوارى من الغلمان، وجعل لكل منهم يوم.

ومنع من نصب الشراعات التى كانت النساء تنصبها فى المقابر أَيام الزيارة. وأشيع بين الناس بأَن النبيذ يُمنع من بيعه، فازدحموا على شرائه، وبيع منه شىء كثير، فعز حتى بيع كل عشر جِرارٍ بدينار، ولم يوجد لكثرة طلابه.

ومنع كل أَحد من الناس أَن يخرج من منزله قبل صلاة الصبح وبعد صلاة العشاء، واشتد الأَمر فى هذا، واعتُقل جماعة خالفوا ما أُمر به.

وقرئ سجل بترك الخَوْض فيما لا يعنى، والاشتغال باللوات فى أَوقاتها، والأَمر

بالمعروف والنهى عن المنكر، وألا يخوض أحد فى أحوال السلطان وأوامره وأسرار الملك.

وقرئ سجل فى ربيع الأول بالمنع من حمل النبيذ والموز، وحذر من التظاهر بشىء منه أو من الفقاع، والدلينس، والسمك الذى لا قشر له، والترمس المعفن.

وقرئ آخر فى سائر الجوامع بتسكين قلوب الناس وتطمينهم، لكثرة ما اشْتُهر عندهم وداخَلهم من الخوف بما يجرى من أوامر الحضرة فى البلد.

وفى حادى عشر جمادى الآخرة: قبض على عبد العزيز بن النعمان؛ وطُلب حسين ابن جوهر ففرَّ هو وابْنَاهُ وجماعة. وكثر الصياح فى دار عبد العزيز؛ وغلقت حوانيت القاهرة وأسواقها، فأُفرج عن عبد العزيز ونُودى فى القاهرة بألا يغلق أحد. ثم رُد حسين بعد ثلاثة أيام بابنيه، وصاروا إلى الحاكم فأمرهم بالانصراف إلى دورهم؛ وخلع عليه وعلى عبد العزيز وعلى أولادهما، وكُتب لهما أمانان.

وفى رجب: كثرت الأمراض فى الناس، وفشا الموت. وتخوَّف الناس من الحاكم فكتب عدة أمانات لأناس شتى. وأقطع مالك بن سعيد ناحية برنشت (١).

وفى شعبان: تراخت الأسعار.

وفى رمضان: قرئ سجل فيه: «يصوم الصائمون على حسابهم ويفطرون، ولا يُعارض أهلُ الرؤية فيما هم عليه صائمون، ويفطرون، وصلاة الخمسين للذين بما جاءَهم فيها يصلون وصلاة الضحى وصلاة التراويح لا مانع لهم منها ولا هُم عنها يُدفعون؛ ويخمس فى التكبير على الجنائز المخمسون، ولا يمنع من التربيع عليها المربعون؛ يؤذن بحى على خير العمل المؤذنون، ولا يُؤذَى من بها لا يؤذنون؛ لا يُسَبُّ أحدٌ من السلف، ولا يُحتسب على الواصف فيهم بما يصف، والحالف منهم بما حلف؛ لكل مسلم مجتهد فى دينه اجتهاده».

وفيه ركب سائر العرائف والأولياء وأكثر أهل البلد إلى القصر وقد عظمت الزحمة، واصطفت العساكر حول القصر بالسِّلاح، ولم يَعْرِف أحد ما هذا الاجتماع؛ فخرج صالح بن على بالخلع على فرس بسرج ولجام ذهب، وبين يديه فرسان وسفط ثياب، وسجل يتضمن أنه لقب ثقات السيف والقلم.

وأعيد عبد العزيز بن النعمان إلى النظر فى المظالم.

---

(١) من أعمال الجيزة. بمصر.

Marfat.com

وتزايدت الأمراض وكثر موت الناس، وعـزت الأدويـة؛ فبلـغ السُكر أربعـة دراهـم للرطل، وبذر الرمان كل أوقيـة بدرهـم، ودهـن البنفسـج كـل أوقيـة بدينـار، والعنـاب والإجاص كل أوقيتين بدرهم وباقة لينوفر بدينار، والبطيخة بثلاثة دنانير.

ولم يركب الحاكم لصلاة عيد الفطر وصلـى القـاضى مـالك بـن سـعيد بالنـاس فـى المصلى وخطب.

وفى ذى القعدة: أعيدت المكوس التى كانت رفعت.

وسارت قافلة الحاج فى النصف منه.

وحمل سماط عيد النحر يوم التاسع من ذى الحجة علـى عادتـه، غـير أنـه أبطـل منـه الملاهى والخيال واللعب الذى كان يعمل فى كل سنة.

وصلى القاضى بالناس صلاة عيد النحر وخطب.

وفى يوم عيد الغدير: منع الناس من عمله. ودرست كنائس بطريق المكس وكنيسـة بحارة الرُّوم من القاهرة ونُهب ما فيها. وقتل فى هذه الليلة كثير مـن الخـدم والصقالبـة والكُتّاب بعد أن قُطعت أيديهم بالساطور على خشبة من وسط الذراع.

وفيها مات أبو الحسن على بن عبد الرحمـن بـن أحمـد بـن يونـس المنجـم [1] لثـلاث خلون من جمادى الأولى، وقتل القائد فضل بن صالح، ضُربت رقبته لِتِسْع بقين مـن ذى القعدة.

وقتل أبو أسامة جنادة بن أسامة بن محمـد اللغـوى[2] لثـلاث عشـرة خَلـت مـن ذى الحجة، ومعه الحسن بن سليمان الأنطاكى النحوى، واسـتتر عبـد الغنـى بـن سـعيد [3]، وكان ذلك بسبب اجتماعهم بدار العلم وجلوسهم فيها.

---

(١) على بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفى المصرى، أبو الحسن: فلكى، مـن العلمـاء. كـان عارفا بالأدب، وله شعر كثير. اختـص بصحبـة الحـاكم الفـاطمى. توفـى بالقـاهرة. لـه «الزيـج الحاكمى» و«التعديل المحكم». انظر: وفيات الأعيان ١/٣٧٥، ومرآة الجنان ٢/٤٥١، وشذرات الذهب ٣/١٥٦، وابن الوردى ١/٣٢٠، والمقتطف ٨٠/١١٥، والأعلام ٤/٢٩٨.

(٢) جنادة بن محمد الهروى الأزدى، أبو أسامة: عالم باللغـة مـن أهـل هـراة. قتلـه الحـاكم صـاحب مصر. انظر: وفيات الأعيان ١/١١٧، والأعلام ٢/١٤٠.

(٣) عبد الغنى بن سعيد، من الأزد: شيخ حفاظ الحديث بمصـر فـى عصـره. كـان عالمـا بالأنسـاب، متفننا. مولده ووفاته فى القاهرة: خاف على نفسه فى أيام الحـاكم الفـاطمى، فاسـتتر مـدة، ثـم ظهر. من كتبه «مشتبه النسبة» و«المؤتلف والمختلـف» فـى أسـماء نقلـة الحديـث. انظـر: وفيـات الأعيان ١/٣٠٥، ومخطوطات الظاهرية ٩٦، والأعلام ٤/٣٣.

Marfat.com

وقتل رجاءُ بن أبى الحسين من أجل أنه صلى صلاة التراويح فى شهر رمضان.

وقُتِل أصحابُ الأخبار عن آخرهم لكثرة أذيَّتِهم الناسَ بالكذب عليهم وأخذهم الأموال من الناس.

وفيها قتل أبو على بن ثمال الخفاجى متولى الرحبة من قبل الحاكم، وملكها بعده صالح بن مرداس الكلابى [1] متملك حلب.

سنة أربعمائة

فى حادى عشر صفر: صُرِف أبو الفضل صالح بن على الروزبارى ثقة ثقات السيف والقلم، وقُرر مكانه أبو نصر بن عبدون الكاتب النصرانى؛ فوقّع من الحاكم فيما كان يوقّع فيه صالح، ونظر فيما كان ينظر فيه،وأُذِن لصالح فى الركوب إلى القصر.

وسار ابن عبدون فى الموكب مع الشيوخ فى المنتهى وقال: مِثلى لا يساير أمير المؤمنين بأعلى من ذلك.

وكتب من إنشاء ابن سُورين لخدم قمّامة بالقدس.

وأحدث الحاكم ديوانا سماه الديوان المفرد برسم من يقبض ماله من المقتولين وغيرهم.

ووصل الحاج فى حادى عشر منه.

وفى ربيع الأول: كثرت الأمراض والموت، وعزت الأدوية المطلوبة للمرضى.

وشُهر جماعة وجد عندهم فقاع وملوخية وترمس ودلينس بعد ضربهم.

وهُدم دير القصير [2] ونهب.

ولُقب ابن عبدون بالقاضى، وكتب له سجل بذلك، وحُمل على بغلتين.

---

(١) صالح بن مرداس بن إدريس الكلابى، أبو على: أمير بادية الشام وأول الأمراء المرداسيين بحلب. كان مقامه فى أطراف حلب. وثار فى الرحبة فاستولى عليها وكاتبه الحاكم بأمر الله بلقب أسد الدولة ثم امتلك حلب سنة ٤١٧هـ وامتد ملكه منها إلى عانة وقوى أمره. انظر: وفيات الأعيان ٢٢٨/١، وابن خلدون ٢٧١/٤، وابن الأثير ٧٢/٩و٧٨، وزبدة الحلب ٢٠١/١-٢٣٤، والأعلام ١٩٦/٣، ١٩٧.

(٢) يقع فوق جبل المقطم، قمته تطل على الصحراء والنيل، مقابل قرية المعصرة. انظر: الخطط ٥٠٢/٢، ٥٠٩.

Marfat.com

واشْتدَّ الأمرُ على اليهود والنصارى فى إلزامهم لبس الغيار.

وُرد إقطاع حسين بن جوهر إليه وإلى أولاده وصهره عبد العزيز بن النعمان، وقُرِئ لهم بذلك سجل وصلّى القاضى بالناس صلاة عيد الفطر على الرسم.

وقرئ سجل بإبطال ما كان يوخذ على أيدى القضاة من الخمس والفطرة والنجوى.

فى تاسع ذى القعدة: فر حُسين بن جوهر وأولاده وصهره عبد العزيز بن النعمان وأولاده بجماعة منهم فى أموال وسلاح، وخرجوا ليلا، فلما أصبحوا سيَّر الحاكم خيلا فى طلبهم نحو وجرة، فلم يدركوهم. واحيط بدورهم، فأُخذت للديوان المفرد. وفرَّ أبو القاسم الحسين بن المغربى فى زى حَمَّالٍ إلى حسان بن على بن مفرج بن دغفل بن الجراح.

وفيه قرئت عدة أمانات بالقصر للكتاميين من جند إفريقية، والأتراك، والقضاة، والشهود، وسائر الأولياء والأمناء، والرعية، والكتاب، والأطباء، والخدام السود، والخدام الصقالبة؛ لكل طائفة أمان.

وحُمِل سائرُ ما فى دُورِ حُسين بن جَوهر وعبد العزيز بن النعمان إلى القصر بعد أن أحصاه القاضى مالك بن سعيد وضبطه.

وقرئ سجل بقطع مجالس الحكمة التى كانت تُقرأ على الأولياء فى يومى الخميس والجمعة.

وقرئ سجل فى الجامع العتيق بإقبال الناس على شأنهم وتركهم الخوض فيما لا يعنيهم وسجل آخر برد التثويب فى الأذان، والإذن للناس فى صلاة الضُّحَى وصلاة القنوت. ثم جُمع فى سائر الجوامع وقرئ عليهم سجل بأن يتركوا الأذان بِحىَّ على خير العمل، ويزاد فى أذان الفجر: الصلاة خير من النوم، وأن يكون ذلك مِنْ مؤذنى القصر عند قولهم: السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله؛ فامتثل الناس وعُمل.

وسار محمد بن نزال بعسكر إلى الشام(١).

وقرئ سجل مُندد فيه بشرب النبيذ وجميع أنواع المسكر.

وصلّى الحاكم بالناس فى المصلّى صلاة عيد النحر، وخطب ونحر، وحضر السماط على رسمه. وقرئت عدة أمانات بالقصر.

---

(١) تولى بعد عزل القائد حامد بن ملهم، ولكنه عزل فى السنة نفسها.

Marfat.com

وفيه سارت العساكر بعدة مواضع تطلب قائد القواد حسين بن جوهر وصهره العزيز، وشاع الخبر بأنه عند بنى قرة.

وقرئ سجل فى الجوامع بالرُّخصة فيما كان يُشدَّد فيه فى الجمعة الماضية من أمر النبيذ.

وقُتل فى هذه السنة عدة كثيرة من الخدَّام والفراشين والكتاب وغيرهم.

ومات أبو منصور بن بشر عبيد الله بن سُورين كاتب السجلات فى صفر.

وتوفى صقر اليهودى، طبيب الحاكم فى ربيع الآخر.

وتوفى أبو عبد الله اليمنى المؤرخ، وله «تاريخ النحاة» و«سيرة جوهر القائد».

وقُتل أبو الفضل صالح بن على الروزبارى ليلة الثانى عشر من شوال.

وقُتل غالب بن هلال متولى الشرطتين والحسبة فى شوال.

سنة إحدى وأربعمائة

فى رابع المحرم: صُرف ابن عَبْدُون النصرانى، وخُلع على أحمد بن محمد القُشورى الكاتب، وقرئ سجله فى القصر بأنه تقلّد الوساطة والسِّفارة بين أولياء أمير المؤمنين الحاكم وبينه، وأمرَ الرعايا، وفُوضت له الأُمور وعُول عليه فيها.

وكان سببُ صَرْفِ ابن عبدون عن الوساطة والسفارة أنَّ كُتُب الحاكم تكرَّرت إلى قائد القواد حسين بن جوهر وإلى صهره عبد العزيز بن النعمان بأمانهم وعزهم، فأبى ابن جوهر أن يدخل وابن عبدون واسطة، وقال: أنا أحسنت إليه، أحسنت إليه أيام نظرى، فسعى فىَّ إلى أمير المؤمنين ونال منى كل مَنَال؛ لا أعود أبدا وهو وزير فصُرف لذلك، وحضر حسين وعبد العزيز ومن خرج معهما، فنزل سائر أهل الدولة إلى لقائه، وتلّقته الخلع، وأفيضت عليه وعلى أولاده وصهره عبد العزيز، وقيد بين أيديهم الدواب، فعندما وصلوا إلى باب القاهرة ترجَّلوا ومشَوْا، ومشى معهم سائرُ الناس إلى القصر؛ فمثلوا بحضرة الحاكم، ثم خرجوا وقد عُفِى عنهم. وأُذِن للحسين أن يكاتَب بقائد القواد، ويكون اسمه تالِيًا للقبه، وأن يخاطب بذلك، فانصرف إلى داره، فكان يوما عظيما. وحُمل إليه جميعُ ما قبض له من مال وغيره، وأنعم عليه. وواصل هو وعبد العزيز الركوب إلى القصر.

وكُتب لابن عبدون أمان خطّه الحاكم بيده، وكان يقول عنه: ما خدمنى أحد ولا بلغ فى خدمته ما بلغه ابن عبدون. ولقد جمع لى من الأموال ما هو خارج فى أموال الدواوين ثلاثمائة ألف دينار.

Marfat.com

وأقام ابن القشورى على رسمه ينظر عشرة أيام، إلى ثالث عشرهِ؛ فبينا هو يوقع إذ قُبض عليه وضربت رقبته من أجل أنه بلغ الحاكم عنه أنه يبالغ فى تعظيم حسين بن جوهر، وأكثر من السؤال فى حوائجه.

وفى يومه: أُجلس أبو الخير بن زُرْعَة بن عيسى بن نَسْطُورس الكاتب النصرانى فى مكان ابن القشورى، وأُمر أن يوقّع عن الحاكم فى أوامره، فجلس ونظر فى الوساطة والسفارة بغير خِلع. ومنع من الركوب فى المراكب بالخليج، وسُدت أبواب القاهرة التى مما يلى الخليج، وأبواب الدور والطاقات المطلّة عليه والخوَخ (١).

وخُلع على قاضى القضاة مالك، وقُلد النظر فى المظالم مع القضاء، وقرئ سجلُه بالجامع.

وكُتِب سجل بإعادة مجالس الحكمة. وأُخذ النحوى (٢) وشُدد على النصارى فى لبس الغيار بالعمائم الشديدة السواد، دون ما عداها من الألوان.

وفيه قُبِض على حسين بن جوهر وعبد العزيز بن النعمان، واعتُقِلا ثلاثة أيام، ثم حلفا أنهما لا يغيبان عن الحضرة وأشهدا على أنفسَيْهما بذلك، وأُفرج عنهما، وحلف لهما الحاكم فى أمان كتبه لهما.

واعتُقل ابن عبدُون، وأُمر بعمل حسابه، ثم ضُربت عنقه وقُبض مالُه.

وفى سابع عشر صفر: وصل الحاج من غير زيارة المدينة النبوية، فأُمر أن يكون مسير الحاج للنصف من شوّال وأن يبدءوا بزيارة المدينة، وكتب بذلك إلى سائر الأعمال.

وفى سابع ربيع الآخر: خُلع على زُرْعَة بن عيسى بن نَسْطُورس، وحُمِل، وقرئ له سجل فى القصر لُقب فيه بالشَّافى.

وخلع على أبى القاسم على بن أحمد الزيدى (٣)، وقرئ له سجل بنقابة الطالبيين(٤).

---

(١) مفردها خوخة: وهى الكوة التى تؤدى إلى البيت.

(٢) هو أبو طاهر محمود بن محمد النحوى من أهل بغداد، قدم إلى مصر وتعاون مع ابن العداس ضد فهد بن إبراهيم النصرانى حتى قتله الحاكم، وولى ابن العداس مكانه فى النظر، وولى النحوى الشام. ولم يلبث أن صار إلى ما صار إليه فهد إذ دبر الحاكم قتل ابن النحوى بالرملة فضربت عنقه وأرسلت إلى مصر ثم ضربت عنق ابن عداس.

(٣) على بن أحمد الطائى السيموقى، أبو الحسن، بهاء الدين: من أركان الدعوة الباطنية الدرزية. كان فى عصر الحاكم بأمر الله الفاطمى ومن حملة لوائه. انظر: تاريخ حلب ٢١٩/١، ودائرة=

وقرئ سجل فى سائر الجوامع، فيه النّهى عن مُعارضة الإمام فيما يفعله، وترك الخوض فيما لا يعنى، وأن يؤذّن بحىّ على خير العمل، ويُترك من أذان الصبح قولُ: الصلاةُ خير من النوم، والمنع من صلاة الضحى وصلاة التراويح، وإعادة الدعوة والمجلس على الرسم، فكان بين المنع من ذلك والإذن به خمسة أشهر.

وضرب جماعةٌ وشُهروا لبيعهم الملوخية والسمك الذى لا قشر له.

وقبض على جماعة بسبب بيع النبيذ واعتقلوا، وكبست مواضع ذلك.

ومنع النصارى من الغطاس فلم يتظاهروا على شاطئ البحر بما جرت عادتهم به.

وفى ثانى عشر جمادى الآخرة: ركب حسين بن جوهر وعبد العزيز بن النعمان على رسمهما إلى القصر، فلما خرج المتسلم قيل لحسين وعبد العزيز وأبى على أخى الفضل: أطيعوا لأمر تريده الحضرة منكم، فجلس الثلاثة وانصرف الناس، فقبض على ثلاثتهم وقُتلوا فى وقت واحد، وأُحيط بأموالهم وضياعهم ودورهم، فوجد لحسين بن جوهر فى جملة ما وجد سبعة آلاف مبطنة حريرا من سائر أنواع الديباج والعتابى وغيره، وتسع متارد صينى مملوءة حب كافور قنصورى وزن الحبة الواحدة ثلاثة مثاقيل وأُخذت الأمانات والسجلات التى كتبت لهم. واستُدْعِىَ أولاد حسين وأولاد عبد العزيز ووُعِدُوا بالجميل وخلع عليهم، وحُملوا على دواب.

وفيه ذبحت نعجة فوجد فى بطنها حَمَل وجهه كوجه إنسان.

وفى شعبان: وقّع قاضى القضاة مالك إلى سائر الشهود بخروج الأمر العالى المعظم أن يكون الصوم يوم الجمعة والعيد يوم الأحد.

واشتد الأمر فى منع المسكرات، وتتبُّع مواضعها.

وأُبطلت عدة جهات من جهات المكوس والرسوم.

ومُنع الغناء واللهو، وأُمر ألا تباع مغنية، وألا يجتمع الناس فى الصحراء ومنع النساء من الحمام. وأن يكون الخروج للحج فى سابع شوال.

وركب الحاكم لصلاة العيد على رسمه.

وفى ثانى شوال: سار على بن جعفر بن فلاح بالعساكر لقتال حسان بن على بن مفرج بن دغفل بن الجراح عند هزيمته يَارُوخ وقبضه عليه وعلى أصحابه بالرملة،

-المعارف الإسلامية ٩/٢١٨، والأعلام ٤/٢٥٤.

(٤) هى هيئة مخصصة للنظر فى شئون العلويين.

Marfat.com

فقاتلهم فى ثالث عشره وقتل منهم وظهر عليهم، وخلع الحاكم، وأقام الدعوة لأبى الفتوح حُسَين بن جعفر بن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب الحسنى، أمير مكة. وقتل يَارُوخ.

وفيه تأخر الحاج إلى نصف ذى القعدة، فخرجوا فى سابعه عشره، ورجعوا فى ثالث عشريه من القلزم؛ فلم يحج أحد من مصر فى هذه السنة.

وصلّى مالك بن سعيد بالناس صلاة عيد النحر، وخطب، ونحر فى المصَلّى والملعب مدة أيام النحر. ولم يركب الحاكم ولا نحر.

وفيها مات أبو الحسن على بن إبراهيم النرسى نقيب الطالبيين فى رابع ربيع الآخر وقد أناف على السبعين.

وقتل فيها من الكتاب والرؤساء والخدام والعامة والنساء عدد كثير جدا؛ قتلهم الحاكم.

وفيها خطب قَرْوَاش بن المقلّد بن المسيب[1]، أمير بنى عقيل، للحاكم بالموصل والأنبار والمدائن[2] والكوفة وغيرها؛ فكان أول الخطبة: «الحمد لله الذى انْجلَت بنوره غمرات الغضب، وانْهَدَّت بعظمته أركان النصب، وأطلع بقدرته شمس الحق من المغرب». ثم بطلت الخطبة بعد شهر وأُعيدت لبنى العباس.

---

(١) قرواش بن المقلد بن المسيب العقيلى، من هوازن، أبو المنيع، معتمد الدولة: صاحب الموصل والكوفة والمدائن وسقى الفرات. وليها بعد مقتل أبيه (سنة ٣٩١هـ) وكان أديبا شاعرا. أحسن تدبير ملكه وسياسته، ودامت إمارته خمسين سنة. انظر: فوات الوفيات ١٣١/٢، وابن الأثير ٥٧/٩-٢٠٣، والأعلام ١٩٤/٤.

(٢) المدائن: على سبعة فراسخ من بغداد على حافتى دجلة، فبهرسير هى المدينة الدنيا، وهى على أحد جانبيها مما يلى المشرق، وقصر كسرى وهو الإيوان هى المدينة القصوى، والمدائن كانت دار مملكة الأكاسرة، والفرس اختاروها من مدن العراق، وكان أول من نزلها أنوشروان، وهى عدة مدن فى جانبى دجلة الشرقى والغربى، ومنها المدينة التى يقال لها العتيقة، وإيوان كسرى، وبين المدينتين مقدار ميل، ومدينة يقال لها رومية، والجانب الغربى من دجلة مدينة يقال لها بهرسير، ثم سابط على فرسخ من بهرسير. وهذه المدن كلها هى المدائن التى افتتحها سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه. انظر: الروض المعطار ٥٢٦، ٥٢٧، وابن الوردى ٢٩، وآثار البلاد ٤٥٣، واليعقوبى ٣٢٠، ٣٢١، ومعجم البلدان (المدائن).

سنة اثنتين وأربعمائة

فى المحرم: قُلدت الشرطتان لمحمد بن نزال، وأُمِر بتتبع المنكرات والمنع منها، وألاّ يباع زبيب أكثر من خمسة أرطال، ولا تباع الجرار.

ومُنع النصارى من الاجتماع فى عيد الصليب (١) وأن يظهروا فى المضِىّ إلى الكنائس.

وأوفى النيل ستّة عشر ذراعا فى رابع عشر صفر، وهو سادس عشر توت.

وفى تاسع ربيع الآخر: خُلع على عَيْن الخادم وقُلد بسيف، وقرئ سجله بأنه لُقب بقائد القواد فلْيُكاتَب بذلك ويكاتِب به، وقِيدَ عشرةُ أفراس بسروجها ولُجُمها. وهدمت اللؤلؤة(٢).

وفى جمادى الآخرة: مُنِع بيع قلِيل الزبيب وكثيره، وكوتِبَ بالمنع من حمْلِه، وأُلقى فى النيل منه شىء كثير.

وفى رجب: قُطع الرسم الجارى من الخبز والحلوى الذى كان يقام فى الثلاثة أشهر لمن يبيت بجامع القاهرة فى ليالى الجمع والأنصاف. وحضر القاضى مالك إلى جامع القاهرة فى ليلة النصف من رجب. واجتمع الناس بالقرافة على عادتهم فى كثرة اللعب والمزاح.

وقرئ سجل فى القصر بأنَّ أحدًا لا يلتمس مِنْ أمير المؤمنين رزقًا ولا صلة ولا إقطاعًا ولا غير ذلك من المنافع.

واستهل شعبان يوم الاثنين: فأُمر أن يُجعل أوّله يوم الثلاثاء، وأُخِذ جميعُ ما عند التجار من السلاح بثمنه للخزانة.

ومُنِع النساء من الخروج بعد العشاء الآخرة.

وفى ليلة النصف من شعبان: كثر إيقادُ القناديل فى المساجد، وتنوفس فى ذلك.

وصلى مالك بن سعيد بالناس صلاة العيد.

وتشدد الأمر فى الإنكار على بيع الفقع والملوخية والسَّمك الذى لا قشر له.

ومُنع الناس من الاجتماع فى المآتم ومن اتباع الجنائز.

---

(١) هو من أعياد النصارى ويحتفل به فى اليوم السابع عشر من شهر توت.

(٢) منظرة للفاطميين على الخليج كانت تعرف باسم قصر اللؤلؤة.

Marfat.com

وأحرق زبيب كثير كان فى محارق التجار.

وجمع الشطرنج من أماكن متعددة وأحرق. وجُمع الصيادون وحُلِّفوا أنهم لا يصطادون سمكا بغير قشر، ومن فعل ذلك ضُرِبت رقبته.

وتوالى إحراقُ الزبيب عدة أيام بحضرة الشهود، وتولّى مؤنة الإنفاق على حمله وإحراقه متولى ديوان النفقات؛ فأُحرق منه ألفان وثمانمائة وأربعون قطعة مؤنة بلغ الإنفاق عليها خمسة آلاف دينار فى مدة خمسة عشر يوما.

وقرئ سجل بمنع الناس من السفر إلى مكّة فى البر والبحر، ومن حَمْل الأمتعة والأقوات إليها، فرُد قوم خرجوا إلى الحجِّ من طريق.

ومرض غين الخادم، فركب الحاكم لعيادته، وسيَّر إليه خمسة آلاف دينار وخمسة وعشرين فرسا مُسْرجة مُلجمة، وقلد الشرطة والحسبة بمصر والقاهرة والجزيرة، والنظر فى جميع الأموال والأحوال. ونزل إلى الجامع العتيق ومعه سائر العسكر بخلعه، وقرئ سِجِلُه وفيه تشدُّدُه فى المسكرات والمنع من بيع الفقاع والملوخية والسمك الذى لا قشر له، والمنع من الملاهى ومن اجتماع الناس فى المآتم واتباع الجنائز، والمنع من بيع العسل إلاّ أن يكون ثلاثة أرطال فما دونه.

وفى ذى الحجة: وردت هدية تنيس على العادة فى كل سنة.

ولم يركب الحاكم لصلاة عيد النحر، فصلى بالناس مالك بن سعيد وخطب. ولم يخرج من النساءِ إلى الصحراء فلم تُر امرأةٌ على قبر.

ومُنع من الاجتماع على شاطئ النيل، ومن ركوب النساء المراكب مع الرجال وخروجهن إلى مواضع الحرج مع الرجال.

وفيه عُمل عيد الغدير على رسمه وفُرقت فيه دراهم كثيرة.

ومنع من بيع العنب وألاّ يُتجاوَز فى بيعه أربعة أرطال، ومنع من اعتصاره، فبيع كل ثمانية أرطال بدرهم، وطُرح كثير منه فى الطرقات، وأُمر بدَوْسه، ومنع من بيعه ألبتة، وغُرق ما حمل منه فى النيل. وبُعث شاهدان إلى الجيزة فأُخِذ جميع ما على الكروم من الأعناب وطرحت تحت البقر لدَوْسه، وبعث بذلك إلى عدة جهات. وتُتبع مَنْ يَبيعُ العنب، واشتد الأمر فيه بحيث لم يستطع أحد بيعه، فاتفق أنَّ شيخا حمل حمرا على حمار وهرب، فصادفة الحاكم عند قائلة النهار على جسر ضيق، فقال له: من أين أقبلت؟ قال منْ أرض الله الضَّيِّقة، فقال: يا شيخ، أرض الله ضيقة؟ فقال: لو لم تكن

ضيقة ما جمعتنى وإياك على هذا الجسر، فضحك منه وتركه.

وفيها أخذ بنو قرجة هدية باديس بن المنصور صاحب إفريقية وزحفوا إلى برقة، ففرَّ عاملها فى البحر وفتحوها.

وفيه نزع السعر.

وفيها مات أبو القاسم ولى الدولة ابن خيران الكاتب فى شهر رمضان.

وانتهى ماء النيل فى زيادته إلى ستة عشر ذراعا ونصف ذراع.

سنة ثلاث وأربعمائة

فى محرم: ختِم على مخازن العسل وجميع ما عند التجار والباعة منه؛ ورُفعت مكوس الساحل. ومنع الناس من عمل حُزْن عاشوراء.

وغُرِّق فى أربعه خمسة آلاف وواحد وخمسون زيرًا من أزيار العسل.

ونَزَع السعر، وكثرُ الازدحام على الخبز، ففرق الحاكم مالا على الفقراء.

وكثر ابتياع الناس للسُّيوف والسكاكين والسلاح، وحَمَله من لم يحمله قطّ من العوامّ والصُّنّاع، وكثر الكلام فيه، فقرئ سجلٌ على منابر الجوامع بتطمين الناس وإعراضهم عن سماع أقوال المرجفين.

وفى ثانى ربيع الأول: خُلع على أبى الحسن على بن جعفر بن فلاح ولقب قطب الدولة، وقرئ له سجل بالتقدم على سائر الكتامين والنظر فى أحوالهم، والسفارة بينهم وبين أمير المؤمنين. وحُمل على فرس وبين يديه ثياب.

وهلك زُرْعَة بن عيسى بن نَسْطُورس من علّته فى ثانى عشره؛ فكانت مدة نظره فى الوساطة سنتين وشهرًا؛ فتأسف الحاكم على فقده من غير قتل، وقال: ما أسفت على شىء قط أسَفِى على خلاص ابن نسطورس من سيفى، وكنت أودُّ ضَرْبَ عنقه، لأنه أفسد دولتى، وخاننى ونافق علىّ، وكتب إلى حسان بن الجراح فى المداجاة علىّ وأنه يبعث من يهرب به إليه.

وخُلع على إخوته الثلاثة وأُقروا على ما بأيديهم من الدواوين. وأمر النصارى إلا الجبابرة بلبس العمائم السُّود والطيالسة السُّود، وأن يعلّق النصارى فى أعناقهم صلبان الخشب، ويكون ركب سُرُوجهم من خشب، ولا يركب أحد منهم خيلا، وأنهم يركبون البغال والحمير وألاّ يركبوا السروج واللجم محلاّة، وأن تكون سُروجهم ولُجُمُهم بسيور سود، وأنهم يشدون على أوساطهم، ولا يستعملون مسلما، ولا

يشترون عبدا ولا أمة، وأُذن للناس فى البحث عنهم وتتبع آثارهم فى ذلك، فأسلم عدة من النصارى الكتّاب وغيرهم. وشدد الأمر عليهم، ومنع المكاريون من تركيبهم، وأُخِذوا بتسوية السُّروج والخفاف، ومُنعوا من ركوب النيل مع نواتية مسلمين.

واستدعى الحاكم حسين بن طاهر الوزان - وكان منقطعا إلى غين الخادم الأسود- وعرض عليه الوساطة فأجاب بشريطة أن يكون لكل قبيل من طوائف العسكر زمام عليهم يرجعون إليه، ويكون نظره على الأزمة، فيجعل لكل طائفة يوما ينظر فى أمورهم وخاصة زمامهم فقط، ففعل ذلك، وخلع عليه. وفوّض فى الوساطة والتوقيع، وقرئ سجله بالقصر فى تاسع عشر ربيع الأول.

وأمر الحاكم فنقش على خاتمه: بنصر الله العظيم الولى ينتصر الإمام أبو على.

وفيه أُمر النصارى بعمل ركب السروج من خشب الجميز.

وقُبض على جماعة بسبب اللعب بالشطرنج وضُربُوا وحبسوا. وأُلزم النصارى أن يكون الصَّليب فى أعناقهم طوله ذراع فى مثله، وكثرت إهاناتهم وضيق عليهم؛ وأُمروا أن تكون زنة الصليب خمسة أرطال وأن يكون فوق الثياب مكشوفا، ففعلوا ذلك. ولما اشتدت عليهم الأمور تظاهر كثير منهم بالإسلام، فوقع الأمر بهدم الكنائس، وأُقطعت بجميع مبانيها وبمالَها من رباع وأراض لجماعة(١)، وعملت مساجد وأُذن فى بعضها وبيعت أوانيها. ووجد فى المُعَلّقة(٢) بمصر وفى كنيسة بوشنودة مال جزيل من مصاغ وثياب وغيره. وتتابع هدم الكنائس؛ وكتب إلى الأعمال بهدمها فهدمت.

وأُشيع سير أبى الفتوح أمير مكة من الرملة إلى الحجاز، وكان قد قدم إليها فبايعه ابن الجراح ولقبه بالراشد بالله أمير المؤمنين، ودعا له بالرملة.

وفى جمادى الأولى: لُقّب الحسينُ بن طاهر الوزان بأمين الأمناء وكتب له سجل بذلك.

وظهر لحسين بن جوهر مال عظيم، فأنعم به الحاكم على ورثته ولم يعرض لشىء منه.

وفى ذلك الحين كان وصُولُ أبى الفتوح إلى مكّة وإقامتُه الدعوة للحاكم بها، وضربت السكّة باسمه. وابتدأ مالك بن سعيد بعمل رَصد فلم يتم.

وفى جمادى الآخرة: اشتد الإنكار بسبب الفقاع والزبيب والسمك. وقُبض على جماعة فاعتُقلوا وأُمر بضرب أعناقهم، ثم أطلقوا. وتشدد فى منع ذبح الأبقار السالمة

---

(١) من الصقالبة والفراشين والسعدية.

(٢) الكنيسة المعلقة بمدينة مصر فى خط قصر الشمع.

Marfat.com

من العيب ومنع النساء من الغناء والنشيد.

وأُقطعت الكنائس والدِّيارات بنواحىَ بمصر لكلٍّ من التمسها.

وفى رجب: قرئ سجل بمنع الناس من تقبيل الأرض للحاكم، وبمنعهم من تقبيل ركابه ويده عند السلام عليه فى المواكب، والانتهاء عن التخلّق بأَخلاق أَهل الشرك من الانحناء إِلى الأَرض فإِنّه صنيع الروم، وأُمروا أَن يكون السلام عليه: السلام على أَمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. ونُهوا عن الصلاة عليه فى المكاتبة والمخاطبة، وأَن تكون مكاتبتُهم فى رقاعهم ومراسلاتهم بإنهاء الحال، ويقتصر فى الدعاء على سلام الله وتحياته وتَوَالِى بركاته على أَمير المؤمنين، ويدعى بما سبق من الدعاء لا غير. فلما كان يوم الجمعة لم يقل الخطيب سوى: اللهم صل على محمد المصطفى وسلم على أَمير المؤمنين على المرتضى، اللهم وسلّم على أُمراء المؤمنين آباء أَمير المؤمنين، اللهم اجعل أَفضل سلامك على سرّك وخليفتك.

وأُنزل من القصر سبع صناديق فيها أَلف ومائتان وتسعون مصحفا إِلى الجامع العتيق ليقرأَ فيها الناس. وأُحصيت المساجد التى لا غلّة لها فكانت ثمانمائة مسجد ونيِّف، فأُطلق لها فى كل شهر تسعة آلاف ومائتا درهم وعشرون درهما، لكل مسجد اثنا عشر درهما.

ومُنع من ضرب الطبول والأبواق التى كانت تُضرب حول القصر فى الليل، فصاروا يطوفون بغير طبل ولابوق. وأُنزل إِلى جامع ابن طولون ثمانمائة مصحف وأَربعة عشر مصحفا وأُبطلت مكوس الحسبة، وأُذن للناس بالتأَهب للحج فى البر والبحر.

وفى رمضان: صلى الحاكم بالناس مرة فى جامعه براشدة، ومرة بجامعه خارج باب الفتوح.

وفيه ظهر جراد كثير حتى أُبيع فى الأسواق. وصلّى بالجامع العتيق بمصر جمعة، وهو أَول من صلى فيه من الخلفاء الفاطميين. ومُنع النساءُ من الجلوس فى الطرقات للنظر إِليه. وأَخذ القصص[1] بيده ووقف لأَهلها وسمع كلامهم، وخالطه العَوَامُّ وحالوا بينه وبين موكبه. واسْتَماحهُ قوم فوصلهم بصلات كثيرة، وأَهدى إِليه قوم مصاحف فقبلها وأَجازهم عليها. ووقف عليه اثنان من تربة عمرو بن العاص وشكَوا

(١) القصص هى الرقاع التى يكتبها أَصحاب المظالم يحكون فيها ما وقع بهم من ظلم ويسألون رفعه.

Marfat.com

أن حَبْسهما قُبض عليه للدّيوان من أيام العزيز، فخلع عليهما ووصلهما بألف دينار. وكثرت فى هذا الشهر إنعاماتُه، فتوقّف أمين الأمناء حسين بن طاهر الوزان فى ذلك، فكتب إليه الحاكم بخطه بعد البسملة:

الحمد لله كما هو أهله.

أصبحت لا أرجو ولا أتّقى ... سوى إلهى وله الفضل
جدى نبيى، وإمامى أبى ... ودينىَ الإخلاصُ والعدل

المال مال الله عزَّ وجل، والخلق عباد الله، ونحن أمناؤه فى الأرض. أطلقْ أرزاق الناس ولا تقطعْها. والسلام».

وركب فى يوم الفطر إلى المصلّى بغير شىء مما كان يظهر فى هذا اليوم من الزينة والجنائب (١) ونحوها، فكان فى عشرة أفراسٍ جيادٍ بين يديه بسُروج ولُجُم مُحلاّة بالفضة البيضاء الخفيفة، ومظلة بيضاء بغير ذهب، وعليه بياضُ بغير طُرُز ولا ذهب ولا جوهر فى عمامته، ولم يُفْرَش المنبر.

وفيه وقعت فتنة بين طوائف العسكر شَهَرُوا فيها السلاح، فركب الحاكم وأصلح بينهم.

وولد لعبد الرحيم بن إلياس (٢) ابن عم الحاكم مولود فبعث إليه ثلاثة أفراس مسرجة ملجمة ومائة قطعة من الثياب وخمسة آلاف دينار عينا وسائر ما كان لأبيه أبى الأشبال المتوفى، وكان شيخا جليلا.

ومُنع الناس من سب السَّلف وضُرب فى ذلك رجل وشُهِّر، ونودى عليه: هذا جزاءُ من سب أبا بكر وعمر، وتبرأ الناس، فشق هذا على كثير من الناس، وتجمعوا يستغيثون بباب القصر: لا طاقة لنا بمخاصمة أحد أو الصبر لكل ما جرى؛ فصرفوا ونُهُوا، فمضُوا وهم يستغيثون فى الطرقات، فقُرئ سِجل بالقصر فيه الترحم على السَّلف من الصحابة والنّهىُ عن الخوض فى مثل ذلك. ورأى فى طريقه وقد رَكِب

(١) الجنائب جمع جنب وهى الخيول التى كانت تسير وراء السلطان أو الخليفة لاحتمال الحاجة إليها.

(٢) عبد الرحيم (أبو القاسم) بن إلياس بن أحمد بن المهدى العبيدى: ولى عهد الحاكم بأمر الله، من أمراء العبيديين بمصر. أقامه الحاكم وليا لعهده سنة ٤٠٤هـ ثم أرسله واليا على دمشق سنة ٤١٠هـ فرخص للناس فيما كان الحاكم ينهاهم عنه، والتف حوله أحداث البلد وكرهه الجند فكتبوا إلى الحاكم فدعاه إليه ثم أعاده بعد أربعة أشهر فأخذ فى المصادرة وبالغ فى الإساءة فقيده الجند وسجنوه فمات. الأعلام ٣/٣٤٣، ٣٤٤.

Marfat.com

لَوْحًا فيه سبٌّ على السلف فأنكره ووقف حتى قُلع. وتتبع الألواح التى فيها شىء من ذلك، فقلعت كلُّها، ومحى ما كان على الحيطان منها حتى لم يبق لها أثر. وشدد فى الإنكار على من خالف ذلك، ووعد عليه بالعقوبة.

وسارت قافلة الحاج فى رابع عشر ذى القعدة إلى بِرْكَة الجُب ثم رجعوا من ليلهم.

وخُلع على قطب الدولة أبى الحسن على بن فلاح وسار فى عسكر لقتال ابن الجراح. وَأَمْلَك ابنا عبد الرحيم بن إلياس بزوجتى حسين بن جوهر، وقرئ كتابهُما فى القصر، وقد كتبا فى ثوب مصمت وفى رأس كل منهما بخط الحاكم: «يعقد هذا النكاح بمشيئة الله وعونه، والحمد لله رب العالمين، وحسبنا الله ونعم الوكيل». وخلع على ابنى عبد الرحيم وحمل عنهما المهر وهو ألفا دينار.

وصلّى الحاكمُ بالناس صلاة عيد النحر كهيئته فى عيد الفطر، ونحر عنه عبد الرحيم والمؤذنون يكبّرون خلفه كما يفعلون بين يدى الحاكم، والقاضى مالك إلى جنبه ومعه الرُّمح، وكلما رمى الرمح لينحر به قبله قبل أن ينحر به؛ فعل ذلك ثمانية أيام، فبعث إليه الحاكم ثيابًا جليلة وجواهر ثمينة، وحمله على فرس بسرج مرصع بالجوهر.

وواصل الحاكم الركوب إلى الصحراء بحذاء فى رجله، وعلى رأسه فُوطَةُ. وكان يركب كل ليلة بعد المغرب. ووقف إليه خراسانى يذكر أنه أُخِذ منه متاعٌ برسم الخزانة ولم يُدْفع إليه ثمنُه، فدفع إليه جميع ما كان له وهو نحو خمسة آلاف دينار، فشَق به البلد، وكثر الدُّعاء للحاكم. وحُمل إلى عبد الرحيم عشرة آلاف دينار فى أكياس مكتوب عليها: لابن عمنا وأعزِّ الخلق علينا عبد الرحيم بن إلياس بن أحمد بن المهدى بالله، سلّمه الله وبلّغنا فيه ما نؤمّلُه.

وبعث إلى ملك الروم هدية مبلغ سبعة آلاف دينار.

وفيها وصلت هدية الحاكم إلى نصير الدولة أبى مناد مع عبد العزيز بن أبى كُدَيْنَةِ لثلاث عشرة خلت من المحرم، ومعه سجلٌّ برقة وأعمالها إليه، فخرج إلى لقائه ومعه القضاء والأعيان، فكان يومًا مشهودًا.

وفى أواخر رجب: فُلج أبو الفتوح يوسف بن عبد الله بن أبى الحسين [1] أمير

---

(١) يوسف بن عبد الله بن محمد، من آل أبى الحسين الكلبى، أبو الفتوح: من أمراء صقلية فى عهد الفاطميين العبيديين وكانت تابعة لهم. وليها بعد وفاة أبيه (سنة ٣٧٩هـ) بعهد منه.انظر: رحلة التيجانى ٢٨، والأعلام ٢٣٩/٨.

Marfat.com

صقلية، فتعطّل جانبه الأيسر، فقام بالأمر ابنه أبو محمد بن يوسف (١) وكان بيده سجل الحاكم بولايته بعد أبيه، ثم وصل إليه سجلٌ لقب فيه تاج الدولة وسيف الملة. ثم أُنفِذ إليه تشريفٌ، وعقد له لواء، وزيد فى لقبه الملك.

وفى ذى القعدة: مات مفرج بن دغفل بن الجراح بَرمْلة لُد، من فلسطين.

سنة أربع وأربعمائة

فى محرم: أمر ألاّ يدخل يهودى ولا نصرانى الحمام إلاّ ويكون مع اليهودى جرس ومع النصارى صليب. ونهى عن الكلام فى النجوم، فتغيب عدةٌ من المنجّمين وبقى منهم جماعة وطُرِدُوا، وحُذّر الناس أن يخفوا أحدًا منهم، فأظهر جماعة منهم التوبة فعُفِى عنهم، وحَلفُوا ألاّ ينظروا فى النجوم.

وأمر بغلق سائر الدواوين وجميع الأماكن التى تباع فيها الغلال والفواكه وغيرها ثلاثة أيام من آخر حزن عاشوراء، فلما كان يوم عاشوراء أُغلقت سائر حوانيت مصر والقاهرة بأسْرها إلاّ حوانيت الخبازين. ونزل الذين عادتُهم النزول فى يوم عاشوراء إلى القاهرة من المنشدين وغيرهم أفرادًا غير مجتمعين ولا متكلمين، فما اجتمع اثنان فى موضع. وخرج الحاكم فى أمره وبذيله القاضى إلى بلبيس، فنظر العسكر المجهز مع على ابن فَلاَح، وعاد من الغد، ورحل العسكر.

وأكثر الحاكم فى هذا الشّهر من الصّدقات وإعطاء الأموال الكثيرة جدا. وأعْتق سائر مماليكه وجواريه.

وفتح فيه الخليج يوم السابع عشر من مِسْرى والماء على أربعة عشر ذراعا وثمانية أصابع.

وفى أول صفر: صُرف القائد غين عن الشُّرطتين والحسبة، وتقلدها مظفر الصقلبى حامل المظلة. وأُذن لليهود والنصارى فى مسيرهم إلى أن سارُوا من بلاد الروم.

وورد الخبر بوصول عساكر مصر ودمشق إلى الرملة وخروج العرب منها.

وأمر ببناء جامع الإسكندرية وأطلق مالا كثيرا للصدقة والتفرقة.

وفيه جُمع سائر الناس على اختلافهم بالقصر وقرئ عليهم سجل بأن أبا القاسم عبد

---

(١) جعفر بن يوسف بن عبد الله، من آل أبى الحسين الكلبى القضاعى: من أمراء صقلية فى أيام الفاطميين بمصر. وليها لما فلج أبوه سنة ٣٨٨هـ. وجاءه سجل الإمارة من الحاكم بأمر الله ولقبه تاج الدولة وسيف الملّة. انظر: المسلمون فى جزيرة صقلية ١٦٦، والأعلام ٢/١٣٠.

Marfat.com

الحكيم بن إلياس بن أبى على بن المهدى بالله أبى محمد عُبيد الله قد جعله الحاكم بأمر الله ولىّ عهد المسلمين فى حياته والخليفة بعد وفاته، وأُمِر الناسُ بالسَّلام عليه وأن يقولوا له فى سلامهم عليه: السلام على ابن عم أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين، وتعين له محل يجلس فيه من القصر. ثم قُرئ السِّجِلُّ على منابر البلد وبالإسكندرية، وبعث بذلك سجلا إلى إفريقية، فقُرِئ بجامع القيروان وغيره، وأُثْبِتَ اسمُه مع اسم الحاكم فى البُنود والسِّكَّة والطِّراز فعظم ذلك على نصير الدولة أبى مناد باديس وقال: لَوْلاَ أن الإمام لا يُعْترض عليه فى تدبيرٍ لكاتبتُه ألاّ يصرف هذا الأمر عن ولده إلى بنى عمه.

وخُلع على عبد الغنى بن سعيد ودُفع له ألف وخمسمائة دينار وخمس عشرة قطعة ثياب، وحمل على بغلة ولرفيقه مثل ذاك. وسُيِّر مع رسول متملِّك الروم بهدية عظيمة.

وبلغ الحاكم أن أبا القاسم على بن أحمد الزيدى النقيب عليه عشرون ألف دينار، فوَقّع له بها مما عَلَيْه من الخراج، وبعث له بثلاثة آلاف دينار أخرى.

وكثر ركوب الحاكم وهو بدُرَّاعة صوف بيضاء وعمامة فوطة، وفى رجله حذاء عربى بقِبالَين[1]، فأقبل الناس إليه بالرِّقاع ما بين متظلِّمٍ أو مُسْتَمْنحٍ؛ فأجزل فى الصِّلاتِ والعطايا ما بين دُور ودَرَاهمَ وثياب، فلم يُرَد أحد خائبا. ورد ما كان فى الديوان من الضِّياع والأملاك المأخوذة لأربابها، وأقطع كثيراً من الناس عدة دور.

وفى ربيع الأول: بسط الحاكم يده بالعطاء.

وفى ثامن عشر ربيع الآخر: أمر الحاكم بقطع يَدَىْ أبى القاسم أحمد بن على الجرجرائى[2]، فقُطِعتا كلتاهما، وهو يومئذ كاتبُ قائد القواد غين. وسبب ذلك أنه كان فى خدمة ستِّ الملك، أخت الحاكم، فانفصل عنها وهى غيرُ راضية عنه، وحدم عند غين، ثم بعث إليها رقعة يستعطفها، فارتابت منه وسيرتها فى طى دَرْجها [3] إلى الحاكم، فأمر بقطع يديه وقد اشتد غيظُه. ويقال بل كان عقيل صاحب الخبر يحملُ الرقاع بالخبر إلى القائد غين ليوصلها إلى الحاكم وهى مختومة، فجاءَه فى يوم بالرقاع

---

(١) زمام بين الإصبع الوسطى والتى يليها.

(٢) نسبة إلى جرجرايا وهى بالعراق مدينة على شرقى دجلة بقرب دير العاقول، وقالوا: من المدائن إلى واسط خمس مراحل أولها دير عاقول وهى مدينة النهروان الأوسط وبها قوم دهاقون، ثم جرجرايا وهى مدينة النهروان الأسفل وهى الأشراف والفرس وهى مدينة كبيرة. انظر: الروض المعطار ١٥٧، ١٥٨، ومعجم البلدان (جرجرايا)، واليعقوبى ٣٢١.

(٣) هو القرطاس الذى يكتب فيه.

Marfat.com

على عادته فدفعها غين إلى كاتبه أبى القاسم الجرْجَرَائى حتى يجد فراغا فيحملها إلى الحاكم، ففك الجرجرائى الختم وقرأها، فإذا فى بعضها طعنٌ على غين وذِكْرُهُ بسوء، فقطع ذلك الموضع من الرُّقعة وحكّه وأصلحه، وأعاد الختم، فبلغ ذلك عقيلا فأوصله إلى الحاكم فأمر بقطع يديه.

وفى ثالث جمادى الأولى: قطعت يد غين بعد قطع يد كاتبه الجرجرائى بخمسة عشر يومًا، وكانت يده الأخرى قد قطعت قبل ذلك بثلاث سنين وشهر، فصار مقطوع اليدين. ثم إن الحاكم بعث إليه بآلاف من الذهب وعدة أسفاط من الثياب وأمر بمداواته. وأبطل عدة مكوس من جهات كثيرة، فلما كان فى ثالث عشره أمر بقطع لسان غين فقطع.

وفى رجب: أمر برفع ما يؤخذ من الشُّرطتين، وقَتْلِ الكلاب، فقُتلت بأجمعها، وأبطل مكس الرطب ومكس دار الصابون، ومبلغه ستة عشر ألف دينار، وأطلق أموالا جزيلة للصدقة. وأكثر من الركوب فى الليل. ونزل النِّصف من شعبان إلى القرافة ومشى فيها وتصدق بشىء كثير، وأبطل عدة جهات من جهات المكس. ومنع النساء أن يخرجن إلى الطُّرقات فى ليل أو نهار سواء أكانت المرأة شابةً أم عجوزًا، فاحتبسْنَ فى بيوتهن ولم تُر امرأةٌ فى طريق، وأُغلقت حماماتهن، وامتنع الأساكفة (١) من عمل خفاف النساء وتعطّلت حوانيتهم.

وفى سادس عشره: وقع فى الناس خَوفٌ وفزع من شناعة القول وكثرة إشاعته بأن السيف قد وقع فى الناس، فتهاربَ الناسُ وغُلقت الحوانيت فلم يكن سوى القلب. وضُرب قوم خالفوا النهى عن بيع الملوخية والسمك الذى لا قشر له وشُهِّروا. وضرب كثير من النساء من أجل خروجهن من البيوت وحُبِسنَ.

وقرئ سجل بالمنع من تفتيش المسافرين فى البحر والبر والنّهى عن التعرض لهم.

وفى رمضان: صلّى بالناس فى الجوامع الأربعة: جامع القاهرة، والجامع خارج باب الفتوح، وجامع عمرو، وجامع راشدة، وتصدق بأموال كثيرة، ودعا فوق المنابر بنفسه لعبد الرحيم بن إلياس، فقال: اللهم استجب منى فى ابن عمى ووَلىّ عهدى والخليفة من بعدى، عبد الرحيم بن إلياس بن أحمد بن المهدى بالله أمير المؤمنين، كما استجبت من موسى فى أخيه هارون.

وفيه ركب قائد القواد غين إلى القصر فى موكب عظيم، فخلع عليه. وضرب على السكة اسم عبد الرحيم ولى عهد المسلمين. ومُنِع مَنْ عادتُه الطّواف فى الأعياد

---

(١) جمع إسكافى وهو كل صانع، سوّى الخفاف وأصلحها.

Marfat.com

بالأسواق لأخْذ الهبات من الرِّجَّالة والبواقين [1] واجتمع الأولياء وغيرهم بالقصر فى يوم الخميس ثامن عشريه: لسماع ما يقرؤه القاضى من كتب مجالس الحكم، فمنعوا من ذلك.

وركب لصلاة الجمعة بجامع القاهرة، فازدحم الناس عليه بعد ركوبه من الجامع إِلى القصر، فوقف لهم وأَخذ رِقَاعَهم، وحادَثَهم، وضاحَكهم، فلم يرجع إِلى القصر من كثرة وقوفه ومحادثته العوام إِلى غروب الشّمس، ووقّع صِلاتٍ كثيرة.

وركب لصلاة العيد بغير زى الخلافة، ومظلّته بيضاءَ، وعبد الرحيم يسايره وهو حاملٌ الرمحَ الذى مِن عادة الخليفة حمله، وأَصعده معه المنبر ودَعَا له.

ولم يعمل فى القصر سماط، ولا رُؤِيَتْ امرأَة، ولا أُبيع شىء ممَّا عادتُه يباع فىْ الأعياد من اللعب والتّماثِيل.

واشتد الأمر فى منع النساءِ من الخروج، وحُبس عدة عجائز وخَدَم وُجِدْنَ فى الطرقات.

وواصل الركوب فى اللّيل. وأَطلق لخليج الإسكندرية خمسة عشر أَلف دينار.

وقُرئَ سجل بأَن كلَّ من كانت له مظلمة فليرفعها إِلى ولى العهد، فجلس عبد الرحيم ورفعت إِليه الرقاع فوقّع عليها.

وللنصف من ذى القعدة: سار الحاج.

وفى يوم النحر: ركب عبد الرحيم بالعساكر إِلى المصلّى فصلّى بالناس وخطب، ونحر بالمصلّى وبالمَلْعَب، ولم يُعْمل سماطٌ بالقصر.

وواصل الحاكم الركوب فى العشايا. واصطنع خادما وكاتبا أَسود كناه بأَبى الرضا سعد، وأَعطاه من الجواهر والأموال ما يجِل وصفها، وأَقطعه إِقطاعات كثيرة؛ فقصده الناس لحوائجهم ولزموا بابه لِمُهِمَّاتِهم، فتكلمَّ لهم مع الحاكم فلم يردَّ سؤاله فى شىء. وكان مما يسأَل فيه إِقطاعات للناس تتجاوز خمسين أَلف دينار.

وفيه بعث أَبو مناد باديس، أَمير إِفريقية، حميد بن تَمُوصَلْت على عسكر إِلى برقة، فخرج منها خود الصقلبى إِلى مصر فتسلّمها حميد.

---

(١) هم الذين ينفخون فى الأبواق.

Marfat.com

سنة خمس وأربعمائة

فى المحرم: تزايد وقوع النار وكثر الحرق فى الأماكن، فأُمِر النّاس باتخاذ القناديل على الحوانيت وعلى أَريافها؛ وطرحت السقَائِف والرَّوَاشِن وأُمِر بقتل الكلاب، فُقتل منها كثير. وعَظُم الحريق، ووقعت فى أَمره شناعات من القول، فقرئ سجلٌ فى الجوامع بزَجْرِ السُّفهاء والكف عن أَحوال تُفْعَل، وأَن يدخل الناس إِلى دُورِهم من بعد صلاة العشاء، فأغلقت الدُّورُ والحوانيت والدرُوب من بعد صلاة المغرب وكثر الكلام وعظم الترحم فى الليل.

وفيه وصل على بن جعفر بن فلاح من الشام.

ووصلت قافلة الحاج فى تاسع صفر من غير زيارة المدينة، وقد أَصابهم خوف شديد، وهلك منهم خلق كثير من الجوع والعطش.

وفيه ركب الحاكم مرتين، فرُفعت إِليه الرقاع، فأَمر برافعِيها فحُبِسوا.

وحبس عدة قياسِر وأَملاك مع سبع ضياع بإِطفيح [1] وطوخ [2] على القراءِ والمؤذنين بالجوامع وعلى ملء المصانع [3] والمارستان [4] وثمن الأَكفان.

وفى ربيع الأول: واصل الركوب وأَخذ الرقاع ووقف مع الناس طويلا، ثم امتنع من أَخذ الرقاع وأَمر أَن ترفع إِلى عبد الرحيم وإِلى القاضى مالك، وإِلى أَمين الأمناء، فتناولوا الرقاع. وأَكثر من الهبات والصِّلات والإِقطاع والخلع.

فلما كان يوم السبت سادس عشرى ربيع الآخر: ركب فى اللّيل على رسمه إِلى الجُب وتلاحق به الناس وفيهم قاضى القضاة مالك بن سعيد، فلما أَقبل على الحاكم أَعرض عنه فتأَخر، وإِذا بصقلبى يقال له غادى، يتولى الستر والحِجّيَة، أَخذه وسار به إِلى القُصور وأَلقاه مطروحا بالأَرض، فمر به الحاكم وأَمر بمُواراته، فدفن هناك بثيابه وخُفّيه. وكانت مدة نظره فى الأَحكام عشرين سنة، منها ستُ سنين وتسعة أَشهر قاضى القضاة وباقيها خلافةً لِبنى النعمان. وكان ينظر فى القضاء والمظالم والأَحباس، والدعوة، ودار الضرب، ودار العيار، وأَمر الأَضياف، فعلت منزلته وقصده الناس فى حوائجهم لكثرة اختصاصه بالحاكم وتزايُدِ إِقطاعاته من الدور بفُرُشها والضِّياع

---

(١) بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل فى شرقيه. انظر: معجم البلدان ٢١٨/١.
(٢) قرية فى صعيد مصر فى غربى النيل. انظر: معجم البلدان ٤٦/٤.
(٣) هى كالحوض يجمع فيه ماء المطر.
(٤) هى المستشفى.

Marfat.com

العديدة، ومواصلة الركوب معه ليلا ونهارا، ومشاورته فى أمور الدولة ونظره فى أمور الدواوين كلها. وكان سخيًّا جوادًا فصيحا بليغًا، لم يُضْبَطْ عليه قط صياحٌ ولا حدّة، ولا سمعت منه فى خطَاباته أبدًا كلمةٌ فيها فُحش ولا قذع ولا قبح.

وكان سبب قتله أنه اتهم بموالاة سيدة الملك ومراعاتها، وكان الحاكم قد انْفَلَق منها فلما قتل استدعى الحاكم أولاده وخاطبهم، ولم يتعرض لشيءٍ من تركة أبيهم؛ وأمر ابنه أبا الفرج أن يركب فى الموكب، وأقره على إقطاعه، ومبلغه فى السنة خمسة عشر ألف دينار.

وفى جمادى الأولى: رد الحاكم على بنى عمرو بن العاص حبس جدهم عمرو بن العاص، ومبلغه فى الشهر نحو مائتى دينار.

وتزايد ركوب الحاكم حتى كان يركب فى اليوم الواحد عدة مرات، وعظمت هباته وعطياته. ثم أمر بابتياع الحمير، وصار يركبها من تحت السرداب إلى باب البستان إلى المقس، ويغلق الأبواب التى يتوصل منها المقس وقت ركوبه، ومنع الناس من الخروج إلى هذه المواضع.

وفى جمادى الآخرة: قدم رسول ملك الروم، فاصطفت العَسَاكر من باب القصر إلى سقاية ريدان[1] بعُدَدِها وأسلحتها، وركب الحاكم بصوفٍ أبيض وعمامة مفوطة بمظلة مثلها، وولى العهد يسايره وعليه ثوب مثقل، ومعهم الجواهر. وأحضر الرسُول ومعه عبد الغنى بن سعيد بهدية إلى القصر، فخلع على عبد الغنى، وأنزل الرسول فى دار بالقاهرة، وبلغ الحاكم أن ثلاثة من الركابية أخذوا هبة من الرسول، فأمر بقتلهم، فقتلوا من أجل ذلك.

وفى جمادى الآخرة: ركب الحاكم ومعه أمين الأمناء، الحسين بن طاهر الوزان على رسمه فلما انتهى إلى حارة كتامة خارج باب القاهرة أمر فضُرِبتْ رقبة ابن الوزّان ودُفن مكانَه. فكانت مدة نظره فى الوساطة سنتين وشهرين وعشرين يوما؛ وكان توقيعه عن الحاكم: الحمد الله وعليه توكلى. وتقدم الأمر لسائر أرباب الدواوين بلزوم دواوينهم.

واعتل الحاكم أياما فركب على حمار بشاشية مكشوفة، وأكثر من الحركة فى العَشِيَّات إلى المقس والتّعدية إلى الجيزة وهو على الحمار. وأكثر من الركوب فى النيل.

وفى حادى عشر شعبان: أمر أصحاب الدواوين بأن يمتثلوا ما يرسم به عبد الرحيم

---

(١) بمصر بين القاهرة وبلبيس. انظر: معجم البلدان ٣/٢٢٦.

Marfat.com

ابن أبى السيد الكاتب، متولى ديوان النفقات، وأخوه أبو عبد الله الحسين، وجُعلا فى الوساطة والسفارة، ثم قرئ لهما سجل بذلك، وخلع عليهما وحُملا؛ فوقعا، وكان توقيعهما: الحمد الله حمدا يرضاه.

وفى حادى عشريه: خُلع على أبى العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبى العوام، وأعطى سجلاً بتقليده قضاء القضاة، وحُمل على بغلة بسرج ولجام ومصفّح بالذهب، وقيد بين يديه بغلة أُخرى، ونزل إلى الجامع فقرئ سِجلّه على المنبر، وفيه: «فقلدك أمير المؤمنين القضاء والصلاة والخطابة بحضرته، والحكم فيما وراء حجابه من القاهرة المعزية، ومصر وأعمالها، والإسكندرية، والحرمين، وبرقة، والمغرب، وصقلية، مع الإشراف على دُور الضرب بهذه الأعمال، والنظر فى أحباس الجوامع والمساجد، وأرزاق المرتزقة ووُجوه البر، وتستخلف على الحكم». ونقل ديوان الحكم من بيت مالك بن سعيد إلى بيت المال بالجامع العتيق، وهو أول من فعل ذلك من القضاة. وكانت دواوين الحكام فى دورهم فجعلها بالجامع، جعل جلوسه بالجامع العتيق يومى الاثنين والخميس، وبالقاهرة يوم الثلاثاء، ولحضور القصر يوم السبت.

وفى يوم الجمعة رابع رمضان: ركب ولى العهد، فصلى بالجامع الأنور الجديد بباب الفتوح فى موكب الخلافة، ثم صلّى جمعة أُخرى بجامع القاهرة ثم جمعتين بالجامع الجديد.

وفيه كثرت صِلاتُ الحاكم ومواهبه وإقطاعاته للناس حتى خرج فى ذلك عن الحد. وركب ولىّ العهد يوم الفطر فى موكب الخلافة، وصلى بالناس فى المصلى، وخطب. وخرج الحاكم عن المعهود فى العطاء والإقطاعات حتى أقطع النواتية الذين يجدفون به فى العشارى، وأقطع المشاعلية(١)، وكثيرا من الوجوه والأقارب، وبنى قُرة؛ فكان مما أقطع الإسكندرية والبحيرة ونواحيها.

وفى نصفه: قتل ابنا أبى السيد، حسين وعبد الرحيم، ضربت أعناقهما بالقصر؛ فكانت مدة نظرهما اثنين وتسعين يوما.

وواصل الركوب فى كل غداة وهو على الحمار.

وقرئ سجل بأن يكون ما يرفعه الناس من حوائجهم فى ثلاث أيام، يوم السبت للكتامين والمغاربة، ويوم الاثنين: للمشارقة، ويوم الخميس: لسائر الناس كافة؛ وأن يتجنبوا لقاء أمير المؤمنين ليلا ونهارًا بالرقاع، فما يتعلق بالمظالم فإلى ولى العهد، وما

---

(١) الأشخاص الذين يقومون بأعمال الإضاءة.

Marfat.com

يتعلق بالدعاوى فإلى قاضى القضاة وما استصعب من ذلك ينتهى إلى أمير المؤمنين.

وفى سابع عشره: تقلد أبو العباس فضل بن جعفر بن الفرات الوساطة، ولم يُخلع عليه؛ فجلس ووقع، ثم قتل فى اليوم الخامس من جلوسه.

وتشدد الأمر فى منع النساء من الخروج فى الطرقات ومن التطلع فى الطيقان، بأسْرهن، شبابهن وعجائزهن. ومنع مؤذنو القصر وجامع القاهرة من قولهم بعد الأذان: السلام على أمير المؤمنين، وأن يقولوا بعد الأذان: السلام من الله.

وفيه غلب بنو قرة على الإسكندرية وأعمالها.

وأقطع القاضى ابن أبى العوام ناحية تلبانة عدى.

وأكثر الحاكم فيه من الركوب، فركب فى يوم واحد ست مرات، تارة على فرس، وأخرى على حمار، ومرة فى محفة تحمل على الأعناق، ومرة فى عشارى فى النيل بشاشية لا عمامة عليها.

وأكثر من إقطاع الإقطاعات للجند وعبيد الشراء. واستمر على مواصلة الركوب إلى ليلة النحر قرب العشاء، وشق البلد والطُّرادُون يفرقون الناس عنه.

وصلى ولىُّ العهد صلاة عيد النحر، ولم يضح بشىء؛ ونهى الناس عن ذبح البقر.

وفيه قلد ذو الرياستين قطب الدولة أبو الحسن عَلى بن جعفر بن فلاح الوساطة والسفارة.

وفيها بعث نصير الدولة أبو مناد باديس من إفريقية هدية عظيمة إلى الغاية للحاكم بأمر الله، فوصلت إلى مدينة برقة لأربع عشرة بقيت من رجب، وسارت منها فى سابع رمضان حتى وصلت لُك[1] فأخذها بنو قُرة عن آخرها. وكانوا قد انتجعوا مع كبيرهم مختار بن قاسم من البحيرة، ومَعَهم مواشيهم، وقصدوا مدينة برقة، ففرَّ منها حميد بن تموصلت إلى إفريقية، فملك برقة مختار بن قاسم.

وفيها بعث الحاكم عبد العزيز بن أبى كُدَيْنة، ومعه أبو القاسم بن حسن، إلى إفريقية بخلع وسيوف وتشريف لمنصور بن نصير الدولة أبى مناد باديس لولاية ما يتولاه أبوه فى حياته وبعد وفاته، ولقبه عزيز الدولة.

---

(١) لُكٌ: بالضم، وتشديد الكاف: بلدة من نواحى برقة بين الإسكندرية وطرابلس الغرب. انظر: معجم البلدان ٥/٢٢.

Marfat.com

سنة ست وأربعمائة

فيها عُرِض الاستمار على الحاكم بأسماء الفقهاء والقُراء والمؤذّنين بالقـاهرة ومصـر فكانت جملته فى كل سنة واحدًا وسبعين ألفا وسبعمائة وثلاثـة وثلاثـين دينـارا وثلثـى وربع دينار؛ فأمضى جميع ذلك.

وفيها زاد ماء النيل وغرق الضياع، وغلت الأسعار، وهلكت البساتين، وامتـلأ كـل مكان من المدينة، وغرق المقياس وانتهت الزيادة إلى ثلاث أصـابع مـن إحـدى وعشـرين ذراعا، وبلغ الماءُ إلى نصف النخل مما يلى بركة الحبش، وغرق المعتوق!. ولم يبق طريـق يُسلك إلى القاهرة إلاّ من الشارع والصحراء.

سنة ثمان وأربعمائة

قدم مصر داع عجمى اسمه محمد بن إسماعيل الدرزى واتصل بالحاكم فأنعم عليـه. ودعا الناس إلى القول بإلهية الحاكم، فأنكر الناس عليه ذلـك، ووثـب بـه أحـد الأتـراك ومحمد فى موكب الحاكم فقتله، وثارت الفتنـة، فنهبـت داره وغلقـت أبـواب القـاهرة. واستمرت الفتنة ثلاثة أيام قتل فيها جماعة من الدرزية، وقبض على التركى قاتل الدرزى وحبس ثم قتل.

ثم ظهر داعٍ آخر اسمه حمزة بـن أحمـد(١)، وتلقّـب بالهـادى، وأقـام بمسـجد تـبر(٢) خارج القاهرة، ودعا إلى مقالة الدرزى، وبث دعاته فى أعمال مصر والشام، وترخّـص فى أعمال الشريعة، وأباح الأمهـات والبنـات ونَحْوَهـن؛ وأسـقط جميـع التكـاليف فـى الصلاة والصوم ونحو ذلك. فاستجاب له خلق كثير، فظهر من حينئـذ مذهـب الدرزيـة ببلاد صَيْدا، وبيروت وساحل الشام.

سنة تسع وأربعمائة

فى آخر شوال: ركب الوزير على(٣) بن جعفر بن فلاح إلى الْبرَك التـى قَبَـل الخليـج

---

(١) حمزة بن أحمد أعجمى من الزوزن ويلقب باللياد وعرف بهادى المستجبين، واتخـذ لنفسـه رجـالا لقبهم بألقاب خاصة منهم رجل يقال له سقير القدرة. انظر: نهاية الأرب للنويرى.

(٢) مسجد تبر المذكور خارج القاهرة وكان يسمى أيضا مسجد التين، والبئر، والجميز، وأنشـاه تـبر أحد أمراء كافور الإخشيدى، وقد اشترك فى مقاومة الفاطميين لدى دخولهم مصر وقبض عليـه بالشام بعد أن وليها، وضرب، وقتل، وسلخ وصلب. انظر: الخطط ٢/٤١٣.

(٣) على بن جعفر بن فلاح الكتامى أبو الحسن من أكابر وزراء الفاطميين بمصر كان أوجـه الأمـراء فى دولة الحاكم بأمر الله. وقاد الجيوش السائرة إلى الشام ومرض سنة ٤٠٦ هـ. فركب الحـاكم إلى داره لعيادته. ثم كان الناظر فى جميع شئون الدولة، وجعل له فى السجل ولايـة الإسـكندرية وتنيس ودمياط ولقب بوزير الوزراء ذى الرياستين الأمـير المظفـر قطـب الدولـة، قتلـه فارسـان-

خارج القاهرة، فثار عليه فارسان، فأخذه أحدهما فألقاه، وفَـرَّا، فلـم يُعـرف خبرُهمـا، وحمل إلى داره فمات من الأخذ. وولى بعده الظهير صاعد بن عيسى بن نَسْطُورس فأقام إلى رابع ذى الحجة. وقيل تولّى بعده شمس الملك مسعود بن طاهر الوزان.

وفيها عزل الحاكم سديد الدولة عن دمشق، وَوَلّيها عبد الرحيـم بـن إليـاس، وسـار إليها لعشرين من جمادى الآخرة، فبينما هو فى قصره إذ عجم عليه قـوم ملثمـون فقتلـوا جماعة من غلمانه، ثم أخذوه ووضعوه فى صندوق وحملوه إلى مصر. فلم يكن بها أكثر من شهرين، ثم أعيد إلى دمشق فأقام بها ليلة العيد.

وورد من مصر رجل يقال له أبو الداود المغربى ومعه جماعة، وأخرجوا عبـد الرحيـم وضربوا وجهه؛ وأصبح الناس يوم العيد وليس لهم من يصلى بهم. وعجـب النـاس مـن هذه الأمور.

وفيها سومح ضامن الصعيد الأعلى بما عليه وهو أربعة وستون ألف دينـار وسـبعمائة وخمسة وستون دينارا.

سنة عشر وأربعمائة

فيها اشتد الغلاء بديار مصر حتى أبيع الدقيق رطل بدرهم واللحم أربع أواق بدرهم، ومات كثير من الناس بالجوع. وبلغت عدة مـن مـات فـى مـدة رمضـان وشـوال وذى القعدة مائتى ألف وسبعين ألفا سوى الغرباء وهم أكثر من ذلك.

وفى سنة عشر وأربعمائة: سيَّر الحاكم بأمر الله أبـا القاسـم بـن العزيز إلى شـرف الدولة الحاكمية أبى تميم المعز بن نصير الدولة أبى مناد باديس، ومعه سيف مكلل بنفيس الجوهر وخلعة من لباسه، فقدم المنصورية[1] لست بقـين مـن صفـر سـنة إحـدى عشـر. وتلقاه شرف الدولة ونزل إليه فقرأ عليه سجلاً عظيما؛ فكانت أيام فرح. ثـم ورد بعـده محمد بن عبد العزيز بن أبى كدينة بسجل آخر ومعه خمسة عشر علما منسوجة بالذهب فخُلع على أبى القاسم ومحمد، وحُملا، وطيف بهما فى القيروان والأعلام المذكورة بين أيديهما.

ولليلتين بقيتا من شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة: فقـد الحـاكم. وسـبب فقـده أن أخته ست الكل سلطانة كانت امرأة حازمـة، وكـانت أسَـنَّ منـه، فـدار بينهـا وبينـه

=متنكران بالقاهرة. انظر: تهذيب التهذيـب ٢٨٩/٧، والرسـالة المسـتطرفة ٦٨، وتـاريخ بغـداد ٣٦٠/١١، والإشارة إلى من نال الوزارة ٣٢/٣٠، والأعلام ٢٦٩/٤.

(١) المنصورية أنشاها المنصور بن القائم سنة ٣٣٧هـ بالقرب من القيروان، وبقيت عاصمة الفـاطميين حتى انتقلوا إلى مصر فصارت حاضرة بنـى بـاديس حتـى خربـت سـنة ٤٤٢هـ. انظـر: معجـم البلدان ١٧٨/٨.

Marfat.com

يومًا كلام؛ فرماها بالفجور وقال لها: أنت حامل، فراسلة سيف الدين حسين بن على ابن دواس من مُقدمى كتامة، وكان قد تخوَّف من الحاكم، وتواعدا على قتل الحاكم وتحالفا عليه. فأحضرت ست الكل عبدين وحلّفتهما على كتمان الأمر، ودفعت إليهما ألف دينار ليقتلا الحاكم. فأصعد إلى الجبل فى الليل، وكان الحاكم قد رأى أن عليه قطعا؛ فلما كان فى الليلة التى فيها قال لأُمه: علىَّ قطع فى هذه الليلة وعلامة ذلك ظهور كوكب الذنابة؛ ودفع إليها خمسمائة ألف دينار ذخيرة لها، فمنعته من الركوب، ونام. ثم انتبه آخر الليل وقام ليركب، فتعلقت به، فامتنع ومضى، وركب الحمار إلى باب القاهرة، ففتح له أبو عروس صاحب الشرطة الباب وأغلقه خلفه، وخرج متبعا له. قال: فسمعته يقول: ظهر والله الكوكب، ولم يكن معه سوى ركابى وصبى يحمل دواته. فعارضه وسط الجبل سبع فوارس من بنى قرة، فخدموه وسألوه الأمان وأن يسعفهم بما يُصْلح شأنهم، فأَمَّنهم، وأمر الركابى أن يحملهم إلى الخازن يدفع إليهم عشرة آلاف درهم. ودخل الشَّعب الذى كان يدخله، وقد وقف العبدان له، فضرباه حتى مات، وطرحاه وشقا جوفه ولفّاه فى كساء، وقتلا الصبى وغرقا حماره؛ وحملا الحاكم فى كساء إلى أخته فدفنته. وأقامت مدة، وأحضرت الوزير خطير الملك وعرفته الحال، وأمرته أن يكاتب عبد الرحيم بن إلياس يستدعيه من دمشق. فكتب إليه على لسان الحاكم يأمره بالمبادرة، واستدعت ألف ألف دينار فرقتها فى الأولياء وبعثت قائد الساحل. فلما قدم عبد الرحيم عدل به إلى تنيس فقتل بها.

واضطرب الناس لغَيْبة الحاكم، فأرسلت إليهم: إنه أخبرنى أنه يغيب سبعة أيام، وإنه يواصلنى بأوامره. ورتّبت رسلا يمضون عنها إلى الحاكم ويجيئون منه إليها. ففى أثناء ذلك اشتدت شوكتها، وكف الناس عن الاستقصاء فى المسالة. وأحضرت ابن دوّاس وواطأته على أخذ البيعة للظاهر لإعزاز دين الله ابن الحاكم، وأظهرته وعلى رأسه تاج جده العزيز، وقام ابن دواس، فقال لمن حضر من أهل الدولة: تقول لكم مولاتنا هذا مولاكم فسلموا عليه. وقبل ابن دواس الأرض، فبايع الناس إلا غلامًا تركيًا كان عمل ليلاً بين يدى الحاكم فإنه قال: لا أبايع حتى أعرف خبر مولاى. فقتل، وقام ابن دواس بتدبير الأمر. ثم إن ست الملك دست عليه وقتلته وقتلت جميع من اطلع على سرها، وقتلت جماعة خافتهم. ثم لم تطل أيامها وماتت بعد أيام.

قال ابن أبى طى لما ذكر هذا الخبر فى كيفية قتل الحاكم: «وكان الحاكم شديد السطوة، عظيم الهيبة جريئا على سفك الدماء. خطب له على منابر مصر والشام وإفريقية. وكان يتشبه بالمأمون ويقصد مقاصده واشتغل بعلوم الأوائل، واعْتد بعلوم النجوم، وعمل له رصدا، ووقف الكواكب، واتخذ بيتا بالمقطم ينقطع فيه عن الناس

ويخلو لمخاطبة الكواكب. وكان يركب الحمار وعليه ثياب الرهبان، ووراءه غلام اسمه مفلح يحمل الدواة والسيف والورق فى كيس معلق فى كتفه وهو يمشى وراءه؛ فإذا مر بسوق انهزم الناس واستتروا عنه، ويطرق أبواب الحوانيت فلا ينظرون إليه، إلا أن يكونَ لأحد منهم حاجة فإنه يقف عليه ويكتب العبد بين يديه ما يأمره به فى رقعة إلى الوزير.

وكان لا يحضره الجيش إلا فى الأعياد، فيركب فى ذلك اليوم بثيابه على الفرس وكان مُهَابًا عند أهل مملكته، وكان لا يحضر مجالس الجدل ويحتجب أياما كثيرة مشتغلا بما هو فيه، وكان له سعىٌ فى إظهار كلمته، فبعث دعاته إلى خراسان وأقام فيها مذاهب الشيعة، واستجاب له عالم عظيم؛ فبعث إلى البلاد بالأموال فى استمالة الرجال إلى ما يريد وكان أبو عبد الله أنوشتكين النّجارى الدرزى أول رجل تكلم بدعوته، وأمر برفع ما جاء به الشرع، وسير مذهبه إلى بلاد الشام والساحل، ولهم مذهب فى كتمان السرِّ لا يُطْلِعون عليه من ليس منهم. وكان الدرزى يبيح البنات والأمهات والأخوات، فقام الناس عليه بمصر وقتلوه، فقتل الحاكم به سبعين رجلا. وأنفذ الدرْزى إلى الحجر الأسود برجل ضربه وكسره؛ وادعى الربوبية. وقدم رجل يقال له يحيى اللباد، ويعرف بالزَّوْزَنى الأخْرَم فساعده على ذلك، ونشط جماعة على الخروج عن الشريعة.

وركب يوما من القاهرة فى خمسين رجلا من أصحابه إلى مصر، ودخل الجامع بدابته وأصحابه كذلك، فسلم إلى القاضى(١) رقعة فيها: باسم الحاكم الرحمن الرحيم، فأنكر القاضى ذلك، وثار الناس بهم وقتلوهم، وشاع هذا فى الناس فلعنوه. ويقال إنه خرج يوما وعليه قباء أطلس وفى وسطه سيف، فخلع القباء وقال: هذا الظاهر قد خلعته، ثم جرَّدَ السيف وقال: هذا الباطن قد سللته.

قال: وفى السنة التى قتل فيها الحاكم أشاع أنه يريد أن ينزل فى أول رمضان إلى الجامع ومعه الطعام، فمن أبى الأكل قتله. وكان دعاته إذا ركب يقولون: السلام عليك يا واحد يا أحد، ويَغْلُون فيه الغلو المفرط. وادعى أنه حصل له كتاب الجفر. ولما غلب على الحرمين وعد العلويين أهل المدينة إذا هم مكنوه من فتح دار جعفر بن محمد الصادق بوعود كثيرة، ففتحها، وكانت مغلقة، فإذا فيها قعب خشب ومصحف وسرير

---

(١) أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبى العوام السعدى، أبو العباس: قاضى مصر، وبرقة وصقلية والشام والحرمين المتوفى سنة ٤١٨هـ، من الفقهاء الحنابلة. مصرى ولى القضاء فى أيام الحاكم بأمر الله بمصر، سنة ٤٠٥ هـ وفى أيامه غاب الحاكم وبقى الأمر شورى إلى أن استقر الظاهر لإعزاز دين الله وله مناقب أبى حنيفة - كذا - وأصحابه. انظر: الولاة والقضاة ٤٩٦، ٦١٠، ورفع الإصر ١/١٠١ - ١٠٦، والأعلام ١/٢١١.

Marfat.com

سعف وقدرة ولم تكن قد فتحت قبل ذلك، فرأى بالسرير «وأخذ أعداءه وهدم بيعة قمامة فى سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة»؛ وخرج رسمه إلى الوزير على لسان خادم أن يكتب: أمرت حضرة الإمامة بهدم قمامة، وأن يُجْعل علوها خفضا، وسماؤُها أرضا.

وبلغه أن المغاربة تلعنه، فقرب الفقهاء المالكية وأمرهم بتدريس مذهب مالك بن أنس فى الجامع. وكان يحب العلم ويقدم ما يرد فيه، وإذا رأى رأيا عزم عليه وأمضاه. وكتب إليه رجل: إن فلانا مات وخلّف مالا، فوقع بخطه على ظهر الرقعة: السعاية قبيحة إن كانت صحيحة. وكتب إليه آخر: إن فلانا مات وخلف بنتا، وقد أخذت جميع مال أبيها، فوقع على ظهر الرقعة: المال مال الله، واليتيم جبره الله، والساعى لعنه الله، وعلى مذهبنا يجوز أن ترث البنت جميع مال أبيها. ومنع النساء الخروج من البيوت، فقيل إن فيهن من لا تجد من يقوم بشأنها فتموت جوعا، فأمر الباعة بالتطواف فى السكك وأن يبيعوهن من خلف الأبواب ويناولوهن بمغارف طوال السَّوَاعد. وكان أمر ألا يكشف مغطّى، فسكر رجل ونام فى قارعة الطريق وغطى نفسه بمنديل، فصار الناس يمرون به ولا يقدر أحد أن يكشف عنه، فمر به الحاكم وهو كذلك، فوقف عليه وقال له: ما أنت؟ فقال: أنا مغطّى، وقد أمر أمير المؤمنين ألاّ يُكشَف مغطّى، فضحك وطرح عنده مالا، وقال: استعن بهذا على ستر أمرك. وقرر الحاكم بعد ابن الفرات ذى الرياستين قطب الدولة أبا الحسن على بن جعفر بن فلاح، واستمر إلى أن قتل الحاكم».

انتهى ما ذكره ابن أبى طى، وفيه تحامل شعر به واحد من مؤرخى مصر ذكره.

وقال الروحى على ما حكاه عنه ابن سعيد: «ولم يزل الحاكم خليفة إلى سنة إحدى عشرة وأربعمائة، فخرج ليلة الاثنين السابع والعشرين من شوال، فطاف ليلته كلها على رسمه وأصبح عند قبر الفقاعى[1]، ثم توجه إلى شرقى حلوان، وتبعه ركابيان، فأعادهما وبقى الناس على رسومهم يخرجون يلتمسون رجوعه إلى يوم الخميس سلخ الشهر المذكور، ثم خرج خواص من بطانته فبلغوا دير القَصِير، ثم أمعنوا فى الدخول فى الجبل، فبينما هم كذلك إذ بَصُروا بالحمار الذى كان راكبه على قُنّة الجبل وقد ضربت يداه بسيف فأثر فيهما وعليه سرجه ولجامه. وتُتبع الأثر فقاد إلى أثر الحمار فى الأرض وأثر راجل خلفه وراجل قُدامه؛ فلم يزالوا يقصُّون هذا القص حتى انتهوا إلى البركة التى فى شرقى حلوان، فنزل فيها رجل فوجد فيها ثيابه وهى سبع جباب، ووجدت مزرَّرة فيها آثار السكاكين، فلم يشك فى قتله فكانت مدته ستا وثلاثين سنة وسبعة أشهر،

---

(١) قبر الفقاعى: كان فى طريق الذاهب من القاهرة إلى ناحية البساتين، وموقعه اليوم قرافة سيدى عقبة على بعد ٥٠٠ متر تقريبًا غرب مسجد سيدى عقبة وقبلى مسجد الإمام الشافعى. انظر: النجوم الزاهرة ٤/١٨٥ حاشية ٤.

Marfat.com

وكانت ولايته خمسا وعشرين سنة وشهرا. وكسفت الشمس يوم موته. وكان جوادا بالمال سفّاكا للدماء قتل عددا كثيرًا من أماثل دولته وغيرهم صبرا، وكانت سيرته من أعجب السير».

قال: ومنع النساء من الخروج إلى الطُّرقات ليلا ونهارا، ومنع الأساكفة من عمل الخفاف المنجدة لهن؛ فأقمن على ذلك سبع سنين وسبعة أشهر إلى خلافة الظاهر.

قال أحمد بن الحسين بن أحمد الروذبارى فى كتاب الأُدباء على ما نقله ابن سعيد: «وقتل الحاكم ركابيا له بحربة فى يده على باب جامع عمرو بن العاص وشق بطنه بيده. وعم بالقتل بين وزير وكاتب وقاض وطبيب وشاعر ونحوى ومُغَنٍّ ومختار وصاحب ستر وحمامى وطباخ وابن عم وصاحب حرب وصاحب خبر ويهودى ونصرانى، وقطع حتى أيدى الجوارى فى قصره. وكان فى مدته القتلُ والغيلة حتى على الوزراء وأعيان الدولة يخرج عليهم من يقتلهم ويجرحهم. وخطفت العمائم جهارًا بالنهار، وكان لعبيد الشراء فى مدته مصائب وخطوب فى الناس. وكان المقتول ربما جُرَّ فى الأسواق، فأوقع ذلك فتنة عظيمة.

قال: كان الحاكم يركب حمارا يسمى القمر ويعْبُر به على الناس. وكان له صوفية يرقصون بين يديه ولهم عليه جارٍ مستمر، ووقف رجل للحاكم فصاح عليه، فمات لِوَقْته. وكانت غيبته إلى يوم جلوس ولده الظاهر ثلاثةً وأربعين يومًا.

قال ابن سعيد عن مجموع وقف عليه: «وواصلُ الحاكم فى ركوبه الوقوف على المعروف بابن الأزرق الشواء ومحادثته بدار فرح وخلع عليه وأجازه. وفى يوم استدعى الحاكم أحد الركابية السودان المصطنعة ليحضر إلى حانوت ابن الأزرق الشواء، فوقفه بين اثنين ورماه برمح، ثم أضجعه، واستدعى سكينا فذبحه بيده، ثم استدعى شاطورا ففرق بين رأسه وجسده، ثم استدعى ماء فغسل يده بأشنان ثم ركب. وحُمل المقتول إلى الشرطة فأقام ليلة ثم دفن بالصحراء. ثم بعث المؤتمن بعد ثلاثة أيام فنبشه وغسله وأنفذ إليه أكفانا كفن بها، ثم أمر قاضى القضاة بالصلاة عليه، وأمر ألا يتخلف أحد فحضر الشهود وأهل السوق، وصلى عليه قاضى القضاة، ودفن بالقرافة، وواراه قاضى القضاة وجعل التراب تحت خده، وأمر ببناء قبره وتبييضه فى وقته؛ ففعل ذلك. وتظلم إليه رجل فى ركوبه إلى مصر فى ناصح الركابى، فوقف عليه وسأل ناصحا عن دعواه فظهر أنها صحيحة، فأمر أن يدفع ماله إليه، فلم يجد معه فى الوقت ذلك القدر، فألزمه ببيع فرسه الذى كان راكبًا عليه ووفّى الرجل ما كان له عليه، كل ذلك بحضرته وهو واقف على ظهر دابته، ثم سار».

Marfat.com

وقال الفوطى: «كان الحاكم أجود الخُلفاء بماله، وبه تفشت حاله فيما سفكه من الدماء التى لا يحصيها إلا الله. وكان الأمر فى مدة العزيز فيه انحلال وعفو كبير عن الناس، وظنوا أن ذلك يجوز فى مدة الحاكم وجروا على رسمهم، فتجرد له منهم مُطلع على جميع أمورهم غير مُطّرح لعُقوبة، فهلك الجم الغفير منهم. وكان فى مدة أبيه العزيز بالله قد تكشف على أقوام ممن يطعن فى الدولة ويسىء المقالة فيها، فلما صارت له الخلافة انتقم منهم أشد انتقام وعمهم بالعقوبة».

قال: ومن حكايته المشهورة فى العدل أن رجلا عربيا ورد على مصر من سجلماسة(١) يريد الحج، فأودع ماله عند رجل فى السوق، فلما عاد من الحجِّ طلب ماله فأبى أن يدفعه إليه. فتوَصل إلى أن أطْلَع الحاكم على أمره، فقال له اجلس فى دكان مقابلا لدكانه، فإذا جزت فى ذلك السوق فاعمل كأنك تعرفنى وكأنى أعرفك. فلما مر الحاكم وقف على الرجل وسأل عن حاله وأكثر معه الوقوف، وانصرف فجاء الرجل الذى عنده الوديعة إلى الرجل وأكب عليه وسأله الصفح عما سلف منه، وأحضر إليه جميع ماله، فعرف الحاكم بذلك، فأصبح الذى أنكر الوديعة مقتولا معلقا برجله. وكان نقش خاتمه: بنصر الولى ينتصر الإمام أبو على.

وخطب له معتمد الدولة، أبو المنيع قرواش بن المقلد بالموصل والأنبار وقصر ابن هبيرة والمدائن.

ومن خط ابن الصيرفى يروى أن الإمام الحاكم بأمر الله قال لبعض الأعيان الذين شرفهم بمجالسته وميزهم بمحاورته، فقال: أكلت حتى شبعت، وشربت حتى رويت، والشِّبعُ والرَىُّ غايتا الأكل والشرب، فإذا قلتَ ونمت، فنقول: حتى إذا أى شىء جعلته غاية النوم؟ فلم يحر جوابا. ورغب إلى كرمه فى الإفادة، فقال: نمت حتى ريثت، والروث غاية النوم، وأنشد:

فأما تميمُ بن مُرٍّ فألْفاهُمُ القوم روثا نياما(٢)

* * *

تم بحمد الله الجزء الأول، ويليه بإذن الله الجزء الثانى والأخير، وأوله: «الظاهر لإعْزاز دين الله أبُو الحَسَن على بْن الحاكِم بأمْر الله ابى عَلى مَنصُور»

* * *

(١) سجلماسة، انظر: الروض المعطار ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، واليعقوبى ٣٥٩، والاستبصار ٢٠٠، والبكرى ١٤٩، ومعجم البلدان (سجلماسة).

(٢) بيت الشعر غير موزون عروضيًا.

Marfat.com

Marfat.com

فهرس

مقدمة التحقيق ٣
مراجع التحقيق ٧١
ذكر أولاد أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ١٠٥
ذكر على بن أبى طالب كرم الله وجهه ١٠٥
ذكر ما قيل فى أنساب خلفاء الفاطميين ١١٨
ذكر ذكر ابتداء الدولة العلوية بأفريقية ١٢٦
ذكر ما كان من ابتداء الدولة الفاطمية إلى أن بنيت القاهرة ١٤١
ذكر ذكر خروج عبد الله المهدى الى المغرب ١٤٤
ذكر ظهور عبد الله المهدى من سجلماسة ١٤٨
ذكر ذكر قتل أبى عبد الله الشيعى ١٥٠
القائم بأمر الله أبو القاسم محمد (وقيل عبد الرحمن) بن المهدى عبيدالله ١٥٦
ذكر أبى يزيد مخلد بن كيداد الخارجى وحروبه ١٥٦
ودخلت سنة أربع وثلاثين ١٦٠
المنصور بنصر الله أبو الطاهر إسماعيل ابن محمد القائم بن عبيد الله المهدى ١٦٦
المعز لدين الله أبو تميم معد ابن المنصور أبى الطاهر بن القائم أبى القاسم محمد المعز لدين الله أبو تميم معد ابن عبيد الله المهدى ١٧٠
ذكر بناء القاهرة ١٧٨
ودخلت سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ١٩٠
ودخلت سنة ستين وثلاثمائة ١٩٨
ودخلت سنة إحدى وستين وثلاثمائة ١٩٩
ودخلت سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ٢٠١
ذكر قدوم المعز لدين الله أبى تميم معد إلى مصر وحلوله بالقصر من القاهرة المعزية ٢٠٣
ثم دخلت سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ٢٠٩
ذكر طرف من أخبار القرامطة ٢١٦
الصـــــناديقى ٢٢٦
العزيز بالله أبو المنصور ابن المعز لدين الله أبى تميم معد بن المنصور بنصر الله أبى الطاهر ٢٨٣
الحاكم بأمر الله أبو على منصور ابن العزيز بالله أبى المنصور ٣٢٥
الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن على ٤٠١

Marfat.com

أتعاظ الحنفا

بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا

Marfat.com

اتعاظ الحنفا

بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا

تأليف

أبي العباس تقي الدين أحمد بن علي المقريزي
المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق

محمد عبد القادر أحمد عطا

الجزء الثاني

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

Copyright ©
All rights reserved
Tous droits réservés

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة
لـدار الكتب العلميـة ـ بيروت ـ لبـنان

ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Exclusive Rights by
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah *Beirut - Lebanon*

No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Droits Exclusifs à
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah *Beyrouth - Liban*

Il est interdit à toute personne individuelle ou morale d'éditer, de traduire, de photocopier, d'enregistrer sur cassette, disquette, C.D, ordinateur toute production écrite, entière ou partielle, sans l'autorisation signée de l'éditeur.

الطبعة الأولى
١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م

دار الكتب العلمية
بيروت ـ لبنان
رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
هاتف وفاكس: ٣٧٨٥٤٢ ـ ٣٦٦١٣٥ ـ ٣٦٤٣٩٨ (٩٦١ ١)
صندوق بريد: ١١ ـ ٩٤٢٤ بيروت، لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Berrut - Lebanon
Ramel Al-Zarif, Bohtory St., Melkart Bldg., 1st Floor
Tel & Fax: 00 (961 1) 37 85 42 - 36 61 35 - 36 43 98
P.O Box: 11 - 9424 Berrut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1ère Etage
Tel. & Fax: 00 (961 1) 37.85.42 - 36 61.35 - 36 43.98
B.P.: 11 - 9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3216-4
90000
9 782745 132161

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

Marfat.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحَسَن على ابْن الحاكم بامْر الله ابى عَلى مَنصُور[1]

أمه أم ولد تدعى رقية، ويقال اسمها آمنة بنت الأمير عبد الله بن المعز، وأن ست الملك سلطانة، أخت الحاكم، كانت تعادى آمنة هذه. ومولده بالقصر من القاهرة على مضى ثلاث ساعات من ليلة الأربعاء عاشر شهر رمضان، سنة خمس وتسعين وثلاثمائة؛ وبويع بالخلافة فى يوم عيد الأضحى سنة إحدى عشرة وأربعمائة، وله من العمر ست عشرة سنة وثلاثة أشهر.

واتفق فى هذا اليوم أن صُلِّى للحاكم فى خطبة العيد، ثم بويع الظاهر بعد عودة القاضى من المصلى، فكان بين الدعاء فى الخطبة للحاكم وبين أخذ البيعة للظاهر ثلاث ساعات ولم يتفق مثل ذلك.

وتوفى ببستان الدكة [2] خارج القاهرة، فى ليلة الأحد النصف من شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة، وعمره إحدى وثلاثون سنة وأحد عشر شهرا وخمسة أيام. ومدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وخمسة أيام، كانت فيها قصص وأنباء.

ذلك أنه لما فقد الحاكم استدعت السيدة ست الملك سيف الدولة حسين بن على ابن دواس الكتامى إلى حيث كانت جالسة وقالت له: المعول فى قيام هذه الدعوة عليك، وهذا الصبى ولدك، وينبغى أن تتولى الخدمة إلى غاية وسعك وتبذل فيها كل ما عندك، فقبل الأرض وشكر ودعا، ووعد بالإخلاص فى الطاعة، وبلوغ ما فى القدرة والاستطاعة، فأخرجت على بن الحاكم بأمر الله ولقبته الظاهر لإعزاز دين الله؛ وألبسته تاج المعز جد أبيه، وهو تاج مرصع بالجواهر الفاخرة، وجعلت على رأسه

---

(١) على (الظاهر لإعزاز دين الله) بن منصور (الحاكم بأمر الله) بن العزيز بن المعز الفاطمى العبيدى أبو الحسن: من ملوك الدولة الفاطمية، كانت له مصر والشام وخطة إفريقية، ولى بعد وفاة أبيه سنة ٤١١ هـ بعهد منه، وكانت عمته ست الملك أخت الحاكم بأمر الله هى القائمة بأمور الحاكم بأمر الله. انظر: ابن خلدون ٦١/٤ وابن الأثير ١١٠/٩، ١٥٤ وابن إياس ٥٨/١ وابن خلكان ٣٦٦/١ والأعلام ٢٥/٥.

(٢) بستان الدكة كان مكانها بستانا من أعظم بساتين القاهرة فيما بين أراض اللوق والمقس، وبه منظرة للخلفاء الفاطميين، تشرف طاقاتها على النيل الأعظم، ولا يحول بينها وبين الجيزة شىء. انظر: الخطط ١٢٠/٢ - ١٢١.

Marfat.com

مظلة مرصعة، وأركبته فرسا رائعا بمركب ذهب مرصع، وأخرجت بين يديه الأمير الوزير رئيس الرؤساء خطير الملك أبا الحسن عمار بن محمد[١] ونسيما صاحب السيف، فى عدة من الأستاذين[٢] تخدم. فلما برز وشوهد تقدم الوزير وصاح: يا عبيد الدولة، مولاتنا تقول لكم: هذا مولاكم أمير المؤمنين فسلموا عليه، فقبل ابن دواس الأرض ومَرغ خدَّيه بين يديْهِ، وفعل ما يتْلوهُ من سائر طبقات العسكر مثل ذلك؛ وضربت البوقات والطبول، وعلا الصياح بالتكبير والتهليل، والظاهر يسلم على الناس يمينا وشمالا. وفتحت أبواب القصر، وأدخل الناس على العموم حتى سَلموا ومدحوا، ولم يزل واقفًا لهم إلى الظهر. ثم صُرفوا وجُمعوا من غد وأخذت البيعة عليهم، ووضع العطاء، وأطلق مال الفضل للجند كافة، ولم يجْرِ خلاف من أحد، إلا أنَّ غلاما تركيا كان يحمل الرمح بين يدى الحاكم قال: لا أبايع حتى أعرف خبر مولاى؛ فأُخذ وسُحب على وجهه وغرق فى النيل، وقامت الهيبة.

وكتب إلى بلاد الشام والمغرب بوفاة الحاكم وقيام الظاهر، ورسم لهم أخذ البيعة على نفوسهم ومَنْ عندهم من سائر طبقات الناس. وأُقيمت المآتم على الحاكم فى القصور والقاهرة ثلاثة أيام. وجمعت السيدة عامة أهل مصر وخاطبتهم بالجميل والملاطفة، ووعدتهم حسن السيرة والمعاملة، وأمرتهم بذكر حوائجهم ومصالحهم فى كل وقت، والمطالعة بحَيْفٍ إن لحقهم من عامل أو ناظر ليفعل فى ذلك ما توجبه السياسة العادلة. وأطلقت للنساء الخروج من منازلهن والتصرف فى أمورهن. وارتجعت جواهر كان الحاكم قد وهبها، وحلّت إقطاعًا أقطعها، ورتبت الأمور ترتيبا أصلحها وهذبها.

وزارت ابن دواس فى منزله، وجعلت مصادر التدبير على يده. فلما أحكمت ما أحكمته وأكدت ما أكّدته، أحضرت ابن دواس وقالت له: قد علمَت ما بينى وبينك من المواثيق والعهود، وأنا امرأة، وإنما أريد هذا الملك لهذا الصبى، وقد أحسن الله المعونة، وأجرى الأمور على المحبة؛ وأنت زعيم الدولة فيها والمنظور إليه منها، وقد رأيت أن أنْجزَ وعدك وأظهره، وأرُد إليك أمر السيادتين، مضافا إلى الشرطتين، وأجعل

---

(١) عمار بن محمد، أبو الحسين من وزراء الدولة الفاطمية بمصر. تولى ديوان الإنشاء فى أيام الحاكم بأمر الله، وجعلت له الوساطة بين الخليفة وطوائف المشارقة والأتراك ولقب بالأمير الخطير رئيس الرؤساء. واستمر إلى خلافة الظاهر لإعزاز دين الله (الفاطمى) سنة ٤١١ هـ فخلع عليه الوساطة ثم عزل، بعد سبعة أشهر وأيام، وقتل. انظر: النجوم الزاهرة ١٨٩/٤ - ١٩٢ والأعلام ٣٦/٥.

(٢) الأستاذون: الخدام والطواشى ومنهم أرباب الوظائف المختصون بشئون الخليفة واحتياجاته. انظر: صبح الأعشى ٤٧٧/٣.

Marfat.com

أمرك فى الأمور والخزائن نافذا، ورأيـك فـى التقريـرات والتدبـيرات معتمـدا، إذ كنـت المولى المخلص والشريك المخالط، وأشرفك بِخِلع وحُمْلان[1] يظهر للخاص والعـام بهـا موضعك ومحلك، وتخصصك وتحققك، فادخل الخزائـن واختـر كـل مـا تريـد لفخامتـه ولجلالته، واطلب يومًا تختار لتفاض فيه عليك الخلع ويُقْـرَأ العهـد بتقليـدك. فلمـا سـمع من ذلك ما سمع سُر به وقبَّل الأرض شكرا عليه. وشـاع هـذا الحديـث فركـب النـاس إليه وهنئوه بالنعم المتجردة له.

وأحضرت السيدة بعد ذلك كاتب ابن دواس وقالت له: قد تقدمنا إلى سيف الدولـة بما عرفته، وبما اعتمد التخفيف فيما أُطعِمه أو وقف فيه دون الغاية التى نريدها، وينبغـى لك أن تعمل أنت تذكرة بجميع ما يستوفى فيه شروط المنزلة التى قدمنـاه إليهـا، والحـال التى أهلناه لها، وتستظهر له لا عليه فى ذلك، وتحضرها لنقف عليهـا وننجـز مـا فيهـا. فقبَّل الأرض وقال: السمع والطّاعة، فقالت لـه واكْتـب أيضـا رقْعـةً واذكـر فيهـا مبلـغ جَارِيك لنوقع بِإِضْعَافِه، وقد أمرنـا عـاجلاً بإعطـائك ألـف دينـار وعشـرين قطعـة ثيابـا وبلغين بمركبين، فَأَعاد الشكر والدعـاء، وصـار إلى ابـن دواس فأعلمـه مـا خوطـب بـه وعومل به من حسن الاعتقاد فيه؛ فتضاعف سروره بذلك، ووافقـه علـى مـا كتـب بـه التذكرة من الثياب، والسيوف المحلاة، والمناطق المرصعة، والـدواب والمراكـب الذهـب الثقيلة، وغير ذلك من أسباب التشريفات الزائدة؛ وعـاد الكـاتب بهـا فعرضهـا، وتقـدم بإعداد جميع ما فيها، وكتب له العهد. وأُحْضِـر ابـن دواس وبنـو عمـه وكاتبـه، وامتـلأ القصر بالخاصة والعامة، وخرج مِعْضَاد الخـادم، وكـان قريبـا مـن السـيدة، وهـو أُسـتاذ الظاهر، فحمل ابن دواس إلى الخزانة حتى يشـاهد مـا أعـد لـه، وكـان عظيمـا جليـلا، وقال له: السيدة تقول لك: إن أَردت مزيدا فاطلبه، فقبَّل الأرض ودعـا، وعـاد فجلـس فى صُفَّة على باب الستر ووجوه الدولة بين يديه، وكـل منهـم يتطأطـأ لـه ويعطيـه مـن نفسه كل ما يتقرب إليه به.

فلما تعالى النهار خرج نسيم الصقلبى صاحب الستر والسيف، وبين يديه مائة رجـل تعرف بالسعدية، يختصون بركاب السلطان ويحملون سيوفا محـلاة بـين يديـه، ويعرفـون لأجلها بأصحاب سيوف الحلى؛ وقد جرت عادتهم فى أيام الحاكم بأن يتولوا قتـل مـن يُؤْمَر بقتله. وقال لابن دواس: أمير المؤمنين يسلم عليك، فقام وقبل الأرض، وفعل الناس مثل ما فعله؛ وقال: قد جعل هؤلاء القوم - يعنى أصحاب السيوف - برسمك إكرامـا لك وتنويها بك، فقبَّل الأرض ثلاثا ومـرَّغ خديـه، ودعـا هـو والحـاضرون للظـاهر بمـا

---

(١) الحملان بالضم، ما يحمل عليه من الدواب فى الهبة خاصة. انظر: القاموس المحيط.

Marfat.com

يُدعى لمثله به، ووقف القوم قياما بين يديه، فعاد نسيم فألقى ما جرى، فرسمت له السيدة أن يخرج ويضبط أبواب القصر بالخدم والصقالبة، ففعل. وقالت له بعد ذلك، اخرج وقِفْ بين يَدَىْ ابن دواس وقل: يا عبيد مولانا، أمير المؤمنين يقول لكم: هذا قاتل مولانا الحاكم. وَاعْلُه بالسيف وأمر العبيد السعدية أن يقتلوه، فخرج نسيم ومعه جماعة من الصقالبة وفعل ما أمر به، وأخذ رأس ابن دواس ودخل به إلى حضرة السيدة فوضعه بين يديها، فأمرته بإيفاد الصقالبة[1] إلى دُوره والتوكيل به والقبض على جميع أسبابه، وقتل كاتبه، وإخراج جثته ورميها على باب القصر، ففعل جميع ذلك، ولم يعترض فيه معترض، وتفرق الناس.

وأُحضِر مَوْجَودُ ابن دواس فوجدت فى بعض صناديقه السكين التى كان يحملها الحاكم فى كُمِّه أخذت عند قتله. وأقامت جثة ابن دواس ثلاثة أيام، ومناد ينادى عليها: هذا جزاء من غدر بمواليه، ثم دُفِع إلى عبيده فدفنوه.

وقبضت السيدة بعد هذا على خطير الملك عمار بن محمد. وكان يتولى ديوان الإنشاء وإليه زم[2] المشارقة والأتراك، وهو الواسطة بين الحضرة وبين هذه الطوائف؛ ثم خلع عليه فى جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وأربعمائة، ووقع عن حضرة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله على ما يوقع عليه الحاكم، فجعل توقيعه: الحمد لله رب العالمين، ثم قام بعد الحاكم بالبيعة لأمير المؤمنين الظاهر كما تقدم.

وفى سنة اثنتى عشرة خُلع عليه للوساطة وكتبُ سجله بذلك؛ وزال أمره فى ذى القعدة من السنة المذكورة، فكانت مُدته سبعة أشهر وأياما؛ وقتل فى الحج.

وولى بعده بدر الدولة أبو الفتوح موسى بن الحسن، وكان يتولى الشرطة السفلى ثم خلع عليه أولا بالصعيد فى جمادى الآخرة سنة اثنتى عشرة؛ ثم ولى ديوان الإنشاء عوضا عن ابن خيران، وخلع عليه للوساطة فى محرم سنة ثلاث عشرة عوضا عن خطير الملك، ثم قبض عليه فى العشرين من شوال منها فى القصر، فاعتقل وزال أمره، وكانت مدة وساطته تسعة أشهر. ثم أخرج فى يومه مسحوبا، وسجن، ثم أُخرج من الغد وقتل فى الفجر، فوُجد له من الْعَيْن ستمائة وعشرون ألف دينار.

وقَتلت السيدة جماعة ممن كان اطَّلَع على سرها فى قتل الحاكم، وعظمت هيبتها فى نفوس الأباعد والأقارب.

---

(١) الصقالبة: جماعة حمر الألوان صهب الشعور تجاور بلادهم بلاد الجزر (عند بحر قزوين الخزر) وبعض بلاد الروم، وكانوا يصلون إلى مصر مع النخاسين تجار الرقيق.

(٢) وظيفة الزمام: من وظائف الأستاذين المحنكين يشرف شاغلها على ديوان بعينه أو على فئة بعينها من الخدم أو جماعة الحرس - إلخ.

وفى سنة ثمانى عشرة

شرب الظاهر الخمر وترخّص فيه للناس وفى سماع الغناء وشرب الفقاع، وأكل الملوخية وسائر أصناف السمك، فأقبل الناس على اللهو.

وكان قد وَلِىَ حلب غلام يعرف بأمير الأُمراء عزيز الدولة أبى شجاع فاتك الوحيدى، غلام مَنْجُوتكين، فى شهر رمضان سنة سبع وأربعمائة، وكان أرمينيًا دينًا عاقلا؛ فولاه الحاكم بأمر الله حلب وأعمالها، ولقّبه أمير الأمراء وعزيز الدولة تاج الملّة. ودخل حلب يوم الأحد ثانى شهر رمضان منها؛ وتمكن من البلد واستفحل أمره وعظم شأنه، فعصى الحاكم، ودعا لنفسه على المنبر، وضرب السكة باسمه، فمات الحاكم عقب ذلك، فلاطفته السيدة وآنسته، وواصلته بما مال إليه من حمل الخلع والخيول بالمراكب فى سنة اثنتى عشرة حتى استمالت قلبه. ولم تزل تُعمل الحيلة حتى أفسدت عليه غلامًا له يعرف ببدر، كان يملك أمره وغلمانه تحت يده، وبذلت له العطاء الجزيل على الفتك به، ووعدته أن تقيمه مقامه فى موضعه. وكان لعزيز الدولة غلام هندى يهواه ويحبه حبا شديدا؛ فاستَغْواه بدر وقال له: قد عرفتُ من مولاك ملالا لك وتغيُّرًا منه فيك، واطّلعتُ منه على عَزْمِة فى قتلك، ودفعته دفعات عنك لأننى لا أشتهى أن يتم مكروه عليك، وتركه مدة ووهب له دنانير وثيابا، وأظهر له المحبة، وتوصل إلى أنْ خلا به، ثم قال له: إنْ علم نبًا التغير عزيزُ الدولة قتلنا، وما إشفاقى على نفسى وإنما إشفاقى عليك، فقال له الصبى: فأى شىء أعمل يا مولاى؟ قال: قد عرفت محبتى لك، وإن ساعدتنى اصطنعتك وأعطيتك، وعشنا جميعا فى خفض وأمن. قال له: فارسم ما شئت حتى أفعله؛ قال: تحلف لى حتى أقول لك؛ فاستحلفه وخدعه، ووافقه على قتل عزيز الدولة، فقال له الصبى: كيف أقتله؟ قال: الليلة يشرب، وسأزيد فى سقيه حتى أسكره؛ فإذا استدعاك على الرسم لغمزه[1] ونام، فقم كأنك تهريق ماء، فخُذْ سيفه واضربه حتى تفرغ منه، فقبل الصبى وصيته. وكان عزيز الدولة فى الصيد؛ فلما عاد دخل الحمام وخرج منه فأكل ثم انتقل إلى مجلس الشراب؛ وحضر من جرت العادة بحضوره من نَدَمائه، ثم قام فى آخر وقت وقد تبين فيه السكر، والصبى بين يديه يحمل سيفه حتى وَافَى إلى مرقده واستلقى على فراشه؛ وأمر الغلام أن يغمزه. فلما مضى هزيع من الليل وثقل عزيز الدولة فى النوم وتحقق الصبى ذلك سل السيف وضربه به، وكان سيفًا ماضيًا، ففلق رأسه، وأتبع الضربة بأخرى فقتله. ودخل بدر وشاهده ميتًا، فصاح، واستدعى غلمان الدولة وأمرهم بقتل الصبى، فقتلوه؛ وحَوط الخزائن والقلعة.

---

(١) غمزه يغمزه مثل نخسه ولعل المراد به ما يسمى بالتكبيس الذى يقوم به بعض الخدام أو الجوارى للسادة قبيل النوم. انظر: القاموس المحيط.

Marfat.com

وشاع قتل عزيز الدولة، وكان ذلك فى ليلة السبت الرابع من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة. وكتب بدر إلى السيدة بقتله، فأجابته، وأظهرت الوجد على عزيز الدولة، وشكرت بدرًا على ما كان منه فى ضبط الأمر وحراسة الخزائن، ولقبته وفىَّ الدولة، وقلدته موضع مولاه، ووهبت له جميع ما حازه.

وكان سديد الدولة على بن أحمد الضيف ناظرا بالشام[1]، فتلطف ببدر غلام عزيز الدولة حتى تسلم البلد منه والقلعة، وولاها أصحاب الظاهر. وسبب ذلك أن كتابا وصل إليه من الظاهر بخطّه يطيب نفسه، وأظهر هذا الكتاب فى حلب فى أيام الملك رضوان أخذه من بعض أهلها، وكان فى ورق إبريسم أسمر عريض، فيه ثلاثون سطرا بخط وسط. وكان صدر الكتاب: عرض بحضرتنا يا بدرٍ - سلمك الله - ما كتبت على يد كاتبك ابن مدبر، وعرفنا ما قصدته، ولم نُسِئ ظنًا بك لقول فيك ولا شناعة ذكر، وقد بعثنا بأحد ثقاتنا إليك وهو على بن أحمد الضيف ليجدد الأخذ عليك. فلما دخل ابن الضيف على بدر بالكتاب استرسل إليه وطرح القيد فى رجليه، فقبض عليه وأنزله من القلعة، وأقام بحلب سنة، وسلمها موصوف الخادم إلى أصحاب الظاهر وثقاته.

وفى سنة ثمانى عشرة وأربعمائة

فى ذى الحجة: والناس يطوفون بالكعبة قصد رجل دَيْلَمِىٌّ من الباطنية الحجر الأسود فضربه بدبوس فكسره، وقتل فى الحال، وقتل معه جماعة ذكر أنهم كانوا معه وعلى اعتقاده الخبيث.

ولما تسلم بدر مدينة حلب من عزيز الدولة فاتك بقى بها سنتين، ثم ملكها موصوف الخادم. واستدعى منتخب الدولة أَنُوشْتَكِين الدزْبَرى من قيسارية، فلما كان فى الرَّمْلة خرج إليه توقيع بولاية فلسطين، فدخلها فى المحرم سنة أربع عشرة، فخافهُ حسان[2] بن مفرج بن دغفل بن الجراح، وجرت له معه وقائع وحروب انتصر فيها الدزْبَرى على حسان وعظُم أمره، فسعى به إلى الوزير فقبض عليه بعسقلان.

وكان قد ولى الوزارة الأمير شمس الملك المكين الأمين أبو الفتح مسعود بن ظاهر

---

(١) ناظر نظار الشام: هو الذى يقوم مقام الوزير بالديار المصرية. انظر: السلوك ٦٦٧/١.

(٢) حسان بن مفرج بن دغفل بن الجراح الطائى: أمير بادية الشام. كانت إقامته بالرملة، وخلف أباه على الإمارة بعد وفاته سنة ٤٠٤ هـ. قال ابن خلدون: وعظم صيته وكان بينه وبين خلفاء الفاطميين معزة واستقامة، وهو ممدوح النهامى الشاعر. انظر: ابن خلدون ٧/٦ وصبح الأعشى ٢٠٣/٤ والأعلام ١٧٧/٢.

Marfat.com

الوزان بعد قتل بدر الدولة أبى الفتوح موسى بن الحسن فى المحرم سنة أربع عشرة، ورُدَّ إليه النظر فى الرجال والأموال، فجرى له مع نجيب الدولة على رسمه فيما يتولاه من ديوان تنيس ودمياط، والجيش الحاكمى، ودواوين السيدة ست الملك، ولا يكون لشمس الملك فى ذلك نظر.

وبعث الظاهر رسولا إلى بلاد إفريقية، فقدم مدينة المنصورية لأربع بقين من جمادى الأولى، ومعه تشريف جليل لشريف الدولة أبى تميم المعز بن باديس، وثلاثة أفراس بسروج ثقيلة، وخلعة ومَنْجُوقان قد نُسجا بالذهب على قصب من الفضة، وعشرون بندا مذهبة، وسجل لقب فيه بشريف الدولة وعضدها، فتلقاه شرف الدولة، وقرئ السجل بجامع القيروان.

وأهلَّ جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وأربعمائة بيوم الثلاثاء: ففيه خُلع على أبى الفرج بن مالك بن سعيد ثوب وعمامة مذهبان، ورداء محشى مذهب، وحمل على بغلة بسرج ولجام محلى؛ وقلد قضاء تنيس وسار إليها.

وخلع على أحد أولاد ابن جراح ثوب مثقل مذهب وعمامة طائِرة، وحمل على فرسين بسرجين ولجامين مذهبين.

وفى غَده: ركب الظاهر إلى نواحى القصور وعاد.

وفى ثالثه: وصلت نحو المائة رأس من جهة ابن البازيار وشهرت.

وهلك محمد بن عبد الله بن المدبر بأخذ الخطير عمار فى القصر.

وفى رابعه: وُكِّل بدكاكين الرواسِين[1] فى جميع الأسواق، وأخذ ما فيها من الرءوس، وكان قد طلب خمسمائة رأس وألف رطل رقاقًا.

وفى سادسه: جلس الظاهر للسّلام، ودخل الناس على رُسُومهم، وانصرفوا.

وفى ثامنه: جُمع الناس كافةً إلى صحن الإيوان بالقصر، وخرج رفق الخادم ومعه منشور وسجل، فسَلَّم المنشور إلى أبى طالب على بن عبد السميع العباسى الخطيب، فرقى المنبر وقرأه على الكافة، فتضمن أن جماعة من أوغاد الأرياف يرتكبون الجرائم ويَختَمون

---

(١) سوق الرواسين يقع على رأس سويقة أمير الجيوش وقيل له ذلك من أجل أن هناك خانًا تصنع فيه الرءوس وكان من أحسن الأسواق. انظر: الخطط ٢/٩٥.

Marfat.com

بأهل الدولة من الولاة، فنُهُوا عن حمايتهم، فلما فرغ من قراءته استُدعِى أبو عبد الله محمد بن على بن إبراهيم النرسى، نقيب الطالبيين إلى الخزانة الخاصة، فخلع عليه ثوب دبيقى مذهب مصفف بأطواق، ومن تحته ثوب مصمت مذهب وغلالة مذهبة، وعلى رأسه عمامة شرب مذهبة. وخرج وفى يده سجل يتضمن استمراره فى النقابة على عادته، وكان قد أرجف بصرفه عنها.

وفى تاسعه: ركب الظاهر فى عساكره إلى عين شمس، وعاد.

وفى يوم الجمعة حادى عشره: كان نَوْرُوز القبط، وانتهت زيادة النيل فيه إلى أربعة عشر ذراعًا وإصبع واحد.

وفيه خطب بجامع راشدة على منبره خطبتان فى وقت واحد. وذلك أن أبا طالب على بن عبد السميع خطب بهذا الجامع بعد سفر العفيف البخارى إلى الشام بأمر قاضى القضاة، فسعى ابن عصْفُورة ببعض الخدام حتى خرج له الأمر بأن يخطب، فخطبا معًا أحدهما دون الآخر. ثم استقر أبو طالب فى الخطابة وأن يخلُفَه ابن عصفورة.

وفى ثالث عشره: ركب الظاهر لفتح الخليج وسد البلد[1] إلى الصناعة، فطرح بين يديه عشارى. ثم سار على شارع الحمر إلى بهد الخليج، ففتح بين يديه ولعبت العشاريات فيه، وكان يومًا حسنا. وكان عليه وقت نزوله إلى مصر قميص طميم مذهب، وعلى رأسه شاشية مرصعة، وعاد وعليه ثياب بيض دبيقية مذهبة وعمامة شرب مسكى مذهبة.

وفى ثانى عشريه: وصلت هدية من المحدث بأسوان، وهى عشرون فرسًا، وثمانون بُخْتيًّا وعدةُ عبيد وإماء سُودَان، وفهد، وغنم نُوبية، وطيور، ونسانس، وأنياب فيلة.

وفى ثلاثة أيام، آخرها سلخه: انصرف ماءُ النِّيل انصرافًا فاحشا ولم تَرْو منه الضياع، وكثُر ضجيج الناس واستغاثتهم، وخرج أكثرهُم بالمصاحف منشورة إلى الجبل يدعُون الله فلم يُغَاثوا.

وتعذر وجود الخبز، وازدحم الناس على شراء الغلال، ووقف سعر التلّيس على دينار إلا أنه لا يوجد إذا طلب، وأُبيع سرًّا التليس القمح بدينارين، والحملة الدقيق بدينارين

---

(١) المراد فتح سد النيل عند منطقة فم الخليج وقد تقدم شىء من التعريف بهذا الاحتفال.

Marfat.com

وربع، والخبز أربعة أرطال بدرهم، وثمن الحمل[١] الدقيق بعشرين درهمًا.

وأهلّ شهر رجب بيوم الأربعاء:

وفى ثالثه: توجه أبو القاسم بن رزق البغدادى فى الرسالة إلى الحجاز.

وفى خامسه: خلع على داود بن يعقوب الكتامى ثوب مثقل وعمامة، وقلد الحسبة والأسواق والسواحل؛ فنزل فى موكب عظيم وبين يديه اثنتا عشرة نجيبة تحيطُ به إلى مجلس الحسبة بمصر، فنظر فى الأسعار عوضا عن ابن غرة فاستقامت الأحوال. وقُلّد ذو القرنين أبو المطاع بن الحسن بن حمدان الإسكندرية وأعمالها غربًا وأُمر ولدُه فاضل ولُقّب عظيم الدولة، واستقر عوضه والى البلد.

وفيه قرئ بالإشراق سجل برفع المناكر وترك التظاهر بشىء منها، وألا يخرج النساء من بعد العصر إلى الطُّرقات بالقرافة، وأن تُنَزه هذه الأشُهر الشريفة عن المناكر، وألا يجتمع الناس كما كانوا يجتمعون بالجزيرة والجيزة وبالقرافة على شىء منها ومن المحظورات وأن يمنع الغناء ظاهرا إلا بالقضيب فإنه مباح.

وفى ثامنه: قُلّد محمد بن عبد الله بن مدبر ديوان الخراج شركة. وركب الظاهر إلى مسجد تبر، وعاد.

وفى غده: تعذّر وجود الخبز، وأُمر ببلّه فى الماء فى القصارى، قيل وبيع ثلاثة أرطال بدرهم، ثم وجد. وفتحت مخازن جماعة من أهل الدولة.

سنة خمس عشرة وأربعمائة

أهل المحرم بيوم السبت.

وفى تاسعه، أُخِذ رجلٌ يقال له أبو زكريا، وكان نصرانيا فأسلم، وكتب الحديث وقرأ القرآن، وحجَّ، ثم ارتد إلى النصرانية وقال: ما عمِل فىَّ سحرُ نبيكم، فضرب عنقه بعد ما ثبت عليه هذا.

وفى ثالث عشره: أُخِذ كتابى يعرف بأحمد بن طاطوا وعليه أثر السَّفر، فزعم أنّه وردَ من الكوفة، وأنه كان مع الحاكم بأمْر الله، أرسله إلى الناس لينتهوا عما هُم عليه، فضرب عنقه.

ولسبع عشرة بقيت منه: سار أبو القاسم بن رزق البغدادى إلى صِقِلية بسجل وهدية فيها مغنيات من القصر.

وفيه ركب الظاهر إلى نواحى عين شمس وعليه ثوب بِنْكِى[٢] أحمر معلم[٣] مذهب

---

(١) الحملة: ثلاثمائة رطل. انظر: قوانين الدواوين ٣٦٥.

Marfat.com

على رأسه عمامة شرب بِنْكِي مذهب، وعاد.

ولِعشْر بقين منه: امتنع شمس الملك الأمين المكين أبو الفتح مسعود بن طاهر الوزان من النظر فى الوساطة حنقا من الشريفين العجميين، لأنهما يتولّيان الأمر دونه، ومكاتبة أعمال الشام وغيره، وقراءة التّخريج، وعَرْض كتب البريد وكتب المُطْلَقَات، وأقام فى داره ثلاثة أيام، فاستدعاه الظاهر وأمره بالعود إلى خدمته، فعاد إلى النّظر، وجلس على رسمه على باب الذهب[1] يأمر وينهى.

ولخَمْس بقين منه: كان ثالث فِصْح النّصارى، فاجتمع بقنطرة المقس من النصارى والمسلمين فى الخيام المنْصُوبة وغيرها خلق كثيرٌ طولَ نهارهم فى لَهوٍ وتهتك قبيح، واختلط الرجال بالنساء وهم يعاقرون الخمر، حتى حملت النساءُ فى قفاف الحمالين من شدة السكر، فكان المنكر شديدا فى هذا اليوم.

وركب الظاهر فى موكب إلى المقس بعمامة شرب مفوطة بسواد، وثوب دبيقى مُدبَّر بسواد، فدار هناك طويلا وعاد.

ولثلاثٍ بَقِينَ منه: ورد من أهل الريف زيادة على خمسة آلاف رجل فارّين من عُدة الدولة وعمادها، رفق الخادم، متولى السيارة بأسفل الأرض لعسفه.

وقدم الخبر باجتماع العرب الهلاليين والكلابيين وبنى قرة وجهينة على الخارجى بالصعيد، وبعث حيدرة بن نقيايان، مُتَولّى الصعيد، يطلب عسكرا، فسُيِّر إليه خلقٌ من العبيد، والباطلية، والبرقية، وغيرهم.

وأهلُ صفر وأوله الاثنين: فى ثلاثٍ قدم الحاج، وفيه خلائق من أهل خراسان، معهم أمتعة، ورسول صاحب خراسان بهديَّةٍ إلى الظاهر، فأُكْرِم وأُنزل. وكان من خبرهم أن حاجَّ خراسان تأخّر عن الحج فى سنتى عشرة وإحدى عشرة، فاستغاث الناس بالسُّلطان يمين الدولة أبى القاسم محمود بن سُبُكْتكين[2]، فتقدم إلى قاضى قضاة

---

(٢) هذه كلمة إنجليزية الأصل تدل على اللون الوردى الخفيف وهذا تطويع للكلمة الأجنبية بتعريبها إذا لم يجد الكاتب بين يديه الكلمة العربية التى تحقق غرضه.

(٣) معلم: أعلمت الثوب جعلت له علما من طراز وغيره وهى العلامة. المصباح المنير.

(١) باب الذهب: هو من الأبواب الغربية للقصر الكبير الفاطمى، وكانت تدخل منه المواكب وجميع أهل الدولة.

(٢) محمود بن سُبكتكين الغزنوى، السلطان يمين الدولة أبو القاسم بن الأمير ناصر الدولة أبى منصور: فاتح الهند، وأحد كبار القادة. امتدت سلطنته من أقاصى الهند إلى نيسابور. وكانت عاصمته غزنة (بين خراسان والهند) وفيها ولادته ووفاته. مات أبوه سبكتكين (صاحب غزنة،-

Marfat.com

مملكته أبى محمد الناصحى فى الحج، ونادى بذلك فى أعمال خراسان، وأطلق للعربان ثلاثين ألف دينار سوى ما سيَّرَهُ، فساروا وحجوا، وعادوا سالمين. ثم حجُوا بعد ذلك فى سنة أربع عشرة، ومنهم أبو على الحسن بن محمد المعروف بحسَنَك، صاحب عين الدولة والخصيص به، وفى مهمته ما يدفع إلى العرب فى طريق مكة وغيرها من رسومهم، فدفع كلَّ من استضعفه، ووعدَ من قوِى جانبهُ وخِيفَت أَذِيَّتَهُ بإزاحة عِلَّتِهم عند مرجعه، واحتج عليهم بالْوَقْت وضِيقه وخِيفة الفَوْت، فأَخَّرُوا مطالبته. فلما قُضى الحجَّ وعاد بمن معه إلى المدينة النبوية اجتمع هو وأبو الحسن محمد بن الحسن الأقساسى العلوى، أمير الحاج البغدادى، وعدة من وجوه الناس، للنظر فى أمر العرب، فاستقر رأيهم على السير إلى الرملة من وادى القرى والمضى على الشام إلى بغداد، فساروا إلى الرملة، وقدم الخبر بقدومهم إليها على الظاهر فى ثانى عشر صفر، وقالوا إنهم فى ستين ألف جمل ومائتى ألف إنسان - بكتاب بعث به إليه الأقساسى يستأْذِنهُ فيه على عبور بلاد الشام، فسُرَّ بذلك وكتب إلى جميع ولاة الشام بتلَقِّيهم وإنزالهم، وإكرام مقدمهم، وعمارة البلاد لهم بالطَّعام والعلف، وإطلاق الصلات للفقهاء والقراء وإقامة الأَنْزَال الكثيرة لحسنك، صاحب عين الدولة، والتناهى فى إكرامه. وتقدم إلى مُقَدمى عساكر الشام بحفظهم والمسير فى صحبتهم، وأن يتسلمهم صالح بن مرداس من دمشق ويوصلهم الرحبة، ويدفع إلى الأقساسى ألف دينار وعدةً كثيرة من الثياب، وإلى حسنَك مثل ذلك، وقيد إليه فرس بمركب ذهب، فساروا من الرملة مَوْقُورين مجبورين شاكرين حتى وصلوا إلى بغداد، وعرج حسنَك عنها خوفًا من الإنكار عليه، فاشتد ما فعله الظاهر على الخليفة القادر بالله، وأنكر عودتهم على الشام، وصرف الأقساسى عما كان إليه وقبضه، وأنكر على حسَنَك، وكتب فيه إلى عين الدولة، واستدعى منه الفرس والقماش والخلَعَ الواصلة إلى حسَنَك لتحرق ببغداد، فبعث بها فى جمادى الآخرة سنة ست عشرة، فأحرقت بمحضر من الناس وسُبِك الذهب وفرِّق على الفقراء. وغنم

=ناصر الدولة، أمير غزاة الهند، أبو منصور) سنة ٣٨٧ هـ. انظر: ابن الأثير ١٣٩/٩ وما قبلها. وابن خلكان ٨٤/٢ وفيه: وفاته سنة إحدى وقيل اثنتين وعشرين وأربعمائة. قلت: عرفه ابن الجوزى فى «كتاب أعمار الأعيان - خ» بأمير خراسان، وقال: «توفى وهو ابن ثلاث وستين سنة». وابن خلدون ٣٦٣/٤ والجواهر المضية ١٥٨/٢ والبداية والنهاية ٢٧/٢ وفيه: «استولى السلطان محمود على صنم للبراهمة فى أذنه نيف وثلاثون حلقة، وكانوا يعبدونه، فسأل عن تلك الحلق، فقالوا: كل حلقة عبادة ألف سنة. كلما عبدوه ألف سنة علقوا فى أذنه حلقة». وغربال الزمان - خ. وسير النبلاء - خ. الطبقة الثالثة والعشرون، وفيه: «كان أبوه سبكتكين قدم بخارى - من بلاد الترك - وولى غزنة واتصل بخدمته أبو الفتح البستى الشاعر الكاتب». وانظر: ترجمة العتبى محمد بن عبد الجبار ٤٢٧. الأعلام ١٧١/٧.

Marfat.com

الظاهر حسن الثناء عليه من حاج خراسان وما وراء النّهر، لما كـان مـن إحسـانه إليهـم وزيارتهم بيت المقدس.

وفى ثانى عشره: وافى عماد الدولة رفق من السيارة بعدة عظيمة وثلاثمائة رأس من الخيل والبغال فإنه أخذ كل فـرس وجـده، وبـين يديـه سبعون بنـدًا مذهبـة، وعشـرون مَنْجُوقًا، فتلقاه جميع أهل الدولة. وكانت عدة من قتله فـى هـذه السـفرة، وهـى خمسـة وثلاثون يوما، مائتين وثلاثه أنفس.

وقدم زين الملك إبراهيم بن علـى بـن مسـعود مصروفـا عـن مدينـة منـور[1]، فتُلُقـى وأكرم.

وفى سادس عشره: ركب الظاهر إلى ناحية عين شمس وعاد.

وقدم الخبر من حسن بن جعفر الحسنى أنـه أقـام الدعـوة للظـاهر بعرفـات وغيرهـا، ومنع أهل خراسان من الدعوة لصاحبهم.

ولثلاث عشـرة بقيـت منـه: ركـب الظـاهر إلى المشـتهى[2]، ودخـل حمـام نجـاح الطولونى، ثم ركب العشاريات فى النيل إلى المعتوق بالكوم الأحمر[3]، وقطع لـه الجسـر حتى عبره، ثم عاد إلى القصر.

وفى يوم الجمعة لإحدى عشرة بقيت منه: جُمع النـاس كافـةً إلى الإيـوان بـالقصر، فلما اجتمع الناس فى صحن الإيوان خرج القائد أبُو الفوارس معضـاد، الخـادم الأسـود، وعليه ثوب طميم حسن وعلى رأسه عمامة شرب، طائرة كثيرا، بالذهب محرق اللـون، ومعه سِجِل قرئ على العامة والخاصة بتلقيبه بالقائد عـزّ الدَّولـة وسـنانها أبـى الفـوارس معضاد الظاهرى، وأن أمير المؤمنين لقبه وكناه، وهو سجل بليغ. ثم حُمِـل بعـد قراءتـه على أربعة من الخيل بسروج مصفحة ثقال، وعليه سيف ذهب تقلّـد بـه، وخـرج جميـع المصطنعة وسائر القواد والناس معه إلى داره، فكان يومًا حسنًا.

---

(١) مَنْوَر: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وفتح الواو، والراء: جبل فى قول بشر:

ذو بَحَار فمَنْوَرُ

وقال يزيد بن أبى حارثة:

إنّـى لعَمْـرُك لا أصـالـح طيّئًـا حتـى يغـور مكـان رُمـح مَنْـوَر

انظر: معجم البلدان ٥/٢١٦.

(٢) المشتهى من المواضع التى أعدت للنزهة. انظر: الخطط ١/٤٩٠.

(٣) الكوم الأحمر من أعمال الجيزة، وهناك مكان آخر عرف بالكوم الأحمر كان واقعا عند فم الخليج على جانبه الغربى، ولعله المراد هنا وقد سمى الكوم الأحمر من أجل أنه كان بـه أقمنـة الطـوب. انظر: الخطط ١/٣٤٥ - ٣٤٧.

Marfat.com

وفيه: ورد الخبر بأن الثائر الذى قام بالصعيد الأعلى أنـزل حيـدرة بـن نقيايـان حتـى حصل فى يده، وكان شريفًا حسنيا، فأقر أنه قتل الحاكم بأمر الله فى جملة أربعة أنفـس تفرقوا فى البلاد، فمنهم من مضى إلى برقة ومنهم من مضى إلى العراق، وأنـه أظهـر لـه قطعة من جلد رأسه وقطعة من الفوطة التى كانت عليه، فقـال لـه حيـدرة: ولـم قتلتـه؟ فقال: غِرْتُ لله وللإسلام، فقال: وكيف قتلته؟ فأخرج سكينا فضرب بها فـؤاد نفسـه، فمات بعدما قال: هكذا قتلته، فقطع حيدرة رأسه وأنفذه إلى الحضرة مع ما وجده معه.

وقدم الخبر بوقوع الحرب بين بنى قُرة ببرقة.

ولعشرٍ بقين منه: جلس الظاهر فى قصر الذهب[1] بعد أن زُيّن وبُسط وعُلّقـت فيـه الستائر الديباج والستور المذهبة، وعُلق جميع السقائِف كلهـا بالسـتور وفرشـت بالفروش. وحضر أمراء الأتراك وقد لبسوا أفخر ثياب من المثقل والطميم، وحضر جميـع الكتّامين وسائر الجند؛ ودخل الناس أجمعون؛ ووقف شـمس الملـك مسـعود بـن طـاهر الوزان على يمين السرير، وبقية الناس وكافة عبيد الدولة قيـام، فلـم يجلـس أحـد. وجـئ بالرسول الوارد من خراسان ومعه ابن له صغير فقبل التراب للظاهر، ثم أمـر أن يطـوّف به القصر كله، فطاف جميع القصور المعمورة، وقام الظاهر وانصرف الناس.

ولثمانٍ بقين منه: أهدى هذا الرسـول إلى الحضـرة المطهـرة نحـو خمـس عشـرة ناقـة محملة ورقًا طلحا[2] وإهليلجا[3] وغير ذلك، فقبل منه.

ولسبعٍ بقين منه: تُسلم ديوانُ الكتامين من الأمير شـمس الملـك مسـعود بـن طـاهر الوزان، ورُدَّ النظر فيه إلى القائد عز الدَّولة معضاد، فاستخدم فى تدبير أمواله أبـا اليسـر اصطخر بن مينا الأسيوطى شركة بينه وبين صَدَقَةَ بن يُوسُف الفَلاَحى اليهودى الوافـد، ونظر هو فى أمر رجاله وفى التوقيع فى أيـامهم. ثـم بعـد أيـام أخـذ مـن شـمس الملـك بعض إقطاعه، وقبض منه، ورد إلى يمين الدولة سعادة وبقيت فى يده الأعمال.

وفى هذا الشهر: سار ذو القرنين ابن حمدان إلى دمشق.

---

(١) قصر الذهب هو قاعة الذهب، إحدى قاعات القصر الكبير وكان يدخل إليها مـن بـاب الذهـب ومن باب البحر وكلاهما من أبـواب القصـر الغربيـة وموضـع هـذا القصـر الآن خلـف مدرسـة النحاسين. انظر: النجوم الزاهرة ٤/١١٣.

(٢) شجر عظام كالطلاح.

(٣) الإهليلج شجر له ثمر، منه الأصفـر، والأسـود وهـو النضيـج، ومنـه كـابل يحفـظ العقـل ويزيـل الصداع وينفع فى الخوانيق. انظر: الخطط ٢/١٣٨، والقاموس المحيط.

شهر ربيع الأول أوله الثلاثاء:

فى خامسه: وصلت هدية والى الفيوم، وهى مائة وخمسون فرسا بأَجِلَّة.

وفى سادسه: خرج الأمر لابن خالد الغرابيلى، متولى ديوان البريد، بأن يُسلَّم إلى صاحب ديوان الشام جميع ما يرد من حساب الشام، ورُفِعت يد شمس الملك عنه. ورسم أن يكون الشيخ العميد محسن بن بدواس زمامًا على أبى عبد الله مُحمَّد بن أحمد الْجَرْجَرَائى فى ديوان الشام، مفردًا عن نظر شمس الملك، كما أُفرد ديوان الكتامين عن نظره، فصارت هذه العصبة منفردة بمعْضَاد فى التدبير والتقرير، وهم الشريفان العجميان والجرْجَرَائيان عصب الدولة أبو القاسم على بن أحمد وأخوه أبو عبد الله محمد بن أحمد ومحسن بن بدواس وابن خيران.

وفى رابع عشره: خُلع على جناح بن يزيد الكتامى، وحمل على فرسين، وقُلِّد طبرية.

وفى سابع عشرهِ: ركب الظاهر وعاد.

وفى هذا الشهر: اشتد غلاء القمح، وبيع التليس بثلاثة دنانير، والشَّعير أربع وبيات بدينار، والخبز رطلين ونصفا بدرهم. وعز وجود التبن فأُبيع الحمل بدينار، وغلَت أصناف الحبوب وعامة ما يؤكل. ولم يُرَ النِّيل فيما تقدم من السنين أقل نقصانا منه فى هذه السنة.

وفى ثالث عشريه: ركب الظاهر إلى مسجد تبر،وعاد. وفيه نزل القائد الأجل معضاد والشيخ العميد أبو القاسم الجَرْجَرائى ومحسن بن بدواس صاحب بيت المال إلى مصر، فأثبتوا تركة بنت أبى عبد الله بن نصر امرأة أبى جعفر بن قائد القواد الحسين بن جوهر، فوجد فيها [.....][1] وبرادات مُكلَّلة بالجوهر، وأَمْرٌ جليل من المال والجوهر - لأن للسلطان منها الثلث.

وفى هذا الشهر: أُمر ببناء حظير دائرٍ على مقياس النيل بالجزيرة، وَوُكل به الشريف أبو طالب محمد بن العجمى متولى الصناعة، فبناه بالحجر الأبيض، وأنفق عليه مالاً كثيرًا. ونقل إليه الحجر من حَظير كبير كان مبنيا على الشاطئ بناحية طُرَا[2].

وفيه دخل كلبٌ إلى الجامع العتيق بمصر فطاف بالجامع بأسره، فقام إليه الناس وقَتَلُوه

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) طرا: فى الطريق إلى المعادى وحلوان وكانت تعد من أعمال الإطفيحية التى تمتد جنوبا شرقى النيل. انظر: قوانين الدواوين ٨٢ - ٨٣، ١٦٢.

Marfat.com

فى الصحن، فجرى دمه على الحصر فغسلت بعد إخراجه من الجامع.

وقد وصلت هدية من بلد النوبة فيها عبيد وإماء، وخشب أبنوس، وفيلة، وزرافات.

شهر ربيع الآخر، أوله الخميس:

فى رابعه: ورد الخبر بأن عبد الله بن إدريس الجعفرى ومعه أَحدُ بنى جراح طَرَقَ أيلة ونهبها، وأخذ منها نحو الثلاثة الآف دينار وغلالا، وسبى النساء والأطفال. وسبب ذلك أنه سأل حسان بن جراح أن يُرَد إلى ولايته على وادى القرى، ورغب أن يتوسط له مع الظاهر، فلم يجبه، ففعل ما فعل، فخرجت سريَّةٌ من القاهرة لحربه.

وفيه نزل الظاهر إلى البيمارستان متنكرا فى عبيده، فطافَهُ، وأطلق لكلٍّ من المجانين خمسين درهما، وللقيم عليهم خمسمائة درهم؛ ورسم بعمارته وإجراء الماء إليه على رسمه وأن يُطبَخ للمجانين كل يوم ما يأكلونه بعد أدويتهم.

وفى ثامنه: قدم الخبر بنهب عبد الله بن إدريس بلد العريش[1] وإحراقه وأخذ جميع ما كان فيه بمعاونة بعض أولاد ابن جراح. وفيه اجتمع فى قافلة المغرب خلق من التجار ومعهم من الأموال قريب من مائتى ألف دينار بالجيزة، فأنْذِرُوا بطائفة من العبيد والجوالة والقيْصَرِية قد تجمعوا لنهبهم فبعث معهم نحو ثلاثمائة فارس وأربعمائة راجل، وساروا إلى المغرب.

وفى ثامن عشره: جلس الظاهر للناس فى المجلس الذى كان يجلس فيه أبوه بقصر الذهب، ودخل الناس إليه من باب العيد على طبقاتهم. ودخل ناصر الدولة حسين بن الحسن بن حمدان، متولى طرابلس، وقد صرف عنها، فتُلُقى بالبنود وعدتها أربعون بندًا

---

(١) عَرِيشٌ: بفتح أوله، وكسر ثانيه، ثم شين معجمة بعد الياء المثناة من تحت، وهو ما يستظلّ به، والعريش للكرم الذى ترسل عليه قُضبانه، والعريش شبه الهودج يتخذ للمرأة تقعد فيه على بعيرها: وهى مدينة كانت أول عمل مصر من ناحية الشام على ساحل بحر الروم فى وسط الرمل. قال ابن زُولاق وهو يذكر فضائل مصر: ومنها العريش والجفار كله وما فيه من الطير والجوارح والمأكول والصيد التمور والثياب التى ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم تُعرف بالقَسّيّة تعمل بالقس، وبها الرّمان العريشى لا يعرف فى غيره وما يعمل فى الجفار من المكايل التى تحمل إلى جميع الأعمال قال إنما سمّى العريش لأن إخوة يوسف، عليه السلام، لما أقحط الشام ساروا إلى مصر يمتارون وكان ليوسف حُرّاس على أطراف البلاد من جميع نواحيها فمُسِيكوا بالعريش وكتب صاحب الحرس إلى يوسف يقول له: إن أولاد يعقوب الكنعانى قد وردوا يريدون البلد للقحط الذى أصابهم، فإلى أن أذِنَ لهم عملوا لهم عريشًا يستظلون تحته من الشمس فسمى الموضع العريش، فكتب يوسف إلى عامله يأذن لهم فى الدخول إلى مصر، وكان ما قصه الله تعالى فى القرآن المجيد. انظر: الروض المعطار ٤١٠، وصبح الأعشى ٣/٣٨٢.

Marfat.com

ملونة، وخمس بنود مذهبة، وعدة من الطبول، فقبل الـتراب، ثـم قبـل يـد الظـاهر، هـو والشريف الحسنى ابن موسى المقيم بدمشق، ووقفا، فـأمِرا بـالجلوس علـى يسـار القـائد معضاد فجلسا. ثم انقضى السلام وانصرف الناس.

فلما كان وسط النهار: نزلت طائفة من جوارى القصر فى طائفة من الخـدم إلى دار الجواهر ودار الصرف ودار الأنماط، فابتاعوا ما أحبوا، وعادوا.

ولِسبع بقين منه: ركب الظاهر بغير مظلـة فـى عسـاكره ومراكبـه إلى مسـجد تـبر، وعاد، ثم نزل عقب ذلك مختفيا إلى الجزيرة والبساتين.

وركب من الغد فى العشاريات إلى الجيزة وما والاها، وعاد.

وفى عشيَّة السبت، لِستٍّ بقين منه: غرق حَدَثٌ فى النيل، فطرده المـاء إلى الشـط، وأراد أَهلُه حمله، فمنعهم أصحاب الشريف أبى طـالب العجمـى، متـولى الصناعـة، مـن ذلك، وطالبهم عنه بدينارين وقيراطين، واجب الصناعة مـن حـق مَـنْ غـرق فـى النيـل، فدفع إليهم ذلك، وحمل الرجل حتى غسل ودفن فى يوم الأربعاء.

ولليلتين بقيتا منه: جلس الظاهر فى قصر أبيه بيـاب الذهـب علـى سـريره المصقـول المذهب، وعليه ثوب دبيقـى معلـم، وعمامـة شـرب مثقـل مذهبـة، وتحتـه فـرش دبيقـى مذهب، ودخل الناس من باب العيد فسـلموا، وجلـس مَـنْ عادتـه الجلـوس سـاعة، ثـم انصرفوا.

وفى هذا الشهر: ارتفع السعر من أجل أن المراكب الواصلـة بـالقمح أُخـذت كلُّهـا ورُفعت إلى القصر من المقس.

وفيه طـاف العامـة والسُّـوقة أسـواق مصـر بـالطُّبول والأبـواق يجمعـون مـن التُّجـار والباعة ما ينفقونه فى مضيِّهم إلى سجن يوسف، فقيل لهم شُـغْلنا بعـدم الأقـوات يمنعنـا عن هذا، فأنهَوْا حالهم إلى الظاهر، فرسم لشافى الدولة أبـى طـاهر ابـن كـافى، متـولى الشـرطة السـفلى، بتقريـر الرسـم علـى التجـار حتـى يدفعـوا إلى العامـة مـا جـرت بـه رسومهم، وأذن لهم فـى الخـروج إلى سـجن يوسـف، ووُعـدُوا أن يطلِـقَ لهـم الظـاهر ضعف ما أطلق لهم فى السنة الماضية من الهبة، فخرجوا.

شهر جمادى الأُولى، أوله الجمعة:

فيه ركب الظاهر مبكرًا مع حرمه وخدمه إلى المشتهى فأقام يومه، **وفى ثالثه:** ركـب بعساكره إلى عين شمس وعاد.

وكان الشريف أبو طـالب بـن العجمـى صـاحب الصناعـة قـد تنكـر علـى ابـن أبـى الرَّدَّاد، وأهانه، وتقابحا فى الخطاب، فضربه الشريف واعتقله. فأقام قـاضى القضـاة أبـو

Marfat.com

العباس أحمد بن أبى العوام مشارفين على ابـن أبـى الـرَّدَّاد، لسـؤاله القـاضى فـى ذلـك، وهما أبو الحسن سليمان بن رستم، والخليل بن أحمد بن خليل لِيُنْهِيا إليـه مـا يصـح مـن أمر المقياس، فوجدا مجارى الماء مسدَّدَة، ووجدا ابـن أبـى الـرَّدَّاد يتنـاول فـى كـل سـنة خمسين دينارًا لكنس المجارى، ووجد الماء قد انتهى إلى حد، فلما فتحت المجارى طلـع الماءُ إلى حدٍّ أكثر من الحد الذى كان عليه.

وفى رابعه: نزل صقلبى من صقالبة القصر بمنشـور معظـم إلى قـاضى القضـاة، وهـو بالجامع العتيق، فأمره بقراءته على المنبر، فأراد أبو طالب على بن عبـد السـميع العباسـى أن يتولى قراءته دُونَ أخيه أبى جعفر، وهو الأكـبر، وقـد صـرف عـن قـراءة السـجلات وليس له إلا خطابة الجامع العتيق، فقال له أبـو جعفـر: ويحـك، مـا تحتشـم منـى لِسـنّى ولأننى أخوك الأكبر، ولأننى هُرِعتُ لمولانا الحاكم بأمر اللـه، قـدس اللـه روحـه، وقَـدْ هَمَّ بضرب عنقك حتى خلّصتك من القتـل وضمنـت لـه عَنْـك التوبـة والإنابـة!! فدفـع القاضى السجل إلى أبى جعفر، فقرأه فوق المنبر على كافة الناس، ومضمونـه أنـه انتهـى إلى أمير المؤمنين أن المستخْدَمين فى الصناعة يعتمدون تعويق من ينزل البحر مـن النّـاس، ويمنعون القوارب من إنقاذ مَنْ يلتمس الخلاص منهم ليأخذوا على ذلك واجبًا قـد أقامـه متولى الصناعة محمد الحسينى العجمى، على كل غريـقٍ دينـارين ونصفـا، وأنَّ ذلـك لمـا أنهى إلى حضرة أمير المؤمنين أنكره وأكبره، ومنع من أخذ درهم واحد فمـا فوقـه عمـا هذا سببُه، والمنع منه. فكثر الدعاءُ للظاهر.

وفى ثامنه: ركب الظاهر فى خاصته وخدمـه إلى الرُّمَيْلـة[1] بظـاهر المقـس، فطـاف طويلا ثم عاد.

وفى تاسعه: ركب القائد الأجل عز الدولة ومصطفاهـا معضـاد الخـادم الأسـود فـى جميع الأتراك ووُجوه القواد، وشقَّ مدينة مِصر إلى الصناعة، ثم خرج منها وعـدى بِمَـنْ معه إلى الجيزة، حتى رتب للظاهر عسكرا يقيم معه هناك:

وأخذ فى يوم الاثنين حـادى عشـره أربـع عشـاريات وأربعـة عشـر بغـلا مـن بغـال النقل، ومعه خاصته وحرمه إلى سجن يوسف. وعـاد منـه يـوم الأربعـاء لثـلاث عشـرة خلت منه.

وركب فيه إلى مسجد تبر وعاد.

وأقام أهل الأسواق نحو الأسبوعين يطوفون الشوارع بالخيل والسماجات والتمـاثيل،

---

(١) الرميلة: منزلة فى طريق البصرة إلى مكة. انظر: معجم البلدان ٢/٧٣.

Marfat.com

ويطلعون إلى القاهرة بذلك برسم أمير المؤمنين، ويعودون ومعهم سجلٌ قد كتب لهم بألا يعَارَض أحد منهم فى ذهابه وعودته. ولم يزالوا على ذلك إلى أن تكامل جميعهم. وكان دخولهم من سجن يوسف فى سادس عشره، فشقوا الشارع بالخيال والسماجات والتماثيل، وتعطّل الناس فى ذلك اليوم عن أشغالهم ومعايشهم، واجتمع خلق كثير لنظرهم. وظل الناس أكثر هذا اليوم على ذلك، وأطلق لهم ثمانية آلاف درهم وكانوا فى اثنى عشر سوقا.

وفى عشريه: قَتَل طائفة من القيصرية غلاما من الأتراك، فركب الأتراك بالسلاح وقاتلوا القيصرية، فتكَافُوا، ولم يجسُر أحد منهم على الإيقاع بصاحبه.

وفى ثانى عشريه: ركب الظاهر النِّيل ومضى إلى بستان السيدة العمة، ثم إلى خيمة وردان لأنهم مقيمون فى الجزيرة للتنزه هناك. ولم تزل العشاريات تلعب فى البحر الليل كله والمسرة متصلة بينهم، فقدم فى آخر النهار مركب يحمل حطبا من الصعيد، فقلب نُوتيته وقطع الجسر، وغرق مركبان منه، وقطع ثلاث قطع، وغرق عشاريان بمن فيهما.

وفى هذا الشهر: كوتب أبو الحارث نقيان بن محمد بن نقيان الخيملى، متولى حرب تنيس ودمياط، بالمسير إلى حلب ليتسلمها عوضًا عن محمد سند الدولة أبى محمد الحسن بن محمد بن نقيان الكتامى عن وصول هديته إلى الحضرة، فسار.

وكان من خبر مدينة حلب أن عزيز الدولة فاتكا لما قتل وأقيم من بعده غلامه بدر مكانه، ثم قَبض عليه على بن الضيف، وأقام بحلب سنة، وولى سند الدولة أبو محمد الحسن بن نقيان فنزل صالح بن مرداس الكلابي على حلب ونازلها، وقد كره الناس ابن نقيان وموصوفًا الخادم لسوء سيرتهما، فسلّموا البلد إلى صالح. والتجأ ابن نقيان وموصوف إلى القلعة وتحصنا بها فاستخلف صالح على مدينة حلب أبا منصور سليمان ابن طوق، ومضى إلى بعلبك فملك قلعتها بعد حرب، وقتل جماعة من أصحاب الظاهر. واجتمع هو وحَسَّان بن جَرَّاح وإخوته، وسنان بن عليان على فلسطين[1] وتحالفوا على اجتماع كلمتهم ومحاربة الظاهر، وتقاسموا البلاد كما سيأتى ذكره إن شاء الله.

وأما ابن طوق فإنه حصر قلعة حلب حتى أخذها بمباطنة من أهلها وأمسك ابن نقيان وموصوفا، فقتل ابن نقيان فى يوم الخميس لثمان بقين من ربيع الآخر من هذه السنة، واعتقل موصوفا، فركب أبو الحارث بن نقيان البحر من تنيس إلى طرابلس،

(١) فلسطين: انظر: معجم البلدان ٤/٢٧٤ - ٢٧٥.

ودخل حلب يوم الأحد سابع عِشْرى جمادى الأولى هذا، وملكها، وسمى سابق الدولة أبو طاهر ابن كافى متولى الشرطة السُّفْلى بمصر من قِبَل بدر الدولة بأخذ تنيس ودمياط، واستخلف أخاه جلال الدين على الشرطتين العليا والسفلى من قبل بدر الدولة.

وفى رابع عشريه: ركب الظاهر إلى طرف الخندق وعاد، ثم ركب من الغد إلى مسجد تبر وعاد.

شهر جمادى الآخرة؛ أوله الأحد:

فيه جلس الظاهر للناس للسلام عليه، فدخلوا على رسومهم، فسلمُوا وانصرفوا.

وفى رابعه: ركب إلى مسجد تبر فى عساكره، وعاد، فطلب الببغاء من الطُّيور فحمل إليهم منها شىء كثير، فابْتَاع ما أحبَ بأوفَر الأثمان.

وفى ثامنه: جلس للسلام، فدخل الناس فسلموا وانصرفوا، ثم ركب إلى المشتهى. وركب فى ثانى عشره إلى مسجد تبر فى مواكبه، فلقيه عند سقاية ريدان خادم أسود يقال له عنبر، كان مقربا للحاكم بأمر الله، كثر كلامه فطردَتْه السيدة، فقال: يا أمير المؤمنين خذ لنفسك، فَوَحَق ما فى هذا المصحف - وأخرج مصحفا - إنَّ أباك باق وبعد قليل يجىء إلى قصره، وقد نصحتك، فقبض عليه واعتقل، وقيل إنه اختل عقله.

وفيه قرر الشريف الكبير أبو طالب الحسنى العجمى القزوينى والشيخ نجيب الدولة أبو القاسم على بن أحمد الجرجرائى والشيخ العميد محسن بن بدواس مع القائد الأجل معْضَاد أن يكون دخُولُهم على الظاهر الأخيرَ فى كل خلوة، وأنّهم يكْفُونَه أمر الاهتمام بالدولة ليتوفر على لذّاته، وينفردوا بالتدبير.

واستقر أمر الثلاثة على الدخول فى كل يوم على الانفراد وألاّ يُستَدعى معهم أحد. وصار شمس الملك مسعود بن طاهر الوزان، ومظفر صاحب المظلة، وولى الدولة ابن خيران، وداعى الدعاة، ونقيب نقباء الطالبيين، وقاضى القضاة ربما دخلوا فى كل عشرين يومًا مرة، وهؤلاء الثلاثةُ الذين يقضون ويُمضون ويشيرون ويفعلون فى أمر الدولة ما يروْنَه، مع اجتماعهم بِمعْضَاد دونَ كلِّ أحد.

وفى سابع عشره: ركب الظاهر فى العساكر ورجال الدولة بأحسن زى وأكمل عُدة وركب عبيد الدولة بالآلات والسلاح والطريقة الحسنة والعُدة الكاملة. وشقَّ شارع مصر إلى صناعة الجسر، وعليه ثوب طميم مثقل وعمامة مذهبة طميم، وعلى رأسه مظلة حمراء مثقلة مذهبة، فغير ولبس ثوبا دبيقيا أبيض مذهبا شرب بيضاءَ مذهبة، وركب فرسًا كُميْتا وقف عند الصناعة ووجد الجد فى طرح مركب حربى جديد،

Marfat.com

فتعذر طرحه، فتركه وسار لفتح الْخَليج، فورد الخَبر بأن سيَّار الضيفَ متولى سد الخليج أمر بتخفيضه ليقرب أمره عند حضور أمير المؤمنين لفتحه، فغلبه الماءُ وانكسر السَّدَ. فلما وصل الظاهر إلى السَّد وقف بجانبه الشرقى، وعبرت العشاريات مزينة على العادة، ولعبت، ثم عاد إلى قصره، فكان من الأيام المشهودة.

وفى تاسع عشره: نودى فى مدينة مصر بألا يتعرض أحد لذبح شىء من الأبقار بوجه ولا سبب، فإن مَنْ تعرّض لذلك حل دمه وماله، لأن الناس عدموا العوامل[1] فى هذ السنة، وكانوا على عادتهم فى ابتياع الفواكه والخمور والحيوانات، إلا أنَّ أمرهم فى ذلك كان أقل لِلْغَلاءِ وتعذّر الأصناف.

وضُرب فيه بالأجراس فى آخر النهار ألاّ يلعب أحد بالماء ببلد مصر فى يوم النّورُوز، ولا فى القاهرة، فطلع الجزَّارون يستغيثون فى مَنْعهم من ذبح الأبقار، وأن عندهم منها ما ابْتاعُوه وأنفقوا عليه فى عَلَفه حمل الدنانير، وليس هو ما يَعْمَل ولا يصلحُ للزراعة، فإن الرأس من البقر يُقوَّم عليهم بمائة دينار وأكثر. وسألوا الإذن فى ذبح ما عندهم، فأجيبوا إلى ذلك. وذبحوا فى هذه الثلاثة الأيام ما لا يحصى كثرة، وبيع بطن البقر ولحمه رطلا بدرهم، وازدحم الناس فى طلبه.

فلما كان آخر نهار الثلاثاء رابع عشريه وهو رابع النّورُوز: أحضر المحتَسِب الجزَّارين والهرَّاسين[2] ومنعهم من ذبح الأبقار، فانقطع بيع لحمها من الأسواق.

وفى خامس عشريه: ركب الظاهر إلى مسجد تبر فى عساكره، وعاد.

شهر رجب، أوله الاثنين:

فى ثانيه: ركب الظاهر إلى نواحى القصور وعليه عمامة ياقوتية مذهبة وثوب دبيقى بياضٌ مذهب بغير مظلة، وعاد.

وفيه: قدم الخبر بأن منتخب الدَّولة أُنوشْتكين الدِّزْبَرى متولى حرب فلسطين، أنفذ إلى بيت جبرين، إقطاع حسان بن جراح، من قبض على أمواله، فبعث إلى أَعْوَان الدزبَرى وأخذهم وضرب أعناقهم، فلما بلغ ذلك الدزْبَرى قبض بالرملة على أبى الغول الحسن بن فيروز، صاحب حسان، وعلى كاتبه وسجنهما فى حصن يافا مقيدين.

---

(١) العوامل: المراد بها ما يصلح للحرث والسقى ونحو ذلك من أعمال الفلاحة. انظر: النجوم الزاهرة.

(٢) الهراسين الذين يعملون الهريسة وهى اللحم المفرى وكانت هذه الهريسة تعمل فى أيام الأعياد.

Marfat.com

وفى رابعه: زيَّن العامة أسواق البلد، وخلّقوا[١] وجوه الصبيان، ونادوا بوفاء النيل ستة عشر ذراعًا، فخلع على ابن أبى الرداد خلعًا دبيقية مذهبة ورداءً محشوًّا مذهبا وعمامة شرب مذهبة، وحمل على بغلين بسَرْجين ولجامَيْن مذهبين، أحد السَّرجين مصَفّح؛ وأُعْطِى ستَّ عشرة قطعة ثياب وثلاثة آلاف درهم.

وبلغ الماءُ إصبعين من سبعة عشر ذراعا، فكان يوما حسنا كثر فيه سرور الناس.

وفيه خلع على بقى الخادم الأسود، غلام بدر الدولة نافذ، ثوب مثقل طميم وعمامة قاضى مذهبة، وسيف ذهب، وقلد الشرطتين بمصر، وحمل على فرس بسرج ولجام مذهب، عوضا عن جلال الدولة ابن كافى. ونزل إلى الشرطة السفلى فى جمع كثير، فنظر فى الحسبة مضافا إلى الشرطتين، وأمر أن يباع الخبز الجشكار[٢] كل خمسة أرطال بدرهم، والْحُوَّارَى[٣] أربعة أرطال بدرهم، فغلقت الطواحين والحوانيت جميعها، وأصبح البلد يوم الجمعة، خامسه، على حالٍ صعبة من تعذُّر الأخباز وعدم الدقيق.

فلما كان غداةَ يوم السبت، سادسه: أعيد دواس بن يعقوب الكتامى للحسبة وصُرِف بقى عن الحسبة والشرطة، فأقام يوما واحدا وانصرف.

ونودى أن يكون الخبز الذى يباع فى الأفران خمسة أرطال بدرهم، وتباع بقية الأخباز بغير تسعير، فظهرت الأخباز بالأسواق، وبيع الخبز السَّمِيد رطلين ونصفًا بدرهم، وما دونه ثلاثة أرطال بدرهم.

وفى عاشره: ركب الظاهر إلى نواحى القصور بغير مظلة، وعاد.

وكانت ليلة النّصْف من رجب: ليلة مشهودة، حضرها الظاهر والسيدات وخدم الخاصة والمصطنعة وغيرهم، وسائر العوام والرعايا، وكان مجمعا لم يشهد مثله من أيام العزيز بالله. وأوقدت المساجد كلها أحسن وَقِيد.

وفيه ورد الخبر بأن حسان بن جراح خرج عن الطاعة. وكان سبب ذلك أنه فسد ما بينه وبين الدزْبَرى، واستَوحشَ كلٌ واحد من الآخر، فكتب الدزْبَرى إلى الظاهر يذكُر له تغيُّر حسان فى خدمته، وفساد نيته فى طاعته، ويستأذنه فى حَرْبه؛ فكان ما تقدم ذكره. ثم اتفق أن اعتَل حسان علّةً أشْفَى منها، وكثُر الإرْجاف به فيها، وكتب أصحاب الأخبار بِذكْرِها إلى الظاهر؛ فكاتَب الدزْبَرِى بِقَصْده وانتهاز الفرصة فى

---

(١) الخلوق كصبور وكتاب؛ ضرب من الطيب وخلقه بالخلوق طيبه وزينه. انظر: القاموس المحيط.
(٢) الجشكار: أردأ أنواع الدقيق.
(٣) الحوارى: الدقيق الأبيض، أو هو لباب الدقيق الأبيض.

Marfat.com

أمره؛ فسار إليه وهو بناحية نابلس، فبلغ حسان عن سيره، وقد أبل من مرضه فاستنهض أهله وأصحابه، وجمع نحوًا من ثلاثة آلاف فارس، وتلقى الدزْبرى، فعاد إلى الرملة وحسان فى إثره، فحصره واستدعى رجاله من الجبال والشراة إليه، فصار إليه منهم عدد كثير. وقاتله الدزبرى على باب الرَّملة ثلاثة أيام بلياليها بعدما كبس حسان طبرية، ونهبها، وقتل من بها، وفرَّ منها مُتولّيها مجد الدولة فتاح بن بويه الكتامى إلى عكا، فبلغ حسان، عن أخيه ثابت، أنه انتهى إلى الدزبرى، فبعث جريدة[1] كبست حلة ثابت ونهبتها.

وفيه أُفرد صَدَقةُ بن يوسف الفلاحى بالنظر فى ديوان الكتامين، وأقام الظاهر أياما لم يركب ولم يدخل إليه أحد.

وفى حادى عشريه: ورد الخبر بأن حسان بن جراح اجتمع مع سنان بن عليان بن البنا، وانضم إليه سائر إخوته، وساروا جميعا بظاهر فلسطين؛ فقابلهم الدزبرى كما تقدم، إلى أن فارقه ثابت بن جراح ولحق بأخيه حسان، وقدمت نجدة من صالح بن مرداس لحسان، فبعث الدزبرى يطلب من الظاهر نجدةً بألف فارس وألف راجل، فجُرِّدت جماعة يسيرة، ودُفع إلى كل فارس أربعون دينارا، فاشتملت الجريدة على ألفى فارس وراجل، تولى النفقة فيهم معضاد الخادم والشريف العجمى ونجيب الدولة الجرجرائى، فلم يخرج من الجريدة إلا طائفة يسيرة مضوا إلى العريش؛ وبطل أمر من تجرد بعد ذلك، وسعى بمحسن بن بدواس بأنه كاتب حسان بن جراح يحرضه على الفتنة، وكاتب ملك الروم يُطْمعه فى الدولة، وانتصب له الطائفة التى تحضر عند الظاهر فى المعاملة.

وفى ثانى عشريه: ورد الخبر بأن الدزبرى غُلِب عن مقاومة حسان، ففر من الرملة آخر الليل فى عشرة من الغلمان الأتراك، وسار فى ليلته إلى قيسارية، وذلك أن حسانا هجم برجاله على بعض حوانيت الرملة، وطرح النار ووضع السيف، ثم دخل بجموعه، بعد فرار الدزبرى، إلى المدينة، فنهبوا الأموال واستباحوا الحرم، وقتلوا القتل الذريع، وعندما دخل حسان إلى المدينة ترجل من باب البلد وقبل التراب من باب المدينة إلى دار الإمارة؛ ثم أحضر القاضى وشيوخ فلسطين وأشهدهم أنه عبد الدولة وخادمها وصنيعتها، وداخل تحت طاعتها، وأنه لا يبدأ أحدا من أهل البلد بسوء، وإنما كره مقام الدزبرى فى الرملة، وذكر سوء ما عامله به وأن ذلك أوجب قتاله؛ وأن البلد لأمير

---

(١) الجريدة: الفرقة من العسكر الفرسان لا رحالة بينهم والفرقة من الجند إذا خرجت مسرعة من غير أثقال المهمة تستدعى الإسراع فى الخروج. انظر: لسان العرب.

Marfat.com

المؤمنين يولى فيه من رغب فيه من عبيده، فيسمع له ويطيع، ويخدمه طاعة لله ولمولانا صلوات الله عليه، وأقام نصر الدين نزال واليًا على الرملة، وقال: هذا عبد أمير المؤمنين وابن عبده، يضبط البلد إلى أن يصل أمر أمير المؤمنين، فخلع على القادم بهذا الخبر وكثر السرور به.

وفى ثالث عشريه: خلع على سنّى الدولة حمد، ابن أخى الباهر، وقلد سيارات أسفل الأرض عوضًا عن عدة الدولة بقى الخادم الأسود، وحمل على فرس بسرج مصفح مغموس، وألبس عمامة مذهبة وثوبا طميما.

وفى آخره: ورد الخبر بأن حسان بن جراح إنما أظهر ما تقدم ذكره حيلة وخديعة. وذلك أنه أحضر العسكرية بالرملة، وقرأ عليهم ملطّفا وصل إليه من الحضرة يعتذر إليه فيه، ويعلم أن اعتقال أبى الغول وكاتبه لم يكن عن رأى أمير المؤمنين، وإنما جرى من الدزبرى برأيه، فلما أوقف العسكرية على الملطف قبلوا خط أمير المؤمنين وعرفوه، فأمرهم أن يسيروا به إلى عسقلان ويوقفوا أهلها عليه، فإن كانوا تحت السمع والطاعة لأمر أمير المؤمنين فليسلم الحسن بن سرور الأنصارى الكاتب إلىّ، وإلا سِرْت إلى عسقلان ونقضتها حجرًا حجرًا، ونهبتها، وقتلت أهلها، فمضى العسكرية بالملطف إلى عسقلان، وأوقفوا عليه الوالى والعسكر، فسلم إليهم أبو الغول ورفيقه، فلما وصلا إلى حسان ركب لوقته وخَشَّبَ سبعين رجلا من العسكرية، وقتل طائفة من الحمدانية وغيرهم، ووضع السيف والنهب فى الرملة، وأضرم النار فى الدور والحوانيت حتى جعلها دكا، وسبى النساء والأولاد، وقبض على نحرير الوحيدى وأخذ منه أربعين ألف دينار، وأخذ من مبارك الدولة فتح، المقيم بالقدس، ثلاثين ألف دينار، وأخذ جميع ما جَمَع الدزبرى.

وأرجف بمصر أن خمسمائة فارس بعثها حسان إلى العريش، ثم لم يُعْلَم أين قصدت، فخاف الناس أن يطرقهم فى القرافة، فانتقل أهل القرافة إلى مصر، وانتقل جماعة من بلبيس إلى مصر، فسار بديع الصقلبى فى الرسالة إلى حسان، وتحرك السعر بمصر، واضطربت العامة، وندب مائة فارس من القيصرية للإقامة بالقرافة لحفظ الناس، فإن الخوف اشتد حتى لم يطلع أحد إلى القرافة، وتحمَّلوا منها، فمُنعوا من النقلة وأعيدوا إليها.

وجرت الأمور فى هذه الشهور المباركة على ما كان الرسم قد جرى به من عمارة المساجد والجوامع وتكثير القناديل والزيت وكثرة الوقيد، وقد دخل الشريف العجمى إلى الظاهر، فأظهر أنه يراعى أمر الدولة ويتخوف ما يجرى من الفساد، فأمر الظاهر

Marfat.com

بأن يجتمع مع الشيخ نجيب الدولة أبى القاسم الجرجرائى والشيخ العميد محسن بن بدواس، صاحب بيت المال، وأن يدبر الأمور بما يراه، فاستدعى المذكورين وقال لابن بدواس: احمل المال الذى عندك لينفق فى الرجال، قال: ما عندى إلا يسير، ووالله لو طلبتم منى دينارا واحدا ما مكنتكم منه لأنه موفور لخواص مهمات مولانا صلوات الله عليه. فقال الشريف: فتقترض من التجار وتصادر من تجب مصادرته. فقال الجرجرائى: وأى مال مع التجار وتجار مصر هلكى من الغلاء، لكن إن أردتم المال فمن أم الحاكم بأمر الله، قدس الله روحه، وعمته؛ وبالجملة فقد أغنى الله مولانا، صلوات الله عليه، بتوافر أمواله وتراث آبائه الأئمة الطاهرين عما نراه نحن أو نقوله بآرائنا. فأمسك الشريف عن غير رضا.

وفيه سير جماعة من المجردين فى المراكب الحربية لحفظ حصون الشام، فساروا إلى تنيس ودمياط، ومضوا إلى صور وطرابلس وغيرها، وجردت طائفة إلى بلبيس لحفظها.

شهر شعبان، أوله الأربعاء:

فيه قدم أحد إخوة حسان بن جراح، فتُلُقى وأُكرم وأُنزل فى دار حسين بن جوهر، وحمل إليه الفرش والآلات الفضة، ونحو ذلك مما يصلح لمثله، وأقيمت له الجراية، وضمن أنه يخرج مع العسكر إلى الرملة، فخُلع عليه، وحُمل على فرسين، وقلد بسيف ومنطقه ذهب.

وفى خامسه: جلس الظاهر فى قصره للسلام، ودخل الناس، فقال الكتاميون: يا مولانا، صلوات الله عليك، بلغنا شُغْل قلب مولانا بأمر ابن جراح، ومَنْ هذا الكلب حتى يشغل قلب مولانا، صلوات الله عليه، به وما مقداره؟! والله يا مولانا إن لك من العبيد ما لو أطلق مولانا سبيلهم عليه لقلعوه شعرة شعرة، من عبيدك الكتاميين، وعبيدك القيصرية، والعبيد والباطلية والأتراك، وسائر العرائف والقبائل، غير أننا قد هلكنا والله يا مولانا فقرا وجوعا، وليس لواحد منا مالٌ يرجع إليه؛ ولو كانت لنا أموال لكفينا هذا الأمر وغيره، فقال لهم نسيم صاحبُ الستر: حسبُكم يا شُيوخ، حسبكم! فأمسكوا، ولم يكن من الظاهر جواب.

وفيه ورد الخبر بأن حسان بن جراح كتب إلى صالح بن مرداس يستدنيه ليقع الاجتماع على ما يدبران أمرهما، فسار صالح ونزل على حلب ونازلها وأخذها، كما تقدم، وأخذ بعلبك، وعظم أمره، واجتمع هو وصمصام الدولة سنان بن عليان بن البنا على حسان بفلسطين، وتحالفوا على اجتماع الكلمة وأن يكونوا يدا واحدة على صاحب مصر؛ وقسموا البلاد بينهم؛ فصار لحسان الرملة إلى باب مصر، ولمحمود أخيه

Marfat.com

طبرية وما يتصل بها من الساحل، ولسنان بن عليان دمشق وسوادها، ولصالح ما بقى من الشام إلى عانة[1] فاجتمع سنان مع صالح ومعهما حشود العرب، وحصروا دمشق ونهبوا الغوطة وسائر السواد، وقتلوا فلاحى الضياع وانتهبوا أموالها، وألحوا فى قتال أهل دمشق، فاجتمع الناس بدمشق إلى ذى القرنين بن حمدان، متوليا، وقرروا أن يكون القتال يومًا يكون أمره إليهم ويوما يقاتل فيه عسكر السلطان، فاتصلت الحرب كل يوم، وقتل من العسكر ومن أهل دمشق ومن العرب خلائق، ونُهِبْت مواشى الناس من الضِّياع وغَلاتهم وأموالهم، فأخذ لمعتمد الدولة، من ضياعه عشرة آلاف غرارة من القمح، وبعث حسان نجدة من رجاله إلى سنان، وكان الشام بأسره قد اضطربت أحواله، وتغلبت العُرْبان على البلاد، ونهبوا عامة أموال أهلها.

وفيه قدم صاعد بن مسعود، عامل الصعيد الأعلى، باستدعاءٍ، فغدا فى سادسه شريكا لصدقة الفلاحى فى ديوان الكتامين.

وفى ثامنه: قدم الخبر من دمشق بأن سنان بن عليان بن البنا لما وصلت إليه سرية حسان بن جراح، وهى نحو الثلاثة آلاف فارس، طلب من أهل دمشق ثلاثين ألف دينار يقومون له بها معجلة ومؤجلة، فمنعهم القاضى الشريف فخر الدولة أبو يعلى حمزة بن الحسن بن العباس بن الحسن بن أبى الجن الحسين بن على بن محمد بن على بن إسماعيل ابن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، ورأى أن يجمع ذلك وينفقه فى قتال العرب؛ فوافقوه على ذلك وحلف الناس، وهدم دروب البلد وحملها إلى الجامع حتى لا يمتنع أهل البلد بالدروب ويخلوا بين العسكر والعرب. ورجف بالناس، فاشتد القتال بينهم وبين العرب، وقتل من العرب نحو المائتى فارس، وأصيب سنان بسهم، فطلب من الناس الصلح على ترك الحرب أربعين يوما، فلما تقرر ذلك خرج إليه الشريف ابن أبى الجن وشيوخ دمشق ووجوه الجند، وحلفوا سنانا ووجوه العرب، فاستقر الأمر بينهم على هذا.

وورد الخبر بأن بنى قرة أقاموا إنسانا دعوه بأمير المؤمنين ببرقة، وحملوا على رأسه المظلة.

وفيه: ظهر فى النيل بأعمال أسفل الأرض فرس البحر.

وفيه: ورد الخبر بأن التجريدة التى توجهت إلى تنيس طلبوا أرزاقهم وضيقوا على العامل ففر منهم إلى دمياط، فعاثوا فى البلد وأفسدوا، وقطعوا من يد عامل السلطان

---

(١) عانة: بين الرقة وهيت، مشرفة على الفرات كانت تعد من أعمال الجزيرة، وبها قلعة حصينة. انظر: معجم البلدان (عانة).

Marfat.com

خمسة وعشرين قطعة، وأخذوا من المودع ألفا وخمسمائة دينار، فخرج إليهم عنبر، الزمام، فى خمسين فارسا من عرفائهم للقبض على الجناة وتأدييهم واسترجاع ما أخذوه.

وقدم الخبر بأن حسان بن الجراح كتب إلى سنان يوبخه على ما فعل ويحثه على معاودة الحرب، ويعده بالمدد؛ فعاد إلى قتال أهل دمشق بعد ما كان قد انصرف عنها، فإن حسانا بعد ما نهب الرملة وحمل منها أربعمائة جمل موقرة مالا وثيابا ومصاغا وغير ذلك، بعثها إلى حلله وأضرم النار فى شوارعها، وكسر الأمتعة، حتى كان الناس يمشون فى بحار من الصابون والزيت فى أسواق مدينة الرملة. ثم وصل كتابه يسأل فيه إضافة القدس ونابلس[1] إلى إقطاعه مصانعة له على الكف عن القتال، وأن ينفذ إلى أبى الغول ثياب من ثياب الظاهر التى يلبسها وشاشية من شواشيه، فأنفذ إليه ذلك وأجيب إلى إقطاع نابلس مضافا إلى إقطاعه، ولم يجب إلى القدس.

وفى يوم السبت ثامن عشره: دخل نسيم صاحب الستر بطائفة من الصقالبة إلى بيت المال والشيخ العميد محسن بن بدواس جالس وبين يديه حسباناته، فقال له: اجمع ياشيخ هذه القراطيس واختمها. فجمعها وختمها بخاتمه، ثم أقامه وختم الخزائن، وأخرجه راجلا، فاعتقله بحجرة من القصر. وركب رفق فختم بيت المال والخزانة الخاصة ودار ابن بدواس وسائر ما يتعلق به، فلما كان العشاء أخرج ابن بدواس فضربت عنقه وهو يصيح: والله ما خنت ولا سرقت ولا غششت، وهذه منصوبة نصبت علىَّ، وقيل: إنه وجد عنده خط حسان بن جراح، وخطه عند حسان يحثه على الإيقاع بالدولة، وقيل: إن هذا صنع عليه من أعمال الشريف العجمى، وقيل فى سبب قتله معاندته لمعضاد وعدوله عنه إلى رفق الخادم وأنه كان قد استشار خليل الدولة محمد ابن على بن العداس صديقه لما عاداه هذه الطائفة، فأشار عليه أن يباينهم بالعداوة ويكاشفهم بها، واستشار أيضا شمس الملك مسعود بن الوزان، مع ما بينه وبينه من العداوة، فأشار عليه بمثل ذلك، وقيل: إن الظاهر أخرج كتابا مختوما إلى الشريف العجمى فنظره، ثم رفعه إلى أبى القاسم الجرجرائى فنظره ثم قال: هذا خط ابن بدواس، فقرئ، فإذا فيه طعن على الدولة، وبآخره: إذا وافيت بالعساكر لم تجد أحدا تلقاك ولا يمانعك، وإذا كاتبتنى فلا تنفذ كتبك إلا على أيدى الرهبان فإنهم الثقات

---

(١) نابلس: من مدن الشام، وهى مدينة السامرية، وبها البئر التى حفرها يعقوب عليه السلام، وبها حبس عيسى عليه السلام وطلب من المرأة السامرية الماء ليشرب، وعليه الآن كنيسة حسنة، ويزعم أهل بيت المقدس أن السامرية لا يوجد أحدهم إلا بهذه المدينة. انظر: الروض المعطار ٥٧١، ونزهة المشتاق ١١٣.

Marfat.com

المأمونون، فقال الظاهر: أى شىء يستحق هذا؟ فقال الجرجرائى: مولانا مالك العفو والسيف. فقال: انصرفوا، فلما خرجوا أمر بضرب عنقه. وقيل: إنه وجد أغلف لأنه كان نصرانيا، ومن العجب أنه كان فى غاية التحفظ والتحرز، وكان يخاف أن يقتله الحاكم بأمر الله فنجا منه، ثم لما أمن واطمأن كان حتفه.

وفى يوم الثلاثاء لليلة بقيت منه: أحضر عز الدولة معضاد الكتامين وأمرهم بالبكور من الغد، وأمر الأتراك وجميع العسكر بلبس السلاح، وأن يتسلموا من الخزانة ما يخرج لهم من ذلك، ويقف الجميع حول القصر حتى يؤمروا بما يفعلونه، فوقفوا من الغد بأجمعهم حول القصر إلى ضحوة النهار، فجاءهم الأمر بأن مولانا صلوات الله عليه يركب فى غد، فليحضر من ليس له منكم سلاح ليدفع إليه من الخزانة؛ فقال الكتاميون: قد شغلنا الجوع وطلب الخبز عن هذا، فلما كان آخر النهار حمل قوم من مترجلة الكتاميين على سبعين فرسا، وفرق فيهم وفى غيرهم السلاح.

شهر رمضان، أوله الخميس:

فيه ركب الظاهر فى عساكره وعليه قميص مدير مذهب دبيقى وعمامة مثله، وعلى رأسه المظلة المذهبة يحملها بهاء الدولة مظفر الصقلبى، وخلفه ابن فتوح الكتامى يحمل الرمح، وبين يديه الأتراك والكتاميون والقيصرية والعبيد والباطلية والديلم وسائر الطوائف، وركب رجال الدولة خلفه مع نسيم الصقلبى وسار إلى مسجد تبر، وعاد. وكان يوما حسنا من توافر الناس وكثرة الجمع والزى الحسن.

وفى يوم الجمعة ثانيه: ركب أيضا إلى صلاة الجمعة فى الجامع الأزهر، وعليه طيلسان شرب مفوط بعمامة بياض مذهبة، وثياب دبيقية، والمظلة دبيقية مذهبة، وطلع معه المنبر قاضى القضاة أحمد بن أبى العوام وإبراهيم الصانع المؤدب المعروف بالجليس، فأرخيا عليه سجف القبة التى فى أعلى المنبر، وهى مغشاة بمصمت بياض، والغبر يبخر بين يديه فى المباخر الذهب والفضة والجوهر، فخطب، ثم كشف عنه القاضى ونزل، فصلى وعاد إلى قصره.

فى رابعه: ورد الخبر بانصراف صالح بن مرداس عن دمشق إلى حلب، وأن كاتبه باع جميع ما كان له بحلب من غلة ودار وآلة، وخرج فجمع العرب وقصد حصار المدينة.

فى خامسه: ولى طيب الخازن بيت المال، وخلع عليه، وحمل على بغلة بسرج ولجام؛ وخلع على ميسرة الخازن، وحمل على فرس بسرج ولجام مذهب؛ وولى خزانة

Marfat.com

الخاصة وجعل عدة الدولة رفق الخادم الأسود، يخرج إليهما بالأوامر ويدخل، وخلع على ثلاثة من أولاد ابن جراح وحملوا على ستة أفراس.

وفى ثانى عشره: أخذ ديوان الشام من محمد بن أحمد الجرجرائى ورد إلى أبى طالب الغرابيلى.

وفى يوم الجمعة سادس عشره: ركب الظاهر إلى الجامع الأنور خارج باب الفتوح وعليه رداء بياض محشى قصبا، وثياب بياض دبيقية، وعمامة بياض مذهبة، وفى يده القضيب الجوهر، وعلى رأسه مظلة مديرة فخطب، ثم صلى، وعاد.

وقدم الخبر بأن أهل دمشق هادنوا سنان بن علوان إلى آخر الكوانين.

وقدم كتاب حسان بن جراح بأنه تحت الطاعة، فلا يجب أن يشغل السلطان قلبه بأمر الشام، وأنه يقوم بأمر فلسطين ويجبى خراجه وينفقه فى رجاله، ودمشق فيها ابن عمه سنان، صمصام الدولة، وحلب مردود تدبيرها إلى صالح بن مرداس أسد الدولة؛ وأنه قد كفى السلطان أمر الشام كله، فطرد رسوله ولم يكتب له جواب.

وفى خامس عشريه: زيد فى لقب منتخب الدولة أنوشتكين الدزبرى أمير الأمراء.

وفى سابع عشريه: هرب ابنا جراح ولحقا بحسان بن جراح، وأخذا جميع ما كان فى الدار التى أنزلا فيها، وتركا أخا لهما مريضا، فوكل به.

فى سلخه: حمل نجيب الدولة أبو القاسم على بن أحمد الجرجرائى سماط العيد على العادة، وفيه مائتا قطعة من التماثيل السكر، وسبعة قصور كبار من السكر، وشق البلد بالخيال والطبالين والفرحية.

شهر شوال، أوله السبت:

وفيه ركب الظاهر فى عساكره، وبين يديه فيلٌ وزَرَافات وبُنود مذهبة بقصب وفضة، والطبول تضرب والجنائب تُقَادُ أمامه؛ وجميعُ قواد الأتراك والمُصْطَنعة فى السلاح، وعليه ثوب خز بعمامة نظيره، وفى يده القضيب، وعليه السيف ومعه الرمح، وعلى رأسه المظلة المذهبة يحملها مظفر، وبين يديه الخدم السودان وعليهم أصناف المذهبات - إلى المصلى، فصلى ورقى المنبر، واستدعى قاضى القضاة، فطلع؛ ثم استدعى إبراهيم الجليس المؤدب، فطلع؛ ثم استدعى شمس الملك أبا الفتح مسعود بن طاهر الوزان، فطلع، ثم استدعى تاج الدولة [.....][1] ابن أبى الحسين، صاحب

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

صقلية كان، ثم استدعى زين الملك على بن مسعود بن أبى الحسين، ثم استدعى على ابن فضل، ثم عبد الله بن الحاجب؛ ثم جُدِّل بالبندين المنصوبين على المنبر، وخطب، ثم نزل وعاد إلى قصره، وأحضر السماط فحضر أهل الدولة، ولم يحضر الظاهر، وكان فى منظرة يشاهدونه.

وفى ثامنه: صرف نجيب الدولة مجلى بن نسطورس عن ديوان الأحباس بأبى غالب الصيفى النصرانى كاتب ديوان الخراج.

وفيه: ضربت خيمة بظاهر باب الفتوح؛ ووقع الاهتمام بتجريد العساكر إلى الشام.

وفى هذا الشهر: تحرك السعر، وبلغ التليس القمح دينارين وثلثين، والتليس الشعير دينارا واحدا، والخبز رطلين بدرهم، وقدم الخبر بأن الحرب بمكة قامت بين الحسنيين والصليحيين، فخرج منها أبو الفتوح حسن بن جعفر؛ وأن الغلاء بها شديد.

وقدم الخبر بمحاربة الدزْبَرى لأصحاب حسان بن جراح على عسقلان، وأن عِدة جند الدَّزْبَرَى خمسة آلاف قد انهكتهم الحرب والغارات. وقبض على رجل قدَّمه حسان بن جراح إلى بنى قُرَّة بالبحرية يدعوهم إلى نصرته ويَعِدُهم مواعيد كثيرة، فأجابوه بالموافقة، وأُخذت منه الكتب وحبس.

وكانت ليلة الميلاد فى يوم الخميس عشريه: فاشتغل الناس عما كانوا يبتاعونه فيها من الفواكه والحلوى بما هم فيه من الأمراض، وتَواتَر الموتُ، بحيث لم تخل دارٌ أَحَد من عدة مرضى من الدم وأوجاع الحلق، وبلغت الرمَّانة ثلاثة دراهم، والبطيخة البرلسى ثلاثين درهما، والأوقية الشراب بدرهم، والقمح ثلاثة دنانير للتليس، والأردب الشعير بدينار، والرطل اللحم ثمانية دراهم. وعز وجود شىء من الحيوان مثل الدجاج والفراريج، وبلغت روايَة الماء ثلاثة دراهم، فتهالك الناس من كل جهة، وكسرت الأسواق، فكانت الثياب والأمتعة ينادى عليه فلا يوجَد من يدفع درهما فما فوقه.

وفيه قطع على حاج المغاربة الخارجين فى البَر عند تعذر أمر الحج، فتقدمت جماعة من المغاربة القادمين من بلاد المغرب بغير أمير، فلما جاوَزُوا بِرْكة الجُب قُطع عليهم الطَّريق وأُخذت أموالهم، فهلك منهم عدة وعاد من بقى.

ذو القعدة، أوله الأحد:

فيه اشتدت عقوبة جوارى محسن بن بدواس فى طلب المال.

وكانت ليلة الغطاس فى ليلة الأربعاء رابعه، فجرى مَنْ هو صحيح على العادة فى

Marfat.com

شراء الفواكه والحملان وغير ذلك.

ونزل الظاهر إلى قصر جده العزيز بالله بمصر لنظر الغطاس[1]، شكرا، مع حرمه، بعدما نزل القائد عدة الدولة رفق بأصناف الفُرُش لبسطه، ونقل جميع المجاورين له ممن يسكن على النيل بالقرب منه، وأزال المراكب المرساة هناك. وضرب بدر الدولة نافذ الخادم الأسود متولى الشرطتين، خيمة عند رأس الجسر، وجلس على مرتبة مثقلة ومرتبة ديباج، ووقف ابن كافى متولى الشرطة السفلى بين يديه.

ونودى فى الناس ألا يختلط المسلمون مع النّصَارى عند نزولهم فى البحر بالليل. وأمر الظاهرُ القائِد نافذًا أن يزيد فى وَقِيد النار والمشاعل فى الليل، ففعل، وكان وقيدًا طويلا. وحضر القسيسُون بالصُّلبان والنيران فقسَّسُوا طويلا وانصرفوا إلى حيث يغطسون، فمات فى هذه الليلة للظاهر طفلة سِنُها ثلاث سنين وشهور، وهى آخر ولد بقى له، فعاد من آخر الليل إلى قصره بالقاهرة، فشاهد فى طريقه عدة أموات على الطرقات، فأمر لهم بخمسمائة شُقّة[2] لأكفانهم، والنّفقة عليهم حتى يُدْفنوا.

وفى ثامنه: حُنِّك ثلاثة من الخدم[3] وألبسوا العمائم الشرب البيض، فتشبهوا بمن تقدم من مُقَدّمى قُواد الخدم كميمون وبدر ونصر العزيزى ونظرائهم. وهؤلاء المقودُون هم مِعْضاد ومناد ورفق، وأضيف إليهم فاتك ورجاء وسرور النصارى، ونامق، فجلسوا بحضرة الظاهر وهنأهم الناس بذلك.

وفيه اجتمع وفد الحجاز بباب القصر واستغاثوا، وقالوا: يا قوم قد جئناكم وفارقنا أهلينا وقد هلكنا من الجوع، فإن لم يكن لكم حاجة بإقامة الدعوة بمكّة والمدينة فاصرفُونا فإنا قد بُذل لنا الرغائب فى إقامة الدعوة لغير إمامِكُمْ فلم نأخذها، ونريد إنسانا يكلمنا، فلم يجابوا بشىء. وكانوا قد مضَوْا قبل ذلك إلى رجال الدولة، كمعضاد وغيره، فصار يدفعهم هذا إلى هذا. فلما انصرفوا عن باب القصر خائبين بعث إليهم جمال الدولة مظفر الصقلبى، صاحب المظلة، ألف دينار من ماله، فقالوا: لا نأخُذُ إلاّ ما يصلنا به أمير المؤمنين، وهذه الصِّلة قد قبلناها، والله مجازيك عليها، ونحن

---

(١) المراد هنا هو عيد من أعياد النصارى التى كان يشارك فيها الفاطميون النصارى الاحتفال بها وكان النصارى يغطسون فى النهر ويزعمون أن ذلك أمان من الداء والأمراض. انظر: الخطط ١/٤٩٤ - ٤٩٥.

(٢) شقّة بكسر الشين شق الثياب باستطالة وبالضم: الثوب المستطيل. انظر: القاموس المحيط.

(٣) الخدم لبسوا العمامة وأداروها حول أحناكهم وبهذا صاروا من الأستاذين المحنكين أى من كبار الخدم المختصين بالخليفة لقضاء حوائجه.

Marfat.com

نفرقها على ضعفائنا وعبيدنا، ففرقوها على خمسمائة نفس، لكل واحد ديناران.

واشتدَّ الغلاء والقحْطُ بمصر، فبيع الخبز السميد رطلين بدرهم، والحملة الدقيق بأربعة دنانير وثلثين، والتلّيس القمح بثلاثة دنانير، واللحم أربع أواق بدرهم. وعظُم الموت سيما فى الفقراء، وبلغ بالناس الجهد حتى إن جزَّارًا طرح عظما لكلب فطرد رجل الكلب وأَخذ العظم منه وابتلعه نيئا، وأَكل المساكين الصماليخ من القنبيط[1] واقتاتوا باليسير من كُسْب الوز وكُسْب السمسم، وغلت عامة الحبوب. وغلا الماء لتعذر علف الدواب وعدم من يستقى عليها، وبيعت راوِيةُ الجمل بثلاثة دراهم، وراويةُ البغل بدرهمين، واشتدت المسْغبَة.

وقدم الخبر بشدة الموت بدمشق، فمات من أهلها ألوف.

وفى نصفه: ركب الظاهر وشقَّ مدينة مصر، وخلفه المقوَّدُون والمصطنعة، وبين يديه الرقاصون، فاستغاث الناس بضجة واحدة: الجوع يا أمير المؤمنين، الجوع، لم يَصْنعْ بنا هكذا أبوك ولا جدك، فالله الله فى أمرنا، فارتجت البلد بالضجيج حتى نزل إلى قصر العزيز على البحر، فحضر أبو عبد الله محمد بن جيش بن الصمصامة الكتامى وقد اختل عقله وحاله، فوقف تحت القصر وشتمه أقبح شتم، وبالغ فيما شتم به، فضربه الرَّقاصون حتى سقط، وجرُّوه، برجله وسحَبُوه إلى السجن بالشرطة، فضربه متوليها ثلاثين درة واعتقله.

وتزايد أمر الغلاء، ونزل دواس المحتسب برجاله ومعه السعدية، وكتب مائة وخمسين مخزنا قمحا وختم عليها، فأصبح الناس يوم الاثنين سادس عشره على أقبح صورة، وكثر الصياح: الجوع الجوع، ولم يظهر خبز ولا دقيق. وبيع الدقيق رطلا ونصفا بدرهم، والخبز الأسود رطلين بدرهم وربع.

وفيه: خرج حاج المغاربة إلى مكة، فلم يصحبهم أحد من أهل مصر، وعندما عدوا بركة الجب خرج عليهم طائفة من القيصرية والعبيد، وكانت بينهم وقعة هزمهم فيها المغاربة وجرحوا كثيرا منهم.

وفيه: طُلب المحتسب إلى القصر، وهُدد، وقيل له: قد قتلت الناس جوعا وخربت البلاد على مولانا، وهذا خطُّك بضمانك عمارَةَ البلد بالأَخْبَاز والقمح إلى حين إدراك الغلّة، فوعد بتلافى الأمر، ونزل، وأطلق القمح من المخازن للطّحانين، وسُعِّر عليهم دينارين ونصفا للتليس، وأمرهم ببيع الحملة الدقيق بأربعة دنانير، والخبز رطلين ونصفا

---

(١) القنبيط المراد به الشماريخ وهو الدعامة البيضاء التى تتجمع زهرات القنبيط فى قمتها.

بدرهم، فسكن الحال قليلا.

وفيه: أُفْرج عن محمد بن جَيْش بن الصمْصَامة.

وفى عشريه: ركب الظاهر إلى الصيد بسرْدُوس، وعاد.

وفى ثالث عشريه: عاد من خرج من حاج المغاربة بعدمـا نُهبـوا وجُرحـوا وسُـلبوا، فلم يحج أحد فى هذه السنة من مصر.

وفيه قرئ سجل بحَطِيطَة جميع مكوس الغَلّـة المباعـة بسـاحل مصـر، وأن يبيـع النـاس بغير تسعير. وكـثرت الأخبـاز، وبيـع القمـح بدينـارين ونصـف وربـع للتليـس، والخـبز السميد رطلان بدرهم وربع، والخبز الحُوَّارى رطلان بدرهم. وضُرب عدةٌ من الخبَّـازين على خلطهم الطَّفْل المسحوق فى الأخباز.

وقدم الخبر أَنَّ حسّان بن جراح أنفذ ألفَى فارس فلم يُعلم جِهةُ قصدهـم، فـاضطرب الناس لذلك، ثم تبين أنها وردت إلى الفرما مع أبى الغُول، ففـر النـاس فـى المراكـب إلى تنيس، وأخذ النّاس بمصـر فـى إحـراز أموالهـم، وفقـد الخـبز القمـح والدقيـق. ونفـذت الكتب إلى الحوف بدخول الرجَال الجَوالة إلى الحضرة لتجدد عسكرًا لحفـظ البـلاد، ثـم أُبْطِل ذلك خوفًا من نَهْبهم المدينة وكثرة كلفتهم.

ذو الحجة وأوله الثلاثاء:

فى رابعه: ركب الظّاهر فى خاصته إلى عين شمس وعاد.

وفى خامسه: أطلق لوفد مكة ألفُ دينار يرتفقون بها وأَمَـرَتْ لهـم أم الظـاهر أيضـا بشىء من عندها. وكثرت نُقَل الناس خوفًا من النّهب فى يوم الأضحى. وعُمِل سـماط العيد السكر من عند نجيب الدولة على بن أحمد الجرجرائى، وعـددُ قطعـه وتماثيلـه مائـة وسبع وخمسون قطعة وسبعة قصور كبار، كلها من السكر، وحمل فى تاسعه إلى القصـر ومعه الفَرحيَة الطبَّالون، وأفراس الخيل، والسُّودان والصَّقَالبة على العادة.

وفى عشية النهار: تهارب الناس من دب عظيم سقط من الجبل إلى المقـابر، فـانجفل النّاس فى درب الصحراء ظنا أن العبيد كبستهم؛ فكان خوف شديد.

وفى يوم الخميس عاشره: كان عيـد النحـر، فركـب الظـاهر إلى المصلـى مـن بـاب الفتوح على عادته بعد أن رسم لسائر العرائـف أن تـلزم كـل عرافـة مكانهـا وحارتهـا، وتكـون صـلاة العسـكر بـأجْمَعِهم فـى حـاراتهم مـع أَزمَّتهـم، فـامتثلوا ذلـك. وصلّـى وخَطب بعد أن استدعى داعى الدعاة قاسم بن عبـد العزيـز بـن النعمـان وسَـلّمه الثبـت

Marfat.com

بأسماء مَنْ جَرَتْ عادته بطلوع المنبر، فاستدعى شمس الملك، وبهاء الدولة مظفر صاحب المظلة، وعلى بن مسعود، وحسن بن رجاء بن أبى الحسين، وعلى بن فضل، وإبراهيم الجليس، وعبد الله بن الحاجب، وتأخر القاضى وغيره لمرضهم فلم يشهدوا صلاة العيد. فلما انقضت الخطبة نزل الظاهر إلى الْمَنْحَر بالمصلّى، فنحر ناقة وعاد إلى قصره، ومشى إلى المنحر بصَحْن القصر تُجاه ديوان الخراج فنحر تسعًا من النُّوق ثم انصرف، فحضر أبو الحسن على بن محمد الطّريقى، كاتب قاضى القضاة، لتفرقة لحم الأضاحى على أرباب الرسم، فنهبته العسكر وجرى عليه كلٌّ قبيح. ومُدَّ السّماط بحضرة الظاهر. فلما جلس أهلُ الدولة عليه للأكل كبس العبيد القصر وهم يصيحون: الجوع، نحن أحق بسماط مولانا عليه السلام، ونهبوا جميع ما على السّماط وضرب بعضُهم بعضًا والصقالبة تضربهم فلا يبالون، فكان أمرا صعبًا وحَسْبُ الحاضرين أن نَجَوْا سالمين.

فلما كان الغد: ركب الظاهر إلى الرحبة فى القصر تجاه ديوان الخراج، فنحر ثلاث عشرة ناقة، وعاد، ففرقها الطريقى. وشُدَّ من الغد، ثالث عيد النحر، فى مكان النحر خمس عشرة ناقة لتُنحر، فلم يخرج الظاهر، فخُلّىَ عنها، ثم شُد خمسُ نُوق غيرها نحرها الطريقى وفرقها.

وقدم الخبر بنهب العبيد الجوالة بلدًا بالأشمونين، حصل لرجل واحد تسعمائة رأس من البقر وثلاثة آلاف رأس من الضأن.

وفى ثالث عشره: ورد الخبرُ بأن الدزْبَرى أسرى من عسقلان وكبس حلّةَ لحسّان ابن جراح، فقتل ثلاثين أسيرًا وعدةً من الناس يبلغون آلافا، ونهب نساء العرب، وطلب نجدة ولو بألف فرس، وأخبر أنه نزل فلسطين وصلى بها العيد وهو خائف من اجتماع العرب لِحرْبه، فأُخرج مضرب ظاهِرَ باب الفتوح لتُجرَّد العساكر، فدافع أهل الدولة عن إمضاء ذلك، فورد الخبر بأن الدزْبَرى بعدما صلّى العيد بمدينة الرملة انتقل إلى لُد بعد ما أوقع بحلّةٍ فيها ولدٌ لأبى الغُول فقتله، وضرب أعناق أربعين رجلا من الغمازين الذين كانوا يدلون حسان بن جراح على الناس، وأنه ينتظر النجدة بلُد، فلم يخرج إليه أحد.

وفى يوم عيد الغدير: وردَ الخَبَر بإقامة الدَّعوة الظاهرية بالبصرة والكوفة والموصل وعدة من بلاد المشرق، وذلك لغَلَبَةِ الأتراك على بغداد وإخراج الدَّيْلم عنها إلى البصرة، فدعا الدَّيْلم للظاهر بها وبالكرخ[1]، ودعا الأتراك ببغداد للقادر.

---

(١) الكرخ: المراد به كرخ بغداد وقد بدأ حيًّا فى وسط بغداد والمحال حولها ثم تطورت أحوالها-

Marfat.com

وفيه جرى الناس بمصر فى عيد الغدير على رسمهم، وتزيَّوْا بأفخر زيهم، وطلع المُنْشِدُون إلى الْقَصْر يدعُون ويُنْشدون.

وفيه نصبت خيمة خارج باب الفتوح ليخرج بجريدة الدزْبرى.

وفى حادى عشريه: نهبت الدَّواب بسفط[1] ونهيا[2] من ثلاثين رجلا من بنى قُرة، وقتلوا قاضى سفط، واستاقوا مائة وخمسين فرسا لأهل الدولة، وساقوا ثلاثمائة رَمَكَة لمعْضَاد وأربعة آلاف رأس من الضأن، فلم يخرج أحد لطلبهم، ولا أنكر شىء من ذلك.

وفى ثانى عشريه: خرج معضاد والشريفان وابن حماد الغرابيلى ونجيب الدولة الجرجرائى إلى الخيمة خارج باب الفتوح، وحضر الكُتامِيون، فَطُلِب منهم مائة فارس لِيُنْفق فيهم، فلم يحضروهم، ونزعت الخيمة فعادوا أقبح عود.

وفى خامس عشريه: سار وفد مكة وقد دُفع إليهم نصف واجبهم، ولم يرسل إلى أبى الفتوح بشىء، فمضوا غير راضين.

وفيه حمل مظفر صاحب المظلة إلى الحضرة عشرة آلاف دينار قرْضًا، واسْتُدْعِى من الشريف أبى طالب العجمى متولِّى الصناعة عشرة آلاف قرضا، فدافع ثم أجاب إلى حمل خمسة آلاف بعد أن يُضْمَن له أمرُ إعادتها إليه، فضمن له الشيخ نجيب الدولة أبو القاسم على بن أحمد الجَرْجَرائى ذلك، فحملها.

واشتد الغلاء، فبيع القمح بأربعة دنانير وثلث التليس والحملة الدقيق بستة دنانير، والخبز رطل وربع بدرهم، ونزل بالناس مسبغة شديدة.

وفى ثالث عشريه: تجمع العبيدُ ومعهم عدة من النَّهابة، فبلغوا نحو الألفين، يريدون نهب مدينة مصر، فركب إليهم بدر الدولة نافذ فى عسكر بالسِّلاح، وأُذِن للناس عامة بأن مَنْ تعرض لهم من العبيد فليقتلوه، فتحفظ الناس واستعدوا. ثم ركب معضاد ونسيم إلى حيث تجمع العبيد، وأحضروا أزمتهم وألزموهم بعَوْد العبيد إلى حارتهم،

=حتى أصبحت محلة وحدها وأهلها شيعة إمامية. انظر: معجم البلدان (الكرخ).
وفى الروض المعطار الكرخ: بتسكين الراء وبالخاء المعجمة من فوق، ببغداد، وهو اسم نبطين وهو مدينة صغيرة عامرة بشرقى دجلة، وهى فى الجانب الغربى من بغداد، ومعلوف الكرخى الزاهد من هذا الموضع. قالوا: الكرخ هو السوق العظمى مادة من قصر وضاح إلى سوق الثلاثاء طولاً مقدار فرسخين، ومن قطيعة الربيع إلى دجلة عرضها مقدار فرسخين. انظر: الروض المعطار ٤٩٠، ٤٩١، ومعجم ما استعجم ١١٢٤/٤، واليعقوبى ٢٤٦، ونزهة المشتاق ١٩٨.

(١) سفط اسم لعدة قرى منها سفط الخمار، برشيد، العرفاء، أبى التراب، واللبن والأخيرة بالجيزة.

(٢) نهيا غربى سفط وهى وسط الحوض لا يوصل إليها زمن الفيضان. انظر: النجوم الزاهرة ٨٩/٥.

فقالوا: ما أردنا النهب، ولا نريد إلا ما نأكله من الجوع، فإن الجوع قد اشتد بنا وأكلنا الكلاب فُوعدوا من الغد، فعاد الجميع إلى حارتهم. واجتمعوا من الغد وقصدُوا الساحل، ونهبوا دُورا وطرحوا فيها النّار، وأخذوا ما وجدوه فى السّاحل من القمح والشعير وغير ذلك مما فى الحوانيت، ودخلوا إلى منازل أهل السلاح فنهبوا ما وَجَدوا. فركب إليهم نافذ وقاتَلَهُم، فجرح له فرس وقتل فارس من غلمانه، فانصرف عنهم. وخرج إليهم عامة المصريّين بالسلاح فقاتَلُوهم، ورماهم النساءُ من أعلى الدُور بالحجارة والطُّوب والجِرار، حتى هزموهم، وأغلق الناس دورهم، وحفروا دونها خنادق. وركب معضاد وجميع الصقالبة والقُواد، فطردوا العبيد عن البلد إلى المقس، ولقوا فى طريقهم قومًا معهم كثير من أمتعة النّاس التى نهبت، فقبضوا عليهم، وضرب معضاد رقاب تسعة أنفس منهم ورمى جثثهم إلى الكلاب عند الحمراء والمشتهى. ثم لقى ستة نفر منهم فضرب رقابهم بالقاهرة.

وتعذّر وجود الخبز فلم يُقدر عليه، وبيع رطلا بدرهم وبات الناس ليلة الجمعة على حرس، وأصبحوا يترقبون المكروه، فطاف النّهّابة أسواق القاهرة والسويقة التى عند باب زويلة، فخرج إليهم حِظى الصقلبى ومعه سيف من الحضرة، فقبض على طائفة منهم، ضرَبَ رقابهم ورمى جثثهم إلى الكلاب على باب زويلة وعلى باب الفتوح وفى سوق السلاح وعند شرطة القاهرة، وعدتهم اثنا عشر رجلا.

ووجد كاميا يُقال له سليمان، قد أخذ حمارا محملا دقيقا، فضرب عُنُقه.

وأحضر عُرَفَاءَ العبيد إلى القصر وشدَّد عليهم فى إحضار الجناة من العَبيد، ووعدهم بالنّفقة فى العبيد.

وأصبح الناس يوم الأحد سابع عشريه: يستغيثون إلى متولى الشرطة السفلى من العَامَّة التى نهبتهم، فقبض على طائفة منهم بكوم دينار، وعُوقبوا حتى أقروا بما عندهم من النّهْب، فسيقُوا حتى أخرجوه من كوم دينار وأخذه أربابه.

وقدم الخبر من حلب بأن صالح بن مرداس حاصر حلب، ومازال بأهل البلد حتى فتحوا له أبوابها، فدخل أصحابهُ وشرعوا فى هدم أبراج السور، فظن الناس أنه يريد بذلك أن يسلم حلب إلى الروم، فاجتمعوا بِمَن فى القلعة، وقد تحصَّن بها موصوف الصقلبى، وحاربوا أصحاب صالح حتى أخرجوهم وقتلوا منهم مائتين وخمسين رجلا، وامتنعوا منهم بالمدينة. ومن خبر ذلك أن صالح بن مرداس نزل على مدينة حلب فى جمع كثير من بنى كلاب وغيرهم، فحصَرها أشد حصُر حتى أخذ المدينة صلحًا من أهلها، ودخلها فى رابع عشر ذى القعدة سنة خمس عشرة هذه، وتلقب بأسد الدولة.

Marfat.com

وامتنع موصوف الصقلبى بالقلعة، فاستخلف صالح على مدينة حلب كاتبه أبا منصور سليمان بن طوق، ومضى إلى بعلبك فأخذها عنوة، وقتل بها خلائق. واشتدت محاصرة سليمان بن طوق لقلعة حلب، وصعد قلعتها حتى قل الماءُ والزاد بها، فطلب موصوف منه أشياء اشترطها عليه وسلّمه القلعة، فأتى صالح حلب وصعد قلعتها، وقتل موصوفًا ورتّب أُموره، وصار بيده من بعلبك إلى عانة.

وقدم الخبر بأن حسان بن جراح جمع من العرب خلائق وقصد الرملة، فمضى الدزْبرَى إلى عسقلان وتحصن بها، فقبض حسان على جماعة من أهل الرملة ممَّن سعى به وبأصحابه إلى الدزبَرى، وضرب أعناقهم، وملك المدينة، فاجتمع الدزبرى مع مبارك الدولة فتح، متولى القدس، وفتاح بن بويه الكتامى، وصار إليهم نحو الخمسة الآف مقاتل، وأوقعوا بحلة كبيرة لإخوة حسان، وقتلوا ولدًا لعلى بن جراح، وهزموا من بها.

وقال ابن الرقيق: وكان بمصر من الغلاء والشِّدَّة وعدم الأقوات مالم يُر مثلُه من زمن بعيد. بلغ الخبز، إذا وجد رطلا بدرهم، واللحم أربع أوَاقٍ بدرهم، والرمانة الواحدة بدينار. وكان الناس فى كل ناحية يصيحون بالجوع حتى يموتوا، ويكون مع الرجل جملة من الدنانير فيطلب من يشبعه خبزا فلا يجده، وهذا مع الموت الذريع والوباء الفظيع.

ووَرَدَ كتاب بعض ثقات التجار يصف أنه أُحصى مَن مات مِن عُرف وكُفّن ودُفن من آخر شهر رمضان إلى بعض ذى القعدة فكانوا ثمانية ألف وسبعين ألف نفس، وأما الغريب ومن لا يُعرف ومن يلقى فى النيل ولا يجد مَنْ يقبره فأكثر من هذه العدة أضعافًا لا تُحصى.

وبلغ ماء النيل ستة عشر ذراعا وثمانى إصابع.

ومات فى هذه السنة ممَّن له ذكر

أبو جعفر بن الوزير أبى الفضل جعفر بن الفضلُ بن الفرات المعروف بابن حنزابة، يوم الخميس سادس المحرم، وكان يعمل بيده أعمالا متقنة.

وفى يوم الأربعاء عاشر صفر: توفى مفضَّل بن أبى أحمد المهلبى بعدما ساءت حاله وكان أديبا جمَّ الأدب غير منكور السيرة.

وفى سابع عشره: توفى أبو محمد بن يحيى الدقاق من شيوخ الحديث ومؤرخى أخبار مصر.

وفى يوم الأربعاء ثالث عشرى ربيع الأول: توفى ابن أبى الحسن بن زولاق، وكان أديبا، ذيل على تاريخ أبيه المعروف بأبى الحسن.

Marfat.com

وفى يوم الخميس ثانى عشرى ربيع الآخر: توفى أبو الحسن بن نحرير الشويزانى، وهو أكبر من بقى من عُرَفاء الإخشيدية، فبعث الظاهر لكفنه مائتى دينار وعدة ثياب وطيبا كثيرا.

وفى يوم الأحد عاشر جمادى الأولى: توفى النمل الشاعر، واسمه: [....][1] ومن شعره: [....][2].

وتوفى سند الدولة أبو محمد حسن بن محمد بن محمد بن نقيان الكتامى، ومتولى مدينة حلب، بها، فى يوم الخميس لثمان بقين من ربيع الآخر.

وفى يوم الاثنين سادس شعبان: توفى عصب الدولة الحسين بن مفلح بن أبى صالح القَلْعى، وقد ساءَت حاله وغلبه الدَّين.

وفى ليلة الأحد تاسع عشره: قُتل الشيخ العميد محسن بن بدواس مُتولى بيت المال وجابى الضرائب.

وفى يوم الاثنين ثانى عشر شهر رمضان: توفى نزار بن حسين بن يمن الكتامى، متولى الشرطة السفلى بمصر، بعدما ساءت حاله.

وفى رابع عشره: توفى الشريف العبَّاسى الرابض لدواب الحاكم بأمر الله، وكان شريرا، فلم يَشْهد أحدٌ جنازته بغضًا له.

وفى يوم الخميس سادس شوال: توفى أبو عيسى ملامان بن محنساس بن بيوط الكتامى، فصلّى عليه الظاهر.

وفى تاسعه: توفى مخلص الدولة منصور البكجورى، أحد وُجوه القُواد الحمدانية القادمين من الشام، وترك ستين ألف دينار ورثها ابنُه، فدفن فى مقابر القاهرة.

وفى ثالث عشريه: توفى الأمير أبو هاشم العباس بن شعيب بن داود بن عُبَيْد الله المهدى، ولى عهد المؤمنين كان، فدُفن فى تربة القصر، وترك ولدًا اسمه مسلم.

وفيه توفيت عائشة جاريةُ الأمير عبد الله بن المعز لدين الله، وكانت من وُجوه عجائز القصر، وخلفت أربعمائة ألف دينار.

وفى يوم السبت رابع عشر ذى القَعدة: توفى جعفر بن أبى فروخ الكتامى الذى كان يتولّى الشرطة بمصر.

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

Marfat.com

وفى سابع عشريه: توفى أبو الفتح منصور المعروف بالتينى الشاعر، ودفن بمقابر القاهرة. ومن شعره:

شديد من الدُّنْيا على الحر حاجة يُومُّ بها مَنْ لَيْس من نُظرائه

وقال من أبيات:

وما النـاسُ إلاّ كالنّبات: مصوح ليَذوى، ومُخضَر لِيَنْمى، ومعْشِب
يُسَرْبِلُه ماء الشَّباب نضارة ويفرغ عنه حُسْنه حين يَنْضب

ومنها:

تَفَرَّقُ أنواعُ المذَمَّات فى الورى ويجمعُها خُلْقُ الفتى حين يَكْذب
إذا كانَ للإنسان عقلٌ، فحيثما توجَّه لاَقَاهُ صديقٌ ومكسب
ينالُ الفتى بالخَفْض بُلْغَة عَيْشِه فيسَعى إلى شيءٍ سواها، وينصَب
يُخرِّب من أُخْرَاه ما لَيْس فانيًا ويعْمَر من دُنْياه ما يتخرب
على أَنَّ فى الأيام للْمرء واعظا بليغًا، وفى صَرْف الزَّمان مؤدِّب

وماتت السيدة العزيزة ستُّ الملك ابنة العزيز بالله أبى المنصور نزار بن المعز لدين الله أبى تميم معد، مستهل جمادى الآخرة، بعلة الذرب. وقد دبَّرَت أمور الدولة بعد فَقْد أخيها الحاكم بأمر الله خمس سَنين وثمانية أشهر، أعادت فيها للملك غضارته، واستردَّت بهجته، وملأت الخزائن بأصْناف الأمْوالْ، وقلّدت الأكْفَاء جلائل الأعمال، واصطنعت الرجال.

سنة ست عشرة وأربعمائة

فيها: أمر الظّاهر بنَفْى مَنْ وُجِد من الفقهاء المالكية وغيرهم. وأمر الدعاة أن يُحَفِّظوا الناس كتاب دعائم الإسلام وكتاب الوزير يعقوب[1] بن كلس فى الفقه على مذهب آل البيت، وفرض المظاهر لن يحفظ ذلك مالا. وجلس الدعاة بالجامع للمناظرة.

سنة سبع عشرة وأربعمائة

فيها: ثار بالناس فى مصر رُعَاف عظيم.

---

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(١) يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن كلس، أبو الفرج، وزير من الكتاب الحساب. ولد ببغداد وسافر به أبوه إلى الشام. ثم أنفذه إلى مصر، فاتصل بكافور الإخشيدى، فولاه ديوانه بالشام ومصر، ودمشق به فكان يشاوره فى أكثر أموره. انظر: وفيات الأعيان ٢/٣٣٣ والكامل لابن الأثير ٩/٢٧ ومرآة الجنان ٢/٢٥٠ والأعلام ٨/٢٠٢ - ٢٠٣.

Marfat.com

وزاد النيل فوق المعتاد حتى غرقت القرى.

وفيها: سقط الظّاهر عن فرس، وأُرْجف بموته، ثم عُوفِى، فتصدق بمائة ألف دينار، حمل منها إلى مكة والمدينة أربعون ألف دينار، وإلى بلاد الشام عشرون ألف دينار، وإلى بلاد المغرب عشرون ألف دينار، وفُرق بمصر عشرون ألف دينار.

سنة ثمان عشرة وأربعمائة

فيها: وقعت الهدنة بين متملّك الروم وبين الظّاهر عن ديار مصر والشام، وكتب بينهما كتاب، وتفردت الخطبة للظاهر ببلاد الرُّوم. وفتح الجامع الذى بقسطنطينية، وعُمل له الحصر والقناديل، وأُقيم به مؤذن، وعند ذلك أذِن الظاهر فى فتح كنيسة القيامة التى بالقدس، فحمل إليها ملوك النّصارى الأموال والآلات، وأعادوها، وارتد إلى دين النصرانية كثير مِمن أَسلم كَرْها فى أيام الحاكم بأمر الله.

وفيها: عزل الظاهر عميد الدولة وناصحها أبا محمد الحسن بن صالح الروذبارى، وولى عوضه الوزير الأجل الكامل أوحد أمير المؤمنين وخالصته أبو القاسم على بن أحمد الجرجرائى.

وفيها: اجتمع عسكُر مِصْر، ورافع بن أبى اللّيل مُقدَّم طائفة الكلبيين، وأَنوشْتكين الدِّزْبَرى لحرب حسان بن جراح، فالتقَوا لخمس بقين من ربيع الآخر على الأُقحُوانة، فقُتل صالح بن مِرْداس، وانهزم حسان، وقتل عدة ممن معه، واستَوْلى الدزْبَرى على البلاد. فقدم شبل الدولة نَصْر، ومعز الدولة ثَمَال بعد أبيهما صالح بن مِرْدَاس، وملكا أيضا الرحبة إلى بالس ومنبج[1].

وفيها كانت فتنة بمصر بين المغاربة والأتراك، قتل فيها جماعة، وكان الظّفر للأتراك، ثم استظْهَرت المغاربةُ العامة لهم، فقتلوا عدة كثيرة من الأتراك، وأخرجوا مَن بقى منهم

---

(١) مَنْبِجٌ: بالفتح ثم السكون، وباء موحدة مكسورة، وجيم: وهو بلد قديم وما أظنه إلا روميًا إلا أن اشتقاقه فى العربية يجوز أن يكون من أشياء، يقال: نَبَجَ الرجلُ ينبج إذا قعد فى النَبَجة وهى الأكمة، والموضع منبج، ويجوز أن يكون قياسًا صحيحًا.
وذكر بعضهم أن أول من بناها كسرى لما غلب على الشام وسماها من به أى أنا أحود فعرّبت فقيل له منبج، والرشيد أول من أفرد العواصم، وجعل مدينتها منبج وأسكنها عبد الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس، وقال ابن قتيبة فى أدب الكُتّاب: كساء منبَجانى ولا يقال أُنْبَجانى لأنه منسوب إلى منبج، وفتحت باؤه فى النسب لأنه خرج مخرج منظرانى ومخبرانى.
انظر: الروض المعطار ٥٤٧، ونزهة المشتاق ١٩٧، ومعجم البلدان (منبج)، وآثار البلاد ٢٧٤، والكرخى ٤٦، وابن حوقل ١٦٦.

Marfat.com

من مصر. وكان خبط عظيم، فأخرج الظاهر رأسه من المنظرة وأشار إلى النّاس، فقبّلوا الأرض، ثم بعث إليهم بالصلح، فمشى الدعاة بينهم حتى اصطلحوا.

وفيه: بعث المعز بن المنصور بن بُلُكّين بن زيرى هدية فيها عشرون جارية لم يُر كَحُسْنهن، وعلى نُهُودِهنّ حقاق الفضة، وثلاثة أفراس، فيها كميت بسرج ذهب زنته قنطار ذهب، وأشقر بسرج لؤلؤ، وأدهم بسرج فضة زنتها قنطار، وثلاثة آلاف منا زعفرانًا، وخمسون دَرَقة بأغشية ديباج، واثنا عشر صقلبيًا وعشرون خادما سُودًا، وألف وخمسمائة ثوب خز وأربعمائة غفارة، ورماح كثيرة جدا، وألف قنطار شمعًا، وثياب سُوسِية وصقلّيّة، وعمائم عدة ألوف، فجلس الظاهر فى الإيوان على السرير الذهب، وقرئ عليه كتابُه، وعرضت هديته فى يوم الأحد ثامن شوال. وبعث إليه بهديّة من دَقّ تَنّيس ودمياط وطرائف الهند واليمن، وزرافة وبُختًا خُراسَانية تحمل قبابًا فيها جوارى، وأشياء عظيمة.

وفيها: جهّز الظاهر أمير الجيوش أَنُوشْتكين الدزْبَرى لقتال صالح بن مرْدَاس، فالتقيا بالأُقْحُوانة من عمل طبرية على نهر الأردن[1]، واقتتلا أشدَ قتال، فقُتل صالح وولدُه الأصغر فى جمادى الأولى من سنة عشرين هذه، وحمل رأساهما إلى القاهرة. ونجا شبل الدولة أبو كامل نصْر بن صالح، وأخوه أبو علوان عز الدَّولة ثَمَال إلى حلب، فملكاها شركة بينهما. فكانت مدةُ ملك صالح لحلب أربع سنين وأشهرا.

سنة إحدى وعشرون وأربعمائة

بايع الناسُ بولاية العهد للمُسْتنصر بن الظاهر، وعمره ثمانية أشهر، فخُلع على كافة أهل الدولة وعُمِل من الطعام ما كفى أهْلَ القاهرة والطارئين من البلاد، ونُثِر مالٌ عظيم، فلم يَبْقَ أحدٌ حتى وصل إليه من خير هذه البيعة. واجتمعت العامة تحت المنظرة من القصر، واستغاثوا أن يَشْرُفوا برؤية أمير المؤمنين، فأشرف عليهم الظّاهر من المنظرة، فقبّلوا الأرض وانصرفوا.

وكان مرتضى الدولة أبو النصر منصور بن لؤلؤ قد طمع فى حلب بعد تملّك صالح ابن مرْدَاس لها، فكاتب متملّك الروم يُرغّبه فى حلب ويَعِدُه، إلى أن خرج من القسطنطينية فى هذه السنة ومعه ثلاثمائة ألف، حتى لم يبق بينه وبين حلب سوى يوم واحد اعتزل عنه ابن لؤلؤ ومعه رجل جليل من الروم يقال له ابن الدوقس فى عشرة

---

(١) نهر الأردن: بضم أوله، نهر بالشام وهو نهر طبرية عليه مدن، وكل من على جنبيه أردنى، وكان ملك داود عليه السلام فى الأردن وفلسطين. انظر: الروض المعطار ٢١، معجم ما استعجم ١/١٣٧.

Marfat.com

آلاف، فخاف متملّك الروم ورحل، ثم قبض على ابن لؤلؤ وابن الدوقس فى جماعة ووَلّى منهزما لا يلوى على شيء. وتبعه من عرب كلاب ونمير نحو الأَلْفَى فارس فى طائفة الأرمن، ونهبوا الرُّوم، فأخذوا من خاص الملك أربعمائة بغلة تحمل المال والثياب، سوى ما ظفروا به لعامتهم، بحيث أُبِيع البَغْلُ فى حلب بدينارين، ولولا أن العرب تشاغلت بالغنيمة لما أَفْلَت أحد من الروم. ووُجد من الروم آلافٌ كثيرة موتى عطشًا. وكانت هذه الهزيمة يوم السبت خامس شعبان.

سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة

فيها: نقص النيل نقصانا فاحشا، فتحرك السعر، وحملت غلال كثيرة من الشام إلى مصر، ثم زاد النيل بعد أوان الزيادة بأربعة أشهر، فكثر العَجَب من ذلك.

وكان الدزْبَرى لما استرجع البلاد الشامية من أيدى المتغلبين عليها، إلاّ حَلَب فإنها بقيت بيد بنى صالح بن مرْدَاس، وانهزم حسان بن جرّاح وإخوته من الدزْبَرى، ولم يجدوا ملجأ، فحملهم ذلك على أن دخل حسان فى طاعة ملك الروم، وحمل على رأسه صليبًا وصار فى جُملته. ثم سار فى هذه السنة بعسكر الروم وعلى رأسه الصليب، ووصل إلى أَفَامِيَة، وهى من عمل الدزْبَرى، فهزمها وسبى كثيرا منها. فنادى الدزْبَرى بالغزاة، وخرج، فخافه نصر بن صالح وقرَّر لملك الروم على نفسه خمسمائة ألف درهم، صرف ستين درهما بدينار، على أن يحميه، وذلك فى جمادى الأولى، فاتفق مرض الدّزْبَرى بدمشق، وأُرْجف به، ثم عوفى.

سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة

فيها: أمر الظاهر بقتل دُعَاته، فاضطربت الرعية وكثيرٌ من الجند لذلك، وأخذ الدَعاة فى إفساد أمره والتحدث بخلعه، فأنفق أموالا جمة حتى استقر أمره.

سنة أربع وعشرين وأربعمائة

ركب ولى العهد، ابن الظّاهر، من القاهرة إلى مصر وقد زُينت، فكان إذا أقبل على الناس قبلوا له الأرض. ونُثِر يومئذ على العامَة خمسةُ آلاف دينار، ونُثر على الخاصة عشرون ألف دينار، فكان يومًا عظيما.

وفى يوم الأحد ثامن عشر ذى القعدة: قدمت هدية المعز بن باديس، وهى جليلة القدر.

سنة خمس وعشرين وأربعمائة

فيها: قدم الخبر باستيلاء الأتراك على الأمْر ببغداد، وقلّت بها الأموال والرجال،

فبث الظاهر دُعاته فنشروا دعوته ببغداد فى الناس.

وفيها: ظهرت الطائفة الدرزْية بجبل السُّمَّاق من الشام يدعون إلى الحاكم بأمر الله.

وفيها: ظهرت الزلازل ببلاد الشام، فخربت ريحا، ونصفُ الرملة وأكثرُ عكّا فى قرى كثيرة، وبَعُد الماءُ من سواحل البحر المالح ساعتين، ثم عاد كما كان.

سنة ست وعشرين وأربعمائة

وفيها: كثر الفأرُ بأراضى مِصر وأكل زروعًا كثيرة.

وفيها: كثر الوباءُ بمصر.

وفيها: قَتَل الدزْبَرى شبلَ الدولة ثمال بن صالح بن مرْدَاس، فى شعبان، وملك حلب، وبعث إلى الظاهر بهدايا جليلة.

سنة سبع وعشرين وأربعمائة

فيها: انْعَقدت الهدنة بين الظاهر وبين ميخائيل ملك الروم عشر سنين متوالية.

وفيها: توفى الظاهر عن استسقاء طال به من نيف وعشرين سنة، فى يوم الأحد النصف من شعبان، فكانت مدتُه خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة عشر يوما. وكانت أيامه كلها سكونا ولينا، وهو مشغول بملاذّه ونُزَهه وسماع المغنى، وأمورُ الدولة بيد عمته السيدة العزيز ست الملك، وهى التى عَدَلت بالخلافة إليه عن ولّى العهد أبى هاشم العبَّاس بن دواد بن عُبَيْدِ الله المهدى، وجىء بأبى هاشم فبايع والسَّيفُ على رأسه، ثم جلس فكان آخر العهد به. وكان يشارُ بالخلافة إلى عبد الرحيم بن إلياس بن أحمد بن المهدى، فأُدخل عليه الشهود وهو يتَشَحَّط[1] فى دمه، فأشْهَد أنه فعل ذلك بنفسه، ثم قضى نحبه. وأقامت سيدة الملك سيف الدين الحسين بن دواس والوزير عمار بن محمد فى تدبير الدولة عن رأيها، حتى قتلت ابن دواس، فانفرد عمّار بالأمور إلى أن رَتّبتْ له فى دهليز القصر مَنْ قتله، فتحدث حسن بن موسى الكاتب، والأمر لِسِتَ الملك، ولسانُها ويدُها أبو القاسم على بن أحمد الجَرْجَرَائىّ. فلما ماتت السيدة ست الملك استقل الجرجرائى بالتدبير.

* * *

(١) يتشحط: شحطه تشحيطا: خرجه بالدم فتشحط أى تضرج واضطرب فيه. انظر: القاموس المحيط.

Marfat.com

المسْتَنصِر بالله أَبُو تميم مَعَدّ بن الظاهِر لإِعَزازِ دين الله أَبِى الْحَسَنَ على ابن الحاكم بامرِ الله أبى عَلِى مَنصُور[1]

أُمه السيدة رصد. وُلد يوم الثلاثاء السادس عشر من جمادى الأُولى سنة عشرين وأربعمائة بالقاهرة، والطالع عند ولادته من برج السرطان ثمانى دَرَج، والشمس فيه على خمس عشرة درجة، والمشترى فيه على ستٍّ درج، وعطارد فيه على اثنتى عشرة درجة، والقمر فى الدلو على ثلاث عشرة درجة، وزُحل فى برج الثور على تسعٍ وعشرين درجة، والمريخ فيه أيضًا على إحدى عشرة درجة، والزهرة فى برج الجوزاء على ثلاث عشرة درجة، والجوزهر فى برج السُّنبلة على خمس وعشرين درجة. وبويع بالخلافة يوم الأحد للنصف من شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة، والطالع عند ولادته من برج السنبلة إحدى وعشرون درجة، وزحل فى برج السنبلة على اثنتين وعشرين درجة، والمشترى فى برج الدلو على ثمانى درج، والمريخ فيه أيضا على اثنتى عشرة درجة، والشمس فى برج الجوزاء على ثمانٍ وعشرين درجة، والزهرة فى برج السرطان على ثلاث درج، وعطارد فى برج الجوزاء على ست عشرة درجة، والقمر فى برج الجدى على ثمانى عشرة درجة والجوزهر فى برج الثور على إحدى وعشرين درجة. وأقام فى الخلافة ستين سنة وأربعة أشهر وثلاثة أيام.

وقام بأمره الوزير أبو القاسم الجرْجَرَائى، وأخذ له البيعة على الناس، وأطْلق للجند أرزاقهم وشيئا آخر على سبيل الصِّلة، وسكنت الأُمور واستقامت الأحوال، وكتب له المستنصر سجلا بإقراره على الوزارة.

وفيها سُيِّر من القاهرة مبلغُ ألفى دينار على يد بدوى لعمارة قنطرة الجاروفة التى منها شَرْب الكوفة، وقد خربت وفَسَدت الجهات التى تحتها بفسادها. وكانت تلك الجهات جارية فى إقطاع العُرْبان بالعراق، فأُريد بذلك استمالةُ منْ هناك إلى الطاعة، فقام بنو خفاجة مع البدوى فى الإنفاق على عمارة القنطرة، فبلغ ذلك الخليفة القادر بالله أبا العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر، فلم يجد مالا يبعثه عوضًا عن المال المذكور، ولم يمكنه الردّ، فدعته الضرورة إلى التَّغَاضى، فشرع البدوى فى العمل، ثم

---

(١) انظر ترجمته فى: وفيات الأعيان ١٠٣/٢. وابن إياس ٥٩/١ والنجوم الزاهرة ٢٣٠/٥ وابن خلدون ٦٢/٤ وابن الأثير ١٥٤/٩ وكشف الظنون ١٧٨٥ والفهرس التمهيدى ٢٩٦ والأعلام ٢٢٦/٧.

Marfat.com

مُنع بعدماً تم منه جانب كبير.

سنة ثمان وعشرين وأربعمائة

فيها فَسَد ما بيْن نصر بن صَالح بن مـرْدَاس وبين المستنصر، فكاتب ملك الروم، وبعث إليه بما عليه من القطيعة مع هدية، فأشار عليه بالدخول فى طاعة المستنصر، فقبل منه. وبعث بهدية جليلة إلى القاهرة مع وفد كبير، فحصل الرضا عنه، وأضيف إليه أعمال حمص، ولُقّب بمختص الأمراء خاصَّة الإمام، شمس الدَولة ومجدها، ذى العَزْمتين، فشق ذلك على الدّزْبَرى متولى دمشق، وأخذ فى مُنَاكدة أصحاب نصر بن صالح.

سنة تسع وعشرين وأربعمائة

فيها بعث الدزبرى عساكره إلى حماة، فأخذها. وخرج شبلُ الدولة نصر بن صالح لَدفْعه، فالتقيا بلَطْمين[1] من عمل كَفَرْ طَاب[2]، فانكسر وقُتل فى يوم الاثنين نصف شعبان، وحُمِل رأسه إلى دمشق. فبادر أخوه معزُّ الدولة ثمال بن صالح إلى حلب وملكها من الغد، وأخذ قَلْعتها، واستخلف فيها ابن عمه مُقَلد بن كامل بن مِرْداس، وفى المدينة خليفة بن جابر الكعبى. وشرق بأهله ليستنجد بأخواله بنى خفاجة، فنزلت عساكر الدزْبَرى على حلب وأُخِذت المدينة، ثم قدم إليها الدزْبَرى وتسلّم القلعة فى يوم الثلاثاء ثامن رمضان، وأخرج منها إلى دِرْبَاسْ، واستولى على بَالِس ومنبج، وولى قلعة لغلاميه فاتك وسُبُكْتِكين. وعاد إلى دمشق يوم الخميس تاسع عشر ذى الحجة. وعمل فى طريقه على أخذ جَبَلَة فلم يُطق.

وفيها ثار على بن محمد بن على الصُّلَيْحى[3] فى اليمن فى ستين رجلا على رأس جبل، وأقام دعوة المستنصر، ومازال أمره يزيد حتى استولى على ممالك اليمن.

---

(١) لَطْمِينُ: بالفتح ثم السكون، وكسر الميم، وياء، وآخره نون: كورة بحمص وبها حصن. انظر: معجم البلدان ٧/٣٣٠.

(٢) كفر طاب: انظر: الروض المعطار ٥٠٠، ومعجم البلدان (كفر طاب) وآثار البلاد ٢٤٨، وتقويم البلدان ٢٦٢، وصبح الأعشى ٤/١٢٥.

(٣) على بن محمد بن على الصليحى، أبو الحسن: رأس الدولة الصليحية وأحد من ملكوا اليمن عنوة بالحزم والقوة. ولد فى مدينة (قتر) من أعمال حراز. وكان أبوه القاضى محمد حاكما فى جبل مسار من أعمال حراز، باليمن، شافعى المذهب، ونشأ على فى بيت علم وسيادة، فقيها، تواقا للرياسة. انظر: وفيات الأعيان ١/٣٦٨ وشذرات الذهب ٣/٣٤٦ والأعلام ٤/٣٢٨.

Marfat.com

وفيها: هادن المستنصر ملك الروم على أن يطلق خمسة آلاف أسير ليُمَكّنَ من عمارة قُمامة التى فر بها الحاكم، فأطلق الأسرى، وعمر قُمامة، وأطلق عليها مالا جَلّ وصفه.

سنة ثلاثين وأربعمائة

[.....][1].

سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة

فيها أقيمت دعوة المستنصر بحران.

سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة

فيها نقض ملك الروم الهدنة وأغار على بلاد حلب وعلى بلاد أَفَامْية، وكسر عسكر الدزْبَرى المقيم هناك، فخرج إليه عسكر حلب فكسرهم على أَرْمَناز. وكان ثَمال بن صالح وعمه المقَلّد بالرَّقّة مالِكَين لها، فبعثا إلى متمَلّك الروم بمال وثياب، فطلب منهما ابتياع الرقة كما ابْتِيعَت الرُّهَا، فضاق الدزْبَرى ذرعًا بذلك وكتب إليهما يرغبهما ويرهّبهما، فأجاباه بالاعتذار.

وكان قد مضى قوم من بنى جعفر بن كلاب إلى مضيق أفامية وعاثوا فى أعمال الروم، فمكّن لهم الروم ثم أوقعوا بهم، فبعث الدزبَرى عسكرا، فلَقِىَ الرُّوم فيها بين حماة وأفامية، فظهر المسلمون عليهم وقتلوا منهم عدة كبيرة، فأجمع الدزبَرى على النهوض إليهم، فهادَنُوه ومازالوا به حتى سكنت الحرب بينهم وبينه. ثم إن الجند طمعوا فى الدزْبَرى وهموا به فساروا له إلى حمَاة، فقضى عليه أهلها، فكاتب مقلّد بن منقذ، فحضر إليه من كَفَرْ طاب فى ألفى راجل واجتمع به، ومضى إلى حلب فأقام بها مريضا إلى أن مات يوم الأحد نصف جمادى الآخرة.

سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة

وبعدما أقام بحلب اثنين وأربعين يوما قدم إليها ثَمَال بن صالح وعمه المقلّد، وحصرا القلعة سبعة أشهر، وتسلماها فى صفر سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، وقتلا من بها. فلما بلغ ذلك المستنصر بعث إلى ثَمَال[2] الخِلَعَ والتحف وسجلا بتوليته، وكان بقلعة حلب

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) ثمال بن صالح بن مرداس الكلابى، أبو علوان: من ملوك الدولة المرداسية بحلب. كان كريما حليما شجاعًا. ولى الملك سنة ٤٣٤ هـ وكانت الدولة بمصر للفاطميين، فسيروا إليه ثلاث=

Marfat.com

مائتا ألف دينار فأخذها ثمال.

وفيها توفى شهم الدولة ميمون، صاحب السَّيَّارة فى أسفل الأرض، فى شهر ربيع الآخر، وحُمِل إلى مصر، فوصُلوا به يوم الثلاثاءِ تاسعه، ودفن بتربته بالقرافة. وكان من أهل الخير، وحج بالناس من مصر فى سنة ست وعشرين وأربعمائة [.....].(١)

سنة أربع وثلاثين وأربعمائة

فيها خرج بالقاهرة فى شهر رجب شخصٌ اسمه سليمان كان يشبه الحاكم بأمر الله، وأدَّعى أنه الحاكم، وبَثّ دعاتِه سرًّا فى البلاد، وقصد القصر وقت خلُوِّه من العساكر، وقال للخُدَّام: قولوا هذا الحاكم، فارتاعَ مَنْ كان فى باب القصر وثارت ضجة، فقبض عليه، وصلب، وأخذت أصحابُه فقُتلوا، ومن جملتهم محمد بن عانى الكتامى أحد دعاته [.....](٢).

سنة خمس وثلاثين وأربعمائة

فيها قطع المعز بن باديس الخطبة للمستنصر، ودعا ببلاد إفريقية للخليفة القائم بأمر الله العباسى، فبعث إليه الخلع من بغداد على طريق القسطنطينية [.....](٣).

سنة ست وثلاثين وأربعمائة

فيها تُوفّى الوزير الأجل أبو القاسم على بن أحمدُ الجرْجَرَائى، يوم الأربعاء سادَس شهر رمضان. والحاصل يومئذ فى بيت المال البرَّانى، تحت يد أمين الدولة مسرة الرُّومى برَسْم النفقات، ألف ألف دينار وسبعمائة ألف دينار وستمائة دينار وواحد وعشرون دينارًا ونصف وثمن دينار. ووُجِد له سبعمائة صينية من ذهب وفضة، ومائة ألف مثقال من العَنْبر وغير ذلك. وكَان عالما فَطنًا نحريرا، وقّع مرة بين يدى الظّاهر لإعْزاز دين الله على مائِة كتاب، فلم تتشابَه فيها لفظَةٌ بلفظة. وكانت مدة ولايته للِظّاهر والمستنصر سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وثمانية عشر يوما.

ووَزَر بعده أبو على الحسن بن على الأنبارى، فانفَسد أمْره بسبب أبى سعيد سهل ابن هارون التُّسْتَرى وأخيه أبى ثمر إبراهيم، اليهوديين. وكان من أمرهما أنَّ أبا سعيد

= جيوش قاتلها ثمال وردها، ثم كاتب المستنصر بالله (الفاطمى) وبعث إليه بهدايا ثمينة، ونزل له عن حلب. انظر: ابن الأثير ٧٩/٩ وابن خلدون ٢٧٣/٤ والأعلام ١٠٠/٢.

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٣) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

هذا كان قد استخدمه الظّاهر لبُيُوعه، فباع عليه فى جملة ما باع جارية سوداء تَحظَّاهَا الظاهر، فولَدَت له المستنصر، فراعَتْ ذلك لأبى سعيد وقدمته عند ولدها المستنصر لما صارت الخلافة إليه ورتبته فيما يخصها، فعَظُم شأنُه إلى أن صار ناظر فى جميع أمور الدولة. فلما وَزَر الأَنْبارى قَصده أبو ثمر إبراهيم، فجَبهه غلامٌ له، فأحفظه، وأعلم أخاه أبا سعيد، فتَنَى رأى المستنصر عن ابن الأنبارى لهذا السبب، وأشار عليه أن يستَوزر أبا نصر صَدَقة بن يُوسُف الفلاَحى، وكان يهوديا قد أسلم، فاستوزره بعد الجَرْجَرَائى فى يوم الثلاثاء حادى عشر شهر رمضان، ولقب بالوزير الأَجَل، تاج الرئاسة، فخر المُلْك، مصطفى أمير المؤمنين. وكان يهوديًّا موصوفًا بالبراعة فى ضروب الكتابة. وَلِىَ أولا نظر الشام، ثم خاف أميرَ الجيوش أَنوشْتكين الدزْبَرى ففر منه، وقد اجتهد فى طلبه فلم يظفر به، وقدم إلى القاهرة، فرعى له الجرْجَرَائىّ حُرْمَة انفصاله عن الدزْبَرى، ورَقّاه، وأشار فى مرضه بأن يُستَوزَر من بعده. فلما تقررت له الوزارة أملى سجل تقليده ليلة اليوم الذى خُلِع عليه فيه وتولى أبو سعيد التُسْترى الإشراف عليه. وقُبض على ابن الأنبارى، وصُودِر، حتى هلك تحت العقوبة، ودفن بخزانة البنود وكان مسجونًا بها. وصار الفَلاَحى لا يعملُ إلا بما يحدّه له أبو سعيد ويمثله.

وكان المستنصر قد بثّ دُعاته سرًّا إلى الآفاق يدعون إليه، ويستميلون من تَصِلُ القدرة إلى استمالته، فلما كان فى هذه السنة دفع جماعة منهم إلى ما وراء النّهر، ودعَوا هناك بعد أن دَعَوا بخراسان، فاستجاب لهم طوائف من الناس. وحصلوا عند بَغْرَاخَان، أخى رَسْلاَن خان صاحب ما وراء النهر، فلما علم بهم تلطّف فى الكشف عنهم بأن استَمالهم وقربَهم، وأطمعهم أنه يريد الدخول فيما هم فيه، فأنس به طائفة منهم، وأرادوا أن يأخذوا عليه العهُودَ والمواثيق، فخدعهم بإطلاق المال، واستخْبَرَ به ما عندهم أنّه أنفق عليهم فى مدة سنتين ثلاثمائة ألف درهم، حتى اطّلَع على عددهم، وعرف مواضعهم، وهم يطالبونهُ باليمين والعهد إلى أن أجابهم على شَرْط أن يكتبوا أيمانهم، ويُطْلِعوه على باطنهم فكتبوا ذلك ودفعوه إليه ليتفكّر به، وقد كتب كتابًا على قدر كتابهم وشكله، يقسم فيه بالأيمان المغَلّظة أنه متى انكشف لهُ من أمرهم ما يدلُّ على الإلحاد والخروج عن تشريع الإسلام ذبَحَهُمْ بيده تقرُّبا إلى الله تعالى. ثم استدعاهم وأعلمهم استجابته إلى ما دعَوه إليه، ورد إليهم الكتاب حتى شاهدوه وعرفوه، واستعادَه ليحلف به، فلما حصل فى يده أخرج الكتاب الذى كتبه وحَلَف أنه يَفِى بجميع ما تضمنّه ولا يعدل عنه، فوثقوا بذلك، وخفى عليهم فرق ما بين الكتابين.

ثم جمعهم وقال لهم: ما أتمكن من إظهار نفسى والمبَادَرَة بنُصْرتكم إلاّ فى عددٍ قوى، فإنَّ بلاد التُرك تشتمل على ثلاثمائة ألف سيف مشهور تخالف هذا المذهب، فإن

Marfat.com

كنتم فى عَدَدٍ قوِيتُ به، فذكروا له دعاتِهم ببلاد المشرق وسَموهم له، وأفضوا إليه بجميع سرِّهم، ودفعوا إليه كُتُبهم إلى جميع أصحابهم بما استقر العزْمُ عليه. ثم جمعهم وأحضر فقهاء بلده لمناظرتهم، وفيهم عبد الملك بن محمد البلخى الفقيه بن محمد شيخ البلد، ونَصْر بن عطاء، وجعلهما من وراءِ سِتْر، فذكر الدُّعاة أسرار مذهبهم على غرة منهم وغفلة بما دُبر عليهم، وبَغْرَاخَان يستخبرُهُمْ حتى صرحوا بعقائدهم، فأخرج حينئذ عبدَ الملك ونصرًا، وقبض على الدُّعاة وقيدهم، ونادى فى الناس ليجتمعوا، وقد نصب جذعا، وصلب عليه الدعاة واحدا بعد واحد، ورماهم بالنُّشَّاب فقتل منهم ستة عشر رجلا وذبح منهم واحدا بين يديه، ذبحه بعض عبيده فأعتقه، وتصدق بمائة ألف درهم. وتتبع كلَّ من فى أعماله من الدُّعاة، فقبض على مائة وثلاثة وثلاثين رجلا، وأَوْثَقهم بالحديد، وألقاهم فى جُبٍّ مظلم، وكتب إلى جميع بلاد ما وراءَ النهر بقتل من عندهم من هذه الطائفة. وكتب إلى بغداد بما فعله، فقدم رسوله فى هذه السنة، فأُجيب بالشكر والثناء.

وفيها سير المستنصر إلى قَرْواش[1] بن المقلد أعلامًا وخِلَعًا، فلبسها، فأنفذ إليه الخليفة القائم من بغداد يعاتبه على ذلك، فاعتذر، ولبس السَّواد، ورجع عن دعوة المستنصر[.....][2].

سنة سبع وثلاثين وأربعمائة

اشْتُهِر انتقاضُ الهدنة التى قررها الظاهر لإعزاز دين الله بينه وبين متملك الروم، وسعى الرُّسُل فى تقريرها بين المستنصر وبينه، وكان انتقاضُها على الحقيقة من مدَّة أربع سنين مضَينْ.

فلما كان فى ثامن ذى الحجَّة: وردت هديَّة متمَّلك الروم من القسطنطينية إلى القاهرة، وقيمتها ثلاثون قنطارًا من الذهب، والقنطار عندهم سبعة آلاف دينار ومائتا دينار. وكان من جُملتها بغلٌ وحصان من أحسن الدواب وأعلاها قيمة، كل منهما عليه ثوبُ ديباج رومى منقوش ثقيل، وخمسون بغلا عليها مائة صُنْدوق مصفحة بالفضة، فيها آنية الذهب والفضة، منها مائة قطعة بمينا، وفيها من الديباج والسندس والإبريسم والعمائم المعلمة ما لا يُقْدر على مثله، فعُوض عن هديته بمثلها من حقّ مصر

---

(١) قرواش بن المقلد بن المسيب العقيلى، من هوازن، أبو المنيع معتمد الدولة: صاحب الموصل والكوفة والمدائن وسقى الفرات: وليها بعد مقتل أبيه سنة ٣٩١هـ. انظر: فوات الوفيات ١٣١/٢ وابن الأثير ٥٧/٩ - ٢٠٣ والأعلام ١٩٤/٥.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

Marfat.com

المستنصر بالله أبو تميم معد بن الظاهر ٥١

ومن الجوهر والمسك والعود والطِّراز، عمل تنيس ودمياط، ما هو أكثر قيمة مما بعثه[.....][1].

سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة

في سادس عشر المحرم: قتل أبو على الحسن بن على الأنبارى فى خزانة البنود بالقاهرة[.....][2].

سنة تسع وثلاثين وأربعمائة

فيها عَمِل الوزير أبو منصُور الفلاَحى على أبى سعيد سَهْل بن هرون التُّسْتَرى اليهودى وقتله عند خان العبيد. وذلك أن أُمَّ المستنصر كانت جارية أبى سعيد هذا، فأَخذها منه الظاهر وتَسرَّاها، فولدت له ابنه المستنصر، فرقّت أبا سعيد درجةً عليه بعد وفاة الظاهر. وكان يخاف الوزير الجرْجَرَائى، فلم يُظِهر ما فى نفسه. فلما مات الجرجرائى وتولى الفلاَحى انبسطت كلمةُ أبى سعيد فى الدولة، بحيث لم يبق للفلاحى معه فى الوزارة أمر ولا نهى، سوى الاسم فقط وبعض التنفيذ لا غير، وأبو سعيد يتولى ديوان أم الخليفة المستنصر، فغضَّ الفلاحى بأبى سعيد وشَغَب عليه الجُنْدَ حتى قتلوه. وذلك أن بنى قرة، عرب البحيرة، أفسدوا فى الأعمال، فخرج إليهم الخادم عزيز الدولة ريحان، وأوقع بهم وقتل منهم، وعاد وقد عَظُم فى نفسه لمعالجة النصر على بنى قُرّة والظفر بهم، فثقُل على أبى سعيد أَمْرهُ واستمال المغاربة وزاد فى واجباتهم، ونقص من أرزاق الأتراك ومن يَنْضاف إليهم، فجرى بين الطائفتين حرب بباب زَويلَة. واتفق مرض ريحان وموته، فاتهم أبو سعيد أنه سَمَّه، وتجمَّع الطوائف المنحرفة عنه على قتله، فركب مِنْ داره على العادة يريد القصر، فى يوم الأحد لثلاث خلَوْن من جمادى الأُولى، فى موكب عظيم، فلما قرُب من القصر اعترضه ثلاثة من الأتراك وضربوه حتى مات، فأمر المستنصر بإحضار مَنْ قتله، فاجتمع الطوائف وقالوا: نحن قتلناه. فلم يجد المستنصر بُدًّا من الإغضاء. وقطّع الأتراكُ أبا سعيد قِطَعًا، وتناولت الأيدى أَعضَاءَه فَتمزَّقت، واشترى أَهلُه مَا قَدَروا على تحصيله من جثّته بمال. وجمع الأتراك ما قدروا عليه من أَعضائه ورِمَّته، وحرقوا ذلك بالنار، وألقوا عليه من التراب ما صار به تلا مرتفعا. وضمَّ أَهلُه ما وصل إليهم منه فى تابوت وأسدلوا عليه سترًا، وتركوه فى بيت مؤزَّر بالستور وأوقدوا الشموع، وأقاموا عزاءه، فتعلقت مِنْ بعض الشموع شرارة فى الستور التى هناك ومضت فيها، فاحترق التابوت بما فيه.

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

وكان مقدارِ ما حصل فى بيت المال البرّانى على يَدَىْ أبى نَصْر صدقة الوزير وأبى سعيد إبراهيم التُسترى من يوم مات الوزير على بن أحمد الجرجرائى وإلى أن قُتِل أبو سعيد سبعمائة ألف دينار. والذى مات عنه الجرجرائى، وهو حاصل بيت المال المذكور برسم النفقات، ألف وسبعمائة ألف وستمائة وواحد وعشرون دينارًا ونصفٌ ونصف ثمن دينار، فصار حاصلُ بيت المال بِرَسْمِ النّفقات إلى أن قتل أبو سعيد ألفى ألف دينار وأربعمائة ألف دينار وستمائة دينار وواحد وعشرون دينارًا ونصف ونصف ثمن دينار.

وردَّ المستنصر لأبى نصر، أخى أبى سعيد، خزانة الخاصّ، ولولدى أبى سعيد النظر فى بعض الدَّواوين. وحقدت أم المستنصر على الوزير أبى منصور صدقة بن يوسف الفلاحى بسبب قتل أبى سعيد، ومازالت به حتى صرفته عن الوزارة واعتقلته بخزانة البُنود. وقيل: كان صَرْفُه فى سادس المحرم سنة أربعين.

واتّفق أنه لما قُبض عليه وسُجن بخزانة البُنود وأُمِر بقتله بها، حفرت له حُفَيْرة ليُوارَى فيها، فظهر لِلْفَعَلَة عند الحفر رَأْسٌ، فلما رُفِع سُئِل عنه الفَلاحى، فقال: هذا رأسُ ابن الأنبارى، وأنا قتلته ودُفن فى هذا الموضع، وأنشد:

رُبَّ لحدٍ قد صارَ لحدًا مرارًا ضاحك من تزاحُمِ الأضْداد

وكان أبوه أحد الكتاب البلغاء، وتولى ديوان دمشق.

ومن أحسن ما قيل فى أبى سعيد، وقد كُرِه أذاه للمسلمين أنه كان يحلف: «وحقّ النعمة على بنى إسرائيل»، قول الرضىّ فيه:

يَهودُ هذا الزَّمان قد بلغوا غاية آمالهم وقد ملكوا
العز فيهم والمالُ عندهمُ ومنهمُ المستشارُ والملك
يأهْلَ مِصْر إنى قد نصحْتُ لكم تهوَّدُوا قد تهوَّد الفلَك

وفيها استقر فى الوزارة بعد الفلاحى أبو البركات الحسين بن عماد الدولة بن محمّد ابن أحمد الجَرْجرائى، ابن أخى الوزير صفى الدين، ولُقب بالوزير الأجل الكامل الأوحد، علم الكفاة، سيد الوزراء، ظهير الأئمة، عماد الرؤساء، فخر الأمة، ذى الرئاستين، صفى أمير المؤمنين.

وفيها ابتدأ أمر أبى محمد الحسن بن على بن عبد الرحمن اليَازُورى(١). وكان من

---

(١) الحسن بن على بن عبد الرحمن، أبو محمد اليازورى وزير، من الدهاة. ولد فى يازور (من قرى الرملة بفلسطين)، وإليها نسبته، وسكن الرملة، وولى الحكم فيها واتصل بالمستنصر الفاطمى(صاحب مصر) فاستوزره سنة ٤٤٢ هـ، وجعله قاضى القضاة، ولقب بسيد الوزراء.

Marfat.com

خَبره أن أباه على بن عبد الرحمن كانت له حال واسعةٌ ببلد يعرف بيازور[1]، من ضياع فلسطين، وكان مقدَّمًا فيها، فلما كبرت حاله انتقل إلى الرملة واستوْطَنها، وصارت له وكلاءُ فى الضياع، فاشْتُهر هناك وعرف بالعِفَّة والصّدق وسماح النفس، فرُد إليه قضاءُ بعض أعمال الرملة. ونشأَ له ابنان نجيبان، وَلِى أَحدُهما الحكمَ بعد أبيه إلى أن توفى، ثم خلفه أخوه عبد الرحمن هذا من بعده، فعُرِف بسعة النفس وسعة الأخلاق، فاتصل بخدمة الوزير الجرجرائى، فصار بذلك ممنوعًا ممَّن يريدُه بسوء.

واتفق أنه حج قبل قدومه إلى مصر، فلما زار قبر رسول الله نام فى الحجرة الشريفة، فسَقط عليه خَلُوقٌ من الزَّعفَران الملطخ فى حوائط الحجرة، فجاء بعض الخُدام وأيقظه من نومه وقال: أيها الرجل، إنك تَلِى ولايةً عظيمة وقد بشَّرتك، فلى منْك الحِبَاء والكرامة. ثم انتقل بتلطُّفه وكثرة مُدَاخلته إلى خدمة السيدة أم المستنصر، فتقرب بخدمتها، ولازم بابها عندما صُرِف عن الحكم بفلسطين يسأَل عَوده إلى وطنه وخدمته فيها، وهو مع ذلك يُواصل الوزير الفلاحى ويؤانسه، فيبدَأه بما فى نفسه من أبى سعيد التسترى، فيفاوضه فى التدبير على المذكور، ويفتح له من العمل ما يظهر له صوابه، فثَقُل مكانُه على أبى منذر لقربه من أمّ المسْتنصر ولُمَالأته الوزير الفلاحى، وهمَّ به، ثم تراخى عنه، حتى كان من أمره ما كان، وأمْرُ اليازُورى فى كل يوم يتزايد وحاله يقوى. إلا أن قاضى القضاة وداعى الدعاة قاسم بن نامِيلا كان يمتنع من رد الحكم إليه ببلده، لِما يعلم من سُوءِ رأْىِ أبى سعيد فيه، وأنه يريدُ القبض عليه؛ فكان ينحرف عنه ولا يلتفت إليه.

واتفق أَنْ حضر قاضى القضاة ذات يوم بباب البحر من القصر، على عادته فى كل يوم اثنين، لتقبيل الأرض والسلام أو خروج السلام عليه، ويجلس معه من الشهود مَنْ جرى رسمُه بذلك. فلما جلس بباب البحر وخلِيفتاه القضاعى وابن أبى زكرى والشهود دخل أبو محمد اليازُورى وجلس معهم، فقال له قاضى القضاة: بأَمْرِ مَنْ جلست ههنا ! أتظن أن المجالس كلّها مبذولةٌ لكلِّ أَحدٍ أن يجلس فيها؟ هذا مجلس لا يجلس فيه إلا من أَذِنَتْ له حضرةُ الإمامة وشرفته به، اخرج، فوالله لا تَصَرَّفت على أيامى أبدا، فخرج ورجلاه لا تكادان تحملانه، فوقف بباب البحر إلى أن خرج قاضى القضاة، فسار وخليفتاه والشهود معه، فسار فى أعقابهم، وسبقهم ووقف بباب دار القاضى. فلما نزل صنع له استعطافا، فلم يُعِرْه طرفه وانصرف. فلقيه القضاعى وقال: يا

وهو الذى دبر فتنة البساسيرى وأثاره على العباسيين. واستمر فى الوزارة إلى أن قبض عليه المستنصر بوشاية وقتله. انظر: الإشارة إلى من نال الوزارة ٤٠ - ٤٥ والأعلام ٢/٢٠٢.

(١) يازور: قرية من أعمال الرملة بفلسطين. انظر: الروض المعطار ٦١٥، ومعجم البلدان (يازور).

Marfat.com

أبا محمد، كان يجب ألاَّ تُريه وجهك عقب ما جرى لك معه، وفارقه. فلقيه ابن أبى زكرى وخاطبه بجفاء، فرُد إلى داره مغمومًا، فوجد ثلاثين حِمْلاً من تفاح قد وصلت إليه من ضِياعِه لتُباع بمصر، فأنفذ منها خمسة أحمال إلى الوزير، ولقاضى القضاة خمسة أحمال، وللقائد الأجلَ عُدة الدولة رفق خمسة أحمال، ولمعز الدولة مِعْضَاد خمسة أحمال، ولابن أبى زكريا ثلاثة أحمال، والقضاعى خمسة أحمال، وفرق حِمْلَين على حراسِهم، فلم يلتفت أحدٌ منهم إليه، ولا عطف عليه ما خلا القائد الأجل عدة الدولة رفق فإنه شكره وأثنى عليه. وهو مع ذلك يقف بباب البحر، فإذا أقبل عدة الدولة رفق يريد القصر تلقاه وسلّم عليه، فيكرمه ويسأل عن حاله، ثم يدخل إلى القصر، فإذا خرج وجده وَاقفا على حاله فيسلم عليه ويتبعه إلى داره، فإذا دخل انصرف عنه، فأقام على ذلك أياما، فخفَّ على قلبه ورغب فى اصطناعه، فصار إذا وصل إلى داره أمره بالنُّزول معه، فينزل، ويتحدثان - وكان حلو الحديث - فيطيل عنده، ثم ينصرف، فصار يشتاقه إذا غاب، ويمسكه إذا أراد الانصراف حتى تحضر المائدة.

وكانت أم المستنصر لما هَلَك أبو سعيد توقّفت أمورُ خدمتها، فأحضرت أخاه وأمرته بخدمتها، فامتنع خوفا من الوزير والأتراك، واستمرت ثلاثة أشهر تسأله وهو يمتنع، فحضر أبو محمد اليازُورى يومًا، فجلس عدة الدولة رفق، وجرى بينهما امتناع أبى نصر، أخى أبى سعيد، من خدمة أُم المستنصر، فقال له رفق: أرى أن تكتب رقعة تلتمسُ خدمتها وتعْرضُ نفسك عليها، فقال أبو محمد: قد كنت أظن جميل رأيك فىَّ وإيثارك مصلحة حالى، وأكذبنى ظنّى، فقال: بماذا؟ فقال: الهزء بى، فإنّى قد أجْهَدت فى العود إلى قرية كنت فيها فبُخل علىَّ بها، فكيف أتعرض لهذا الأمر الكبير ومُنَاوَأة الوزراء! فقال له: أما ترضانى سفيرا لك فى هذا الأمر، وعلى استفراغ الوُسْع فيه، لوُجُوب حقك علىَّ، فإن قضت الأقدار ببلوغ الغرض فى ذلك فقد أدركنا ما نؤثره، وإن تكن الأخرى فقد أكثر من العطلة ما تحصل، فأجاب إلى ذلك، وكتب إلى السيدة رقعة يعرضُ نفسه وماله عليها، ويخطب خدمتها، ويبْذُل الاجتهاد فيها، وأخذها منه رفق.

فلما كان من الغد: ركب إلى القصر، ودخل إلى السيدة وقد أُحضر أبو نَصْر، وعَاوَدتْهُ الخطاب فى خدمتها وهو يمتنع، حتى أضجرها، فانتهز عز الدولة رفق الفرصة بضجرها وقال: يا مولاتنا، قد طال غَلْق بابك ووقف خدمتك فى امتناع الشيخ أبى نصر مما نريده منه، وههنا من أنت تعرفينه، وهو رجل مسلم وقاضٍ، وكبير المروءَة، وهو مستغن بمالهِ وأملاكه عن التعرُّض لما لِلكِ، وهو ثقة ناهض كاف فقالت: من هو؟ فقال: القاضى أبو محمد اليَازُورِى، وهذه رقعته، فأمرته بتسليمها إلى أبى نصر، وقالت: ما تقول فيه؟ فلم يصدق بذلك، فقال: يا مولاتنا، هو والله الثقة الأمين الناهض الذى

Marfat.com

يصلح لِخدمتك، وفيه لها جمال، وما تظفرين بمثله، فوقع ذاك منها بالموافقة، فقالت لرفق: قل له يجلس فى داره غدًا حتى أُنفذ إليه، فسُر بذلك وخرج، فإذا بأبى محمد فى انتظاره على عادته، فسار، ولحق به أبو محمد، فقال له: أقمح أم شعير؟ فقال: بل برّ يوسفى، وقص عليه الخبر.

فلما كان الغدُ: جاءَ الرسول مستدعيًا له، فركب إلى بابها، فأحضرته وأدخلته وراء المقطع وردَّت إليه أمر بابها والنظر فى ديوانها، الذى هو باب الربح، وجميع أحوالها، ونزل، فبلغ ذلك الوزير، فكبر عليه وأقلقه أن تم على غير يده، وأنه لا يُقبَل قوله عند السيدة لما فى نفسها منه لقتل أبى سعيد.

وأقبل الأمراء الأتراك إلى القاضى أبى محمد، فهنئوه بما صار إليه، فقام إليهم وتلقّاهم، وأعظم سعيهم إليه وشكرهم، وقال: ما أنا إلاّ خادم ونائب لموالى الأمر، أسال فى تشريفى بما يُعيَّن لهم من خدمة لأنهض فيها. ثم لما قاموا نهض قائما لوداعهم. وأخذ الوزير الفلاحى فى العمل عليه، فلم يمض إلا أيام حتى قبض عليه وقتل.

سنة أربعين وأربعمائة

فيها سار ناصرُ الدَولة أبو محمد الحسن بن الحسين بن الحسن بن حمدان(١)، أمير دمشق، وشجاع الدَّولة جعفر بن كليد، والى حمص، بالعساكر وقبائل العُرْبان إلى حلب لقتال أميرها ثَمالَ بن صالح بن مِرْدَاس. وذلك أن ثَمَال بن صالح كان قد قرّر على نفسه فى وزارة الفلاحى أن يحمل كل سنة عشرين ألفا، فأَخّر الحمل سنتين، وأخذ شجاع الدَّولة يُغرى الوزير على ثَمَال ويسهّل أمر حلب، فخرج الأمر إلى ابن حمدان أن يسير هو وَوَالِى حمص بجموع العرب، فنزل بمن معه على حماة وفتحها، وأخذ المعرة، وأقدم فنزل على حلب لخمس بَقينَ من ربيع الآخر. وحارب ابن مرداس حُروبًا آلت إلى رحيل ابن حمدان بغير طائل، فى سادس عشر جمادى الأُولى، ففى عَوْدِه أصابه سيل هلك فيه أكثر ما معه من الخيل والرجال والأمتعة، وعاد إلى دمشق، فبعث ثمال إلى المستنصر يسأل عفوه، وكان المتوسَّط بينهما أبو نَصْر إبراهيم، أخو أبى

---

(١) الحسن بن الحسين بن حمدان التغلبى أبو محمد، ناصر الدولة. آخر من كانت له إمارة من آل حمدان ملوك حلب وغيرها. كان أمير دمشق وعزله عنها المستنصر بالله (الفاطمى) سنة ٤٤٠ هـ وقبض عليه وأرسل إلى مصر فجمع حوله أنصارًا وعمل على خلع المستنصر فقاتله، فانهزم الحمدانى إلى الإسكندرية، وجعل دأبه الإغارة على أعمال مصر، حتى حاصر القاهرة وقطع عنها الميرة فأصابها ضيق شديد وغلاء ووباء فكاتبه المستنصر فى الصلح فاشترط أن يكون له تدبير الأمور والعساكر وأجيب إلى ذلك. انظر: النجوم الزاهرة ٣/٥ - ٩١، وسير النبلاء - خ، وابن الأثير ٤٦٥، والأعلام ١٨٨/٢.

Marfat.com

سعيد التُّسْتَرى، فأُجيب إلى ذلك وانفصل رسولُه من الحضرة، فورد الخبر بأن ثمال بعث واليًا إلى معرة النعمان، وأنه أساءَ التدبير، فانحرف عنْهُ الناس، وفر منهم إلى حلب، وأن جعفرًا، أمير حمص، بادر إلى المعرَّة، فلقيه مقلد بن كامل بن مِرْداس وحاربه، فقتل فى الوقعة لِستٍّ بقين من شعبان، وحُمِلَت رأسه وشُهّرت بحلب، وأُسِر كثير من عسكره فبعث المستنصر إلى رسول ثمال وردّه، وأفهمه ما ورد من المكاتبة.

ووجد الوزير أبو البركات السَّبيل إلى الإغراءِ بأبى نصر إبراهيم، فمازال يُبَلغ المستنصر بأنه حملَهُ الحقد لقتل أخيه على السّعى فيما يضُر الدولة من التوسُّط بين ثمال والحضرة، وأنَّ ابن حمدان أساء التدبير فى رُجُوعه عن حلب، فقبض على أبى نصر، وأُخذت عامة أمواله، وعوقب حتى مات.

وولى دمشق بهاء الدولة مظفّر الخادم الصقلبى، وخرج إليها على جرائد الخيل، فدخلها على حين غفلة، وقبض على ناصر الدَّولة ابن حمدان وحمله إلى صُور، ونقله إلى الرَّملة وصودِر وأقام مظفر الخدْمَة بدمشق. وقَبض على راشد بن سنان بن عليان، أمير بنى كلاب، واعتقله بصور.

وخرج أميرُ الأمراء المظفر، فخر الملك، عدة الدولة وعمادها، رفق الخادم، فى ثامن عشر ذى القعدة بتجمُّل كثير وأُبهة عظيمة، وقوة قوية، وعُدة وافرة، وآلات طبله وعساكره تبلغ عدتهم ثلاثين ألفا، وكان المنفق فيه عِينًا مع قيمة العُرُوض أربعمائة ألف دينار، فبرز ظاهِرَ القاهرة يريد حلب، وخرج المستنصر لتشييعه، وكتب لجميع أمراء الشام بالانْقياد له والطّاعة لأمره، وأن يترجّلوا له إذا لَقُوه. وسار فَوَافَى الرملة وقد وصل رسول صاحب القسطنطينية بالصُّلح بين المستنصر وبين بنى مِرْدَاس، ففشل رفق وانخرقت حُرْمته، وجرت بالرملة وبدمشق أمور آلت إلى حرب بين العسكر عدة أيام، فبات يومًا ظاهر دمشق.

وفيها قُتل الوزير صدقة بن يوسف الفلاحى يوم الاثنين، النصف من المحرم، بخزانة البنود ودفن فيها. واتفق فى وفاته عجب، وهو أنه لما ولى الوزارة سَعى فى اعتقال أبى على الحسن على الأنبارى، واعتقله بخزانة البنود، ثم قتله، فى سنة ستٍّ وثلاثين وأربعمائة، ودفنه بخزانة البنود. فلما قبض عليه بعد صرفه عن الوزارة سُجن فى المكان الذى كان فيه ابن الأنبارى من خزانة البنود، وقتل فيها، ودفن معه. وكان ابن الأنبارى من جماعة الوزير الجرجرائى ورفيقًا للفلاحى وصاحبه، ولما وَلِىَ الوزارة تخوَّف منه، وما زال يعمل عليه حتى قتله، كما تقدم.

وفيها أقبلت حال أبى محمد اليَازُورِى فأخذت تزيد، ومَنْزِلته ترتفع، وخلع عليه ثانيا

Marfat.com

وأُمِر ألا يقوم لأحد إذا دخل عليه ولو عظم قدره، فكان يعتذر إلى من يَغْشَاهُ من الجلّة والرؤساء الأكابر، وأنه لو مَلَك اختياره لبالغ فى تكرمتهم بما يستحقونه، خلا القائد عُدة الدولة الذى كان سفيره، فإنه كان إذا أقبل وثب إليه قائما، فبلغ السيدة ذلك فقالت له: لا تتحرك لأحدٍ بالجملة، فكان إذا جاءه اعتذر إليه. ولقب بالمكين عمدة أمير المؤمنين، وترقّت أحواله حتى صار يحضر بحضرة الخليفة إذا أراد أن يستدعى الوزير كما كان أبو سعيد مع الفلاحى، فعظم ذلك على الوزير، لأنه كان إذا حضر القاضى أبو محمد اليَازُورِى تحدث طويلا والسيدة من وراء المقطع، ثم يستدعى الوزير فيعرض ما يريد من أَمْرِ الدولة، ولا يكون المجيبُ له إلا القاضى أبو محمد، فإذا أجابه التَفَتَ إلى المستنصر وقال: أليس هذا الصواب؟ فيقول المستنصر: نعم، ثم يخرج الرسُول من وراء المقطع ويقول: هذا الصواب، فكان الوزير كأنه يعرض على اليَازُورِى الأُمور دون الخليفة، فيشُق عليه ذلك، ولا يتمكن من مخالفته، ولا يستطيع الصبر على ما به.

وكان من جملة أصحاب الدواوين رجل يُعرف بالشيخ الأجل عبد الملك زين الكُفاة أبى الفضل صاعد بن مسعود، وإليه ديوان الشام يومئذ، وهو شيخُ خود، وكان الوزراء يعتمدون عليه ويرجعون إلى رأيه، فأحضَره الوزير، وفاوَضَه فى أمر اليَازُورى، وأخذ رأيه فيما يُعْمل معه، فأشار عليه بأن يُحَسِّن للخليفة أن يقلّده القضاءَ، ظنا منه أنه إذا تقَلّد القضاءَ فإنه يقعُ فى أمر كبير، ويشغلهُ ذلك عن مُلازمة السيدة، فيجد الوزير سبيلا إلى استخدام ولده مكانه، ويتقوى له الأمر فيه، ويملك جهة الخليفة والسيدة. وكان قد تُكُلِّم فى قاضى القضاة من أيام أبى سعيد، وذُكِرَ أَنَّ أُمُورَ الناس ناقصةٌ فى حكوماته، وأَنَّ غلمانا قد استَحْوذُوا على الحكم، وهم الذين يُوقفون أُمُورَ النّاس فاستخدم أبو سعيد شاهدا يعرف بابن عبدوَن، خليفة القاهرة، وتقدم إلى قاضى القضاة ألا يفصل بين اثنين إلاّ بحضوره وضبط ابنُ عبدون أمر الحُكْم ضبطا شديدا، وكان الخصوم يجتمعون بباب القاضى والشُّهودُ بين يديه، فلا يُمضى حكما إلا فى دعوى بين اثنين، وما يحتاج إليه من إقامة بينة، أو منازعة امرأة مع بعل لها فى فرض، وما يجرى هذا المجرى. وأما فى تثبيت أو قصص مستعجمة الحكم، وما يُحتاج فيه إلى مناظرات ومنازعات فلا يتكلّم فى شىء من ذلك إلا عند حضور ابن عبدون، وحجج الناس يُحتاط عليها فى قمطر، تحمل بين يدى القاضى، فإذا حضر ابن عبدون أُحْضرت وفصل الحكم فيما بين أصحابها. ومازال كذلك حتى حضر إليه خصمٌ فى مرَات، فخاف عليه وتشفع إليه بأصدقائه، فلم يُعْرِهُ فرصة يوما حتى خرج من مجلس قاضى القضاة وركب، فتقدم إليه وقبّل ركابه، وخضع له وتلطف فى أمره، فلم يلتفت إليه، فعاد إلى مَنْ خرج إليه من الشهود وسألهم سؤاله، فانتهره، فلما أيس منه وثب عليه بخنجر وخرق به بطنه، فخرَّ

إلى الأرض ميتا. وأُخذ الرجل إلى أبى سعيد، فَنكَّل به وقطع يدَيْه ورجلَيْهِ، وضرب عنقه. ثم استخدم أبو سعيد بعدَ ابن عبدون القُضاعِى وابن أبى زكرى وأقامهُما خليفتى قاضى القضاة، وأمرهما بسلوك طريق ابن عَبْدُون فى الأحكام، فلم يَقُوما مُقَامه، وكانا يجاملان القاضى، فعاد الأمر إلى ما كان عليه قبل ابن عبدون، إلا فى فصل الأحكام فإنها كانت لا تنفصل إلاّ بحضورهما. فثقُل ذلك على القاضى لاسْتيلاءِ غلمانه عليه، واتهامه أَنَّ أمورَ الناس واقفة، وأنه لا ينفذ له حكم ولا أُمرٌ ولا نهى.

وكان يحضُر مجلس الوزير يَوْمَ الخميس فى القصر بعد قَضاء خدمة المجالس، ثم فى الدَّار يوم الإثنين مسلما عليه، فحضر دار الوزارة يومَ الاثنين على رغْمه، فقربه الوزيرُ وسأل عن حاله، فأجاب بأنه لا حُكم لهُ ولا أمر، والأحكام مردُودة إلى خليفتيه ولهما الحكم دونه، فإذا حضرَا فُتح باب الحكم، وإذا غابا أُغلق بابه، فقال له: كفيت يا قاضى القضاة. وخرج من عنده وحضر بعده القضاعى وابن أبى ذكرى، فقال لهما الوزير: ما لقاضى القضاة يتضرَّر منكما ويشكو استيلاءكُما على الحكم دُونه، وأَنه لا تنفذ أوامُرهُ معكما؟ فقالا: وأى أمر لنا دونه، هل أوقفنا أمر أحكامه، أو لنا غلمان يمسكون حجج النّاس حتى يُصَانعوهم عليها؟ يعرضان بغلمان القاضى! إنما نحن فى حضورنا كبعض الشهود والأمر إليه فى إمضاء الأحكام، وإنا لنشاهد ما لا يتّسع لنا الكلام فيه، فقال: كُفيتما أيها القضاة. وانصرفا وقد انفتح له باب الحيلة فى صرف القاضى وتولية أبى محمد اليازورى.

واتفق مع ذلك توعُّك أبى محمد وانقطاعه أياما فى داره عن مجلس الخليفة، فخلا لهُ وجهُ السلطان وأعاد عليه النَّوْبَةَ، ثم قال له: أنت يا أمير المؤمنين لسان الشرع، ومقيمُ مناره، ومنفّذ أحكامه، وقاضى القضاة إنما ينطق بلسانك، وينَفّذ الأحكام عنك، فإذا اشتهر فى الأقطار ما يتم على الناس فى أحكامهم كان سُوءَ السمعة فى ذلك على الدولة، وإثارةُ الشَّنَاعة القبيحة عليها، وفى الخصوم مَنْ هو من المشرق والمغرب واليمن وما وراءَه، والروم، وفى استفاضة ذلك غضاضةٌ على الدولة. ونحن إنّما نَطُول على الممالك والدُّوَل بإقامة سنن الشريعة وإظهار العدل الذى عَفَت آثاره فى غيرها من الدول، وقد كبر قاضى القضاة واسْتَولى عليه غلمانه وغلبوا على أمره، فقال المستنصر: نحن نحفظ فيه خدمة سلفه لنا ومهاجرتَهم معنا، فقال: يا أمير المؤمنين، حفظك الله وشكرك، أما كان من كرامة سلفه أن يسْتَتِر حتى لا يشيع هذا عنه؟ ومازال حتى قال الخليفة: مَنْ فى الدولة يجرى مجراه؟ فقال: يا أمير المؤمنين عبيدك كثير، ومع ذلك فبين يديك مَنْ يتجمّل الحكم به مع ثقتِه وأمانته وقُرْبه من خدمتك، القاضى أبو محمد، فقال: ذلك فى خدمة مولاتنا الوالدة، ولا يفسح له فى ذلك، فقال: يا أمير المؤمنين،

Marfat.com

هى - خلّد الله ملكها - أَغْيَر على دولتك وأحسن نظرًا لها من أن تَحُولَ بينها وبين ما يجملها، ومع ذلك، فلم يُنْقل مما هو فيه إلى ما هو دُونَه، بل إلى ما هو أوْفى منه، فأجاب إلى ذلك، وقام، فشرع فى كَتْبِ سجله وإعداد الخلع له. وسمع هذه النّوبة القائد عُدّة الدولة، فأوفد إلى أبى محمد يخبره، وقال له: تلطّف فى أمرك كما تريد، فعظم ذلك عليه، وخاف مِن بُعْده عن خدمة السيدة إذ كانت أجل الخِدَم، فإن كل مَنْ فى الدولة من وزير وأمير وغيرهما محتاج.

فلما كان عشاءُ الآخرة: حمل على نفسه وهو محموم وركب إلى باب الريح، ودخل، وأَنْفَذ يُعْلم السيِّدة مكانه، فَخَرجت وراءَ المقطع وسألته عن حالة مرضه، وما الذى دعاه للعَناءِ فى هذا الوقت، فقص عليها القصة وقال: إنما الغرض إبعادى عن خدمتك ليقع التمكن منى، فقالت: وما الذى تكره من ذلك؟ فقال: يا مولاتنا هوى الحكم واسع، وأحوال قاضى القضاة ابن النعمان فيه مشهورة، ولو كانت جارية على النظام المستقيم لشغلت عن خدمتك، فكيف والحاجة داعيةٌ إلى إصْلاَحه وإحْكام نظامه، وفى هذا شُغُل كبير، فقالت: لا يَضِيقُ صدرك بهذا الأمر، فبابى لك، وخدمتى موفورةٌ عليك، ولا أستبدل بك أبدا، فقال: يا مولاتنا قد قدمت القول أن هوى الحكم كبير واسع، وانشغالى به يحولُ بينى وبَيْن ملازمة بابك، فقالت: خليفتاك فى الحكم، القضاعى وابن أبى ذكرى، هما ينفذان من الأحكام ما يجوز تنفيذه، فإذا تحررت إلى فصل الأحكام نزلت ففصلت ذلك، وقررت لنزولك يومين فى الجمعة لفصل الأحكام، وإذا نزلت كان ولداك ينوبان عنك فى تنفيذ أمور خدمتى، وهذا التقرير لا يغلبك فعله، فقبل الأرض، ودعا، وشكر، وانصرف.

وكانت إذا قالت قوْلا وفَتْ به وثبتت عليه، فإنها كانت وثيقة العقد، حافظة العهد، غير ناقضة له، ولا متغيِّرة عنه مع مَنْ تَطّلع من أمره على ما يقتضى التغيير عليه، فكيف بمن ترتضى طريقته، وتحمد خلائقه.

وفيها وَلِىَ القائد بهاءُ الدولة وصارمُها، طارق الصقلبى المستنصرى، دمشقَ، فقدِمَها صبيحة يوم الجمعة مستهل شهر رجب، وساعة وصوله دخل القصر وقَبَضَ على ناصر الدولة أبى محمد الحسن بن الحسين بن حمدان.

سنة إحدى وأربعين وأربعمائة

فى ثانى المحرم: صرف قاضى القضاة أحمد بن عبد العزيز بن النعمان عن القضاء وكانت هذه ولايته الثانية، وله فيه ثلاث عشرة سنة وشهر وأربعة أيام. واستُدعِى إلى حضرة المستنصر القاضى أبو محمد اليَازُورى وخلع عليه مكانه فى رابع عشره، وقُرئ

سجلّه في الديوان، وخرج والدولة بأسرها بين يديه. واستناب ابنَهُ الأكبر أبا الحسن محمدا ولُقّب بالقاضى الأجل خطير الملك، وأقام ابنُه الآخر فى جهات السيدة.

وشرع الوزير فى الإرسَال إلى السيدة بأن يستقر ابنُه فى بابها، فامتنعت عن ذلك وقالت: ما كنت بالذى يستبدل به بوجه ولا سبب. فأسقط فى يده وقال: أردنا وضْعَه والله تعالى يريد رفعه، فقال له أبو الفضل: أمَا إذ جرى الأمر بخلاف ما ظنناه فليس إلاّ بمجاملة الرجل.

وكان أبو محمد اليَازُورِى لا يسلم على الوزير، ولا يجتمعان إلا يوْما فى الشهر، يحضر إلى دار الوزير، فإذا حضر إليه احتجب عن كل أحد، وتلقّاه قائما، وأجلسه على مخدة وأعطاه من المجاملة فوق ما يُؤْثِرُه منه، وهو مع ذلك يُبْطن له السُّوءَ، ويعمل فى التدبير عليه.

وكانت أيام الوزير كلها رديئة لكثرة القبض على الناس، والمصادرات، واصطفاء الأموال، والنفى، ونحو ذلك، فكثر الذّامُّ له. وكان أيضا يَبْطشُ بِمَنْ يبطش به من غير علْم الخليفة ولا استئذانه، فتغير خاطُر الخليفة عليه، وتكثُر منه تغيظه، إلا أنَّ العادة جرت بألاّ يُعتَرَض الوزير فيما يفعله، ويُمَدَّ له فى النَّفَس، ويُصْبَرَ على ما يكون منه.

وفيها قبض على أبى نصر إبراهيم بن سهل، واتهم أنه مَالأَ ثَمَال بن صالح حتى قتل جعفر بن كليد صاحب حمص، وسُلم إلى الوزير أبى البركات الجرجرائى فضيق عليه وصادره حتى مات تحت العقوبة. وكان هو الذى سعى به إلى المستنصر فقال: إنه عَيْنٌ لثمال.

واتفق وصول الخادم رفق إلى دمشق وخروجه منها فى سادس صفر يريد حلب، فوصل إلى جبل جوشن فى ثانى عشرى ربيع الأول، وأقام هناك، ثم بدا له فبعث بما مَعَهُ من الأثقال إلى المعَرَّة، فظنَّ مَنْ معه من العساكر أنّه يريد أن ينْهَزم، فأجدُّوا فى الرَّحيل وقد حاصر قلوبهم الوَجَل وداخلهم الخوف، فأمر بردهم إليه، فأبَوْا ذلك عليه. وفطن أهل حلب لهم، فتبعُوهم ونهبوا ما قدروا عليه منهم، وكانت بينهما حرب جُرح فيها رفق فى عدة مواضع من رأسه وبدنه، وأسِر، وانهزم العسكر بأسره. وحمل رفق على بغل وهو مكشوف الرأس، ومعه جماعة من وجوه عسكره، فلم يحتمل ما أصابه، واختلط عقله، ومات بقلعة حلب بعد ثلاثة أيام، فى مستهل ربيع الآخر، واعْتُقِل عامة من كان معه من القُواد والكُتّاب بحلب.

فلما وَرَدَ الخبر بذلك على المستنصر أمر بالإفراج عن ناصر الدولة أبى محمد الحسن

Marfat.com

ابن الحسين بن حمدان من الاعتقال، وقَلّد إمارة دمشق الأمير المؤيد مصطفى الملك معز الدولة، ذا الرئاستين، حيدرة بن الأمير عصب الدولة حسين بن مفلح، فى رجب، وخرج معه ناظرًا فى أعمال الشام أبو محمد الحسين بن حسن الماسَكى. ووجد أعداءُ الوزير أبى البركات الحسين بن محمد الجَرْجَرَائى سبيلا إلى إغراء المستنصر به، وأنه تسرع فيما عادت بمضرته على الدولة من تجهيز العساكر إلى حلَب، فحركت هذه الأقوال وما يشبهها عليه ما يحقده الخليفة من استبداده بأمور من غير أمر ولا استئذان، فأمر به فقبض عليه ونفى إلى صُور فى منتصف شوال، فاعتُقل بصور، فكانت وزارته سنة وتسعة أشهر وعشرة أيام. ثم أفرج عنه ومضى إلى دمشق.

وبقى الأمر فى الوزارة عدة أيام والخليفة يعرض لقاضى القضاة أبى محمد اليَازُورى بالوزارة وهو يمتنع عليه، فأُسْنِد إلى أبى الفضل صاعد بن مسعود، من الأمراء، وأقيم واسطة لا وزيرا، وخلع عليه ولقب بعميد الملك زين الكفاة، وجعل يُرْسم عليه عَرْض ما يختص بالرجال دون الأموال. وكان إذا أراد الاستئذان على ما يفعل جلس اليازورى بحضرة الخليفة واستُدعى أبو الفضل، فعرض ما يحتاج إليه، فيتقدم إليه اليَازُورى بما يفعله. ويخرج وفى نفسه من اليَازُورِى ما كان يدُورُ بينه وبين الوُزَرَاء فى معناه، فأخذ يحمل عليه الرجال ويوهمهم أنه إذا سأل لهم فى زيادة أو ولاية يعترضه اليازُورى ويفسد عليه فلما كان فى بعض الأيام قال ناصر الدولة حسن بن حسين بن حمدان لبعض ثقاته: اعْلَم أن القاضى له الثناء الجميل الكثير، ونحن شاكرون له، مُقيَّدون بجميله، مُفْتقرون إلى جاهه فى جميع أمورنا، واعتفاؤه من هذا الأمر لا يبرئه من ذمنا إن وقفت حوائجنا، ويكون الشكر فيه لغيره إن قُضِيت، وهذا الرجل عميد الملك هو ذا يحمل الرجال عليه ويشعرهم أنه يجتهد فى قضاء حوائجهم، وأنه يعترضه بما يُبْطلها عليهم، وفى هذا الأمر ما تعلمهُ، فقل أنت له عنى: ياسيدنا، إما أن تزيد شكر الرجال وسلامة صُدُورهم لك وخَلاَصَ نياتهم فى طاعتك، فادخُل فى هذا الأمر، فإن أحسنت عرفُوا ذلك لك، وشكروه منك وإن أسأت كان عليك ضرره وشره، وإلا فاعتزل جانبا ولا تلعب بُروحِك مع الرجال، وإلا أبلغك أبو الفضل، فبلّغه الرجل ذلك، فقال: أمهلنى الليلة ثم بكر إلىَّ.

فلما كان فى السَّحَر: بكر إليه، فقال: أعد على قول ناصر الدولة، فأعاده، فقال: أقرأه عنى السلام، وقل له: والله ألا أدخل فيه ويكون لى خيرُه وشرُّه. وأبلغ ناصر الدولة رسالته، فقال: هذا هو الصواب.

Marfat.com

سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة

فى سابع المحرم: قُرِئَ سجل القاضى أبى محمد اليَازُورِى بالوزارة، ولُقِّب بالوزير الأجل المكين، سيد الوزراء، تاج الأصفياء، قاضى القضاة، وداعى الدعاة، علم المجد، خالصة أمير المؤمنين، وخلع عليه، فنظر فى الوزارة وليس من أهلها، ولا من أرباب الكتابة، فمضى فيها مُضى الجواد، ونهض مسرعًا نهوضا عز بِه فى وجوه مِنْ تقدَّمه، مع ما بيده من قضاء القضاء، والدعوة، والنظر فى ديوان السيدة. وكاتبَ ملوك الأطراف، فأجابوه، بوفور حقه، إلاّ معز الدولة بن بَادِيس الصِّنْهاجى صاحب إفريقية، فإنه قصر فى المكاتبة عما يكاتِب به من تقدم من الوزراء، فإنه كان يكاتب كلا منهم «بعبده» فجعل مكاتبته «صنيعته»، فاستدعى الوزير أبا القاسم ابن الإخوة، وكيل ابن بَادِيس بمصر، وعَتَب صاحبه عنده، وقال: أظن معزًّا ينقصنى عمن تقدمنى، إذا لم أكن من أهل صناعة الكتابة، وإن لم أكن أَوْفى منهم فما أنا دُونَهم ومَنْ رفعه السلطانُ ارتفع وإن كان خاملا، ومَنْ وضعه اتّضَع وإن كان جليلا نبيلا، فاكتب إليه بما يُرْجِعُه إلى الصواب، فكتب إليه بذلك، وقد أذكى الوزير عليه عيونا يُطالِعُونه بأنفاسه، فلما وقف على كتاب ابن الإخوة قال: ما الذى يريده منى هذا الفلاح، لا كُنتُ عبده ولا كان، هذا لا يكون أبدا، وما كتبتُ إليه فكثير، فطالَعَهُ عيونُه بقَوْله، فأحضر ابن الإخوة وقال له: قد جرى صاحبُك على عادته فى الجهل، فاكتُب إليه بما يردَعُه فيه، وإلا عرَّفته بنفسى إذ لم يعرفنى، فكتب إليه بذلك، فأجاب بما هو أقبح من الأول. فدس إليه الوزير منْ تلطّف فى أخذ سكين دواته، فلما وصلت إليه أحضر ابن الإخوة وقال له: كنت أظن بصاحبك أَنَّ الذى حملَهُ على ما كان ثورةُ الشَّبيبة، وقلة خُبْره بما تقضى به الأقدار، وأنه إذا نُبِّه تنبَّه، فإذا الجهل مستولٍ عليه، وظنُّه أَنَّ بُعد المسافة بيننا وبينه يمنع مِن الانتصاف منه والوُصُول إليه بما يكره، وقد تلطّفنا فى أخذ سكين دواته، وها هى ذى، فأنفِذها إليه وأعلمه أَنّا كما تلطّفنا فى أخذها أَنّا نتلطف فى ذبحه بها. ودَفَعَهَا إليه، فكتب ابنُ الإخوة بذلك، فازداد شرًّا وُبطرًا، فدسَّ عليه من أخذ نَعْله، وكان يمشى فى الأحذية السندية، فلما وصلت إليه أحضر ابن الإخوة وقال له: اكتب إلى هذا البَرْبرى الأحمق، وقل له: إن عقلت وأحسنت أَدَبَك، وإلاّ جعلنا تأديبك بهذه، فجرى على عادته فى القول القبيح.

وفيها توسل ثَمَال بن صالح فى الصَّفح عنه وأطْلَقَ المأسُورِين، وسعى فى ذلك على ابن عياض قاضى صور، وسيَّر ثمال زوجته علية بنت وثّاب بن جعفر النميرى وولَدَه وثّابًا إلى القاهرة، ومعهما مَالُ سنتين، وأربعون ألف دينار، فقام اليَازُورِى بأَمْرِهم، فقَبلُهم المستنصر، وبالغ فى الإحسان إليهم، وزاد فى ألقاب ثَمَال وألقاب مُقَلَّد بن

عمه، ولقّب قاضى صور عيْن الدولة.

وفيها ملك المستنصر حصن المنيعة بالشام.

سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة

فيها أظهر المعز بن بَادِيس صاحب إفريقية، الخلاف على المستنصر، وسير رسولا إلى بغداد ليُقيم الدعوة العباسية، واستدعى منهم الخِلَع، فأُجيب إلى ذلك. وجُهِّزت الخلع على يد رسول يقال له أبو غالب الشَّيْزَرِى، ومعه العهد واللِّواء الأسود، فمر ببلاد الرُّوم ليُعدِّى منها إلى إفريقية، فقبض عليه صاحب الروم. وبلغ ذلك المعز بن بَادِيس، فأرسل إلى قسطنطين ملك الروم فى أمره، فلم يجبْه رعاية لحق المستنصر. واتفق قُدوم رسول طُغْرِلْبك يستأذنُه فى مسيره إلى مصر- فأظهر المودة التى بينه وبين المستنصر، وأنه لا يُرَخِّص فى أذيته. واتفق قُدُوم رسول المستنصر إليه بهدية عظيمة، فبعث معه برسول القائم بما على يده، فدخل إلى القاهرة على جمل، وأُحْرِقَ العهدُ واللِّواءُ والهديةُ فى حُفْرةَ بين القصرين، وكان القادر قد فعل مع الظاهر والد المستنصر مثل ذلك بالخِلْعة التى سيرها إلى محمود بن سُبُكْتكين. ثم أقَرَّ المستنصر رد الرَّسول إلى صاحب القسطنطينية.

وكان سبب عصيان ابن بَادِيس ما تقدم من تقصيره فى مكاتبة الوزير اليَازُورى وما دار فى ذلك.

وكان بطرابلس الغرب وما والاها زغبة ورياح، وهما قبيلتان من العرب، وبينهما حروب وعداوة، فأحضر الوزير مكين الدولة أبا على الحسن بن على بن مُلْهم بن دينار العقيلى، أحد أمراء الدولة، وكان رجلا عاقلا، وسيره إلى زغبة ورياح بخلع سنية وأنْعام كثيرة، وأمره أن يصلح ذات بينهما، ويتحمل ما بينهما من دِيَاتٍ ويفديه بالزِّيادة فى إقطاعاتهما، فلما تم له ذلك أمرهم بالمسير إلى المعز بن باديس، وأباحهم دياره، وتشدد فى هذا الأمر حتى توجه المذكورُون إلى ديار ابن بَاديس وملكوها، وجمعوا ذيولَه عليه، وقلموا أظفاره، وضيقوا خناقَه حتى لم يتمكن من قتالهم إلاّ مستندًا إلى حيطان إفريقية وذلك أنهم ملكوا برقة، فسار إليهم المعزُّ فهزموه، وتبعوه إلى إفريقية، وحصروا المدن فنزل بأهل إفريقية بلاء لا يوصف، فخرج إليهم المعزُّ فى أربعين ألفا وقاتلهم، فهزمُوه إلى القيروان. ثم جمع ثمانين ألفا وقاتلهم، فهزموه، وأكثروا من القتل فى أصحابه، وحصروه بالقيروان. وأقاموا يحاصرون البلاد وينهبون إلى سنة تسع وأربعين، فانتقل المعز إلى المهدية(١) فى شهر رمضان منها، حتى نفدت أمواله، وقلّت

(١) المَهْدِيَّةُ: بالفتح ثم السكون، فى موضعين: إحداهما بإفريقية والأخرى اختطها عبد المؤمن بن

Marfat.com

عُدَدُه، وتَفلّتَ منه رجاله، وأشرف على التّلف، فلم يجد سبيلاً غير إعمال الحيلة فى خلاصه، فخرج متخفيًا فى زى امرأة حتى انتهى إلى المهدية، فاستولت العُرْبان على حرمه وداره وغلمانه وقتلوا الرجال وسبوا النساء، وانتهبوا ما كان فى دُورِه وقُصوره، وعاثوا فى البلد يَنْهبُون ويأسرون ويقتلون، فخربت القيروان حينئذ إلى اليوم. ووصل كثير مما نُهب من قصور بنى بَادِيس من الأسلحة والعُدد والآلات والخيام وغيرها إلى القاهرة، فكان لِيَوْم دخولها إلى القاهرة أمر عظيم من اجتماع الناس واعتبار أهل البصائر بِتَقَلُّب الأحوال.

وكان من خبر دُخُول العَرب إلى المغرب أن بطون هلال وسليم من مُضَر لم يزالوا فى البادية، ونجعُوا من نجد إلى الحجاز، فنزل بنَو سليم مما يلى المدينة النبوية، ونزل بنو هلال فى جبل غزوان[1] عند الطائف[2]، وكانوا يطرقُون العراق فى رحلة الشتاء والصيف فيغيرون على أطراف الشام والعراق، وكانت بنو سليم تغير على الحاج أيام الموسم وزيارتهم المدينة، ثم تجهز بنو سليم وكثيرٌ من ربيعة بن عامر إلى القرامطة عند ظهورهم، وصاروا جُندًا لهم بالبحرين، وعُمَان[3]، وقدِموا معهم إلى الشام. فلما غُلبت القرامطة فى أيام المعز لدين الله أبى تميم مَعَد، ثم فى أيام ابنه العزيز بالله أبى منصور نزار، وانهزموا من الشام إلى البحرين نقل العزيز بالله مَنْ كان معهُم من بنى هلال وسُليم إلى مصر، وأنزلهم بالجانب الشرقي من بلاد الصعيد. وأقاموا هنالك وأضروا بالبلاد إلى أن ملك المعز بن باديس[4] القيروان فى سنة ثمان وأربعمائة، وهو

على قرب سَلا. انظر: الروض المعطار ٥٦١، ٥٦٢، والاستبصار ١١٧، والبكرى ٢٩، والإدريسى ٧٨/١٠٧.

(١) غَزْوَانُ: بالفتح ثم السكون، وآخره نون، فعلان من الغزو وهو القصد: وهو الجبل الذى على ظهره مدينة الطائف. وغزوان أيضًا: محلة بهراةَ. انظر: معجم البلدان ٢٢/٤.

(٢) الطائف: مخلاف من مخاليف مكة على مرحلتين من مكة، وقيل بينهما ستون ميلاً، وهى إحدى القريتين المذكورتين فى القرآن، وكان اسم الطائف وج، ثم سكنها ثقيف، فبنوا عليها حائطًا مطيفًا بها فسموه الطائف. انظر: الروض المعطار ٣٧٩ ونزهة المشتاق ٥١، وصبح الأعشى ٢٥٨/٤.

(٣) عمان: هناك ثلاث بلاد تسمى عمان وهى عمان بالشام وعمان بسمرقند، وعمان المتصلة بأرض مهرة، ولكن المقصود هنا عمان الشام: وهى بفتح أوله وتشديد الميم، قرية من عمل دمشق، سميت بعمان بن لوط عليه السلام. انظر: الروض المعطار ٤١٢، ٤١٣، ومعجم ما استعجم ٩٧٠/٣.

(٤) المعز بن باديس بن المنصور الصنهاجى: (٣٩٨-٤٥٤هـ = ١٠٠٨-١٠٦٢م.): من ملوك الدولة الصنهاجية بإفريقية. ولد بالمنصورية وولى بعد وفاة أبيه (سنة ٤٠٦هـ.) وأقره الحاكم-

Marfat.com

ابن ثماني سنين، من قِبَل الظاهر لإعزاز دين الله علي بن الحاكم بأمر الله، فامتدَّت أيامُه حتى قام في الخلافة المستنصر بالله أبو تميم معد بن الظاهر، واستوزر أبا محمد اليَازُورِى، فأنف من مكاتبته بالمولى. وكان ما تقدم ذكره.

فحلف المعزُّ بن باديس لَيحوِّلَنَّ الدعوة إلى بني العبَّاس، ولج في ذلك، وقطع الدعاء للمستنصر، وأزال اسمه من الطُّرز والرَّايات، ودعا للقائم أبي جعفر بن القادر في سنة أربعين وأربعمائة، وكتب إليه بذلك، فكتب إليه بالعهد صُحْبَة أبي الفضل بن عبد الواحد التميمي، فقرأ كتابه بجامع القيروان، ونشر الرايات السُّود، وهدم دار الإسماعيلية. ووصل الخبر بذلك إلى القاهرة، فأشار اليَازُورِى بتجهيز أحياء هلال بن جُشُم، والأَثْبُجِ وزِنِيَة ورياح وعدى وربيعة إلى المغرب، وتولية مشايخهم أعمال إفريقية، فقُبلت مشورتهُ. وأُرسل إليهم في سنة إحدى وأربعين، وحُمل إلى مشايخهم الأموال، وأنعم على سائرهم بفرو ودينار لكل أحد، وأُبيح لهم حِمَى المغرب.

وكتب اليَازُورِى إلى المعزِّ بن باديس: «أما بعد فقد أنفذنا إليكم خيولا فحولا، وأرسلنا عليها رجالا كهولا ﴿لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً﴾ (١).

فسارت العرب إلى برقة، وفتحوا أمصارها، وكتبوا لإخوانهم الذين بشرقي الصَّعيد يُرَغِّبُونهم في البلاد، فأعطوا من الدولة دينارين لكل واحد، ومضوا إلى أصحابهم، فتصارعوا على البلاد، فحصل لسليم الشرق، ولهلال المغرب. وخربوا المدينة الحمراءَ وأجدابية وسُرْت(٢). وأقامت بطون من سليم وأحلافها بِأَرض برقة، وسارت قبائل

=الفاطمي ولقبه بشرف الدولة وكانت خطبته للفاطميين فقطعها سنة ٤٤٠هـ. وجعلها للعباسيين فوجه إلى المستنصر للفاطمي أعراب بني هلال وبني سليم من قبائل الحجاز وأباح لهم الغارة على المغرب فاحتلوا القيروان وحاربوا المعز فتغلبوا عليه فتقهقر إلى المهدية واستمر وادعًا إلى أن توفي فيها من ضعف الكبد. انظر: ابن خلكان٢/١٠٤، وابن الأثير ٨٧/٩ ثم ٥/١٠، والأعلام ٢٦٩/٧، ٢٧٠.

(١) سورة الأنفال: آية ٤٢.

(٢) سُرْتُ: بضم أوّله، وسكون ثانيه، وآخره تاء مثناة من فوق، علم مرتجل غير مستعمل في كلامهم: مدينة على ساحل البحر الرومي بين برقة وطرابلس الغرب لا بأس بها، وفي سمتها من ناحية الجنوب في البر أجدابية ومنها يقصد إلى طرابلس الغرب.
ولهم كلام يتراطنون به ليس بعربي ولا عجمي ولا بري ولا قبطي ولا يعرفه غيرهم، وهم على خلاف أخلاق أهل أطرابلس، فإن أهل أطرابلس من أحسن خلق الله معاشرة وأحودهم معاملة، ومن سرت إلى أطرابلس عشر مراحل وإلى أجدابية ست مراحل.
وفي الروض المعطار: سرت: مدينة في برقة، بينها وبين طرابلس مائتا ميل وثلاثون ميلاً وبينها=

Marfat.com

دياب وعرق وزغب وجميع بطون هلال إلى إفريقية كالجراد المنتشر، لا يمرون بشيء إلا أتوْا عليه، حتى وصلوا إلى إفريقية سنة ثلاث وأربعين. وكان أول من وصل منهم أمير رياح مؤنس بن يحيى العنزى، فاستماله المعزُّ بن باديس، وكثر عيْثهم فى البلاد، ونادوْا بشعار المستنصر، فبعث إليهم المعز العساكر فأوقعوا بها، فخرج إليهم فى ثلاثين ألفا فهزموه، وفر بنفسه وخاصته إلى القيروان، فنهبوا جميع ما كان معه، وقتلوا خلقا كثيرا، وحصروه بالقيروان حتى هلكت الضَّواحى والقرى.

واقتسم العرب بلاد إفريقية فى سنة ستٍّ وأربعين، وكان لزغبة طرابلس وما يليها، ولمرداس بن رياح باجة وما يليها. ثم اقتسموا البلاد ثانيا، وكان لهلال من قابس إلى المغرب، وهم رياح وزغبة والمعقل وجشم وترنجة والأسيح وشداد والخلط وسفيان.

وتصَوحَ الملك من المعز بن بَادِيس فركب البحر فى سنة تسع وأربعين، فدخل العرب القيروان واستباحوه وخربوا مبانيه، فتفرَّق أَهلُه فى البلاد. ثم أخذوا المهديَّةَ وحاربوا زنانة من بعد صنهاجة، وغلبوهم على الضواحى واتصلت الفتنة بينهم فخربت إفريقية بأسرها، وصيروا البربر لهم خوَلا. ومات المعز بن باديس سنة أربع وخمسين وأربعمائة.

وكان المستنصر لما بَعَثَهم إلى إفريقية جعل للمؤنس بن يحيى المرداسى[1] ولاية القيروان وباجة، وأعطى زغبة طرابلس وقابس، وجعل الحسن بن مسرة فى ولاية قسطنطينية، فلما غلبوا صنهاجة مَلَكَ كل منهم ما عقد عليه، فاشتدَّ عَيْثهم وإفسادهم.

وفيها كانت وقعة البحيرة. وذلك أنها فى إقطاع بنى قرة وقد ملكوها وعَمرُوا ضياعها، وكثرت فيها أموالهم واشتدت شوكتهم، وخشُن جانبهم، وكثر المقدمون فيهم حتى انتشر ذكرهم، وذلَّ لهم عددهم، وثَقُل أمرهم على الولاية بالإسكندرية، فجاورهم الطَّلْحيُّون واستذَمُّوا منهم، وكانت لهم واجباتٌ على الدولة من غير إقطاع، وهم يأخذون واجباتهم محمولة مع واجبات العسكر بالإسكندرية عندما تحْمَل إليها، فاتفق أن ناصر الدولة ابن حمدان أبا نصر الدولة حسين كان واليا بالإسكندرية، فاستحق الطَّلحيون على الدولة، عن واجباتهم المذكورة، ثلاثة آلاف دينار، فواصلوا اقتضاء ناصر الدولة إنْفَاقَهم فيهم، فوعدهم، وكتب إلى الحضرة يَلْتمسُ ذلك، فوعده

=وبين البحر ميلان، وعليها سور تراب، وفيها النخل، ولا زيتون بها، والتوت بها كثير وبعض الشجر تين، غير أن العرب أتت على أكثرها وكانت فيها فواكه وأعناب ذهبت. انظر: الروض المعطار ٣١٢، والإدريسى ١٢٢/٩٠ (صرت).

(١) المؤنس بن يحيى المرداسى أو يونس كما سبق فى الأصل.

الوزير أنه إذا حمل إلى رجال العسكر استحقاقهم حمل ذلك فى جُمْلته.

وكان قد بقى على حَمْل المال شهران، فاستبعدُوا الصبر إلى ذلك الوقت وواصلوا مُطَالبتَه، وحملوا القريين على معونتهم عليه، فاضطَرُّوه إلى المسير معهم إلى الحضرة لألتماس ذلك، فسار إلى الجيزة، وطلع إلى الوزير وعرّفه الحال؛ فقال: ما أخرنا ذلك عنهم إلاّ أن السَّنَةَ كثيرةُ النفقات والطوارئ، وهذه ألف دينار أَنْفِقْها إلى أن تَحمِل باقى مالهم مع مال العسكر، فأخذ الألف وعرفهم ما قال الوزير، فامتنعوا عن الأخذ، وأَبَوْا إلا قبض الثلاثة آلاف، وألزموه بالعود، فعاد، وعرف الوزير، فاغْتَاظَ، وأمر لهم بألف أخرى، فنزل إليهم، فأبوا إلا أخذ الجميع، وجفوا فى الخطاب، فعاد إلى الوزير، وعرفه، فغضب، وقال: إجابتهم إلى ما التمسوه دَفْعَةً بعد أُخرى طَمَّعَهُم طَمَعَهُم؛ والله لا أُطلق لهم درهمًا واحدًا، واستعاد الألفى دينار، وتقدّم بتجريد العسكر لهم، فتسرَّع يزحف مع ليث الدولة كافور الشرابى، ونزل إليهم، فإذا هُمْ قد تأَهَّبُوا للقائهم، فجرت بينهم وقفة قتل فيها اثنان من العسكر وحجز بينهما الليل.

وبلغ الوزير ذلك، فشقَّ عليه إقدامُهم على المحاربة، سيَّما بنو قرة فإنّهم صلُوا الحرب، وكانوا فيها أَشدَّ من الطّلحيين، فأَخذ الوزير يجرّد إليهم العساكر، فانطَرَدُوا وجمعوا حشودهم، والتقوْا بكوم شريك، وكانت الدائرة عليهم، وقتل منهم خلق كثير، وانهزموا والعساكر تتبعهم، فأَحاطت بأموالهم من كلّ ما يملكونه، وفرَّ بنو قُرّة على وجوههم إلى برقة، ومعهم الطليحون، فانقطع أثرهم من البحيرة إلى اليوم، وصاروا مُطَرَّدِين فى قبائل العرب نحوًا من أربعين سنة.

وكان كلٌّ من بالحضرة يُفنِّد رأى الوزير فى تجهيز العساكر إليهم ويحكمون بأنهم لا يفارقون إلى البحيرة، فجاء الأمر بخلاف ظنهم.

ثم إن الوزير رأى أن فى إقامة العساكر فى أعمال البحيرة كلفةً كبيرة، فأرسل إلى بنى سنبس، وكانوا بالدَّارُوم، وفلسطين، وقد ثقلت وطأَتهم هنالك وصَعُب أمرهم، فعدَّى بهم إلى البحيرة، وهم أعداء قيس، وأوطأَهم ديارهم، وأقطعهم أرضهم، فمُحى اسم بنى قرة من هناك.

وكان تجهيزه للعسكر فى شهر رمضان، وتسييرهُ لهم إلى بنى قُرّة فى مُسْتَهلّ شوال، فخطّأَه الناس فى فعله، وقالوا: لم يجرِّدْ عسكرٌ قطْ فى شوال، فظنوا أنه لا يؤمن على العسكر أن ينهزم وينكسر.

وكان شمس الدولة زمام الأتراك والقيصرية، وإليه زمّ القصور والخدمة فى الرسالة،

Marfat.com

وليس أحد فى الدولـة يجـرى مُجْـراه جلالـة وتقدُّمـا، بينـه وبـين الوزيـر مباينـة شـديدة ويتربص به الدوائر، ويغتال له الغوائل، فكان ينتظر إنهزام العسـكر ليقبـض عليـه، فلمـا أراد العسكر أن يسير من الجـيزة، ومقدَّمـهُ نـاصر الدولـة، قـرر معـه لقـاءهم فـى اليـوم الخامس من شوال بطالع يخبره به، وسيّر معه عدّة طيور مـن الحمـام ليطالعـه بمـا يكـون يومًا بيوم.

فلما كان فى ذلك اليوم، وهو يوم خميس، جلس فـى داره وقـد اشـتد قلقـهُ، وكثُر اهتمامه بما يكون من العسكر؛ واحتجب عن الناس لشُغْل سره، وجلـس ينتظـر الطـائر، فلم يزل كذلك إلى السَّاعة الخامسة من نهاره، فقام ليجدّد طهـارة، فعـبَرَ البُسـتان وقـد أُطلق الماءُ فى مجاريه، فرأى ورقة تمرّ على وجه الماء، فأَخذها مُتفائلاً بهـا، فوجدهـا أوَّل كتاب كان قد وصل من القائد فضل إلى الحاكم بـأمر اللـه، قـد ذهبـت طُرّتـهُ وعنوانـه وبقى صدرهُ، وهو: «كتب عبد مولانا الإمام الحاكم بأمر الله أمـير المؤمنـين مـن المخيـم المنصور فى الساعة الخامسة من نهار الخميس الخامس من شـوال، وقـد أظفـره اللـه عـز وجل بعدُوّ الله تعالى، وعدو الحضـرة المطهـرّة، أبـى ركـوة المخـذول، وهـو فـى قبضـة الأسارى والحمد لله رب العالمين».

فلما وقف على ذلك سجد شكرًا لله تعالى، وعجب من موافقة اليوم، وعدّة الأيـام من شوال، والإعلام بالظفر، ثم تجهَّز للصلاة، فلمـا فـرغ حتـى سـقط الطـائر بانكسـار بنى قرة وانهزامهم، وما مَنَّ الله تعالى به من الظفر بهم، فأخذ الكتاب والطـائر وركـب إلى القصر، ودخل إلى المستنصر وأَوقفه على الكتاب، فسرّ بذلـك، وأراه الطير، وقـال: هذا أعجب يا أمير المؤمنين، وحدثه بحديثه، فعجب من هذا الاتفاق.

ثم تواصلت رسُلُ ناصر الدولة بالبُشْـرى وشَـرْح الحـال فـى الظفـر وانهـزام القـوم، فخُلع على الوزير، وزيد فى ألقابه الناصر للديـن، غيـاث الديـن، فتـمّ لـه النظـر وقـوى أمره، وذلّ مَنْ كان يُعاديه، فجرى على عادته فى العفو والمجاملة.

وكان أهل جزيرة صقلية قد خالفوا الدولة غير مرّة، لِمَـا فيهـم مـن الشَّـرّ والغِلْظـة، وطردوا الولاة، وصار إليهم المعزُّ ابـن بـاديس، فملّكـوه عليهـم وقـد خـرج عـن طاعـة الدولة، فأساءَ السيرة فيهم، وثَقُل عليهم، فوثبـوا عليـه وأخرجـوه منهـا، وكـاتبوا ملـك الروم، فسار إليهم بطريق كبير، فولّوْه أمرهم مُدَّة، ثم وثبوا به وأخرجوه عنهـم، وبعثـوا إلى الحضرة يسألون إقالة عثرتهم والعفو عنهم ويسألون إيفَـادَ والٍ، وكـان بصقليـة بنـو أبى الحسين، لهم رئاسة وفيهم من يؤهل نفسه لولايتها، فسارت الخلع إلى رجـل منهـم يعرف بمستخلص الدولة، فمكث فيهم زمانًا، ثم نفروا منه، وبعثوا يسألون تغييره عنهم،

Marfat.com

فسير الوزير رَجُلاً من أُمراءِ الدولة يعرف بصَمْصَام الدولة ابن لؤلؤ، وأَسَرَّ إليه أن يتلطّف فى إخراج بنى أبى الحسين من صِقِلية ويسيّرهم إلى الحضرة، فدخل إليها، وَسَاسَ أَمْرَه، حتى بعث بجميع مَنْ كان فيها من بنى أبى الحسين، واستقام الأمر فى صِقلّية بخروجهم عنها.

وقام ببلاد اليمن رجل يعرف بعلىّ بن محمد الصُّلَيْحى يَتَشَيع، فحسّن له الدعاة الدخول فى نصرة خلفاء مصر، فأَعلن ذلك بها، ودعا أهل اليمن إليها، وحمل تجارتهم مع هدية جليلة القدر تبلغ زُهاء عشرة آلاف دينار إلى المستنصر، وكان أبوه قاضيًا باليمن سُنِّىَّ المذهب، وزوجته أسماء ابنة عمّه شِهاب، وكانت أجمل خلق الله، وهى أُم الدّعاة باليمن، وعُرِفَت بالحرّة، وكانت ذات عزٍّ وكرم، وتفاخرَ بنُوها بها، ومُدحت.

وكان باليمن الدّاعى عامر بن عبد الله الرَّوَاحى، فاستمال أبا الحسن علىّ بن محمد ابن على الصُّلَيْحى، وهو صغير، حتى مال إليه، فلما مات عامر أَوصى له بكتبه وعلومه، فدرسها حتى تضلع من معارفه وصار من فقهاء الشيعة، وحج بالناس دليلاً خمس عشرة سنة، ثم ثار فى سنة تسع وعشرين وأربعمائة، وتزايد أمره، ودعا للمستنصر، وكتب إليه بما هو عليه، واستأذنه فى المسير إلى تهامة، فأذن له، ولم تخرج سنة خمسين وأربعمائة حتى ملك السهل والجبل والوعر من بلاد اليمن.

وجهز الوزير إلى النُّوبة، فأَضعَفَ عليهم البقط، وحملوه، واستقر الأمر على ذلك.

سنة أربع وأربعين وأربعمائة

فيها كتبت ببغدادُ محاضر تتضمن القدح فى نسب الخلفاء المصريين ونَفْيَهم من الالتحاق بعلى بن أبى طالب، رضى الله عنه؛ وجُمعَ سائرُ أعيان الفقهاء ببغداد وأَشرافها وقضاتُها، وعَزَوْا نسبهم فى الدَّيْصَانية من المجوس. وسُيرت المحاضر إلى البلاد، وشُنِّع عليهم تشنيعًا كبيرًا، وسبب ذلك الغضب ما عُمِل مع الرَّسُول المرْسَل من المعز ابن بَادِيس، فإنه لما شُهِّر بالقاهرة على جمل مقلوب، وكتاب العقد فى عنقه والهدية بين يديه، ثم أُحرقت الخلع والتقليد، أُعِيدَ الرسول إلى ملك الروم؛ فعزَّ عليه ما فعل واعتذر إليه منه؛ فإنه كان قد ضمن له من مصر إعادته إليه سالمًا بعد ما جرت مخاطبة فى طلبه، ثم أعاده ملك الروم إلى بغداد، فوصل فى سنة أَربع وأَربعين هذه.

وسببُ عَوْدِه أَنَّ المعزَّ بن باديس بعث رسوله أبا القاسم بن عبد الرحمن إلى بغداد فى ذلك، فبعث معه الملك طُغْرِلْبك، أبا على بن كبير ليخاطب ملك الروم فى رد أبى غالب، وكتب معه كتابا عنوانه: «من ركن الدين وغياث المسلمين، بهاء دين

Marfat.com

الله وسلطان بلاد الله، ومغيث عباد الله، أبى طالب يمين الخليفة أمير المؤمنين إلى عظيم الروم»، ومضمونه بعد البسملة: «الحمد لله القاهر سلطانهُ، الباهر برهانُه، العلى شأنُه، السابغ إحسانُه»؛ ثم مر فيه إلى أن قال: «وقد نَجَمَ بمصر منذ سنين ناجمُ ضلالةٍ يدعو إلى نفسه، ويغترُّ بمن أغواه من حزبه، ويعتقد من الدِّين ما لا يستجيزه أحد من أهل العلم فى الأئمة الأوَل وهذا العصر، ولا يستحسنه عاقل من أهل الإسلام والكفر»، ثم ذكر الرسول أبا غالب وعاتَب فى أمره، وطلب تسييرهُ مخفورا إلى المعز بن باديس، فقدم إلى قسطنطين، متملِّك الروم، بالقسطنطينية [1] فى صفر من هذه السنة، فتلقاه الملك وأدخله عليه، وسأله عن السلطان طُغرلْبك؛ فذكر له الرسالة، وطلب منه مقاطعة صاحب مصر، وإطلاَقَ أبى غالب، وإرْسال رسول المعزِّ إليه، فقال له: صاحب مصر مجاور لنا، وبيننا وبينه عهود وهدنة، وقد بقى منها سنتان، ولا يمكن فَسْخُها؛ وأما رُسُل المعزَّ والرسل إليه فهم قوم يسعَوْن فى الفساد. وتردَد القول إلى أن أطلق أبا غالب وأجازه إلى المعز، وعاد أبو على ورفيقه إلى بغداد فى بقية السنة.

وفيها قصر مد النيل[2]، ولم يكن فى المخازن السلطانية شىء من الغلال، فاشتدت المسغبة بمصر، وكان لخُلُو المخازن السلطانية من الغلال سبب، وهو أن الوزير اليازُورى[3] لما تقلَّد وظيفة قاضى القضاة فى وزارة أبى البركات الجرجرائى كان ينزل إلى الجامع بمصر فى يومى السبت والثلاثاء من كل جمعة، فيجلس فى الزيادة منه للحكم، على رسم مَنْ تقدمه من القضاة، وإذا أقبل العصر طلع إلى القاهرة. وكان فى كلِّ سوق من أسواق مصر على أرباب كل صنعة من الصنائع عريف يتولى أمورهم؛ وكانت عادة أخْبازِ مصر فى أزمنة المسغبة متى بردت لا يُرجع منها إلى شىء لكثرة ما تُغَشُّ به. وكان لعريف الخبَّازين دكان وكان يبيع الخبز، وبمحازاته دكان لصُعْلوكٍ يبيع الخبز أيضا، وكان سِعْرهُ يومئذ أربعة أرطال بدرهم وثمن، فرأى الصعلوك أن خبزه قد

---

(١) القسطنطينية. انظر: معجم البلدان ٤/٣٤٧، ٣٤٨.

(٢) مد النيل: كانت زيادة النيل فى هذه السنة سبع عشرة ذراعًا وخمس أصابع، وهذا ليس قصورًا. انظر: النجوم الزاهرة: ٥/٥٤.

(٣) الوزير اليازورى:- الحسن بن على بن عبد الرحمن، أبو محمد اليازورى (...-٤٥٠هـ=...-١٠٥٨م.) وزير، الدهاة .. ولد فى يازور (من قرى الرملة بفلسطين) وإليها نسبته. سكن الرملة، وولى الحكم فيها. واتصل بالمستنصر الفاطمى، صاحب مصر سنة ٤٤٢هـ وجعله قاضى القضاة ولقب بسيد الوزراء. وهو الذى دبر فتنة البساسيرى وأثاره على العباسيين. واستمر فى الوزارة إلى أن قبض عليه المستنصر بوشاية وقتله. ولمعاصرنا عمر الصالح البرغوثى كتاب «الوزير اليازورى -ط» فى سيرته. انظر: الإشارة إلى من ناب الوزارة ٤٠-٤٥ والأعلام ٢/٢٠٢.

Marfat.com

كاد يبرد، فخاف من كساده، فنادى عليه أربعة أرطال بدرهم ليرغّب الناس فيه؛ فمال إليه الزبّون فاشتروْا خبزه لأجل تسَمُّحِه بثمن درهم؛ وبار خبز العريف، فغضب ووكل به عونين من الحسبة(١) أغْرمَاه دراهم، ووافق ذلك نزول قاضى القضاة إلى الجامع، فاستغاث به، فأمر بإحضار المحتسب وأنكر ما فعله؛ واعتذر بأن هذا من العريف وأنه لم يتحقق باطن الحال، فأمر القاضى بصرف ذلك العريف وأن يُغَرَّم ما أخذ من الخباز؛ والتفت إلى صاحب ديوانه، وقال: ما معك فادفعه إلى هذا الخباز، فناوله قرطاسا فيه ثلاثون رباعيا، فكاد عقله يطير فرحا. وعاد فنادى على الخبز خمسة أرطال بدرهم، فمال إليه الناس، وهو ينادى بزيادة رطل برطل، إلى أن بلغ عشرة أرطال بدرهم. وانتشر ذلك فى البلد جميعه، وتسامع الناس به فتسارعوا إليه، فلم يبق فى البلد خباز حتى باع عشرة أرطال بدرهم.

وكانت العادة أن يُبْتَاع فى كل سنة غلّة للسلطان بمائة ألف دينار ويحمل متجرًا(٢)، فلما عاد القاضى إلى القاهرة مثل بحضرة الخليفة وعرفه ما مرَ به فى يومه من إرخاص السعر بغير موجب، وقال: يا مولانا، إن المتجر الذى يُقَام بالغَلّة فيه مضرة كبيرة على المسلمين، وربما انحطّ السّعر عن مشتراها فلا يمكن بيعها، فتتغير فى المخازن وتتلف، وأنه يقام متجر لا كلفة على الناس فيه، ويفيد أضعاف فائدة الغلّة، ولا يُخْشى عليه من تغيُّرٍ فى المخازن ولا انحطاطِ سعرٍ؛ وهو الخشب والصابون والحديد والرصاص والعسل وما أشبه ذلك، فأمضى الخليفة ما رآه، وبطل المتجر فى الغلة وتوسع الناس بذلك.

سنة ست وأربعين وأربعمائة

فيها أيضا قصر مد النيل (٣)، ونزع السعر، ووقع الوباء. ولم يكن فى المخازن السلطانية إلاّ ما ينصرف فى جرايات مَنْ فى القصور ومطبخ الخليفة وحواشيه لا غير، فورد على الوزير مِنْ ذلك ما أهمه. وصار سعر التليس ثمانية دنانير، واشتد الأمر على

---

(١) الحسبة :- الحسبة وظيفة دينية فى أساسها مدنية اجتماعية فى طبيعة اختصاصها إذ كان المحتسب يشرف على أرباب الحرف والمعايش ليطمئن على سلامة قيامهم بوظائفهم، وعلى الحمالين رفقًا بالحيوانات، وعلى الطرق يمنع من المضايقة فيها، وعلى مكاتب الصبيان ليحذر المعلمين من ضرب الصبيان ضربا مبرحا، وعلى المكاييل والموازين، وعلى الآداب العامة ...إلخ. وللمحتسب معاونون يختارهم ويقومون منه مقام رجال الشرطة أحيانا لمراقبة تنفيذ أوامره ولمؤاخذة المخالفين.

(٢) المتجر - كما يعرفه ابن مماتى - ما يبتاع للديوان من بضائع التجار الواردين مما تدعو إليه الحاجة وتقتضيه فى طلب الفائدة والمصلحة. انظر: قوانين الدواوين ٣٢٧.

(٣) مد النيل: كان الفرق بين الزيادة فى هذا العام وفى عام ٤٤٤هـ إصبعًا واحد، إذ كانت الزيادة سبع عشرة ذراعا وأربع أصابع، ومرة أخرى هذا لا يعد قصورًا.

الناس. وكان التجار بين نار المعامِلين وضيق الحال عليهم فى القيام للدّيوان بما يجب عليهم من الخراج، ومطالبة الفلاحين بالقيام به، يبتاعون منهم غلاتهم على أن يصبروا عليهم إلى حين إدراكه بسعر يربحون فيه، فإذا استقرت مبايعتهم لهم حَضرُوا معهم للدّيوان، وقاموا عنهم للجند بما يجب عليهم، وكتب ذلك فى روزنامج الجند مع مبلغ الغلة، فإذا أدركت الغلة وصارت فى الأجران يكتالُونها ويحملونها إلى مخازنهم، فمنعهم الوزير من ذلك، وكتب إلى العمال بجميع النّوَاحى أن يستعرضوا روزنامجات الجهابذة[1]، ويحضروا منها ما قام به التجار من المعاملين، ومبلغ الغلة الذى رفع الإيقاع إليه، وأن يقدموا للتجار ما وزنوه للديوان ويُرْبحُوهم فى كل دينار ثمن دينار؛ ويضعوا ختومهم على المخازن ويطالعوا ما يَحْصُل تحت أيديهم بها، فلما تحصَّلت بالنواحى جهَّز المراكب بحمل العلات، وأودعها المخازن السلطانية بمصر، وقرر ثمن كلّ تلّيس ثلاثة دنانير بعد أن كان ثمانية دنانير. وسلم إلى الخبازين ما يبتاعونه لعمارة الأسواق ووظّفَ ما تحتاج إليه القاهرة ومصر، فكان ألْفَ تلّيس فى كل يوم، لمصر سبعمائة وللقاهرة ثلاثمائة، فقام بالتدبير أحسن قيام مدة عشرين شهرا، حتى أدركت الغلة فتوسع الناس بها، وزال عنهم الغلاء. وكان عند استقرار الهدنة مع قسطنطين ملك الروم، فى أيامِ وزارة أبى نصر الفلاحى، قد وصل رسولان أحدُهما هو المتكلم المترجم، وكان داهيَة أديبا شاعرا نحويا فيلسوفا وُلد بالرّوم[2] ونشأ بأنطاكية، ودخل العراق، ولقن من العلوم والآداب ما بعُدَ به صيته، وكان يعرف بابن اسطفانوس؛ والآخر متحمل الهدية، وهو صاحب حرب يُعرف بميخائيل، فرأيا من حسن زى الدولة وجميل سيرتها ما أعجبا به، لاسيما ميخائيل، فإنه أطربه ما رأى وحَسُن موقعه فى نفسه. وسارا وقد امتلأت قلوبهما بمحبة ما شاهداه، فاتفق ملك الروم وتمليك ميخائيل هذا، فبلغه ما بمصر من الغلاء، فحمل إليها مائة ألف قفيز قمحا، وقدم كتابه أمامها يعين الغلة والكيل الذى تستوفى به إذا وصلت؛ فانتهت إلى أنطاكية. وأعد هدية الهدنة على ما جرت به العادة، وهدية من ماله، فلما رأى الروم ذلك ظنوا به الميل إلى الإسلام، فقتلوه فى ثامن شوال، فكانت مدة ملكه اثنتى عشرة سنة وسبعة أشهر، وعمره أربع وخمسون سنة وشهر واحد. وأقاموا رجلاً يعرف بابن سقلاروس من أهل أنطاكية، وكان لجوجا خبيثا حديدًا، فاعترض الهديتين وأخذهما، وقال: أنا أنتفع بهما وأنفق ثمنهما على قتال

---

(١) الجهابذة: جمع جهبذ وهو كاتب يختص برسم استخراج المال وقبضه وكتب الوصولات به، وعليه عمل المخازيم والختمات وتوليها، ويطالب بما يقبضه ويخرج ما يرفعه من الحساب اللازم له. انظر: قوانين الدواوين ٤٠٣.

(٢) الروم : بلاد واسعة يضاف إليها جبل معروف. انظر: معجم البلدان ٣/٩٧-١٠٠.

Marfat.com

المسلمين. وكان للوزير بالقسطنطينية عيون، فكتبوا إليه بذلك، فسير مكين الدولة الحسن بن على بن ملهم الكتامى إلى اللاذقية(١) فى عسكرٍ لحصارها والتضييق على مَنْ فيها؛ فحاصرها حتى اشتد على مَنْ فيها الأمر، فكتب ابن سقلاروس، متملك الروم، إلى الحضرة يستوضح ما الذى أوجب ذلك؛ فأجيب أن الذى أوجبه ما كان قد فَعَله فى نقض ما استقر مع مَنْ تقدمه من الهدنة، وقبض الهديَّة، والهدية التى ليست من ماله، فأجاب بأنه يحمل الهدية، فاشتُرِط عليه إطلاقُ مَنْ فى بلاد الروم الأسرى، فأجاب بأنه إذا أُطْلِق مَنْ لهم فى بلاد الإسلام من أسرى الرَوم أُطْلَق من فى بلاد الروم من أسرى المسلمين، فأجيب بأنه لا يصح التماسه لذلك، لأن من أسر من بلاد الروم تفرقوا فى الممالك بالعراق والدولة الفاطمية والمغرب واليمن وغير ذلك، ولا حكم للحضرة على جميع الممالك، ويرتجع منها ما صار فى أيدى أهلها؛ وبلاد الروم بخلاف ذلك، ومن حصل فيها من المسلمين كَمَنْ هو مُعْتقلٌ فى دار واحدة لا يمكنه الخروج منها إلا بإذن أهلها؛ وبين الحالَيْن فرقٌ كبير، فأجاب بأنه لا يطلق مَنْ فى بلاده من أسرى المسلمين، فاشترِط عليه النزول عما صار فى أيدى الروم من الحصون الإسلامية؛ فامتنع عن ذلك وقال: إذا سُلم إلينا ما صار فى أيدى المسلمين من حصون الروم سَلّم ما فى أيديهم من حصون المسلمين، فبدل بالجيش جيشًا آخر، وخرج مع مقدّمه الأمير السعيد ليث الدولة، فنازل اللاذقية حتى فتحها، ووقع العنفُ فيها، وأجيب بأنه لا يصح أن يسلّم إليهم ما صار فى أيدى المسلمين من الحصون لأنهم قد أنبتوا فيها العقارات وأنشئوا فيها البساتين، فقال: يدفع لهم عن أملاكهم وما أنشئوه من البساتين وغيرها، وما أنفقوه فيها، وينتقلون عنها إلى غيرها من بلاد المسلمين، فأجابوا: إلى أن يسلموا ما فى أيديهم من الحصون الإسلامية.

وكانت العادة جارية بأنه إذا وصلت هدية من الروم إلى الحضرة تقوَّم ويحمل إليهم هدية موضعها بثلثى قيمتها، ليكون للإسلام مزية عليهم بالثلث؛ فاشترط أن يكون قيمة ما يُحمل إليهم من الهدية عوضا عن قيمة هديتهم النصف؛ فأجيبوا إلى ذلك أيضا، فاشترط عليهم أن يردوا كل من تضمه دار البلاد، التى هى دار الملك ومحله؛ فامتنع عن ذلك، فأمد الجيش بجيش ثالث وعليه أميران، هما موفق الدولة حفاظ بن فاتك وأبو الجيش عسكر بن الحلى، ومقاد جميع الجيش إلى الأمير مكين الدولة وأمينها ابن ملهم، فأوغلوا فى بلاد الروم ينهبون ويقتلون ويأسرون حتى أعظموا النكاية فيها، والرسل

---

(١) اللاذقية: مدينة فى ساحل بحر الشام تعد فى أعمال حمص وهى غربى حبلة بينهما ستة فراسخ. انظر: معجم البلدان ٥/٥٠، وفى الروض المعطار اللاذقية: فى آخر بلاد الشام الساحلية وبقرب أنطاكية ووراء القسطنطينية، والبحر منها غربًا. انظر: الروض المعطار ٥٠٧.

والمكاتبات تتردد، إلى أن استقر القيام بالجزية التى التمسها أمراء البلاط، وجهزت الهدية. وبلغت الجزية المذكورة نيفا وثلاثين ألف دينار. وحمل ذلك إلى أنطاكية؛ فبلغهم قتل الوزير، فأعيدت إلى القسطنطينية، وزينت بلاد الروم لموته، وكثر ابتهاجهم بما صرف عنهم من خشونة جانبه عليهم، وشدة شكيمته.

وأما ابن ملهم فإنه لما أوغل فى بلاد الروم وقارب أفامية وجال فى أعمال أنطاكية نهب وسبى، فقدمت من القسطنطينية قطائع يقال إن عدتها ثمانون قطعة، فكانت بينها وبين ابن ملهم حروب آلت إلى أن أسر هو وجماعة من أعيان العرب فى آخر ربيع الآخر.

وفيها استُدْعىَ راشد بن عليان بن سنان، أمير الكلبيين، فاعتُقل بالقاهرة، وردّت إمارة بنى كليب لنبهان القريطى. وقبض على إقطاع راشد وأخيه مسمار، وهو مقيم بظاهر دمشق، ففرَ إلى غالب بن صالح، فكتب المستنصر إلى ثَمَال ينكر عليه تسيير هدية إلى ملك الروم، فتحير فى أمره واعتذر.

سنة سبع وأربعين وأربعمائة

فيها سير المستنصر إلى كنيسة قمامة، فاحتاط بجميع ما فيها؛ وذلك أن القاضى أبا عبد الله القضاعى(١) كان قد توجه من عند الخليفة برسالة إلى متملك الروم، فقدم وهو بالقسطنطينية رسول السلطان طغرلبك بن سلجوق يلتمس من الملكة تيودورا(٢) أن تمكن رسوله من الصلاة فى جامع قسطنطينية، فأذنت له فى ذلك، فدخل إليه وصلّى به، وخطب للخليفة القائم بأمر الله العباسى، فبعث القضاعى بذلك إلى المستنصر، فأحاط بما فى قمامة وأخذه، وأخرج البطرك منها إلى دار مفردة؛ وأغلق أبواب كنائس مصر والشام، وطالب الرهبان بالجزية لأربع سنين، وزاد على النصارى فى الجزية، وكان هذا ابتداء فساد ما بين الروم والمصريين.

---

(١) أبو عبد الله القضاعى: (...-٤٥٤هـ. ...-١٠٦٢م.) محمد بن سلامة بن جعفر بن على بن حكمون، أبو عبد الله، القضاعى: مؤرخ، مفسر، من علماء الشافعية. كان كاتبا للوزير الجرجرائى (على بن أحمد) بمصر، فى أيام الفاطميين، وأقام قليلا فى القسطنطينية، وتولى القضاء بمصر وتوفى فيها. من كتبه «تفسير القرآن» عشرون مجلدًا و«تواريخ الخلفاء» و«دستور معالم الحكم - ط». من كلام الإمام على بن أبى طالب. انظر: وفيات الأعيان ٤٦٢/١ وآداب اللغة ٣٢٣/٢، والوافى بالوفيات ١١٦/٣، والأعلام ١٤٦/٦.

(٢) تيودورا : ملكة الروم، إمبراطورة بيزنطة.

Marfat.com

وفيها تجمع كثير من التركمان بحلب وغيرها، وأفسدوا فى أعمال الشام(١).

وفيها تزايد الغلاء، وكثر الوباء، وعم الموتان بديار مصر.

وفيها سار مكين الحسن بن على بن ملهم من القاهرة بالعساكر؛ ونودى فى بلاد الشام بالغزو والجهاد. واستدعى راشد بن عليان بن سنان إلى القاهرة، وقُرر معه أن يسير فى قومه الكلبيين مع ابن ملهم، ثم قبض عليه. وعقدت إمارة الكلبيين لنبهان، وقيل لسنان، فنزل ابن ملهم أفامية، ثم سار إلى حصن قسطول(٢) فحصره عشرين يوما حتى أخذه بالأمان، فى ثامن ربيع الأول سنة سبع وأربعين. وعاد إلى أفامية فحصرها ورماها بالمجانيق، فطلبوا الأمان على أن يرحل عنهم؛ فلما رحل أحرقوا القلعة وانهزموا، فلحقهم وقتلهم، وأطفأ النار من القلعة، وأغار على البلاد؛ فلم يكن بأنطاكية من يذود عنها، وجمع كل طامع فى النهب بحجة ابن ملهم. وتوسط ثمال بن صالح للصلح، فلم يتم. وسيرت الملكة تيودورا أسطولا إلى أنطاكية، فوصل اللاذقية ثمانون قطعة، وخرج دوقس أنطاكية وبطركها فى جماعة، فظفروا بشينيين(٣) للمسلمين معهما الغنائم؛ فسار ابن ملهم نحوهم، وكشف الروم إلى طرف أنطاكية، واستنقذ الأسرى منهم وقتل منهم خلقا كثيرا، فدار الأسطول إلى طرابلس(٤) وقاتلوا أهلها، فقتل من الفريقين خلائق. وعاد الأسطول الرومى إلى اللاذقية، فماتت الملكة تيودورا بعد سبع سنين من ملكها وتسعة أشهر واثنتى عشرة ليلة؛ وملك بعدها ميخائيل.

---

(١) أفسدوا فى أعمال الشام: حيث كان تجمع التركمان هذا بدءًا لعصر نفوذ السلاجقة فى تاريخ خلافة العباسيين، أدى تقدم التركمان - السلاجقة - فى اتجاه الشام إلى نتائج ومضاعفات عديدة أهمها: الاحتكاك المستمر بالفاطميين؛ وتدهور نفوذ هؤلاء بالشام؛ والتوسع الإسلامى فى آسيا الصغرى على حساب البيزنطيين؛ الصدام العنيف بين الشرق والغرب والذى اتخذ شكل الحروب الصليبية.

(٢) حصن قسطول: حصن كان بالروج من أعمال حلب. انظر: معجم البلدان ٣٤٨/٤.

(٣) شينين: والجمع شوان، مركب حربية، وكانت تعد أكبر سفن الأسطول، تقام فيها الأبراج للدفاع وتشحن بالمقاتلة. انظر: قوانين الدواوين ٣٣٩-٣٤٠.

(٤) طرابلس: جاء ذكر طرابلس فى الروض المعطار بأن هناك طرابلس من مدن إفريقية، وطرابلس أيضًا من مدن الشام، والمقصود هنا طرابلس التى بالشام لأنه ذكر أن الأسطول كان فى أنطاكية ودار إلى طرابلس وأنطاكية من بلاد الشام. وطرابلس التى بالشام: مدينة عظيمة، عليها سور صخر منيع، ولها رساتيق وأكوار وضياع جليلة، وهى معقل من معاقل الشام، والبحر محدق بها من ثلاثة أوجه، وتضاف إليها عدة قلاع وحصون داخلة فى أعمالها، وحول مدينتها أشجار الزيتون. انظر: الروض المعطار ٣٨٩، ٣٩٠، ونزهة المشتاق ١١٧، ومعجم البلدان ٢٥/٤، ٢٦.

Marfat.com

سنة ثمان وأربعين وأربعمائة

فيها جُهِّزت الأموال لأبى الحارث البَسَاسِيرى[١]، فخرج بها المؤيد فى الله عبدالله ابن موسى، وجملتُها ألفا ألف وثلاثمائة ألف دينار، والعين ألف ألف وتسعمائة ألف دينار، والعروض أربعمائة ألف دينار.

وكان من خَبَرِهِ أنه كان من جملة المماليك الأتراك فقدم إلى بهاء الدولة بن عضُد الدولة بن بويه[٢]، رجل من أهل فَسَا[٣]، إحدى مدائن فارس، فلذلك قيل له البَساسيرى، وتنقل فى الخدم حتى صار مُقدم الأتراك ببغداد[٤] فى أيام الخليفة القائم بأمر الله أبى جعفر[٥] عبد الله بن أحمد القادر، وتلقب بالمظفر. وكان القائم لا يقطع أمرًا دونه، فطار اسمه وتهيبته أمراء العرب والعجم، ودعى له على منابر العراق والأهواز[٦]، وتجبر. وأراد فى سنة ست وأربعين من الخليفة أن يسلم إليه أبا الغنائم وأبا سعد ابنى المحلبان، صاحبى قريش بن بدران[٧] صاحب الموصل[٨]، فلم يمكنه من

---

(١) أبو الحارث البساسيرى: (...-٤٥١هـ. ...-١٠٦٠م.) أرسلان بن عبد الله، أبو الحارث البساسيرى: قائد، ثائر، تركى الأصل. كان من مماليك بنى بويه، وخدم القائم العباسى فقدمه على جميع الأتراك ببغداد وقلده الأمور بأسرها وتلقب بالمظفرٌ ثم خرج على القائم وأخرجه من بغداد، وخطب للمستنصر الفاطمى صاحب مصر سنة ٤٥٠هـ .ولم يثق به المستنصر وتغلب عليه أعوان القائم فقتلوه، وكانت ببغداد محلة كبيرة تنسب إليه. انظر: النجوم الزاهرة ٢/٥، ٦٤ ووفيات الأعيان ٦١/١ والأعلام ٢٨٧/١، ٢٨٨.

(٢) عضد الدولة بن بويه : بهاء الدولة أبو نصر فيروز بن عضد الدولة أبى شجاع خسرو بن ركن الدولة أبى على حسن؛ حكم فى العراق بين سنتى (٣٧٩-٤٠٣هـ - ٩٨٩-١٠١٢م) وضم فارس سنة ٣٨٨هـ (٩٩٨م).

(٣) فسا بالباء المفتوحة، وبالفاء أيضا. والنسبة إليها فسوى، وأهل فارس يقولون فى النسبة إليها - شذوذا - سيرى. انظر: معجم البلدان : ١٦٧/٢، والنجوم الزاهرة ٢/٥.

(٤) بغداد: انظر: الروض المعطار ١٠٩، ١١٢، ومعجم ما استعجم ٢٦١/١، وابن حوقل ٢١٥، والكرخى ٥٨، وتاريخ بغداد ٢٥/١، ١٢٧، ومعجم البلدان ٣٥/١.

(٥) القائم بأمر الله (٣٩١-٤٦٧هـ ١٠٠١-١٠٧٥م) عبد الله بن أحمد القادر بالله بن الأمير إسحاق بن المقتدر العباسى، أبو جعفر، القائم بأمر الله: خليفة من العباسيين فى العراق. ولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٤٢٢هـ. بعهد منه. فى أيامه كانت فتنة البساسيرى سنة ٤٥٠هـ. وأمه أرمينية. انظر: ابن الأثير حوادث سنة ٤٢٢-٤٦٧ هـ، وتاريخ بغداد ٣٩٩/٩ وفوات الوفيات ٢٠٣/١ والأعلام ٦٦/٤.

(٦) الأهواز: انظر: معجم البلدان ١٠٠/١ .

(٧) ابن بدران صاحب الموصل : علم الدين أبو المعالى قريش بن بدران بن المقلد، أمير الموصل وحلب بين سنتى ٤٤٣-٤٥٣هـ. انتزع البساسيرى منه الموصل سنة ٤٤٨هـ. انظر: الكامل ٢٠٨/٩ وما بعدها.

Marfat.com

ذلك، فسار إلى الأنبار ونصب عليها المجانيق، وهدم سورها وأخذها قهرا، وأسر أبا الغنائم ابن المحلبان(١) ومائة رجل من بنى خفاجة، وكثيرًا من أهل الأنبار. ورجع إلى بغداد وأبو الغنائم بين يديه على جمل فى رجليه قيد؛ فصلب كثيرا من الأسرى.

واتفق فى شهر ربيع الآخر من سنة سبع: وصولُ زورق فيه تمر للبَسَاسيرى، فخرج إليه ابن سكرة الهاشمى(٢) فى جماعة، فأَراقوه ونهبوا دُورَه وأَخذوا دَوَابه؛ وكان هو إذ ذاك فى نواحِي واسط، فلما بلغه ذلك نسبه إلى الوزير رئيس الرؤساء أَبى القاسم ابن المسلمة(٣)، فعظمت الوحشة بينه وبين الوزير. وسار إلى دبيس بن بدران وهو مستوحش، فوافَتْ رسل طُغْرِلْبك بنِ ميكال بن سلجوق إلى الخليفة القائم بإظهار الطاعة، فتقرر الأمر مع الملك الرحيم خُسْرو فَيْروز بن أَبى كَالِيجَار الْمَرْزُبَان بن سلطان الدولة أَبى شجاع، على أَن يخطب لُطْغرلْبك ببغداد؛ فخطب له لثمانٍ بقين من شهر رمضان منها.

ثم إِنه قدم إلى بغداد وقبض على الملك الرحيم وعلى جماعةٍ، ثم بعث به إلى قلعة

---

(٨) الموصل: مدينة مشهورة؛ إحدى قواعد بلاد الإسلام. انظر: معجم البلدان ٥/٢٢٣، ٢٢٥، وفى الروض المعطار الموصل: فى الجانب الغربى من دجلة وسميت بهذا الاسم لأنها وصلت بين الفرات ودجلة، وشرب أهلها من ماء دجلة، وبساتينها قليلة، وضياعها ومزدرعاتها ممتدة، وأبنيتها بالجص والحجارة، ولها رساتيق عظيمة وكور كثيرة. انظر: الروض المعطار ٥٦٣، ٥٦٤، ونزهة المشتاق ١٩٩.

(١) ابن المحلبان: وكان قد ألقى نفسه فى الفرات تجنبًا للوقوع فى الأسر، ورجع به إلى بغداد وعليه قميص أحمر وعلى رأسه برنس. انظر: الكامل ٩/٢٠٩.

(٢) ابن سكرة الهاشمى (...-٥١٤هـ ...-١١٢٠م) حسين بن محمد بن فيرة بن حيون بن سكرة الصدفى، أبو على: قاض، محدث، كثير الرواية، من أهل سرقسطة. رحل إلى المشرق رحلة واسعة سنة ٤٨١-٤٩٠هـ. وأقام ببغداد خمس سنين واستقر بمرسية، واستقضى بها، ثم استعفى وخرج منها فارًا إلى المرية، فأقام بها، وقبل قضاءها على كره، ولما كانت وقعة قتندة بثغر الأندلس شهدها غازيا واستشهد فيها . انظر: بغية الملتمس ٢٥٣ وأزهار الرياض ٣/٥١ والأعلام ٢/٢٥٥.

(٣) أبى القاسم بن المسلمة (٣٩٧-٤٥٠هـ. ١٠٠٧-١٠٥٩م.): على بن الحسن بن أبى الفرج أحمد، أبو القاسم، المعروف برئيس الرؤساء ابن المسلمة: من خيار الوزراء علما وعدلا، واستكتبه القائم بأمر الله العباسى ثم استوزره سنة ٤٣٧هـ. ولقبه «جمال الدين شرف الوزراء، رئيس الوزراء»، واستمر إلى أن كانت فتنة استيلاء البساسيرى (أرسلان بن عبد الله) على بغداد، ودعوته للفاطميين وكان شديد البغض لابن المسلمة فقبض عليه ومثل به أفظع تمثيل ثم صلبه حتى مات، وله من العمر ٥٢سنة و٥أشهر، ومدة وزارته ١٢سنة وشهر. انظر: البداية والنهاية ١٢/٨٠، تاريخ بغداد ١١/٣٩١، والنجوم الزاهرة ٦/٦٤، والأعلام ٤/٢٧٢.

Marfat.com

السّيروان، وفر منه قريش(١)، ثم إنه خلع عليه وردّه إلى أهلـه(٢)، وأخـذ أمَـوال الأجْنَـاد البغداديين وأمرهم بالسـعى فـى طلـب الـرزق؛ فسـار أكـثرهم إلى البساسـيرى. وبعـث طغُرلْبك إلى الأمير نور الدين دبيـس بـن بـدران أن يُحْضـر إليـه البساسـيرى، فـالتزم لـه بذلكَ. وبلغ البَسَاسيرى الخبر، فسار إلى رحبـة مـالك بـن طَـوْق(٣)، وكـاتَب المسـتنصر يطلب منه الإذن له فى الدّخول إلى حضرته؛ فأشير على المستنصر بألاّ يُمَكّنه من الحضور، وأن يَعَدِه بما يرضيه، وسير إليه الخلع، فبعث يسأَل فى النّجدة، ويلتزم بـأخذ بغـداد وإقامـة الخطبة بها للمستنصر وإزالة دولة بنى العباس، وأنه يكفى فى رد طُغْرِلْبك عن قصده البلاد الشامية، فجُهزت إليه خزائنُ الأموال العظيمة على يد المؤيد فى الدين أبى نصر هبة الله بن موسى(٤) فى سنة ثمان وأربعين، حيث لم يُتْرَك فى خزائن أموال القصر شىء البتة.

وخرج خطير الملكْ محمد بن الوزير من القاهرة فى تجمل عظيم، ومعـه مـنْ كـلّ مـا يريد، حتى أخذ أحواض الخشَب وفيها الطّينُ المزرُوع فيه سـائرُ البقـول برَسْـمِ مائدتـه، ومعـه مـن خزائـن الأمـوال والأسـلحة والآلات والأمتعـة مـا يجِـلّ وصفـه، فسـار إلى

---

(١) قريش بن بدران (...-٤٥٣هـ -...-١٠٦١م): صاحب الموصل ونصيبين، وأحد الأمراء العقلاء. كان من أمراء الدولة العباسية، وله إمارة «بنى عقيل» واستمرت دولته عشر سنين، ومات بالطاعون فى نصيبين. انظر: تواريخ آل سلجوق ٢٤، وابن خلدون ٤/٢٦٧، وابن الأثير ١/٦، والأعلام ٥/١٩٥.

(٢) رده إلى أهله: حيث كان قريش قد فر بعد أن نهبه تركمان هو ومن معه من العرب ولم يطلقه التركمان إلا بعد أن أرسل الخليفة إلى السلطان يحتج على أعمال النهب والأسر ويهدد بترك بغداد. انظر: الكامل ٩/٢١٢،٢١٣.

(٣) مالك بن طوق بن عتاب التغلبى، أبو كلثوم: أمير. كان من الأشراف الفرسان الأجواد. ولى إمرة دمشق للمتوكل العباسى وبنى بمساعدة الرشيد بلدة «الرحبة»، التى على الفرات، وتعرف برحبة مالك؛ نسبة إليه، وكثر سكانها فى أيامه، وكان فصيحا، له شعر. انظر: فوات الوفيات ٢/١٤٢ ومعجم البلدان ٤/١٣٦ والنجوم الزاهرة ٣/٣٢ والأعلام ٥/٢٦٢.

(٤) المؤيد فى الدين أبى نصر هبة الله بن موسى بـن داود الشـيرازى السـلمانى، داعـى الدعـاة: مـن زعماء الإسماعيلية وكتابها. ولد وتعلم بشيراز. وكان لأبيه ،ثم له، القيام بدعوة الفاطميين فيهـا واضطر إلى مغادرتها إلى الأهواز سنة ٤٣٦هـ. وأقام مدة بمحلة المنصورة وتوجه إلى مصر فخـدم المستنصر الفاطمى وتقدم إلى أن صار إليه أمر الدعوة الفاطمية سنة ٤٥٠هـ. ثـم نحـى وأبعـد إلى الشام. وعاد إلى مصر فتوفى بها، عن نحو ٨٠ عامًـا وصلـى عليـه المسـتنصر. نسـبته إلى سـلمان الفارسى فيها أقاويل، وله تصانيف منها «السـيرة المؤيدية - ط» باسـم «سـيرة المؤيـد فـى الديـن داعى الدعاة» وفيها كثير من أخباره ومجموعة أشعاره. انظر: محمد كـامل حسـين، فـى مقدمتيـه سيرة صاحب الترجمة وديوانه، وفى الصفحة ١٩من مقدمة الديوان اختلاف المؤرخين فى اسـمى أبيه وجده، والدكتور حسين الهمدانى فى محاضرة له مطبوعة، والأعلام ٨/٧٦.

Marfat.com

القدس(١)، ورحل منها إلى اللاذقِية يريد فتحها، فلما كان فى شوال منها واقع البساسيرىَ ودبيس قريشَ بن بدران العُقَيلى صاحب الموصل وقُتْلُمُش ابن عم طُغْرِلْبك، وكان طُغْرلْبك قد سيَّره إلى سنجار(٢) فى ألفين وخمسمائة فارس، فكانت الوقعة المشهورة التى لم يفلت منها إلا مائتا فارس أو دونها. وانهزم قريش وقُتْلُمُش، واستولى البَسَاسِيرى ودبيس على الموصل وأقاما بها الدعوة للمستنصر، وكتبا إليه بذلك؛ فسيرت إليهما الخلع ولجماعة أمراء العرب.

وعُمِل الشّعر فى هذه الواقعة. فمن مليح ما قيل لابن حيوس(٣):

عجبت لمدعى الآفاق ملكا ... وغايتُه ببغداد الركود
ومن مُستَخلَفٍ بالْهُون يرضى ... يذاد عن الحياض ولايذود
وأعجبُ منها شعبُ بمصر ... تقام له بسنجار الحدود

وبلغ ذلك طُغْرلْبك، فسار يريد الموصل حتى بلغ نَصِيبين(٤)، فأوقع بالعرب وألقاهم

(١) القدس: انظر: معجم البلدان ٢٣٩.

(٢) سِنْجَارُ: بكسر أوّله. وسكون ثانيه ثمّ جيم، وآخره راء: مدينة مشهورة من نواحى الجزيرة. بينها وبين الموصل ثلاثة أيام. وهى فى لحف جبل عالٍ، ويقولون: إن سفينة نوح، عليه السلام، لما مَرّت به نَطَحَتْه فقال نوح: هذا سنّ جبل جار علينا، فسميت سنجار. وقال ابن الكلبى: إنّما سميت سنجار وآمد وهيت باسم بانيها، وهم بنو البَلَنْدَى ابن مالك بن دُعْر بن بُوَيب بن عنقاءَ بن مدين بن إبراهيم عليه السلام، ويقال: سنجار دُعر نزلها. قالوا: ودعر هو الذى استخرج يوسف من الجُبّ وهو أخو آمد الذى بَنى آمد وأخو هيث الذى بَنى هيت، وذكر أحمد بن محمد الهمذانى قال: ويقال إن سفينة نوح نطحت فى جبل سنجار بعد ستة أشهر وثمانية أيام من ركوبه إيّاها فطابت نفسه وعلم أن الماء قد أخذ يَنْضُب فسأل عن الجبل فأخبرَ به، فقال: ليكن هذا الجبل مباركًا كثير الشجر والماء! ثم وقفت السفينة على جبل الجوُدَى بعد مائة واثنين وتسعين يومًا فبنى هناك قرية سماها قرية الثمانين لأنّهم كانوا ثمانين نفسًا، وقال حمزة الأصبهانى: سنجار تعريب سنكار، ولم يفسره، وهى مدينة طيبة فى وسطها نهر جار وهى عامرة جدًا، وقدّامها واد فيه بساتين ذات أشجار ونخل وتُرُنْج ونارنج، وبينها وبين نصيبين ثلاثة أيام أيضًا، وقيل: إن السلطان سنجر بن ملك شاه بن ألب أرسلان بن سلجوق ولد بها فسُمّى باسمها. انظر: معجم البلدان ٥/١٤٤، ١٤٦، والروض المعطار ٣٢٦، ومعجم ما استعجم ٣/٧٦٠، وآثار البلاد ٣٩٣.

(٣) ابن حيوس: (٣٩٤ - ٤٧٣هـ = ١٠٠٣ - ١٠٨١م) محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس، أبو الفتيان، الأمير الشاعر؛ أحد شعراء الشام المجيدين؛ مات بدمشق سنة ٤٧٣هـ. بجاوزًا الثمانين:- انظر: النجوم الزاهرة ٥/فى مواضع متعددة، والأعلام ٦/١٤٧، ووفيات الأعيان ٢/١٠.

(٤) نصيبين: مدينة فى ديار ربيعة العظمى، وهى من بلاد الجزيرة بين دجلة والفرات، وهى قديمة عظيمة كثيرة الأنهار والجنات والبساتين، ولها نهر عظيم يقال له الهرماس عليه قناطر حجارة،-

Marfat.com

بين يدى الفيلة، فقتلهم شر قتلة. وبعث إليه دبيس وقريش بالطاعة فقبل منهما. وسار إلى ديار بكر؛ وجهز أخاه داود إلى الموصل، فتسلمها وعاد إلىبغداد.

سنة تسع وأربعين وأربعمائة

فيها تَسلّم مكينُ الدولة بن مُلْهم من ثَمالَ بن صالح مدينة حلب فى آخر ذى القعدة، وانكفت أيدى التركمان عنها، وأقيمت خطبة المستنصر فيها وقطعت خطبة القائم؛ وذلك بعد حروب عظيمة. وكان دخول ابن مُلْهَم حلب يوم الخميس لثلاث بقين من ذى القعدة، فبقى على ملكها أربع سنين.

وفيها قدم كتاب من بخارى(١) أنه وقع بها وباء عظيم حتى هلك من ذلك الإقليم ألف ألف وستمائة ألف وخمسون ألف إنسان، وخلت الأسواق، وأُغلقت الأبواب. وتعدى الوباء إلى أذربيجان(٢) فالأهواز والبصرة وواسط(٣)، وعامة تلك الأعمال، فكانت الحفيرة تحفر ويُلقى فيها العشرون والثلاثون من الأموات. وكان سببه قلة

=وأهلها قوم من ربيعة من بنى تَغْلِب. وهى فى مستو الأرض، ذات سور حصين وأسواق عامرة وتجارات، وبها فعلة وصناع، وبها مياه كثيرة وعقارب قتالة. وافتتحها عياض بن غنم الفهرى فى خلافة عمر رضى الله عنه سنة ثمان عشرة، وكانت مدينة رومية، فلما افتتحها عياض أسكنها المسلمين، وهى كبيرة ونهرها الهرماس عليه بساتين وكروم، وبها مستقر الولاة. انظر: الروض المعطار ٥٧٧، ومعجم ما استعجم ١٣٣٤/٤،ومعجم البلدان ٢٨٨/٥، ٢٨٩.

(١) بخارى: من بلاد خراسان، وهو بلد واسع يشف على المدن كبرًا ومحاسن وكثرة أشجار، وهى فى مستو من الأرض وبناؤها خشب مشتبك ويحيط بهذا الخشب المشتبك فى البناء من القصور والبساتين والسكك والقرى المتصلة ما يكون طوله ستة وثلاثين ميلاً فى مثلها، وافتتح بخارى سعيد بن عثمان بن عفان فى زمن معاوية رضى الله عنه ثم خرج عنها يريد سمرقند فامتنع أهلها فلم تزل مغلقة حتى افتتحها سلم بن زياد فى أيام يزيد بن معاوية ثم انتقضت وامتنعت حتى صار إليها قتيبة بن مسلم الباهلى فى أيام الوليد بن عبد الملك فافتتحها. انظر: الروض المعطار ٨٢، ٨٣، ونزهة المشتاق ٢١٣، ومعجم البلدان ٢٠٢/١.

(٢) أذربيجان: هى كورة تلى الجبل من بلاد العراق - وهى مفتوحة الألف - وتلى كور أرمينية من جهة المغرب. انظر: الروض المعطار ٢٠، ٢١، ومعجم البلدان ٤٥/١.

(٣) واسط: مدينتان على جانبى دجلة، والمدينة القديمة فى الجانب الشرقى، وابتنى الحجاج مدينة فى الجانب الغربى، وجعل بينهما جسرًا بالسفين. قيل: سميت بواسط لتوسطها بين المصرين: البصرة والكوفة، والمدائن، بينها وبين كل واحدة منها أربعون فرسخًا، وكان بناء الحجاج واسط فى سنة ثلاث وثمانين، وبها مات سنة خمس وتسعين. انظر: الروض المعطار ٥٩٩، ومعجم البلدان ٣٤٧/٥-٣٥٣، اليعقوبى ٣٢٢، ومعجم ما استعجم ١٣٦٣/٤، ونزهة المشتاق ١٢٠، والكرخى ٥٨، وابن حوقل ٢١٤.

Marfat.com

القوت والجوع، فنبشت الأموات وأكلهم الناس. وكان الموت إذا وقع فى دار مات جميع من فيها، وكان المريض ينشق قلبه عن دم المهجة، فيخرج من فمه قطرة فيموت، أو يخرج من فيه دود فيموت. وكل دار كان فيها حمرٌ مات أهلها كلهم فى ليلة واحدة، ومن كانت امرأته حراما ماتا معًا، ومات قيمُ مسجد وله خمسون ألف درهم فلم يقبلها أحد، ووضعت فى المسجد تسعة أيام، فدخل أربعة من الشلوح إليها ليلا ليأخذوها فمات الأربعة عليها. وكان يموت الوصى قبل الموصى، وكلُّ مسلمَيْن كان بينهما تفاخر ولم يصطلحا ماتا. وابتدأ هذا الوباء من تركستان(١)، ودب منها إلى كاشغر(٢) والشاش(٣) وفرغانة(٤)، وعم النساء والصبيان، فمات الصبيان والكهول

---

(١) تُرْكِسْتَانُ: هو اسم جامع لجميع بلاد الترك. انظر: معجم البلدان ٢/٢٣، ٢٦.

(٢) كاشْغَر: بالتقاء الساكنين، والشين معجمة والغين أيضًا، وراء: وهى مدينة وقرى ورساتيق يسافر إليها من سمرقند وتلك النواحى، وهى فى وسط بلاد الترك وأهلها مسلمون.
وفى الروض المعطار: كاشغر: مدينة من بلاد الصين عامرة كثيرة الخيرات فيها متاجر وبضائع، وهى على نهر صغير يأتى إليها من جهة شمالها من جبل قيطغورا، وفيه معادن فضة طيبة، فائقة فى الجودة، سهلة التخليص من خبثها. وقد أثبت فى هوامش الروض المعطار أن ياقوت أثبتها كاشغر، وأثبتها أيضًا فى كاجغر، وتكتب أيضًا قاشغر. انظر: الروض المعطار ٤٨٩، ونزهة المشتاق ٦٨، ٦٩، وتقويم البلدان ٥٠٤، وحدود العالم ٩٦، ٢٨٠، وابن الوردى ٣٤، ومعجم البلدان ٤/٤٣٠، ٤٣١.

(٣) الشاش: مدينة جليلة من عمل سمرقند وقصبتها بنكث، وله مدن كثيرة، ويتصل ببلاد الشاش بلد إيلاق، وهما جميعًا لا فصل بينهما، عمارتهما متصلة متكاثفة لا تنقطع، فمقدار عرضهما مسيرة يومين فى ثلاثة أيام، وليس بخراسان وما وراء النهر كورة ولا إقليم على مقدارها فى المساحة أكثر منابر وقرى عامرة من هذه الناحية، وآخر حدودها انتهى إلى وادى الشاش الذى يقع فى بحيرة خوارزم. والشاش فى أرض مستوية لا جبل فيها ولا أرض مرتفعة، وبساتينها ومتنزهاتها، كثيرة، وهى من الثغور التى فى ناحية الترك، ولأهلها سطوة ومنعة. انظر: معجم البلدان ٣/٣٠٨، ٣٠٩، وابن حوقل ٤١٦، والكرخى ١٨٤، والمقدسى ٢٧٦، وآثار البلاد ٥٣٨، وفى هوامش الروض المعطار قال الدكتور إحسان عباس: إن الشاش اسم الكورة واسم المدينة وهى التى تسمى اليوم طشقند القديمة، كما أن هذه المدينة نفسها هى التى تسمى بنكث. انظر: الروض المعطار ٣٣٥.

(٤) فرغانة: من بلاد ما وراء النهر وهى أيضا من بلاد الأتراك التى استوطنها كثير من الفرس. انظر: معجم البلدان.
وفى الروض المعطار فرغانة: فى خراسان، بينها وبين سمرقند ثلاثة وخمسون فرسخًا، كان أنوشروان بناها ونقل إليها من كل بين قومًا، وفرغانة اسم الأقليم، وهو عريض موضوع على سبع مدائن، واسمها بالعجمية اخشيكث، وقيل إن فرغانة اسم الكورة، واسم قصبتها=

والفتيان من سائر الناس إلا الملوك والعساكر، فإنه لم يمت منهم ولا من الشيوخ والعجائز إلا القليل!

سنة خمسين وأربعمائة

فى أول المحرم: قبض المستنصر على وزيره الناصر للدين، غياث المسلمين، أبى محمد اليازورى، وكان قد جمع له مالم يجتمع لغيره من تقليد الوزارة وقضاء القضاء وداعى الدعاة. وكان للقبض عليه أسباب، منها أن طغرلبك لما ملك بغداد كان بها لليازورى عيون كثيرة يطالعونه بدفين الأمور وجليلها، فوصلت كتبهم بوصوله، وأنهم سمعوه يذكر إزماعه على التوجه نحو الشام ليملكه، فقلق لذلك ورأى أن الحيلة أبلغ من الاستعداد له، فكتب إليه يهنئه بوصوله إلى العراق، ويبذل له من الخدمة ما يوفى على أمله، وأن مصر وأعمالها بحكمه، وأنه وإن كان مستخدما لدولة ويدعو إليها فإنه يعلم كثرة الاختلاف، فمن تجاوزها فى نسبها، واتفاق الكلمة ووقوع الإجماع على الرضا بالخليفة الصحيح النسب، الصريح الحسب، الهاشمى العباسى، وأنه لا يمتنع عن الإقرار له بذلك، وأعطاه صفقة يده على مبايعته، وتسليم الدولة له، وأنه قد اتصل به إزماع حضرته على التوجه إلى الشام، وأنه أشفق من تسليمها إليه فتطأها عساكره مع كثرتها وتجمعها فيخربها ويعفى آثارها، ولا يقع بملكها انتفاع، ولا يُرجى لها ارتفاع[1]؛ فإن رأى أعفاها من وطء العساكر لها، ووصول ركابها إليها، على وجه الفرجة والنظر إلى دمشق وحصنها، فلها عالى رأيها.

فلما وقف طغرلبك على كتابه قال: هذا كتاب رجل عاقل، ويجب أن يعتمد ما أشار به بالإذن للعسكر فى عودتهم إلى بلادهم؛ فمضى كل منهم لوجهه. ثم أمر فضرب فساطيطه فى الجانب الغربى من بغداد؛ فكتب بذلك عيون اليازورى إليه، فقلق، ثم كتب إليه: «لا تغرنك الأمانى والخدع بأن أسلم إليك أعمال الدولة، وأخون أمانتى لمن غذانى فضله وغمرنى إحسانه، وتتعين علىَّ طاعته وموالاته، فإن كنت تسلم إلىّ ما فى يدك لصاحبك من العراق وأعماله سلمتُ إليك ما فى يدى لصاحبى، بل الواجب أن تكون كلمة الإسلام مجموعة لابن بنت النبى الذى هو أولى بمكانه من غيره، وإن رغبت فى المهادنة والموادعة انتظمت الحال بين الدولتين، وأمن الناس بينهما، فإن أبيت إلا الخلاف، ونزع الهوى بك إلى الظنون الفاسدة، والأطماع الكاذبة فليس لك عندى

=اخشبكث، وهى على شط نهر الشاش على أرض مستوية، بينها وبين الجبل نحو نصف فرسخ، وهى على شمال النهر، ولها ربض كبير عليه سور. انظر: الروض المعطار ٤٤٠.

(١) ارتفاع: الارتفاع ما يتحصل من الدواوين بعد جمع الموارد الحكومية، أى إيرادات الدولة.

Marfat.com

إلا السيف، فإن شئت فأقم، وإن شئت فسر».

فغاظ ذلك طغرلبك وقال: خدعنى هذا الفلاح وسخر منى. وكتب إلى إبراهيم بن ينال، أخى طغرلبك لأمه، برد العسكر مسرعًا، فلم يتأت له اجتماعهم. وكان اليازورى قد بث عيونه وحواشيه فى عسكر طغرلبك واستفسد أعيانهم بكثرة الأمانى والمواعيد، مثل خاتون زوج طغرلبك، والكندرى[1] وزيره، وإبراهيم ينال أخيه وصاحب جيشه؛ فمالوا إليه وقعدوا عن صاحبهم. وحمل خاتون على قتله، فامتنعت عن ذلك وواعدته أنها تتحيز بغلمانها، وهم نحو اثنى عشر ألفا، عنه؛ فاعتزلت بهم. وكان ذلك سبب ظفر البساسيرى بعسكر طغرلبك، وظفر كثير منهم، ورجوع طغرلبك من بغداد طالبا لجمع عسكره الذى تفرق عنه. وهو أنه سار فى هذه السنة ملك البساسيرى وقريش الموصل بعد حصار شديد نحو أربعة أشهر حتى هدم قلعتها، فخرج طغرلبك يريدهما، فسارا عن الموصل، وهو يتبعهما، إلى نصيبين؛ ففارقه إبراهيم ينال وقصد همذان[2]، ولحقه الأتراك الذين كانوا ببغداد، ففت ذلك فى عضد طغرلبك وترك ما هو فيه، ورجع ليضم إليه من تفرق عنه، وترك بغداد. فقوى أبو الحارث البساسيرى، وكثف جمعه، وقصد أعمال العراق، ففتحه بلدًا بلدًا، وتملك الأعمال والرساتيق طوعا وكرها، والدولة المصرية تمده بما يستعين به على ذلك؛ وهو لا ينفذ فى أمر من الأمور إلا بما يقرره اليازورى، فكثر حساده على ما يتوالى من سعادته فى كل يوم، وما يتجدد له من رئاسة يقتضيها حسنُ آثاره فى الدولة، وتأثيراته فى جميع الأطراف والممالك بلطف السياسة ومحكم التدبير الذى يبلغ به غاية آماله، بحيث لا يبلغ غيره بعضها إلا بإنفاق الجمل العظيمة، وتفريغ بيوت الأموال؛ ثم لا يكاد يظفر ببلوغ أمل فى جهة من الجهات إلا دوخها وثبتت آثاره فيها الدهر الطويل. وصار أعداؤه يتعجبون مما يتأتى له من السعادة وتعينه عليه الأقدار. واستطالوا مدته، فابتغوا له الغوائل، ونصبوا له الحبائل،

---

(١) الكندرى (٤١٢-٤٥٦هـ = ١٠٢١ - ١٠٦٤م) محمد بن منصور بن محمد الكندرى، أبو النصر، عميد الملك: أول وزراء الدولة السلجوقية: «كان يقطن نيسابور فى بدء أمره ودعا طغرلبك إليه وقربه، ثم جعله من وزرائه ولقبه بعميد الملك ولما توفى طغرلبك وخلفه ألب أرسلان أمر بالقبض عليه وأنفذه إلى «مرو الروذ» معتقلا فيها عاما كاملا، ثم قتل ودفن فى قبر أبيه كندر وكانت مدة وزارته ثمانى سنين وشهورا. انظر: وفيات الأعيان ٧٠٠٢ والأعلام ٧/١١١، ١١٢.

(٢) همذان: بالذال المعجمة، مدينة من عراق العجم من كور الجبل، كبيرة فرسخ فى مثله، محدثة إسلامية، ولها أربعة أبواب، وهى كثيرة المياه والبساتين والزروع. انظر: الروض المعطار ٥٩٦، وابن حوقل ٣٠٨، والكرخى ١١٧، واليعقوبى ٢٧٢، ونزهة المشتاق ٢٠٣، ومعجم البلدان ٥/٤١٠، ٤١٣.

Marfat.com

وركبوا عليه المناصب حتى كان هلاكه بأقل الناس وأحقرهم، وأدناهم منزلة، وأضعفهم قدرة، وهم من أطراف الخدام، فأقاموا رجلين، أحدهما خادم يعرف بمفرج المغربى كان فى حاشيته، والآخر خازن يتولى خزانة الفرش يعرف بتنا. وحكوا أنه نقل الأموال إلى الشام فى التوابيت وفى شمع سبكه وأعده إلى القدس وإلى الخليل، وأنه قد عول على الهرب إلى بغداد؛ واستظهروا بكتابه الذى ذكر إلى طغرلبك؛ مع ما فى طبيعة الملك من الحسد والملل، والأنفة من الاستبداد عليهم ومحبة الانفراد بالمجد.

وكان من أسباب الخذلان أن المستنصر التمس من صفى الملك، ولد اليازورى، عمل دعوة يدعوه إليها، فدافعه عن ذلك استعظاما لحضوره عنده؛ فأقام مدة حتى بعثه والده الوزير على تكلف عملها له؛ فتهمم لذلك، واصطنع ما يجب إعداده، وتقرر الحال على يوم يحضر فيه، فلما كان قبل ذلك حضر صفى الملك عند الوزير وأعلمه بإنجاز ما يحتاج إليه، فصار معه إلى الدار واستصحب خاصته، فرأى ما يقصر عنه الوصف. وفرش مجلسين بديباج بياض كله، وفيه جامات كبار وحمر منقوش، كل مجلس بثلاث مراتب وبساط ملء المجلس؛ وسراديق وحجلين[1] للصدر والباب كله جديد كما حمل من الأعدال فقُدِّر ذلك بخمسة آلاف دينار، فأقبل كل من حضر يبالغ فى صفته ويدعو، وشخص منهم ساكت، فلحظ الوزير وأمسك حتى فرغ من تطواف المجالس وعرض كل ما أعده، وعدل إلى بيت الطهارة وقد أعد فى دهليزه من الفرش والآلات والطيب، وداخله من الفواكه والمشمومات كل مستحسن. ودعا الوزير الرجل الذى سكت عند مبالغة من حضر فى الوصف، وقال: يا عمدة الملك، ما لى لم أسمعك تؤمن على ما قال الجماعة؟ فقال له بعد ما سأله الإعفاء عنه وتركه من القول، فأبى إلا أن يقول: سيدنا فيما أعده من هذا الجمال بين أحد رأيين، إما أن يأمُر بإزالته ونصب غيره مما قد استعمل، وإما يحمله إلى الخليفة إذا انقضى جلوسه عليه، فقال: وما هو هذا؟ أليس هو مما أنعم به وصار إلىّ من فضله؛ وما قدره حتى تمتد عينه إليه أو تتطلع له نفسه! وأما إزالته ونصب غيره فما كنت أكسر فى نفس هذا الصبى شهوة، فإنى متى أمرت بإزالته حزن لذلك، وافترقا.

فلما كان الغد جاء المستنصر وأقام يومه ذلك فى الدار، وأُحضر إليه الطعام مما حوله من الطرف؛ ثم عاد آخر النهار. وحضر عند الوزير أصدقاؤه، فانفرد بذلك الرجل، وقال: يا عمدة الدولة، والله ما أخطأ حزرك فيما قلته بالأمس؛ منذ دخل الخليفة إلى الدار إلى أن خرج لم يطرف طرفة عن تأمل الفرش، فإذا وجهتُ طرفى نحوه أطرق

(١) حجلين: الحجل هو الخلخال: والقيد، والجمع : أحجال وحُجُول. انظر: المعجم الوجيز صـ١٣٧.

Marfat.com

وتشاغل، فقال له: يا سيدنا أما إذ فات الأمر الأول فلا يفوت الثانى، فقال: والله لا فعلتُ ولا غممتُ صفى الملك.

واتفق أنه خرج يوما وعليه ثوب بديع، فلما عاد قال لصديقه: يا عمدة الدولة، لحظتك اليوم تنظر الثوب الذى كان على فعجبت من ذلك، فلما مثُلْتُ بحضرة مولانا أقبل يتأمل الثوب ولم يزل يزحف من الدَّسْت[1] حتى مد يده إلى الثوب وتلمسه، فزال عجبى منك إذ كان الخليفة يتأمله؛ والملوك إذا أنعموا على أحد استحال التظاهر بإحسانهم حسدا ومللا.

وكان راتب مائدته فى كل يوم كموائد الملوك فى الأعياد والولائم. وكان لا يبتاع لمطبخه من الطير ما هو معرق ولا مصدر؛ وكان سعر المعرق ستة بدينار والمصدر أربعة بدينار، والمسمن ثلاثة بدينار، والفائق اثنان بدينار؛ وكان يعمل لداره ومن فيها المسمن، وأما مائدته فلا يقدَّم عليها إلا الفائق.

فلما كان فى سنة سبع وأربعين: وقصر النيل نزع السعر وغلا حتى بلغ التليس ثمانية دنانير وصار الخبز طرفة. وكان المستنصر يحضر دار اليازورى كل يوم ثلاثاء على عادته، فتُقدم إليه المائدة، فإذا هى على ما يعهد لم يخُل منها بشىء حتى الدجاج الفائق؛ فقال لصاحب مطبخه: ويلك، يكون راتب مائدة الوزير الدجاج الفائق ومائدتى دون ذلك! فقال: يا مولانا ما ذنبى إذا قصر بك أصحاب دواوينك ولم يطلقوا لمائدتك ما ألتمسه منهم، وأما الوزير فلا يتجاسر وكلاؤه أن يقصروا فى شىء مما جرت العادة به فى راتب مائدته وغيرها، مع تقدمه إليهم فى كل يوم بالزيادة فيها وفى راتب داره.

فلما تظاهر عِدَاه عليه لم يشعر إلا فى ساعة القبض، فكتب إلى أبى الفرج البابلى - وكان قد قدمه وأحسن إليه ورفعه على جميع أصحاب الدواوين، واستخلصه دونهم، كما يأتى إن شاء الله عند ذكر وفاته - بعد البسملة: «عرفنا يا أبا الفرج - أطال الله بقاءك وأدام عزك - تغيُّر الرأى فينا، وسوء النية والطوية؛ فإن يكن هذا الأمر صائرا إليك فاحفظ الصحبة، وارْعَ واجب الحرمة؛ وإن يكن صائرا إلى غيرك فابتغ لنفسك نفقا فى الأرض. على أنّا نشير عليك: إن دُعيتَ إليه فلا تأبى عنه فإنه أصلح لك وأعودُ علينا، والسلام».

ودُعى البابلى للأمر، ووزر، لأنه لم يكن فى الدولة من يتقدمه لما وطّأه اليازورى وأمَّله من تقديمه وتمييزه. وكان اعتزاله يغطى على عيوبه، فلما ولى الوزارة بان للناس من رقاعته وحدته وكثرة شره ما افتُضح به؛ وتجرد لمقابلة إحسان اليازورى بكل قبيح

---

(١) الدست: دست السلطان: مرتبة حلوسه. انظر: صبح الأعشى.

Marfat.com

وذكره بما لا يستحق من الغض. وكانت الرقعة التى كتبها إليه من أعظم ذنوبه عنده فكان يقول؛ يخاطبنى وهو على شفير القبر بنون العظمة! ولا يذكره إلا بالسفاهة واللغو، فسقط قدره من أعين الكافة وحذِرَه كل أحد. ثم لم يقنعه كون اليازورى فى الاعتقال بمصر حى نفاه إلى تنيس، فى صفر، ومعه نساؤه وأولاده وحاشيته، فاعتُقلوا بها.

ثم شرع البابلى فى التدبير على قتله. قال الشريف فخر الدولة ومجدها؛ نقيب نقباء الطالبيين: قال لى مولانا - يعنى المستنصر - يا فخر الدولة؛ ما رأيت أوقع من البابلى؛ وذلك أن اليازورى لم ينته إلى ما صار إليه من عظيم المنزلة إلا بعد أن تقدم له من المآثر والآثار فى الدولة وما فتح على يديه ما هو معلوم مشهور، وكان يرتقى بذلك درجة بعد درجة إلى أن انتهى إلى ما انتهى إليه؛ والبابلى فمن أول يوم استخدمناه استدعى المنزلة التى لم يصر ذلك إليها إلا بعد عدة سنين، فأجبته إليها، وقلت تُرى تساعده الأقدار بأن يكون مثل ما كان ذلك الرجل، ومنها أنه كان إذا حضر بين يدى يكثر التثريب على اليازورى ويذكره بالقبيح ظنا منه تطلعنا إلى عَوْدِه إلى الأمر، وليثبت فى نفوسنا سوء الرأى فيه. ولم نعلم أن غرضه قتله إلى أن كان اليوم الذى سقت عليه الأتراك ووطئوا دراعته، فإنه لما دخل إلىّ قال: يا أمير المؤمنين، إنه لا يَنْفُذ لك أمر ولا يتم لى نظر وهذا الكليب فى قيد الحياة، فقلت: ومن هو ذلك الكليب؟ فقال: على بن عبد الرحمن اليازورى، فقلت: أيها الوزير، اعلم أنى لم أصرف الوزير عن خدمتنا ولنا فى إعادته رغبة، فطب نفسا ودع ذكره، فأنت آمِنٌ مما تخافه من جهته، فقال: والله إن هذا لعجب من حسن مقامك يا أمير المؤمنين عنه مع قبيح فعله، وما همَّ به من قتلك، حتى إن السقية أقامت تدور فى قصرك أسبوعا كاملا، فقلت: أيها الوزير، أقامت السقية تدور علىَّ فى قصرى أسبوعا كاملا؟ فقال: نعم، فأطرقت متعجبا، وبقيت، متفكرا فى ذلك، أصرف الظن بين تصديقه وتكذيبه، ثم أقول، لو لم يطّلع على ذلك لم يذكره، فأمسكت، فظن بإمساكى أننى راض بما يفعله معه؛ وخرج فاستدعى طاهرا كاتب السر وسيره لقتله. ونمى الخبر إلى مولاتنا الوالدة، فأنكرت ذلك ودخلت إلى، فقالت: أنت يا مولانا أمرت البابلى بقتل اليازورى! فقلت: لا، فقالت: قد سير طاهر ابن غلام لقتله. فاستدعيت سعيد السعداء وأنفذته إليه، وقلت له: قل له لم يأمرك بقتله، فأنفذ من يعيد طاهرا ويمنعه من النفوذ، فألفاه صاحب الرسالة فى الحمام، فاعتذر إليه، فقال: لابد من الدخول؛ ودخل وأدى الرسالة إليه؛ فقال: أخرج وأسير من يعيده، وطول فى الحمام ثم خرج، فإلى أن كتب الكتاب وسير به النجاب سبقه ذلك إلى تنيس، فلم يصل حتى نفذ الحكم فيه.

ولما وصل طاهر إلى تنيس أوصل كتاب البابلى إلى جمال الدولة صبح يذكر فيه: إنا قد سيرنا طاهرا فيما أنت تقف عليه من جهته، فتثبت منه، وتحضر معه لإنجازه وتحذر من تأخيره من اليوم إلى الغد، فقال: وما الذى وصلت فيه؟ فأخرج تذكرة بخط البابلى فيها: إذا وصلت يا طاهر - أعزك الله - إلى تنيس وقد سغبت ولهثت من العطش، فلا تبل ريقك بقطرة دون أن يحضر على بن حسن بن عبد الرحمن اليازورى إلى دار الخدمة، وتمضى حكم السيف فيه؛ فقد كتبنا إلى الأمير جمال الدولة بمعونتك على ما يستدعيه ذلك؛ فقدمه ولا تؤخره إن شاء أحد، فقال له: أنت خليفة صاحب الستر ومرسل من جهة السلطان، والأمر الذى وصلت فيه ممتثل، فأمض الحكم فيه، وأنفذ من يحضر اليازورى من معتقله، والصقالبة والسعدية خدام الستر وقوف، والسياف قائم.

فقال له طاهر: يا حسن، يقول لك مولانا: أين أموالى؟ فلم يجبه ولم يرفع طرفه إليه.

فقال له: إياك أخاطب يا حسن بن على بن عبد الرحمن، يقول لك أمير المؤمنين: أين أموالى؟ فلم يجبه، فرفع طرفه ونظر إليه وإلى الجماعة وفيهم حيدرة السياف، وقال لطاهر: يا كلب تجىء وهذا معك، وأشار بيده إلى السياف، وتسألنى بعد ذلك؛ ولكن قل له: يا مولانا قبض علىَّ وأنا آمن على نفسى، فإن يكن عندى مال، فقد وجدته فى دارى، وكنت داعيك وثقتك المؤيد فى الدين؛ فى القمطرة الفلانية ما يشهد بذكر مالك أين هو، فأشار طاهر إلى أولئك، فأخذوه، وضربت عنقه فى ليلة الثانى والعشرين من صفر؛ وحملت رأسه مع طاهر إلى القاهرة، وطرحت جثته على مزبلة ثلاثة أيام. ثم ورد الأمر بتكفينه، فكفن بعد أن غسل، وحنط بحنوط كثير، وحمل ليلا ودفن وقد وضع رأسه مع جثته.

وكان له من المآثر المرضية، والخلال الحميدة، والأفعال الجميلة، والخلائق الرضية ما يتجمل الملوك بذكره؛ منها أنه كانت له مائدة يحضرها كل قاض فقيه وأديب جليل القدر، فإذا قدمت فكأنها الرياض من حسنها وسعة نفسه. وكان الملازمون لمائدته نحو العشرين نسمة، فيكون عليها كأحدهم.

وقال عميد الدولة: أقمت معه خمس عشرة سنة قبل وزارته ملازما له فى المبيت والصباح، فكنت أراعيه فى حالاته كلها ليلا ونهارا، فلا أرى يتغير على منها شىء ولا يتبين لى منه غضب من رضا؛ فأقبلت أدقق التأمل له فى حالتى غضبه ورضاه شهورا حتى تبين لى، فكان إذا رضى توردت وجنتاه بحمرة، وإذا غضب اصفرت محاجر عينيه، فعرفت أبى بذلك؛ فقال: يا بنى هذا غاية فى سكون النفس وصحة الطباع واعتدال المزاج.

وكانت طبائعه الأربعة على السواء، فإذا أخلَّ عمل طبيعة منها عهده أخذ بإصلاحها حتى يعود إلى ما يعهده من استقامتها، وكان لا يعطل شرب الدواء يوما واحدا فيشرب السكنجين والورد أسبوعا ثم يريح نفسه ثلاثة أيام، ثم يشرب النقوع[1] المغلى فى الشتاء والمنجم منه فى الصيف أسبوعا لكل منهما، ويشرب ماء البذور أسبوعا، ويشرب ماء الجين ثمانية أيام؛ ويشرب ماء البقل أسبوعا ثم يشرب الراوند المنقوع كذلك؛ ويريح نفسه بين كل دوائين ثلاثة أيام، لا يخل بذلك فى صيف ولا فى شتاء.

وكان ندى الوجه كثير الحياء لا يكاد يرفع طرفا إلا لضرورة؛ ولم يسمع منه قط فى سؤال لفظة «لا»، بل كان إذا سئل فما يرى إجابة سؤاله إليه يقول: نعم، بانخفاض من طرفه وخفوت من صوته، فإذا سئل فما يرى الإجابة إليه يطرف ولا يرفع طرفه؛ وعرف هذا منه فلا يراجع فيه إلا بعد مدة. وكان كل من يحضر مائدته يستدعى منه الحضور بين يديه لئلا يستمروا عنده، وكان فيهم من يشرب المسكر، فإذا حضروا عرفوا مجالسهم وما قرره لهم، فكان من لا يشرب النبيذ يجلس عن يمينه، ومن يستعمله يجلس عن يساره، وبين يدى كل منهم الفواكه الرطبة واليابسة والحلاوة، وستارة الغناء مضروبة، فيجلسون وهو مشغول بوقع، وهم يتحدثون همسا وإشارة وإيماء، إلى أن ينقضى أربه من التواقيع فيستند وينشطهم بالحديث ويقول: قد تجدد اليوم كذا وكذا، فما عندكم فيه، فيقول كل أحد ما يراه وهو يسمع كلهم، حتى يستكمل الجماعة الذين عن يمينه ثم يعطف على شماله فيقول: من هناك قولوا، فيقولون وهو يسمع ولا يرد على أحد شيئا فلا يصوب المصوب ولا يخطئ المخطئ، ويبيت يضرب الآراء بعضها ببعض حتى يمحص له الصواب، ويصبح يرمى فلا يخطئ. فكانت أفعاله هكذا طول مدته، لا يستبد قط برأيه ولا يأنف من المشورة، بل يقول: المستبد برأيه واقف على مداحض الزلل، وفى الاستشارة كل عقول الرجال. وبهذا تم له ما كان يدبره حتى ترك فيما رامه من الطرز الآثار الباقى ذكرها.

وجاء ارتفاع الدولة فى أيامه ألفى ألف دينار، يقف منها ويسكن، وينصرف للرجال وللقصور وللعمائر وغيرها، ويبقى بعد ذلك مائتا ألف دينار حاصلة، يحملها كل سنة إلى بيت المال، فحظى بذلك عند سلطانه، وتمكن منه، وارتفع قدره حتى سأل أن يكتب على سكة نقش عليها:

ضربت فى دولة آل الهدى من آل طه وياسين، مستنصر بالله جل اسمه، وعبده

---

(١) النقوع: ما ينقع فى الماء كالزبيب . انظر: المعجم الوحيز صـ٦٣٢.

Marfat.com

الناصر للدين سنة كذا، وطبعت عليها الدنانير مدة شهر ثم أمر المستنصر بمنعها، ونهى أن تسطر فى السير.

وكانت أيام نظره حوامل لتوالى الفتوحات وعمارة الأعمال، وكان شريف الأخلاق، عالى الهمة كريم الطباع، وَطِيءَ الأكناف، مستحكم الحلم، واسع الصدر، ندى الوجه، يستقل الكثير، ويستصغر كل كبير. وكان إذا أعطى أهنا، وإذا أنعم على إنسان أسبغ، وإذا اصطنع أحدا رفعه إلى ما تقصر الآمال والأمانى عنه، مع عظيم الصدقة، وجزيل البر الذى عم به أهل البيوتات مما جعله لهم من المشاهرات على مقاديرهم، وكذلك الأشراف والفقراء وأهل الستر بالقرافة، فكان يجرى البر والكساء على يد بعض اليهود، ويعرف بابن عصفورة، وكيل السيدة أم المستنصر، فكانوا يظنون أنه من إنعامها؛ فلما زالت أيامه انقطع عنهم ما كان يصل إليهم من البر، فخاطبوا ابن عصفورة وقالوا: قد جفينا من مولانا ومولاتنا، فلو أدركتهما بنا فقال لهم: ما ترون ما كان يجيئكم حتى يتولى الله ناصر الدين أخى، فقالوا: نحن التمسنا من مولانا المستنصر ومولاتنا السيدة الوالدة ولم نلتمس من ناصر الدين، فقال: ما كان يجيئكم ذاك إلا من الوزير، فعجبوا من ذاك وأكثروا من الترحُّم عليه.

ومما يذكر عنه أنه كُتِب: العالى بالله[1] إدريس بن المعتلى بالله يحيى بن الناصر لدين الله على بن حمود من خالقه إلى مصر مكاتبة يقول فيها: «من أمير المؤمنين العالى بالله إلى أمير المؤمنين المستنصر بالله»، فعيب عليه بمصر قلة تصوره ومعرفته بأنه لا يجوز أن يكون أمير المؤمنين فى زمان واحد اثنان. ثم ألجأت الضرورة إلى مكاتبته بنحو مما كتب، وكان اليازورى إذ ذاك وزيرا، فقال أنا أخلص هذه القضية وأعلقها بمعنى دقيق لا يبين للمكاتب، وكان صاحب حيل؛ يكتب إليه: «من أمير المؤمنين المستنصر بالله معد إلى العالى بالله أمير المؤمنين خالقه»؛ وهذا من طريف التخلصات التى تميز بها.

وحكى عظيم الدولة متولى السر، قال: كنت فى جملة الموكلين على الناصر ثم على البابلى بعده، فكنت أرى من رئاسة الوزير الأول - يعنى اليازورى - على شبيبته

---

(١) العالى بالله إدريس بن المعتلى بالله يحيى بن الناصر لدين الله على بن حمود (العالى الحمودى) (...-٤٤٧هـ ...-١٠٥٥م) إدريس بن يحيى بن على بن حمود الحسنى، أبو العلاء: من ملوك الدولة الحمودية بالأندلس فى أواخر أيامها بمالقة، كان بها أيام ولاية أخيه الحسن بن على ولما مات الحسن سنة ٤٣٤هـ. اعتقل إدريس بإشارة «نجاء الصقلبى» واغتيل نجاء فى السنة نفسها، فانطلق إدريس وبويع بالخلافة ولقب نفسه «العالى بالله» وجاءته بيعة غرناطة وقرمونة وما بينهما من البلاد إلى أن ضعف أمره وتوفى بمالقة. انظر: البيان المغرب ٢١٨/٣، والإحاطة ٢٦٩/١، والأعلام ٢٨١/١.

Marfat.com

ورجاحته وسكون حاشيته، ومن طيش البابلى وخفته ونقصه ما أعجب منه؛ وهو أنى لما كنت موكلا باليازورى كنت أراه ملازما لعتبة باب المجلس فى القاعة لا يتغير مكانه منها. وكان البابلى يراسله بما يمضى ويوصينا إذا مضينا إليه بالإزعاج عند فتح الباب وإكثار قلقلته لنزعجه ونروعه بذلك؛ فوالله ما كان يكترث ولا ينزعج. وإذا دخل متولى الستر يكون جلوسه منه فى الاعتقال كجلوسه منه فى حال نظره، ويخاطب بما يرضى فيجيب بسكون وهدوء وكأنه فى الدست جالس، فدخل إليه فى أكثر من ثلاثين صقلبيا وبلغه ما أوصاه البابلى، فأجابه، ثم نهض وقال: يا سيدى صرفتنى من الستر بغير ذنب ثم أعدتنى إليه بغير مسألة، فما كان سبب ذلك؟ فرفع طرفه إليه كأنه يخاطبه من دست الوزارة وقال له: كان صرفك فى الأول برأيى واختيارى ثم أعدتك لما عرفت من ميل مولانا إلى استخدامك، فخرج متولى الستر وهو يعجب من سكون حاله وقلة احتفاله فى الجواب، مع حاجته إليه فى مثل ذلك الوقت الذى يقدر فيه على الإحسان إليه وعلى الإساءة؛ وكان يظن أنه يعتذر إليه، فلم يكن منه غير ما تقدم ذكره.

وكان أكثر وقته صائما وهو يتلو القرآن ولا يسأل عن طعام ولا شراب. وكان فى حال وزارته كثير الصمت مواصل الإطراق، ساكن النفس هادئ الطباع، فكان يظن أن ذلك من تيه وصلف[1] وإعجاب وقلة احتفال بالناس؛ فلما صار فى الاعتقال بعد القبض عليه كان حاله على ما كان مما ذكر. ومن عجيب ما وقع أن خطير الملك محمد ابن الوزير اليازورى كان ينوب عن أبيه فى قضاء القضاة، فلما سار إلى الشام بالعساكر الكثيرة معه كان فى حال من البذخ والتجمل لا يمكن شرحها؛ فلما نكب أبوه آل حاله إلى أن يرى فى مسجد بمدينة فوة[2] يخيط للناس بالأجرة، وقد نزل به من الفقر والبلاء شدائد وهو يبالغ فى مطالبة شخص بأجرة ما خاطه له، والرجل يماطله، فلما ألح فى المطالبة قال له: يا سيدنا، اجعل هذا القدر اليسير من جملة ما ذهب منك فى السفرة الشامية.

فقال: دع ذكر ما مضى، فسأله رجل عن ذلك فلم يجبه، فسأل عبده، فقال: الذى ذهب منه فى تلك السفرة على نفقات سماطه مقدار ستة عشر ألف دينار، فسبحان من لا يزول ملكه.

وفيها ولى الوزارة بعد اليازورى أبو الفرج عبد الله بن محمد البابلى، وكان أولا من جملة أصحاب الدواوين فقبض عليه الوزير أبو البركات ابن الجرجرائى، وصادره على

---

(١) صلف: صَلِفَ فلان، صَلَفًا: تكبر وتفاخر، فهو صَلِف وهى صَلِفَة. انظر: المعجم الوجيز ص٣٦٩.

(٢) فوة: مدينة تقع قرب رشيد بينها وبين البحر ستة فراسخ. انظر: معجم البلدان ٦/٤٠٦.

Marfat.com

عشرة آلاف دينار أخذ خطه بها؛ فباع موجوده بستة آلاف دينار وبقى عليه أربعة آلاف دينار، فانطرح على اليازورى وسأله الشفاعة له، وكان يومئذ ينظر لأم الخليفة؛ فسأل الخليفة له فى ذلك، فوقع بمسامحته منها بألفى دينار، فلما صرف الوزير أبو البركات وتولى اليازورى الوزارة وقع بمسامحة البابلى بالألفين المتبقية، واستخدمه فى التوقيع، ورد إليه ديوان تنيس ودمياط، وديوان الخاص وغيره من الدواوين، حتى كان فى يده ستة دواوين. وكان قد رسم لأصحاب الدواوين أن يحضروا كل يوم بين يدى الوزير، فرفع منزلة البابلى عن ذلك وميزه عن أصحاب الدواوين، فكان لا يحضر عنده إلا فى كل ثلاثاء من الجمعة؛ فإذا حضر حجب كل واحد من الرؤساء، فلا يدخل إلى الوزير أحد ما دام عنده، فمهما قرره مع الوزير لا ينتقض. وإذا عرض له فى بقية الجمعة أمر كتب رقعة إلى الوزير فيجيبه فى تضاعيف سطوره، فعل الأكفاء بالأكفاء. وبلغ جاريه على ما بيده من الدواوين والتوقيع فى كل سنة عشرة آلاف دينار. وكتب مرة إلى الوزير اليازورى رقعة يذكر فيها أنه ليس له دار يسكنها، وأن بجوار داره حماما سلطانيا من جملة المقبوض عن تركة أمير الأمراء رفق، بذل فيها خمسمائة دينار؛ وسأل التوقيع بمبايعته منه على أن يقطع ثمنه من جاريه، مائة دينار فى الشهر؛ فوقع له بذلك، ثم تقدم إلى متولى بيت المال بأن يكتب له منه رصدا بخمسمائة دينار، ووهبها له، فكتب رقعة ثانية أنه لما شرع فى بناء الدار احتاج إلى ما يكمل به عمارتها، وأن فى المقبوض من أمير الأمراء أيضًا من الأخشاب والرخام ما يسأل الإنعام عليه منه بما يعمرها به؛ فوقع بتسليم جميع ذلك إليه، فعمر الدار، وخدمه فيها جميع من فى الدولة؛ فجاءت تضاهى القصور.

واتفق أنه مرض فى بعض السنين مرضة أشفى فيها على التلف، فكتب إلى الوزير اليازورى رقعة يذكر فيها ما انتهت حاله إليه، وأنه على آخر رمق؛ وأن عليه من الدين ثلاثة آلاف دينار، ويخاف إن حدث به حادث الموت أن يعنت الغرماء ولديه؛ ويسأل تمام الاصطناع بالمنع منهما، وأن يقرر حالهما فى القيام للعرفاء بما تصل قدرتهما إليه وينجم الباقى عليهما، فلما وقف الوزير عليها استرجع وتغمم له، وقال: ما ظننا إلا أنا قد أغنينا أبا الفرج، وأن حاله لم تصل إلى هذا الحد! ثم رفع رأسه إلى أبى العلاء عبد الغنى بن الضيف، وكان يحمل دواة الوزير، ولقبه بالصادق المأمون، وقال: أسرع إلى أبى العباسى الشاشى، وكان يتولى ديوانه؛ فلما حضر قال: ما فى حاصلك من إقطاعنا؟ فقال: ثلاثة آلاف دينار وكسر، فأحضرها، وقال لأبى العلاء: خذ هذه الثلاثة آلاف دينار وامض بها إلى البابلى وخصه بسلامنا، وقل له: قد سوأتنا بما ذكرته من مرضك وما انتهت إليه حالك، والله تعالى يهب عافيتك ولا يغمنا بك، فأما ما

Marfat.com

سألت من مراعاتك فى ولديك والمنع منهما، فلو لـم تسـأل فـى ذلـك حفظنـاك فيهمـا وراعيناهما لك، وأما ما ذكرته من دينك فقد أنفذنا إليك ما تقضيه به، فلما أخـذ المـال وخرج من القبة قال: ارجع يا عبد الغنـى، فعـاد إليـه فـأخذ درجـا(١) ووقـع إلى ديـوان الخاص بثلاثة آلاف دينار، وكان له فيه إقطاع، وقـال: امـض إلى الجهبـذ بهـذا التوقيـع فإن كان فى حاصله هذا القدر، وإلا قل لـه: يقـترض مـن بيـت المـال إلى أن يسـتخرج شيئًا فيحمله إليه به عوضا عنها؛ واحمل الجميع إلى البابلى، فلم يحتمل أبو العـلاء الصـبر عن الكلام وقال: يا سيدنا، ما يقنعك تحمل إليه ثلاثـة آلاف دينـار حتـى تضيـف إليهـا مثلها فتصير ستة! فقـال: يـا وحـش، إذا قضـى دينـه بهـذه الثلاثـة آلاف مـا يحتـاج أن يستدين بعدها، فينفق من هذه الأخرى ولا يسـتدين، فقـال لـه: واللـه يـا سـيدنا، إنمك لأكرم نفسا من البرامكة، لأن أولئك كانوا يجودون من سعة وأنت تجود من ضيـق، ولا نسبة بين ما تنظر فيه وما كانوا ينظرون فيـه. وخـرج فأوصلهـا إليـه، فلمـا قبـض علـى اليازورى كان أعدى العالم له، وكفر نعمته وإحسانه، وتجرد له حتى قتله.

وحكى فخر الدولة قال: استدعانى مولانا المستنصر، وقال لى: يا فخـر الدولـة: هـل يكون فى اختيار الإنسان إلى من تطمح إليه الأبصـار أو تتطلـع إليـه النفـوس أوفـى مـن شخص البابلى، مع شيبته وظاهر سمته وهيبته؟ فقلت: لا يا أمير المؤمنين، فقـال: واللـه لقد ظننت أن الدولة تتضاعف قدرتها بنظره، وينضاف إليها مثلها بحسن تدبيره وأن مـن وراء هذا الشخص ما وفىَّ عليه؛ فإذا ثيابه لا تسـعُ رقاعتـه وغمتـه، والحيـة قـد نشـفت قرعته، وذلك أن اليازورى أقام فى خدمتنا عشر سـنين عددنـا عليـه ثمانيـة عشـر ذنبـا، وأقام البابلى اثنين وسبعين يومـا نقمنـا عليـه تسـعة عشـر ذنبـا، مـع ظـاهر كذبـه وقلـة احتشامه عندى؛ وذلك أنه ذكر لى من حال السقية ما كثر تعجبى منه وأنا بين تصديـق الحكاية وتكذيبها، واحتشمت أن أرد عليه فيتحقق تكذيبى له. وكان مـن إقدامـه علـى قتل اليازورى ما كان، وساء لنا ذلك إذ لم نكن نريد قتله، فلمـا كـان بعـد ذلـك بأيـام يسيره أمرته بشىء فعارضنى وضرب الأمثال بما يصدنى عن ذلك الأمر؛ فقلت له: أيهـا الوزير: اعلم أن اليازورى لم تطل مدته معنا وتثبت قدمـه إلا أنـا كنـا إذا أمرنـاه بشـىء انتهى إليه ولم يتجاوزه، فقال لى مجيبا: يا مولانا، وكأن اليازورى كـان ينقـط نقطـة إلا ما أمثله له وأوقفه عليه! يريد أنه كان يدبر اليـازورى ويعلمـه ويفهمـه؛ فلـم يتـأمل مـا عليه فيه، ولا ذكر ما كان قد قاله من حال السقية؛ وأذكرنى قولـه هـذا حـال السـقية،

---

(١) درجًا : والجمع دروج، الورق المستطيل المركب من عدة أوصـال، يكتـب فيـه ويلـف. وكـانت الأوصال فى بعض المراحل عبارة عن عشرين وصـلا متلاصقـة لا غـير. انظـر: السـلوك ١/٤٧٠ نقلا عن محيط المحيط، صبح الأعشى ١/١٣٨.

Marfat.com

فقلت له وقد اغتظت منه: يخرس الله الوزير، فإذا كانت السقية برأيه! فلما سمع ذلك منى دهش وقال: أعوذ بالله يا مولانا، ولكننى كنت أبصره صواب الرأى، وأشير عليه بما فيه حميد العاقبة، فعند ذلك تحققت من كذبه على الرجل ما كنت شاكًا فيه، ووجه كذبه فيما حكاه من ذلك أن الرئيس الجليل القدر إذا أراد أن يهم بمثل هذا الأمر فى سائسه أو من يجرى بجراه لم يكد يعلم ولده بما يريده منه، فكيف إذا عزم على فعل ذلك مع مثلى، هل يسوغ أن يطلع أحدا عليه؟ ومع هذا فما الذى يدعوه أن يخرج بذلك إلى غيره، وربما نم عليه وتقرب إلى بإطلاعى عليه؛ وإلا تولى بنفسه مع إكثارى كان من زيارته وسكونى إليه، وأنى لم أتهمه بذلك قط فآخذ حذرى منه، وكان بهذا الحكم يتمكن من بلوغ غرضه منى بحيث لا يعلم به أحد، فتحقق لى كذبه فيما حكاه؛ وهذا أقوى الأسباب فى صرفه، لأن من ليس له عقل يميز به ما يخرج من فمه، لاسيما فى مثل هذا الأمر الخطير الكبير، لم يجز أن يوثق به فى تدبير مزبلة، والخوف من جنايته على الدولة برقاعته ونقص عقله أكثر من الطمع فى الانتفاع بنظره.

وكان صرف البابلى من الوزارة فى شهر ربيع الأول وله فى الوزارة اثنان وسبعون يوما؛ فلما صرف قبض عليه واعتقل. وكان النهار لا يكاد يرتفع ويتأخر ما يحمل إليه من الطعام إلا ويستغيث ويقول: ما يتم حبس وجوع.. وكان يبدو منه فى محبسه من القول ما يعرب به عن مستحكم الرقاعة والجهل، فكان الموكلون به يتعجبون من فرق ما بينه وبين اليازورى، فإن ذاك كان ساكن الطباع كثير الصمت شريف النفس مع حداثة سنه، وهذا شيخ يظهر منه من الخفة والطيش والجهل مع الشيخوخة ما يضحك منه.

فيها تولى الوزارة بعد البابلى أبو الفرج[1] محمد بن جعفر بن محمد بن الحسين بن المغربى.

وفيها تولى قضاء القضاة عوضا عن اليازورى أبو على أحمد بن عبد الحكم ابن سعيد، إلى ذى القعدة، وصرف بأبى القاسم عبد الحاكم بن وهب بن عبد الرحمن المليجى، وتولى المؤيد فى الدين أبو نصر هبة الله بن موسى داعى الدعاة.

فيها قصد الأمير أبو الحارث أرسلان البساسيرى الموصل ومعه قريش بن بدران بن

---

(١) أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن الحسين بن على المغربى (...-٤٧٨هـ. ...-١٠٨٥م.) : وزير كاتب. استوزره المستنصر بالله الفاطمى سنة ٤٥٠هـ. ولقبه «الوزير الأجل الكامل الأوحد صفى أمير المؤمنين وخالصته»، فأقام سنتين وشهورا وعزل وولى ديوان الإنشاء واستمر فيه إلى أن توفى بمصر. انظر: الإشارة إلى من نال الوزارة ٤٧، والأعلام ٦/٧٢.

المقلد بن المسيب العقيلى أمير الغوب فملكها(١). وخرج إليه السلطان ركن الدين أبو طالب طغرلبك بن ميخائيل بن سلجوق، ففارقها؛ واتجه طغرلبك إلى نصيبين فخالف عليه أخوه لأمه إبراهيم بن ينال وسار إلى همذان، فرجع فى إثره؛ وتلاحقت الأتراك، فاستدعى الخليفة القائم دبيس بن مزيد(٢)، فوصل إليه وقد أرجف بمسير البساسيرى إلى بغداد فعظم الخوف منه، فرجع دبيس إلى بلاده.

فلما كان يوم الأحد الثامن من ذى القعدة من هذه السنة: وصل البساسيرى إلى بغداد ومعه قريش بن بدران، وخطب فى جامع المنصور للمستنصر بالله الفاطمى وقطع الخطبة لبنى العباس، وعقد الجسر وعبر عسكره، فلما كانت الجمعة الثانية خطب بجامع الرصافة للمستنصر. وكانت بينه وبين أهل بغداد حروب آلت إلى هزيمة رئيس الرؤساء وزير القائم والعسكر، وقتل جماعة من الأعيان. ووقع النهب فى البلد، ودخل أصحاب البساسيرى إلى البلد، ووصلوا إلى باب النوبى الشريف(٣)؛ فركب القائم بسواده وعلى كتفه البردة، وبيده السيف وعلى رأسه اللواء، وحوله جماعة بنى العباس والخدم بالسيوف المسللة، فرأى الأمر شديدا، فعاد وأبعد المنظرة، ونادى رئيس الرؤساء: يا علم الدين قريش، أمير المؤمنين يستدنيك، فدنا منه؛ فقال رئيس الرؤساء له: قد آتاك الله منزلة لم ينلها أمثالك؛ وطلب منه الأمان للخليفة القائم، فأمنه. ونزل إليه الخليفة والوزير رئيس الرؤساء، وسارا معه، فبعث إليه البساسيرى: تخالف ما استقر بيننا! فقال قريش: لا. وكانا قد تعاهدا على المشاركة فى جميع ما يحصل لهما؛ فاستقَر الأمر على أن البساسيرى يتسلم الوزير رئيس الرؤساء وأن قريش بن بدران يتسلم الخليفة القائم فيكون عنده، فبعث حينئذ قريش بالوزير إلى البساسيرى؛ فلما مثل بين يديه قال له: العفو عند القدرة، فقال البساسيرى: أنت صاحب الطيلسان ما عفوت عن دارى

---

(١) يقصد الموصل: وكان بها إبراهيم بن ينال، أخو طغرلبك السلجوقى، ثم خرج منها قاصدا بلاد الجبل، فأدرك طغرلبك بهذا أن إبراهيم قد عصاه. انظر: الكامل ٩/٢٢٢،٢٢٣.

(٢) (٣٩٤-٤٧٤هـ ١٠٠٤-١٠٨٢م.) دبيس بن على بن مزيد الأسدى، أبو الأعز، نور الدولة: أمير بادية الحلة (فى العراق) قبل بنائها. وليها بعد وفاة أبيه سنة ٤٠٨هـ . وثارت عليه فتن كثيرة أعانه البساسيرى عليها وهاجما بغداد فدخلاها سنة ٤٥٠هـ. ولم يطل أمرهما فإن السلطان طغرلبك السلجوقى قاتلهما فهزم دبيسًا وقتل البساسيرى سنة ٤٥١هـ. ورضى عن دبيس فأقره فى إمارته فاستمر إلى أن توفى وكان ممدوح السيرة. انظر: ابن الأثير ١٠/٤١، وابن خلدون ٤/٤٧٧، والأعلام ٢/٣٣٧.

(٣) باب النوبى الشريف: سبب وصفه بهذا الوصف أن الملوك وقصاد بغداد كانوا يقبلون الأرض قرب ذلك الموضع، قبل دخول بغداد إجلالا للخلافة. انظر: السلوك ١/١٠٢.

Marfat.com

وحرمى وأطفالى، فكيف أعفو وأنا صاحب سيف(١).

ثم إن قريش بن بدران سار فى خدمة الخليفة، وهو راكب بالصفة التى تقدَّم ذكرها إلى معسكره، فأنزله فى خيمة وهيأ له ما يقوم به، ووقع النهب فى دار الخلافة مدة أيام، وأخذ منها ما لا يحصى كثرة، وبعث منها إلى مصر منديل القائم الذى عممه بيده، قد جعل فى قالب رخام لكيلا ينحل، مع ردائه، والشباك الذى كان يتوكأ عليه؛ فعمل فى دار الوزارة بالقاهرة، وأما العمامة والرداء فبعثهما السلطان صلاح الدين يوسف، لما استولى على القصر، إلى الخليفة المستضىء(٢) ببغداد مع الكتاب الذى كتبه على نفسه القائم وأشهد على نفسه العدول أنه لا حق لبنى العباس فى الخلافة مع وجود فاطمة الزاهراء، وحمل أيضا إلى القاهرة الذخائر والكتب والقضيب والبردة، وسلم قريش الخليفة إلى ابن عمه مهارش بن المجلى(٣)، وكان رجلا متدينا، فحمله فى هودج إلى مدينة عانة(٤) وأنزله بها؛ وفر أصحاب الخليفة القائم إلى طغرلبك فصاروا فى جملته.

فلما كان يوم عيد النحر: ركب البساسيرى إلى المصلى وعلى رأسه ألوية المستنصر، وقد استمال الناس بكثرة الإحسان وإجراء الأرزاق، وكسر منبر المسجد الجامع ببغداد وقال: هذا منبر نحس أعلن عليه بغض آل محمد عليهم السلام؛ وأنشأ منبرا آخر وخطب عليه باسم المستنصر، ثم أخرج الوزير رئيس الرؤساء أبا القاسم على

---

(١) صاحب سيف : يذكر ابن الأثير هذه الواقعة بنفس هذه الألفاظ تقريبا ويزيد: أن البساسيرى استقبل الوزير بقوله: مرحبا بمهلك الدول ومخرب البلاد. وزاد ابن تغرى بردى: مرحبا بمدمر الدول ومهلك الأمم ومخرب البلاد ومبيد العباد. انظر: الكامل ٩/٢٢٤، والنجوم الزاهرة ٥،٩.

(٢) المستضىء بالله (الحسن بن المستنجد بالله يوسف بن المقتفى العباسى الهاشمى، أبو محمد (٥٣٦-٥٧٥هـ. ١١٤٢-١١٨٠م.) خليفة من العباسيين فى العراق.. بويع بعد وفاة أبيه وبعهد منه (سنة ٥٦٦هـ.) وصَفَتْ له الخلافة تسع سنين وسبعة أشهر. انظر: فوات الوفيات ١/١٣٧، وابن خلدون ٣/٥٢٨، والأعلام ٢/٢٢٧.

(٣) مهارش بن المجلى بن عكيث، من حفدة المهنا العقيلى، أبو الحارث، مجد الدين: أمير حديثة عانة (بالعراق) .. كان مع ابن عمه قريش ابن بدران فى فتنة البساسيرى ببغداد سنة ٤٥٠هـ. وأقام فى الحديثة إلى أن توفى. انظر: الكامل لابن الأثير ٩/٢٢٤، ٢٢٧ ثم ١٠/١٤٥ والأعلام ٧/٣١٠،٣١١ والنجوم الزاهرة ٥/١٩٣.

(٤) عانَةُ: بالنون. والعانة: الجماعة من حمر الوحش، ويجمع عُونًا وعانات، وعانة الرحل: منبت الشعر من قُبل الرحل. وعانة: بلد مشهور بين الرَّقّة وهيت يعد فى أعمال الجزيرة، وجاء فى الشعر عانات كأنه جمع بما حوله، ونسبت العرب إليه الخمر.
وهى مشرفة على الفرات قرب حديثة النورة وبها قلعة حصينة. انظر: معجم البلدان ٤/٧٢.

Marfat.com

ابن المسلمة وهو مقيد وعليه جبة صوف وطرطور أحمر من لبد[١] وفى عنقه مخنقة، فشهره ثم أعاده إلى المعسكر وقد نصبت له خشبة، فألبس جلد ثور طرى، وجعل فى فكيه كلابين من حديد وعلقه بها؛ فبقى يضطرب إلى آخر النهار حتى مات، وعمره نحو من ثلاث وخمسين سنة[٢]، وكان حسن التلاوة للقرآن جيد المعرفة بالأدب.

ولما ورد الخبر بذلك إلى المستنصر سر سرورا كثيرا، وزينت القاهرة ومصر وجاءَت نسب الطبالة، فغنت بالطبل فى القصر بين يدى المستنصر:

يـــا بنـــى العبـــاس ردوا ملـــك الأمـــر معـــد
ملككـــم ملـــك معـــار والـــعـــوارى تســـترد

فقال لها المستنصر: تمنى، فلك حكمك؛ فسألت الأرض المجاورة للمقس[٣]، فأقطعها إياها، فعرفت بها، وقيل لها إلى اليوم: أرض الطبالة[٤]، وأمر المستنصر أن يحمل إلى مهارش عشرة آلاف دينار ليسير إليه الخليفة القائم على حال جميلة؛ وعزم على أنه إذا وصل تلقاه أحسن لقاء وبالغ فى إكرامه. ويقال إنه بنى القصر الغربى لينزله فيه، ويحمل إليه ما ينسيه به ما كان فيه من إقامة الرواتب السنية، وأن يقرر له فى كل يوم مائة دينار؛ وأنه إذا ركب المستنصر فى أوقات ركوبه قدمه بين يديه يحجبه، فإذا أقام على ذلك مدة، وبات وانتشر فى الأقطار خبر ذلك خلع عليه وعقد له ألوية الولاية للعراق، وكتب عهده بتقليده إياه، وسيره إليه، وأعاده إلى مملكته وخلافته من قبله، فمنعه حادث القدر قبل إدراك ذلك. وكان من جملة أسباب فوات هذا أن البساسيرى لما بعث الكتب إلى المستنصر يعرفه بإقامة الخطبة له ببغداد كان الوزير حينئذ

---

(١) لبد: اللبد هو الصوف. انظر: المعجم الوجيز صـ٥٤٩.

(٢) فى النجوم الزاهرة: وجعل فى رقبته قلائد كالمسخرة وطيف به بالشوارع وخلفه من يصفعه، ثم سلخ له ثور وألبس جلده وخيط عليه وجعلت قرون الثور فى رأسه. انظر: النجوم الزاهرة ٦/٥، ٧.

(٣) المَقْسُ: بالفتح ثم السكون، وسين مهملة، يقال: مَقَسْته فى الماء مَقْسًا إذا غططته فيه، والمَقْسُ كان فى القديم يقعد عندها العامل على المَكْس فقُلِبَ وسمى المقس: وهو بين يدى القاهرة على النيل، وكان قبل الإسلام يسمى أمّ دُنين، وكان فيه حصن ومدينة قبل بناء الفسطاط، وحاصرها عمرو بن العاص وقاتله أهلها قتالاً شديدًا حتى افتتحها فى سنة ٢٠ للهجرة، وأظنه غير قصر الشمع المذكور فى بابه وفى بابليون. انظر: معجم البلدان ١٧٥/٥.

(٤) الطبالة: يذكر المقريزى أنها كانت من أحسن متنزهات القاهرة. وتحد الآن من الشمال والغرب بشارع الظاهر، ومن الجنوب بشارع الفحالة وسكتها، ومن الشرق بشارع بور سعيد - شارع الخليج. انظر: النجوم الزاهرة ١٢/٥ حاشية ٥، نقلا من الخطط ١٢٥/٢.

Marfat.com

أبو الفرج محمد بن المغربى، وهو ممن فر من البساسيرى وسار إلى القاهرة، فحذر المستنصر من البساسيرى وخوفه عاقبته؛ فتركت أجوبته مدة، ثم عادت الأجوبة بخلاف ما أمله البساسيرى؛ ثم قدم طغرلبك فانتصر عليه.

وفيها بنيت القبة التى بصحن جامع دمشق، شرقى الجامع على باب مشهد على، وكتب عليها اسم المستنصر.

وفيها ولى المستنصر ناصر الدولة الحسن بن عبدالله بن حمدان دمشق فى شهر رجب(١).

سنة إحدى وخمسين وأربعمائة

فيها سار الأمير أبو الحارث البساسيرى من بغداد فملك البصرة وواسط، وأقام بهما الدعوة للمستنصر، وخطب له فى عامة تلك الأعمال. وبلغ طغرلبك ما كان من أخذ بغداد وقطع الخطبة العباسية منها، فكاتب ألب أرسلان بن داود أخيه، فقدم عليه فى إخوته بعسكر كبير، واجتمعوا على محاربة إبراهيم ينال، فكانت الغلبة لطغرلبك، فأخذه أسيرا وقتله فى تاسع جمادى الآخرة.. وتوجه يريد بغداد، وبعث إلى البساسيرى وإلى قريش بن بدران يأمرهما برد الخليفة القائم إلى بغداد، وإقامة الخطبة له على عادته، وردّه إلى تخت خلافته، ويعدهما أنهما إن فعلا ذلك رجع عن العراق، ولم يدخل بغداد، وأنه يقنع بأن يخطب له فيها وتضرب السكة باسمه، فامتنع البساسيرى من ذلك وأبى إلا الإقامة على ما هو عليه، فسار طغرلبك يريده فأحدر بغداد البساسيرى أولاده وحرمه من بغداد إلى واسط ونوى العود. وعندما قارب طغرلبك بغداد بعث إلى قريش يشكر ما كان من صنيعه مع الخليفة القائم، وجهز إلى بكر بن فورك لإحضار الخليفة؛ فوافى حلة بدر بن مهلهل وقد وصل الخليفة وابن مهارش فى تلك الساعة، فركب هو وابن فورك وأركبا الخليفة وخدماه؛ وأتته هدايا بدر.

وبعث طغرلبك بوزيره عميد الملك أبى نصر منصور الكندرى والأمراء والحجاب بالخيام الكثيرة والسرادقات العظيمة، والخيول المعدة بالمراكب الذهب، إلى الخليفة القائم، فرحل وهم فى خدمته، وقد خرج طغرلبك إلى لقائه، فعندما شاهده وقع إلى الأرض يقبلها، ثم قام وهنأه بالسلامة، وأظهر السرور الزائد والابتهاج الكبير؛ واعتذر عن تأخره بما كان من عصيان إبراهيم ينال، فقلده الخليفة بسيف كان قد تأخر عنه،

---

(١) فوصلها فى منتصف رجب؛ وهو الأمير المظفر ناصر الدولة وسيفها ، ذو المجدين، أبو محمد الحسن بن الحسين وهذه هى ولايته الثانية، وكانت الأولى فى سنة ٤٣٣هـ. انظر: ذيل تاريخ دمشق ٨٣،٨٦.

Marfat.com

وسار معه طغرلبك إلى بغداد وجلس على باب النوبى الشريف مكان حاجب الباب حتى وصل الخليفة، فعندما شاهده مثل قائما وأخذ بلجام بغلته حتى انتهى إلى باب الحجرة الشريفة؛ وذلك فى يوم الاثنين لخمس بقين من ذى الحجة.

ثم عاد طغرلبك إلى معسكره وسير العساكر لمحاربة البساسيرى وخرج فى إثره؛ فوافت العساكر البساسيرى ودبيس بن مزيد، فكانت بينهم حروب آلت إلى انهزام دبيس ووقوع ضربة فى وجه البساسيرى سقط منها عن فرسه، فأخذ، وقتل، وحملت رأسه إلى طغرلبك فبعث بها إلى الخليفة القائم، فطيف بها على قناة فى بغداد للنصف من ذى الحجة[1]، وعلقت على باب النوبى وأحيط بأموال البساسيرى ونسائه وأمواله، وجميع حواشيه وأسبابه؛ وقتل فى هذه الوقائع من الخلائق ما لا يحصى لهم عدد؛ وفرَّ دبيس إلى البطيحة[2].

وقطعت الخطبة من بلاد العراق للمستنصر بعد أن خطب له ببغداد أربعين جمعة؛ وعادت للقائم كما كانت، وهذه الحادثة كانت آخر سعادة الدولة الفاطمية، فإن الشام خرج من أيديهم بعدها بقليل لاستيلاء الترك عليه، ولم يبق بيدهم غير ملك مصر خاصة. ويقال إن الخليفة القائم بأمر الله كتب لما نكب كتابا يشكو فيه ما يلقاه من البساسيرى ونسخته بعد البسملة: «إلى الله العظيم من عبده المسكين. اللهم إنك عالم بالسرائر، مطلع على مكنونات الضمائر، اللهم إنك غنى بعلمك واطلاعك على أمور خلقك عن إعلامى لك، وهذا عبد من عبيدك قد كفر نعمتك وما شكرها، وألغى العواقب وما ذكرها، أطغاه حلمك، وسخر بأناتك، حتى تعدى علينا بغيًا، وأساء إلينا عتوا وعدوا. اللهم قل الناصر، واغتر الظالم، وأنت المطلع العالم، والمنصف الحاكم، بك نستعين عليه، وإليك نهرب من بين يديه، وقد تعزز بالمخلوقين، ونحن نستعين بالله رب العالمين. اللهم إنا حاكمناه إليك، وتوكلنا فى إنصافنا منه عليك، ورفعنا ظلامتنا إلى حكمك، ووثقنا فى كشفها بكرمك فاحكم بيننا بالحق وأنت خير الحاكمين، وأظهر قدرتك فيه قدر ما نرتجيه، فقد أخذته العزة بالإثم. اللهم فاستلبه عزته، وملكنا بقدرتك ناصيته، يا أرحم الراحمين. وصلى الله على محمد خاتم النبيين، وعلى آله الطيبين وسلم تسليما».

---

(١) يقول ابن الأثير: فوصل منتصف ذى الحجة سنة إحدى وخمسين، فنظف وغُسل وحُمل على قناة وطيف به وصلب قبالة باب النوبى. انظر: الكامل ٩/٢٢٨ -٢٢٩.

(٢) البطيحة: أرض واسعة بين واسط والبصرة وقد أراد دبيس بفراره إلى البطيحة أن يستفيد من تحصينها الطبيعى. انظر: معجم البلدان ٢/٢٢٢ - ٢٢٣.

Marfat.com

وبعث به إلى باب الكعبة، وعلق بباب الكعبة ودعى بما فيه؛ فقتل البساسيرى فى ذلك اليوم.

سنة النتين وخمسين وأربعمائة

فيها سارت العساكر من مصر، وكتب لناصر الدولة أبى على الحسين بن حمدان أن يكون قائد الجيش؛ فسار من دمشق بعسكر كبير فى سادس ربيع الأول يريد محاربة أهل حلب. وكانت مدينة حلب قد أقيمت فيها الدعوة الفاطمية، وأسقطت بها دعوة بنى العباس إلى أيام الظاهر بن الحاكم، فتغلب عليها صالح بن مرداس، أحد أمراء الكلابيين، وكثف أمره بها حتى استولى على دمشق أمير الجيوش أنوشتكين الدزبرى، أحد الغلمان الأتراك، فساس الأمور، وأطاعه كل مارق، وراسل الملوك، فنابذه صالح بن مرداس وجمع له العرب، وفيهم عدة الدولة حسان بن جراح، وسار لمحاربته، فكانت بينهما وقائع انهزم فيها حسان إلى بلاد الروم، وتفرق الجمع، ثم مات صالح وقام من بعده ابنه شبل الدولة نصر بن صالح[1] فى حلب، فقام بمنابذة أمير الجيوش كما كان أبوه، وسار لقتاله، فقتل، وملك أمير الجيوش حلب فأقام بها رضى الدولة منجوتكين، أحد غلمانه، فأقام بها سنين. ومات أمير الجيوش فغلب على حلب ثمال بن صالح بن مرداس وملكها؛ ولم يقم أحد بعد أمير الجيوش مقامه.

فلما كانت وزارة الجرجرائى[2] غمض طرفه عن ثمال، ورأى أن موادعته أخف من إنفاق الأموال فى محاربته، فكتب بولايته وقرر عليه الحمل فى كل سنة. وتمادى ذلك إلى أيام وزارة اليازورى فلم يرض بهذا، ورأى أن الحيلة أبلغ فيما يؤثره، لأنه إن رام صرفه لم يطق ذلك، وإن نابذه ألزم كلفا كثيرة، فاستعمل السياسة والتدبير الخفى، وندب لذلك رجلا من أهل صور له بها رئاسة ووجاهة، يقال له عين الدولة علىّ بن

---

(١) نصر بن صالح بن مرداس الكلابى، أبو كامل، شبل الدولة (...-٤٢٩هـ. ...-١٠٣٨م.) صاحب حلب. استولى عليها بعد أن قتل أبوه سنة ٤٢٠هـ وحاربه الروم وكانوا بأنطاكية فتغلب عليهم. واستقل بإمارته فسير إليه المستنصر الفاطمى جيشًا ثبت له نصر فقتل فى المعركة. انظر: ابن الأثير ٧٩/٩ والأعلام ٢٤/٨.

(٢) على بن أحمد الجرجرائى، أبو القاسم، نجيب الدولة: وزير، من الدهاة. ولد فى جرجرايا (بسواد العراق) وسكن مصر، وكثر التظلم منه فى أيام الحاكم الفاطمى فقبض عليه واعتقل سنة ٤٠٣هـ. وأطلق ثم صدر الأمر بقطع يديه سنة ٤٠٤هـ فقطعتا ثم ولى ديوان النفقات سنة ٤٠٦هـ. ولقب سنة ٤٠٧هـ. بنجيب الدولة، واستوزره الظاهر الفاطمى سنة ٤١٨هـ. وبعده أقره المستنصر ورفع مكانته، فاستمر فى الوزارة ملقبًا بالوزير الأجل الأوحد صفى أمر المؤمنين وخالصته إلى أن توفى. انظر: فوت الوفيات ٣٦٧/١، والولاة للكندى ٤٩٧، والأعلام ٢٥٤/٤.

Marfat.com

عياض، قاضى صور، فساس الأمر وأحكم التدبير فيما قرره مع كاتب ثمال بن صالح وما وعده به، حتى نزل من قلعة حلب وسلمها إلى مكين الدولة الحسن بن على بن ملهم والى الخليفة المستنصر. وسار من حلب يريد مصر للقاء الحضرة؛ فلما بلغ رفح اتصل به خبر القبض على اليازورى، فقال: والله إنى أموت بحسرة، ونظر إلى من استلبنى من ذلك الملك، وأخرجنى بلا رغبة ولا رهبة إلا بحسن السياسة، وإن رام ذلك منى فليس يتعذر عليه.

ورجع ثمال إلى حلب، فاتفق قيام أهل حلب وتسليم البلد إلى عز الدولة محمود بن نصر بن صالح بن مرداس(١)، فى مستهل جمادى الآخرة من هذه السنة، فحضر ابن ملهم بالقلعة إلى أن سار إليه ناصر الدولة بن حمدان، فكانت بينهما حروب كبيرة على قنسرين آلت إلى أن انكسر ناصر الدولة كسرة عنيفة، فأصابته ضربة شلت منها يده، ورجع منهزما فى مستهل شعبان، فقال عبد العزيز العكيك الحلبى وقد مدح ناصر الدولة فلم يجزه:

ولئن غلطتُ بأن مدحتُك، طالبا جدواك مع علمى بأنك باخل
فالدولة الزهراءُ قد غَلِطت بأن نعتْك ناصرَها، وأنت الخاذل
إن تم أمرك مع يدٍ لك أصبحت شلاّء فالأمثال عندى باطل

وأما ابن ملهم فإنه بعث إلى أسد الدولة أبى ذؤابة عطية بن صالح (٢) فسلمه حلب، ودخلها فى عاشر شعبان هذا، وأقام بها يومه ثم خرج عجزا عنها؛ فوصل محمود فى ثانى عشره وملكها.

---

(١) محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابى، عز الدولة ابن شبل الدولة (...-٤٦٧هـ.=...-١٠٧٥م.). أحد الأمراء المرداسيين أصحاب حلب. وليها سنة ٤٥٢هـ. ووجهت إليه حكومة مصر عمه ثمال بن صالح فانتزعها منه سنة ٤٥٣هـ وتوفى ثمال بعد عام فوليها عطية بن صالح فأغار عليه محمود فامتلكها سنة ٤٥٤هـ. وقوى أمره وصفا له جوها فاستمر إلى أن توفى. انظر: شذرات الذهب ٣/٣٢٩، والكامل لابن الأثير ١٠/٣٦، والأعلام ٧/١٨٩.

(٢) عطية بن صالح بن مرداس، أبو ذؤابة، ويلقب بأسد الدولة، من بنى كلاب بن عامر بن صعصعة:- (...-٤٦٥هـ.=...-١٠٧٣م.) أمير مرداسى؛ كانت له حلب، تولاها استقلالا بعد وفاة أخيه «ثمال» سنة ٤٥٤هـ. وبعهد منه. وحدثت فتنة بين أهل حلب والترك المقيمين فيها فخرج رؤساء الترك إلى حران وفيها محمود بن نصر بن صالح (ابن أخى عطية) وهاجم حلب وامتلكها سنة ٤٥٧هـ. ولحق عطية بالرقة فملكها مدة وتغلب عليه مسلم بن قريش سنة ٤٦٣هـ. فانصرف عطية إلى بلاد الروم فمات فى القسطنطينية. انظر: ابن الأثير ٩/٨٠، وزبدة الحلب ١/٢٩١ - ٢٩٧، والأعلام ٤/٢٣٨.

Marfat.com

وفى تاسع رمضان: صُرف أبو الفرج بن المغربى عن الوزارة، وأُعيد إليها أبو الفرج عبد الله بن محمد البابلى. وصرف عن قضاء القضاة عبد الحاكم بن وهب فى جمادى الآخرة، واستقر أبو عبد الله أحمد بن محمد بن أبى ذكرى، فى حادى عشرى رجب.

وفيها قدمت هدية المعز بن باديس، فقومت بأربعين ألف دينار؛ منها درقة مرصعة بالجوهر كانت للمهدى.

وفيها قدم كتاب على بن محمد الصليحى بما هو عليه من القوة وإقامة الدعوة؛ واستأذن فى المسير إلى تهامة(١) وأخذها، فأجيب بذلك، فسار إليها وأخذها.

وفيها نزل محمود بن شبل الدولة ثمال بن صالح بن مرداس على حلب، ومعه منيع ابن سيف الدولة، سبعة أيام ثم رحل، وعاد إليها وأخذها يوم الاثنين ثانى جمادى الآخرة، وحصر القلعة إلى سادس رجب ورحل؛ فملكها أصحاب المستنصر.

وفيها التقى ناصر الدولة بن حمدان مع محمود بن شبل الدولة الفنيدق(٢)، فانكسر ابن حمدان؛ ودخل عطية حلب وخرج منها؛ وتسلمها محمود يوم السبت ثانى شعبان؛ ثم وصل عمه معز الدولة فحاصر حلب مدة.

وفى هذه السنة: سقط تنوُّر قبة صخرة بيت المقدس وفيه خمسمائة قنديل، فتطير الناس وقالوا: ليكونن فى الإسلام حادث عظيم.

سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة

فى ثالث محرم: صرف البابلى عن الوزارة؛ واستقرَّ عبد الله بن يحيى بن المدبر.

وفى صفر: توفى قاضى القضاة ابن أبى ذكرى، فاستقر فى الحكم بعده أبو على

---

(١) تهامة: فى مختصر العين تهامة: مكة، والنازل متهم، والصحيح أن مكة من تهامة كما أن المدينة من نجد، وقيل أرض تهامة قطعة من اليمن وهى جبال مشتبكة أولها فى البحر القلزمى ومشرفة عليه وحدودها فى غربيها بحر القلزم وفى شرقيها جبال متصلة من الجنوب إلى الشمال، وطول أرض تهامة من الشرجة إلى عدن على الساحل اثنتا عشرة مرحلة، وفى شرقيها مدينة صعدة وجرش ونجران، وفى شمالها مكة وجدة وفى جنوبها صنعاء على نحو عشرين مرحلة. وسميت تهامة لتغير هوائها من قولهم: تهم الدهن وتهم إذا تغير ريحه. انظر: الروض المعطار ١٤١، ١٤٢، وابن حوقل ٤٣، والكرخى ٢٦، والنزهة ٥٢، ومعجم البلدان ٢/٦٣، ٦٤.

(٢) الفُنَيْدِقُ: من أعمال حلب كانت به عدة وقعات، وهو الذى يعرف اليوم بتل السلطان، بينه وبين حلب خمسة فراسخ، وبه كانت وقعات الفنيدق بين ناصر الدولة بن حمدان وبنى كلاب من بنى مِرداس فى سنة ٤٥٢ فأسرَه بنو كلاب. انظر: معجم البلدان ٦/٤٠٢، ٤٠٣.

أحمد ابن قاضى القضاة عبد الحاكم بن سعيد(١) فى رابع عشره، وصرف فى خامس صفر، واستقرّ عوضه أبو القاسم عبد الحاكم بن وهيب المليجى، ثم صرف فى حادى عشر رمضان، واستقَر عوضه أبو محمد عبد الكريم بن الحاكم بن سعد بن مالك ابن سعيد الفارقى(٢)، واستخلف ابنه عميد الملك أبا الحسن، وصرف ابن المدبر عن الوزارة واستقر بعده أبو محمد عبد الكريم بن عبد الحاكم، أخو قاضى القضاة.

وكان السبب فى سرعة العزل وكثرة الولايات أنه لما قتل اليازورى كثر السعاة فى الوزارة، فما هو إلا أن يستخدم الوزير فيجعل نصب الأعين، وتركب عليه المناصب، ويكثر الطعن عليه حتى يعزل ولم تطل مدته ولا اتسع وقته؛ فيلى بعده من يتفق له مثل ذلك، لمخالطة الناس الخليفة ومداخلتهم الرقاع والمكاتبات الكثيرة إليه؛ وكان لا ينكر على أحد مكاتبته، فأحب الناس مخالطة الخليفة وجعلوه سوقا لهم؛ فتقدم كل سفساف، وحظى أوغاد عدة، وكثروا حتى كانت رقاعهم أوقع من رقاع الصدور والرؤساء والجلة، وتنقلوا فى المكاتبة إلى كل فن، حتى إنه كان يصل إلى المستنصر فى كل يوم ثمانمائة رقعة؛ فتشابهت عليه الأمور وتناقضت الأحوال. ووقع الاختلاف بين عبيد الدولة، وضعفت قوى الوزراء عن التدبير لقصر مدة كل منهم، فإن الوزير منذ يخلع عليه ويستقر إلى أن ينصرف لا يفيق من التحرر، فمن ابتغى به يؤذيه عند الخليفة، وسعت عليه الرجال، فما يصير فيه فضل عن الدفاع عن نفسه، فخربت الأعمال وقل ارتفاعها، وتقلب الرجال على معظمها واسْتَنْضوا رَاخىَ ارتفاعها، فاتضع الارتفاع، وعظمت النفقات. ووقع اصْطَراع الأضداد على السلطان، وواصلوه باقتضاء مالهم من المقررت، ولازموا بابه، ومنعوه من لذاته، وتجرءوا على الوزراء واستخفوا بهم، وجعلوهم غرضا لمساءتهم، فكانت الفترات بعد صرف من ينصرف منهم أطول من مدة نظر أحدهم؛ والمستنصر يوسعهم حلما واحتمالا، فأطغى الرجال ذلك وجرأهم عليه، حتى خرجوا من طلب واجباتهم إلى التصارع، فاستنفدوا أمواله وأخلوا منها

---

(١) عبد الحاكم بن سعيد بن مالك الفارقى، أبو الفتح: قاض، فاضل. ولى قضاء طرابلس، وانتقل إلى القضاء بمصر (سنة ٤١٩هـ.) فكان أفضل من تولاه فى أيام الفاطميين. وصرف عنه سنة ٤٢٧هـ.، فلزم بيته إلى أن مات . انظر: الإشارة إلى من نال الوزارة ٤٨ والولاة والقضاة ٤٩٧و٦١٣، والأعلام ٢٧٧/٣.

(٢) عبد الكريم بن عبد الحاكم بن سعيد بن مالك بن سعيد الفارقى (...-٤٥٤هـ = ...-١٠٦٢م): من وزراء الدولة الفاطمية بمصر. كان أبوه من الفقهاء، وهو أول من ولى الوزارة من هذا البيت، تقررت له سنة ٤٥٣هـ. وكان موصوفا بالخير وعاجلته الوفاة. انظر: الإشارة إلى من نال الوزارة ٤٨، والأعلام ٥٢/٤.

Marfat.com

خزائنه، وأحوجوه إلى بيع ما عنده من العروض، فكان يخرجها لهم لتباع ويشتريها الناس فيعترضونها، ويأخذ من له درهم واحد ما يساوى عشرة ولا يمكن مطالبته. ثم عادوا إلى تقويم ما يخرج، فإذا حضر المقومون أخافوهم، فيقومون ما يساوى ألفا بمائة فما دونها، ولا يتمكن الخليفة من استيفاء ذلك؛ فتلاشت الأمور واضمحل الملك. ثم لما علموا أنه لم يبق ما يخرج لهم تقاسموا الأعمال وتشاحنوا على مازاد من الارتفاع؛ وكانوا يتنقلون فيها بحكم غلبة من يغلب صاحبه عليها.. ودام ذلك بينهم سنوات نحوا من ست؛ ثم قصر النيل وغلبت الأسعار غلاء بدد شمل الناس بأسرهم، وفرق ألفتهم، وشتت كلمتهم وأوقع العداوة والبغضاء بينهم، فقتل بعضهم بعضا حتى ناء عصب الإقليم وعفت آثاره، كما ستقف عليه فيما يأتى إن شاء الله.

وفيها اصطلح معز الدولة وابن أخيه محمود بن شبل الدولة، ودخل حلب فى رابع عشرى ربيع الأول.

فلما كان يوم الجمعة لسبع بقين من ذى القعدة: توفى ودفن بالقلعة بعد أن حاصر ابن أخيه، فملك بعده أخوه عطية، أبو ذؤابة.

وفيها مات بمصر مؤتمن الدولة أبو طاهر مسلم بن على بن ثعلب، فكتب أبو محمد ابن سعد، الشاعر الخفاجى، من القسطنطينية إلى أهله بحلب يرثيه من أبيات:

أتانى وعرض الرمل بينى وبينه حديث لأسرار الدموع مذيع

ومات المعز بن باديس، وملك بعده ابنه تميم(١)؛ فطمع أصحاب البلاد بسبب العرب وتغلبهم على بلاد إفريقية.

سنة أربع وخمسين وأربعمائة

فى ثالث المحرم: توفى أبو محمد عبد الكريم بن عبد الحاكم فى وزارته، وكان أبوه قاضى طرابلس، فانتقل أبو محمد إلى مصر، وكان فاضلا؛ فردت الوزارة بعده إلى أخيه أبى على أحمد بن عبد الحاكم بن سعيد، ثم صرف عن القضاء فى صفر بأبى القاسم عبد الحاكم بن وهيب بن عبد الرحمن؛ ثم صرف أبو على عن الوزارة، واستخدم

(١) تميم بن المعز بن باديس بن المنصور، أبو يحيى الصنهاجى: (٤٢٢-٥٠١هـ ١٠٣١-١١٠٨م) من ملوك الدولة الصنهاجية بإفريقية الشمالية. ولد بها، فى المنصورية، وولاه أبوه المهدية سنة ٤٤٥هـ. ثم ولى الملك بعد وفاة أبيه (سنة ٤٥٤هـ.) وكانت الدولة فى اختلال واضطراب، فجدد معالمها ولم يكمل توفيق «تميم» فقد هاجمته مراكب الإفرنج سنة ٤٨٠هـ. فاستولوا على المهدية فصالحهم على مال أخذوه واعتلت أموره فى أواخر أيامه إلى أن توفى بالمهدية. طالت أيام ملكه فأقام ٤٦ سنة وعشرة شهور وخلف من الأولاد والحفدة الذكور نحو الثلاثمائة. انظر: النجوم الزاهرة ١٩٨/٥، والخلاصة النقية ٤٩، وابن الأثير ١٥٨/١٠ والأعلام ٨٨/٢.

Marfat.com

سديد الدولة أبو عبد الله الحسين بن سديد الدولة ذى الكفايتين بن أبى الحسن على بن محمد بن الحسن بن عيسى العقيلى؛ وكان أولا ناظرا على دواوين الشام، فأقام فى الوزارة إلى شوال؛ وصرف عنها بأبى الفرج البابلى المقدم ذكره.

وفيها تولى مكين الدولة بن ملهم طبرية وعكا، وإمرة بنى سليم وبنى فزارة، فسار إليها وتسلمها فى صفر.

* * *

Marfat.com

ذِكْر ابتِداءِ الفِتنة الّتى آلَتْ إلى إِخراب دِيَار مصْر

وفى هذه السنة: ابتدأت الفتنة التى كانت سببا لخراب الإقليم؛ وذلك أن المستنصر كان من عادته فى كل سنة أن يركب على النجب ومعه النساء والحشم إلى جب عميرة، وهو موضع نزهة، ويغير هيئته، كأنه خارج يريد الحج على سبيل الهزر والمجانة، ومعه الخمر محمولٌ فى الروايا عوضا عن الماء، ويدور به سقاته عليه وعلى من معه كأنه بطريق الحجاز أو كأنه ماء زمزم. وقد أنشد الشريف أبو الحسين على بن الحسين بن حيدرة العقيلى[1] المستنصر فى ذلك صبيحة يوم عرفة:

قم فانحر الراح يوم النحر بالماء ... ولا تضح ضحى إلا بصهباء
وأدرك حجيج الندامى قبل نفرهم ... إلى منى، فصفهم مع كل هيفاء
وعج على مكة الروحاء[2] مبتكرا ... فطف بها حول ركن العود والناء

فلما كان فى جمادى الآخرة: خرج على عادته؛ واتفق أن بعض الأتراك جرد سيفا فى سكرة منه على بعض عبيد الشراء، فاجتمع عليه عدة من العبيد وقتلوه، فغضب لذلك جماعة الأتراك واجتمعوا بأسرهم ودخلوا على المستنصر، وقالوا: إن كان هذا الذى قتل منا عن رضاك فالسمع والطاعة، وإن كان قتله عن غير رضا أمير المؤمنين فلا صبر لنا على ذلك، وأنكر المستنصر أن قتله برضاه أو أمره؛ فخرج الأتراك واشتدوا على العبيد يريدون محاربتهم، فبرزت العبيد إليهم؛ وكانت بين الفريقين حروب بناحية كوم شريك[3] قتل فيها عدة، وانهزم العبيد وقويت الأتراك؛ هذا والسيدة أم المستنصر تمد العبيد بالأموال والسلاح.

---

(١) على بن الحسين بن حيدرة العقيلى الشريف أبو الحسن، من سلالة عقيل بن أبى طالب: (...- نحو ٤٥٠هـ ...- نحو ١٠٥٨م) شاعر، من سكان الفسطاط (بالقاهرة). اشتهر بإحادته التشبيه وإكثاره من الاستعارات البيانية وله «ديوان -ط». انظر: فوات الوفيات ٢/٤٧، والأعلام ٤/٢٧٩.

(٢) الروحاء: يقول ياقوت : إنما سميت الروحاء لانفتاحها وروحها. انظر: معجم البلدان ٤/٢٩٦-٢٩٧، وفى الروض المعطار الروحاء: قرية جامعة لمزينة على ليلتين من المدينة، بينهما أحد وأربعون ميلاً. وقيل: سميت الروحاء لكثرة أرواحها، والروحاء هى السيالة. انظر: الروض المعطار ٢٧٧، ٢٧٨، ومعجم ما استعجم ٢/٦٨١، ٦٨٣.

(٣) كوم شريك: قرب الإسكندرية والكوم: الرمل المشرف ويذكر أنه من قرى حوف دمسيس ناحية البحيرة. انظر: قوانين الدواوين ١٧٣، ٢٢٧، وفى الروض المعطار موضع من أسفل الأرض، وأسفل الأرض كوم الإسكندرية والقلزم والطور وأيلة. انظر: الروض المعطار ٥٠١، ومعجم ما استعجم ٤/١١٤٣.

Marfat.com

فاتفق فى بعض الأيام أن أحد الأتراك وقف على شىء مما تبعث به أم المستنصر إلى العبيد لتعينهم به على محاربة الأتراك، فأنكر ذلك وأعلم أصحابه، فاجتمعوا وصاروا إلى المستنصر وتجرَّءوا عليه بالقول وأغلظوا فى المخاطبة؛ فأنكر أن يكون عنده من ذلك خبر، وصار السيف قائما، فدخل على أمه وأنكر عليها ما تعتمده من تقوية العبيد وإعانتهم على محاربة الأتراك، ثم انتدب أبا الفرج ابن المغربى، الذى كان وزيرا؛ فخرج؛ ولم يزل يسعى بين الأتراك والعبيد حتى أوقع الصلح بين الفريقين، فاجتمع العبيد وساروا إلى ناحية شبرا دمنهور[1]، فكانت هذه الكائنة أول الاختلاف بين طوائف العسكر.

وكان السبب فى كثرة السودان بالقصر أن أم المستنصر كانت جارية سوداء قدم بها أبو سعيد التسترى المقدم ذكره، فأخذها منه الظاهر واستولدها المستنصر، فلما أفضت الخلافة إلى ابنها المستنصر، ومات الوزير صفى الدين الجرجرائى فى سنة ست وثلاثين وأربعمائة استطالت أم المستنصر وقويت شوكتها، وتحكمت فى الدولة، واستوزرت مولاها أبا سعيد. وتوقفت أحوال الوزير الفلاحى معه، فاستمال الأتراك وزاد فى واجباتهم حتى قتلوا أبا سعيد، فحنقت أم المستنصر من قتله على الفلاحى، ولم تزل به حتى كان من أمره ما تقدم ذكره.

وأخذت فى شراء العبيد السود وجعلتهم طائفة لها، واستكثرت منهم وخصتهم بالنظر، وبسطت لهم فى الرزق ووسعت عليهم حتى أمطرتهم بالنعم؛ وسار العبد بمصر يحكم حكم الولاة. وشرعت تغض من الأتراك وتظهر كراهتهم وانتقاصهم.

وتقدمت إلى الوزير أبى البركات الجرجرائى أن يغرى العبيد بالأتراك ويوقع بينهم، فخاف سوء العاقبة فى ذلك ولم يوافقها عليه؛ فلم تزل به حتى صرف من الوزارة. واستقر وزيرها أبو محمد اليازورى فى الوزارة، فأوعزت إليه بذلك، فساس الأمور سياسة جميلة إلى أن انقضت أيامه. ووزر البابلى، فأمرته بذلك، فشرع فيه. وتغيرت النيَّات، وصارت قلوب كل من الطائفتين تضمر السوء للأخرى، حتى كان من الحرب ما قد ذكر، ولم يزل ذلك حتى خرب الإقليم كله وهلك أهله كما سيأتى.

وفيها توفى الشريف أبو الحسن إبراهيم بن العباس بن الحسن بن الحسين بن على بن محمد بن على بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وكان قد ولى قضاء دمشق مرتين.

وفى سابع عشر ذى القعدة: توفى القاضى الفقيه أبو عبد الله محمد بن سلامة بن

(١) شبرا دمنهور: من ضواحى القاهرة وسميت شبرا دمنهور نسبة إلى مدينة قريبة تحمل اسم دمنهور. انظر: النجوم الزاهرة ٥/١٩.

Marfat.com

جعفر بن على بن حكمول بن إبراهيم بن محمد بن مسلم القضاعى؛ وكان يخلف القضاة فى الحكم بمصر؛ وكان إماما محدثا، وله كتاب «الشهاب»، وكتاب «الخطط»، وكتاب «أنباء الأنبياء»، وغير ذلك من المصنفات.

وفيها توفى الرئيس أبو الحسن على بن رضوان بن على بن جعفر[1] الطبيب، وتوفى المعز بن باديس بالقيروان فى رابع شعبان.

سنة خمس وخمسين وأربعمائة

فيها ردت الوزارة والحكم معا إلى أبى على أحمد بن قاضى القضاة عبد الكريم بن عبد الحاكم فى ثالث عشر المحرم، ثم صرف عنهما فى سابع صفر؛ وأعيدت الوزارة لأبى المفضل عبد الله بن يحيى بن المدبر، والحكم إلى أبى القاسم عبد الكريم بن وهيب.

وفى تاسع عشر جمادى الأولى: توفى الوزير أبو الفضل عبد الله بن المدبر، وقد تكررت ولايته للوزارة؛ وسمع الحديث، وكان فاضلا أديبا؛ وهو من ولد ابن المدبر متولى خراج مصر فى أيام ابن طولون[2]. واستقر فى الوزارة أبو غالب عبد الطاهر بن الفضل بن الموفق فى الدين المعروف بابن العجمى، ثم صرف وقبض عليه فى السابع والعشرين من شعبان، وأعيد إلى القضاء والوزارة جميعا أبو محمد الحسن بن مجلى بن أسد ابن أبى كدينة، واستمر فيهما إلى خامس ذى الحجة، فرتب مكانه جلال الملك أحمد بن عبد الكريم بن عبد الحاكم بن سعيد، فاستخلف أخاه أبا الحسن عليًّا على القضاء.

وفيها ندب أمير الجيوش بدر الجمالى[3] لولايته دمشق؛ وندب معه على الخراج

---

(١) على بن رضوان بن على بن جعفر، أبو الحسن: (...-٤٥٣هـ ...-١٠٦١م) طبيب، رياضى، من العلماء؛ من أهل مصر. كان أبوه فرانًا وارتقى هو بعلمه، فاتصل بالحاكم فجعله رأسًا للأطباء. له تصانيف كثيرة منها «حل شكوك الرازى على كتب جالينوس» و«التوسيط بين أرسطو وخصومه» و«أصول الطب - خ». انظر: النجوم الزاهرة ٥/٦٩، وآداب اللغة ٣/١٠٥، والأعلام ٤/٢٨٦.

(٢) أحمد بن طولون، أبو العباس (٢٢٠-٢٧٠هـ = ٨٣٥-٨٨٤م): الأمير صاحب الديار المصرية والشامية والثغور. تركى مستعرب. بنى الجامع المنسوب إليه فى القاهرة ووقعت له مع الموفق العباسى أمور، فرحل بجيش إلى أنطاكية فمرض فيها فركب البحر إلى مصر، فتوفى بها. انظر: الولاة والقضاة ٢١٢-٢٣٢ والنجوم الزاهرة ٣/١، وابن خلدون ٤/٢٩٧، والأعلام ١/١٤٠.

(٣) بدر الجمالى: هو بدر بن عبد الله الجمالى، أبو النجم: (٤٠٥-٤٨٧هـ = ١٠١٤-١٠٩٤م) أمير الجيوش المصرية، ووالد الملك الأفضل شاهنشاه. أصله من أرمينية اشتراه جمال الدولة بن عمار غلامًا، فتربى عنده، ونسب إليه، وتقدم فى الخدمة حتى ولى إمارة دمشق للمستنصر صاحب مصر سنة ٤٥٥هـ. ثم استدعاه إلى مصر وقلده «وزارة السيف والقلم». وأصبح-

Marfat.com

الشريف أبو الحسن يحيى بن زيد الحسنى الزيدى.

وفيها قدم الصليحى مكة بعد ما ملك اليمن كله سهله وجبله، وبره وبحره، وأقام بها وبمكة دعوة المستنصر، وكسا الكعبة حريرا أبيض، ورد حلية البيت إليه؛ وكان بنو حسن قد أخذوها ومضوا بها إلى اليمن، فاشتراها منهم، وأعادها فى هذه السنة واستخلف على مكة محمد بن أبى هاشم، وعاد إلى اليمن.

سنة ست وخمسين وأربعمائة

فى ثالث عشرى المحرم: صرف أحمد بن عبد الحاكم عن القضاء والوزارة. وتقلد الوزارة أبو المكارم المشرف بن أسعد بن مقبل، وفوض قضاء القضاء لأبى محمد الحسن ابن مجلى بن أبى كدينة؛ ثم صرف، وأعيدت الوزارة لأبى غالب عبد الطاهر بن الفضل، وفوض القضاء لأبى الحسن على بن عبد الحاكم فى سابع عشرى ربيع الآخر؛ ثم صرف عن القضاء فى خامس جمادى الأولى بأبى القاسم عبد الحاكم بن وهيب. ثم صرف أبو غالب عن الوزارة واستدعى أبو البركات حسين بن عماد الدولة الجرجرائى من صور فحضر إلى مصر ووليها فى مستهل رجب، فأقام إلى العشر الأخر من رمضان وصرف عنها؛ وصرف أيضا عن القضاء عبد الحاكم، وجمعا معا، الوزارة والقضاء لابن أبى كدينة، فباشرهما إلى رابع ذى الحجة، فصرف عن الوزارة وقرّر فيها أبو على الحسن بن أبى سعيد التسترى، وقرر فى القضاء أحمد بن عبد الحاكم.

وفيها فارق أمير الجيوش بدر ولاية دمشق فرارًا من أهلها لثورتهم به، فقرر المستنصر بدله الأمير حصن الدولة أبا الحسن معلى بن حيدرة بن منزو بن النعمان الكنانى.

وفيها قتل قطلمش بن إسرائيل بن سلجوق، صاحب قونية[1] وأقصرا[2]، فقام بعده ابنه سليمان بن قطلمش وفتح أنطاكية.

سنة سبع وخمسين وأربعمائة

فى النصف من المحرم: صرف عن الوزارة أبو على بن أبى سعيد؛ وصرف عن القضاء أبو أحمد بن عبد الحاكم. وتولى الوزارة أبو شجاع محمد بن الأشرف بن أبى غالب محمد بن على بن خلف، وكان أبوه أحد وزراء بنى بويه ببغداد؛ ثم صرف عنها

-الحاكم فى دولة المستنصر والمرجوع إليه. وتوفى فى القاهرة: انظر: ابن الأثير ٨١/١٠، والنجوم الزاهرة ١٤١/٥ وما قبلها، والأعلام ٤٥/٢.

(١) قونية: فى طريق عمورية إلى أنطالية، وبينها وبين اللاذقية يوم، وقونية مدينة حسنة وبها تفترق الطرق إلى أنطالية وغيرها. انظر: الروض المعطار ٤٨٤، ونزهة المشتاق ٢٦١، ومعجم البلدان ٤١٥/٤.

(٢) أقصرا: أو أقصراى وهى تقع داخل منطقة تلال كبادوكيا أيضا. انظر: معجم البلدان.

Marfat.com

ثانى يوم، واستقر فى القضاء والوزارة جميعا أبو محمد بن أبى كدينة فى حادى عشريه، فلم يقم غير أربعة أيام وصرف عنها فى سادس عشريه. وأعيد أبو شجاع محمد بن الأشرف إلى الوزارة، وتقلد القضاء جلال الملك أبو أحمد بن عبد الكريم، فأقام ابن الأشرف فى الوزارة إلى نصف ربيع الأول، وصرف، وقرر فى الوزارة سديد الدولة أبو القاسم هبة الله بن محمد الرعيانى الرحبى، ثم صرف فى آخره. واستوزر ابن أبى كدينة، وأضيف إليه القضاء أيضا فى نصف جمادى الآخرة، فباشرهما إلى نصف رجب، وصرف عن الوزارة بأبى المكارم رئيس الرؤساء الشرف بن أسعد، وعن القضاء بعبد الحاكم بن وهيب. ثم قبض على الوزير أبى المكارم فى العشر الأخير من شوال، وتولى الوزارة بعده الأثير أبو الحسن على بن الأنبارى فأقام شهرا، وصرف فى ذى الحجة عن الوزارة، ولم يعد إليها.

سنة ثمان وخمسين وأربعمائة

فى سادس عشرين منه: صرف ابن أبى كدينة عن القضاء واستقر عوضه جلال الملك أبو أحمد، ونعت بقاضى القضاة الأعظم.

وفى تاسع ربيع الآخر: أعيد إلى الوزارة أبو القاسم هبة الله بن محمد الرعيانى، وصرف عنها فى السادس عشر منه.

وفى جمادى الأولى: ولى المستنصر أمير الجيوش بدرا الشام بأسره، فخرج إليها بعد ما أنفق عليه ألف ألف دينار.

وفى جمادى الآخرة: جمع القضاء والوزارة لأبى أحمد جلال الملك، ثم صرف بعد أيام عن الوزارة بأبى الحسن طاهر بن وزير، فباشر أياما يسيرة، وصرف بأبى عبد الله محمد بن حامد التنيسى، وأقام يوما واحدا، ثم صرف وقتل، فاستوزر أبو سعد منصور ابن زنبور[1]، فلم يقم فى الوزارة غير أيام قليلة وهرب؛ فأقيم بعده أبو العلاء عبد الغنى ابن نصر بن سعيد الضيف، فباشر أياما يسيرة وصرف. وكان دخول أمير الجيوش إلى دمشق فى سادس شعبان، وبلغ ما بلغت نفقة المستنصر عليه ألف ألف دينار.

سنة تسع وخمسين وأربعمائة

فيها قويت شوكةُ الأتراك واشتد بأسهم وطلبوا الزيادات فى واجباتهم ورواتبهم؛ وساءت أحوال العبيد وكثر ضررهم وهم يتزايدون، حتى صار منهم بالقاهرة ومصر وما فى ظواهرهما من القرى نحو الخمسين ألف عبد، ما بين فارس وراجل. وخلت

---

(١) منصور بن زنبور: وكان نصرانيا فأسلم واسمه أبوسعد منصور بن أبى اليمن ساويرس بن مكرواه ابن زنبور والنصارى يرفضون إسلامه. انظر: نهاية الأرب.

Marfat.com

خزائن أموال المستنصر وضعفت الدولة، فبعثت السيدة أم الخليفة المستنصر إلى قواد العبيد تغريهم بالأتراك، وتحثهم على الإيقاع بهم ومحاربتهم وإخراجهم من مصر؛ فجمع قواد العبيد وحشدوا طوائفهم، وصاروا إلى شبرا دمنهور، وساروا إلى الجيزة؛ فخرج إليهم الأتراك يريدون محاربتهم، وقد بلغت النفقة فى تعديتهم إلى الجيزة ألف ألف دينار، فالتقى الفريقان، وكانت بينهما حروب انجلت عن كسرة السودان وهزيمتهم إلى الصعيد[1].

وكان مقدم طوائف الأتراك يومئذ ناصر الدولة أبو على الحسن بن الأمير أبى الهيجاء ابن حمدان؛ فرجع بالأتراك إلى القاهرة وقد قويت نفسه وعظم قدره، واشتدت شوكته، وثقلت وطأته. وتلاحق العبيد بعضهم ببعض واجتمعوا فى بلاد الصعيد وهم فى عدد يتجاوز الخمسة عشر ألفا ما بين فارس وراجل؛ فساء ذلك الأتراك وأقلقهم، فصار أكابرهم إلى المستنصر وشكوا إليه أمر العبيد، فأمرت أم المستنصر جماعة ممن كان عندها من العبيد أن يقتحموا على الأتراك فهاجموهم على حين غفلة وقتلوا منهم جماعة، ففر ابن حمدان حينئذ إلى ظاهر القاهرة، وتسارع إليه الأتراك وقد استعدوا لمحاربة العبيد؛ فخرج إليهم عدة من العبيد الذين كانوا بالقاهرة ومصر، فكانت بين الطائفتين حروب شديدة مدة أيام، فحلف منذ ذلك ابن حمدان أنه لا ينزل عن فرسه حتى ينفصل: إما له أو عليه. وثبت كل منهما فكانت الكرة لابن حمدان على العبيد، فوضع السيف فيهم وتجاوز الحد فى كثرة قتلهم، وتتبعهم فى كل مكان حتى لم يدع فى القاهرة ومصر منهم إلا قليلا، وهم مقيمون بالصعيد والإسكندرية، فرأى ابن حمدان أن يبدأ محاربة من فى الإسكندرية منهم، فسار إليها ونازلها مدة، وحصر العبيد بها، وألح فى مقاتلتهم حتى طلبوا منه الأمان، فأقام على ولايتها رجلا من ثقاته.

وانقضت هذه السنة كلها فى قتال العبيد والأتراك.

وفى يوم عيد الفطر: أفرج عن حميد بن محمود بن الجراح وحازم بن على بن الجراح، الطائيين، من خزانة البنود بعدما أقاما محبوسين مدة طويلة.

وفيها قطعت دعوة المستنصر من اليمن بقتل الصليحى وأعيدت دعوة بنى العباس.

وأما الوزراء فإن ابن أبى كدينة صرف فى ثامن المحرم، وولى أبو القاسم عبد الحاكم المليجى، فأقام إلى سابع جمادى الآخرة، وصرف؛ وأعيد ابن أبى كدينة، فأقام أيامًا

---

(١) الصعيد: بمصر بلاد واسعة كبيرة منها عدة مدن عظام فيها أسوان وهى أوله من ناحية الجنوب ثم قوص وقفط وإخميم والبهنسا وغير ذلك. انظر: معجم البلدان ٣/٤٠٨، والروض المعطار ٣٦١، ونزهة الأمم لابن إياس.

وصرف؛ وأعيد المليجى فلم يقم سوى ليالٍ يسيرة وصرف؛ وأعيد ابن أبى كدينة فأقام إلى ثامن عشرى ذى القعدة، وصرف بجلالٌ الملك بن عبد الحاكم.

وفيها قتل فتوح الشامى أحد قواد العبيد؛ وكان المنفق حين قتل خمسمائة ألف دينار.

سنة ستين وأربعمائة

فى المحرم: خرج الأتراك مبرزين إلى الرملة حين قتل شهاب الدولة، وقد بلغت نفقة المستنصر فيهم ألف ألف دينار. وفيه اشتد البلاء على المستنصر بقوة الأتراك عليه وطمعهم فيه، فانخرق ناموسه، وتناقصت حرمته، وقلت مهابته، وتعنتوا به فى زيادة واجباتهم. وكانت مقرراتهم فى كل شهر ثمانية وعشرين ألف دينار، فبلغت فى هذه السنة أربعمائة ألف دينار فى كل شهر، فطالبوا المستنصر بالأموال.

وركب ناصر الدولة الحسين بن حمدان ومعه جماعة من قواد الأتراك، وحصروا المستنصر وأخذوا جميع الأموال، ثم اقتسموا الأعمال؛ وركبوا إلى دار الوزير ابن أبى كدينة يريدون الأموال، فقال: وأى مال بقى؟ الريف فى يد فلان والصعيد فى يد فلان والشام فى يد فلان، فقالوا: لابد أن تنفذ إلى مولانا وتطلب منه وتعلمه بحضورنا، فكتب الوزير إلى المستنصر رقعة يذكر فيها حضورهم بألقابهم وما يطلبون؛ فخرجت الرقعة بخط المستنصر فيها مكتوب:

أصبحت لا أرجو ولا أتقى ... إلا إلهى، وله الفضل
جدى نبيى، وإمامى أبى ... وقولى التوحيد والعدل

المال مال الله، والعبد عبد الله، والإعطاء خير من المنع. ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (١). واعتذر بأنه لم يبق عنده شىء، فاضطروه إلى إخراج ذخائره وذخائرآبائه وبيعها، فأخذ يخرج ذلك شيئا بعد شىء، وهم يأخذون لأنفسهم بأيديهم ويثمنونها بأقل القيم وبأبخس الأثمان.

وسار ابن حمدان بجماعة الأتراك إلى الصعيد يريد محاربة العبيد، وكان قد كثر شرهم وتزايد ضررهم، وعمَّ الكافة أذاهم وإفسادهم؛ فاجتمعوا لحربه واستعدوا الغاية، فسار إليهم فى شهر رمضان وقد بلغت النفقة عليه وعلى من معه ألف ألف دينار؛ وكانت بينهم حروب عظيمة ووقائع كثيرة انجلت عن كسرة الأتراك وهزيمتهم إلى الجيزة، فتلاقى بعضهم البعض وصاروا يدا واحدة على المستنصر، وألبوا عليه، واتهموه بأنه بعث إلى العبيد بالأموال فى السر ليقويهم على محاربة الأتراك، وجهروا له بالسوء

---

(١) «سورة الشعراء» آية ٢٢٧.

Marfat.com

من القول، فقال لهم: إنه لم يبعث، بشيء ولا أمدهم بمعونة. وأخذ الأتراك فى لمّ شعثهم والتأهب لمحاربة العبيد، حتى تهيأ أمرهم بعد أن أنفق المستنصر فيهم عوضا عما نهب السودان لهم، وضَاعَ من أموالهم ألف ألف دينار. وساروا إلى قتالهم مرة ثانية، فالتقوا بهم وصابروهم القتال ووالوا عليهم الكرات حتى انهزم العبيد منهم، وقتل كثير من أعدادهم، بحيث لم ينج منهم إلا القليل، وزالت حينئذ دولتهم.

وعظم أمر ناصر الدولة واستبد بالأمور، فصرف ابن أبى كدينة من الوزارة وأعاد المليجى فلم يبق غير خمسة وصرف، وأعيد ابن أبى كدينة، وجمع له بين الوزارة والقضاء معا فى ربيع الأول، فأقام فيهما إلى جمادى الأولى؛ وصرف عن القضاء بجلال الملك، فأقيم فى منصب القضاء إلى سلخ رمضان، فصرف عن القضاء بالمليجى، فأقام المليجى قاضيا إلى يوم عيد النحر، وصرف، وتولى ابن أبى كدينة.

وفيها كانت بدمشق حروب بين أمير الجيوش بدر وبين عسكريته[1]، فكانت الحروب طول السنة فى بلاد الشام وديار مصر قائمة لا تهدأ.

وسار الأمير قطب الدولة باز طغان إلى ولاية دمشق، ومعه أبو الطاهر حيدرة مختص الدولة أبى الحسين، ناظرًا فى أعمالها[2].

وفيها زلزلت مصر زلزلة عظيمة، حتى طلع الماء من الآبار وهلك عالم عظيم تحت الردم، وزال البحر بفلسطين من الزلازل وبعد عن الساحل مسيرة يوم، ثم رجع فوق عالم كبير خرجوا يلتقطون من أرضه، وخرجت الرملة خرابا لم تعمر بعده.

وفيها أنفق فى غير استحقاق لمدة خمسة عشرا شهرا، أولها عاشر صفر سنة ستين، مبلغ ثلاثين ألف ألف دينار.

سنة إحدى وستين وأربعمائة

فيها قوى تغلب المارقين على المستنصر واستباحوا ما وجدوا فى بيوت أمواله، واشتدت مطالباتهم بالواجبات المقررة لهم، وسألوا الزيادات فى الرسوم. واقتسم مقدموهم دور المكوس والجبايات، وتغلب كل من بقى منهم على ناحية؛ ولم يبق للدولة ارتفاع يعول عليه، ولا مال فى القياصر يرجع إليه. وأخرج من الذخائر ما لا شوهد فيما بعده من الدول مثله نفاسة وغرابة، وجلالة وكثرة، وحسنا وملاحة، وجودة وسناء قيمة وعلو ثمن؛ ونقل منه التجار إلى الأمصار شيئا كثيرا، عدا ما أحرق

---

(١) بدأت الاضطرابات منذ تولى بدر الشام للمرة الثانية سنة ٤٥٨هـ. انظر: ذيل تاريخ دمشق ٩٣.

(٢) يذكر ابن القلانسى: أن بدرا «ظفر بأبى الطاهر وقتله سلخاء. انظر: النجوم الزاهرة ٥/٨٠

Marfat.com

بالنار بعد ما امتلأت قياسر[1] مصر وأسواقها من الأمتعة المخرجة من القصر المبيعة على الناس، التى أنفق منها فى أعطيات الأتراك وغيرهم لسنة ستين وأربعمائة، فأهلت سنة إحدى وستين هذه وقد اشتد الخوف بمصر، وكثر التشليح فى الطرقات نهارا والخطف والقتل. وصار الجند فرقتين، فرقة مع الخليفة المستنصر وفرقة عليه.

وذلك أن الوحشة ابتدأت بين الأتراك وبين ناصر الدولة بن حمدان، لقوة بأسه وتفرده بالأمور دونهم، واستبداده بالدولة عليهم، فنافسوه وحسدوه، وصاروا إلى الوزير خطير الملك[2] وقالوا له: كل ما خرج من الخليفة من مال أخذه ناصر الدولة وتفرق أكثره فى حاشيته، ولا ينالنا منه إلا الشىء القليل، فقال لهم: إنما وصل ناصر الدولة إلى هذا وغيره مما هو فيه بكم، ولولا أنتم لما كان له من الأمر شىء، ولو أنكم فارقتموه لانحل أمره.

واتفقوا على أن يكونوا جميعا عليه، ويحاربوا حتى يظفروا به ويخرجوه من مصر. ودخلوا إلى الخليفة المستنصر وسألوه أن يبعث إلى ناصر الدولة بالخروج من البلاد، وتهديده إن لم يخرج؛ فبعث إليه يأمره بالخروج عن بلاده؛ فسارع إلى الخروج عن القاهرة ونزل بالجيزة، فامتدت الأيدى عند خروجه إلى دوره ودور حواشيه وأصحابه، وانتهبتها وأفسدتها.

فلما كان فى الليلة التى خرج قبلها دخل فى خفاء واجتمع بالقائد تاج الملوك شادى وترامى عليه وقبَّل رجله، وقال له: اصطنعنى وانصرنى على الوزير الخطير وعلى الدكز، بأن تركب أنت وأصحابك وتسير بين القصرين، فاذا أمكنتك الفرصة فاقتلهما؛ فوافقه على ذلك وأجابه إليه؛ ورجع ناصر الدولة إلى مخيمه بالجيزة، فلما طلع النهار شرع تاج الملوك فى عمل ما تقرر بينه وبين ناصر الدولة، فأحس الدكز بالمكيدة فسارع إلى اللحوق بالقصر، واستجار بالمستنصر. وأقبل الوزير فى موكبه وليس له شعور بما بيت فى الليل، فصادفه تاج الملوك على غرة منه، فأوقع به وقتله؛ وسير فى الحال إلى ناصر الدولة، فحضر، وحسَّن الدكز للمستنصر أن يركب لمحاربة ناصر الدولة، فلبس سلاحه وألبس من معه وركب، ونزل، فصار معه من الجند والعامة ما لا يحصى عددهم كثرة. ووقف ناصر الدولة بمن معه؛ ونشبت الحرب بينهما، فكانت الكسرة على ناصر الدولة، فانهزم وقد قتل كثير من أصحابه؛ فمر على وجهه لا يلوى على شىء فى يسير من أصحابه، حتى انتهى إلى بنى سنبس بالبحيرة فنزل عليهم،

---

(١) قياسر: جمع قيسارية؛ وهى الأسواق.

(٢) خطير الملك: يقصد به أبو محمد الحسن بن بجل بن أسد بن أبى كدينة .

Marfat.com

وأقام فيهم واستجارهم، وتزوج منهم.

واشتد الغلاء بمصر، وقلت الأقوات فى الأعمال، وعظم الفساد والضرر، وكثر الجوع حتى أكل الناس الجيف[١] والميتات، ووقفوا فى الطرقات يخطفون من يمر من الناس فيسلبونه ما عليه، مع ما نزل بالناس من الحروب والفتن التى هلك فيها من الخلق ما لا يحصيهم إلا خالقهم. وخاف الناس من النهب، فعاد التجار إلى ما ابتاعوه من المخرج من القصر يحرقونه بالنار ليخلص لهم ما فيه من الذهب والفضة، فحرقوا من الثياب المنسوجة بالذهب والأمتعة من الستور والكلل والفرش، والمظال والبنود والعماريات [٢]، والمنجوقات[٣]، والأجلة[٤] ومن السروج الذهب والفضة والآلات المجراة بالميناء والمرصعة بالجوهر، شىء لا يمكن وصفه، مما عمل فى دول الإسلام وغيرها.

وفى سادس صفر: وهب لسعد الدولة، المعروف بسلام عليك، ما فى خزانة البنود من الآلات والأمتعة وغيرها، فوجد فيها ألفا وتسعمائة درقة لمطية[٥]، سوى ما كان فيها من آلات الحرب والقضب الفضة والذهب والبنود، فسقطت شرارة فيما هنالك فاحترق جميعه؛ وكانت لذلك غلبة وخوف شدائد، فمما احترق فيها عشرات ألوف من السيوف إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة، بحيث إن السلطان بعد ذلك بمدة احتاج إلى سلاح، فأخرج من خزانة واحدة مما بقى وسلم من الحريق خمسة عشر ألف سيف مجوهرة سوى غيرها. وأخرج من القصر صندوق كيل منه سبعة أمداد[٦] زمرد، ذكر الجوهرى أن قيمتها على الأقل ثلاثمائة ألف دينار. وكان فى المجلس فخر العرب بن حمدان وابن سنان وأبو محمد الحسن بن على بن أسد بن أبى كدينة، وغيرهم من المخالفين؛ فقال بعضهم لمن أحضر من الجوهريين: كم قيمة هذا؟ فقالوا: إنما تعرف قيمة الشىء إذا كان مثله موجودا، ومثل هذا لا قيمة له، فاغتاظ؛ وقال ابن أبى كدينة فخر العرب كثير المئونة وعليه خرج؛ والتفت إلى كتاب الجيش، فقالوا: يحسب عليه بخمسمائة دينار؛ فكتب بذلك وقبضه.

وأخرج عقد جوهر قيمته على الأقل ثمانون ألف دينار فكتب بألفى دينار؛ وتشاغل

---

(١) الجيف: مفردها الجيفة: جثة الميت إذا أنتنت . انظر: المعجم الوجيز صـ١٢٩.

(٢) العماريات: هى نوع من الهوادج.

(٣) المنجوقات: مفردها منجوق وهى نوع من الأعلام.

(٤) الأجلة: كساء للدابة يقيها البرد والحر والجمع أجلال.

(٥) لمطية: نسبة إلى اللمط وهو اسم قبيلة من البربر بأقصى الغرب. انظر: النجوم الزاهرة ٨٢/٤.

(٦) أمداد: والقدح يساوى تقريبا مدًّا ونصف مدٍّ. انظر: قوانين الدواوين ٣٦٦.

Marfat.com

الحاضرون بنظر ما سواه فانقطع سلكه وتناثر حبه، فأخذ واحد حبة فجعلها فى جيبه، وأخذ ابن أبى كدينة حبة، وأخذ فخر العرب شيئا، وتفرق الباقون سائره، فذهب كأن لم يكن. وأخرج ما أنفذه الصليحى من نفيس الدر وكيل، فجاء سبع وييات. وأخرج ألفان ومائتا خاتم ما بين ذهب وفضة بفصوص من بين سائر أنواع الجواهر، مما كان للخلفاء، شوهد منها ثلاثة خواتيم من ذهب أحدها فضة زمرد واثنان ياقوت غشيم صاف ورمانى، كان شراء الفصوص اثنى عشر ألف دينار. وأخرج من خزائن القصر ما يزيد على خمسين ألف قطعة من الثياب الخسروانية[1] أكثرها مذهب.

وقال ابن عبد العزيز: أخرج من الخزائن على يدى أكثر من مائة ألف قطعة.

ولما اشتد على المستنصر أمر الأتراك وطالبوه بجراياتهم بعث إلى العميد ابن أبى سعد فى إحضار جوهر كان عنده، فأحضر خريطة فيها نحو من ويبة، فأحضر أرباب الخبرة من الجوهريين ليقوموه، فذكروا أنه لا قيمة له ولا يشترى مثله إلا الملوك؛ فقومت بعشرين ألف دينار - وكان مشتراه على حده سبعمائة ألف دينار - ففرق فى الأتراك وقبض كل منهم جزءًا بقيمة الوقت. وقسمت خزائن السيوف وآلات السلاح بين عشرة، وهم: ناصر الدولة بن حمدان، وأخواه فخر الدولة على، ويلدكوش، وأمير الأمراء الحسين بن سبكتكين، وسلام عليك، وشاور بن حسين، وتاج الملوك شادى، والأعز بن سنان، ورضى الدولة بن رضى الدولة، وأمير العرب ابن كيغلغ؛ فكان من جملتها ذو الفقار وصمصامة عمرو بن معدى كرب، وسيف عبد الله بن وهب الراسبى[2]، وسيف كافور الإخشيدى[3]، وسيف المعز لدين الله، ودرع المعز وكانت تساوى ألف دينار بيعت منها كواكب بمائة دينار، وسيف الحسين بن على[4]، عليه

---

(١) الخسروانية: نوع رقيق من الحرير.

(٢) عبد الله بن وهب الراسبى؛ من الأزد: (٠٠٠-٣٨هـ = ٠٠٠-٦٥٨م) من أئمة الإباضية. كان ذا علم ورأى وفصاحة وشجاعة، أدرك النبى وشهد فتح العراق مع سعد بن أبى وقاص، ثم كان مع على فى حروبه، ولما وقع التحكيم أنكره جماعة فيهم الراسبى فاجتمعوا بالنهروان؛ فقاتلوا عليًا وقتل الراسبى فى هذه الوقعة. انظر: الكامل للمبرد ٢/١١٩، الأعلام ٤/١٤٣.

(٣) كافور بن عبد الله الإخشيدى، أبو المسك: الأمير المشهور، صاحب المتنبى. كان عبدا حبشيا اشتراه الإخشيدى ملك مصر - فنسب إليه - سنة ٣١٢هـ، وأعتقه فترقى عنده، وما زالت همته تصعد به حتى ملك مصر سنة ٣٥٥هـ إلى أن توفى بالقاهرة. انظر: الولاة والقضاة ٢٩٧، وفيات الأعيان ١/٤٣١ ودول الإسلام ١/١٧٣، والأعلام ٥/٢١٦ والنجوم الزاهرة ٤/١-١٠.

(٤) الحسين بن على بن أبى طالب، الهاشمى القرشى العدنانى، أبو عبد الله (٤-٦١هـ = ٦٢٥، ٦٨٠م): السبط الشهيد، ابن فاطمة الزهراء. ولد فى المدينة ونشأ فى بيت النبوة وإليه نسبة-

Marfat.com

السلام، وكان وزنه ثلاثمائة وستين مثقالا، وسيف الأشتر النخعى[١]، ودرقة حمزة بن عبد المطلب[٢]، وسيف جعفر بن محمد الصادق[٣].

ودخل فى بعض الأيام من باب الديلم[٤]، أحد أبواب القصر، تاج الملوك شادى، وفخر العرب على بن ناصر الدولة بن حمدان، ورضى الدولة بن رضى الدولة، وأمير الأمراء أبجتكين بن سبكتكين، وأمير العرب ابن كيغلغ، والأعز بن سنان، وعدة من الأمراء البغداديين، وصاروا فى الإيوان ومعهم أحد الفراشين وفعلة، فانتهوا إلى حائط مجير، فأمروا الفعلة بكشف الجير، فظهر باب فهدم، فإذا خزانة ذكر أنها من أيام العزيز بالله؛ فوجدوا فيها من السلاح ما زادت قيمته على عشرين ألف دينار، فحملوا جميع ذلك وتفرقوه. وصارت حواشيهم وركابياتهم[٥] يكسرون الرماح ويتلفون أعوادها

- كثير من الحسينيين ورحل إلى مكة فى جماعة من أصحابه ثم خرج من مكة إلى الكوفة فوجّه إليه يزيد جيشا اعترضه فى كربلاء فنشب قتال عنيف أصيب الحسين فيه بجراح شديدة وسقط عن فرسه فقتله سنان بن أنس النخعى وأرسل رأسه إلى دمشق، فتظاهر يزيد بالحزن. انظر: خطط مبارك ٩٣/٥ وابن الأثير ١٩/٤، وصفة الصفوة ٣٢١/١ والأعلام ٢٤٣/٢.

(١) الأشتر النخعى (مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعى، المعروف بالأشتر) (...-٣٧هـ = ...-٦٥٧م): أمير، من كبار الشجعان. كان رئيس قومه. أدرك الإسلام، سكن الكوفة وشهد اليرموك وذهبت عينه فيها وشهد يوم الجمل وأيام صفين مع على وولاه على «مصر» فقصدها فمات فى الطريق. انظر: التهذيب ١١/١٠ والولاة والقضاة ٢٣-٢٦، والمرزبانى ٣٦٢، والتبريزى ٧٥/١، والأعلام ٢٥٩/٥.

(٢) حمزة بن عبد المطلب بن هاشم، أبو عمارة، من قريش، عم النبى وأحد صناديد قريش وسادتهم فى الجاهلية والإسلام. ولد ونشأ بمكة. ولما ظهر الإسلام تردد فى اعتناقه، ثم علم أن أبا جهل تعرض للنبى ونال منه، فقصده الحمزة وضربه وأظهر إسلامه. هاجر مع النبى إلى المدينة وحضر وقعة بدر وغيرها وقتل يوم أحد فدفنه المسلمون فى المدينة وانقرض عقبه. انظر: تاريخ الإسلام ٩٩/١، وصفة الصفوة ١٤٤/١، والأعلام ٢٧٨/٢.

(٣) جعفر بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين السبط، الهاشمى القرشى، أبو عبد الله، الملقب بالصادق (٨٠-١٤٨هـ = ٦٩٩-٧٦٥م): سادس الائمة الاثنى عشر عند الإمامية. كان من أجلاء التابعين ولقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط. له «رسائل» مجموعة فى كتاب، ورد ذكرها فى كشف الظنون. مولده ووفاته بالمدينة. انظر: وفيات الأعيان ١٠٥/١، وصفة الصفوة ٩٤/٢، وحلية الأولياء ١٩٢/٣، والأعلام ١٢٦/٢.

(٤) باب الديلم: يوجد تجاه دار الفطرة التى كانت قسمًا من اصطبل الطارمة، وكان موصلا إلى المشهد الحسينى ويوجد الآن عند الباب الأخضر. انظر: النجوم الزاهرة ٣٦/٤.

(٥) ركابياتهم: الركابية هم العاملون فى بيت الركاب الذى تكون به السروج. انظر: صبح الأعشى ١٢، ٧/٤.

Marfat.com

ليأخذوا المهارك الفضة. وبيع من الرماح الخطية السمر الجياد شيء كثير مما كسره الغلمان للمغازلين وصناع موادن الغزل حتى كثر هذا الصنف بالقاهرة، ولم يعترضهم أحد من أهل الدولة.

وأخذ ما فى خزائن البنود ومن المحكم والمينا المجرى بالذهب والمجرود والبغدادى والمذهب والخلنج[1] والصينى مالا يحصى. وأخذ أيضا ما فى خزائن الفرش من البسط والستور والنفائس من الحرير وغيره، ما لا يعرف له قيمة لكثرته. وأخرج فى يوم من خزائن من القصر عدة صناديق، فوجد فى أحدها أمثال كيزان الفقاع[2] من صافى البلّلور المنقوش والمجرود شيء كثير، وإذا جميعها مملوءة من ذلك وغيره.

وبيعت فى تركة عماد الدولة بن الفضل من المحترق، بعد قتله، مما كان قد صار إليه من مخرج القصر مرتبة خسروانية حمراء بثلاثة آلاف وخمسمائة دينار، ومرتبة قلمونية[3] بألفين وأربعمائة دينار، وثلاثون سندسية كل واحدة بثلاثين دينارا، وقدح بللور بمائتين وعشرين دينارا، وخردادى بللور بثلاثمائة وستين دينارًا، وكوز بللور بمائتين وعشرة دنانير وكلة بثمانمائة دينار، وعدة صحون ميناء بيع كل منها بمائة دينار فما دونها. وخرج من القصر خردادى وباطية من بللور فى غاية النقاء وحسن الصنعة، مكتوب عليهما اسم العزيز تسع الباطية سبعة أرطال ماء ويسع الخردادى تسعة أرطال، دفع فيهما ابن عمار بطرابلس ثمانمائة دينار فامتنع صاحبهما.

وقال المعتمد أبو سعد النهاوندى أحد الأمناء، وحده دون غيره من أمناء القصر؛ مما أخرج بيع ثمانى عشرة ألف فقعة بللور ومحكم، منها ما يساوى الألف دينار وإلى عشرة دنانير؛ ونيف وعشرون ألف قطعة خسروانية، إلى غير ذلك من الفرش والتعاليق ما بين مذهبة وغير مذهبة. وبيع فى مدة خمسة عشر شهرا، أولها عاشر صفر سنة ستين وأربعمائة، سوى ما نهب وسرق، مما خرج من القصر ما تحصل من ثمنه ثلاثون ألف ألف دينار، على أنه بيع بأقل القيم وأنزر الأثمان؛ وقبض الجند والأتراك جميعها من غير أن يستحق أحد منهم درهما واحدا منها.

ودخلوا إلى خزانة الرفوف، وكانت خزانة عظيمة بالقصر من جملة خزائن الفرش، فيها رفوف كبيرة بعضها فوق بعض، ولكل منها سلم منفرد، فأخرجوا منها ألفى عدل شققا طميما بهدبها من سائر أنواع الخسروانى وغيره لم تستعمل، وكلها مذهب

---

(١) الخلنج: هو شجر تتخذ الأوانى من خشبه. انظر: النجوم الزاهرة ٤/٨٥.

(٢) الفقاع: الفقاع شراب يصنع من الشعير. انظر: القاموس المحيط.

(٣) قلمونية: نوع من الحرير المزركش.

Marfat.com

معمول بسائر الأشكال والصور، وجد فى عدل منها أجلة للفيلة من خسروانى أحمر مذهب كأحسن ما يكون، وموضع نزول أفخاذ الفيَّال ورجليه سارج بغير ذهب.. وأخرج من بعض الخزائن ثلاثة آلاف قطعة من خسروانى أحمر مطرز بأبيض لم تفصل، برسم كسوة البيوت، كل بيت منها كامل بجميع آلاته ومسانده ومخاده ومراتبه وبسطه وعتبه ومقاطعه وستوره، وجميع ما يحتاج إليه فيه.

وأخرج من الحصر السامانية المطرزة بالذهب والفضة وغير المطرزة مما هى مجومة ومطيرة وطفيلة، ومصورة بسائر الصور، ما لا يحصى كثرة، وأخرج من صوانى الذهب المجراة بالميناء وغير المجراة، والمنقوشة بسائر أنواع النقوش، المملوء جميعها جواهر من سائر أنواعه شيء كثير جدا؛ ونيف وعشرون ألف قطعة طميم من سائر الأمتعة والتمس بعض الأتراك من المستنصر مقرمة[1] سندس أخضر مذهبة اقتراحا عليه لعدمها وقلة وجود مثلها، فأخرج منها عدل كان العدد المكتوب عليه مائة وثمانية وثمانين من جملة أعداد أعدال فيها من المتاع.

وأخرج فى يوم صناديق سروج محلاة بفضة، وجد فيها صندوق مكتوب عليه: الثامن والتسعون والثلاثمائة، وعدة ما فيها زيادة على أربعة آلاف سرج. ووجد غلف خيزران مبطنة بالحرير محلاة بالذهب خالية من الأوانى، كانت تسعة عشر ألف غلاف، كان فى كل غلاف قطعة من بللور أو مجرود محكم أو ما شاكل ذلك ووجد مائة كأن بازهر[2] على أكثرها اسم هارون الرشيد[3]، ووجد ستور حريرية منسوجة بالذهب، تقارب الألف، مختلفة الألوان والأطوال، فيها صور الدول وملوكها والمشاهير فيها، مكتوب على صورة كل واحد منهم اسمه ومدة أيامه وشرح حاله. ووجد فى خزانة عدة صناديق كثيرة مملوءة سكاكين مذهبة ومفضضة بنسب مختلفة من سائر الجواهر. ووجد عدة صناديق كبيرة مملوءة من أنواع الدوى المربعة والمدورة والصغار والكبار المعمولة من الذهب والفضة والصندل والعود والأبنوس والعاج وسائر أنواع الخشب المحلاة بالجوهر والفضة والذهب، وسائر أنواع الحلى الغريبة، والصنعة المعجزة الدقيقة،

---

(١) مقرمة: القرام ككتاب: الستر الرقيق وفيه رقم ونقوش. انظر: المصباح المنير.

(٢) بازهر: حجر خفيف له قوى فى مقاومة السموم وهو لفظ فارسى. انظر: صبح الأعشى: ٢.

(٣) هارون الرشيد بن محمد بن المنصور العباسى، أبو جعفر (١٤٩-١٩٣هـ = ٧٦٦-٨٠٩م): خامس خلفاء الدولة العباسية فى العراق وأشهرهم. ولد بالرى ونشأ فى دار الخلافة ببغداد وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادى سنة ١٧٠هـ. وهو صاحب وقعة البرامكة. ولايته ٢٣ سنة وشهران وأيام. توفى فى «سناباذ» من قرى طوس، وبها قبره. انظر: البداية والنهاية ٢١٣/١٠ وابن الأثير ٦٩/٦ واليعقوبى ١٣٩/٣ والأعلام ٦٢/٨.

Marfat.com

بجميع آلاتها؛ فيها ما يساوى الألف دينار وما فوقها سوى ما عليها من الجواهر، وصناديق مملوءة مشارب ذهبا وفضة محرقة بالسواد، صغارا وكبارا، بأحسن ما يكون من الصناعة، وصناديق مملوءة أقلاما مبرية من سائر أنواع القصب، فيها ما هو من براية أبى على محمد بن مقلة[١]، وابن البواب[٢] ومن يجرى مجراهما، وعدة مصاحف بخطيهما وخط نظرائهما فيها ما هو مكتوب بالذهب المكحل باللازورد، وعدة أزيار صينى كبار مملوءة كافورا قنصوريا؛ وعدة كبيرة من جماجم العنبر الشجرى؛ وكثير من قوارير المسك؛ ومن شجر العود مقطعة شىء كثير.

ووجدت عدة خزائن مملوءة من سائر أنواع الصينى، منها أجاجين[٣] كبار، محمولة كل إجانة منها على ثلاثة أرجل على صور الوحوش والسباع والناس والبهائم، قيمة كل قطعة منها ألف دينار، معمولة لغسل الثياب. ووجدت له خزائن مملوءة من سائر أنواع الصوانى المدهونة، سعة كل واحدة منها من العشرة أشبار إلى ما دونها، شىء فى جوف شىء حتى تكون أصغرها سعة الدرهم، ومن سائر أنواع الأطباق الخلنج الذى بهذه الصفة، ومن الموائد الخلنج الكبار والصغار ألوف؛ ومن موائد الكرم الجفان الجور الواسعة بمقابض الفضة التى لا يقدر الجمل القوى على حمل جفنتين منها لعظمتها منها ما يساوى المائة دينار وما فوقها. ووجد من الدكك والمحاريب والأسرة العود والصندل والأبنوس والعاج وغيره شىء كثير، وعدة أقفاص مملوءة من بيض صينى معمول على هيئة البيض فى خامته وبياضه يعمل فيها ما فى البيض اليشم سبت يوم الفصاد؛ وكيزان من صينى صغار وكبار على خلقة كيزان الفقاع يشرب فيها الفقاع.

---

(١) محمد بن على بن الحسين بن مقلة، أبو على (٢٧٢-٣٢٨هـ = ٨٦٦-٩٤٠م): وزير، من الشعراء الأدباء. ولد فى بغداد واستوزره المقتدر العباسى سنة ٣١٦هـ. ثم غضب عليه ونفاه إلى فارس سنة ٣١٨هـ واستوزره القاهر بالله سنة ٣٢٠هـ ثم اتهمه القاهر بالمؤامرة على قتله واستوزره الراضى بالله سنة ٣٢٢هـ ثم نقم عليه سنة ٣٢٤هـ فسجنه مدة وأخلى سبيله ثم علم أنه كتب إلى أحد الخارجين عليه يطمعه بدخول بغداد، فقبض عليه وقطع يده اليمنى، فكان يشد القلم على ساعده ويكتب به فقطع لسانه سنة ٣٢٦هـ. وسجنه ومات فى سجنه. انظر: وفيات الأعيان ٢/٦١، وثمار القلوب ١٦٧، والأعلام ٦/٢٧٣.

(٢) على بن هلال، أبو الحسن المعروف بابن البواب (٠٠٠-٤٢٣هـ = ٠٠٠-١٠٣٢م): خطاط مشهور، من أهل بغداد. هذب طريقة ابن مقلة وكساها رونقا، نسخ القرآن بيده ٦٤مرة، إحداها بالخط الريحانى لا تزال محفوظة فى مكتبة «لاله لى» بالقسطنطينية . انظر: وفيات الأعيان ١/٣٤٥ والبداية والنهاية ١٢/١٤ والمنتظم ٨/١٠ والأعلام ٥/٣٠،٣١.

(٣) أجاجين: مفردها إجانة وهى إناء لغسل الثياب. انظر: المصباح المنير.

Marfat.com

ووجد كثير من الأعدال مملوءة عقالا من اليمن مما أهداه الصليحى. وأخرجت حصير من ذهب زنتها ثمانية عشر رطلا ذكر أنها الحصير التى جليت عليها بوران بنت الحسن على المأمون[١]. وأخرج ثمان وعشرون صينية ميناء مجرى بالذهب، لها كعوب تعلو بها عن الأرض مما بعثه ملك الروم للعزيز بالله، قومت كل صينية بثلاثة آلاف دينار، فأخذها كلها ناصر الدولة بن حمدان. ووجد عدة صناديق مملوءة مرايا حديد صينى وغيره من الزجاج الميناء ما لا يحصى كثرة، وجميعها محلاة بالذهب المشبك والفضة، ومنها ما هو مكلل بالجوهر فى غلف الكهمخت[٢] وغيره من أنواع الحرير والخيزران كلها مضببة بالذهب والفضة، ومقابض المرايا ما بين عقيق وجزع وصندل وعود وأبنوس وغيره.

وأخرج عدة أعدال من الخيام والمضارب والمنارات والخركاوات[٣] وغير ذلك من أنواع الخيام المعمولة من الدبيقى والمخمل وسائر أنواع الحرير المثقل وغير المثقل، مما هو منقوش ومصور بسائر الصور العجيبة الصنعة، وسائر أعمدتها مكسوة بالفضة المذهبة، ولها الصفريات[٤] الفضة والحبال القطنية والحريرية، فكان منها ما تحمل الخيمة منها على عشرين بعيرا وأكثر.

وأخرجت المدورة الكبيرة؛ وكانت تقوم على خرط عمود طوله خمسة وستون ذراعًا بالكبير، ودور مكلّلته عشرون ذراعا، وسعة قطرها ستة أذرع وثلثا ذراع، ودور المدورة خمسمائة ذراع، وعدة قطع خرقها أربع وستون قطعة، كل قطعة منها تحزم فى عدل، وتحمل على مائة جمل، وفى صفرتها ثلاثة قناطير فضة يحملها من داخلها قضبان حديد تسع راوية ماء من روايا الجمال، وفى زخرفتها صور سائر الحيوانات، ولها بادهنج طوله ثلاثون ذراعا؛ كان عملها لليازورى فى وزارته، فأقام يعمل فيها مائة

---

(١) بوران بنت الحسن بن سهل، زوجة المأمون العباسى: (١٩١-٢٧١هـ = ٨٠٧-٨٨٤م): من أكمل النساء أدبا وأخلاقا. اسمها «خديجة» وعرفت ببوران. بنى بها المأمون فى «قم الصلح» وتوفيت ببغداد . وليس فى تاريخ العرب زفاف أنفق فيه مثلما أنفق فى زفافها على المأمون سنة ٢٠٩هـ . وللشعراء فى وصف تلك الليلة شعر غير قليل. انظر: وفيات الأعيان ١٢/١ وشرح قصيدة ابن عبدون ٢٦٥ والأعلام ٧٧/٢.

(٢) الكهمخت : نوع من الجلود المدبوغة وكان بالقاهرة جامع يعرف باسم جامع الكيمختى . انظر: الخطط ٣٢٥/٣-٣٢٦.

(٣) الخركاوات : جمع خركاه : وهى الخيمة أو النجع.

(٤) الصفريات: جمع صفرية وهى إناء من النحاس الأصفر بشكل القدر والمقصود هنا قطعة من النحاس بشكل هلال فوق القبة.

Marfat.com

وخمسون صانعا نحو تسع سنين، وصرف عليها ثلاثون ألف دينار؛ أراد بها محاكاة القاتول الذى عمله العزيز بالله فجاء أعظم منه وأحسن. وبعث إلى متملك الروم فى طلب عودين للفسطاط[1] طول كل منهما سبعون ذراعا، فأنفذهما إليه؛ وقد بلغت النفقة عليهما حتى وصلا ألف دينار؛ فعمل أحدهما فى الفسطاط بعد أن قطع منه خمسة أذرع، وأخذ الآخر ناصر الدولة بن حمدان لما خرج إلى الإسكندرية.

وقد قطعت هذه الخيام الكبار خرقا وقومت على المذكورين من المارقين بأقل القيم، فتمزقت، وأخرج مسطح من قلمون عمل بتنيس للعزيز وسمى دار البطيخ، يقوم على ستة أعمدة، وفيه أربع قباب بين كل قبتين رواق يقوم كل منها على أربعة أعمدة، وطول كل عمود ثمانية عشر ذراعا، ومسطح عمله الظاهر فى تنيس، كله ذهب طميم بستر صفارى بللور وستة أعمدة من فضة أنفق عليها أربعة عشر ألف دينار، إلى غير ذلك من القصور والخيام المخمل وغيره من سائر أنواع الحرير، وعدة من الحمامات المعمولة من البللور والطالقانى ومن الأدم المذهبة المنقوشة بحياضها ودككها، ومساطبها وقدورها، وزجاجها وسائر عددها. وأخرجت المدورة الكبيرة التى عملت بحلب فى سنى بضع وأربعين وأربعمائة، فبلغت النفقة عليها ثلاثين ألف دينار، وكان طول عمودها أربعين ذراعا، ودور فلكه أربعة وعشرين شبرا، وزنة صفريته قنطارين من فضة سوى أنابيب الحديد، ويحملها سبعون جملا، ولا ينصبها إلا نحو المائتى رجل، وهو شبه القاتول العزيزى. وأخرج من المظال وقصبها الفضة والذهب شىء له قدر جليل. وأخرج من الصناديق، والقمطرات والأدراج والموازين وغلف الأمشاط والمرايا

---

(١) الفسطاط: هى مدينة مصر التى بناها عمرو بن العاص. انظر: معجم البلدان ٤/٢٦١، ٢٦٦، وفى الروض المعطار اسم لمصر التى بناها مصرام بن حام بن نوح عليه السلام. سميت بفسطاط عمرو بن العاص رضى الله عنه، وكان تركه هناك حين توجه للإسكندرية. وقال اليعقوبى: لما فتح عمرو بن العاص رضى الله عنه مصر، اختط منازل العرب حول الفسطاط، فسمى الفسطاط لهذا. وقالوا: وسميت بذلك لأن عمرو بن العاص رضى الله عنه حين دخل بلاد مصر ضرب فسطاطه بذلك الموضع، فلما أراد التوجه للإسكندرية لقتال من بها من الروم، أمر بنزع الفسطاط، فإذا فيه حمام قد أفرخ، فقال عمرو بن العاص رضى الله عنه: لقد تحرم منا بحرم، فأمر بالفسطاط فأقر مكانه وأوصى عليه، فلما قفل المسلمون من الإسكندرية بعد فتحها قال الناس: أين ننزل؟ فقيل: الفسطاط، لفسطاط عمرو الذى تركه فى المنزل بمصر. ثم بدأ عمرو بن العاص رضى الله عنه فبنى المسجد، وبنى الناس مكان مصر الآن. انظر: الروض المعطار ٤٤١، ٤٤٢، وخطط المقريزى ١/٢٨٨، والمقدسى ١٩٧، وابن الفقيه ٥٩، وابن عبد الحكم، وابن الوردى ٢١.

Marfat.com

والمداخن من الكيهمخت والأبنوس والعاج وسائر الخشب والبقم[1] المحلى جميعها بالذهب والفضة المغشاة بأغشية الأدم والحرير ما لا يحد كثرة.

ومن صناديق الطعام وخزائنه والمجامع ما لا يدركه الإحصاء لكثرته. وأخرج من خزائن الفضة ما ينيف على ألف ألف درهم، كلها آلات مصوغة مجراة بالذهب، فيها ما يبلغ زنة القطعة منها خمسة آلاف درهم مما هو غريب الصنعة، فبيع جميعه عشرون درهما بدينار، وكانت قيمته خمسة دراهم بدينار. وأخرج غير ذلك عشاريات موكبية وأعمدة الخيام وقصب المظال، ومنجوقات وأعلام وقناديل وصناديق وبوقات وزواريق وقمطرات، وسروج ولجم ومناطق العماريات وغير ذلك ما يجاوز ألف ألف فضة، بيعت كما بيع غيرها.

وأخرج من الشطرنج والنرد المعمولة من أنواع الجواهر والأحجار ومن الذهب والفضة والعاج والأبنوس برقاع الحرير المذهب وغيره ما لا يحد كثرة ونفاسة؛ ومن دسوت الفصاد[2] مثل ذلك؛ ومن خرق المنجوقات والمطارد والمظال والأعلام ما لا يمكن وصفه لكثرته مما هو مخمل وحرير ساذج ومذهب؛ فقطع جميع ذلك وبيع.

وأخرج مرة من خزائن السروج خمسة آلاف سرج كان أبو سعيد إبراهيم بن سهل التسترى قد عملها، فيها ما يساوى السرج الواحد منها سبعة آلاف دينار إلى ألف دينار، شبك جميعها وفرق فى الأتراك، كان منها أربعة آلاف سرج برسم ركاب الخليفة.

وأخرج من خزانة السيدة أم المستنصر أربعة آلاف مثلها ودونها، صنع بها مثل ذلك، وأخذ منها آلات فضية وزنها ثلاثمائة ألف وأربعون ألف درهم، تساوى ستة دراهم بدينار.

وأخرج من القصر أقفاص مملوءة آلات مصوغة بمجراة بالذهب معدومة المثل صنعة وحسنا، عدتها أربعمائة قفص كبار، شبكت كلها فى إيوان القصر وفرقت، ومعظم ذلك كان فى وزارة جلال الملك بن عبد الحاكم فى هذه السنة. كان من جملة ما فى الأقفاص ستة عشر ألف قطعة برسم العوارى خاصة. وأخرج فى بعض أسابيع المولد ألفان وخمسمائة إناء من فضة برسم الخيم. وأخرج مرة عند ورود بعض رسل ملوك الروم فيما أخرج عدة كثيرة من صوانى الذهب والفضة المجراة بالميناء الغريبة الصنعة،

---

(١) البقم: صبغ خاص. انظر: المصباح المنير.

(٢) الفصاد: الدست من الثياب ما يكفى أهله لقضاء الحاجة والفصد قطع العرق. انظر: المصباح المنير، القاموس المحيط .

Marfat.com

ملئت كلها جوهرًا فاخرا، وأربعة آلاف نرجسية فضة محرقة بالذهب عمل فيها النرجس، وألفا بنفسجية كذلك. وأخرج من خزائن الطريف ستة وثلاثون ألف قطعة ما بين بللور وغيره. وكان مبلغ ما قوم من نصب سكاكين، بأقل القيم، ستة وثلاثين ألف دينار. وأخرج من تماثيل العنبر اثنان وعشرون ألف قطعة، أقل تمثال منها وزنه اثنا عشر منًا[1] وأكبره يتجاوز ذلك بكثير؛ ومن تماثيل الكافور ما لا يحد كثرةً، منها ثمانمائة بطيخة كافور، إلى غير ذلك من تماثيل الفاكهة.

وأخرج من خزائن الفرش أربعة آلاف رزمة خسروانية مذهبة، فى كل رزمة فرش مجلس ببسطه وتعاليقه وسائر آلاته. وأخرج من خزائن الكسوات من التخوت والأسفاط والصناديق المملوءة بفاخر الملابس المستعملة بتنيس ودمياط وبرقة وصقلية وسائر أقطار الأرض ما لا يحد كثرة ولا يعرف له قيمة.

وفى هذه السنة: بعث ناصر الدولة بن حمدان عماد الدولة، المعروف بالمخنوق، هو والوزير أبا محمد بن أبى كدينة إلى المستنصر يطالبه معهما بما بقى لغلمانه، فذكر أنه لم يبق عنده شىء إلا ملابسه، وقال: فابعث من يقوّم ذلك ويقبضه؛ فأخرج إليها ثمانمائة بذلة من ثيابه بجميع آلاتها كاملة، قوّمت وحملت إليه فى حادى عشر صفر.

وفيها وهب المستنصر لفخر العرب وتاج الملوك الكلوتة[2] المرصعة بالجوهر، وكانت من غريب ما فى القصر ونفيسه، وكانت قيمتها مائة وثلاثين ألف دينار، وقومت عليهما بثمانين ألف دينار، وقسمت بينهما بالسوية، فجاء وزن ما فيها من الجوهر سبعة عشر رطلا بالمصرى، فصار إلى فخر العرب من جملة ما وقع فى سهمه منها قطعة بلخش زنتها ثلاثة وعشرون مثقالا، فأنفذها مع باقى ما حصل له منها إلى الفخرية، وكانت بثغر الإسكندرية، فحملت بعد ذلك إلى تنيس مع غيره من رجالاتهم، فصار جميعه عند أمير الجيوش بالشام، وصار إلى تاج الملوك منها حبات در، زنة كل حبة ثلاثة مثاقيل وعدتها مائة حبة؛ فلما انهزم من مصر أخذها أحد غلمانه مع غيرها من نفيس الجوهر وهرب إلى الصعيد، فقتل وأخذ منه.

وأخرج من خزائن الطيب مما أخرج خمسة صوارى عود هندى، طول كل واحد منها ما بين تسعة أذرع إلى عشرة أذرع؛ وكافور قنصورى زنة كل حصاة منه من خمسة مثاقيل إلى ما دونها؛ وقطع عنبر تزن القطعة ثلاثة آلاف مثقال، فوهب ذلك لناصر الدولة، فحاز منه ما لا حد ولا قيمة، وحمل إليه من القصر متارد صينى، يقوم

---

(١) منا: المن مائتا درهم وستون درهما. انظر: قوانين الدواوين ٤٥٥.

(٢) الكلوتة: غطاء للرأس والجمع كلاوات.

كل مترد منها على ثلاثة أرجل على صورة السباع وغيرها، يسع كل منها مائتى رطل وما فوقها؛ وعدة قطع يشب وبازهر، منها جام سعته ثلاثة أشبار ونصف وعمقه شبر، مليح الصورة.

وأخرج من القصر منديل نسيج من زغب ريش بدائر يسمى السمندل، طوله تسعة أشبار، لا يحترق بالنار، فاشتراه بعض المسافرين التجار بثمن يسير طلب فلم يقدر عليه. وصار إلى ناصر الدولة قطرميز[1] بللور فيه ناتئة عن ضبته يسع سبعة عشر رطلا، ودكوجة بللور تسع عشرين رطلا؛ وقصرية يصب كبيرة جدا؛ وعدة كاسات يصب؛ وطابع ند[2] فيه ألف مثقال عمله فخر الدولة أبو الحسن على بن ركن الدولة بن بويه الديلمى وكتب عليه فخر الدولة شمس الدولة، وكتب عليه أبياتا، منها:

ومن يكن شمس أهل الأرض قاطبةً فندُّه طابع من ألف مثقال

فاقتسمه ناصر الدولة وفخر العرب وتاج الملوك أمير الأمراء.

وصار لناصر الدولة أيضا طائر من ذهب مرصع بنفيس الجوهر وعيناه من ياقوت أحمر وريشه من الميناء المجرى بالذهب كهيئة ريش الطاووس، وديك من ذهب له عرف كأكبر أعراف الديكة من الياقوت الأحمر، مرصع كله بسائر الدر والجوهر، وعيناه من ياقوت أحمر، كان يحير ناظره كيفية تركيبه لالتئام الصنعة فيه وملاحتها، وغزال مرصع بنفيس الدر والجوهر، بطنه أبيض منظور من در رائع يخاله الناظر حيوانا، ومجمع سكارج[3] مخروط من بللور فظ، وفيه سكارج من بللور يخرج منه ويعود إليه فتحته أربعة أشبار فى مثلها، محكم الصنعة فى غلاف من خيزران مذهب، فسمح به لفخر العرب. وأخرج بطيخة من كافور فى شباك من ذهب مرصع، وزن كافورها سبعون منًا سوى الذهب، اقتسمها فخر العرب وتاج الملوك، فخص فخر العرب منها ثلاثة آلاف مثقال من ذهب؛ وقطعة عنبر تسمى الخروف زنتها - سوى ما يمسكها من الذهب - ثمانون منًا؛ وعدة قطارميز بللور فيها صور مجسمة بارزة، يسع كل منها عشرين رطلا.

وطلب الأتراك من المستنصر نفقة، فماطلهم بها، فهجموا على التربة التى للقصر وأخذوا ما فيها من قناديل الذهب ومن الآلات كالمداخن والمجامر وحلى المحاريب، فجاء منه خمسون ألف دينار. وصار إلى فخر العرب مقطع حرير أزرق رقيق بديع

---

(١) قطرميز: قلة كبيرة من الزجاج.

(٢) الند: عود يتبخر به.

(٣) سكارج: جمع سكرجة وهى الصفحة.

الصنعة منسوج بالذهب وسائر أنواع الحرير تنبيتا، عمله المعز، فيه صورة أقاليم الأرض بمدنها وجبالها وبحارها وأنهارها وسعة حصونها، وفيه صورة مكة والمدينة، وفى آخره: مما أمر بعمله المعز لدين الله شوقًا إلى حرم الله، وإشهارًا لمعالم رسول الله، فى سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة، والنفقة عليه اثنان وعشرون ألف دينار.

وصار إلى فخر العرب ما لا يحصى كثرة؛ من ذلك مائدة يصب كبيرة قوائمها منها؛ وبيضة كبيرة بلخشن زنتها سبعة وعشرون مثقالا أشد صفاء من الياقوت الأحمر؛ وبيت أرمنى منسوج بالذهب عمل للمتوكل على الله العباسى لا مثل له ولا قيمة؛ وقطرميز بللور يسع مروقتين نبيذا مليح التقدير، قوم عليه مما خرج من القصر ثمانمائة دينار فدفع إليه بعد ذلك فيه ألف دينار فأبى، وبساط خسروانى دفع إليه بالإسكندرية ألف دينار فامتنع عن بيعه؛ ومائدة جزع يقعد عليها جماعة، قوائمها مخروطة منها ما لا قدر لها ولا قيمة، سوى ما قبضة شاور بن حسين لناصر الدولة لفخر العرب من آلات الذهب والفضة، وآنية الجوهر وعقوده، وفاخر الثياب والفرش والآلات والسلاح، مما قوم ألوف الدينانير.

وصار إلى ناصر الجيوش ما قيمته ألف ألف دينار من جملته نخلة من ذهب مكللة بجوهر بديع ودر رائع، فى إجانة من ذهب، تجمع الطلع والبلح وسائر ألوان البسر والرطب، بشكله ولونه، وصفته وهيئته من ألوان الجواهر، لا حد لقيمتها، وكوز على مثال كوز الزير من بللور يسع عشرة أرطال ماء مرصع بنفيس الجوهر لا حد لقيمته، وصورة مكللة بحب لؤلؤ نفيس، فيها ما وزن الحبة منه مثقال، ومنه ما يزن مثقالين مرصعة بياقوت. وأخرج فيه العشارى المعروف بالمقدم، وبجارته وكسوة رحله التى عملها الوزير على بن أحمد الجرجرائى فى سنة ست وثلاثين وأربعمائة، كان فيها مائة ألف وسبعة وستون ألفا وسبعمائة درهم فضة نقرة، غير ما أطلق للصناع من أجرة صياغة وثمن ذهب لطلائه، وهو ألفان وتسعمائة دينار؛ وكان سعر الفضة فى ذلك الوقت كل مائة درهم بستة دنانير وربع، بسعر ستة عشر درهما بدينار. وأخرج حلى العشارى الفضى الذى عمله أبو سعيد إبراهيم بن سهل التسترى لما ولى الوساطة فى سنة ست وثلاثين وأربعمائة لوالدة المستنصر، وكان الحلى مائة وثلاثين ألف درهم فضة، وإلى ذلك أجر الصباغة، والطلاء بعضه ألفان وأربعمائة، غير ما استعمل كسوة برسمه مال جليل، فأخرج عدة العشاريات التى برسم القوة البحرية، وعدتها ستة وثلاثون عشاريا، وكان قد انصرف عليها فى حلاها من مناطق ورءُوس منجوقات وأهلة وصفريات وكساها أربعمائة ألف دينار.

Marfat.com

وأخرج ما على سرير الملك الكبير من الذهب الإبريز الخالص فكان مائة ألف مثقال وعشرة آلاف مثقال. وأخرج الستر الذى أنشأه أبو محمد اليازورى فجاء فيه من الذهب ثلاثون ألف مثقال، وكان مرصعا بألف وخمسمائة وستين قطعة جوهر من سائر الألوان. وأخرجت الشمسة الكبيرة وكان فيها ثلاثون ألف مثقال ذهبا وعشرون ألف درهم فضة وثلاثة آلاف وستمائة قطعة جوهر، وأخرجت الشمسة التى لم تتم فوجد فيها من الذهب سبعة عشر ألف مثقال. وأخرج من خزانة عدة مناكين فضة، منها ما زنته مائة وتسعة أرطال إلى ما دونها. وأخرج بستان أرضه فضة محرقة مذهبة، وطينه ند معجون، وأشجاره فضة مصنوعة، وأثماره عنبر وند، زنه ثلاثمائة وستة أرطال بالمصرى، وبطيخة كافور مشبكة بذهب وزنها عشرة آلاف مثقال؛ ومنقلتا كافور مشبكتان بذهب زنتهما ستة آلاف مثقال؛ ومنقلتا عنبر وزنهما عشرة آلاف مثقال؛ ومنقلتا عنبر مدورتان وزنهما ستة آلاف مثقال، وأثواب مصمتة، منها أربعة يفصل كل ثوب منها اثنين، وثلاثون قميصًا تامًا، ومدهن ياقوت أحمر زنته سبعة وثلاثون درهما ونصف، أخذ من موجود اليازورى وكان قد صار إليه من السيدة عبدة بنت المعز لدين الله.

وأخرج لؤلؤ زنة كل حبة منه مثقالان؛ ومن الياقوت الأزرق ما زنة كل قطعة منه سبعون درهما؛ ومن الزمرد ما وزن كل قطعة منه ثمانون درهما؛ ونصاب مرآة طويل ثخين من زمرد لا حد لقيمته.

وأخرج من خزائن الكتب ثمانية عشر ألف كتاب فى العلوم القديمة، وألفان وأربعمائة ختمة فى ربعات بخطوط منسوبة محلاة بذهب وفضة. وأخذ جميع ذلك الأتراك ببعض قيمته.

وأخرج فى المحرم منها فى يوم واحد خمسة وعشرون جملا موقرة كتبا صارت إلى دار الوزير أبى الفرج محمد بن جعفر بن المعز، واقتسمها هو والخطير بن الموفق فى الدارين بخدمات وَجَبت لهما عما يستحقانه وغلمانهما من ديوان الحلبيين؛ وأن حصة الوزير أبى الفرج قومت عليه بخمسة آلاف دينار، وكانت تساوى أكثر من مائة ألف دينار، نهبت بأجمعها من داره يوم انهزم ناصر الدولة من مصر فى صفر، مع غيرها مما نهب من دور من سار معه من الوزير أبى الفرج وابن أبى كدينة وغيرهما.

وأخرج ما فى خزائن دار العلم بالقاهرة. وصار إلى عماد الدولة أبى الفضل بن المحترف بالإسكندرية كثير من الكتب، ثم انتقل منها كثير، بعد مقتله، إلى المغرب وأخذته لواتة، فيما صار إليها بالابتياع أو الغصب من الكتب الجليلة المقدار ما لا يعد

ولا يوصف، فجعل عبيدهم وإماؤهم جلودها فى أرجلهم، وأحرق ورقها تأولا منهم أنها خرجت من القصر وأن فيها كلام المشارقة الذى يخالف مذهبهم، فصار رمادها تلالا عرفت فى نواحى أبيار بتلال الكتب، وغرق منها وتلف، ووصل إلى الأمصار ما يتجاوز الوصف.

وأخرج من بعض الخزائن التى بالقصر بيضة كبيرة كأكبر ما يكون من بيض النعام محلاة بذهب، فأخذها المستنصر دون ما أخرج من تلك الخزانة مما له خطر وقدر؛ فقال بعض الحاضرين: هذه بيضة نعامة، فتغافل بعض من حضر من الأتراك عنها، وأخذوا النفائس من الذخائر وانصرفوا، فسئل المستنصر من بعض الخدم عن هذه البيضة، فقال: هى بيضة حية أهداها بعض الملوك إلى جدى القائم بأمر الله، وكان يحتفظ بها، وهذه الرقعة بخط القائم بأمر الله باسم مهديها والسنة التى أهديت فيها.

وأخرج من القصر فى ثلاثة أيام من المحرم ما قيمته من العين اثنان وعشرون ألف دينار وستمائة وستة وسبعون دينارا وثمن دينار، منها قيمة متاع ثلاثة عشر ألفا وثمانمائة وثلاثون دينارا وثلث وثمن، وقيمة جوهر ثمانية آلاف وثمانمائة وخمسة وأربعون دينارًا وثلثان؛ هذا على أن ما يساوى ألف دينار يقوم بمائة دينار وما دونها، فإذا كان هذا فى ثلاثة أيام فكيف يكون فى مدة سنتين ليلا ونهارا.

وتسلم جلال الدولة بن بويه من العين، له ولمن يجرى مجراه وعدتهم عشرة نفر، من عطية واحدة مبلغ أربعة وأربعين ألف دينار ومائة وثلاثين دينارا. ووصل إلى بغداد على يد التجار مما خرج من القصر، على ما وقفت فى تاريخ بعض البغداديين، أحد عشر ألف درع وعشرون ألف سيف محلى، وثمانون ألف قطعة بللور وخمسة وسبعون ألف قطعة من الديباج. وبيع طشت وإبريق من بللور باثنى عشر ألف دينار؛ وبيع نحو السبعين ألف قطعة من الثياب، وعشر حبات زنتها عشرة مثاقيل بأربعمائة دينار.

قال ابن ميسر: رأيت مجلدة تجىء نحو العشرين كراسة، فيها ذكر ما خرج من القصر من التحف والأثاث والثياب والذهب وغير ذلك.

وفيها صرف الوزير محمد بن جعفر بن المغربى عن الوزارة فى رمضان، وتقرر جلال الملك أبو أحمد، أحمد بن عبد الكريم بن عبد الحاكم بن سعيد الفارقى.

وفيها قتل أمير الجيوش بدر بساحل الشام الشريف أبا طاهر حيدرة، ناظر دمشق، لإحن كانت فى نفسه منه، وكان يعد من الأجواد.

وفيها تغلب الأمير حصن الدولة معلى بن حيدرة الكتامى على دمشق واقتحمها قهرا بالسيف فى شوال، فأساء السيرة فى الناس.

Marfat.com

وفيها عظم الغلاء بمصر واشتد جوع الناس لقلة الأقوات فى الأعمال وكثرة الفساد، وأكل الناس الجيفة والميتات، ووقفوا فى الطرقات فقتلوا من ظفروا به؛ وبيعت البيضة من بيض الدجاج بعشرة قراريط، وبلغت راوية الماء دينارا، وبيعت دار ثمنها تسعمائة دينار بتسعين دينارا اشترى بها دون تليس دقيق وعمَّ مع الغلاء وباء شديد؛ وشمل الخوف من العسكرية وفساد العبيد، فانقطعت الطرقات برا وبحرا إلا بالخفارة الكبيرة مع ركوب الغرر. وبيع رغيف من الخبز زنته رطل فى زقاق القناديل[1] كما تباع التحف والطرف فى النداء: خراج ! فبلغ أربعة عشر درهما؛ وبيع أردب قمح بثمانين دينارا، ثم عدم ذلك كله، وأكلت الكلاب والقطط، فبيع كلب ليؤكل بخمسة دنانير.

وأبيعت حارة بمصر بطبق خبز، حسابًا عن كل دار رغيف، فعرفت تلك الحارة بعد ذلك بحارة طبق، وما زالت تعرف بذلك حتى دثرت فيما دثر من خطط مصر. وأكل الناس نحاتة النخل؛ ثم تزايد الحال حتى أكل الناس بعضهم بعضا.

وكان بمصر طوائف من أهل الفساد قد سكنوا بيوتا قصيرة السقوف قريبة ممن يسعى فى الطرقات، فأعدوا سلبا وخطاطيف؛ فإذا مر بهم أحد شالوه فى أقرب وقت، ثم ضربوه بالأخشاب وشرَّحوا لحمه وأكلوه.

قال الشريف أبو عبد الله محمد الجوانى فى كتاب النقط: حدثنى بعض نسائنا الصالحات قالت: كانت لنا من الجارات امرأة ترينا أفخاذها وفيها كالحفر، فتقول: أنا ممن خطفنى أكلة الناس فى الشدة، فأخذنى إنسان، وكنت ذات جسم وسمن، فأدخلنى بيتا فيه سكاكين وآثار الدماء وزفرة القتيل، فأضجعنى على وجهى وربط فى يدى ورجلى سلبا إلى أوتاد حديد، عريانة، ثم شرح من أفخاذى وأنا أستغيث ولا أحد يجيبنى، ثم أضرم الفحم وأسوى من لحمى وأكل أكلا كثيرا؛ ثم سكر حتى وقع على جنبيه لا يعرف أين هو؛ فأخذت فى الحركة إلى أن تخلى أحد الأوتاد، وأعان الله على الخلاص، وخلصت، وحللت الرباط، وأخذت خروقا من داره ولففت بها أفخاذى، وزحفت إلى باب الدار وخرجت أزحف إلى أن وقعت إلى الناس، فحملت إلى بيتى، وعرفتهم بموضعه، فمضوا إلى الوالى فكبس عليه وضرب عنقه؛ وأقامت الدماء فى أفخاذى سنة إلى أن ختم الجرح، وبقى هكذا حفرا.

وآل أمر الخليفة المستنصر إلى أن صار يجلس على نخ أو حصير؛ وتعطلت دواوينه

---

(١) زقاق القناديل: كان من الأحياء التى يسكنها الأعيان وكبار القوم بمدينة الفسطاط، وهى الآن أرض فضاء.

Marfat.com

وذهب وقاره، وخرج نساء قصوره ناشرات شعورهن يصحن: الجوع الجوع، وهن يردن المسير إلى العراق، فتساقطن عند المصلى بظاهر باب النصر من القاهرة، ومتن جوعا. وجاء الوزير يوما على بغلة فأكلها العامة، فأمر بهم فشنقوا، فاجتمع الناس على المشنقوقين وأكلوهم. وعدم المستنصر القوت جملة حتى كانت الشريفة بنت صاحب السبيل تبعث إليه كل يوم بقعب من فتيت من جملة ما كان لها من البر والصدقات فى سنى هذا الغلاء، حتى أنفقت مالها كله، وكان يجل عن الإحصاء، فى سبيل البر؛ فلم يكن للمستنصر قوت سوى ما كانت تبعث به إليه، وهو مرة واحدة فى اليوم، لا يجد غيره. وبعث بأولاده إلى الأطراف لعدم القوت، فسير الأمير عبد الله إلى عكا فنزل عند أمير الجيوش، وأرسل الأمير أبا على معه؛ وبعث الأمير أبا القاسم والد الحافظ إلى عسقلان، وسيره أولا إلى دمياط؛ ولم يترك عنده سوى ابنه أبى القاسم أحمد.

وبعث المستنصر يوما إلى أبى الفضل عبد الله بن حسين بن شورى بن الجوهرى الواعظ، فدخل القاهرة من باب البرقية[1]، فلم يلق أحدا إلى القصر؛ فجاء من باب البحر[2] فوجد عليه شيخا، فقال: استأذن علىَّ؛ فقال: ادخل فهو وحده؛ فلم ير أحدًا فى الدهاليز ولا القلعة، فأنشد:

يا منزلا، لم تَبْلَ أطلالُه ... حاشَا لأطلالك أن تبلى

لم أبكِ أطلالك، لكننى ... بكيت عيشى ففيك إذ وَلّى

والعيش أولى ما بكاه الفتى ... لابد للمحزون أن يسلى

فإذا هو خلف باب المجلس، فبكى وبكيت طويلا، وحاذته ساعة؛ ثم ناوله الخليفة قرطاسا فيه سبعون دينارا.

ومن عجيب ما وقع أن امرأة من أرباب البيوت عرضت عقدا لها قيمته ألف دينار على جماعة ليعطوها به دقيقا وهم يعتذرون إليها ويدفعونها، إلى أن رق لها رجل وباعها به تليس دقيق، فحملته من مصر واكترت معها من يحفظه من النهابة، وسارت تريد منزلها بالقاهرة، فسلمه الحملة إليها عند بابى زويلة، فلم تمش به غير قليل حتى تكاثر الناس عليها، وانتهبوه منها فانتهبت هى أيضا منه مع النهابة، فصار إليها ملء

---

(١) باب البرقية: جماعة قدمت مع المعز لدين الله واستقروا بحى عرف باسم حارة البرقية وهو باب بمنطقة الدراسة حاليًا.

(٢) باب البحر: من أبواب قصر الخليفة الغربية وكان الخليفة يستخدمه عندما يقصد شاطئ النيل عند المقس وموضع هذا الباب بشارع بين القصرين. انظر: النجوم الزاهرة ٤/٣٥.

Marfat.com

يديها دقيقا لم يَنُبْهَا منه غيره، فعجنته وشوته، ثم مضت إلى باب القصر ووقفت على موضع مرتفع، ورفعت القرصة فى يدها حتى يراها الناس، ونادت بأعلى صوتها: يأهل القاهرة، ادعوا لمولانا المستنصر الذى أسعد الله الناس بأيامه وأعاد عليهم بركات حسن نظره، حتى تقومت على هذه القرصة بألف دينار. ووقف مرة أحد المياسير بباب القصر وصرخ إلى أن أحضر المستنصر فلما وقف بين يديه قال: يا مولانا هذه سبعون قمحة وقفت علىّ بسبعين دينارا كل حبة قمح بدينار، فى أيامك، وهو، أنى اشتريت إردبا بسبعين دينارا فنهب منى ولم يبق لى منه سوى ما وقع بيدى وانتهابى منه مع من نهب، فعددت ما فى يدى فجاء سبعين حبة من قمح، وإذا كل حبة بدينار، فقال المستنصر: الآن فرج الله على الناس فإن أيامى حكم لها أنه يباع فيها القمحة بدينار.

ولم يكن هذا الغلاء عن قصور مد النيل فقط، وإنما كان من اختلاف الكلمة ومحاربة الأجناد بعضهم مع بعض. وكان الجند عدة طوائف مختلفة الأجناس، فتغلبت لواتة والمغاربة على الوجه البحرى، وتغلب العبيد السودان على أرض الصعيد، وتغلب الملثمة والأتراك بمصر والقاهرة، وتحاربوا. وكان قد حصل ذلك من بعد قتل اليازورى فى سنة خمسين كما تقدم؛ فما زالت أمور الدولة تضطرب وأحوالها تختل، ورسومها تتغير، من سنة خمسين إلى سنة سبع وخمسين، فابتدأت الشدة منها تتزايد إلى سنتى ستين وإحدى وستين، فتفاقم الأمر وعظم الخطب واشتد البلاء والكرب. وما برح المصاب يعظم إلى سنة ست وستين، وكان أشدها مدة سبع سنين، من سنة سبع وخمسين إلى سنة أربع وستين أخصبت كل شر، وهلك فيها معظم أهل الإقليم. ثم أخذ البلاء ينجلى من سنة أربع وستين إلى أن قدم أمير الجيوش بدر فى سنة ست وستين، كما سيأتى ذكره إن شاء الله، فكانت سبع السنين المذكورة يمد فيها النيل ويطلع وينزل فى أوقاته، فلا يوجد فى الإقليم من يزرع الأراضى ولا من يقيم جسوره، من كثرة الاختلاف وتواتر الحروب، وانقطاع الطرقات فى البر والبحر إلا بالخفارة الثقيلة وارتكاب الخطر؛ ولم يوجد ما يبذر فى الأراضى للزراعة، فإن القمح ارتفع الأردب منه من ثمانين دينارا إلى مائتى دينار، ثم فقد فلم يقدر عليه ولا الخليفة.

وفيها صرف ابن أبى كدينة عن القضاء فى ثالث عشر صفر، وتولى المليحى؛ وصرف جلال الملك عن الوزارة، وصرف معه أيضا المليحى عن القضاء فى يوم واحد، وجمعا معا لخطير الملك محمد بن اليازورى فباشرهما إلى شوال، ثم صرف عنهما، فاستقر فيهما بعده ابن أبى كدينة إلى ذى القعدة؛ وأعيد المليحى بعده.

وفيها احترق جامع دمشق ليلة الإثنين، النصف من شعبان، بعد العصر، وسببه فتنة

Marfat.com

بين العسكرية وأهل البلد، فأضرموا النار فى بعض الأسواق واتصل بالجامع، فاحترق الجانب الغربى جميعه من الرواق الباقلانى والقبة الكبيرة، وزالت آثار الوليد بن عبد الملك[1] التى لم يكن فى الإسلام مثلها.

سنة اثنتين وستين وأربعمائة

فيها بعث ناصر الدولة حسين بن حمدان الفقيه أبا جعفر محمد بن أحمد بن البخارى رسولا منه إلى السلطان ألب أرسلان، ملك العراق، يسأله أن يسير إليه العساكر ليقيم الدعوة العباسية بديار مصر، وتكون مصر له، فتجهز ألب أرسلان من خراسان فى عساكر عظيمة، وبعث إلى محمود بن ثمال بن صالح بن مرداس، صاحب حلب، أن يقطع دعوة المستنصر ويقيم الدعوة العباسية، فقطعت دعوة المستنصر من حلب ولم تعد بعد ذلك.

وانتهى ألب أرسلان إلى حلب فى جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وحاصرها شهرا، فخرج إليه صاحبها محمود بن ثمال بن صالح بن مرداس، فأكرمه وأقره على ولايته، وأخذ يريد المسير إلى دمشق ليمر منها إلى مصر، وإذا بالخبر قد طرقه أن متملك الروم[2] قد قطع بلاد أرمينية يريد أخذ خراسان، فشغله ذلك عن الشام ومصر ورجع إلى بلاده؛ فواقع جمائع الروم على خلاط وهزمهم، وكان قد ترك طائفة من عسكره الأتراك ببلاد الشام فامتدت أيديهم إليها وملكتها كلها، فخرجت عن أيدى المصريين ولم تعد إليهم.

وبلغ المستنصر إرسال ناصر الدولة إلى ألب أرسلان، فجهز إليه ثلاثة عساكر من الأتراك وغيرهم، وتقدم أحد العساكر إليه وهو فى أهل البحيرة، فجمع له ابن حمدان وأوقع به وقعة انكشفت عن أسر مقدم العسكر، وقتل كثير من أصحابه، وانهزام من بقى، والاستيلاء على ما بقى معهم؛ فتقوى به. ووافاه العسكر الثانى ولا علم عندهم بما اتفق على من تقدم، فكانت الدائرة لابن حمدان عليهم أيضا؛ فسار وهجم على العسكر الثالث وقتل منهم وأسر، وانتهت عامة ما كان معهم، فكثرت أمواله، وكبرت نفسه، واستأسد على المستنصر واستخف به وبمن معه، فقطع الميرة عن القاهرة ومصر، وعاث فى البلاد؛ ونهب أكثر الوجه البحرى، وقطع خطبة المستنصر من الإسكندرية ودمياط وجميع الوجه البحرى، وخطب للخليفة القائم بأمر الله العباسى. وامتدت

---

(١) الوليد بن عبد الملك بن مروان، أبو العباس (٤٨-٩٦هـ = ٦٦٨-٧١٥م): من ملوك الدولة الأموية فى الشام. ولى بعد وفاة أبيه سنة ٨٦هـ. وهو أول من أحدث المستشفيات فى الإسلام وبنى المسجد الأقصى فى القدس، وبنى مسجد دمشق الكبير المعروف بالجامع الأموى. انظر: ابن الأثير ٣/٥ والطبرانى ٩٧/٨ واليعقوبى ٢٧/٣ والأعلام ١٢١/٨.

(١) متملك الروم : والمقصود الإمبراطور رومانوس الرابع.

Marfat.com

الحرب بين الأتراك وعبيد الشراء ثمانية أشهر يتحاربون ليلا ونهارا، فامتنع الناس عن الحركة؛ وجاء النيل ووفى فلم يقدروا على الزرع، فتفاقم البلاء بالناس واشتد جوعهم وعظمت رزاياهم، وفشا مع ذلك الموت فى الناس فكان يموت الواحد من أهل البيت فى القاهرة أو مصر، فلا يمضى ذلك اليوم أو تلك الليلة حتى يموت سائر من فى ذلك البيت. وعجز الناس عن مواراة الأموات فكفنوهم فى الأنخاخ؛ ثم عظمت شناعة الموت وتضاعف العجز، فصاروا يحفرون الحفائر الكبار ويلقون فيها الأموات بعضهم على بعض، حتى تمتلئ الحفيرة بالرمم من الرجال والنساء والصغار والكبار، ثم يهال عليها التراب. ومع هذا تكاثر انتهاب الجند للعامة واختطافهم من الطرقات فخرج أهل القوة من القاهرة ومصر يريدون بلاد الشام والعراق هربا من الجوع والفتن، فسار إلى تلك البلاد عامة التجار وأصحاب القوة، ومعهم ثياب المستنصر وذخائره وآلاته التى تقدم ذكر طرف منها.

وفيها حاصر أمير الجيوش بدر مدينة صور وبها عين الدولة أبو الحسن على، الملقب بالناصح، ثقة الثقات ذى الرئاستين، ابن عبد الله بن على بن عياض بن أحمد بن أبى عقيل القاضى، وضايقها؛ فسير عين الدولة إلى الأمير لواء مقدم الأتراك الواردين من العراق إلى بلاد الشام لينجده؛ واتصل ذلك بأمير الجيوش، فخاف من الأتراك، فرحل عن صور، ثم لما اطمأن عاد إلى صور ونازلها فلم يظفر منها بشىء.

وفيها قطعت دعوة المستنصر من مكة ودعى بها للقائم العباسى وللسلطان عضد الدولة ألب أرسلان بن داود بن ميكال بن سلجوق بن دقاق. وكان سبب انقطاع دعوة المستنصر بها أنه كان ينفق فى كل سنة على القافلة المجهزة إلى مكة فى الموسم مائة ألف وعشرون ألف دينار، منها عن الطيب والخلوق والشمع راتبًا فى كل سنة عشرة آلاف دينار، ونفقة الوفد الواصل إلى الحضرة أربعون ألف دينار، وعن الجرايات والصدقات وأجرة الجمال ومعونة من يسير من العسكرية وأمير الموسم وخدم القافلة والضعفاء وحفر الآبار ونفقات العربان ستون ألف دينار. ثم زادت النفقة فى وزارة اليازورى حتى بلغت مائتى ألف دينار فى السنة؛ ولم تبلغ النفقة على موسم الحج مثل ذلك فى دولة من دول الإسلام قط، فلما ضعفت الدولة فى هذه السنين وزحف عضد الدولة من خراسان إلى حلب بعث إلى محمد بن أبى القاسم الحسنى أمير مكة بثلاثين ألف دينار وبخلع سنية وأجرى له فى كل سنة عشرة آلاف دينار؛ وبعث إلى صاحب المدينة عشرين ألف دينار؛ فقطع خطبة المستنصر بعدما قامت الدعوة والخطبة للمستنصر ولآبائه بمكة والمدينة مائة سنة، ودعا للقائم العباسى ولعضد الدولة؛ وقرَّر عضد الدولة ما يحمل إلى الحرمين على ارتفاع واسط.

Marfat.com

سنة ثلاث وستين وأربعمائة

فيها اصطلح الأتراك بمصر مع ناصر الدولة بن حمدان وهو مقيم بالوجه البحرى، وذلك لشدة ما نالهم من قطعه الميرة عنهم؛ فوقع الاتفاق بينهم وبينه على أن يكون مقيما بمكانه وتحمل إليه الأموال التى تقرر له، وأن يكون تاج الملوك شادى نائبًا عنه بالقاهرة، فتقرر الحال على ذلك ودخلت الغلال إلى البلد، فطابت قلوب الناس، وانجلى الأمر نحو شهر؛ ثم وقع الخلاف بين الأتراك وبينه، فرحل من البحيرة بعساكر كثيرة ونازل البلد وحاصرها محاصرة شديدة فى ذى القعدة؛ وامتدت أيدى أصحابه فانتهبوا الناس فى الدور وأخذوهم من الطرقات، وأحرقوا كثيرا من دور الساحل، ثم عاد إلى البحيرة.

سنة أربع وستين وأربعمائة

وفيها كانت الحرب بين تاج الملوك شادى وبين ناصر الدولة بن حمدان، وعادت الفتنة بالقاهرة ومصر، وكان سبب محاربتهما أن تاج الملوك لما دخل إلى القاهرة نائبًا عن ناصر الدولة تغير عما كان قد تقرر بينهما، واستبد بالأمور فضن بالمال عليه، ولم يصل ابن حمدان منه إلا دون ما كان يؤمله، فقلق لذلك ابن حمدان، واتفق هو وجمائع العربان على المسير إلى القاهرة وأخذها، فسار بهم، ونزل إلى الجيزة، فاستدعى تاج الملوك وغيره من أكابر المقدمين، فخرجوا إليه مطمئنين لأنه واحد منهم يهوى هواهم؛ فما هو إلا أن صاروا إليه حتى قبض عليهم، وزحف بجموعه، وألقى النار فى دور السادة، وانبثت أصحابه ينتهبون ما قدروا عليه، فجهز المستنصر إليه عسكرًا كانت فيه طائفة لهم قوة وفيهم منعة؛ فوافقوه. وكانت بينهم وبينه حرب انجلت عن هزيمته، ففر على وجهه وتلاحق به أصحابه، وصاروا إلى البحيرة، فقطع خطبة المستنصر من جميع الوجه البحرى، وكتب إلى الخليفة القائم ببغداد يسأله أن يجهز إليه الخلع والألوية السود؛ فاضمحل قدر المستنصر وتلاشى أمره، وتعاظمت الشدائد بمصر، وجلت رزايا الناس.

فلما كان فى شعبان: سار ناصر الدولة بعساكره وقد تيقن عجز المستنصر عن مقاومته لضعف أمره ومالأة كثير من الأتراك له، وموافقتهم لما قرره معهم من محبة؛ فدخل إلى مصر فاستولى على الأمر؛ وبعث إلى المستنصر يطلب منه المال، فدخل عليه قاصد بن حمدان وهو جالس على حصير بغير فرش ولا أبهة، وليس عنده غير ثلاثة من الخدم، وقد زال ما كان يعهده من شارة المملكة وعظمة الخلافة، فلما أدى إليه الرسالة قال له المستنصر: أما يكفى ناصر الدولة أن أجلس فى مثل هذا البيت على هذه الحال؟! فلما سمع بذلك قاصد بن حمدان بكى وخرج، فأعلم ناصر الدولة ما شاهده من هيئة

Marfat.com

المستنصر، وعرفه بما صار إليه من سوء الحال؛ فرق له وكفَّ عنه، وأطلق له فى كل شهر مائة دينار. واستبد بسائر أمور الدولة، وبالغ فى إهانة المستنصر فى الاعتقاد، وزاد فى إيصال الضرر إليه وإلى سائر حواشيه وأسبابه، حتى قبض على أم المستنصر وعاقبها بعقوبات متعددة، واستخلص منها أموالا جمة، فتفرق عن المستنصر جميع أهله، وسائر أقاربه وأولاده وحواشيه، فمنهم من سار إلى المغرب ومنهم من خرج إلى العراق؛ وبقى فقيرا وحيدا خائفا يترقب. وقيل إن أم المستنصر فرَّت أيضا إلى العراق.

وفى شهر ربيع الأول: استقر ابن أبى كدينة فى الوزارة والدعوة والقضاء. واستمر الحال على ما وصفنا جميع سنة أربع وستين.

وفيها فقد الطعام، فسار التجار من صقلية والمهدية فى الطعام والمرتب، فبيع القمح كل كيل قروى زنته تسعة أرطال بدينار نزارى، ثم بيع بمثقالين، ثم بثلاثة، ثم فقد، وطبخ الناس جلود البقر وباعوها رطلا بدرهمين، وبلغ الزيت أوقية بدرهمين، وأوقية اللحم بدرهم، وبيعت الأمتعة بأبخس ثمن، وباع الناس أملاكهم.

ووقع الوباء فألقى الناس موتاهم فى النيل بغير أكفان.

وفيها مات القاضى الأجل أمين الدولة أبو طالب عبد الله بن عمار بن الحسين بن قندس بن عبد الله بن إدريس بن أبى يوسف الطائى بطرابلس الشام، ليلة السبت نصف رجب.

وفيها ملك القمص رجار بن تنقرد صاحب مدينة قلبريو، وهى مقابل مدينة جربة[1]، جزيرة صقلية.

سنة خمس وستين وأربعمائة

فيها قتل ناصر الدين الحسين بن ناصر الدولة الحسن بن الحسين بن عبد الله أبى الهيجاء بن حمدان بن حمدون بن الحارث بن لقمان بن الرشيد بن المثنى بن رافع بن الحارث بن عطيف بن مجربة بن حارثة بن مالك بن جشم، أحد الأراقم، بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن ثعلب بن وائل بن قاسط بن فيد بن أقصى بن داغمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة الفرس بن نزار بن معد بن عدنان التغلبى. وكان سبب فنائه أنه لما استولى على أمور الدولة وبالغ فى إهانة المستنصر وتتبع أقاربه وحواشيه، وأخذ من

---

(١) مدينة جربة : جزيرة بالمغرب قرب قابس. انظر: معجم البلدان ٣/٧٣-٧٤، وفى الروض المعطار لم يختلف على أنها جربة: جزيرة فى بحر إفريقية أقرب بلادها إليها قابس، وطول جربة ستون ميلاً، ويتصل بها من نواحيها جزيرة زيزو، وهى صغيرة جدًا ذات نخل وكروم، وجزيرة زيزو طولها أربعون ميلاً وعرضها نصف ميل. انظر: الروض المعطار ١٥٨، ١٥٩، والإدريسى ١٢٧/٩٥، والبكرى ١٩.

Marfat.com

قدر عليه منهم، وفرَّ من وجد سبيلا إلى الفرار، كان يولى الرجل بعض الأعمال ويسيره إليه فلا يتمكن من ذلك العمل حتى يكتب إليه بأن يعود، ويبعث غيره. وشرع فى قطع دعوة المستنصر وإعمال الرأى فى إقامة الخطب للخليفة القائم بمصر والقاهرة، وأن يزيل من البلاد دولة الفاطميين ويمحو آثارها، فلم يستطع ذلك ولا قدر عليه لكثرة الأعوان والأتباع.

وكان من جملة رجال الدولة إلدكز، وهو أحد الأمراء، ففطن لما يريده ناصر الدولة من قطع خطبة المستنصر وإقامة دعوة بنى العباس، فتشاور هو والأمير يلدكوز، وكانا من أكابر الأتراك، وأنكرا ما يتفق من ناصر الدولة وتخوفا من عاقبة ذلك، وصارا إلى بقية الأتراك وأعلماهم أنه إن تم لناصر الدولة ما يحاوله لم يبق منهم أحدا، والرأى مبادرته قبل أن يستفحل أمره؛ فتقرر الأمر على القيام عليه وقتله.

وكان ناصر الدولة قد اغترَّ بقوته، وظن أنه قد أمن، وأن أعداءه قد تلاشوا وتلفوا، فأتاه الله من حيث لم يحتسب، وأناخ به عواقب بغيه، فلم يشعر إلا وقد ركب الأتراك بأجمعهم على حين غفلة من ليلة من رجب، ووافوا داره بمصر سحرا، وكان يسكن فى منازل العز[1]، فهجموا عليه من غير دستوره ولا طلب إذن، فإذا هو فى صحن داره وعليه رداء، فبادره أحدهم بسيفه وأتبعه إلدكز فحز رأسه. وخرج كوكب الدولة مسرعا إلى فخر الدولة أخيه فى عدة، فطرقه وهو آمن وقتله واحتمل رأسه، وأخذ سيفه وجارية من جواريه.

وامتدت الأيدى إلى من بقى منهم، فقتل أخوهما تاج المعالى وجماعة من بنى حمدان؛ وتتبعوا أسبابهم وحواشيهم حتى لم يبق منهم أحد بديار مصر، وأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم وما أصدق قول أبى على الفكيك إذ يقول هجاء لناصر الدولة هذا:

ولئن غلطت بأن مدحتك، طالبا ... جدواك، مع علمى بأنك باخل
فالدولة الغراء قد غلطت بأن ... سمتك ناصرها وأنت الخاذل

وقتل فى هذه النوبة الوزير أبو غالب عبد الطاهر بن فضل بن الموفق فى الدين، ابن العجمى.

وفيها قطعت خطبة المستنصر من بيت المقدس[2].

---

(١) منازل العز: دار بنتها السيدة أم العزيز بالله على النيل وكان الخلفاء الفاطميون يتخذونها متنزها ولقد سكنها ابن حمدان ناصر الدولة وكذلك صلاح الدين الأيوبى وغيره، ثم بنيت مدرسة للشافعية . انظر: الخطط.

(٢) بيت المقدس: انظر: معجم البلدان ١٦٦/٥، ١٧٢.

سنة ست وستين وأربعمائة

فيها تشدد الأتراك وكبيرهم سلطان الجيش يلدكوش التركى، والأمير إلدكز والوزير يومئذ ابن أبى كدينة، فضاق خناقه وعظم روعه وساءت حالـه، وكـان المستنصر بالله يظن أن فى قتل ابن حمدان راحة له، فاستطال إلدكز وابـن أبـى كدينـة عليـه وناكداه، فتحير فى أمره وكتب إلى أمير الجيوش بدر الجمالى، وهو يومئذ بعكا، يستدعيه للقـدوم لنجدته وإعانته ويعده بتملك البلاد والاستيلاء عليها، فاشـترط عليـه أنـه يقـدم بعسـكر معه، وأنه لا يبقى أحدا مـن عسـاكر مصـر ولا وزرائهـم؛ فأجابـه المستنصر إلى ذلـك، فأخذ فى الاستعداد للمسير إلى مصر؛ واستخدم معه عـدة مـن العسـاكر، وركـب بحـر الملح من عكا، وكان الوقت فى كانون[1] وهو أشد ما يكون من البلاء، ومن العـادة أن البحر لا يركب فى الشتاء. فسار فى مائة مركب وقـد حـذر مـن ركوبـه وخـوّف مـن سوء العاقبة فلم يصغ لذلك؛ وكأن اللـه سبحانه قـد صنـع لـه ومكـن لـه فـى الأرض، وقضى بأن يصلح على يديه، ما قد فسد من إقليم مصر، فترحل بعساكره فى المراكـب، وأضحت السماء، وواتتهم ريح طيبة سارت بهم إلى دمياط ولم يمسسـهم سـوء؛ فكـان يقال إنه لم ير فى البحر قط صحوة تمادت أربعين يوما إلا فى هـذا الوقـت، فكـان هـذا ابتداء سعادته وأول عظيم جده، فنزل بدمياط، وطلب إليـه التجـار مـن تنيـس وافـترض عليهم مالا.

وقدم عليه سليمان اللواتى، وهو يومئذ كبير أهل البحيرة وأكثرهم مـالا، وأوسـعهم حالا، وقدَّم إليه وأضافـه، وأمـده بالطرقـات حتـى قـدم قليـوب فـنزل بهـا. وبعـث إلى المستنصر سـرا بـأنى لا يمكننـى القـدوم إلى الحضـرة مـالم يقـدم علـىَّ يلدكـوش؛ فبـادر المستنصر إلى إجابته وقبض عليه.

ودخل بدر عشية يوم الأربعـاء لليلتـين بقيتـا مـن جمـادى الأولى فتلقـاه أهـل الدولـة وأنزلوه، وبالغوا فى إكرامه؛ فأظهر أنه ما جاء إلا شوقًا إليهم، وخدعهـم بمـا أبـداه مـن المحبة لهم وكثرة التملق، وأعرض عن المستنصر ولم يذكره إلا بالسوء؛ وصار مـن معـه يدخلون إلى القاهرة وحدانا ورجالا فى الخفية حتى تكامل منهم تسعمائة. ثم أخـذ مـع الأمراء فى الأكل والشرب واللذات، إلى أن اشتد تآنسهم به، فاسـتدعاه كـل منهـم إلى ضيافته، وقدموا إليه، وهو آخذ فى أسباب ما دعى إليه.

فلما انقضت أيام ضيافتهم له استدعى أمراء الدولة ومقدميهـا فـى صنيـع أعـد لهـم،

---

(١) كانون: وفى السنة شهران بهذا الاسم وهما ديسمبر (كانون الأول) ويناير (كانون الثانى).

Marfat.com

فمضوا إليه، وقضوا نهارهم عنده، وباتوا فى أطيب عيش وأنعم بال؛ وقد رتب أصحابه ليقتل كل واحد أميرا من الأمراء ويكون له جميع ما بيده، فلما سكروا وامتد عليهم رواق الليل صار يخرج كل واحد من باب ويسلمه إلى غلام من غلمانه، ويمضى إلى داره فيتسلمها بما فيها من الخدم والأموال، فلم يصبح الصباح إلا ورءُوس الجميع بين يديه، وقد استولى كل رجل من أصحابه على دار أمير من الأمراء وأحاط بجميع ما كان له.

وأخذ فى القبض على الأتراك وتتبعهم حتى لم يدع منهم أحدا يشار إليه، فقويت شوكته واشتدت وطأته وعظم أمره؛ فحسر عن ساعد الجد، وشمر ساعد الاجتهاد، والتقط المفسدين فلم يبق على أحد منهم، وتطلبهم فى القاهرة ومصر حتى أتى على جميعهم القتل. وفر ناصر الجيوش أبو الملوك، وكان شاه بن يلدكوش، إلى الشام. وخلع عليه المستنصر بالطيلسان المقور، وصار جميع أهل الدولة فى حكمه، والدعاة نوابًا عنه، وكذلك القضاة إنما يتولون منه، فقلد أبا يعلى حمزة بن الحسين بن أحمد الفارقى قضاء القضاة. وزيد فى ألقاب أمير الجيوش على ألقاب من تقدمه من الوزراء: كافل قضاة المسلمين.

واتفق أنه لما لبس خلع الوزارة حضر إليه المتصدرون بالجوامع، فقرأ ابن العجمى: ﴿وَلَقَدْ نَصرَكُمْ اللهُ بِبَدْرٍ﴾ (١)، وسكت عن تمام الآية، فقال له أمير الجيوش بدر: والله لقد جاءت فى مكانها وجاء سكوتك عن تمام الآية أحسن؛ وأمر له بصلة.

فيها قتل أمير الجيوش من أماثل المصريين وقضاتهم ووزرائهم عدة كثيرة، منهم الوزير أبو محمد الحسن بن ثقة الدولة على بن أحمد المعروف بابن أبى كدينة، وكان عندما قدم بدر إلى مصر هو الوزير، وهو من ولد عبد الرحمن بن ملجم(٢)، وتردد فى القضاء والوزارة سبع مرات؛ وكان قاسى القلب جبارا، فلما قبض عليه سيرَّ إلى دمياط،

---

(٢) سورة آل عمران آية ١٢٣.

(٣) عبد الرحمن بن ملجم المرادى التدؤلى الحميرى: (...-٤٠هـ = ...-٦٦٠م): فاتك ثائر، أدرك الجاهلية، وهاجر فى خلافة عمر وكان من القراء وأهل الفقه والعبادة. ثم شهد فتح مصر وسكنها فكان فيها فارس بنى تدؤل. وكان من شيعة على بن أبى طالب وشهد معه صفين. ثم خرج عليه واتفق على قتل على ومعاوية وعمرو بن العاص فى ليلة واحدة، وتعهد ابن ملجم بقتل على، فلما كانت ليلة ١٧ رمضان ضربه ابن ملجم فأصاب مقدم رأسه، فنهض من فى المسجد. وفى آخر اليوم الثالث لوفاة على أحضر ابن ملجم بين يدى الحسن وقطعوا يديه ورجليه وأجهزوا عليه وذلك فى الكوفة، وقيل: أحرق بعد قتله. انظر: المبرد ١٣٦/٢ ولسان الميزان ٤٣٩/٣ وابن سعد ٢٣/٣ والأعلام ٣٣٩/٣.

Marfat.com

ودخل عليه السياف ليضرب عنقه، فكان سيفه ثليلا، فضربه سبع ضربات بعدد ولايته القضاء والوزارة.

وقتل أيضًا الوزير أبو المكارم أسعد، والوزير أبو شجاع محمد بن الأشرف أبى غالب محمد بن على؛ والوزير عبد الغنى بن نصر بن سعيد الضيف.

سنة سبع وستين وأربعمائة

فيها سار أمير الجيوش بدر إلى الوجه البحرى فأوقع بلواتة وقتل مقدمهم سليم اللواتى وابنه، واستصفى جميع ما كان له ولقومه من أنواع الأموال، وأسرف فى قتلهم حتى يقال إنه قتل منهم عشرين ألفا. وسار إلى دمياط وقتل كثيرًا ممن كان فيها من المفسدين، وخرب وحرق، وأصلح عامة أحوال الثغر. ولم يدع بالبر الشرقى وجميع أسفل الأرض مفسدا إلا وقتله أو قمعه. ثم عدَّى إلى البر فقتل كثيرًا من الطائفة الملحية وأتباعهم؛ وأقام على محاصرة الإسكندرية أياما حتى أخذها قهرا؛ فقتل كثيرًا من أهلها المفسدين، وعفا عن أهل البلد فلم يعرض لهم.

وفيها حاصر شكل التركى، أحد الأتراك الواصلين من العراق إلى الشام، ثغر عكا وأخذه بالسيف، وكان فيه أولاد أمير الجيوش بدر وأهله وحرمه، فأحسن إليهم وأكرمهم وقتل والى عكا، ثم سار منها فنزل على طبرية وأخذها.

وفيها مات الخليفة القائم بأمر الله ببغداد، يوم الخميس ثالث عشر شعبان، وله من الخلافة أربع وأربعون سنة وتسعة أشهر وأيام؛ وجلس بعده ابن ابنه أبو القاسم عبدالله ابن ذخيرة الدين ولقّب بالمقتدى.

وفيها أعيدت الخطبة للمستنصر بمكة بعد أن خطب فيها للقائم بأمر الله العباسى أربع سنين.

وفيها قتل أمير الجيوش كثيرا من جند مصر وغيرهم ممن يومى إليه بفساد.

سنة ثمان وستين وأربعمائة

فيها حاصر أطسز بن أرتق، المعروف بالأقسيس، دمشق وألح على قتال من بها من عساكر المستنصر حتى ملكها بعد أن أقام يحاصرها نحو ثلاث سنين. وكان عليها من قبل المستنصر حيدرة بن ميرزا الكتامى، وقد كرهته الرعية لسوء سيرته فيهم وكثرة مصادرته للناس، ففرّ منهزما إلى بانياس، ثم خرج عنها إلى صور فأقام بها مدة، ثم حمل إلى مصر فقتل بها. وكان قد التحق بأطسز عدة ممن فرّ من مصر عند قدوم أمير الجيوش، فتقوَّى بهم وبمن صار إليه من أهل دمشق فرارا من حيدرة لسوء سيرته. فلما

Marfat.com

ملك دمشق دعا للمقتدى من خلفاء بنى العباس وأبطل الخطبة للمستنصر، فانقطعت دعوة الخلفاء الفاطميين منها ولم تعد بعد ذلك، وقطعت دعوة المستنصر من مكة أيضا ودعى فيها المقتدى.

فيها مات القاضى الشريف جلال الدولة أبو الحسن أحمد بن أبى القاسم على بن محمد بن الحسين بن إبراهيم بن على بن عبيد الله بن الحسين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب الحسينى النصيبينى، قاضى دمشق، وهو يومئذ متولى القضاء بها، فى يوم الجمعة الرابع من ذى القعدة؛ وهو آخر قضاة الخلفاء الفاطميين بدمشق، وسمع الحديث وحدَّث، وله فيه مقال.

سنة تسع وستين وأربعمائة

فيها اجتمع بمدينة طوخ[1] من صعيد مصر عدد كبير من عرب جهينة والثعالبة والجعافرة لمحاربة أمير الجيوش، فسار إليهم حتى قرب منهم، فنزل، ثم ارتحل بالليل وأمر بضرب الطبول وزعقت البوقات، واشتعلت المشاعل وقد تزايد وقود النيران، وجدَّ فى السير والعساكر لها صرخات وصيحات متتابعة فى دفعة واحدة، حتى طرقهم بغتة ووضع فيهم السيف فأفنى أكثرهم قتلا، وفرَّ منهم طوائف فغرقوا، ولم ينج منهم إلا القليل. وأحاط بأموالهم فحاز منها ما يتجاوز الوصف كثرة، وسيرها إلى المستنصر.

وثار كنز الدولة محمد بأسوان وتغلب عليها وعلى نواحيها، وكثرت أتباعه ونجم أمره؛ فسار إليه أمير الجيوش بعساكره، فالتقى معهم وحاربهم محاربة طويلة أسفرت عن قتله وهزيمة أصحابه بعد أن قتل منهم جم غفير؛ فكانت هذه الواقعة آخر الوقائع التى قطع فيها دابر المفسدين، وخمدت جمرتهم.

وفيها جمع أطسز صاحب دمشق العساكر وسار يريد تملك الديار المصرية وإزالة الدولة الفاطمية منها وإقامة الدعوة العباسية كما فعل فى بلاد الشام. وكان أكثر الأسباب الحاملة له على ذلك أن ابن يلدكوش لما فرَّ من أمير الجيوش وصار إلى بلاد الشام اتصل بأطسز وقدم إليه ستين حبة لؤلؤ مدحرج، زنة كل حبة منها ينيف على مثقال، وحجر ياقوت زنته سبعة عشر مثقالا، وتحفا كثيرة مما كان قد وصل إلى أبيه من خزائن المستنصر فى سنى الشدة، وأغراه بأهل مصر وحثه على قصد البلاد، وهو عنده، فقوى طمعه وسار وقد حصل فى قوة بمن صار إليه من عساكر مصر ومن انضاف إليه من أهل الشام.

---

(١) مدينة طوخ: هى قرية بالصعيد فى غربى النيل. انظر: معجم البلدان ١/١٩١.

Marfat.com

وكان أمير الجيوش ببلاد الصعيد قد انتهى إلى بلاد أسوان، فوصل الخبر بمسير أطسز إلى مصر، فكتب بذلك إلى أمير الجيوش، وكان عند موافاة الخبر إليه فى شغل عن ذلك، فقدم أطسز إلى أطراف مصر فى جمادى الأولى، وقد أشار عليه ابن يلدكوش «بألاّ تشتغل بالقاهرة ولكن تملّك الريف». وقال له: «إذا ملكت الريف فقد ملكت مصر». فأقام بالرّيف جمادى الأولى وجمادى الآخرة وبعض رجب، وأمير الجيوش فى إصلاح الصَّعيد وتَدْبير أُمُوره، وقد حضر إليه أكثر أهل أسوان وبدر بن حازم بجمائع طيئ، فلمَّا استوثق أمره وجمع إليه العساكر عاد إلى القاهرة وخرج يريد محاربة أطسز فى جمع تبلغ عدته ما ينيف على ثلاثين ألفًا ما بين فارس وراجل، وذلك فى يوم الخميس لثلاثَ عشرة بقيت من رجب بعدما جهَّز عدة مراكب قد شحنها بالعلوفات والأزواد، فجمع أطسز إليه أصحابه واستشارهم، فاختلفوا عليه فى الرأى، فقال بعضهم: إن ترجع فإنك قد دست بلاد مصر وليس معك غير خمسة آلاف، والقوم فى كثرة، وعواقب الأمور غير معلومة. وقال له أخوه وابن يلدكوش لا يهولنك ما تسمع به من كثرتهم فإنما هم سوقة وأخلاط، لو سمعوا صيحة لفرُّوا عن آخرهم؛ فإياك والرجوع عن هذا الملك فقد أشرفت على أخذه ولم يبق إلا تملكه، وأشار عليه شكل، أمير طبرية، بموافقة القوم والدخول إلى مصر، فتقرر الرأى على ملاقاة العساكر المصرية.

فلما كان يوم الثلاثاء لثمان بقين منه: تلاقى الفريقان وتحاربا، فكانت بينهما عدة وقائع كانت الغلبة فيها للمصريين، فانهزم أطسز، وقتل أخوه وعدة من أصحابه، وعاد فى قليل ممن معه وأقام بالرملة حتى تلاحقت به عساكره. ثم رحل إلى القدس ففتحها وقتل من فيها من المسلمين ولم يترك من استجار بالأقصى.

ثم سار إلى دمشق، فدخلها لعشر بقين من شعبان؛ وقد احتوى أمير الجيوش على كثير مما كان معهم، ورجع إلى القاهرة مؤيدا مظفرا. وكان المتولى لكسرة أطسز بدر ابن حازم بن على بن دغفل بن جراح، فلما جلس أمير الجيوش بدر الجمالى للهناء بنصرته قرأ ابن لفتة، أحد القراء، ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ﴾، ولم يتم الآية، يعنى بدر ابن حازم فبينا أمير الجيوش بدر فى ذلك إذ بلغه اجتماع عرب قيس وسليم وفزارة، فخرج إليهم وأوقع بهم، وأكثر من القتل فيهم، وفرَّ من بقى منهم إلى برقة.

وفيها سقط أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوى[1] من سطح جامع عمرو

(١) أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوى : (...-٤٦٩هـ=...-١٠٧٧م): طاهر بن أحمد ابن بابشاذ، المصرى الجوهرى، أبو الحسن : إمام عصره فى علم النحو. تعلم فى العراق، وولى إصلاح ما يصدر من ديوان الإنشاء بمصر، فكان لا يخرج كتاب حتى يعرض عليه ثم استعفى، ولزم بيته بمصر، إلى أن سقط من سطح الجامع (جامع عمرو بن العاص) فمات لساعته. من كتبه «المقدمة - خ» فى النحو، «وشرح الأصول لابن السراج» . انظر: وفيات الأعيان ١/٢٣٥=

Marfat.com

ابن العاص بمصر، فمات فـي عشية اليوم الثالث من رجب؛ وكان له على الدولة الفاطمية فى كل شهر ثلاثون دينارا وغلة لإصلاح ما يكتب فى ديوان الإنشاء، فكان يعرض عليه جميع ما يكتب منه، وإذا حرره أمر به فدفع لأربابه، ثم إنه تخلى عن الخدم السلطانية وانقطع للعبادة حتى مات؛ وكان أبوه واعظا بمصر.

سنة سبعين وأربعمائة

فيها سير أمير الجيوش عسكرا مقدمه ناصر الدولة الجيوشي، فانتهى إلى دمشق وأقام محاصرا لها مدة؛ ثم ارتحل عنها وعاد بغير طائل.

وفيها فوض لأمير الجيوش قضاء القضاة، وزيد فى نعوته: كافل قضاة المسلمين، وهادى دعاة المؤمنين.

وفيها وصل إلى مكة من بغداد منبر كبير فى شهر رمضان منقوش عليه بالذهب: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله. الإمام المقتدى بأمر الله أمير المؤمنين. مما أمر بعمله محمد بن محمد بن جهير»[1]، فاتفق وصوله وقد أعيدت الخطبة للمستنصر، فكسر المنبر المذكور وأحرق. ولم يكن بمصر فى سنة إحدى وسبعين كبير شيء.

سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة

فيها سير أمير الجيوش عسكرًا كبيرًا، فانتهى إلى دمشق وحاصرها حتى أشرف على أخذها، فسير أطسز صاحب دمشق إلى تاج الدولة تتش بن السلطان ألب أرسلان - وكان قد أقطعه أخوه ملكشاه الشام وأخذ حلب بعدما حاصرها حتى اشتد الجوع بأهلها وملكها - يستحثه على نصرته وتقويته على المصريين، ويعده أنه يسلم إليه ملك دمشق، فأجابه إلى سؤاله وسار إليه بعسكره؛ فبلغ ذلك عسكر أمير الجيوش، فارتحل وعاد إلى مصر. وقدم تتش فملك دمشق، ودبر على أطسز وقتله بحيلة فى ربيع الأول؛ وجهز عسكرا فى إثر العسكر المصرى فلم يدركه.

-والنجوم الزاهرة ٥/١٠٥ وبغية الوعاة ٢٧٢، ٤٢٧ والأعلام ٣/٢٢٠.

(١) محمد بن محمد بن جهير الثعلبى، فخر الدولة، موید الدين، أبو النصر: وزير، أصله من الموصل، ولد ونشأ بها. وانتقل إلى حلب فجعل ناظرًا لديوانها . وعزل، فانتقل إلى آمد. وما زالت تصعد به همته إلى أن ولى الوزارة ببغداد للقائم العباسى سنة ٤٥٤هـ. ثم عزله المقتدى فخرج إلى ديار بكر سنة ٤٧٦هـ. واستعان بالسلطان ملكشاه. ثم ولاه ملكشاه على ديار ربيعة سنة ٤٨٢هـ. فامتلك نصيبين والموصل وسنجار والرحبة والخابور وأقام بالموصل إلى أن توفى. انظر: وفيات الأعيان ٢/٦٦ وابن خلدون ٤/٣٢٠ والوافى ١/١٢٢ والأعلام ٧/٢٢.

Marfat.com

وفيها خرج ملك النوبة من بلاده وسار إلى أسوان يريد زيارة كنيسة لهم بها، فبعث والى قوص من قبض عليه وحمله إلى القاهرة، فأكرمه أمير الجيوش وأفاض عليه النعم، وأتحفه بالهدايا الجليلة؛ فأدركه أجله ومات قبل أن يعود إلى بلاده.

وفيها قطعت خطبة المستنصر من مكة وأعيدت خطبة بنى العباس.

سنة سبع وسبعين وأربعمائة

فيها خرج الأوحد بن أمير الجيوش على أبيه، وانضم إليه جماعة من العسكر والعربان وتحصن بالإسكندرية؛ فسار إليه أمير الجيوش وحصره، وألح عليه القتال حتى دخل البلد وأخذ ابنه قهرا. وأمر ببناء الجامع المعروف فى الإسكندرية بجامع العطارين من أموال أخذها من أهل البلد، وفرغ منه فى شهر ربيع الأول؛ وأقيمت فيه الجمعة واستمرت إلى أن زالت دولة الفاطميين على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب[1]، فأمر ببناء جامع، ونقل الخطبة من جامع العطارين إليه.

وفى جمادى الأولى: استناب أمير الجيوش ولده الأفضل، وجعله ولى عهده فى السلطنة.

وفيها ابتدأ أمير الجيوش فى بناء سور القاهرة.

سنة ثمان وسبعين وأربعمائة

فيها قطعت الخطبة من مكة للمستنصر وخطب بها للمقتدى العباسى.

فيها مات أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد[2] بن على بن الحسين المغربى الملقب

---

(٢) يوسف بن أيوب بن شاذى، أبو المظفر، صلاح الدين الأيوبى، الملقب بالملك الناصر: من أشهر ملوك الإسلام. كان أبوه وأهله من قرية دوين فى شرقى أذربيجان ونزلوا بتكريت، وولد بها صلاح الدين وتوفى فيها جده شاذى واشترك صلاح الدين مع عمه شيركوه فى حملة للاستيلاء على مصر سنة ٥٥٩هـ. ولكن شيركوه ما لبث أن مات، فاختار العاضد للوزارة وقيادة الجيش صلاح الدين، ولقبه بالملك الناصر، ثم استقل بملك مصر. وكانت مدة حكمه بمصر ٢٤ سنة وخلف من الأولاد ١٧ ذكرا وأنثى واحدة. ومكث فى دمشق مدة قصيرة انتهت بوفاته. انظر: وفيات الأعيان ٢/٣٧٦ وابن خلدون ٤/٧٩ و٥/٢٥٠-٣٣٠ وابن الأثير ١٢/٣٧ والأعلام ٨/٢٢٠.

(١) محمد بن جعفر بن محمد بن على المغربى أبو الفرج : (...-٤٧٨هـ = ...-١٠٨٥م): وزير كاتب، استوزره المستنصر بالله الفاطمى (صاحب مصر) سنة ٤٥٠هـ. ولقبه «الوزير الأجل الكامل الأوحد صفى أمير المؤمنين وخالصته» فأقام سنتين وشهورا وعزل، فاقترح لما أريد عزله أن يولى بعض الدواوين، فولى ديوان الإنشاء واستمر به إلى أن توفى بمصر. انظر: الإشارة إلى-

Marfat.com

بالكامل؛ وكان قد ولى الوزارة بعد أن سار إلى بلاد المغرب وخدم بها، ثم عاد واتصل بالوزير أبى محمد اليازورى، فأحسن إليه واستخدمه وعنى به، فماقته أبو الفرج البابلى.

فلما صارت إليه الوزارة بعد اليازورى قبض عليه فى جملة من قبض عليهم من أصحاب اليازورى، واعتقله، فلم يزل معتقلا إلى أن تقررت له الوزارة وهو فى السجن، فأخرج وخلع عليه خلع الوزارة عوضا عن أبى الفرج البابلى، فلم يؤاخذه بما كان منه فى حقه، بل قابله بالجميل وأحسن إليه إحسانا كبيرا. ولما صرف عن الوزارة اقترح أن يولى ديوان الإنشاء فقرر فى هذه الرتبة التى يقال لها فى زمننا اليوم «كتّاب السر»، فاستقرت من بعده وظيفة ورتبة يتقلدها الأكابر.

وفيها مات سليمان بن قطلمش بن إسرائيل بن سلجوق، صاحب قونية وأقصرا من بلاد الروم، وقام من بعده ابنه قلج أرسلان بن سليمان؛ فاسترد منه الفرنجة مدينة أنطاكية.

سنة تسع وسبعين وأربعمائة

فيها قدم الحسن بن الصباح[1]، رئيس الطائفة الباطنية من الإسماعيلية، إلى مصر فى زى تاجر، واتصل بالمستنصر واختص به، والتزم أن يقيم له الدعوة فى بلاد خراسان[2]

=من نال الوزارة ٤٧، والأعلام ٦/٧٢.

(١) الحسن بن الصباح بن على الإسماعيلى: (٤٢٨-٥١٨هـ = ١٠٣٧-١١٢٤م): داهية شجاع، عالم بالحساب والهندسة والنجوم . قيل إنه يمانى الأصل، من حمير. مولده فى مرو. تتلمذ لأحمد ابن عطاش (من أعيان الباطنية فى عهد ملكشاه السلجوقى) ثم كان مقدم الإسماعيلية بأصبهان، ورحل منها ، وطاف البلاد فدخل مصر وأكرمه المستنصر الفاطمى ثم عاد إلى الشام والجزيرة وديار بكر والروم ورجع إلى خراسان ودخل كاشغر وما وراء النهر ثم استولى على قلعة ألموت وطرد صاحبها سنة ٤٨٣هـ، واستقر بها إلى أن توفى فيها. انظر: الكامل لابن الأثير حوادث سنة ٤٩٤ وما بعدها، وصبح الأعشى ١/١٢١ وميزان الاعتدال ١/٢٣٢ والأعلام ٢/١٩٣،١٩٤.

(٢) خُراسَانُ: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلى العراق أزَاذْوار قصبة حوَين وبَيهق، وآخر حدودها مما يلى الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها، وتشتمل على أمّهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومَرْو، وهى كانت قصبتها، وبلخ وطالقان ونَسا وأبيورد وسرخس وما يتخلل ذلك من المدُن التى دون نهر جيحون، ومن الناس من يُدخل أعمال خوارزم فيها وبَعدّ ما وراء النهر منها وليس الأمر كذلك، وقد فتحت أكثر هذه البلاد عنوة وصلحًا، وذلك فى سنة ٣١ فى أيام عثمان، رضى الله عنه، بإمارة عبد الله بن عامر بن كُرَيز، وقد اختلف فى تسميتها بذلك فقال دغفل النسابة: خرج خراسان وهَيطل ابنا عالم بن-

وغيرها من بلاد المشرق. وكان الحسن هذا كاتبا للرئيس عبد الرزاق بن بهرام بالرى، فكاتب المستنصر، ثم قدم عليه ثم إن المستنصر بلغه عنه كلام، فاعتقله، ثم أطلقه. وسأله ابن الصباح عن عدة مسائل من مسائل الإسماعيلية فأجاب عنها بخطه. ويقال إنه قال له: يا أمير المؤمنين، من الإمام من بعدك، فقال له: ولدى نزار.

ثم إنه سار من مصر بعد ما أقام عند المستنصر مدة وأنعم عليه بنعم وافية، فلما وصل إلى بلاده نشر بها دعوة المستنصر وبثّها فى تلك الأقطار، وحدث منه من البلاء بالخلق ما لا يوصف مما قد ذكر فى أخبار المشرق. ثم قام من بعد المستنصر بدعوة ابنه نزار، وكان بسبب ذلك فى مصر من الانقلاب ما نهتم به إن شاء الله تعالى. وأخذ ابن الصباح أصحابه بجمع الأسلحة ومواعدتهم، حتى اجتمعوا له فى شعبان سنة ثلاث وثمانين، ووثب بهم فأخذ قلعة ألموت، وكانت لملوك الديلم من قبل ظهور الإسلام، وهى من الحصانة فى غاية.

واجتمع الباطنية بأصبهان مع رئيسهم وكبير دعاتهم أحمد بن عبد الملك بن عطاش، وملكوا قلعتين عظيمتين؛ إحداهما يقال لها قلعة الدرّ؛ وكانت لأبى القاسم[1] دلف العجلى، وجدَّدها وسماها ساهور؛ والقلعة الأخرى تعرف بقلعة جان، وهما على جبل أصبهان. وبثّ الحسن بن الصباح دعاته، وألقى عليهم مسائل الباطنية التى ذكرتها فى هذا الكتاب عند ذكر داعى الدعاة فى أخبار بناء سور القاهرة، عند ذكر خطط المعزية القاهرة.. فساروا من قلعة ألموت، وأكثروا من القتل فى الناس غيلة.

وكان إذ ذاك ملك العراقين السلطان ملكشاه الملقب جلال الدين بن ألب أرسلان، فاستدعى الإمام أبا يوسف الخازن لمناظرة أصحاب ابن الصباح؛ فناظرهم، وألف كتابه المسمى بالمستظهرى، وأجاب عن مسائلهم. واجتهد ملك شاه فى أخذ قلعتهم فأعياه المرض وعجز عن نيلها.

=سام بن نوح، عليهما السلام، لما تبلبلت الألسن ببابل فنزل كل واحد منهما فى البلد المنسوب إليه، يريد أن هَيطلَ نزل فى البلد المعروف بالهياطلة، وهو ما وراء نهر جيحون، ونزل خراسانُ فى هذه البلاد التى ذكرناها دون النهر فسمّيت كل بقعة بالذى نزلها، وقيل: خراسم للشمس بالفارسية الدّرِيّة وأسان كأنه أصل الشيء ومكانه، وقيل: معناه كلْ سَهْلاً لأن معنى خُر كلْ وأسان سهل، والله أعلم. وأما النسبة إليها ففيها لغات، فى كتاب العين: الخُرَسى منسوب إلى خراسان، ومثله الخُراسى والخراسانى ويجمع على الخراسين بتخفيف ياء النسبة. انظر: معجم البلدان ٢/٣٥٠، ٣٥٤.

(١) أبى القاسم دلف بن عبد العزيز بن أبى دلف العجلى: أحد الأعيان الولاة فى الدولة العباسية. ولى أصبهان إلى أن ثار عليه القاسم بن مهاة فقتله. انظر: الكامل لابن الأثير ٧/١٠٨، والأعلام ٢/٣٤١.

Marfat.com

وفيها خلع اسم المستنصر وآبائه من مكة والمدينة وكتب اسم المقتدى.

سنة ثمانين وأربعمائة

فيها مات أبو الفضل عبد الله بن الحسين بن بشرى، المعروف بابن الجوهرى، الواعظ المصرى فى العشر الأواخر من شوال؛ وهو أحد أكابر شيوخ مصر، وتصدى عدة سنين للوعظ بجامع عمرو بن العاص. حدَّث عن جماعة؛ وله كلام فى الزهد والمواعظ؛ وهو من بيت علم وأسرة وعظ. ولما كانت أيام الشدة والغلاء بمصر اجتمع إليه الناس فى بعض الأيام وسألوه عقد المجلس للوعظ بالجامع العتيق، فقال: من يحضر عندى ومن بقى؟ فقالوا: لابد من ذلك؛ فجلس، وكان من كلامه: أبشروا هذه سنة ثلاث، وأشار بيده، وهى متعلقة كلها، وسنة حلٌ سنة أربع ويفتح الله، ورَفَع بِنْصَرَه؛ وبعدها سنة خَمْسٍ ويفتحُ الله؛ ورفع خِنْصَره، فكان كما قال، وأنشد مرة فى بعض مجالسه:

ما يَصنَعُ اللّيل والنّهارُ ... ويستُر الثّوبُ والجدار
على كرام بنى كرام ... تُخيِّروا فى القضا وخَارُوا

ومن كلامه: قد اختلَّ أمر الدِّين والدُّنيا، وتعذر الوصول إليهما، فَمَن طلب الآخرة لم يجد معينا عليها، ومن طلب الدنيا وجد فاجرا قد سبقه إليها.

وأنشد مرة الخليفة المستنصر:

عساكر الشكر قَد جاءَت مهنئةً ... وللملوك ارتياب فى تأتيها
بالباب قوم ذوو ضعف ومسكنة ... يستصغرون لك الدنيا بما فيها

وفيها بعث بردويل[1] ملك الفرنجة الذين يقال لهم الإفرنسيس عسكرا عليه أجار إلى صقلية فملكها من المسلمين.

سنة إحدى وثمانين وأربعمائة

[.....] [2]

سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة

فيها ندب أمير الجيوش عسكرا إلى بلاد الشام وقدم عليه ناصر الدولة الجيوشى؛ فسار وفتح ثغرى صور وصيدا، ثم فتح جبيل وعكا. وكان تتش قد ملكها، فاستولى عليها ناصر الدولة الجيوشى، وقتل جماعة من أصحاب تتش، وأخذ كثيرًا من ذخائره..

---

(١) بردويل: الصورة العربية للاسم الأفرنجى «بلدوين».

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

Marfat.com

ومضى إلى بعلبك، فوفد عليه خلف بن ملاعب صاحب حمص، ودخل فى الطاعة، وبعث ابن حمدان إلى أمير الجيوش، فسيّر إليه الخلع والطوق.

سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة

فيها توفى الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن سعد بن عبدالله الخيال المصرى الإمام، صاحب التاريخ، فى سادس ذى القعدة، ومولده فى سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة؛ ودفن بالقرافة.

وفيها صعد الحسن بن الصباح إلى قلعة ألموت فى شعبان، وأظهر دعوة المستنصر بالله.

سنة خمس وثمانين وأربعمائة

فيها نقل أمير الجيوش بابى زويلة وزاد من ورائهما قطعة، وبنى باب زويلة الكبير الموجود الآن، ورفع أبراجه على ما هى عليه، ولم يجعل له باشورة[1] كما هى عادة أبواب الحصون أن يكون فى أبوابها عطفة تمنع العساكر من الهجوم على الحصن عند الحصار، بل عمل فى بابه زلاقة من حجارة صوان، حتى إذا هجم العسكرلم تثبت قوائم الخيل على الصوان لملاسته، فلم تزل هذه الزلاقة باقية إلى أيام الملك الكامل محمد ابن العادل[2]، فأمر بنقضها لما زلّت به فرسه وسقط عنها.

سنة ست وثمانين وأربعمائة

فيها جرد أمير الجيوش عسكرًا إلى ثغر صور، وكان المتولى به قد خرج عن الطاعة، فسار العسكر ونزل على الثغر، فخاف أهل البلد من سطوة أمير الجيوش، فلم يعرضوا لقتال فهجم العسكر البلد وانتهبوا أهله، وقبضوا على أميرها وعلى جماعة من الناس وسيروهم إلى أمير الجيوش فقتلهم؛ وبعث بفريضة ستين ألف دينار على أهل صور؛

---

(١) باشورة: بناء ذو منعطفات أمام أو خلف كل باب وكان يستخدم لتعويق العساكر على الباب من الهجوم وقت الحصار وكذلك تعويق دخول الخيول إلى المدينة دفعة واحدة. انظر: الخطط ٣٧٧/١ - ٣٨٠.

(٢) الملك الكامل محمد بن محمد العادل بن أيوب، أبو المعالى، ناصر الدين : (٥٧٦-٦٣٥هـ = ١١٨٠-١٢٣٨م.): من سلاطين الدولة الأيوبية. ولد بمصر وأعطاه أبوه الديار المصرية فتولاها مستقلا بعد وفاته سنة ٦١٥هـ، واستولى على حران والرها وسروج والرقة وآمد وحصن كيفا ثم امتلك الديار الشافية. واستمر أربعين سنة نصفها فى أيام والده وتوفى بدمشق . انظر: الوافى ١٩٣/١، وابن الأثير ١٢٦/١٢و١٣٥و١٨٦، وابن إياس ٧٧/١، والأعلام ٢٨/٧.

Marfat.com

وكان ذلك فى رابع عشر جمادى الآخرة.

وفيها نمى قتل أبى على حسن بن عبد الصمد بن أبى الشحناء العسقلانى[١] صاحب الرسائل والشعر، وكان بديوان الإنشاء، وشعره ورسائله مشهورة. ويقال إن القاضى الفاضل عبد الرحيم كان جل اعتماده على رسائله، ومن شعره:

أصبحت تُخرجنى بغير جريمة ... من دار إكرام لدار هوان
كَدَم الفِصاد يُراَق أرْذل موضع ... أبدًا، ويخرج مِن أعزّ مكان
ثقُلَتْ مَوازينُ العباد بفَضْلهم ... وفضيلَتى قد خَفّفت ميزانى

سنة سبع وثمانين وأربعمائة

فى شهر ربيع، وقيل فى جمادى الأولى: توفى أمير الجيوش بدر الجمالى من مرض نزل به من أول السنة حتى أسكت فلم يقدر على الكلام إلى أن مات وقد ناهز ثمانين سنة؛ وجنسه أرمنى؛ وكان مملوكا لجمال الدولة ابن عمار، لذلك قيل له بدر الجمالى. وما زال يأخذ نفسه بالجد من شبيبته فيما يباشره، ويوطن نفسه على قوة العزم فيما يرومه،ويتنقل فى الرتب العلية، حتى ولى بلاد الشام وتقلد إمارة دمشق من قبل المستنصر مرتين، وثار عليه أهلها.

وكانت فى إمارته الفتنة العظيمة التى احترق فيها قصر الإمارة وجامع بنى أمية. ثم إنه رحل عن دمشق إلى مصر، وقلده المستنصر عكا، فلما فسدت أحوال مصر وتغيرت أمورها وخربت كان يبلغه ذلك فيتحسر لما يبلغه ويتلهف لكونه بعيدا عن مصر، فلما كاتبه المستنصر ودخل إلى القاهرة تحكم فى بلاد مصر تحكم الملوك، ولم يبق للمستنصر من أمر، وألقى إليه مقاليد مملكته، وسلم إليه أمور خلافته، فضبطها أحسن ضبط، فاشتدت مهابته فى قلوب الخاصة والعامة، وخاف سطوته كل جليل وكبير، لعظم بأسه وكثرة بطشه، وقتله من الخلائق ما لا يمكن ضبطهم ولا يعلم عدتهم إلا إلههم سبحانه. وبقتله أكابر المصريين من الأمراء والقوّاد والوزراء والأعيان، من أهل القاهرة ومصر وبلاد الصعيد وأسفل الأرض وثغر دمياط وتنيس والإسكندرية، الذين كانوا قد تمرّنوا على الفساد، ونشأوا فى الفتن واعتادوا ضرة الخلق، ولصلاح أحوالهم من ذلك

---

(٣) أبى على حسن بن عبد الصمد بن أبى الشحناء العسقلانى، ويقال له الشيخ المجيد (...-٤٨٢هـ. ...-١٠٨٩م.) منشئ، له خطب ورسائل جيدة، كان القاضى الفاضل يحفظ أكثرها. أصله من عسقلان، وقتل بالقاهرة مسجونًا، وله نظم فى ديوان رآه ابن خلكان. انظر: وفيات الأعيان وسير النبلاء - خـ - المجلد ١٥، والأعلام٢/١٩٥.

صلحت الديار المصرية بعد فسادها، وعمرت بعد خرابها، وزال عكس[1] المستنصر وابتدأت سعادته.

وكان من جميل أفعاله أنه لما قتل المفسدين من الأجناد والعربان وغيرهم أطلق الخراج للمزارعين، ولم يأخذ منهم شيئا ثلاث سنين، حتى صلحت أحوال الفلاحين. واستغنى أهل مصر فى أيامه، ودرت عليهم أخلاف النعم بعد توالى الشدائد الكبيرة، ومقاساة الألم.

وكثر ترداد التجار فى أيامه إلى مصر بعد نزوحهم عنها، وخروجهم لشدة البلاء والجور فيها.

وكانت مدة تحكمه بالديار المصرية إحدى وعشرين سنة. وكان عزوف النفس شديد البطش، عالى الهمة عظيم الهيبة، حسن التأتى جميل السياسة، مظفرا، سعيد الجد، سخيا، مفضالا.. قصده علقمة بن عبد الرزاق العليمى، فلما وافى بابه شاهد أشراف الناس وكبراءهم وشعراءهم وعلماءهم على بابه وقد طال وقوفهم ومقامهم، ولا يصلون إليه، فبينا هو كذلك إذ خرج أمير الجيوش يريد الصيد، فخرج فى أثره وأقام معه حتى رجع من صيده؛ فعندما قاربه وقف على تل من رمل، ورمى برقعة كانت فى يده، وأنشد:

نحن التجارُ، وهذه أعلاقُنَا ... دُرٌّ، وجُودُ يمينك المبتاع
قلّب، وفتشها بسَمْعِك، إنّما ... هى جوهرٌ تختارُه الأسماع
كسدت علينا بالشام، وكلما ... قل النفاق تعَطّل الصُّنّاع
فأتَاك يحملُها إليك تِجارُها ... ومَطِيُّها الآمال والأطماع
حتى أناخُوها ببَابك، والرَّجا ... مِنْ دونِك السمسَار والبياع
فوهبتَ ما لم يُعْطِه فى دهره ... هرِم، ولا كعبٌ، ولا القَعْقاع
وسبقت هَذَا النّاسَ فى طلب العُلا ... والناسُ بعدَك كلّهم أتباع
يا بدرُ، أقسم لو بك اعتصم الورى ... ولَجَوا إليك جميعُهم ما ضاعوا

وكان بيد بدر باز، فدفعه لأحد مماليكه وجعل يستعيد الأبيات، وهو معه، إلى أن استقر فى مجلسه، فلما اطمأن قال للحاضرين عنده؛ من أحبنى فليخلع عليه، فبادر حينئذ الحاضرون، ولم يبق منهم إلا من ألقى له ما قدر عليه، حتى صار إليه منهم ما حمله على سبعين بغلا عندما خرج من المجلس؛ ومع ذلك أمر له أمير الجيوش من ماله بعشرة آلاف درهم.

---

(١) وزال عكس: استعمال يقصد به التعبير عن انكشاف الغمة.

قال قاضى الرشيد أحمد بن الزبير فى كتاب العجائب والطرف والهدايا والتحف: ولما مات أمير الجيوش بدر المستنصرى خلّف سبعمائة غلام، كل غلام له من المال ما ينيف عن المائة ألف غلام. وخلف من المال بعد عمارة سور القاهرة ستة آلاف ألف دينار وأربعمائة ألف ألف درهم فى دار الوزارة؛ ومن الجوهر والياقوت أربعة صناديق ومن القضب الفضة والذهب والمراتب، ومن السروج المحلاة، ما يعجز عن وصفه. وخلف ألف قصبة زمرد، لأنه كان له به غرام عظيم، جمعت له من جميع الأقطار.

ولما مات أمير الجيوش كان أجل غلمانه من الأمراء نصر الدولة أفتكين، ويليه فى الرتبة أمين الدولة صافى، ويقال لاون، فبعث لاون لكل جماعة من الأمراء الجيوشية مالا والتمس منهم الرضا به أن يلى الوزارة مكان أستاذه أمير الجيوش، فوافقوه على ذلك فأقرَّ أمره مع المستنصر؛ فطلبه بعد موت أمير الجيوش وأفاض عليه خلع الوزارة وجلس فى الشباك عند الخليفة ليتولى على العادة. وكان نصر الدولة أفتكين قد بلغه ذلك من قبل، فركب وطاف على الأمراء، كل واحد بمفرده، وغلّطه فيما عزم عليه، وقبح أن يكون أحد خشداشيته[1] يتحكم عليه مع وجود أولاد أستاذهم؛ مع ما قد عرف من بخل لاون، ونحو ذلك من القول، حتى رجعوا عن لاون، فعندما طلبه المستنصر وخلع عليه ركب نصر الدولة فى جميع الأمراء بالسلاح وساروا إلى القصر، ووقفوا فى الصحن؛ فشقَّ ذلك على المستنصر وعلى مَنْ بحضرته من خاصته. وشرع الأمراء فى مخاطبة المستنصر فى إبطال وزارة لاون، وهو يأبى عليهم، حتى طال الخطاب، فقال المستنصر: إذا أقمنا قصبة قبل أمرنا فقال الأمراء: إذا أقمت هذه القصبة قطعناها بهذه السيوف؛ وجردوا سيوفهم، ولم يبق إلا وقوع الشر، فقال المستنصر لهم خيرا، وأمر بإحضار الأفضل ابن أمير الجيوش، وقرر فى الوزارة مكان أبيه، وبطل أمر لاون، فاستمر إلى ليلة الخميس الثامن عشر من ذى الحجة.

وفيها مات الخليفة المستنصر بالله أبو تميم معد، فلما كان عند موته حصل رعد عظيم وبرق كثير ومطر غزير، وعمره يومئذ سبع وستون سنة وخمسة أشهر، منها فى خلافته ستون سنة وأربعة أشهر وثلاثة أيام، مرت به فيها أهوال عظيمة، وشدائد آلت به إلى أن جلس على نخ، لا يجد من القوت إلا ما تتصدق به عليه الشريفة ابنة صاحب السبيل فى كل يوم، فلا يأكل غير مرة واحدة فى اليوم من قَعْب فتيت تبعث بها إليه، كما قد تقدم ذلك.

وكان قد قوى أمره وقام بتدبير وزارته عند إقامته فى الخلافة وزير أبيه على بن أحمد الجرجرائى، فمشت الأحوال على سداد إلى أن مات، فحكمت أمه فى الدولة

(١) جمع خشداش: أى الزميل فى الخدمة. انظر: السلوك ١/٣٣٨ حاشية ٣.

Marfat.com

وولت أبا سعيد إبراهيم اليهودى التسترى وزارتها، فصار هو الذى يلى الوساطة ويدبر الأموال إلى أن قتل، فلما كانت سنة اثنتين وستين اختلطت الأمور وتعاظم الأمر، فكان من الغلاء والفتن والبلاء والنهب ما تقدم ذكره.

وولى وزارته أربعة وعشرون وزيرا، وهم: أبو القاسم الجرجرائى إلى أن مات وزيرا فى سنة ست وثلاثين؛ فولى أبو منصور صدقة بن يوسف الفلاحى إلى أن قتل فى سنة تسع وثلاثين؛ فولى عماد الدولة أبو البركات الحسين بن محمد الجرجرائى مرتين إلى أن عزل فى سنة أربعين؛ فولى صاعد بن مسعود أبو الفضل وصرف فى سنة اثنتين وأربعين؛ فاستقر أبو محمد اليازورى مضافا إلى القضاء والتقدمة على الدعاة، ولم يجمع ذلك لأحد قبله، إلى أن قبض عليه فى محرم سنة خمسين؛ فاستوزر أبو الفرج عبد الله ابن محمد البابلى ثم صرف بعد شهرين وأربعة عشر يوما. واستقر أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين المغربى ثم صرف فى سنة اثنتين وخمسين؛ وأعيد البابلى ثم صرف بعد أربعة أشهر. وتولى عبد الله بن يحيى بن المدبر فى صفر سنة ثلاث وخمسين وصرف بعد شهرين؛ وتولى عبد الكريم بن عبد الحاكم بن سعيد الفارقى فى رمضان منها إلى أن توفى فى محرم سنة أربع وخمسين؛ فتولى بعده أخوه أبو على أحمد سبعة عشر يوما وصرف؛ فأعيد البابلى كرة ثالثة فى ربيع الأول، فأقام خمسة أشهر واستعفى فَوَزَرَ أبو عبد الله الحسين بن سديد الدولة الماسكى؛ ثم صرف بأبى أحمد بن عبد الكريم بن عبد الحاكم، فكان ينقل من القضاء إلى الوزارة ثم يعود إلى القضاء؛ وصرف بابن المدبر، فأقام إلى أن توفى؛ فأعيد أبو أحمد بن عبد الحاكم فى ذى الحجة سنة خمس وخمسين فأقام خمسة وأربعين يوما؛ وصرف بأبى غالب عبد الطاهر بن فضل العجمى، فتولى غير مرة، وكان جده من دعاة الدولة؛ فولى مرة فى جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وصرف بعد ثلاثة أشهر، وولى أخرى فى ربيع الآخر سنة ست وخمسين وصرف بعد ثلاثة وأربعين يوما، وفى ثالثة فى أيام الفتنة وقتله تاج الملوك شاذى بالقاهرة فى سنة خمس وستين. وولى الوزارة أيضا الحسن بن ثقة الدولة ابن أبى كدينة، وجمع له بين القضاء والوزارة سبع مرات، ووصل أمير الجيوش وهو وزير فقبض عليه وقتل بدمياط. وولى أبو المكارم سعد وتنقلت به الأحوال حتى قتله أمير الجيوش؛ ثم وزر بعده أبو على الحسن بن أبى سعيد التسترى عشرة أيام ثم استعفى، وكان يهوديا فأسلم. ثم استوزر أبو القاسم عبد الله بن محمد الرعيانى مرتين، كل منهما عشرة أيام؛ ثم ولى الأمير أبو الحسن بن الأنبارى أياما وصرف، فتولى أبو على الحسن بن سديد الدولة الماسكى أياما، وهذه وزارته الثانية؛ ثم صرف بأبى شجاع محمد بن الأشرف بن فخر الملوك وصرف، فسار إلى الشام ولقيه أمير الجيوش

Marfat.com

فقتله؛ وأبو غالب جده كان وزيرا لبهاء الدولة بن عضد الدولة ملك العراق. ثم ولى بعده أبو الحسن طاهر بن وزير الطرابلسى ثم صرف، وكان أحد الكتاب بديوان الإنشاء؛ فولى بعده أبو عبد الله محمد بن أبى حامد التنيسى يوما واحدا وقتل، فوجد له مال كثير. ثم ولى أبو سعد منصور بن أبى اليُمن ساويرس بن مكرواه بن زنبور، وكان نصرانيا فأسلم، ويقال إنه لم يسلم؛ ثم ولى بعده أبو العلاء عبد الغنى بن نصر بن سعيد الضيف وصرف. فلما قدم أمير الجيوش تسلمها.

ولما قدم أمير الجيوش من عكا صار وزير السيف والقلم، وولى القضاء أيضا، وزيد فى ألقابه كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين. ثم لما مات وزر من بعده ابنه الأفضل.

وأما قضاته، فقد تقدم من جمع له القضاء مع الوزارة، والذين أفردوا بوظيفة القضاء عبد الحاكم بن سعيد الفارقى فى أول خلافته؛ ثم تقلد القضاء القاسم بن عبد العزيز ابن النعمان؛ ثم أبو يعلى، ويقال أبو الحسن، أحمد بن حمزة بن أحمد العرقى ومات؛ فولى أبو الفضل القضاعى؛ ثم جلال الدولة أبو القاسم على بن أحمد بن عمار. وولى الفضل بن نباتة، ثم أبو الفضل بن عتيق، ثم أبو الحسن على بن يوسف بن الكحال، ثم فخر الأحكام أبو الفضل محمد بن عبد الحاكم، وكان فى أيامه ما قد تقدم ذكره من الرزايا. وكان نقش خاتمه: «بنصر السميع العليم ينتصر المستنصر أبو تميم».

ومما رُثى به المستنصر قول حظىّ الدولة أبى المناقب عبد الباقى بن على التنوخى الشاعر، من أبيات:

وليس رَدَى المستنصر اليوم كالرَّدى ... ولا قدرُهُ أمرٌ يقاس به أمر
لقد هاب مَلْكُ الموت إتيانَه ضحى ... ففاجأه ليلاً وما طلع الفجر
فأَجْرَى عليه، حين مات، دمُوعَنا ... سماءٌ، فقال الناس: لا؛ بل هو القطر
وقد بكت الخنساء صخرًا، وإنه ... لَيُبكيه من فَرْط المصاب به الصَّخر
وقلّدنا المستعلى الطُّهر حَسْبَ ما ... عليه قديما نصَّ والدُه الطُّهر

* * *

Marfat.com

الْمُسْتَعْلِى باللهِ أبُو الْقاسِم أحْمَد بن المُسْتَنْصِر باللهِ أبِى تمِيم مَعَد ابْن الظاهِر لإعْزَازِ دين اللهِ أبِى الحَسن عَلى ابْن الحاكِم بأمْرِ اللهِ أبى عَلى مَنْصُور[1]

ولد فى ثامن عشر المحرم، وقيل فى العشرين من المحرم، سنة ثمان وستين وأربعمائة، وبويع له فى يوم الخميس الثامن عشر من ذى الحجة، سنة سبع وثمانين وأربعمائة، حين مات أبوه المستنصر. وذلك أن الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى[2] عندما مات المستنصر بادر إلى القصر وأجْلسهُ ولقّبه بالمسْتَعلى، وبعث فأحضر إليه نزارًا[3] وعبد الله وإسماعيل، أولاد المستنصر، فلما حضروا وشاهدوا أخاهم أحمد وكان أصغرهم، قد جلس على تخْت الخلافة أنِفُوا من ذلك، فأمرهم الأفضل بتقبيل الأرض، وقال لهم: تقدَّموا وقبّلوا الأرض لله تعالى ولمولانا المستعلى بالله وبايعوه، فهو الذى نَصَّ عليه الإمام المستنصر، قبل وفاته، للخلافة من بعده. فامتنَعُوا من ذلك، وقال كلٌ منهم: إنَّ والده وعده بالخلافة، وقال نزار: إن قُطِّعْتُ ما بايعتُ من هو أصغر سنًا منى وخطّ والدى عندى بأنّى ولىُّ عهده وأنا أُحْضِره، وخرج مسرعًا ليُحضر الخَطّ، فمضى من حيث لا يشعر به أحد وتوجَّه فى خفية إلى الإسكندرية. فلما أبْطأ أرسل الأفضل منْ يستعجله بالحضور، فلم يوجد، وفتشَ عليه فى القصر فلم يُوقَفْ له على خبر ولا عُرف كيف توجَّه فاضطرب الأفضل لذلك،

---

(١) أحمد بن معد (المستنصر بالله) بن الظاهر على بن منصور، أبو القاسم، المستعلى بالله: من ملوك الدولة الفاطمية بالمغرب ومصر. بويع بالخلافة فى مصر سنة ٤٨٧هـ بعد وفاة المستنصر. توفى فى القاهرة. مدة حكمه سبع سنوات وشهران. انظر: ابن إياس ٦٢/١ وابن خلدون ٦٦/٤ وابن الأثير ١١٤/١٠ وابن خلكان ٧٥/١ ومرآة الزمان ٢/٨ والأعلام ٢٥٩/١.

(٢) أحمد بدر بن الجمالى، أبو القاسم شاهنشاه الملقب بالملك الأفضل: وزير. مولده بعكا. خلف أباه فى إمارة الجيوش المصرية. أرمنى الأصل. وطّد دعائم الملك للآمر بأحكام الله. ودبر شئون دولته فنقم عليه ودسَّ له من قتله على مقربة من داره. وكانت ولايته ثمانيا وعشرين سنة وأول من استوزره المستنصر حد الآمر. انظر: ابن خلدون ٧٠/٤، وابن الأثير ٢٠٩/١٠، وابن خلكان ٢٢١/١، ومرآة الزمان ١٠٤/٨، والنجوم الزاهرة ٢٢٢/٥، ومرآة الجنان ٢١١/٣، والبداية والنهاية ١٨٨/١٢ - ١٨٩، وابن الوردى ٢٨/٢، والأعلام ١٠٣/١.

(٣) نزار (الملقب بالمصطفى لدين الله) بن معد (المستنصر) بن على الفاطمى العبيدى: رأس النزارية من الإسماعيلية. وإليه نسبتها. ولد فى القاهرة. وولى العهد بالإمامة سنة ٤٨٠هـ وأراد القيام بها بعد وفاة أبيه ٤٨٧هـ، فأبعده عنها الأفضل شاهنشاه وجعلها لأخيه المستعلى. انظر: خطط المقريزى ٤٢٣/١، والنجوم الزاهرة ٣/٥، ٤، والأعلام ١٦/٨، ١٧.

Marfat.com

وانزعج انزعاجًا شديدًا.

وقوم يذكرون أَن المستنصر كان قد أَجلس ابنه أَبا المنصور نـزارًا، لأنـه أَكـبر أَولاده، وجعل إِليه ولاية العهد من بعده، فلما قربت وفاتهُ أَراد أَن يأخذ لـه البيعـة علـى رجـال الدولة، فتقاعد له الأَفضل ودافع حتى مات، وذلك أَنـه كـانت بينـه وبـين نـزار مباينـة، وكان فى نفس كلٍّ منهما مباينة من الآخر لأُمُور، منهـا أَن نـزارًا خـرج ذات يـوم مـن بعض أَماكن القصر فوجد الأَفضل قد دخل من أَحد أَبواب القصر وهو راكب، فصـاح به: «انزل يا أَرمنى يا نجس»، فحقدها الأَفضل عليه، وظهـرت كراهـة أَحدهمـا الآخـر. ومنها أَن الأَفضل كان يعارض نزارًا فى أُموره أَيام حياة أَبيه ويـردُّ شـفاعاته ويضـع مـن قدره، ولا يرفـع رأسًـا لأَحـد مـن غلمانـه وحاشـيته، بـل يحتقرهـم ويقصدهـم بـالأذى والضَّرر. فلما عَزَم المستنصر على أَخـذ البيعـة لـنزار اجتمـع الأَفضـل بـالأمراءِ الجيوشـية وخوَّفهم من نزار، وحذَّرهم من مبايعته، وأَشار عليهم بولاية أَخيه أَحمـد فإِنـه صغـير لا يُخاف منه، ويُؤمن جانبه، فَرَضُوا بذلك وتقرَّر أَمرهم عليه بأَجمعهم ما خـلا محمـود بـن مصال اللكُّى، من قرية يقال لها لُكُّ برقة، فإنه لم يوافق لأَنه كـان قـد وعـده نـزار بـأَن يوليه الوزارة والتقدمة على الجيوش مكان الأَفضل، فلما اطَّلع على ما قرَّره الأَفضـل مـن ولاية أَبى القاسم أَحمد مع الأَمراءِ، وأَنهم قد وافقوه على تَرْك مبايعة نـزار طالعـه بجميـع ذلك.

وبادر الأَفضل فأَجلس أَبـا القاسـم ولُقِّـب بالمستعلى بالله. وأَصبـح فـى بُكـرة يـوم الخميس لاثنتى عشرة بقيت من ذى الحجة فأَخرجـه إِلى الإِيـوان، وأَجلسـه علـى سـرير الملك، وجلس هو على دكة الوزارة، وحضر قاضى القضاة المؤيد بنصر الله الإِمام علـى ابن نافع بن الكحال[1]، والشهود، فأَخذ البيعة على مقدِّمى الدولـة وأَمرائهـا ورؤسـائها وجميع الأَعيان، ثم مضى إِلى عبد الله وإِسماعيل وَلَدَىْ المستنصر، وكانا فى مسجد مـن مساجد القصر، وقد وكل بهما الأَفضل جماعةً يحفظونهمـا، فقـال لهمـا: إِن البيعـة قـد تمت لمولانا المسْتعلى بالله، وهو يُقْرِئكما السلام، ويقـول لكمـا: تبايعـانى أَم لا؟ فقـالا: السمع والطاعة، إِنَّ الله اختاره علينـا، ووقفـا قـائِمَيْن علـى أَرْجُلهمـا وبايعـاه، وكُتـب كتاب البيعة وأُخرِج، فقرأَه الشـريف سـناءُ الملـك بـن محمـد الحسـينى الكـاتب بديـوان الإِنشاء، على عادة الأَمراءِ وجميع أَهل الدولة.

وكانت الدعاة عندما بلغهم موت المستنصر اختلفوا فيمن يبايعونـه مـن بعـده، فدعـا بركات، وهو أَمين الدعاة، لعبد الله بن المستنصر ونعتـه بـالموفَّق، فقبـض الأَفضـل عليـه

---

(١) هو قاضى القضاة المويد بنصر الله الإمام أبو الحسن على بن نافع بن الكحال.

Marfat.com

وقتله هو وابن الكحال. ووصل الخبر بلحاق نزار ومعه محمود بن مصال اللكى بنصر الدَّولة، وأن نصر الدولة أفتكين التركى، أحد مماليك أمير الجيوش[١] وكان على ولاية الإسكندرية، قد بايعه، والقاضى أبو عبد الله محمد بن عمار[٢]، وأهلُ الإسكندرية، وأنه تلقب بالمصطفى لدين الله. فأهَمَّ الأفضل ذلك، وأخذ فى التأهب لمحاربتهم.

وفيها توفى أبو عبد الله الحسين بن سديد الدولة، ذى الكفايتين، محمد الماسكى، وكان ممن وزر للمستنصر فى سنة أربع وخمسين، فلما صُرف عن الوزارة سار إلى مدينة صُور من الشام فأقام بها عدة سنين، ثم إنه رجع إلى مصر وخدم مشارفا[٣] بالإسكندرية بعد الوزارة، ثم صُرف عن المُشَارَفة. وكان من أماثل الكتاب وأحد الأدباءِ الفضلاءِ. ومن شعره:

توصَّلْ إلى ردِّ كيد العدوِّ ... توصُّل ذى الحيلة الحازم
وصانِعْ ببعض الذى حُزْتَه ... تعشْ عيشة الآمن الغانم
ودعْ ما نعمت به فى القدِيـ ... ـم واعمَلْ لذا الزَّمَن القادم
لعلَّك تَسْلمُ ممَّا تخَافُ ... ولست، إخالُك، بالسالم

وله عدة مصنفات ورسائل.

سنة ثمان وثمانين وأربعمائة

فى آخر المحرم: خرج الأفضل بعساكره من القُاهر فسار إلى الإسكندرية لمحاربة نزار وأفتكين، فخرجا إليه فى عدة كبيرة وحارباه، فكانت بينهما عدة وقائع بظاهر الإسكندرية، انكسر فيها الأفضل، ورجع بمن معه منهزما يريد القاهرة، فنهب نزارٌ بمَنْ معه من العرب أكثر بلاد الوجه البحرى.

ووصل الأفضل إلى القاهرة، وشرع يتجهَّز ثانيًا لمسيره. ودَسَّ إلى أكابر من انتمى إلى نزار من العرب يدعوهم إلى التخلى عنه، واستمالَهُم بما حملهُ إليهم من الأموال وما وعدهم به من الإقطاعات وغيرها. وخرج وقد أعدَّ واستَعدَّ. فسار إلى الإسكندرية وقد برزوا إليه، فكانت بينهما حروب آلت إلى هزيمة نزار والتجائه إلى المدينة، فنزل الأفضل عليها، وحاصرها، ونصب عليها المجانيق وألح عليها بالقتال، ومنع عنها الميرة.

فلما كان فى ذى القعدة: وقد اشتد الأمر على من بالإسكندرية جمع ابن مصال

---

(١) المراد أمير الجيوش بدر الجمالى.
(٢) المراد جلال الدولة على بن أحمد بن عمار.
(٣) هو الذى يقوم بالإشراف على أعمال متولى الديوان.

ماله وفرَّ إلى جهة المغرب فى ثلاثين قطعة، يريد بلده لكَّ برقة من أجل رؤيا رآها، وهى أنه رأى فى منامه كأنه قد ركب فرسًا وسار والأفضل يمشى فى ركابه، فقصَّ هذه الرؤيا على عابر له فَطَانةٌ وتمكُّن فى علم التعبير، فقال له الماشى على الأرض أَمْلَكُ لها من الراكب وهذا يدُلُّ على أَنَّ الأفضل يملك البلاد. وكانت الأنفس قد ملّت طول الحصار. فلمَّا فَرَّ ابنُ مصال ضعُفَت نفسُ نزار وأفتكين وتخوَّفا ممن حولهما، فبعثا إلى الأفضل يسألان الأمان، فأَمَّنهما، وتمكن من البلد. وقبض على نزار وأفتكين، وسيّر بهما إلى مصر، فيُقال إنه سلم نزارًا لأهل القصر من أصحاب المستعلى، وأنه بُنى عليه حائط ومات، وقيل إنَّه قُتل بالإسكندرية، والأول أصح.

وكان مولده يوم الخميس العاشر من ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وأربعمائة. والاسماعيلية وملاحدة العجم وملاحدة الشام تعتقد إمامته وتزعم أَنَّ المستنصر كان قد عهد إليه وكتب اسمه على الدينار والطِّرز، وأن المستنصر قال للحسن بن صباح: إنَّه الخليفة من بعده. وكان للمستنصر أولاد فرُّوا إلى المغرب، منهم محمد وإسماعيل وطاهر، وعاد منهم فى خلافة الحافظ واحدٌ إلى مصر، ولا عقب له.

وأما أفتكين فإنه قُتِل بعد قدوم الأفضل إلى مصر. أما ابن مصال فإنه وصل لُكَّ ولقيه أهلُها، وكان قد خرج منها صبيًا فقيرًا عندهم فأقام عندهم أيامًا. واتفق أن رأى عجوزًا عرفته، فقالت له: كبرت يا محمود! فقال لها: نعم. فقالت له: لعلَّك جئت مع صاحب هذه المراكب. فقال: أنا صاحبها. فقالت: ماذا يعمل عدم الرجال. ولم يزل يبعث إليه الأفضل بالأمان حتى قدم عليه، فلزم داره مدة، ثم رضى عنه الأفضل وأكرمه.

وكان الأفضل لما قبض على نزار وتمكَّن من الإسكندرية تتبع جميع من كان معه ومن مَالأه أو أعانه، فقبض على كثير من وجوه البلد، منهم قاضى الثغر أبو عبد الله محمد بن عمار واعتقله مدة ثم قتله، وكان حسنة من حسنات الدهر، ونخبة من نخب العقد، وحظى عنده بنو حارثة، وكانوا من عُدول البلد؛ لأنهم لم يبايعوا نزارًا ولم يدخلوا فى شىء من ذلك، وكانوا يُهادُون الأفضل سرًّا. وولى قضاء الإسكندرية عوضا عنه القاضى أبا الحسن زيد بن الحسن بن حديد، وبالغ فى إكرامه وإكرام أهل بيته.

وكان الأفضل وهو على حصار الإسكندرية يخرج أمه فتطوف فى كل يوم، وهى متنكرة، بالأسواق، وتدخل يوم الجمعة إلى الجوامع وتزور المشاهد والمساجد والرُّبُط تستعلم خبر ولدها وتعرف من يحبه ومن يبغضه، فدخلت يوما إلى مسجد أبى طاهر

Marfat.com

وجاءت إلى ابن سعد الإطفيحى وقالت له: «يا سيدى، ولدى فى العسكر مع الأفضل، الله تعالى يأخذ لى منه الحقَّ، ما فعل خيرًا، وأنا ما أنامُ خوفًا على ابنى، ادْعُ الله أن يَسْلَم ولدى». فقال لها: «يا أمة الله، أما تستَحين، تدعين على سلطان الله فى أرضه، المجاهد عن دين الله تعالى، الله ينصرُه ويُظْفرُه ويسلمه ويسلم ولدك، ما هو إن شاء الله تعالى إلاّ منه وهو مؤيَّد مظفر، كأنّك به وقد فتح الإسكندرية وأسر أعداءه، وأتى أحسن قضية وأجمل طوَّية، فلا يُشْغل لك سرٌّ، فما يكون إلاّ الخير إن شاء الله». ثم اجتازت بالفار الصَّيْرفى بالسراجين من القاهرة، فوقفت عليه تصرف منه دينارا - وكان إسماعيليا متغاليا - فقالت له: «ولدى مع الأفضل وما أدرى ما خبرُه». فقال لها: «لعن الله المذكور الأرمنى الكلبَ العبدَ السوء ابن العبد السوء، مضى يقاتل مولانا ومولى الخلق؟ كأنك والله يا عجوز برأسه جائزًا من هنا على رمح قُدَّام مولانا نزار ومولاى ناصر الدولة إن شاء الله تعالى، والله يَلطف بولدك، من قال لك تخلَينه يمضى مع هذا الكلب المنافق». ثم وقفت يوما آخر على ابن بابان الحلبى، وكان بزَّازًا[1] بسوق القاهرة، تشترى منه شيئًا - وكان نزاريًّا - فقالت له كقولها للفار الصيرفى، فقال لها كما قال أيضًا، وبالغ فى لعن الأفضل وسبَّه.

فلمَّا أخذ الأفضل نزار وناصر الدولة، وفتح الإسكندرية، وقدم إلى القاهرة فى يوم [.....][2] حدثته أمه الحديث بنصه. فلما خُلع عليه فى القصر بين يدى الخليفة المستعلى فى يوم [.....][3] وعاد إلى مصر اجتاز بالبزَّازين وهو بالخلع، ونظر إلى ابن بابان الحلبى وقال: «أَنزِلوا هذا» فنزلوا به، فضُربت عنقه تحت دكّانه، ثم قال لعبد علىّ، أحد مقدمى ركابه: «قف هنا لا يضيع له شىءٌ من دُكَانه إلى أن يأتى أهلهُ فيتسلّموا قماشه». ثم وصل إلى السراجين، فلما تجاوز دُكان الفار الصيْرفى التفت إلى جهته وقال: «أنزلوا بهذا». فنزلوا به، فقال: «رأسه». فضُربت عنقه، وقال ليوسف الأصفر أحد مقدمى الركاب: «احْتَطْ على حانوته إلى أن يأتى أهله ويتسلّمُوا موجُوده، وإياك ماله وصُندوقه، وإن ضاع منه درهم ضربت عنقك مكانه، كان لنا خصمًا أخذَنَاهُ وفعلنا به ما نردع به غيره عن فعله، ومَا لَنا فى ماله ولا فى فقر أهله حاجة». ثم أتى إلى الشيخ أبى طاهر الإطفيحى وقَرَّبه وتخصص به، وأطلعه على أغراضه وأكثر من التردد إليه، وأجرى الماء إلى مسجده، وبنى له فيه حمَّامًا وبستانا وغير ذلك من المبانى. فعظُم قدرُ الإطفيحى به، وكثر غشيان الناس مسجده، وطار ذكره، وشاع

---

(١) هو من يشتغل بتجارة الثياب.

(٢) بياض فى الأصل.

(٣) بياض فى الأصل.

Marfat.com

خبره، وكثرت حاشيته، وصار المشار إليه بالديار المصرية حتى مات.

وفيها قام ببغداد تاجر يعرف بحامد الأصفهانى فتكلم بأن نسب الخلفاء الفاطميين صحيح، فقبض عليه واعُتقل حتى مات.

وخرج الأمر بجمْع الناس إلى بيت النوبة ببغداد، فجُمعوا فى تاسع ربيع الآخر، وحضر بنو هاشم وغيرهم إلى الديوان، وقرئ توقيع أوله خطبة تشتمل على حَمْد الله تعالى والثناء عليه، وتذكر طاعة الأئمة وفضل العباس وما جاء فيه من الأخبار، ثم قال: «أما بعد، فإنّه لم يخْلُ وقت ولا زمان من مارق على الدين، وشاع تفرق كلمة المسلمين لِيبَلُوَ الله المجاهدين فيهم والصابرين، ويَصْلى أكثر العاكفين نار جهنم التى أعدت للكافرين. وهذه الطائفة المارقة من الباطنية الملحدين، والكفرة المستسلمين، انتهكوا المحارم، واسْتَحَلُّوا الكبائر، وأراقوا الدماء، وكذّبوا بالذكر، وأنكروا الآخرة، وجحدُوا الحسنات والجزاء، وفَصلُوا أعضاء المسلمين، وسَمَلُوا أعْيُن الموحدين، فكادوا الدين وفقهاءه، وأعلنوا بالشرك ونداءه». ثم رماهم بالفسوق والإهمال والانحلال، وقال: شاعرهم يقول:

حل برقادة[1] المسيح حلَّ بها آدم ونوح

سنة تسع وثمانين وأربعمائة

فيها خرج خلف بن ملاعب من عند الأفضل لولاية فامية، فسار إليها وتسلمها. وكان سبب ذلك أن أهلها كانوا إسماعيلية، فقدموا إلى القاهرة وسألوا أن يُجهّز إليهم من يلِى أمرهم، فوقع الاختيار على خلف بن ملاعب، وكان قد ولِى مدينة حمص وساءت سيرته فى أهلها، فبعث إليه السلطان ملك شاه من العراق من قبض عليه وحمله إليه بأصفهان، فاعتقله بها إلى أن مات، فأُطْلِق وسار إلى مصر فأقام بها حتى خرج إلى فامية.

سنة تسعين وأربعمائة

فيها وقع بمصر غلاء ومجاعة.

فى سادس عشر صفر: قدم على الأفضل رسول فخر الدولة رضوان بن تُتُش

---

(١) رقادة: بلدة على أربعة أميال من قيروان إفريقية، وكانت مدينة كبيرة دورها أربعة وعشرون ألف ذراع وأربعون ذراعًا، وكانت أكثر بلاد إفريقية بساتين وفواكه. انظر: الروض المعطار ٢٧١، ٢٧٢، ومعجم البلدان ٣/٥٥، ٥٦، والبكرى ٢٧، وابن الوردى ١٤.

Marfat.com

صاحب حلب وأنطاكية[١] وهم [....][٢] ابن الهلال [....][٣] بن [....][٤] كاتب عز الدولة بن منقذ[٥]، صحْبة رسول الأفضل الشريف شجاع الدولة بن صارم الدولة ابن أبى وقدم معهم شرف الدولة الباهلى الشاعر، وكان قد قدم مصر ومدح أمير الجيوش بدر الجمالى[٦]، ثم فى نوبة أفتكين، وهو يبذل الطاعة فى إقامة الخطبة للإمام المستعلى بالله فى بلاد الشام، فأُجيب بالشكر والثناء وخطب بها للمستعلى بالله فى يوم الجمعة سابع عشر رمضان. وكان سبب هذا الفعل من رضوان أنه قصد أن يستعين بعساكر مصر على أخذ دمشق من أخيه دقاق. فاتفق أن الأمير سكمان بن أُرتق أنكر على رضوان ذلك، فقطع خطبة المستعلى، وأعاد الخطبة لبنى العباس، فكان مدة الخطبة للمستعلى أربعة أشهر.

وفى ربيع الأول: جهز الأفضل عسكرًا فى عدة وافرة لأخذ صور فسار إليها وحاصرها حصارًا شديدًا حتى أُخذت بالسيف، فدخلها العسكر وقتلوا منها بالسيف خلقًا كثيرًا، وقبض على واليها وحُمل إلى الأفضل فقتله، لأنه كان قد خرج عن الطاعة وعصى على الأفضل.

وفيها كان ابتداء خروج الإفرنج من بلاد القسطنطينية لأخذ بلاد الساحل من أيدى المسلمين، فوصلوا إلى مدينة أنطاكية ونازلوها حتى ملكوها. ومنها دبُّوا إلى بلاد الساحل.

وفيها تجمع الرعاع والعامة فى يوم عاشوراء بمشهد السيدة نفيسة[٧] وجهروا بسب

---

(١) انظر: معجم البلدان ١/٢٦٦، ٢٧٠.

(٢) بياض فى الأصل.

(٣) بياض فى الأصل.

(٤) بياض فى الأصل.

(٥) نصر بن على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى، أبو المرهف، عز الدولة : أمير، كان له ولأسلافه من قبله حصن «شيزر» بقرب حماة ملكه بعد أبيه سنة ٤٧٩هـ. استمر إلى أن توفى به. انظر: الروضتين ١/١١١، والنجوم ٥/١٦٣، ومفرج الكروب ١/١٨، والأعلام ٨/٢٦.

(٦) بدر بن عبد الله الجمالى، أبو النجم : أمير الجيوش المصرية، ووالد الملك الأفضل شاهنشاه. أصله من أرمينية اشتراه جمال الدولة بن عمار غلاما. فتربى عنده، ونسب إليه. وتقدم فى الخدمة حتى ولى إمارة دمشق للمستنصر صاحب مصر سنة ٤٥٥هـ ثم استدعاه إلى مصر واستعان به على إطفاء فتنة نشبت، فوطد له أركان الدولة، فقلده وزارة السيف والقلم، وأصبح الحاكم فى دولة المستنصر والمرجوع إليه. توفى فى القاهرة. انظر: ابن الأثير ١٠/٨١، والنجوم الزاهرة ٥/١٤١، وشذرات الذهب ٣/٣٨٣، ورفع الإصر ١/١٣٠-١٣٧، والأعلام ٢م٤٥.

(٧) هى السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب.

Marfat.com

الصحابة، وهدموا عدة قبور، فسيَّر الأفضل إليهم ومنعهم من ذلك، وأدَّب ذخيرة الملك ابن علوان، والى القاهرة، جماعة وضربهم.

وفيها حرَّر الأفضل فى المحرَّم عيار الدينار وزاد فيه.

سنة إحدى وتسعين وأربعمائة

فيها خرج الأفضل فى عساكر جمة، ورحل من القاهرة فى شعبان، وسار يريد أخذ بيت المقدس من الأمير سكمان وإيلغازى، ابْنَى أُرتق، وكانا به فى كثير من أصحابهما، فبعث إليهما يلتمس منهما أن يسلماه البلد ولا يخْوِجاه إلى الحرب، فأبَيا عليه، فنزل على البلد ونصب عليها من المجانيق نيفا وأربعين منجنيقا، وأقام عليها يحاصرها نيفا وأربعين يوما حتى هدم جانبا من السور، ولم يبق إلا أخذها، فسيَّر إليه من بها ومكناه من البلد. فخلع على ولدى أرتق وأكرمهما، وأخلى عنهما، فمضيا بمن معهما. وملك البلد فى شهر رمضان لخمس بقين منه، وولى فيه من قبله، ثم رحل عنه إلى عسقلان، وكان فيها مكان قد دفن فيه رأس الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام، فأخرجه وعطره وحمله فى سفط إلى أجلِّ دار بها، وعمَّر مشهدا مليح البناء. فلما تكامل حمل الرأس فى صدره وسعى به ماشيا من الموضع الذى كان فيه إلى أن أحلَّه فى مقره. ويقال إن أمير الجيوش هو الذى أنشأ المشهد على الرأس بثغر عسقلان، وأن ابنه الأفضل شاهنشاه كمَّله. ثم حمل هذا الرأس إلى القاهرة، فوصل إليها يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة.

وفيها حدثت بمصر ظلمة عظيمة غشت أبصار الناس حتى لم يبق أحد يعرف أين يتوجه، ثم هبت ريح سوداء شديدة، فظن الناس أن الساعة قد قامت. واستمرت الريح سبع ساعات وانجلت الظلمة قليلا قليلا وسكنت الريح. ولم يصلِّ فى ذلك اليوم أحد صلاة الظهر ولا العصر، ولا أذن فى القاهرة ولا مصر.

سنة اثنين وتسعين وأربعمائة

فيها سار الفرنج لأخذ سواحل البلاد الشامية من أيدى المسلمين، فملكوا مدينة أنطاكية وساروا إلى المعرَّة فملكوها، ثم رحلوا عنها إلى جبل لبنان فقتلوا من به، ووصلوا عرقة[1] فحاصروها أربعة أشهر فلم يقدروا عليها. ونزلوا على حمص، فهادنهم

---

(١) عِرْقة: بكسر أوله وسكون ثانيه، بلدة فى شرقى طرابلس بينهما أربعة فراسخ، وهى آخر عمل دمشق، وهى فى سفح جبل بينها وبين البحر نحو ميل، وعلى جبلها قلعة لها. انظر: معجم البلدان ٤/١٠٩، ١١٠، وفى الروض المعطار عرقة: بكسر أوله على لفظ تأنيث الواحد من

Marfat.com

جناح الدولة حسين، وخرجوا على طريق النواقير[١] إلى عكا. ثم أخذوا الرملة فى ربيع الآخر، وزحفوا منها إلى بيت المقدس فحاصروا المدينة، وبلغ ذلك الأفضل فخرج بعساكر كثيرة لمحاربتهم، فجدَّ الفرنج عندما بلغهم مسيره إليها فى حصار المدينة، وكان نزولهم عليها فى شهر ربيع الآخر، حتى ملكوها يوم الجمعة الثانى والعشرين من شعبان بعد أربعين يومًا. وهدموا المشاهد وقبر الخليل عليه السلام، وقتلوا عامّة من كان فى البلد، وكان فيه من العُبَّاد والصلحاء والعلماء والقرَّاء وغيرهم خلائق لا يقع عليهم حصر، فوضعوا السيف فيهم وأفنوهم عن آخرهم، ولم يفلت منهم إلا اليسير. وانْحَازَت عدة من المسلمين إلى محراب داود، عليه السلام، فحاصرهم الفرنج نيِّفا وأربعين يومًا حتى تسلموه بالأمان فى يوم الجمعة ثانى عشريه.

وأحرقوا ما كان ببيت المقدس من المصاحف والكتب، وأخذوا ما كان بالصخرة من قناديل الذهب والفضة والآلات، وكان مبلغًا عظيما. ويقال إنه قُتل فى المسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفًا، وأنهم لحقوا مَنْ فرَّ من المسلمين مسيرة أسبوع يقتلون من أدركوه منهم. ووصل الأفضل إلى عسقلان فى الرابع عشر من شهر رمضان، فبعث إلى الفرنج فوبَّخهُم على ما كان منهم، فردُّوا إليه الجواب، وركبوا فى إثر الرسل فصدفوه على غرَّة وأوقعوا بعساكره، وقتلوا منهم كثيرًا. وانهزم منهم بمن خفَّ معه فتحصَّن بعسقلان، وتعلق أكثر أصحابه هنالك فى شجر الجميز، فأضرموا فيها النار حتى احترقت بمن تعلق فيها، فهلك خلق كثير، وحاز الفرنج من أموال المسلمين ما جل قدرُه، ولا يمكن لكثرته حصرُه.

ونازلوا عسقلان، وحصروا الأفضل فيها حتى كادوا يأخذونه، إلا أن الله سبحانه أوقع فيهم الْخُلف[٢] فاضطُرُّوا إلى الرحيل عن عسقلان، فاغتنم الأفضل رحيلهم عنه فركب البحر، وقد ساءت حاله، وذهبت أمواله، وقُتلت رجاله، وسار إلى القاهرة. ولم يعدْ بعد هذه الحركة إلى الخروج بنفسه فى حرب ألبتّة.

وكان ملك الفرنج بالقدس كندفرى.

وفيها توفى أبو الحسن على بن الحسن بن الحسين بن محمد الموصلى الحنفى[٣]

عروق الإنسان والحيوان، موضع من ثغور مرعش من بلاد الروم. انظر: الروض المعطار ٤٠٩، ٤١٠، ومعجم ما استعجم ٩٣٤/٣.

(١) النواقير: جمع النقيرة، وهى فرجة فى جبل بين عكا وصور على ساحل بحر الشام. انظر: معجم البلدان ٣٠٦/٥.

(٢) المراد وقع الخلاف بين جنود فرى صاحب بيت المقدس وديموند الأول الذى تولى طرابلس.

(٣) على بن الحسن بن الحسين بن محمد، أبو الحسن الخلعى الشافعى مسند الديار المصرية فى-

Marfat.com

المحدث، فى ثامن عشر ذى الحجة.

سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة

فيها رحل عالم لا يحصى عددهم من البلاد الشامية فرارًا من الفرنج والغلاءِ.

وفيها عمَّ الغلاءِ أكثر البلاد، ومات من أَهل مصر خلق كثير.

وفيها مات قاضى القضاة أَبو الطاهر محمد بن رجاء، وتولى بعده أَبو الفرج محمد ابن جوهر بن ذكا النابلسى.

ومات على بن محمد بن على الصُّليحى، قتله سعد بن نجاح الأَحول، وقتل أَخاه عبد الله وجميع بنى الصُّليحى بمكة فى ذى القعدة.

وولى الحسن بن على بن أَحمد الكرخى الحكم شهرًا واحدًا وثلاثة أَيام، وصرف وصُودِرَ من أَجْل أَنه أَخذ عصابة من القصر فى أَيام الشدة لها قيمة فظهرت عليه.

سنة أربع وتسعين وأربعمائة

فى شعبان: جهّز الأَفضل عسكرًا كثيفًا لغزو الفرنج إِلى عسقلان، ووصلوا إِليها فى أَول رمضان، فأَقاموا بها إِلى ذى الحجة، فنهض إِليهم من الفرنج أَلف فارس وعشرة آلاف راجل، فخرج إِليهم المسلمون وحاربوهم. فكانت بين الفريقين عدة وقائع آلت إِلى كسر الميمنة والميسرة وثبات سعد الدولة الطَّوَاشِى، مقدم العسكر، فى القلب، وقاتل قتالاً شديدًا، فتراجع المسلمون عند ثبات المذكور وقاتلوا الفرنج حتى هزموهم إِلى يافا، وقتلوا منهم عدة وأَسروا كثيرًا. وقتل كندفرى ملك الفرنج بالقدس، فجاء أَخوه بغدوين من القدس وملك بعده، وسار بالفرنج إِلى أَرسوف.

وفيها مات القمص رجار بن تنقرد، صاحب جزيرة صقلية، فقام من بعده ابنه رجار ابن رجار.

وفيها نزل الفرنج على حيفا[1] وقتلوا أَهلها، وتسلّموا أَرسوف[2] بالأَمان، وملكوا قيسارية عنوة فى آخر شهر رجب وقتلوا مَنْ بها، وملكوا مع ذلك يافا، مع ما بأَيديهم من أَعمال الأردن وفلسطين.

=عصره. أصله من الموصل، ومولده ووفاته بمصر. كان يبيع الخلع لملوك مصر وأمرائها فنسب إليها. وولى القضاء فحكم يوما واحدا واستعفى. وانزوى بالقرافة حتى قيل له القرافى. وكان قبره فيها يعرف بقبر «قاضى الجن والإنس» صنف كتاب «الفوائد» فى الحديث. انظر: ابن خلكان ١/٣٣٨ وكشف الظنون ٧٢٢ و١٢٩٧ والرسالة المستطرفة ٦٩ والأعلام ٤/٢٧٣.

(١) حيفا: حصن على ساحل بحر الشام قرب يافا. انظر: معجم البلدان ٢/٣٣٢.

(٢) أرسوف: بالفتح ثم السكون، وضم السين المهملة وسكون الواو، مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا. انظر: معجم البلدان ١/١٥١/١٥٢.

Marfat.com

سنة خمس وتسعين وأربعمائة

فيها مات الخليفة أَبو القاسم أَحمد المسْتعلى بالله بن المستنصر فى ليلة السابع عشر من صفر، وعمره سبع وعشرون سنة وشهر واحد وتسعة وعشرون يومًا، ومدة خلافته سبع سنين وشهر واحد وعشرون يومًا. نقش خاتمه: «الإِمام المستعلى بالله».

وفى أَيامه اختلّت دولتهم وضعف أَمرهم، وانقطعت من أَكثر مدن الشام دعوتهم، وانقسمت البلاد الشامية بين الأَتراك الواصلين من العراق وبين الفرنج، فإِنهم - خَذَلَهُم الله - دخلوا بلاد الشام، ونزلوا على أَنطاكية فى ذى القعدة سنة تسعين وأَربعمائة وتسلّموها فى سادس عشر رجب سنة إِحدى وتسعين، وأَخذوا معرَّة النعمان فى سنة اثنتين وتسعين، وأَخذوا الرَّملة ثم بيت المقدس فى شعبان، ثم استولوا على كثير من بلاد الساحل، فملكوا قيسارية فى سنة أَربع وتسعين بعْدَما ملكوا عدَّة بلاد.

وفى أَيامه أَيضًا افْتَرقَت الإِسماعيليَّة فصاروا فرقتين: نزاريَّة، تعْتقد إِمامة نزار وتطعن فى إِمامه المستعلى، وترى أَن وَلَدَ نزار هُم الأَئمة مِنْ بعده يتوارَثُونها بالنّصّ، والفرقة المُسْتَعْلويّة، ويرون صحَّة إِمامة المستعلى ومَنْ قام بعده من الخلفاء بمصر. وبسبب ذلك حدثت فِتَن وقُتل الأَفضل فيما يقال وقُتل الآمر، كما يأْتى ذكره إِن شاء الله تعالى.

ولم يكن للمستعلى سيرةٌ فتُذكر، فإِنَّ الأَفضل كان يدبّر أَمر الدَّولة تدبير سَلْطَنةٍ وملك، لا تدبير وزارة.

وخلف المستعلى من الأَولاد ثلاثة، هم الأَمير أَبو على المنصور، والأَمير جعفر، والأَمير عبد الصَّمد.

وكانت قضاة مصر فى خلافته أَبو الحسن ابن الكحال، ثم عُزِل بابن عبد الحاكم المليجى، ثم وَلِى أَبو الطاهر محمد بن رجاء، ثم أَبو الفرج محمد بن جوهر بن ذكا، ومات المستعلى وهو قاض. وقيل إِن المستعلى مات مَسْمُومًا، وقيل بل قُتل سرًّا.

وكان المستنصر قد عقد نكاحه على ست الملك ابنة أَمير الجيوش بدر، فمات قبل أَن يبنى عليها، وكان أَمير الجيوش قد جهَّزها جهازًا عظيما وأَكثر من شراءِ الجواهر العظيمة القدر لها، فلما مات انتهب أَولاده ذلك وتفرقوه.

وفيها أَخذ صنجيل، أَحد ملوك الفرنج، طرابلس، فصار للفرنج القدس وفلسطين إِلاّ عسقلان، ولهم من بلاد الشام يافا، وأَرسوف، وقيسارية، وحيفا، وطبرية، والأُردن، واللاذقيّة، وأَنطاكية، ولهم من الجزيرة: الرّها، وسَرُوج[1]. ثم ملكوا جُبَيل، ومدينة

---

(١) سروج: هى بلدة قريبة من حران من ديار مصر. انظر: معجم البلدان ٣/٢١٦، ٢١٧، وفى=

المستعلى بالله أبو القاسم ١٦٣

عكا، وأفامية، وسَرْمين[1] من أعمال حلب، وبيروت، وصَيْدا، وبانياس، وحصن الأثارب[2].

* * *

=الروض المعطار سروج: بلد من أرض الجزيرة وبمقربة من ملطية، وهى رستاق كثير القرى والكروم فى بطن بين جبال. قال البلاذرى: سروج ورأس كيفا وأرض البيضاء أتاها عياض بن غنم بعد صلح الرها سنة تسع عشرة. ومن سروج إلى حصن كيفا ستة فراسخ، ثم إلى سميساط سبعة فراسخ، ثم إلى ملطية عشرة فراسخ، ثم إلى زبطرة خمسة فراسخ. انظر: الروض المعطار ٣١٥، ٣١٦، وابن حوقل ٢٠٧، والكرخى ٥٥.

(١) سرمين: بلدة مشهورة من أعمال حلب. انظر: معجم البلدان ٣/٢١٥.

(٢) الأثارب: هى قلعة معروفة بين حلب وأنطاكية، بينها وبين حلب نحو ثلاثة فراسخ. انظر: معجم البلدان ١/٨٩.

Marfat.com

الآمِرُ باحْكَامِ اللهِ ابُو عَلِى الْمنْصُور بْن الْمُسْتَعْلِى باللهِ ابى القاسِم أَحْمَد بْن المُسْتنْصِر باللهِ ابِى تَمِيمِ مَعَد[1]

وُلد ضُحى يوم الثلاثاء الثالث عشر من المحرم سنة تسعين وأَربعمائة، وبُويع له بالخلافة فى اليوم الذى مات فيه أَبوه وهو طفلٌ له من العمر خمس سنين وشهر وأَيام، فى يوم الثلاثاء سابع عشر صفر سنة خمس وتسعين. أَحضره الأَفضل وبايع له، ونصبهُ مكان أَبيه، ونعَته بالآمر بأَحكام الله.

وكتب ابن الصيرفى[2] سجلا عظيما، أَبدع فيه ما شاء، بانتقال الإمام المستعلى إلى رحمة الله وولاية ابنه الآمر، وقُرئ على رءُوس الكافّة من الأُمراء والأَجناد وغيرهم.

وأَنشد ابن مؤمن الشاعر قصيدة يمدح الآمر. وركب الأَفضل فرسًا وجعل فى السرج شيئًا أَركب الآمر عليه لينمو شخص الآمر وصار ظهره فى حجر الأَفضل.

سنة ست وتسعين وأربعمائة

فيها ندب الأَفضل مملوك أَبيه سعد الدولة ويعرف بالطّواشِى على عسكر لقتال الفرنج، فلقيهم بغدوين على تُبْنا[3]، فكُسِرت عساكر الأَفضل وتَقَنْطَر سعدُ الدولة

---

(١) منصور الآمر بأحكام الله بن أحمد المستعلى بالله بن معد المستنصر، أبو على، العبيدى الفاطمى: من خلفاء الدولة الفاطمية بمصر. ولد فى القاهرة وبويع له بعد وفاة أبيه سنة ٤٩٥هـ، وعمره خمس سنين، ولم يكن فى من تسمى بالخلافة أصغر منه فقام وزير أبيه الأفضل بن بدر الجمالى بشئون الدولة. وفى أيامه استفحل أمر الصليبيين فى الساحل الشامى، فاستولوا على عكا وأخذوا طرابلس ثم احتلوا بانياس وصور وبيروت. ولما كبر الآمر عمد إلى التخلص من وزيره الأفضل فدس له جماعة قتلوه سنة ٥١٥هـ وولى بدلا منه فاتك البطائحى فلم يكن هذا أخف وطأة عليه من الأفضل فقبض عليه الآمر سنة ٥١٩هـ، وقتله سنة ٥٢١هـ، وساءت سيرته. استمر فى الخلافة ٢٩ سنة وبينما هو مار على جسر الروضة ضربه جماعة من الباطنية بسيوفهم فمات بعد ساعات. ولا عقب له. انظر: ابن خلكان ١٢٨/٢ وابن إياس ٦٢/١ والنجوم الزاهرة ١٧٠/٥ - ١٨٥ والكامل ١١٤/١٠، ٢٣٧ وخطط المقريزى ٢٩٠/٢ - ٢٩١ والأعلام ٢٩٧/٧.

(٢) على بن منجب بن سليمان، أبو القاسم، تاج الرياسة، ابن الصيرفى: منشئ، مؤرخ، من أعيان المصريين. ولى ديوان الإنشاء بمصر، فى أيام الفاطمى سنة ٤٩٥هـ، واستمر إلى سنة ٥٣٦هـ. له: «الإشارة إلى من نال الوزارة» و«قانون ديوان الرسائل» و«عمدة المحادثة». انظر: الإشارة ١٢/٢ وإرشاد الأريب ٤٢٢/٥ وفهرس المخطوطات المصورة ١٤٦/١ والأعلام ٢٤/٥.

(٣) تبنا: بالضم ثم السكون، وفتح النون، بلدة بحوران من أعمال دمشق. انظر: معجم البلدان ١٤/٢.

Marfat.com

فمات، وأَخذ الفرنج خِيَمه فانهزم أَصحابه. وبلغ الأفضل ذلك فجرَّد فى أول شهر رمضان عسكرًا قدّم عليه ابنه شرف المعالى سماءِ الملك حسينًا، وسيَّر الأسطول فى البحر، فاجتمعت العساكر بيازور، من بلاد الرملة، وخرج إِليهم الفرنج، فكانت بينهما حروب هزمهم الله فيها بعد مقتلة عظيمة. ونزل شرف المعالى على قصر كان قد بَنَاهُ الفرنج قريبًا من الرَّملة وسبعمائة قومص من وجوه الفرنج، فقاتلوه خمسة عشر يومًا، فملكهم وضرب رقاب أَربعمائة وبعث إِلى القاهرة ثلاثمائة.

وكان أَصحاب شرف المعالى قد رأَى بعضهم أَن يمضُوا إِلى يافا ويملكوها، ورأَى بعضهم أَن يسيروا إِلى القدس. فبيْنا هُم فى ذلك وصل مركب من الفرنج لزيارة قُمَامَة، فَنَدبَهُم بغدوين للغزو معه، فساروا إِلى عسقلان وقد نزلها شرف المعالى وامتنع بها، وكانت حصينة، فتركها الفرنج ومضوا إِلى يافا. وعاد شرف المعالى إِلى القاهرة بعدما كتب إِلى شمس الملوك دُقاق، صاحب دمشق، يستنجده لقتال الفرنج، فتقاعد عن المسير واعتذر. فجرّد الأفضل أَربعة آلاف فارس وعليهم تاج العجم[.....][1] ممن معه إِلى عسقلان، ونزل ابن قادوس على يافا، وبعث يستدعى تاج العجم ليتّفِقا على الحرب، فلم يجبه، وتنافرَا. فلما بلغ ذلك الأَفْضَل بعث يقبض على تاج العجم ووَلَّى تاج الملك رضوان تقدمة العسكر وسيره إِلى عسقلان، فأَقام عليها إِلى آخر سنة سبع وتسعين حتى قدم شرف المعالى بعساكر مصر.

وفيها مات تنكرى ملك الفرنج بالسَّاحل، فقام بعده سرجار ابن أَخيه.

سنة سبع وتسعين وأربعمائة

فيها نازل بغدوين، ملك الفرنج وصاحب القدس، ثغر عكا وحاصر أَهله وألح عليهم حتّى ملكه. وكان فيه من قِبَل الأفضل يومئذ زهر الدولة بنا الجيوشى، ففر إِلى دمشق، وصار إِلى ظهير الدين أَتابك[2]، فأَكرمه وأَحسن إِليه، ثم جهَّزه إِلى الأفضل فأَنكر عليه وهدده على تضييع الثغر. ولم تَعُدْ بعدها عكّا إِلَى المسلمين.

سنة ثمان وتسعين وأربعمائة:

فيها جمع الأفضل جموعًا كثيرة من العربان وأَنفق فيهم أَموالا عظيمة، وجهَّزهم صُحبة العساكر مع ابنه شرف المعالى، وكتب لظهير الدين أَتابك، صاحب دمشق، بمعاونته ومعاضدته على محاربة الفرنج، فاعتذر عن حضوره بما هو مشغول به من

---

(١) بياض فى الأصل.

(٢) المراد ظهير الدين طغتكين أتابك الملك دقاق بن تتش صاحب دمشق.

Marfat.com

مضايقة بُصرى، فإن أرتاش[١] بن تاج الدولة صاحب بُصرى كاتب الفرنج وأغْرَاهُم بقتال المسلمين وأطمعهم فى البلاد. فسار أتابك من دمشق وحاصَرَ بُصرى، وجهَّز عسكرًا إلى شرف المعالى تقْويةً له على الفرنج، وقدَّم عليه إصبهبذ صبا وجهارتكين، وعدته ألف وثلاثمائة فارس من الأتراك، وعدة عسكر مصر خمسة آلاف فارس.

وأتاهُم بغدوين فى ألف وثلاثمائة فارس وثمانية آلاف راجل. فاجتمعت عساكر المسلمين بظاهر عسقلان، ودارت بينهم وبين الفرنج حروب كان ابتداؤها فى الرابع عشر من ذى الحجة فيما بين عسقلان ويافا، فانكسرت عساكر المسلمين واستشهد فوق الألف من المسلمين منهم جمال الملك صنيع الإسلام والى عسقلان، وأخذ الفرنج رايته، وأسر الفرنج زهر الدولة بنا الجيوشى. وقتل ألف ومائتان من الفرنج، ورجعوا وقد كانت الكرَّة لهم على المسلمين. وعاد عسكر دمشق إلى أتابك وهو على بُصرى.

وفيها مات كنز الدولة[٢] محمد فى ثامن شعبان، وقام من بعده أخوه فخر العرب هبة الله.

سنة تسع وتسعين وأربعمائة

فى سادس عشر رجب: قُتِل خلف بن ملاعب صاحب فامية، قتله طائفة من الباطنية ومَلَك الفرنج عكا عنوةً فى سلخ شعبان عن زهر الدولة بنا الجيوشى فسار إلى دمشق ثم قدم مصر.

سنة خمسمائة

أهلت والخليفة بمصر الآمر بأحكام الله، ومدبر سلطنة مصر الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى، وليس للآمر معه حل ولا ربط وليس له من الأمر سوى اسم الخلافة، والذى فى مملكته ديار مصر وغزة[٣] وعسقلان وصور وطرابلس لا غير.

وفيها بنى الأفضل دار الملك بشاطئ النيل من لَدُن مصر.

وفيها سار متولى صور فأوقع بالفرنج على تبنين[٤]، فقتل وأسر جماعة، وعاد إلى

---

(١) هو أرتاش بن تاج الدولة تتش.

(٢) هو لقب منحه الفاطميون لحكام النوبة.

(٣) غزة: موضع بديار حذام من مشارف الشام على ساحل البحر، وبها قبر هاشم بن عبد مناف. انظر: الروض المعطار ٤٢٨، ومعجم ما استعجم ٩٩٧/٣.

(٤) تبنين: بكسر أوله، وتسكين ثانيه وكسر النون وياء ساكنة ونون أخرى، بلدة فى جبال بنى-

Marfat.com

صور، فسار بغدوين إليه من طبرية، فركب طغتكين من دمشق، وأخذ للفرنج حصنا بالقرب من طبرية وأَسَرَ مَنْ كان فيه منهم.

وفيها ملك قلج بن أرسلان بن سليمان بن قطلمش بن أرسلان بيغو بن سلجوق، صاحب قونية، الموصل فى شهر رجب، فقتل فى ذى القعدة منها، وقام بعده «بقونية وأقصرا» ابنه مسعود.

سنة إحدى وخمسمائة

فيها نزل بغدوين على ثغر صور وعمر حصنًا مقابل حصن صور على تل المعشوقة[1]. وكان على ولاية صور من قبل الأفضل سعد الملك كمشتكين، أحد المماليك الأفضلية، فصانع بغدوين على سبعة آلاف دينار وخرج من صور.

وفيها أحضر إلى القاهرة أهل فخر الدولة أبى على عمار بن محمد بن عمار من طرابلس وكثير من أمواله وذخائره. وذلك أن فخر الدولة حاصرهُ الفرنج وأطالوا منازلته حتى ضاق ذرعُه وعجز عن مقاومتهم، فخرج من طرابلس فى سنة خمسمائة ومعه هدايا جليلة، فلقى ظهير الدين طغتكين أتابك بدمشق، فأكرمه ووافقه على السير معه إلى بغداد ليستنجد بالسلطان غياث الدين محمد بن ملكشاه، فَسَارَا. ثم إن أتابك تركه وعاد إلى دمشق، فثار فى هذه المدة أبو المناقب ابن عمار عَلَى ابن عمه فخر الدولة، ونادى بشعار الأفضل، وأرسل يطلب منه من يتسلّم منه طرابلس. فبعث إليه الأفضل بالأمير مشير الدَّولة بن أبى الطَّيِّب، فدخل إلى طرابلس منها حريم فخر الدولة وأمواله، ففتَّ ذلك فى عضد فخر الدولة.

وفيها اتصل أبو عبد الله بن الأمير نور الدين أبى شجاع فاتك بن الأمير مجد الدولة أبى الحسن مختار بن الأمير أمين الدولة أبى على حسن بن تمام المستنصرى الأحول الإمامى الشيعى المعروف بالمأمون ابن البطائحى، بخدمة الأفضل أبى القاسم شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر المستنصرى. وسبب ذلك تغير الأفضل على تاج المعالى مختار الذى كان اصطنعه وفخم أمره وسلّم إليه خزائن أمواله وكسواته، فسلّم لأخويه ما يتولاه واستعان بهما فيه، فحصل لهم من الإدلال على الأفضل ما حملهم على مد أيديهم إلى أمواله وذخائره، وشاع أمرهم وكتب إلى الأفضل بسببهم، فتغير عليهم، وأخرج مختارًا إلى الولاية الغربية وخلع عليه. فلما انحدروا إليها سيَّر صاحب بابه سيف الملك خطلخ، ويعرف بالبغل، وكان من غلمان أبيه، فقبض عليه وعلى إخوته من العشارى، وكبل بالحديد ورُمى بالاعتقال، وأشيع أنَّ مختارًا كاتب الفرنج، وجُعِل هذا هو العذر فى

=عامر المطلة على بلد بانياس بين دمشق وصور. انظر: معجم البلدان ١٤/٢.

(١) المعشوقة: انظر: معجم البلدان ١٥٦/٥.

Marfat.com

القبض عليه، وأنّه كان أراد قَتْل الأفضل.

فلمَّا جرى لمختار وإخوته ما جرى ألزم الأفْضل أبا عبد الله بن فاتك يتسلّم ما كان بيد مختار من الخدمة، فتصرَّف فيها. وقرَّر له الأفضل ما كان باسم مختار من العَيْن خاصَّةً دون الإقطاع، وهو مائة دينار فى كل شهر وثلاثون دينارًا عن جارى الخزائن، مضافا إلى الأصناف الراتبة مياومة ومُشَاهرة ومُسَانَهَةً، وحسن عند الأفضل موقع خدمته، فسلّم له جميع أُموره، وصرفه فى كلّ أحواله. ولما كثر الشغل عليه استعان بأَخوَيْهِ، أبى تراب حيدرة وأبى الفضل جعفر، فأطلق لهما الأفضل ما وسَّع به عليهما، ونَعَت الأفضل أبا محمد بن فاتك بالقائد.

فيها فُتح ديوان سُمِّى بديوان التحقيق، تولاه أبو البركات يوحنا بن أبى الليث النّصرانى. وكان يتولّى ديوان المجلس رجل يعرف بابن الأسقف، وكان قد كبر وضعف فتحدّث ابن أبى الليث مع القائد أبى عبد الله فى الدواوين والأموال والمصالح، وفاوض فى ذلك الأفضل. واتفق موت ابن الأسقف، فتسلّم ابن أبى الليث الدواوين واستمر فيها حتى قُتل فى سنة ثمان عشرة وخمسمائة.

وفيها تحدَّث ابن أبى الليث فى نقل السنة الشَّمْسية إلى العربية، وكان قد حصل بينهما تفاوت أربع سنين، فأجاب الأفضل إليه، وخرج أمره إلى الشيخ أبى القاسم ابن الصيرفى بإنشاء سجل به، ثم رأى اختلال أحوال الرجال العسكرية والمُقْطَعين، وتضررهم من حسبة ارتفاع إقطاعاتهم وسُوء حالهم، لقلّة المتحصل منها، ولأنَّ إقطاعات الأمراء قد تضاعف ارتفاعُها وزادت عن غيرها، وصار فى كل ناحية للديوان جملة تُجْبَى بالعَسْف وتتردد الرسل بين الديوان بسببها. فحمُلت الإقطاعات كلّها على أملاك البلاد، وأمر ضعفاء الجند بالزيادة فى الإقطاعات التى للأقوياء، فتزايدوا إلى أن انتهت الزِّيادة، فكتبت السجلات بأنها باقية فى أيديهم مدة ثلاثين سنة ما يقبل منهم فيها زائد. وأمر الأقوياء أن يبذلوا فى الإقطاعات التى كانت بيد الأجناد ما تحتمله كل ناحية، فتزايدوا فيها حتى بلغت إلى الحدّ الّذى رغب كل منهم فيه فكُتبت لهم السجلات على الحكم المتقدم، فشملت المصلحة الفريقين وطابت نفوسهم، وحصل للديوان بلاد مفردة بما كان مفرّقا فى الإقطاعات بما مبلغه خمسون ألف دينار.

وفيها فرغ بناء دار الملك، وكان الأفضل يسكن القاهرة فتحوَّل إلى مصر، وسكن دار الملك على النيل واستقرَّ بها، فقال الشعراء فيها عدَّة قصائد.

وفيها بانت كراهة الأفضل لأولاده واحتجب عنهم أكثر الأوقات، فانقطعوا عنه واستقروا بالقاهرة فى دار القباب التى كانت سكن أبيهم الأفضل، وهي الدار التى عرفت بدار الوزارة، ولم يَبْقَ من أولاده من يتردد إليه سوى سماء الملك فإنه كان يؤثرهُ ويَميلُ إليه.

Marfat.com

وأفرد الأفضل للقائد أبى عبد الله بن فاتك الموضع المعروف باللؤلؤة.

وفيها وردت الأخبار بأن متملِّك النوبة قد تجهَّز برًّا وبحرًا وعوَّل على قصد البلاد القبلية، فسيَّر الأفضل عسكرًا إلى قُوص، وتقدَّم إلى والى قوص بأن يسير بنفسه إلى أطراف بلاد النوبة، فورد الخبر بُوثُوب أخى الملك عليه وقَتْله. واشتدت الفتنة بينهم حتى بَادَ أهل بيت المملكة وأجْلِس صبىٌّ فى الملك، فأرسلت أمه تستجير بعفو الأفضل وتسأله ألا يسيَّر إليهم من يغزُوهم. فكتب لِوَالى الصعيد الأعلى بأن يسيِّر عسكرًا إلى أطراف بلاد النوبة ويبعث إليهم رسولاً يجدد عليهم القطيعة الجارى بها العادة، وهى كل سنة ثلاثمائة وستّون رأسًا رقيقًا بعد أن يستخلص منهم ما يجب عليهم فى السنين المتقدمة. فلما دخلت العساكر نحوهم دخلوا تحت الطاعة، وكتبوا المواضَعَات، وسألوا فى الإعفاء عما يخصُّ السنين، وحملوا ما تيسَّر لهم، وعادت العساكر كاسبة.

وفيها كثُر خوْضُ الناس فى القرآن، هل هو محدث أو قديم، وتفاقم الأمر، فعرف الأفضل، فأمر بإنشاء سجل بالتحذير من الخَوْضِ فى ذلك، وركب بنفسه إلى الجامع بمصر، وجلس فى المحراب بجوار المنبر، وصعد الخطيب أربع درجات منه وقرأ السجلَّ على الناس.

وفيها مات مسعود بن قليج أرسلان بن سليمان صاحب قونية وأقصرا، فقام بعده ابنه قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان، وقسم أعماله بين أولاده.

سنة اثنتين وخمسمائة

فى رمضان: ورد الخبر بأن أهل مدينة طرابلس الشام نادوا بشعار الدَّولة عند خروج فخر الملك أبى على عمار بن محمد بن الحسين بن قندس بن عبد الله بن إدريس بن أبى يوسف الطائى منها وقَصْدِه بغداد لطلب النجدة لما اشتد حصار الفرنج لها، وغلا السعر بها. وكان سماء الملك حسين بن الأفضل عندما كان بالشام فى السنة التى كُسِر الفرنج فيها قد سَامَ ابن عمار تسليمها إليه، فامتنع وغلق الباب فى وجهه، وأقام سماء الملك عليها مُدةً بالعساكر إلى أن نازلها الفرنج ورَحَّلُوه عنها إلى عسقلان. فلما سمع الأفضل أنَّ أهل الثغر نادوا بشعاره سير إليهم شرف الدَّولة ابن أبى الطيب ومقدِّم الأسطول، وأمره بأخذ المراكب التى على دمياط وعسقلان وصُور معه إلى الثغر المذكور نُصرةً للمسلمين.

فلمَّا وصل إليه وجد الفرنج قد ملكوا الجوسق[1] وأمهلوا المسلمين، فأنفذ من كان بها وحمل فى المراكب من أراد الخروج منهم بأهاليهم وأموالهم، وفيهم صالح بن علاق

(١) المراد القصر.

Marfat.com

الطائر بعد هروبه من الأفضل، وحمل من دار ابن عمَّارٍ ذخائره ومصاغه، وكان بقيمة كبيرة. وحمل أخا ابن عمَّار المعروف بفخر الدولة وأهله إلى مصر، فأكرمهم الأفْضل، واعتقل صالح بن علاق بخزانة البنود.

وفى العشرين من شوال: كانت ريح سوداء من صلاة العصر إلى المغرب.

وفيها جدّد حفر خليج القاهرة، فإن المراكب كانت لا تدخل فيه إلا بمشقة، وجُعل حفره بأبقار البساتين التى عليه، فيحفر بأبقار كلّ بستان ما يحاذيه، فإذا انتهى أمر البساتين عُمل فى البلاد كذلك، وأُقيم لهُ وَالٍ مُفرد بجامكية(١)، ومُنع الناس أن يطرحوا فيه شيئًا.

ولما تكاثرت الأموال عند ابن أبى الليث صاحب الديوان، وحدث أن تبجح على الأفضل بخدمته، وكان سبعمائة ألف دينار، خارجًا عما أنفق فى الرجال، فجعل فى صناديق بمجلس الجلوس. فلما شاهد الأفضل المال قال: «يا شيخ تفرحنى بالمال وتريد أمير الجيوش أن يلقى بئرا معطّلة أو أرضًا بائِرةً أو بلدًا خرابًا، لأضربَنَّ رقبتك». فقال: «وحق نعمتك لقد حاشا الله أيامك أن يكون فيها بلد خراب أو بئر معطلة. فتوسّط القائد له بخلع»، فقال: «لا والله حتى أكشف عما ذكر».

وفيها وصل بغدوين إلى صيدا، ونصب عليها البرج الخشب، فوصل الأسطول من مصر للدّفع عنهم، وقاتلوا الفرنج، فظهروا فى مراكب الجنويَّة، فبلغهم أنَّ عسكر دمشق خارج فى نجدة صيدا، فرحل الأسطول عائدًا إلى مصر.

وفى شعبان منها: نزل الفرنج على طرابُلس وقاتلوا أهلها من أول شعبان إلى حادى عشر ذى الحجة، ومقدَّمُهم ريمند بن صنجيل، وأسندوا أبراجهم إلى السُّور، فضعُفَت نفوس المسلمين لتأخُّر أسطول مصر عنهم، فكان قد سار من مصر إليها بالميرة والنجدة فردّته الريح لأمرٍ قدَّره الله. فشد الفرنج فى قتالهم وهجموا من الأبراج، فملكوها بالسيف فى يوم الاثنين الحادى والعشرين من ذى الحجة، ونهبوا ما فيها، وأسروا رجالها، وسبوا نساءها وأطفالها، فحازوا من الأمتعة والذخائر ودفاتر دار العلم وما كان فى خزائن أربابها ما لا يُحَدَ عدده، ولا يُحْصى فيُذكر. وسلّم الوالى فى جماعة من جندها كانوا قد طلبوا الأمان قبل ذلك، وعُوقِب أهلُها واستُصْفِيت أموالهم واستُقْهِرَت ذخائرهم، ونزل بهم أشد العذاب. وتقرَّر بين الفرنج والْجَنَويَّين الثلث من البلد وما نهب منه للجنويّين والثلثان لريمند بن صنجيل، وأفْرَدُوا للملك بغدوين ما رضى به.

---

(١) الجامكية: هى الراتب.

Marfat.com

ثم وصل أسطول مصر، ولم يكن خرج فيما تقدم معه كثرة رجال ومراكب وعدد وغلال لحماية طرابلس، فأرْسَى على صور فى اليوم الثامن من أخْذ طرابُلس، وقد فات الأمر فيها، فأقام مدة، وفُرِّقت الغلّة فى جهاتها. وتمسّك أهل صور وصيدا وبيروت به لضعفهم عن مقاومة الفرنج، فلم تمكنه الإقامة، وعاد إلى مصر.

سنة ثلاث وخمسمائة

فيها سار الفرنج نحو بيروت، وعملوا عليها برجًا من الخشب، وزحفوا، فكسره أهل بيروت. وقدم الخبر بذلك على الأفضل، فجهَّز تسعة عشر مركبًا حربيَّة، فوصلت سالمةً إلى بيروت وقَويت على مراكب الفرنج، وغَنمت، ودخلت إلى بيروت بالميرة والنّجدة، فقوىَ أهلُها بذلك. وبلغ بغدوين الخبر، فاستنجد بالجَنويَّة، فأتاهم منهم أربعون مركبًا مشحونة بالمقاتلة، فزحف على بيروت فى البر والبحر، ونصب عليها برجين، وقاتل أهلها فى يوم الجمعة الحادى والعشرين من شوال، فعظُمت الحرب، وقتِل مقدم الأسطول وكثير من المسلمين، ولم يُرَ للفرنج فيما تقدم أشد من حرب هذا اليوم، فانْخَذَل المسلمون فى البلد، وهجم الفرنج من آخر النهار فملكوه بالسيف قهرًا، وخرج مُتولى بيروت فى أصحابه، وحمل فى الفرنج، فقُتِل من كان معه، وغنم الفرنج ما معهم من المال ونهبوا البلد، وسَبْوا من فيه وأسرُوا، واستصفوا الأموال والذخائر. فوصل عقب ذلك من مصر نجدة فيها ثلاثمائة فارس إلى الأردن تريد بيروت، فخرج عليها طائفة من الفرنج، فانهزموا إلى الجبال، فهلك منهم جماعة.

وفيها سار الأسطول من مصر إلى صور ليقيم بها، فاتّفق وصول ابن كند ملك الفرنج فى عدة مراكب لزيارة القدس والجهاد فى المسلمين، فزار القدس، وسار هو وبغدوين إلى صيدا، فنازَلاها بجمعهما وعملا عليها برجًا من خشب، وزحفا عليها، فلم يتمكن الأسطول من الوصول إليها.

سنة أربع وخمسمائة

فى ثالث ربيع الآخر: اشتد الحصار على أهل صيدا ويَئِسُوا من النجدة، فبعثوا قاضى البلد فى عدة من شيوخها إلى بغدوين يطلبون الأمان، فأجابهم وأمَّنهم على أنفسهم وأموالهم، وإطلاق من أراد الخروج منها إلى دمشق، وحلف على ذلك. فخرج الوالى والزمام وجميع الأجناد والعسكرية وخلق كثير من الناس، وتوجهوا إلى دمشق، لعشر بقين من جمادى الآخرة. وكانت مدة الحصار سبعة وأربعين يومًا.

وفيها خرج جماعة من التجار والمسافرين من تنِّيس ودمياط ومصر وأقلعُوا فى البحر، فأخذهم الفرنج وغنموا منهم ما يزيد على مائة ألف دينار، وعاقبوهم حتّى

Marfat.com

افتدوا أنفسهم بما بقى لهم من الذخائر فى دمشق وغيرها.

وفيها أغار بغدوين بعد عَوْدِه من صَيْدا على عسقلان، فراسَلَه أميرُها شمس الخلافة أسد حتى استقر الحال على مالٍ يحملهُ إليه ويرحل عنه. وقرر على أهل صور سبعة آلاف دينار تُحمل إليه فى مدة سنة وثلاثة أشهر. فقدم الخبر بذلك فى شوال على الأفضل، فأنكر ذلك وكتمه عن كل أحد، وجهَّز عسكرًا كثيفًا إلى عسقلان، وقدم إليه عز الملك الأعز ليكون مكان شمس الخلافة، وندب معه مؤيد الملك رزّيق، وأظهر أن هذا العسكر سار بدلاً. فسار إلى قريب عسقلان، وبلغ ذلك شمس الخلافة فأظهر الخلاف على الأفضل وكتب إلى بغدوين يطلب منه أن يُمده بالرجال ويَعِدُه بتسليم عسقلان وأن يعوضه عنها. فبلغ ذلك الأفضل. فكتب إليه يُطيب قلبه ويُغالِطُه، وأقطعه عسقلان، وأقر عليه إقطاعه بمصر، وأزال الاعتراض عما لهُ بمصر من خيل وتجارة وأثاث، فخاف شمس الخلافة على نفسه ولم يطمئن إلى أهل البلد، واستدعى جماعة من الأرمن، وأقرّهم عنده.

وفى يوم الأحد العشرين من شوال: حدثت ريح حمراء بالقاهرة.

وفيها أمر أمير المؤمنين الآمر بأحكام الله أن يُبعَث جليسُه أبو الفتح عبد الجبار بن إسماعيل[1]، المعروف بابن عبد القوى لعماد الدولة زيادة على إخوته.

وفيها هبت بمصر وأعمالها فى هذه الأيام ريح سوداء مظلمة، وطلع سحاب أسود أظلمت منه الدنيا حتى لم يُبْصر أحد يده، وسفت رمادًا حتى ظنَّ الناس أنها القيامة، ويئسُوا من الحياة وأيقنوا بالْبوَار لِهَوْل ما عاينُوه، ولم يزل ذلك من وقت العصر إلى غروب الشمس. ثم انْجَلَى ذلك السَّواد وعاد إلى الصُّفرة والريح بحالها، ثم انْجلت الصُّفرة، وظهرت الكواكب وقد خرج الناس من الأسواق والدور إلى الصحراء. ثم ركدت الريح وأقلع السَّحاب، فعاد الناس إلى منازلهم.

سنة خمس وخمسمائة

فى يوم الجمعة ثامن عشر ربيع الآخر: نزل بغدوين على صور وبها عز الملك أنوشتكين الأفضلى وبنى عليها أبْرجَة خشب، طول البرج سبعون ذراعًا، يسع كل

(١) عبد الجبار بن إسماعيل بن عبد القوى، الملقب بداعى الدعاة، ويقال له الحاج ابن عبد القوى. من بقايا أنصار الفاطميين بمصر. بعد ذهاب دولتهم. اتفق مع جماعة من الباطنية والإسماعيلية وغيرهم، وبينهم عمارة اليمنى، على اغتيال السلطان صلاح الدين الأيوبى، وعلم السلطان بخبرهم فأحاط بهم، وشنقهم فى أماكن متفرقة بالقاهرة، وعبد الجبار فى جملتهم سنة ٥٦٩هـ. انظر: السلوك ١/٥٣ والنجوم الزاهرة ٦/٧٠ والأعلام ٣/٢٧٤.

بُرج ألف رجل، وهو موضوع على شىء يسمى اسقلوس، وهو فخذان مُلْقَيان على الأرض، وفى كل برج من أسفله عشرون فرنجيًا يصيحُ أحدهم بالفرنجية: «صَنْد مَارِيا»، فيصيح الباقون كذلك، ويدفعونه بأجمعهم، فيسبح على ألواح عظيمة تُجْعَل بين يديه، وكانت ستائر[1] كل برج ومجانيقُه كأنها بلدٌ يزحف.

فخرج من أهل صُور ألف رجل وحملوا على البرج وطرحوا فيه النار، فعلقت بالخشب، فلم يتمكن الفرنج من إطفائه وهربوا منه، واحترق، فتنازل المسلمون بالكلاليب ما قدروا عليه من سلاحهم، فوصل إليهم ثلاثمائة درع. وكان هذا البرج كبشا[2] من حديد وزنة رأسه مائة وخمسون رطلاً، فظفر به المسلمون. وكانت الريح على المسلمين ثم صارت معهم، وملأوا جِرارًا بالعُذرة ورموها على الفرنج، فصاحُوا وذلُوا ورحلوا، فعاثوا، ثم عادوا وقد قطعوا النّخل أنَابيب ورَموا بها فى الخندق.

وسار طغتكين من دمشق لإعانة أهل صور، فنزل على يوم منهم لجولة بانياس، وأنفذ إليهم مائتى غلام تُركى عليهم جليلٌ من الأتراك، فقاتَل الفرنج وقتل منهم ألفًا وخمسمائة، وأكثر النكاية فيهم. وأغار طغتكين على بلاد الفرنج، فأخذ لهم موضعًا، فرجعوا عن صور بغير شىء. وخرج أهل صور إلى أصحاب طغتكين، فخلعوا عليهم وأعادوهم إليه فى أحسن زى، وأخذ أهل صور فى رمِّ ما شعَّثَه الفرنج فى البلد.

وفيها حدث بمصر وباء مفرط، هلك به تقدير ستّين ألف نفس.

سنة ست وخمسمائة

فيها حُفِر البحر المعروف ببحر أبى المنجا[3]، فابتُدِئ فى حفره فى يوم الثلاثاء السادس من شعبان، وأقام الحفر فيه سنتين. وكان أبو المنجا يهوديا وكان يشارف الأعمال الشرقية، فلما عرض على الأفضل ما أنفقه فيه اسْتَعْظَمه، وقال: غَرِمْنا هذا المال جميعه والاسم لأبى المنجا. فغُير اسمه ودُعِى بالبحر الأفضلى، فلم يتم ذلك ولا عرف إلا بأبى المنجا.

وفيها أعْلَن شمس الخلافة أسد، والى عسقلان، بالخلاف، فعهد إلى صاحب الترتيب والقاضى فأخرجهما على أنه يرسلهما إلى الباب فى خدمة عرضت له، وإلى العسكر الذى كان يخاف شوكته، فأوهمهم أنّه يسيرهم إلى بلاد العدو. فلما حصلوا

---

(١) كانت ستائر هذه الأبراج تتخذ من الجلود واللبود المبللة بالخل والشب والنطرون لوقايتها.
(٢) هو آلة تتصل بالدبابة لها رأس ضخم وقرنان.
(٣) بحر أبى المنجا: أنشأه أمير الجيوش.

Marfat.com

خارج الثّغر أمرهم بالمسير إلى باب سُلطانهم، وكان قد سير قبل ذلك العسكر من الباب على جهة البدل. فلما علم أسد المذكور بوصولهم إلى مدينة الفرما أنفذ إليهم يخيفهم ويشعرهم أن العدو قد تعدَّاهم، فامتنعوا من التوجه إلى عسقلان.

فلما بلغ الأفضل ذلك عزم على أن يسير بنفسه إليه. ثم رأى أنَّ إعْمال الحيلة أنجع، فخادعه وأنفَذ الكتب إليه يُطَمئنُه ويصوب رأيه فيما فعله فى صاحب الترتيب والبدل، ولم يغير مكاتبته عن حالها، ولا تعرض لإقطاعاته ورسُومه وأصحابه، وسير فى الباطن من يستَفْسِد الكنانية والرجال المذكورة ويبذل لهم الأموال فى أخذه. ولم يزل يدبر عليه حتى اقْتَنصَت المنية مهجته، وذلك أن أهل بيروت أنكروا أمره، فوثب عليه طائفة وهو راكب، فجرحوه، وانهزم إلى داره فَتبعُوه وأجْهزوا عليه، ونَهبُوا دارهَ وماله، وتخطّفُوا بعضِ دُورِ الشّهود والعامة. فبادر صاحب السيارة إلى البلد وملكه، وبعث برأس شمس الخلافة إلى الأفضل، فسُرَّ بذلك وأحسن إلى القادمين به.

وكان قدوم الرأس فى يوم الأربعاء رابع المحرم، صُحْبة ثلاثة من الكنانية، فخلع عليهم، وَطِيفَ بالرأس، وزُينت البلد سبعة أيام.

وفيه خُلع على ولده مختار ولُقّب شمس الخلافة، وأنعم عليه بجميع مال أبيه. وسير بدله مؤيد الملك خطلخ، المعروف برزيق، واليًا على الثغر.

وفيها وصل يانس الناسخ من الشام، فاستُخْدِم فى خزانة الكتب الأفضلية بعشرة دنانير فى الشهر وثلاث رزم كسوة فى السنة، والهبات والرسُوم.

وفيها كتب إلى عسقلان بمطالبة مَنْ نَهب دار شمس الخلافة ومالَه بما أخذه، فقُبض على جماعة وحُملوا إلى مصر فاعتقلوا بها.

وفيها تسلّم نواب طغتكين صُور من عزّ الملك أنوشتكين الأفضلى خوفًا من بغدوين أن يأخذها، وقام بأمرها مسعود، فاستقرت بيد الأتراك وأقرُّوا بها الدعوة المصرية والسِّكّة على حالها. وكتب طغتكين إلى الأفضل بأن: «بغدوين قد جَمَع لينزل على صُور، وأنَّ أهلها استَنْجَدُونى، فبادرت لحمايتها، ومتى وصل من مصر أحد سلمتها إليه». فكتب يشكرهُ على ما فعل. وتقدم بتجهيز الأسطول إلى صُور بالغلّة معونة لها.

سنة سبع وخمسمائة

فى أولها: خرج الأسطول من مصر بالغلاّت والرجال إلى صُور، وعليه شرف الدولة بدر بن أبى الطيب الدمشقى وكان متولى طرابلس عند أخذ الفرنج لها، فوصل إلى صُور سالمًا، ورخصت بها الأسعار، واستقام أمرُها. وأنفَذ معه بخلع جليلة إلى ظهير

Marfat.com

الدين طغتكين وولده تاج الملوك وخواصه، ولمسعود متولى صور. ثم أقلع فى آخر شهر ربيع الأول. فبعث بغدوين يطلب المهادنة من مسعود، فأجابه، وانْعَقد الأمر بينهما.

سنة تسع وخمسمائة

فى ذى القعدة: قُفز على الأفضل عند باب الزهومة[1] من دُكان صيرفى يعرف بالغار وسَلِم، فأخرجت الصدقات بسبب سلامته وقتل الصيرفى وصُلِب على دُكانه.

وورد الخبر بأن بغدوين ملك الفرنج وصل إلى الفرما، فسير الراجل من العطوفيَّة، وسيّر إلى والى الشرقية بأن يسير المركزية والمُقْطَعين إليها، ويتقدم إلى العُرْبان بأسرهم أن يكونوا فى الطّوالع ويطاردُوا الفرنج ويشارفوهم بالليل قبل وصول العساكر، وأن يَسيرَ بنفسه، فاعتد ذلك، ثم أمر بإخراج الخيام وتجهيز الأصحاب والحواشى. فوصلت العربان والعساكر فطاردوا الفرنج، فخاف بغدوين من يلاحق العساكر، فنهب الفرما وأخربها وألقى فيها النّيران، وهدم المساجد، وعزم على الرجوع، فأدركته المنية ومات. فأخفى أصحابه موته، وساروا وقد شقوا بطَنه وحَشَوه ملحًا. وشنّت العساكر الإسلامية الغارات على بلاد العدو، وخيموا على ظاهر عسقلان ثم عادوا.

وكانت الكتب قد نفذت من الأفضل إلى الأمير ظهير الدين طغتكين، صاحب دمشق، بعتبه ويقول له: «لا فِى حق الإسلام ولا فى حق الدولة التى ترغب فى خدمتها والانحياز إليها أن يتوجه الفرنج بجملتها إلى الديار المصرية ولا يتبين لك فيها أثر ولا تتبعهم، ولو كان وراءهم مثل ما كان أمامهم ما عاد منهم أحد». فلما وصل إليه الكتاب سار بعسكره إلى عسقلان، فتلقّاه المقدمون، ونزل أعظم منزل، وحُملت إليه الضيافات. وحُمل إليه من مصر الخيام وعدة وافرة من الخيل والكسوات والبنود والأعلام، وسيف ذهب، ومنطقة ذهب، وطوق ذهب، وبدنة طميم، وخيمة كبيرة معلمة، ومرتبة ملوكية، وفرشها وجميع آلاتها وسائر ما تحتاج إليه من آلات الفضة. وجُهّز لشمس الخواص، وهو مقدّم كبير كان معه على عدّة كثيرة من العسكر، خلعه مذهبة ومنطقة ذهب وسيف ذهب، وجُهز برسم المتميزين من الواصلين خِلَع مذهبة وحريرية، وسيوف مغموسة بالذهب. فتواصلت الغارات على بلاد العدو، وقُتل منهم وأسِر عدد كبير.

فلما دخل الشتاء وتفرق العسكر والعُربان، استأذن ظهير الدين على الانصراف، فأذن له، وسُيرت إليه وإلى مَنْ معه الخلع ثانيًا، فحصل لشمس الخواصّ خاصة فى هذه

(١) هو أحد الأبواب الغربية للقصر الفاطمى.

السفرة ما مقدارُه عشرة آلاف دينار، وتسلّم الأمير ظهير الدين الخيمة الكبيرة بفُرُشها وجميع آلاتها، وكان مقدار ما حصل له ولأصحابه ثلاثين ألف دينار. وذكر أن المُنْفَق فى هذه الحركة على ركاب بغدوين مائة ألف دينار.

ورُعشت يد الأفضل، وصَعُب عليه إمساك القلم والعلامة على الكتب، فأقر أخاه أبا محمد جعفر المظفر فى العلامة، وجعل له خمسمائة دينار فى الشهر مُضَافًا إلى رسمه، فعلم عنه.

واستهل شهر رمضان: فجرى الأمر فى نيابة الأجَل سماء الملك، ولد الأفضل، عنه فى جلوسه بمحل الشباك، وقرر له على هذه النِّيابة فى هذا الشهر خمسمائة دينار، وبذلة مذهَّبة، ورزمة كسوة فيها شقق حرير وغيرها. ولم يزل هذا الرسم مستقرًّا إلى أن أخذه عباس بن تميم[1] فى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة عند توليته حجبة بابه. والبذلة وحدها تساوى خمسمائة دينار.

وفيها استخدم ذخيرة الملك جعفر فى ولاية القاهرة والحسبة، فَظَلَم وعَسف، وبنى مسجدًا عرف بمسجد لا بالله.

سنة عشر وخمسمائة

[.....][2]

سنة إحدى عشرة وخمسمائة

فى ذى الحجة: خرج أمر الآمر بأحكام الله بَنَفْى بنى عبد القوى، فنُفُوا إلى الأندلس بأهاليهم.

وفيها وصل بغدوين إلى الفرما وأحرق جامعها وأبواب المدينة ومساجدها، وقتل بها رجلا مقعدا وابنةَ له ذبحها على صَدْره، ورحل وهو مُثْخن مرضا، فمات العريش، فُشق بطنُه ورُمِى ما فيها هناك، فهو يُرْجم إلى اليوم، ويعرف مكانُه بسبخة بَرْدويل، ودُفنت رمته بقُمامة من القدس.

وقام من بعده بملك القدس القمص صاحب الرها بعَهْده إليه.

ونزل الفرنج حوران، وملكوا من أعمال حلب بزاعة[3] وخرتبرت[4]، وملكوا

---

(١) هو أبو الفضل عباس بن أبى الفتوح يحيى بن تميم بن المعز بن باديس.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٣) بزاعة: هى بلدة من أعمال حلب فى وادى بطنان بين منبج وحلب، بينها وبين كل واحدة-

Marfat.com

مدينة صُور.

وفيها خرج محمد بن تُومَرت[١] من مصر فى زِى الفقهاء ومضى إلى بجاية[٢].

سنة اثنتى عشرة وخمسمائة

فيها مات الأمير نور الدولة أبو شجاع فاتك، والد القائد أبى عبد الله بن فاتك، فأخرج له الأفْضل من ثيابه بذلة حريرية وقارورة كافور وشقفا مزيدى دبيقى ونصافى، وطيبًا وبُخورا وشمعًا، وحُمل له من القصر أضعاف ذلك. وخرج الأفضل والأمراء، وجميع حاشية القصر، إلى الإيوان، فخرج الخليفة وصلى عليه، ثم أخرج فدفن وتردّد الناس إلى التربة. وفرقت الصدقات إلى تمام الشهر.

وكان بيد نور الدين زمر الضَّاحكية والفراشين وصبيان الركاب والسلاح الخاص بجارٍ ثقيل ورسوم كثيرة. وهؤلاء الضاحكية كانوا يعرفون بهذه الرسوم قديمًا عند وصولهم مع المعز إلى مصر، وهم يلبسون المناديل ويُرْخُون العَذب ويلبسُون الثِّياب بالأكمام الواسعة، وفى أرجلهم الصّاجات، وفى الأعياد يشدّون أوساطهم بالعرضى

=منها مرحلة. انظر: معجم البلدان ٢/٤٠٩.

(٤) خرتبرت: هو الحصن المعروف بحصن زياد الذى يجىء فى أخبار بنى حمدان فى أقصى ديار بكر من بلاد الروم، بينه وبين ملطية مسيرة يومين، وبينهما الفرات. انظر: معجم البلدان ٢/٣٥٥.

(١) محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودى البربرى، أبو عبد الله، المتلقب بالمهدى، ويقال له مهدى الموحدين: صاحب دعوة السلطان عبد المؤمن بن على ملك المغرب وواضع أسس الدولة المؤمنية الكومية هو من قبيلة مرغة من المصامدة من قبائل السوس بالمغرب الأقصى. ولد ونشأ فى قبيلته ورحل إلى المشرق طالبا للعلم سنة ٥٠٠هـ فانتهى إلى العراق وحج وأقام بمكة زمنا ثم خرج إلى مصر فطردته حكومتها، فعاد إلى المغرب، وانتقل إلى بجاية، فلقى بها عبد المؤمن بن على فاتفق معه على الدعوة إليه. وقوى أمر ابن تومرت وتلقب بالمهدى القائم بأمر الله، وعاجلته الوفاة قبل أن تفتح مراكش. ولكنه قرر القواعد ومهدها. له كتاب «كنز العلوم». انظر: وفيات الأعيان ٢/٣٧ والاستقصا ١/١٩٩، وابن خلدون ٦/٢٢٥، والكامل ١٠/٢٠١ - ٢٠٥، والأعلام ٦/٢٢٨، ٢٢٩.

(٢) بجاية: مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب. انظر: معجم البلدان ١/٣٣٩، وفى الروض المعطار بجاية: قاعدة المغرب الأوسط، مدينة عظيمة على ضفة البحر يضرب سورها، وهى على جرف حجر، ولها من جهة الشمال جبل يسمى أميسول، وهو جبل سام صعب المرتقى، وبجاية معلقة من جبل قد دخل فى البحر يضرب فيه، ولها دارٌ لصناعة المراكب وإنشاء السفن، وبينها وبين صقلية ثلاثة بحارٍ. انظر: الروض المعطار ٨٠، ٨١، والاستبصار ١٢٨، والإدريسى ٦٢، ٦٤/٩٠، ٩٢.

Marfat.com

الدبيقى، ولا يتقدمهم أحد إلى الخليفة على ما جرت به عادتهم فى المغرب.

وفيها قُفِز على الأفضل ثانيا، وخرج عليه ثلاثة نفر بالسكاكين، فقتلوا، وعادَ سالما، فاتّهم أولادَه، وصَرح بالقول فيهم، وأخذ دوابهم، وأبْعَد حواشِيهَم، ومنعهُم من التصرف، وبالغ فى الاحتراز والتّحفُظ.

وفيها وردت التجار من عيذاب[١] ذاكرين أنه خُرِج عليهم فى مراكب شَنّها قاسم ابن أبى هاشم[٢]، صاحب مكة، فقُطِعت عليهم الطريق وأخِذ جميع ما كان معهم. فغضب الأفضل وقال: «صاحب مكّة يأخذ تجارًا من بلادى، أنا أسيرُ إليه بنفسى بأسطول أوله عيذاب وآخره جدة». ثم تقرر الحال على مكاتبة الأشراف بمكة وإعلامهم ما فعله أمير مكة، وأقسم فيه أنه لا يصل إلى مكة من أعمال الدولة تاجر ولا حاج إلى أن يقوم بجميع ما أخذه من أموال التجّار. وكتب إلى والى قوص بأن يسير بنفسه أو من يقوم مقامه، إلى عيذاب، ومهما وصل من جدة من الجلاب لا يمكن أحدًا من الركوب فيها، وأن يتشوف ما يدخل عيذاب من الشوانى[٣] والحراريق[٤]، فمهما كان يحتاج إلى إصلاح ومرمة ينجز الأمر فيه، ويشعر أهل البلاد بوصول الرجال والأموال لغزو البلاد الحجازية. وتقدم إلى المستخدمين بصناعة مصر بتقديم خمسة حراريق وتكميلها ليسيروا إلى الحجاز.

فلما وردت المكاتبة على الأشراف بمكة ولم يَصِلْ إليها أحد اشتّد الأمر عندهم وتحرّك السعر، فبعثوا رسولا من أميرهم، فلما وصل ساحل مصر لم يُؤْبَهْ له ولا أجْرِى

(١) عيذاب: بليدة على ضفة بحر القلزم هى مرسى المراكب التى تقدم من عدن إلى الصعيد. انظر: معجم البلدان ٤/١٧١، وفى الروض المعطار عيذاب: مدينة فى أعلى الصحراء المنسوبة إليها فى ضفة البحر الملح، ومنها المجاز إلى جدة، وعرضه بجرى يوم وليلة. ومرسى عيذاب جزيرة ليست بكبيرة ومساكنها من حجارة، والماء العذب يجلب إليها على مسيرة يوم، وهى محط السفن من جدة من التجار وغيرهم، وهى تقابل من الصعيد الأعلى مدينة قوص وقفط، وبينها وبين قفط فى البر خمس مراحل لا ماء فيها إلا فى موضعين. انظر: الروض المعطار ٤٢٣، ٤٢٤، ونزهة المشتاق ٤٩ن وابن الوردى ٣٦.

(٢) القاسم بن هاشم بن فليتة العلوى الحسينى أمير مكة. وليها بعد وفاة أبيه سنة ٥٤٩هـ وقعت فتنة بينه وبين عمه عيسى بن فليتة سنة ٥٥٣هـ فاستولى عيسى على مكة. وجمع القاسم جموعا دخل بها مكة سنة ٥٥٧هـ وأقام أياما، فأعاد عليه عمه الكرة، فهرب وصعد جبل أبى قبيسة فسقط عن فرسه، فقتله بعض أصحاب عيسى. انظر: خلاصة الكلام ٢٠ وصبح الأعشى ٤/٢٧١ وابن ظهيرة ٣٠٨ والأعلام ٥/١١٦.

(٣) هى مراكب حربية لها مائة وأربعون مجدافا.

(٤) نوع من السفن فيها أجهزة لرمى النيران على الأعداء فى البحر.

Marfat.com

عليه ضيافة، وقيل له: «ما يقرأ لك الكتاب ولا يُسْمع منك خطاب دون إعادة المأخوذ من التجار إليهم». وشاهد مع ذلك الجدَّ والاهتمامَ بأمرِ الأساطيل وتجهيز العساكر إلى صاحبه، فالتزم بإحضار جميع أموال التجار، وسأل التوقّف قبل الإسراع بما عُوّل عليه من قصد صاحبه، وأجل لعَوْده أجلا قريبًا. فأجيب إلى ذلك، وسار. فلم ينْقض الأجل حتى عاد وصحبته جميع ما أخذ من التجار من البضائع والأموال، فحُمِلت إلى الجامع العتيق بمصر بمحضر من الرعَايَا، وهم يعلنون بالشكر والدعاء، واحتاط متولى الحكم عليه إلى أن تحضُر جماعة التجار ويجرى الأمر على ما توجبُه الشريعة، وخلع على الرسول وأحسن إليه ووُصِل.

ومرض الأفضل بحمى حادّة ثم عوفى، فدفع للطبيب ثلاثمائة دينار.

سنة خمس عشرة وخمسمائة

فيها قُتل الأفضل بن أمير الجيوش يومَ الأحد سلخ شهر رمضان وعمره سبع وخمسون سنة، لأنَّ مولده بعكا سنة ثمان وخمسين وأربعمائة. وكان سبب ذلك أنه لما كان ليلة عيد الفطر جهَّز ما جرت العادة بتجهيزه من الدّوابّ والآلات لركوب الخليفة، وجلس بين يديه إلى أن عرضت الطبول على العادة كل سنة والدواب والسلاح، ثم عاد وأدَّى ما يجب من سلام الخليفة فتقدَّم إلى القائد أبى عبد الله بن فاتك بأن يأمر صاحب السير أن يصف العساكر إلى صوب باب الخوخة[1]. وركب الأفضل من مكانه والناسُ على طبقاتهم، وخرج من باب الخوخة قاصدًا دار الذهب، فلما حصل بها وقع التعجب من الناس فى نزوله ليلة الموسم، ولم يعلم أحد ما قصد، وكان قصده أن يكمل تعليق المجلس الذى يجلس فيه. فصلّى بدار الذهب الظهر، فلما قرب العصر ركب منها وقد انصرف أكثر المستخدمين ظنًا منهم أنه يبيت فيها. فسار إلى الزهرى فإذا الأمراء والأجناد والمستخدمون والرهجية قد اتجهوا لخدمته، وكان قد ضَجِر وتغير خلقه ولاسيما فى الصيام. فلما رأى اجتماع الناس وكثرتهم أبعدهم، فتقدموا ووقفوا عند باب الساحل، فأنفذ أيضًا يخرج من أبعدهم، وبقى فى عدة يسيرة، وأبعد صبيان السلاح من ورائه، فوثب عليه من دكان دقاق بالملاحين أربعة نفر متتابعين كلما اشتغل مِنْ حوله واحد خرج غيره، فُرمِى من الفرس إلى الأرض، وضربوه ثمان ضربات. وكان القائد[2] بعيدا منه لأخْذ رقاع الناس وسماع تظلمِهم وتفريق الصدقات على الفقراء بالطّريق، فلما سمع الضوضاء أسرع إليه ورمى نفسه إلى الأرض عليه، فوجده قد قضى نحبه. وحُمِل على أيْدى مقدمى ركابه والقائد راجل، وهم يبشرون الناس

---

(١) يقع بالقرب من قنطرة الموسكى.

(٢) القائد هو أبو عبد الله محمد بن ثقة الدولة أبى شجاع المعروف بالمأمون البطائحى.

بالسلامة. وقُتِل من الذين خرجوا عليه ثلاثة وقطعوا وأحرقوا، وسَلِم الرابع، وكان اسمه سالمًا، ولم يُعْلم به إلا لما ظُفِر به مع غيره بعد مدة.

ولم يزل الأفضل محمولا ولا يُمكّن أحد من الوصول إليه إلى أن دُخِل به على مرتبته التى كان يجلس عليها أو يُمَطّى. وقال القائد للخليفة: «أدركنى وتسلّم ملكك لئلا أغلب عليه». وصار أى من لقيه يهنئهُ بسلامة السلطان ويوهم أهله أن الطبيب عنده، ويأمرهم بتهيئة الفراريج[1] والفواكه. وعاد إلى قاعة الجلوس فوجدها قد غُصت بالناس، فرَدّ عليهم السلام وهنأهم، وأظهر قوة عزم، ثم عاد إلى القاعة الكبيرة وقد حضر إليه مُتَولّى المائدة الأفضلية واستأذنه على السماط المختصّ بالعيد فقال له: «اذبح ووسع، فالسلطان بكل نِعْمة وهو الذى يجلس على السماط فى غد». ومع ذلك فكان فى قلق وخوف شديد من أن يبلغ أولاد الأفضل فيجرى عنهم ما لا يُسْتَدرك وتُنهب الدار.

فلما أصبح الصباح وركب الخليفة ودخل إلى الدهليز الذى كان يركب منه الأفضل ومعه الأستاذون المحنكُون قال القائد أبو عبد الله للخليفة: «عن إذن مولانا أفتح الباب»، وكان قد منع من الدُّخول إلى الدَّار، فقال الخليفة: «نعم» ففتح على الأفضل وقال له القائد: «الله يطيل عمر أمير المؤمنين،ويفسح فى مدته ويورثه أعمار مماليكه، هذا وزيرهُ قد صار إلى الله تعالى، وهذا ملكه يتسلّمه». ثم ضربت للوقت المقرمة على الأفضل، وأمر الخليفة بإحضار من بالقاعة من الأمراء والأجناد، فدخل النّاس على غير طبقاتهم إلى أن مثلوا بين يدى الخليفة وهو قاعد على الحصير عند المقرمة، فقال الخليفة للأمراء: «هذا وزيرى قد صار إلى الله تعالى، ومنكم إلى ومنى إليكم، وقد كان القائد واسطته إليكم وهو اليوم واسطتى إليكم». فشكر الحاضرون ذلك، هذا والقائد وولده مشْدُودُو الأوساط بالمناطق وصاحب الباب على ما كانوا عليه. وتقدّم إلى الشيخ أبى الحسن بن أبى أسامة أن يكتب إلى الأعمال بذلك، وأمر الأمراء بالانصراف.

ثم قال القائد: «يا مولانا، الأموال والجواهر على اختلافها فى الخزائن الكبار عنده، وهى مُقْفلة ومفاتيحها عندى، وختم عليها وهى فى بيت المال المصون، وكذلك المفَضَّض التى عند المستخدمين برسم الاستعمال والميناء الذهب المرصَّعة والتى بغير ترصيع، والبلّور التى برسم استعماله، جميع ذلك مثبت عند متولّى دفتر المجلس إلا خزانة الكسوة التى برسم ملبوسه ما عندى منها خبر، فأمُر من يدخل ويختم عليها». فأمر متولى الخزائن الخاص، وكان سيف الأستاذين، ومتولى بيت المال ومتولّى الدفتر،

---

(١) المراد الدجاج.

Marfat.com

وهم كبار الأستاذين المحنّكين بأن يدخلوا ويجتمعوا، ولا يُعترضُ غيرهما لا لولده ولا لجهته ولا لبناته ولا لأحد من عياله.

فتوجَّهوا وقرعوا الباب. فلما شاهدهم النِّساء تحقّقوا الوفاة، وقام الصُّراخ من جميع جوانب المواضع، وكانت ساعة أزعجت كلَّ مَنْ بمصر والجيزة والجزيرة، ثم أسكتوا. وأنفذت الرُّسُل لختم الخزائن التى بمصر. فبينما هُم على ذلك فى الليل إذ وصل إلى الخليفة رقعتَان على يد أستاذ من القاهرة، من رجلين من جملة الحاشية، يذكران فيها أن أولاد الأفضل قد جمعوا عدَّة وشنّعتْ حاشِيتُهم أنَّ فى بكرة هذه الليلة يستنصرون بالبساطية والأرَمن ويثورون فى طلب الوزارة لأخيهم الأكبر. فامتعض الخليفة لذلك، وهمَّ بالإرْسال إليهم وقتلهم، ثم تقرَّر الأمر على أن يُودَعُوا الخزانة من غير إهانة ولا قيود، فتوجَّه إليهم، فإذا جميعُ حاشيتهم وغيرها عندهم، والخيل قد شُدَّت، فأودعُوا الخزانة.

فلمَّا أصبح الصباح: كان قد حُمِل من القصر فى الليل طوافير[1] فيها عدَّة موائد للفطر فى يوم العيد، وحُملَ برسم فطر الخليفة الصّوانى الذهب وعليها اللّفائف الشرب المذهبة. وكان قد هيَّئ للخليفة من اللّيل موضع للمبيت بحيث يبعد عن الأفضل، وعيّن مَن وقع الاختيار عليه لقراءة القرآن عند الأفضل.

فلمَّا كان السَّحَر من عيد الفطر: جىء بين يدى الخليفة بما أحْضِر من قصوره فى مواعينه الذهب المرصعة، وعليها المناديل المذهبة من التّمر المحشو والجوارشيات بأنواع الطيب وغير ذلك، فاستدعى الخليفة القائد وأمره بالمضىِّ إلى باب الحرم لإحضار الأجلّ المرتضى ابن الأفضل، فمضى لذلك، فأبت أمُّه مِنْ تمكِّنهم منه، فمازال بها حتّى أسلمته إليه بعد جهد. فأتى به الخليفة فسلم به، وضمَّه الخليفة إليه وقبَّله بين عينيه، وأجلسه عن يمينه والقائد عن شماله، وبقية الخواصِّ على مراتبهم.

ثم كبر مؤذنو القصر، فسمّى الخليفة وأخذ تمرة وأكل بعضها وناولها للقائد، ثم ناول الثانية لولد الأفضل، فقام كلٌّ منهما وقبَّل الأرض ولم يجلس، وتقدَّم كلُّ من الحاضرين فأخذ من يد الخليفة من التّمر ووقف. فاستدعى القائد الفراش الذى معه الصينيتان النحاس، وأمر فرَّاشى الأسمطة بنقل ما فى الأوانى التى بين يدى الخليفة فى الصَّوانى لتُفرَّق فى الأمراء الذين بالقاعة والدَّهاليز، فنقلت إليها وحُمِلت إلى المقرمة التى الأفضل وراءها وختم المقرئون.

ثم أظْهر الخليفةُ الحزن على فقْد وزيره، فتَلَثَّم وتَلثَّم جميع المحنّكين والحاشية،

(١) هو إناء كبير الصينية يستخدم لحمل الأطعمة والحلوى.

وجلس الخليفة على المخدة عند المقرمة، وأمر حسام الملك، حاجب الباب، بإحضار القاضى والدّاعى والأمراء، فدخل الناس على طبقاتهم، فلمَّا رأوا زِىّ الخليفة اشتد البكاء والعويل، وخرَّق كلٌّ أحد ما عليه، ورُميت المناديل - يعنى العمائم - إلى الأرض، وبكى الخليفة وحاشيته ساعة، ثم سأل القائد الخليفة أن يفطر على تمرة بحيث يشاهده جميع مَنْ حضر، ففعل ذلك.

ثم أشار الخليفة إلى القائد أن يكلّم الناس عنه: فقال: «أمير المؤمنين يردُّ السلام عليكم، وقد شاهدتم فعله وكونه لم يشْغَله مصابُه بوزيره ومُدبر دولته ودولة آبائه عن قضاء فَرْض هذا اليوم، وقد أفطر بمشاهدتكم، وأمركم بالإفطار. فسمح الخليفة بيده على الصَّوانى، وتقدَّم القائد إلى الخليفة وصار يناوله من الصَّوانى بيده، فأول ما مدّ إلى القاضى ثم الدَّاعى، ونزل الناس للأكل. ورفعت الصوانى، فأخذ القائد يد الداعى وقرّبه من الخليفة، فناوله الخليفة الخطبة، وكانت على يساره ملفوفة فى منديل شرب بياض مذهب، فقبَّلها الداعى وجعلها على رأسه، وضمَّها إلى صدره. وتقدَّم القائد لحسام الملك بأن يأخذ الأمراء جميعهم ويطلعون إلى المصلّى بالقاهرة لقضاء الصَّلاة، فتوجَّهوا فى زىٍّ الحزن والمؤذنون بين أيديهم. فصلّى الداعى بالناس، ثم صعد المنبر فوقف على الدّرجة الثالثة منه، وخطب. وكانت الخطبة مبيَّنة فيها الدعاء للأفضل والترحَّم عليه.

وعندما توجه الناس إلى المصَلى أمر ولد الأفضل بالمضىّ إلى أمه وإخوته وجهات أبيه ليرُدَّ عليهم السَّلام من أمير المؤمنين ويفطرهم.

وخلا الخليفة بالقائد وأمره بإخراج جميع الجواهر، فقام إلى خزانة كانت قد بنيت برسم الأفضل، فوجد بها خيمة، ففتحها وأخرج قمطرين عليهما حلية ذهب مملوءين جواهر ما بين عقود مفصلة بياقوت وزمرد وسبح، وقمطرًا فيه إحدى عشرة شرابة طول كلّ شرابة شبران بجواهر ما يقع عليها نظر، وصناديق فضة مملوءة مضافات ما بين عصائب وتيجان ذهب مُرصَّعة بجواهر نفيسة. ففتحت كلها، فشاهد الخليفة منها ما لا يُوصف، فسُرَّ بذلك سرورا كبيرا، وشكر القائد وقال: «والله إنّك المأمون حقًّا ما لَكَ فى هذا النّعت شريك». فقبَّل الأرض ويديه.

ولهذا النّعت قضيّة. وذلك أنه لما كان فى الأيام المستنصرية، وعُمْر القائد يومئذ اثنتا عشرة سنة، وكان من جملة خاصّة المستنصر يرسله إلى بيت المال وخزانة الصاغة فى مُهمّاته، فيجد منه النهضة والأمانة، فيقول هذا المأمون دُون الجماعة. ودرجت السُّنون، فذكرها الخليفة الآمر فى ذلك الوقت فقال له: «أنت المأمون على الحقيقة لأجل ذلك».

ثم عاد حسام الملك أفتكين صاحب الباب، والداعى وجميع الأمراء من المصلّى، ومثلوا بين يدى الخليفة. ووقع حينئذ الاهتمام بتجهيز الأفضل، وتقدَّم إلى زمام القُصور بإخراج ما قد مازجه عرف الأئمة، وتقدَّم إلى ريحان متولّى بيت المال بإخراج ما يجب إخراجه برسم المأتم، فمضيَا. وتقدَّم إلى حسام الملك بإعلام الأمراء والأجناد والشَّهود والقضاة والمتصدِّرين والمقرّبين وبنى الجوهرىّ الوعاظ وغيرهم لحضور الجنازة وتلاوة القرآن. فعاد زمام القصور ومتولّى بيت المال ومعهُما عشرون صينية ملفوفة فى عراض دبيقى بياض مملوءة صندلا مطحونا، ومسكا وكافورا وحنوطا وقطنا، وفى صدر الآخر منديل ديباج فيه ما رسم بإحضاره من ملابس الخلفاء وطَيَالِسهم. ووصلت أيضًا الموائد على رءوس الفراشين، وهى مائة شدة، صحبة متولى المائدة الآمرية، فمدُّ السماط بين يدى الخليفة، ومُدَّ سماطان، أحدهما بالقاعة وهو برسم الأمراء، والآخر برسم القاضى والدَّاعى والشهود والمقرَّبين والوُعَّاظ والمؤمنين، وحُمِل إلى الجهات الأفضليات شىء كثير.

فلمَّا انقضى الأكل عاد الجميع بالقاعة، وذكر أنه ختم على الأفضل فى هاتين الليلتين واليوم نيّف وخمسون ختمة. فلمَّا انقضى معظم الليلة، الثانى من شوال، تقدم الخليفة بإحضار داعى الدعاة، ولىّ الدولة ابن عبد الحقيق، وأمره بغسل الأفضل على ما يقتضيه مذهبه، وكُفِّن بما حضر من القصر، وأخرج للداعى بذلتان مكملتان، مذهبة وحرير، عوضا عمَّا كان على الأفضل من ثياب الدَّم، فإنها لم تُنْزع عنه، وعند كمال غسله دفع للدّاعى ألف دينار.

فلمَّا كان فى الثالثة من نهار يوم الثلاثاء ثانى شوال: خرج التّابوت بالجمع الذى لا يُحْصى، والناس بأجمعهم رَجَّالة، وليس وراءهم راكب إلاّ الخليفة بمفرده وهو ملثّم. فلمَّا خرج التابوت من بلد مصر أمر الخليفة بركوب القَائد والمرتضى ولد الأفضل. وذكر أن الشيخ أبا الحسن بن أبى أسامة ركب حمارًا، فلمَّا وصلت الجنازة إلى باب زويلة ترجَّل القائد والمرتضى ومشيا، وبعث الخليفة خواصَّه إلى أخويه أبى الفضل جعفر وأبى القاسم عبد الصمد، وأمرهُمَا إذا وصل التّابوت إلى باب الزهومة أن يخرجا بغير مناديل، بعمائم صغار وطيالس، فإذا قضيا ما يجب من حقّ سلام الخليفة سلما على القائد أبى عبد الله بمثل ما كانا يسلّمان على الأفضل، ويمشيان معه وراء التابوت. فاعتمدا ذلك. فاستعظم النّاس هذه الحالة والمكارمة، ولم يزالا مع النّاس وراء التّابوت إلى أن دخل من باب العيد.

فلمَّا صار التابوت فى وسط الإيوان همَّ الخليفة بأن يترجل، فسارع إليه القائد

والمرتضى، وصاح الناس بأجمعهم: «العفو يا أمير المؤمنين». عـدّة مِـرَارٍ. فـترجّل الخليفـة على الكرسىّ، وصلّى عليه، ورُفع التابوت فمشى وراءه، وركب الخليفة الفرس على مـا كان عليه، ونزل التربة ظاهر باب النّصر ووقفَ على شفير القبر إلى أن حضـر التـابوت. واستفتح ابن القارح المغربى، وقرأ: ﴿**وَلَقَدْ جِئْتُمُونَـا فُـرَادَى كَمَـا خَلَقْنَـاكُمْ أَوَّلَ مَـرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ**﴾[1] الآية. فوقعت من الناس موقعا عظيما، وبكوا، وبكى الخليفة، وهمَّ بنزول القبر لِيُلْحِده بيده، ثم أمر الدّاعى فنَزَل وألْحدَه والخليفةُ قـائمٌ إلى أن كملت مُواراتُه، ثم ركب من التُّربة والنّاس بأجمعهم بين يديه إلى قصره.

وأخرج من قاعة الفِضَّة بالقصر ثلاثون حسـكة، وثلاثـون بخـورا مكمَّلـة، وخمسـون مثقال ندٍّ وعود، وشمع كثير، فأشعلت الشموع إلى أن صلّـى الصَّبـح وأطلـق البخـور، واستقرَّ جلوس النّاس، فصلّى القاضى بالنّاس، وفُتح باب مجلس الأفضـل المعلّـق بالسُّـتور الفرقوبى الذى لم يكن حظّه منه إلا جوازُه عليه قتيلا. ورفعت السّتور، وجلس الخليفـة على المخادّ الطّرِيَّة التى عُمِلت فى وسـطه، وسـلّم النّـاس على منـازلهم، وتُلِـى القـرآن العظيم. وتقدمت الشعراء فى رثائه إلى أن استحقَّ الختمُ فَختم. ثم خرج القائد والأمـراءُ إلى التُّربة فكان بها مثل ما كان بـالدَّار مـن الآلات والبخـور. وعُمِـل فـى اليـوم الثـانى كذلك.

وكان عمُر الأفضل يوم مات سـبعًا وخمسـين سـنة، ومـدَّةُ ولايتـه ثمانيـة وعشـرون عامًا[2]. ويقال إنَّ الآمر وافق المأمونَ على قتله، فرتّب له من قتله.

ثم أمر أن يكتب سجلٌّ بتعزية الكافة فى الأفضل والثّنـاء علـى خصائصـه ومسـاعيه، وإشْعارِهم بصرف العناية إليهم ومدِّ رِوَاق العدل عليهم، وتفريقه على نسـخ تتلـى علـى رُءُوس الأشهاد وبسائر البلاد. فكُتب ما مثالُه:

«هذا كتاب من عبد الله ووليِّه المنصـور أبـى علـىٍّ، الإمـام الآمـر بأحكـام اللـه أمـير المؤمنين بما رآه وأمر به من تلاوةٍ على كافّة مَن بمدينة مصر - حرسها الله تعـالى - مـن الأشراف والأمراء ورجال العساكر المؤيدة على اختلاف طبقاتهم، فارسـهم ومترجَلهم وراجلهم، والقُضاة والشهود والأمـاثل، وجميـع الرَّعايـا، بـأنكم قـد علمتـم مـا أحدثتـه الأيام بتصاريفها، وجـرت بـه الأقـدار علـى عادتهـا ومألوفهـا مِـنْ فقـد السـيّد الأجـلّ

---

(١) سورة الأنعام آية ٩٤.

(٢) انظر: ابن خلدون ٤/٧٠ وابن الأثير ١٠/٢٠٩ وابـن خلكـان ١/٢٢١ ومـرآة الزمـان ٨/١٠٤ والنجـوم الزاهـرة ٥/٢٢٢ ومـرآة الجنـان ٣/٢١١ والبدايـة والنهايـة ١٢/١٨٨ - ١٨٩ وابـن الوردى ٢/٢٨ والأعلام ١/١٠٣.

Marfat.com

الأفضل ونعوته - قدّس الله رُوحه، ونوّر ضريحه، وحشره مع مَوَاليه الطّاهرين الذين جعلهم أعلام الهدى ومصابيحه - الذى كان عماد دولة أمير المؤمنين وحمّال أثقالها، وعلى يديه وحسن سيرته اعتمادها ومعوّلها، وتخطّى الحمام إليه، واخترام المنيّة إيّاه وتسلّطها عليه، وما تدارَكَ اللهُ الدَّولة به من حِفْظ نظامِها، واسْتتار أمورها بعد هذا الفادح العظيم والتئامها، وما رآه أمير المؤمنين من تهذيبه الأمور بنظره السّعيد، ومباشرته إيّاها بعزمه الشّديد ورأيه السّديد، واهتمامه بمصالح الكافة، وإسباغ ظلّ الإحسان عليهم والرأفة حتى أصبحت الدَّولة الفاطمية بذلك ظَلِيلَة المناكب، منيرة الكواكب، ومحروسة الأرجاء والجوانب».

«ولما كانت همَّة أمير المؤمنين مصروفة إلى الاهتمام بكم، والنظر فى مصالحكم، والإحسان إليكم، وتأمين سَرْبكم وإعْذاب شَرْبكم، ومدّ رواق العدل عليكم، وإنصاف مظلومكم من ظالمكم، وضعيفكم من قويّكم، ومشروفكم من شريفكم، وكفّ عوادى المضارّ بأسْرها عنكم، وتمكينكم من التصرف فى أديانكم على ما يعتقدُه كلٌّ منكم، جارين على رسْمكم وعادتكم، من غير اعتراضٍ عليكم - رأى ما خرج به عَالِى أمره من كتب هذا السِّجل وتلاوته على جميعكم، لتثِقوا به، وتسكنوا إليه، وتتحققوا جميل رأى أمير المؤمنين فيكم، وأنه لا يشغله عن مصالح الكافّة شاغل، وأنَّ باب رحمته مفتوحٌ لمن قصده، وإحسانه عميم شامل، وله إلى تأمُّل أحوال الصَّغير والكبير منكم عينٌ ناظرة، وفى إحسان سياستكم عزيمة حاضرة وأفعال ظاهرة، والله تعالى يمده بحسن الإرشاد، ويبلغه المراد فى مصالح العباد والبلاد، بمنّة وعَوْنه. فاعلموا هذا من أمير المؤمنين ورسمه، وانتهوا إلى موجبه وحكمه وليعتمد الأمير متولّى المعونة بمصر تلاوته على منبر الجامع العتيق بمصر لِيعيه كلُّ من سمعه، ويصلَ علمُ مضمونه إلى من لم يحضُر قراءته، ليتحقّقوا ما ذكر فيه وأُودِعَه، ولْيحْملِ النّاسُ على ما أمرتهم فيه، ولْيحْذَر من مجاوزته وتعدّيه، ولْيُقْرأ بالجامع المذكور ليقع التّصفّح والتأمل فى اليوم وما يليه إن شاء الله تعالى».

ثمَّ أمر الخليقة بإنشاء منشور يُتْلى، مضمونه: «خرج أمْر أمير المؤمنين، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين، بإنشاء هذا المنشور بأن يُعتمد فى ديوان التحقيق والمجلس وسائر دواوين الدَّولة، قاصيها ودانيها، قريبها ونائيها، إمضاءُ ما كان السيد الأجلُّ الأفضل قرَّره، وخرجت به توقيعاته الثابتة عليها علامته فى الأحكام والأموال بتصاريف الأحوال، إذ أمْرُ أمير المؤمنين راضٍ بأفعاله، محقّق لأقواله، حامدٌ لمقاصده، مُمْضٍ لأحكامه، عارفٌ بسداد رأيه فى نَقْضه وإبرامه، على أوضاعها وأحكامها، وتقريراته فى كلٍّ منها. فلْيحذَر كافّة الأمراء وسائر الولاة - نصرهم الله

Marfat.com

وأظفرهم - وجميع النّواب والمستخدمين، والكتّاب والمتصرّفين بجميع الأعمال من تـأوّلٍ فيه، أو تعقيد يغيرٌ شيئًا من أحكامها على ما قرّره وأمـر بـه. ولْيُجلّدْ هـذا المنشور فـى ديوان التحقيق والمجلس بعد ثبوته فى جميـع الدّواويـن، وليصـدر الإعـلان بـه إلى كافـة الجهات بهذا المرسوم، تثبيتا لهذا الأمر المذكور المحتوم، إن شاء الله تعالى».

وفى السّادس والعشرين من شـوّال: عمـل تمـام الشـهر علـى تربـة الأفضـل، كمـا عملت الصّبحة والثالث. فلمّا انقضى الخَتم وانصرف الناس ركب الخليفة بموكبه. ونزل إلى التربة، وترحّم عليه وعاد. ذكر هذا جمال الملـك موسـى بـن المـأمون البطـائحى فـى تاريخه.

وقال ابن ميسّر: «وأقام الخليفة فى دور الأفضل، وفى دار الملـك بمصـر ودار الـوزارة بالقاهرة وغيرهما مدة أربعين يوما، والكُتّاب بـين يديـه يكتبـون مـا يُنقـل إلى القصـور، فَوُجد لَهُ من الذخائر النفيسة ما لا يحصى. فمِمّا وجد لـه ستة آلاف ألـف دينـار عينـا، وفى بيت الخاصة ثلاثة آلاف ألف دينار، وفـى البيـت البرّانى ثلاثـة آلاف ألـف ومائتـا ألف وخمسون ألف دينـار، ومـائتين وخمسـين إردبًـا دراهـم ورِقًـا، وثلاثـين راحلـة مـن الذّهب العراقى المغزول برسم الرقم، وعشرة بيوت فى كل بيـت عشـرة مسـامير ذهـب كل مسمار وزنه مائتا مثقال عليهـا العمـائم المختلفـة الألـوان، وتسـعمائة ثـوب ديبـاج ملوّنة، وخمسمائة صندوق من دقّ دمياط وتنيس برسـم كسـوة بدنـه، ولعبـة مـن عنبر على قدر جسده برسم ما يُعمل عليها من ثيابه لتكتسب الرائحة، ومن الطّيـب والآلات ما لا يُحصى عدده، ومن الأبقـار والجـاموس والأغنـام والجمـال مـا بلـغ ضمـان ألبانـه ونتاجه فى سنة نحـو أربعـين ألـف دينـار، ودوايـة يكتـب منهـا مرصّعـة بـالجواهر، قُـوّم جوهرها باثنى عشر ألف دينار، وخمسمائة ألف مجلّدة من الكتب العلمية».

قال: «وأخذ الآمر فى نقل ما بدار الأفضل إلى القصر، وهو يرتب ما يُحمـل بنفسـه، هو وأصحابه، واستمرّ ذلك مدّة شهرين وأيام، والأموال تُحمل علـى بغـال وجمـال إلى القصر، والآمر يطلع إلى القصر ويعودُ كلّ غداة، ويقيم حتى يرتفـع النّهـار، ويرتّـب مـا يفعل».

وذكر متولى الخزانة بالقصر أن مما وجد فى دار الأفضل سـتة آلاف ألـف وأربعمائـة ألف دينار، ووَرِقٌ قيمته مائتا ألف وعشرون ألف دينار، وسبعمائة طوق مـا بـين ذهـب وفضة، ومن الأسطال والصحاف والشـربات والأبـاريق والقـدور والزبـادى[1] الذهـب

---

(١) هى وعاء يشرب به.

Marfat.com

والفضة المختلفة الأجناس مـا لا يُحصى كثرة، ومـن برانـى[1] الصينـى الكبـار المملـوء بالجواهر التى بعضُها منظوم كالسُّبح وبعضها منثور شىء كثير.

وكان الأفضل فى أوقات الشرب يصُفُّ فى مجلسه صوانى الذهـب وبينهـا البرانى المملوءة بالجواهر، فإذا أحب فرغب البرنيَّة فى الصينيَّة فتكون ملئها.

ووُجد له من أصناف الدِّياج وما يجرى مجراه من عتـابى ونحـوه تسـعون ألـف ثـوب وثلاث خزائن كبار مملوءة صناديق كلُّها دبيقى وشرب عمل تنِّيس ودميـاط، علـى كـل صندوق شرح مـا فيـه وجنسـه، وخزانـة الطِّيـب مملـوءة أسـفاطا، فيهـا العُـودُ وغـيره، مكتوب على كل سفط وزنه وجنسه، وبرانى بهـا المسـك والكـافور وشـىء كثـير مـن العنبر، ووُجد مجلس يجلس فيه للشرب فيه ثمان متقابلات، أربعٌ منهن بيضٌ مـن كـافور وأربعٌ سُودٌ من عنبر، قيام فـى المجلـس، عليهـنَّ أفخـر الثيـاب وأثمـن الحلـى، بـأيْديهنَّ مذاب من أعظم الجوهر، فإذا دخل من بـاب المجلـس ووَطِئ العتبـة نكَّسْـنَ رُءوسَـهُنَّ خدمة له بحركات قد أحْكمت، فإذا جلس فى صدر المجلس استَوَيْن قائمات.

ووُجد له من للقاطع والسُّتور والفرش والمطارح والمخاد والمساند الدّيبـاج والدَّبيقـى الحريرى والذهب علـى اختـلاف الأجنـاس أربـع حُجَـر، كـلُّ حُجـرة مملـوءة مـن هـذا الجنس. ووُجد له عدَّة صناديق ملء خزانة فيها أحقاق ذهب عراقى برسـم الاسـتعمال. ووجد له منقلات عدة تزيـد علـى المائـة، ملبَّسـة بـالذَّهب والفضـة، مرصعـة بـالجوهر، وثمانمائة جارية منها خمسة وستون حظيَّةٍ لكلِّ واحدة حجرة وخزائـن مملـوءة بالكسـوة والآلات الذهب والفضة من كل صنف.

وكان فى مخازنه تحت يد عماله والجباة وضمان النّواحى من المال والغـلال والحبـوب والقطن والكتّان والشَّمع والحديد والخشب وغير ذلك ما يتعب شرحه.

وحُمِل من داره أربعة آلاف بساط، وستون حملا طنـافس، وخمسـمائة قطعـة بلُّـور، وخمسمائة قطعة محكم برسم النقل، وألف عِدْل من متاع اليمن والمغرب، وتسـعة آلاف سرج.

قال ابن ميسر: «وكان الأفضل من العدل وحسن السِّـيرة فـى الرَّعيـة والتُّجـار علـى صفةٍ جميلة تجاوز ما سُمِع به قديمًا وشُوهِد أخـيرا، ولـم يُعْـرف أحـدٌ صُـودِر ولا ضبـط عليه. ولما حصر الإسكندرية كان بها يهودىٌ يبالغ فى سبِّه وشتمه ولعْنـه، فلمَّـا دخـل الأفضل البلد قبض عليه وقدَّمه للقتل وقد عدَّد عليـه ذنوبـه، فقـال اليهـودى: «إنَّ معـى

---

(١) هى إناء من الخزف اللامع.

Marfat.com

خمسة آلاف دينار، خذها منىّ واعتقنى واعف عنىّ». فقال: «والله لولا خشية أن يقال قتله حتى يأخذ ماله لقتلتك»، وعفا عنه ولم يأخذ منه شيئًا. وكان إذا غضب على أحد اعتقله ولم يقتله، فلمَّا مات أطلق من سجنه عشرة آلاف إنسان، فإنه كان إذا اعتقل أحدًا نسيه ولا يرى بإخرابه».

وكانت محاسنهُ كثيرة. وهو أوَّل من أفرد مال المواريث ومنع مِن أخْذِ شيءٍ من التركات على العادة القديمة، وأمر بحِفظها لأربابها، فإذا حضر من يطلبها وطالعه القاضى بثبوت استحقاقه أمره فى الحال بإطلاق ما ثبت له. واجتمع بمودع الحكم من مال المواريث التى تنتظر وصول مستحقّها من شرق الدُّنيا وغربها مائة ألف وثلاثون دينار، فرفع إليه قاضى القضاة ثقة الملك أبو الفتح مسلم بن على الرأس عينى[1] لما وَلِى أن «قد اعتبرت ما فى مودع الحكم من مال المواريث فكان مائة ألف دينار، ورَفْعُها إلى بيت المال أوْلى من تَرْكِها فى المودع، فإن لها السّيرة الطويلة لم يُطلب شىءٌ منها». فوقّع رُقْعته: «إنما قلدناك الحكم ولا رأى لنا فيما لا نستحقّه، فاتركْه على حاله لمستحقّيه ولا تراجع فيه». فأخذها هذا القاضى غرفًا.

وبلغ ارتفاع خراج مصر فى أيامه لسنةٍ خمسة آلاف ألف دينار، ومتحصّل الأهراء[2] ألف ألف إردب. وبنى فى أيّامه من المساجد والجوامع جامع الفيلة بالجرف المعروف بالرَّصَد والمسجد المعروف بالجيوشى على سطح الجبل. وبنى مِئذنة جامع عمرو بمصر الكبيرة والمئذنة السعيدة به أيضًا والمئذنة المستجدة وجامع الجيزة. وعمل خيمة الفرح التى سُمِّيت بالقاتول، اشتملت على ألف ألف وأربعمائة ألف ذراع من الثياب، وقائم ارتفاع العمود الذى لها خمسون ذراعا بذراع العمل، وبلغت النفقة عليها عشرة آلاف ألف دينار. وللشعراء فيها عدة مدائح.

وكان الأفضل يقول الشعر. فمن شعره فى غلامه تاج المعالى:

---

(١) نسبة إلى مدينة رأس العين: هى مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ودنيسر، وبينها وبين نصيبين خمسة عشر فرسخا. انظر: معجم البلدان ٣/١٣، ١٤، وفى الروض المعطار رأس عين: وبعضهم يقول رأس العين، واسمها عين الوردة، من كور الجزيرة وبمقربة من نصيبين، وبينها وبين الفرات أربعة فراسخ، وهى كلها بين الجزيرة والشام، وهى مدينة كبيرة عليها سوران، وهذا الاسم لها صادق حدًا، فإن الله تعالى فجَّر أرضها عيونًا وأجرها ماء معينا فتقسمت مذانب وانسابت جداول. انظر: الروض المعطار ٢٦٤، ٢٦٥، رحلة ابن جبير ٢٤٢، ٢٤٤، ومعجم ما استعجم ٢/٦٢٣، وابن حوقل ٢٠٠، والكرخى ٥٣.

(٢) الأهراء: هى المخزن الذى يجمع فيها الغلال.

Marfat.com

أقضيبٌ يَمِيسُ، أم هو قدُّ أو شقيق يَلُوح، أو هو خدُّ
أنا مثل الهلال خوفًا عليه وهو كالبَدْر حين وافاهُ سعد

وكان شديد الغيرة على نسائه. اطّلع من سطح داره فرأى جارية من جواريه متطلعة إلى الطريق، فأمر بضَرْب عنقها. فلما وُضِعت الرأس بين يديه أنشد:

نظرت إليها وهى تنظر ظلّها فنزَّهت نفسى عن شريك مقارب
أغار علي أعطافها من ثيابها [...][1] ومن مسك لها فى الذّوائب
ولى غيرة لو كان للبدر مثلها لما كان يرضى باجتماع الكواكب

قال: وكان عدَّة الوُعَّاظ والقرّاء والمنشدين فى عِزاء الأفضل أربعمائة وعشرين شخصًا، فخرج أمر الخليفة أن يُعطى كلُّ واحد منهم ثمانين دينارا، الصغير مثل الكبير، فقال ابن أبى قيراط: «يا مولانا، هذا مال كثير». فقال: «إنْفاذُ أمرنا هذا مِنْ بعض حقّه علينا». فجاء مبلغ ما دُفِع نَحْوًا من أربعة وثلاثين ألف دينار.

قال: والأفضل هو الذى أنشأ بستان البعْل[2]، والمنتزه المعروف بالتّاج[3]، والخمس وجوه، والبستان الكبير، والبستان الخاص بقليوب، وجدَّد بستان الأمير تميم ببركة الحبش، وأنشأ الرّوضة بحرى الجزيرة، وكان يمضى إليها فى العشاريات الموكبيّة، رحمه الله.

فى مستهل ذى القعدة: خُلِع على القائد أبى عبد الله بن فاتك بذلة مذهَّبة بشدَّة الخليفة الدَّاعية، وحلّت المنطقة من وسطه، وخلع على ولده بذلة مذهبة وحلّت منطقته أيضًا، وعلى جميع إخوته بمثل ذلك.

واستمر يُنْفِذ الأمور لا يخرج شىء عن نظره إلى مُسْتهل ذى الحجة، ففى يوم الجمعة ثانيه خُلِع عليه من ملابس الخاصّ الشريفة فى فرد كمّ مجلس العيد، وطوّق بطوق ذهب مرصَّع، وسيف ذهب مرصَّع، وسلّم على الخليفة، فأمر الخليفة الأمراء وكافّة الأستاذين المحنّكين[4] بالخروج بين يديه، وأن يركب من المكان الذى كان الأفضل يركب منه. ومشى فى ركابه القوّاد على عادة مَنْ تقدَّمه، وخرج بتشريف الوزارة، ودخل من باب العيد راكبًا، ووصل إلى داره، فضاعف الرسوم وأطلق الهبات.

وفى خامسه: اجتمع الأمراء واستدعى الشيخ أبو الحسن بن أبى أسامة، فحضر

---

(١) بياض فى الأصل.
(٢) كان هذا البستان بجانب الخليج أنشأه بها الأفضل.
(٣) من الأماكن التى كان الفاطميون يستخدمونها للنزهة.
(٤) هم الخدام والطواشية ومنهم أرباب وظائف القصر.

Marfat.com

بالسجلّ فى لفافة خاصٍّ مذهبة فسلّمه الخليفة إلى الأجل المأمون من يده، فقبّله وسلّمه لزمام القصر، وأمر الخليفةُ المأمونَ فجلس عن يمينه، وقُرِئَ السِّجلُّ على باب المجلس، وهو أول سجل قرئ بهذا المكان، وكانت سجلات الوزراء قبل ذلك تقرأ بالإيوان. ورسم للشيخ أبى الحسن أن ينقل نسبة الأمراء والمحنّكين والناس جميعهم من الآمرى إلى المأمونى، ولم يكن أحد قبل ذلك ينتسب للأفضل ولا لأمير الجيوش. وقُدّمت للمأمون الدَّواة فعلم فى مجلس الخليفة، وتقدم للأمراء والأجناد فقبّلوا الأرض وشكروا هذا الإحسان. وأحضرت الخلع، فخلع على حاجب الحجاب حسام الملك وطُوِّق بطوق ذهب وسيف ذهب ومنطقة ذهب، وخلع على الشيخ أبى الحسن بن أبى أسامة كاتب الدست، وعلى الشيخ أبى البركات بن أبى اللّيث، وعلى أبى الرِّضا سالم بن الشيخ أبى الحسن، وعلى أبى المكارم أخيه، وعلى أبى محمَّد أخيهما، وعلى أبى الفضل يحيى بن سعيد المَيْمَذى[1] ووُصل بدنانير كثيرة بحكم أنه قرأ السِّجِل. وخُلع على أبى الفضائل ابن أبى الليث صاحب مغفر المجلس. ثم استدعى غذى المَلك سعيد بن عمّار الضيف متولى أمور الضيافات والرسل الواصلين الحضرة من جميع الجهات وأخذ أقلامه على التوقيعات فخلع عليه. وفى الأيام الأفضلية لم يكن أحد يدخل مجلسه ولا يصل لعتَبته لا مِنَ الحُجَّاب ولا غيرهم سوى غذى الملك هذا، فإنه كان يقف من داخل العتبة، وكانت هذه الخدمة إذْ ذَاك من أجلّ الخدم وأكبرها.

وقَال أبو الفتح ابن قادوس[2] فى مدح المأمون، وقد زيد فى نعُوته:

قالوا أتاه النّعت وهو السيد الْـ ـمَأمون حقًّا والأجلُّ الأشرف
ومغيث أمة أحمد ومُجيرُها ما زادنا شيئًا على ما نعرف

وذلك أنه نُعِت فى سجلّه المقروء على الكافة بالأجلّ المأمون، تاج الخلافة، وجيه الملك، فخر الصنائع، ذخر أمير المؤمنين، ثم تجدَّد له فى نعوته بعد ذلك الأجل المأمون، تاج الخلافة، عز الإسلام، فخر الأنام، نظام الدين والدنيا، ثم نُعِت بما كان يُنعت به الأفضل، وهو السيد الأجلُّ المأمون، أمير الجيوش، سيف الإسلام، ناصر الإمام، كافل قضاة المسلمين، وهادى دعاة المؤمنين.

---

(١) نسبة إلى ميمذ وهى مدينة بأذربيجان. انظر: معجم البلدان ٥/٢٢٤، ٢٤٥.

(٢) محمود بن إسماعيل بن حميد الدمياطى أبو الفتح، المعروف بابن قادوس: منشئ من الشعراء. كان كاتب الإنشاء بمصر. ونعته ابن ميسر بالقاضى المفضل كافى الكفاة. وكان القاضى الفاضل يلقبه بذى البلاغتين الشعر والنثر، له: «ديوان شعر». توفى بمصر. انظر: أخبار مصر ٢/٩٧ وكشف الظنون ٧٦٧ وحسن المحاضرة ١/٢٥٨ والأعلام ٧/١٦٦.

Marfat.com

ولما استمرَّ نظر المأمون للدَّولة بالغ الخليفة فى شكره، فقال له المأمون: «ثمَّ كلامٌ يحتاج إلى خلوة»، فأمر بخلوِّ المجلس. فقال: «يا مولانا، امتثال الأمر متعب، ومخالفته أصعب، وما تتسع خلافة قدَّام آمر الدولة، وهو فى دست خلافته، ومنصب آبائه وأجداده، وما فى قُوايَ ما يَرومُه، ويكفينى هذا المقدار، وهيهات أن أقوم به والأمر كبير». فتغير الخليفة وأقسم: إن كان لى وزير غيرك! فقال المأمون: «لى شروط، وقد كنت مع الأفضل وكان اجتهد فى النعوت وحلَّ المنطقة فلم أفعل، وكان أولاده يكتبون إليه بكونى قد خُنتُه فى المال والأهل، وما كان والله العظيم ذلك منى يوما قط، ومع ذلك معاداة الأهل جميعهم، والأجناد، وأرباب الطَّيالِس والأقلام، وهو يعطينى كلَّ ورقة تصلُ إليه منهم وما يسمع كلامهم». فقال الخليفة: «فإذا كان فعل الأفضل معك ما ذكرته، إيش يكون فِعْلى أنا؟» فقال: «يُعرِّفنى المولى ما يأمر به فأمْتَثِلُه بشرط ألاَّ يكون عليه زائدًا». فأوَّل ما ابتدأ به أن قال: «أريد الأموال لا تبقى إلاَّ بالقصر ولا تِصل الكسوات من الطراز[1] والثغور إلاَّ إليه ولا تُفرَّق إلاَّ منه، وتكون أسْمِطة الأعياد فيه، وتوسَّع فى رواتب القصور من كلِّ صنف، وزيادة رسم منديل الكمِّ». فقال المأمون: «سمعا وطاعة، أما الكسوات والجبايات والأسْمِطة فما تكون إلا بالقصور، وأمَّا توسعة الرَّواتب فما ثَمَّ من يخالف الأمر، وأما منديل الكم، فقد كان الرَّسم فى كل يوم ثلاثين دينارا يكون فى كل يوم مائة دينار، ومولانا، سلام الله عليه، يشاهد ما يعمل بعد ذلك فى الرُّكُوبات وأسمطة الأعياد وغيرها». ففرح الخليفة. وقال المأمون: «أريد بهذا مَسْطورًا بخطِّ أمير المؤمنين، ويُقسم لى فيه ألاَّ يلتفت لحاسدٍ ولا ينقبض، ومهما ذُكر عنىَّ يطلعُنى عليه، ولا يأمر فىَّ بأمرٍ سرًّا ولا جهرًا يكون فيه ذهاب نفسى وانحطاط قدرى، وتكون هذه الأيمان باقية إلى وقت وفاتى، فإذ تُوفِّيت تكون لأولادى ولمن أخلفه بعْدى».

فحضرت الدَّواة، وكُتِب ذلك جميعه، وأشهد الله فى آخرها على نفسه. فعندما حصل الخطُّ بيد المأمون وقف وقبَّل الأرض، وجعله على رأسه، وكان الخطُّ نسختين، فلمَّا قُبض على المأمون فى رمضان سنة تسع عشرة وخمسمائة، كما سيأتى إن شاء الله، أنفذ الخليفة طلب الأمان، فأنفذ إليه نسخة منهما فحرقها وبقيت النسخة الأخرى فأعدمت.

وفيها أنشأ المأمون الجامع الأقمر بالقاهرة[2]، وكان مكانه دكاكين علافين.

---

(١) المراد دار الطراز.

(٢) الجامع الأقمر: بناه الآمر الفاطمى.

Marfat.com

فى هذه السنة: هبت بمصر ريح سوداء ثلاثة أيام، فأهلكت شيئًا كثيرا من الناس والحيوان.

سنة ست عشرة وخمسمائة

فى المحرم: كان المولد الآمرى[1]، وتقرَّر السَّلام على الخليفة فى يومى الاثنين والخميس، فأما فى يومى السبت والثلاثاء فيركب الوزير بالرهجية إلى القصر، ويركب الخليفة إلى ضواحى القاهرة للنزهة، وأما الأحد والأربعاء، فيجلس الوزير المأمون فى داره على سبيل الراحة.

فى صفر: سب أحد صبيان الخاصّ الآمرى صاحب الشرع وشُهِد عليه، فضُرِبت عُنُقه وصُلِب.

فيه وصل فخر الملك أبو على عمَّار بن محمد بن عمَّار، صاحب طرابلس، وكانت الدولة، قد حَوَّلت الثغر فى أيديهم على سبيل الولاية، فلمَّا جاءت الشدائد تغلّبوا عليه، ثم جاءت الدولة الجيوشيَّة فخافوا مما قدَّموه فلم يرموا أيديهم فى يدها ولا وثقوا بما بُذِل لهم من الصَّفح عن وُلاَتهم. ومضى ذلك السَّلف، وخَلَفهم القاضى فخر الملك هذا فى الأيام الأفضليَّة، فجرى على تلك الوتيرة، ودفع إلى محاصرة الفرنج له مدة سبع سنين، فضاق خناقه، وأيس، فخرج من طرابلس إلى العراق مستنجدًا فلم يجد ناصرًا. واختلّت أحواله، وعاد إلى دمشق وقد ملك الفرنج طرابلس فسار إلى مصر. وقال فى كتابه: والمملوك لم يَصِلْ إلى هذه الوجهة إلاّ وقد علم أن له من الذنوب السالفة ما يستحقُّ به القتل، وقتْله بسيوف هذه الدولة عدل وإحياء له وتشريف، وفخر يكفرُّ عنه بعض ذنوبه من كُفْر نعمتها، فإن خرج الأمر بذلك فمِنّة كريمة، وإنْ خُفِّف عنه فتخليدُه فى السجن أحبُّ إليه من رجوعه إلى تأميل غير هذه الدَّولة.

فلمَّا عرض هذا بالحضرة أدركته الرأفة بعد أن استفظع كلٌّ من الحاضرين أمره وأشير بإيقاع الحوطة عليه وإيداعه خزانة البنود. فقال المأمون للخليفة: «قد أجَلَّ الله عواطف مولانا ورحمَته من أن يهاجر أحد إلى أبوابه ويلجأ إلى عفوه فيخيب أمله ويؤاخذ بذنبه، وما بعد استسلامه إلا الشكر لله والعفو عن جرمه، فإن العفو زكاة القدرة عليه، ويشمله ما شمل أمثاله». فأعجب الخليفة الآمر ذلك، وخرج الأمْر بأن تعدَّد على ابن عمَّار ذنوبه وذنوب أسلافه ويقال له: قد أذهبت مهاجرتك ما كان يجب من عقوبتك». فإذا اعترف بذنوبه وذنوب أسلافه يقال له: «قد غُفِر ذنبك وأنت

(١) انظر: ابن خلكان ١٢٨/٢ وابن إياس ٦٢/١ والنجوم الزاهرة ١٧٠/٥ - ١٨٥ والكامل ١١٤/١٠، ٢٣٧ وخطط المقريزى ٢٩٠/٢ - ٢٩١ والأعلام ٢٩٧/٧.

Marfat.com

مخير بين أمرين، إما أن تعود فيصل إليك من الإنعام ما يُبلغك إلى حيث تريد ويَصْحبك مَنْ يوصلك إلى مأمنك، وإمَّا أنْ تؤثر الإقامة بفناء الدَّولة فتقيم على أنك تلزم ما يَعْنيك وتقنع بما يُنعم به عليك وتُقبل على شأنك، وتترك التعرُّض للمخالطات وتتجنب جميع المكروهات».

فلمَّا خوطب بذلك قبَّل الأرض وأبى أنْ يرفع رأسه ووجهه، وكلمَّا خوطب فى رفعه قال: «لست أرفعه حتى أتلقى كلمات العفو عن إمام زمانى وتمتلئ مسامعى بألفاظ مغفرته». فبلغته الحضرة النبوية ما تمنّاه، وحصل له الأمن، وأمر به إلى دار أعِدَّت له وجُعل فيها شهوات السَّمع والبصر، وحُمِلت إليه الضيافات الكثيرة، وجُرِّد برسم خدمته حاجب معه عدَّة مستخدمين. فأقام أيَّاما يسيرة ثم حُمِلت إليه الكسوات التى لا نظير لها، ووصله من المواهب ما أرْبى على أمله. وقُرِّر له، راتبا فى كل شهر، ستون دينارا مع مياومة الدقيق واللحم والحيوان. وصار يتعهد ما يُفتقد به أعيان الضيوف من بواكير الفاكهة المستغربة وأنواع التُحف المستظرفة ورسوم المواسم، ورفع عنه الحاجب والمستخدمون، وجُعِل له فى المواسم والأعياد من الكسوات الفاخرة ما يميزه عن أمثاله. ولزم طريقة حُمِدت منه، فاستمرَّ إليه الإحسان، وصار يركب فى يومى الركوب ويومى السلام وغيرها.

وفيه أفرج عن الأمير عَضْب الدَّولة عزّ الملك أبى منصور بنا، وكان له فى الاعتقال ثلاث عشرة سنة، لأنه كان وَالىَ عكّا وسلّمها إلى الفرنج، فلمَّا وصل رماه الأفضل فى الاعتقال، فلمَّا أفرج عنه أعيد عليه نظيرُ ما كان قُبِض عنه للاصطبلات والخزائن، ووُلى البحيرة.

وأفرج عن جماعة أمراء كانوا معتقلين، منهم أبو المصطفى جوهر، ودخل السجن وهو شاب فخرج منه وهو شيخ، وكانت مدّة اعتقاله خمس عشرة سنة.

فيه وصل رسول الشريف قاسم أمير مكة، الذى حضر فى الأيام الأفضلية بسبب أموال التجار، ومعه كتاب بتهنئة المأمون، فجهز إلى الأعمال القوصيَّة بالاهتمام بالجناب الدِّيوانيَّة وترميم ما يحتاج إلى المرمَّة، وتجديد عوض ما تلف، وأطلق له ثمانية آلاف وتسعمائة وأربعون إردبًّا برسم مكّة وتخوت ثياب وخلع ومال وبخور.

وفيه غلا الزيت الطيب والسيرج، فكتب المستخدمون فى الخزائن ومشارفة الجوامع بأن يكون المطلق برسم الوقود وفى المشاهد عوضًا عن الزَّيت الطيّب الزَّيت الحار، فخرج الجواب بالتحذير من ذلك وبألاّ يطلق إلا الزيت الطيب، ولا يلتفت إلى غلو السعر فى الخدم التى هى من حق الله تعالى فلا يجب الرُّخصة فيه ولا يُنقص من المطلق

Marfat.com

شيء. وبلغ المأمون أنَّ مشارف الجوامع والمساجد اشترى من ماله صبرًا وخلطه بالزيت لمنع القَومَة من التعرُّض لشيء منه، فأنكر ذلك وأمر بإحضاره وأن يُقوَّم من ماله بثمن الزيت الذى فيه الصَّبر، ويطلق الزيت المستقرُّ إطلاقُه على تمامه. وقيل له: قومة الكنائس والمقيمون بها والطارقون لها لا يقتاتون إلاَّ من فضلات وقُود كنائسهم، ونحن نبيح لهؤلاء الأكل ونحرِّم عليهم البيع.

وتقدم الأمر بعمل حساب الدَّولة من الهلالىّ والخراجىّ على جملتين، إحداهما إلى سنة عشر وخمسمائة والثانية إلى آخر سنة خمس عشرة وخمسمائة، فانعقدت على جملة كثيرة من عين وأصناف، وشرحت بأسماء أربابها وتعيين بلادها. فلما حضرت أمر بكتابة سجلٍّ بالمسامحة إلى آخر سنة عشر وخمسمائة، ومبلغ ما سُومح به من البواقى ألفا ألف وسبعمائة ألف وعشرون ألفا وسبعمائة وسبعة وستون دينارا، ومن الورِق سبعة وستون ألفا وخمسة دراهم، ومن الغلّة ثلاثة آلاف ألف وثمانمائة ألف وعشرة آلاف ومائتان وتسعة وثلاثون إردبًّا، ومن الأرز والكتان وحرق الصباغ وزريعة الوسمة والصباغ والفوة والحديد والزفت والقطران والثياب والمآزر والغرادلى شيء كثير، ومن الأغنام مائتا ألف وخمسة وثلاثون ألفا وثلاثمائة وخمسة رءوس، ومن البسر والنخيل والجريد والسَّلب والأطراف والملح والأشنان والرُّمان وعسل النحل والشمع وعسل القصب شيء كثير، ومن الأبقار اثنان وعشرون ألفا ومائة وأربعة وستون رأسا، ومن الدَّواب والسَّمن والجبن والصُّوف والشعر شيء كثير.

وقد تقدم ذكر نسخة هذا السِّجلّ عند ذكر الخراج من هذا الكتاب.

وقرئ منشورٌ بالجامع الأزهر وجامع عمرو بمصر بالمنع مما يُعتمد فى الدَّواوين من قبول الزيادة وفسخ عقود الضمانات وإعفاء الكافَّة من المعاملين والضُّمناء من قبول الزِّيادة فيما يتصرفون فيه ما داموا قائمين بأقساطهم.

فيه تحوَّل الخليفة الآمر إلى اللؤلؤة، وأقام فيها مدَّة النيل على الحكم الأول، وأزال ما أحدث من البناء بالقرب منها، وتحوَّل معه الوزير المأمون بن البطائحى والشيخ أبو الحسن بن أبى أسامة كاتب الدِّست وحاجب الحجاب حسام الملك، ورتبت الرَّهجيَّة والحرس، وأطلق لهم ما يقوم بهم. وصار الخليفة يمضى فى السراديب من اللؤلؤة إلى القصر فى يومى السلام، فلا يراه أحد سوى الأستاذين والخواصّ، ويحضر الوزير على عادته ويحمل الأسمطة ويحضر الناس على العادة، ويركب فى يومى الثلاثاء والسبت إلى المتنزهات.

Marfat.com

فيه تقدَّم الوزير بتجديد المشاهد التسعة[١] التى بين القرافة والجبل.

وكانت العادة جارية من الأيام الأفضلية فى آخر جمادى الآخرة من كل سنة أن تُغلق جميع قاعات الخمارين بالقاهرة ومصر وتختم، ويحذّر من بيع الخمر، فرأى الوزير أن يكون ذلك فى سائر الأعمال، فكتب إلى ولاة الأعمال وأن يُنادى بأن مَنْ تعرَّض لبيع شىءٍ من هذين الصِّنفين أو لشرائهما سِرا وجهرًا فقد عرّض نفسه لتلافها وبرئت الذمة من هلاكها.

لما كان مستهل رجب: عملت الأسمطة على العادة، فقال الخليفة الآمر لوزيره المأمون: قد أعدت لدولتى بهجتها، وقد أخذت الأيّام نصيبها من ذلك، وبقيت الليالى وقد كان بها مواسم وقد زال حكمها، وهى ليالى الوقود الأربع[٢]. فامتثل الأمر، وعُمِلت.

واستجدَّ فى كل ليلة على الاستمرار برسم الخاصَّيْن الآمرى والمأمونى قنطار سكر ومثقالا مسك ودينار ان برسم المؤن ليعمل خشكنان[٣]، وتشدُّ فى قعاب وسلال صفصاف، وكان يسمى بالقبعة، ويحمل ثلثا ذلك إلى القصر، والثلث إلى دار المأمون.

ووصلت كسوة الشتاء، فكانت أربعة آلاف قطعة وثلاثمائة وخمس قطع. ووصلت كسوة عيد الفطر وتشتمل على نحو عشرين ألف دينار، وكان عندهم الموسم الكبير، ويسمى بعيد الحُلل؛ لأن الحلل فيه تعمُّ الجميع، وفى غيره للأعيان خاصّة.

وعُمل الختم فى آخر شهر رمضان بالقصر، وعُبِّئ سماطُ الفطرة فى مجلس الملك بقاعة الذهب من القصر، فكان سماطًا جميعُه من حلاوة المؤسم. وصلّى الخليفة الآمر بالنّاس صلاة العيد فى المصلّى ظاهر باب النصر وخطب، وكان ذلك قد بطل فى الأيام الجيوشيّة والأفضلية.

وكان الذى أنفق فى أسمطة شهر رمضان عن تسعٍ وعشرين ليلة، خارجًا عن التوسعة المطلقة أصنافًا برسم الخليفة وجهاته، وخارجا عن العطيَّة، وخارجًا عن رسم القرَّاء والمُسَحِّرين وخارجًا عن الأشربة والحلاوات من ألعاب، ستة عشر ألف دينار وأربعمائة وستة وثلاثين دينارا. وجُملة ما قُدِّر على المُنفَق فى شهر رمضان، بما تقدَّم شرحه، والتوسعة والصَّدقات والفطرة[٤] وكسوة الغرَّة والعيد، مائة ألف دينار عينا.

---

(١) يقصد بها المشاهد التى كان الناس يتبركون بزيارتها.

(٢) ليالى الوقود الأربع هى: ليلة أول رجب، وليلة نصفه، وليلة أول شعبان، وليلة نصفه.

(٣) نوع من الحلوى يصنع من الرقاق على شكل حلقة يملأ وسطها باللوز.

(٤) حلوى عيد الفطر.

Marfat.com

وضُرب فى خميس العدس ألف دينار عملت عشرين ألف خرَّوبة، وكانت العادة أن يُضرب فى كلِّ سنة خمسمائة دينار.

وفى شوّال هذا: وصل شاور من أسر الفرنج، وكان مأسورًا من الأيام الأفضليَّة وطالت مدَّة أسره، وبذَلَت عشيرته فى افتكاكه جُملةً كبيرة، فلم يُقبل منهم، وطُلِب فيه أسير من الفرنج، فلم يُجبهُم إليه؛ لأنّه كان لا يُطلق أسيرا أبدًا. فلمَّا وَلىَ المأمون الوزارة وميز رُدَيْنى، مقدِّم العربان الجذاميِّين، وقبيلتَه، وشاور من بنى سعد - فخذٌ من جذام - وقف بجير، أخو شاور، وإخوتُه للمأمون، وما زالوا به حتى أطْلق الأسير، فأطْلق الفرنج شاورًا فى شوَّال، وأثبت فى الطّائفة المأمونية، وكان هذا ابتداء حديث شاور.

وفيه تنبه ذكر الطائفة النزارية[1]، وقرَّر بين يدى الخليفة بأن يُسيِّر رسولاً إلى صاحب ألموت بعد أن جُمعتْ فقهاء الإسماعيليَّة والإماميَّة، وهم ولىُّ الدَّولة أبو البركات بن عبد الحقيق داعى الدعاة، وجميع دعاة الإسماعيليَّة، وأبو محمَّد بن آدم متولى دار العلم، وأبو الثُّريا ابن مختار فقيه الإسماعيليَّة، ورفيقه أبو الفخر، والشريف ابن عقيل، وشيوخ الشرفاء، وقاضى القضاة، وأولاد المستنصر، وجماعة من بنى عمِّ الخليفة، وأبو الحسن بن أبى أسامة كاتب الدّست، وجماعة من الأمراء، وقال لهم المأمون: ما لكم من الحجَّة فى الرَّدِّ على هؤلاء الخارجين على الإسماعيلية. فقال كلٌّ منهم: لم يكن لنزارٍ إمامة، ومَنْ اعتقد هذا خرج عنْ المذهب وحلَّ ووجب قتله، وإن كان والده المستنصر نَعتَه وَلِى عهد المسلمين ونعت إخوته، منهم أبو القاسم أحمد بولىّ عهد المؤمنين، وكل مؤمن مسلم وما كل مسلم مؤمن، وقد نطق بذلك الكتاب العزيز.

وذكر حسين بن محمَّد المصلى أن اليازورى لم يزل يسأل المستنصر إلى أن كتب اسمه على الدينار، وهو ما مثاله:

ضربت فى دولة آل الهدى من آل طه وآل ياسين
مستنصرا بالله جل اسمه وعبده الناصر للدّين

فى سنة كذا، ولم يَقُم بعد ذلك إلا دُون الشَّهر، فاستعيدت وأمِر ألا تسطّر.

ودليل يعضِّد ذلك أنه لما جرت تلك الشدائد على الإمام المستنصر وسيّر أولاده، وهم: الأمير عبد الله إلى عكا إلى أمير الجيوش، ثم أتْبَعه بالأمير أبى على والأمير أبى

---

(١) تنسب إلى نزار بن معد بن على الفاطمى العبيدى.

Marfat.com

القاسم، والد الحافظ، إلى عسقلان، وسيَّر نزارًا إلى ثغر دمياط سيَّر الأعلى إلى[...][1]، ولم يسمح بسفر الإمام المستعلى ولا خروجه من القصر لما أهَّله له من الخلافة، ولا أبعده خوفا من حضور المنية، فلمَّا وصل أمير الجيوش إلى البلاد بعد تهيئتها وتأمينها ورغب الإمام المستنصر فى عقد نكاح ولده الإمام المستعلى على ابنته، أخت الأفضل، وعقد النكاح بنفسه، سمَّاه فى كتاب الصَّدَاق مَوْلَىَ عهد أمير المؤمنين، وعلَّم عليه بخطِّه. ثم عند وفاة المستنصر بايع نزار الإمامَ المستعلى بما شاهده كلُّ حاضر، وبما ذكرتْهُ السيدة ابنةُ الإمام الظَّاهر شقيقةُ الإمَام المستنصر فى صحة إمامته. فكُتِب الكتاب بجميع ذلك إلى صاحب ألُموت مُضمَّنًا بشهادة الجماعة بذلك.

ثمَّ وصل فى أثناء ذلك كتبٌ من خواصِّ الدَّولة تتضمن أنَّ القوم قد قويت شوكتُهم، واشتدت فى البلاد طَمْعَتُهم، وأنهم يُسيِّرون المال من التُّجَّار إلى قوم يخبرون أسماءهم، وأنهم سيَّروا لهم الآن ثلاثة آلاف دينار برسم النَّجوَى[2] وبرسم المؤمنين الذين ينزل الرُّسُل عندهم، ويختفُون فى محلهم، فتقدم المأمون بالفَحص عنهم والاحتراز التام على الآمر فى ركوبه ومُتنزَّهاته، وحفظ الدُّور وغيرها.

ولم يزل البحث التام فى طلبهم إلى أن وُجدوا عند قوم من أهل البلد، فاعترفوا بأنَّ خمسة منهم هم الرُّسُل الواصلون بالمال من البلاد المشرقيَّة، فراموا قتلَهُم، فأشار المأمون بتركهم. وأحْضِر الشيخ أبو القاسم بنُ الصيرفى، وأمِر بكَتْب سجلٍّ يقرأ على رءوس الأشهاد وتفرَّغ منه النسخ إلى البلاد بمعنى ما ذكر من نَفْى نزار عن الإمامة وشُهِّر الجماعة المقبوض عليهم وصُلبوا، وامتنع الآمر مِنْ قبض الألفى دينار الواصلة للنَّجوى وأمر بحملها إلى بيت المال، وأن تُنْفَق فى السُّودان عبيد الشراء خاصة. وأمر بأن يُحضَر من بيت المال نظير المبلغ، وتقدم بأن يصاغ قنديلين ذهبًا وقنديلين فضة، وأن يُحمْلَ قنديلان، ذهبا وفضة، إلى مشهد الحسين بعسقلان، وقنديلان كذلك إلى التربة. وأطلق المأمون من ماله ألفى دينار، وتقدم بأن يصاغ بها قنديل ذهب وسلسلة فضة برسمه على قياسٍ أُحْضر من عسقلان، وأن يصاغ على المصحف الذى بخط علىٍّ بن أبى طالب رضى الله عنه بمصر من فوق الفضة ذهب.

وأطْلق من حاصل الصَّناديق التى تشتمل على مال النجارى برسم الصدقات عشرة آلاف درهم تفرَّق فى الجوامع الثلاثة: الأزهر بالقاهرة، والعتيق بمصر، وجامع القرافة، وعلى فقراء المؤمنين وعلى أرباب القصور. وأطلق من الأهراء ألفا إردب قمحًا

---

(١) بياض فى الأصل.

(٢) نوع من الضرائب تفرض على أتباع المذهب الفاطمى.

Marfat.com

وتصدَّق عدَّة من الجهات بجُملةٍ كثيرة. واشتُرِيت عدَّة جوارٍ من الحجر[١] وكُتِب عِتْقُهنَّ وأطلِق سراحُهنَّ.

قال ابن ميسر[٢]، وقد ذكر هذا المجلس: وقد كانت أخت نزار فى قاعة بجانب الإيوان من القصر، وعلى الباب ستر، وعلى السِّتر إخوتُها وبنو عمِّها وكبار الأستاذين. فلمَّا جرى هذا الفصل قام المأمون من مكانه ووقف بإزاء السِّتر وقال: مَنْ وراء هذا الستر؟ فعرَّف بها إخوتُها وبنُو عمِّها، وأنه ليس غيرها وراء السِّتر. فلمَّا تحقق الحاضرون ذلك قالت: اشهدوا علىَّ يا جماعة الحاضرين، وبلغوا عنى جماعة المسلمين بأن أخى شقيقى نزارًا لم يكن له إمامة، وأننى بريئة من إمامته جاحدةٌ لها، لاعنة لمن يعتقدها، لما علمتُه من والدى وسمعته من والدتى، لما أمر المستنصر بمُضيِّها هى والجهة المعظمة والدة عبد الله أخى إلى المنظرتين اللتين على القناطر المعروفتيْن بالحرارة والبرياصة للنزهة أيَّام النيل جرى بينهما مشاجرة فى ولديهما، فأحضرهما المستنصر بين يَديْه، وأنكر عليهما، وقال: «ما يصِلُ أحد من ولديكما إلى الأمر، صاحبُه معروف فى وقته». وشاهدت والدى المستنصر فى مرضته التى توُفِّى فيها، وقد أحضر المستعلى، وأخذه معه فى فراشه، وقبَّل بين عينيه، وأسَرَّ إليه طويلاً، وقَدْ دَمَعت عيناه، وفى اليوم الذى انتقل والدِى فى ليلته استدعى عمّتى بنت الظّاهر، فأسَرَّ إليها من بيننا، ومدَّ يده إليها فقبلها وعاهدها، وأشْهَدَ الله تعالى معلنًا ومُظْهِرًا. فلمَّا انتقل فى تلك الليلة حضر صبيحتها الأفضل ومعه الدَّاعى والأمراء والأجناد، ووقف بظاهر المقرمة، ثم جلس وكلُّهم قيام، وأخذ فى التّعزية، ثم قال: «يا مولاتنا من ارتضاهُ للخلافة؟» فقالت: «هى أمانة قد عاهدنى عليها، وأوصانى الخليفة من بعده ولده أبو القاسم أحمد». فحضر وبايعتْهُ عمَّتى، وبايعه أخوه الأكبر عبد الله، فأشار الأفضل إلى نزار فبايعه، وأمَرَ بالتّوكيل على نزار وتأخيره، فأُخِّر إلى مكان لا يصلح له. واستدعى الأفضل الدَّاعى، وأمره بأخْذ البيعة من نَفْسه، ومن الموالى والأسْتاذِين. وسألت عمَّتى الأفْضَلَ فى نزار، فرفع عنه التّوكيل عليه بعد أن كلّمه بكلام فيه غِلْظة، ووالله ما مضى أخى نزار إلى ناصر الدَّولة أفتكين بالإسكندرية لطلب إمامة ولا لادِّعاء حق، ولكن طالب بالزوال للأفضل، وإبطال أمْره لِمَا فعل معه. والله يلعنُ من يُخالف ظاهرهُ باطنه. فشكرها الناس على ذلك.

---

(١) مكان يقع بجوار الوزارة.

(٢) محمد بن على بن يوسف بن ميسر، تاج الدين، أبو عبد الله مؤرخ مصرى، توفى بالقاهرة. من كتبه «تاريخ القضاة» و«ذيل تاريخ مصر للمسبحى». انظر: عيون التواريخ ومعجم المطبوعات ٢٦٠ ودار الكتب ١٧/٥ وكشف الظنون ٣٠٤ والأعلام ٢٨٢/٦.

Marfat.com

وكان سبب حضور أخت نزار فى هذا المجلس أنَّ المأمون قال للآمر: «قد كشفتُ الغطاء، وفعلتُ ما لا يقدر أحد على فعله، وأما القصر فما لى فيه حيلة». ولوَّح أن أخت نزار وأولادها لا يمكننى كشفُ أمرهم. فلمَّا بلغ أخت نزارٍ ذلك حضرت إلى الخليفة الآمر لتبرِّئ نفسها، ورغبت أن تخرج للنّاس لتقول ما سمعته مِنْ والدها وشاهدته ليكون قولها حجَّة على من يدَّعى لأخيها ما ليس له. فاستحسن الآمر ذلك منها، وأحْضَرَ المأمون وأخاه شَقيقهُ أبا الفضل جعفر بن المستعلى، واتّفقُوا على يوم يجتمعون فيه. فلمَّا كان فى شوَّال عُمِل المجلس المذكور.

وأما النزاريَّة فإنها تقول: إن المستنصر مات، والأفضل صاحب الأمر، والمستحوذ على المملكة، والجند جنده، وغلمان أبيه لا يعرفُون سواه، وكان نزار، لِمَا يَرَى من غلبة الأفضل على الدَّولة، يتكلّم بما بلغه، فينكره، فلمَّا مات المستنصر، والأفضل متخوف من شرَّ نزار، أقام أحمَد ابْنه، المستعلى؛ لأنّه زوج أخته؛ ولأنه صغير.

وفيها أراد الآمر أن يحضر إلى دار الملك فى يوم النّورُوز الكائن فى جمادى الآخرة ويركب إليها فى المراكب على ما كان عليه الأفضل، فمنعه المأمون من ذلك، وقال: «يا مولانا، الأفضل لا يجرى مجرى أمير المؤمنين»، وحمل إليه من الثياب الفاخرة برسم جهاته ما له قيمة جليلة.

وفى شوَّال: بلغ المأمون أن جزيرة قويسنا[١] ومنية زفتى[٢] ليس فيهما جامع، فتقدم إلى بعض خواصّه وخلع عليه، فسار وبنى جامعا على شاطئ النيل بمنية زفتى، وقرر فيه خطيبًا وإمامًا ومؤذنين، وفُرش، وأطلق برسمه نظيرُ ما للجوامع.

وفيه وصل الفقيه أبو بكر محمَّد بن محمد الفهرى الطرطوشى[٣] من الإسكندرية بالكتاب الذى حمله: «سراج الملوك»، فأكرمه وأمر بإنزاله فى المجلس المهيَّأ للإخوة، وتقدَّم برفع أدوية الكُتّاب، وأوطئة الحُسَّاب، وسلام الأمراء، وعمل السِّماط، وسارع

---

(١) قويسنا: كورة من كور مصر بين القاهرة والإسكندرية. انظر: معجم البلدان ٤/٤١٣.

(٢) منية زفتى: بلد بقرب الفسطاط من مصر، قرب شطنوف. انظر: معجم البلدان ٣/١٤٤.

(٣) محمد بن الوليد بن محمد خلف القرشى الفهرى الأندلسى، أبو بكر الطرطوشى، ويقال له ابن أبى رندقة: أديب، من فقهاء المالكية، الحفاظ من أهل طرطوشة بشرقى الأندلس تفقه ببلاده، ورحل إلى المشرق سنة ٤٧٦هـ، فحج وزار العراق ومصر وفلسطين ولبنان، وأقام مدة فى الشام. وسكن الإسكندرية، فتولى التدريس، واستمر فيها إلى أن توفى، وكان زاهدا لم يتشبث من الدنيا بشىء. من كتبه: «سراج الملوك» و«التعليقة» و«بر الرباط». انظر: وفيات الأعيان ١/٤٧٩ والديباج ٢٧٦ ونفح الطيب ١/٣٦٨ وآداب اللغة ٣/١٠٨ وحسن المحاضرة ١/٢٥٦ ودائرة المعارف الإسلامية ١/٧٧ والأعلام ٧/١٣٣، ١٣٤.

إلى البادهنج[١]، واستدعى بالفقيه. فلمَّا شاهده وقف، ونزل عن المرتبة، وجلس بين يديه، ثم انصرف، ومعه أخو المأمون إلى مكان أُعِدَّ له، وحُمِل إليه ما يحتاج له، وأمر مشارف الجوالى أن يحمل له فى كل يوم خمسة دنانير بمقتضى توقيع مقتضب، فامتنع الفقيه وأبى أن يقبل غير الدينارين اللذين كانا له فى الأيام الأفضلية. وصار المأمون يستدعيه فى يَومَىْ راحته، ويبالغ فى كرامته، ويقضى شفاعاته.

وكان السبب فى حضوره أنه تكلّم فى الأيام الأفضليَّة فى أمور المواريث وما يأخذه أمناء الحكم من أموال الأيتام، وهو ربع العشر، وأمر توريث الابنة النصف، فلم يقبل ذلك، ففاوض المأمون فيه، وقال: «هذه قضيَّة وجدتها وما أحدثتها، وهى تسمى بالمذهب الدَّارج، ويقال إنَّ أمير الجيوش بدر هو الذى استجدها، وهى أنَّ كلَّ من مات يُعمل فى ميراثه على حكم مذهبه، وقد مرّ على ذلك سِنُون وصار أمرًا مشروعا، فكيف يجوز تغييره». فقال له الفقيه: «إذا علمت ما يخلّصك من الله غيرها، فلكَ أجرُها». فقال: «أنا نائب الخليفة، ومذهبُه ومذهبُ جميع الشيعة من الزَّيدى، والإمامى والإسماعيلى: أن الإرث جميعه للابنة خاصَّة بلاَ عَصَبَةٍ، ولا بيت مال، ويتمسَّكون بأنه من كتاب الله كما يتمسك غيرهم، وأبو حنيفة، رحمه الله، يوافقهم فى القضيَّة». فقال الفقيه: «أنا مع وجود العصبة، فلابدَّ من عدّتها». فقال المأمون: «أنا لا أقدر أن أردَّ على الجماعة مذهبهم، والخليفة لا يرى به ويَنْقُضُه على من أمر به، بل أرى بشفاعة الفقيه أن أرُدَّ الجميع على رأى الدَّولة فيرجع كلُّ أحد على حكم رأيه فى مذهبه فيما يخلصه من الله، ويبطل حكم بيت المال الذى لم يذكُره الله فى كتابه، ولا أمَر به الرَّسُول عليه السَّلام». فأجاب إلى ذلك. وأمر الوزير أن يُكْتَب به وأن يُكْتَب بتَعْويض أمناء الحكم عمَّا يقْتضونه من ربع العشر بتقرير جار لهم فى كل شهر من مال الدِّيوان على المواريث الحشرية[٢].

وأخَذَ الفقيه فى ذِكْر بقيَّة حوائج أصحابه، وكتب منه توقيع فُرِّغَت منه نسخ منها ما سُيِّر إلى الثُّغور وكبار الأعمال، وشملته العلامة الآمريَّة، وبعدها العلامة المأمونية. ونسخته بعد البسملة: «خرج أمر أمير المؤمنين بإنشاء هذا المنشور عندما طالعه السَّيد الأجلُّ المأمون أمير الجيوش - ونعوته والدعاء - وهو الخالصة أفعالهُ فى حِيَاطة المسلمين وذو المقاصد المصروفة إلى النظر فى مصالح الدُّنيا والدِّين، والهمَّة الموقوفة على التَّرقّى إلى درجات المتّقين، والعزائم الكافلة بتشديد أحوال الكافَّة أجمعين، شيمةٌ خصَّه الله بفضيلتها جبلّة أسعد بجلالها وشريف مزيتها. والله سبحانه يجعل آراءه للتوفيق مقارنة،

(١) البادهنج: منفذ للتهوية فى البيوت.

(٢) هى مال من يموت ولا وارث له.

وأنحاء المَيَامِن كافلةً ضامنة، من أمْرِ المواريث، وما أجراها عليه الحكام الدَّارجُون بتَغَايُر نظرهم، وقرَرُوه من تغييرٍ عمّا كان يعهد بتغلُّب آرائهم، وما دخل عليها منهُم من الفساد، والخروج بها عن المعهود المعتاد، وهو أن لكلِّ دارج من الناس على اختلاف طبقاتهم، وتباين مذاهبهم واعتقاداتهم تحمُّل ما يترك من مَوْجُودِه على حكم مذهبه فى حياته، والمشهور من اعتقاده إلى حين وفاته، فيخلُص لحرم ذوى التشيُّع الوارثات جميعُ موزُوثهم، وهو المنهج القويم لقول الله سبحانه: ﴿**وأولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أوْلَى ببَعْض فِى كِتَابِ اللهِ إنَّ الله بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ**﴾(١). ويُحمل مَنْ سواهنَّ على مذهب مخلِّفيهنَّ، ويشركهم بيت مال المسلمين فى مَوْجُودِهم، ويُحْمل إليه جزء من أموالهم التى أحلّها الله لهنَّ بعدهم، عُدُولاً عن محجَّة الدَّولة، وخروجًا عما جاء به العباد من الأئمة الذين نزل فى بيتهم الكتاب والحكمة، فهم قراء القرآن، وموضحُو غوامِضِه ومُشْكلاته بأوْضح البيان، وإليهم سلّم المؤمنون، وعلى هديهم وإرشادهم يُعوِّل الموقنون، فلم يَرْضَ أميرُ المؤمنين الاستمرار فى ذلك على قاعدة واهية الأصول، بعيدة من التّحقيق، خالية من المحصُول، ولم يَرَ إلاّ العَوْد فيه إلى عادة آبائه المطّهرين، وأسلافه العلماء المهديِّين، صلوات الله عليهم أجمعين، وخرج أمره إلى السَّيد الأجلِّ المأمون بالإيعاز إلى القاضى ثقة الملك النّائب فى الحكم عنه، بتحذيره، والأمْرِ له بتحذير جميع النواب فى الأحكام بالمِعزِّيَّة القاهرة ومصر وسائر الأعمال، دانيها وقاصيها، قريبها ونائيها، من الاستمرار على تلك السنّة المتجدِّدة، ورفض تلك القوانين التى كانت معتمدة، واستئناف العمل فى ذلك بما يراه الأئمة المطهرة، وأسلافه الكرام الْبَرَرَة، وإعادة جميع مواريث النّاس على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم إلى المعهود من رأى الدَّولة فيها، والإفراج عنها برمَّتها لمستحقّيها، من غير اعتراضٍ عليهم فى قليلها ولا كثيرها، وأن يَضْرِبوا عمَّا تقدم صفحا، ويطووا دونه كشحا، منذ تاريخ هذا التوقيع، وفيما يأتى بعده مستمرا غير مستدرك لما فات ومضى، ولا متعقب لما ذهب وانقضى». «وليوف الأجلُّ المأمون، عَضَّد الله به الدِّين، بامتثال هذا المأمور، والاعتماد على مضمون هذا المسطور، وليحذّر كلاًّ من القضاة والنُّوَّاب، والمستخدمين فى الباب، وسائر الأعمال، من اعتراض مَوْجُودِ أحد ممن يسقط بالوفاة، وله وارث بالغ رشيد، حاضر أو غائب، ذكرا كان أو أنثى، من سائر الناس على اختلاف الأديان بشىء من التأولات، أو تعقب ورثته بنوع من أنواع التعقبات، إلا ما أوجبته بينهم المحاكمات والقوانين الشرعيات الواجبات، نظرا إلى مصالح الكافة، ومدًّا لجناح العاطفة عليهم والرأفة، ومضاعفة للأنام، وإبانة عن شريف القصد إليهم والاهتمام».

---

(١) سورة الأنفال آية ٧٥.

Marfat.com

«فأما من يموت حشريًّا، ولا وارث له، حاضر ولا غائب، فموجوده لبيت المال بأجمعه على الأوضاع السليمة، والقوانين المعلومة القويمة، إلا ما يستحقه خَرْجٌ إنْ كان له أو دين عليه يثبت فى جهته. وإن سقط متوفى، وله وارث غائب، فليحفظ الحكام والمستخدمون على تركته احتياطا حكميًّا، وقانونا شرعيا مصونا من الاصطلام[1]، محروسا من التفريط والاختزام، فإن حضر وأثبت استحقاقه ذلك فى مجلس الحكم بالباب، على الأوضاع الشرعية الخالصة من الشبه والارتياب، طولع بذلك ليخرج الأمر بتسليمه إليه والإشهاد بقبضه عليه.

«وكذلك نُمِيَ إلى حضرة أمير المؤمنين أن شهود الحكم بالباب وجميع الأعمال إذا شارف أحد منهم بيع شىء مما يجرى فى المواريث من الترك التى يتولاها الحكّام يأخذون ربع العشر من ثمن المبيع، فيعود ذلك بالنقيصَة فى أموال الأيتام، والتعرُّض إلى الممنوع الحرام، اصطلاحًا استمرُّوا على فعله، واعتمادًا، لم يَجْرِ الأمر فيه على حكمه، فكره ذلك وأنكره، واستَفْظَعَه وأكبره، واقتضى حسن نظره فى الفريقين، ما خرج به أمره من توفير مال الأيتام، وتعويض مَنْ يباشر ذلك من الشُّهود جاريًا يُقام لكل منهم من الإنعام، وأمر بوضع هذا الرَّسْم وتَعْفِيته، وإبْطالِه وحَسْم مادَّته. فلْيَعْتمِد القاضى ثقة الملك ذلك بالباب، وليصدر الإعْلام إلى سائر النُّوَّاب، سُلوكًا لمحجَّة الدِّين، وعملاً بأعمال الفائزين السعداء المتّقين، بعد تلاوة هذا التوقيع فى المسجدين الجامعين بالمعزّيّة القاهرة المحروسة ومدينة مصر على رءوس الأشهاد؛ ليتساوى فى معرفة مضمونه كلّ قريب وبعيد وحاضر وباد، ولتفرَّغ منه النُّسخ إلى جميع النُّوَّاب عنه فى الأعمال، وليجلّد فى مجلس الحكم بعد ثُبوته فى ديوانى المجلس والخاص الآمرى، وحيث يثبت مثله إن شاء الله تعالى حجة مودعة فى اليوم وما بعده. وكُتِب لليلتين بقيتا من ذى القعدة سنة ست عشرة وخمسمائة».

ثم حضر الفقيه أبو بكر لوداع الوزير، وعرَّفه ما عزم عليه من إنشاء مسجد بظاهر الثّغر على البحر، فكتب إلى ابن حديد بموافقة الفقيه على موضع يتخيره، وأن يبالغ فى إتقانه وسُرْعة إنجازه، وتكون النفقة عليه من مال ديوانه دون مال الدولة. وتوجَّه فبنى المسجد المذكور على باب البحر. وأما المسجد الذى بالمحجة فإن المؤتمن عند مقامه بالثّغر بناه.

وذكر للمأمون أيضًا أن واحات البهنسا ليس بها جُمعة تقام، فأمر ببناء جامع بها، فُفرغ منه، وأقيم فيه خطيب وإمام وقَوَمَةٌ ومؤذّنون، وأطْلِق لهم ما هى عادة أمثالهم.

وقيل: إنَّ الذى أنشأه المأمون فى وزارته، وفى أيام الأفضل أحد وأربعون مسجدًا،

---

(١) المراد الاستصال.

Marfat.com

مع ما أمر بتجديده، بعد وزارته، بالقاهرة ومصر وأعمالهما ما يناهز مائتي مسجد.

فيه بنيت دار ضرب بالقاهرة ودار وكالة.

وفى ذى القعدة: مات الأمير السعيد محمود بن ظفر، والى قوص. وركب المأمون إلى الجامع الأزهر، فلمَّا كان وقت صلاة الصبح تقدم قاضى القضاة ثقة الملك أبو الفتح مسلم بن على الرُّاسعينى وصلّى، فلمَّا قرأ الفاتحة لحقه زَمَعٌ[1] شديد وارتعد، فَلَحُنَ فى الفاتحة، وقرأ: «﴿والشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾»[2]، فلمَّا قال: «﴿نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا﴾»[3] ارتج عليه، فرد المؤتمن حيدرة، أخو المأمون عليه، فاشتَدَّ زمعه، فكَرَّر عليه الرَّد، فلم يَهْتد وقال: «وسقناها» بالنون: فقرأ المأمون بقية السورة وسجد النَّاس. وقام فى الرَّكعة الثانية وقد دُهِش، فلم يُفْتح عليه بشىء، فقرأ المأمون الفاتحة و﴿قُلْ هُوَ الله أحَدٌ﴾[4]، وقَنَتَ وهو معه يلقِّنه. فلمَّا انقضت الصَّلاة اشتدّ غضب المأمون، وأمر متولى الباب بأن يختم المقرئون. وتخيل المقام وخرج من الجامع، فوكل بالقاضى مَنْ يمضى به إلى داره، ويأمُره بالمقام بها من غير تصرُّف حتى يحفظ القرآن، وقرَّر له راتبًا فيما بعد، ولزم داره.

وأنفذ للوقت إلى القاضى أبى الحجَّاج يوسف بن أيُّوب المغربى، من قضاة الغربية، فأحضره وخلع عليه فى القصر بذلة مذهبة، وسلّم به على الخليفة، وسلّم إليه السِّجلَّ فى لفافة مذهبة بنيابته فى الحكم العزيز والخطابة والصَّلاة وديوان الأحباس[5] ودُور الضَّرب بسائر أعمال المملكة، ونُعت فيه بالقاضى جلال الملك تاج الأحكام، فقبَّله ووضعه على رأسه. وتُلِى على منابر القاهرة ومصر.

وكان يحضر فى يومى الاثنين والخميس إلى مجلس المظالم بين يدى المأمون، ويستعرض القصص ويناقش فيها، ويُبَاحِث مُباحَثَة الفقهاء العلماء، فزاد المأمون فى إكرامه، ورَدَّ إليه وكالة الخليفة، وكُتِبت له الوكالة، وشُرِّف بالخلع.

وتولى قوص الأمير مؤيد الملك وخلع عليه، وأمر أن يبنى بقوص دار ضرب، وجهز معه مهندسين وضرَّابين وسكك العين والوَرِق، وعشرين ألف دينار وعشرين ألف درهم فضة، فضربت هناك دنانير ودراهم، وصار كل ما يصل من اليمن والحجاز من الدنانير العدنية وغيرها يضرب بها. وصار ما يضرب باسم الآمر فى ستة مواضع: القاهرة، ومصر وقوص، وعسقلان وصور، والإسكندرية. وقرر للشيخ أبى جعفر يوسف بن

(١) الزمع هو شدة الرعدة.

(٢) سورة الشمس آية ١.

(٣) سورة الشمس آية ١٣.

(٤) سورة الإخلاص آية ١.

(٥) المراد ديوان الأوقاف.

Marfat.com

أحمد بن حسديه بن يوسف، الإسرائيلى الأصل، لما قدم من الأندلس، وصاز ضيف الدولة، جار وكسوة شتوية وعيديَّة ورسوم، وأقطع دارا بالقاهرة، وكتب له منشور نسخته بعد البسملة.

«ولما كان من أشرف ما طرزت السيرة بقدره، وأنفس ما وشحت الدول بجميل أثره، تخليد الفضائل، وإبداء ذكرها، وإظهار المعارف، وإيضاح سرها، لاسيما صناعة الطب التى هى غاية الجدوى والنفع، ووُرُود الخبر بأنها قرينة إلى الشرع. لقوله ﷺ: «العلم علمان: علم الأديان وعلم الأبدان». خرج أمر سيدنا ومولانا لما يؤثره بعلو همته من إنماء العلوم وإشهارها، واختصاص الدولة الفاطمية بإحياء الفضائل وتجديد آثارها، ليبقى جمال ذلك شاهدًا لها على مر الأيام، متسقًا بما أفشاه لها من المآثر الجمة والمفاخر الجسام، لشيخنا أبى جعفر يوسف بن أحمد بن حسديه، أيده لله، لصرف رعايته إلى شرح كُتُب أبقراط التى هى أشرف كتب الطب وأوفاها، وأكثرها إغماضا وأبقاها، وإلى التصنيف فى غير ذلك من أنحاء العلوم، مما يكون منسوبًا إلى الأوامر العالية، ورسم التوفر على ذلك والانتصاب له، وحمل ما يكمل أولاً إلى خزائن الكُتُب وإقراء جميع مَنْ يحضر إليه من أهل هذه الصناعة، وعرض من يدعيها واسْتِشْفافِه فيما يُعَانيه، فمن كملت عنده صناعته فَلْيُجْره على رسمه، ومن كان مقصرًا فلْيَسْتَنْهضْه. واعتمدنا عليه فى ذلك لكونه مُميزًا فى البراعة فى العُلوم، متصرفًا فى فنونها، مُقدَّمًا فى بَسْطها وإظهار مكنونها، ولأنه يبلغ الغرض المقصود فى شرح هذه الكتب ويوفى عليه، ويسلك أوضح السبل وأسدَّها إليه، وفى جميع ما شرع له. فليشرع فى ذلك مستعينا بالله، منفسح الأمل بإنهاضنا له، وجميل رأينا فيه، بعد ثبوته فى الدواوين، إن شاء الله تعالى. وكتب فى ذى القعدة سنة ست عشرة وخمسمائة».

فانْتَصَبَ لِطَالبى علم الطبِّ وأقبل أطباء البلدين إليه، واجتمع فى أيدى الناس من أماليه كثير، وجعل له يومين فى الجمعة يشتغل فيهما، ويتوفر فى بقية الأسبوع على التصنيف، وحمل ذلك إلى الخزائن، واستخدم كاتبين لتبييض ما يؤلفه.

ولما أهلَّ ذو الحجة: جرى الحال فى الهناء ومدائح الشعراء فى القصر بَيْن يدى الخليفة وبالدار المأمونية على الحال المستقرة، واستقبله المأمون بالصيام، وأخرج من ماله ما زاد عن المستقر فى كل عام، برسم الأطفال من الفقراء والأيتام، من أهل البلدين وغيرهم، ولم يتعرض لطلب ذلك من المميزين بحكم ما يعملونه من السنين المتقادمة. ومما ابتكره ولم يسبقه إليه أحدٌ أن استعمل ميقاط حرير فيه ثلاث جلاجل، وفتح باب طاقة فى الرَّوْشَن من سُور داره، فصار إذا مضى شطر الليل وانقطع المشى طرحت

Marfat.com

السلسلة ودلى الميقاط من الطّاق، وعلى هذا المكان جماعة مبيتون بحقه من المغاربة، فمن حضر من الرجال والنساء بتظلمه سدد قصة فى الميقاط بيده ويحركه بعد أن يقف مَنْ حضره على مضمون الرقعة، فإن كانت مرافعة لم يمكنوه من رفعها، وإن كانت ظلامة مكّنوه من ذلك، ويعوّق صاحبها إلى أن يخرج الجواب.

وكان القصد بعمل ذلك أنّه مَنْ حدث به ضرر من أهل الستر، أو كانت امرأة من غير ذات البروز ولا تحب أن تظهر، أو كانت مظلمة فى الليل تتعجل مضرتها قبل النهار فلتأت لهذا الميقاط.

وحضرت كسوة عيد النحر، وفرقت الرسوم على من جرت عادته بها، خارجًا عما أمر به من تفرقة العين المختص بهذا العيد وأضحيته، فكان منها سبعة عشر ألفا وستمائة دينار برسم القصور جميعها، وجملة ما نحر وذبح الخليفة خاصة، دون الوزير، فى ثلاثة أيام النحر ألف وتسعمائة وستة وأربعون رأسًا، منها نوقٌ مائة وثلاثة عشر، وبقر ثمانية عشر رأسا، وجاموس خمسة عشر، والبقية كباش، ومبلغ المصروف على أسمطة الثلاثة أيام خارجًا عن أسمطة الوزير، ألف وثلاثمائة وستة وعشرون دينارا، ومن السكر ثمانية وأربعون دينارا.

وعمل عيد الغدير على رسمه. وركب الخليفة إلى قليوب، ونزل بالبستان العزيزى لمشاهدة قصر الورد، على العادة المستقرة والسُّنّة المتقدمة، وفرقت الصدقات فى مسافة الطريق، وضربت الخيم، وقدمت الأسمطة. ثم عاد فى آخر النهار إلى قصره.

وفى هذه السنة: سيَّر المأمون وحشى بن طلائع إلى صور، فقبض على مسعود بن سلار، واليها لمخالفته، وأحضره.

وفيها تجهَّز الأسطول وسارت المراكب، فيها خمسة عشر ألف أردب قمحا وأقوات كثيرة، إلى صور، فلمَّا وصل خرج إليه سيف الدولة مسعود واليها من جهة طغتكين، فلمَّا سلّم عليهم سألوه النزول إليهم، فلمَّا حصل فى المركب اعتقل، وأقلع الأسطول به إلى مصر، فأكرم وأنزل فى دار، وأطلق له ما يحتاج إليه، وسبب القبض عليه كثرة شكوى أهل صور منه.

وفيها وصل البدل من ثغر عسقلان على العادة.

سنة سبع عشرة وخمسمائة

فى غُرّتها: عمل برسم أول العام، ثم حزن عاشوراء، فالمولد الآمرى على ما جرى به الرسم. وخلع على المؤتمن سلطان الملوك نظام الدين أبى تراب حيدرة، أخى الوزير

Marfat.com

المأمون، بدلة مذهبة خاص من لباس الخليفة، وطوق ذهب، وسيف ذهب بغير منطقة، وشرف بتقبيل يد الخليفة فى مجلسه، وسُلّم إليه تقليد فى لفافة مذهبة بولاية الإسكندرية والأعمال البحرية، وشدَّت له الأعلام القصب والفضة والعمَّاريات(١)، وحمل بين يديه الأكياس برسم التفرقة. وحجبه الأمراء والأستاذون، وقبَّل أبواب القصر، ومضى إلى داره، وأطلق له من ارتفاع ثغر الإسكندرية على الولايتين فى الشهر خمسمائة دينار.

وثار اللواتيون وغيرهم بالصعيد الأدنى، وقتلوا زين الدولة على بن تراب الوالى، وعاثوا فى البلاد وأفسدوا؛ فخرج إليهم المؤتمن أخو الوزير وتاج الدولة بهرام زنان الأرمن فى عدة وافرة، فانهزموا بين يديه، وأحاط بما خلّفوه من المواشى. وبلغه نزول مراكب الروم والبنادقة، وهى بضع وعشرون مركبا، على الإسكندرية، فبادر إليها المؤتمن، فلمَّا شاهده العدو أقلع، فأخذ منهم عدة قطع، وقدم على المؤتمن مشايخ اللواتيين، والتزموا بحمل ثلاثين ألف دينار فى نظير جنايتهم، وأن يعفى عنهم، فأجابهم الوزير إلى ذلك، وحمل المال مع الرهائن.

وكان المؤتمن لما قدم إلى الثغر خيم بظاهره، وقبل من القاضى مكين الدولة أبى طالب أحمد بن الحسن بن حديد بن أحمد بن محمد بن حمدون، المعروف بابن حديد، متولى الأحكام والإشراف بها، ما حمله إليه على حكم الضيافة ثلاثة أيام، ثم أمره بإنفاقها بعد ذلك إلا ما يقتضيه رسمه خاصة، وأظهر كتاب أخيه الوزير بأن الغلال بالثغر وأعمال البحيرة كثيرة، وكذلك الأغنام مع قطيعة العربان، فمهما دعت الحاجة إليه برسم أسمطة العساكر يُحمل ويساق، وتكتب به الوصول على ما جرت به العادة، وأمره ألا يقبل من أحد من التجار ضيافة ولا هدية.

وأظهر كتابا آخر إلى مكين الدولة بأن يطلق فى كل يوم من ارتفاع الثغر من العين ما يبتاع به جميع ما يحتاج إليه من الأصناف برسم الأسمطة للعساكر، وكان يستخدم عليها من يراه من الشهود.

وكان تجار الثغر قد حملوا ثلاثة آلاف دينار فأبى المؤتمن قبولها، وأمر بإعادتها إلى أربابها، فأخذ مكين الدولة يتلطف فى أن يكون عوض ذلك طرفا وطيبا، فأقسم أنه لا يقبل منهم شيئًا، واستمرت الأسمطة فى كل يوم، ولم يقبل لأحد هدية.

واتفق أن المؤتمن وصف له الطبيب دهن شمع والقاضى مكين الدولة حاضر، فأمر فى الحال بعض غلمانه بالمضى إلى داره ليُحضر الدهن المذكور، فلم يكن أكثر من مسافة الطريق حتى أحضر صرًّا مختومًا فكَّ عنه، فوجد فيه منديل لطيف بحاوم مذهب

(١) هى نوع من الهوادج.

Marfat.com

على مداف[1] بلّور فيه ثلاثة بيوت كل بيت عليه قتد ذهب مشبكة مرصعة بياقوت وجوهر، بيت دهن بمسك، وبيت دهن بكافور، وبيت دهن بغير طيب، ولم يكن فيه شيء مصنوع لوقته. فلمَّا رآه المؤتمن والحاضرون عجبوا من علو قيمة القاضى وجليل رئاسته وسعة نفسه، وحلف القاضى الحرام إن عاد إلى ملكه. فقال المؤتمن: «قد قبلته منك ليس لحاجة إليه، ولا نظر فى قيمته، بل لإظهار هذه الهمة وإذاعتها». وذكر أن قيمة المداف المذكور خمسمائة دينار.

وخلع المؤتمن على القاضى بذلة مذهبة بطيلسان مقور وثياب حرير، وقدم له دابة بمركب حلى ثقيل، ثم خلع عليه فى اليوم الثانى والثالث كذلك. وخلع على أخيه حلتين مكللتين مذهبتين ورزمة فيها شقق حريرية مما يختص بالنساء. وأنعم على كل من حواشيه وأصحابه. وعاد إلى القاهرة، فمدحه عدة من الشعراء.

وورد رسل ظهير الدين طغتكين، صاحب دمشق، وآق سنقر، صاحب حلب، بالحث على غزو الفرنج، وكبيرهم على بن حامد، الحاجب، فلمَّا وصلا باب الفتوح ترجلا وقبَّلاه، ومشيا إلى أبواب القصور، ففعلا مثل ذلك، وأوقفا عند باب البحر قدر ما جلس الخليفة. فجهز عسكر فى البر مقدمه حسام الملك النرسى، وسار الأسطول فى أربعين شينيًّا فوصلوا إلى عسقلان، وخرجت الغارات وعادت بالغنيمة. فاجتمعت طوائف الفرنج، وكُتِب إلى حسام الملك أن يقيم بالثغر، ويلقى الفرنج عليه ولا يتعداه، فخالف ذلك وتوجه مخفًا بغير ثقل، ونزل على يافا فقتل وأسر. فعندما قصده الفرنج رحل وهم يتبعونه حتى وافى تُبْنَى فلقيهم هناك، فانهزم العسكر من غير قتال، وقتل الرَّاجل بأسره، وعاد من بقى مهزوما إلى عسقلان. ووصل الخبر بذلك فأهم الآمر والمأمون، واشتد الحنق على حسام الملك لسوء تدبيره، فآل أمره بعد أمور إلى أن قتل.

فيها خرج أمر المأمون إلى الوالين بمصر والقاهرة بإحضار عرفاء السقائين، وإلزام المتعيشين منهم بالقاهرة بحضورهم متى دعت الحاجة إليهم ليلا ونهارًا؛ ولذلك ألزم أصحاب القرب، وتقرر أن يبيتوا على باب المعونة، ومعهم عدة من الفعلة بالطّوارى والمساحى، وأن يقوما لهم بالعشاء من أموالهما.

وعمل بعض التجار لابنته فرحا فى إحدى الآدر المعروفة بالأفراح، فتسور ملاك الدار على النساء وأشرفوا عليهن والعروس فى المجلى، فأنكر عليهم ذلك، فأساءوا وأفسدوا على الرجل ما صنعه، فخرج مستغيثا، فخشوا عاقبة فعلهم، فمازالوا به حتى كفَّ عن شكواهم. فلما حضر والى مصر بالمطالعة فى الصباح إلى الوزير على عادته،

---

(١) هو لقب يطلق على الذى يتحدث على باب ستارة السلطان أو الأمير.

Marfat.com

قيل له: «لم لا ذكرت فى مطالعتك ما جرى للتاجر الذى عمل فرح ابنته؟». فاعتذر بأن المرسوم له ألا يذكر ما يخرج عن السلامة والعافية، ولم يتصل به ما جرى فى الفرح. فأسمعه ما أمضَّه، وبيَّن عجزه وتقصيره، وقال له: والسلامة والعافية أن يخرج بالرجل ويهان وتنتهك حرمته، ولا يجد ناصرًا!.

فرسم بإحضار شاهدين ومهندسين، وتوجهوا إلى سائر الدور المختصة بالأفراح وإحضار ملاكها، فمن رغب فى استمرار ملكه على حاله، فليزل التطرق إليه، ويكتب عليه حجة بالقسامة بذلك، ومن لم يرغب فلتؤخذ عليه الحجة بألا يوجد ملكه للأفراح ويتصرف فيه على ما يريد. فامتثل ذلك.

وجرى الرسم فى عمل المولد الكريم النبوى فى ربيع الأول على العادة.

وكتب لجميع الأعمال، خلا قوص وصور وعسقلان، بمطالعة كل وال منهم فى مستهل كل شهر بمن حواه السجن، والموجب لاعتقاله، ويبين كل منهم ذلك ويعتمد فيه الحق؛ وسبب ذلك أنه رفع إلى المأمون أن بعض الولاة يعتقل من لا يجب عليه اعتقال؛ لطلب رشوة، فتطول مدته.

وفيه قرر برسم رش ما بين البلدين، مصر والقاهرة، فى كل يوم من اليومين اللذين يركب فيهما الخليفة مما يصرف للسقائين دينار واحد، فاستمر ذلك يطلق لهم إلى الأيام الحافظية، وكان سبب إطلاق هذا القدر أنه رفع للوزير المأمون أن واليى القاهرة ومصر يأخذان جميع السقائين أرباب الجمال والدواب لرش ما بين البلدين سُخْرة بغير أجرة.

وفى جمادى الآخرة: أعيد ثغر صور إلى ظهير الدين طغتكين، صاحب دمشق، وكتب له بذلك، وفخم فيه وعظم، ونعت بسيف أمير المؤمنين، وجهزت إليه الخلعة، وهى بدلة طميم منديلها طوله مائة ذراع شرب، فيه ثمانية وعشرون ذراعا مرقومة بذهب عراقى، وثوب طميم جميعه برقم ذهب عراقى، سلف المنديل والثوب ألف دينار، وثوب دبيقى وسطانى، وثوب سقلاطون[1] دارى، وثوب عتابى، وشاشية دبيقى، ولفافة، وجميع ذلك فى تخت مبطن عليه لفافة دبيقى، وغير ذلك من الكساوى برسم نسائه وأصحابه، وجهز لأمين الدولة جمشتكين، صاحب صلخد[2]، بذلة مذهبة ومنديلها، وعدة ثياب، وغيرها.

---

(١) هى الملابس الحريرية الفاخرة الملونة بالألوان القرمزية.

(٢) بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق. انظر: معجم البلدان ٣/٤٠١.

فى شعبان: وصلت الأساطيل بمن فيها سالمين، وقد غنموا شينيين من شوانى الفرنج وبطشة كبرى، وعدة من النساء والرجال، وذُكر للمأمون أن الأسرى المذكورين يؤخذ منهم فى الفداء ما يزيد عن عشرين ألف دينار عينا، فقال: والله لا أبقى منهم أحدا، قد قتل لنا خمسمائة رجل يساوون مائة ألف، وقد أظفر الله بما يكون دية عنهم، لا يشاع عنا أنّا بعنا الفرنج، وربحنا أثمانهم عوضا عن رجالنا.

وركب الخليفة بما جرت به العادة، واصطفت العساكر بالعدد والأسلحة، وعاد، وخلع على الأمراء وعلى زمام الأسطول والرؤساء.

وحضرت الحجاب، المندوبين لقتل الفرنج، بأنهم لما شاهدوا الحال بذلوا فى خلاص أنفسم ثلاثين ألف دينار، وأنه يرجى منهم أكثر من ذلك، فكتب الجواب بالإنكار وإمضاء السيف فيهم، فقتل الرجال بأسرهم، وقد اجتمع الناس وضجوا بالتهليل والتكبير عند قتلهم، فكان أمرًا مهولاً. وقد ذكر هذا اليوم عدة من الشعراء.

وجرى الرسم فى أسمطة شهر رمضان، والركوب إلى الجمع، وفى كسوة غُرَّة شهر رمضان على العادة.

وفيه سير هلال الدولة سوارًا رسولاً إلى حُرَّة اليمن[1] وصحبته برسمها من التشريف مما لبسه الخليفة وما زج عرقه من الحلل المذهبات والملاءات الشرب المذهبة والشقق النفوسى والمغربى المقصور والإسكندرانى المطرز جملة كثيرة فى تخوت مدهونة مبطنة، وسلال مملوءة من لحم الناقة التى نحرت بالمصلى، واثنى عشر مجلسًا من المساطير التى تقرأ كل خميس وعليها علامة الخليفة، وكثير من النحاس القضيب والمرجان، وكتب إليها كتابا فى قطع الثلثين أوله:

«من عبد الله ووليه المنصور أبى على الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين، ابن الإمام المستعلى بالله أمير المؤمنين، صلى الله عليهما، إلى الحرة الملكة السيدة الرضية، الطاهرة الزكية، وحيدة الزمن، سيدة ملوك اليمن، عدة الإسلام، خالصة الإمام، نصيرة الدين عصمة المسترشدين، كهف المستجيرين، ولية أمير المؤمنين، وكافية أوليائه الميامين، أدام الله تمكينها ونعمتها، وأحسن توفيقها ومعونتها».

وفى آخره: «وأمير المؤمنين متطلع إلى علم أخبارك، ومعرفة أنبائك، فتواصلى بإنهاء المتجدد منها إن شاء الله. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته». ويطوى مدورًا ويختم بحرير وأشرطة ذهب وعنبر ويجعل فى خريطة.

---

(١) هى السيدة: سيدة بنت أحمد بن جعفر بن موسى الصليحى.

Marfat.com

فيه قرئ بالجامع العتيق منشور، نسخته بعد التصدير: «بأننا لم نزل منذ ناطت بنا الحضرة المطهرة، صلوات الله عليها، الأمور، وعولت على كفايتنا فى سياسة الجمهور، ورَدَّت إلينا النظر فيما وراء سرير خلافتها، وفَوَّضت إلى إيالتنا من مصالح دولتها، وعبيدها ورعيتها، فى محاسن الأفعال ناظرين، وعلى بسط العدل والإحسان على الكافة متوفرين، وبحسن توفيق الله تعالى لنا واثقين، وبمراشده الهادية مسترشدين، فلا ندع وجها من دعوة البر إلا قصدناه، ولا بابًا من أبواب الخير إلا ولجناه، ولا نعلم أمرًا فيه قربى إلى الله سبحانه إلا وتقع المرتبة إلا أتيناه، ولا شيئًا يعود بثواب الله وحسن الأحدوثة إلا اعتمدناه، شيمة خصَّنا الله تعالى بميزتها، وسجية أسبغ علينا جلاليب أمنها وسعادتها، وعملاً فى ذلك بشريف آراء الحضرة المطهرة، صلوات الله عليها، وجميل سيرتها، واستمرارًا على منهج الدولة الزاهرة، خلد الله ملكها، وكريم عادتها، وذهابًا فى ذلك مع سجيتها الحسنى، ونشرًا لأرج ذكرها فى الأبعد والأدنى. والله تعالى المسئول أن يعيننا على مصالح الدنيا والدين، ويقضى لنا بالفوز المبين، ويصلح لنا وبنا كل فاسد، وينظم لنا عقود السعود والمحامد بمنه، ولما كان أحسن ما تطرز به محاسن السير، وتتناقل ذكره ألسنة البدو والحضر، وتجنى ثمرته فى الدنيا والآخرة، وتحمد مغبته فى العاجلة والآجلة، التقرب إلى الله تعالى فى كل أوان، وابتغاء ثوابه فى كل زمان، لاسيما شهر رمضان، الذى تزكو فيه أفعال البر والصلاح، وتتضاعف فيه الحسنات فى الغدو والرواح، رأينا ما خرج به أمرنا من كتب هذا المنشور بمسامحة كافة سكان الرباع السلطانية بالقاهرة ومصر من الأدر والحمامات والحوانيت والمعاصر والأخونة والطواحين والعرس، وجميع ما يجرى فى الرباع خارجًا من ريع الأحباس وريع المواريث المنصرف مستخرج ارتفاعها فيما يجرى هذا المجرى من وجوه البر، بأجرة شهر رمضان من كل سنة، لاستقبال رمضان سنة سبع عشرة وخمسمائة وما بعدها، إحسانا يسير ذكره كل مسير، وتعظيمًا لحرمة هذا الشهر العظيم الخطير، الذى فضَّله الله على جميع الشهور، وأنزل فيه قرآنه المجيد، وفرض صيامه على أهل التوحيد، وحضَّهم فيه على الأفعال المزلفة لديه، ووعد مَنْ عمل فيه خيرًا بمضاعفة الجزاء عليه. فليعتمد العمل بما تضمنه هذا المنشور، وحطيطة أمره شهر رمضان عن جميع سكان الربع المذكور لاستقبال التاريخ المقدم منسوبًا ذلك إلى القرب الصالحة والتجارة الرَّابحة، ويفسح فى جميع الدَّواوين حجَّة بمودعه، وليحلّدْ بالمسجد الجامع العتيق بمدينة مصر، منعًا لمن يروم المطول فيه، أو يفض شيئًا من وصفه، إن شاء الله».

فلمَّا قرئ هذا المنشور ضَجَّ العامة بالدعاء ونظم فيه عدة من الشعراء.

Marfat.com

وجرى الرسم فى وصول كسوة العيد، وهى العدة الكثيرة، وتفريقها على العادة، وعمل الختم فى آخر الشهر بالقصر والجوامع والمساجد، وحصل الاهتمام بالعيد، وركب الخليفة إلى المصلى على العادة، وصلى بالناس صلاة العيد، وخطب، وحضر السماط.

وجرى الحال فى يوم عاشوراء، وفى المولد الآمرى، على المألوف.

فيه كان المولد العيسوى، ففرق ما جرت به العادة من الجامات القاهرية والجامات السَّميذ، وقرابات الجلاب وطيافير الزلابية، والبورى، على أصحاب الرسوم، وعمل فى شهر ربيع الأول المولد الكريم، وفُرِّقَ المال على الرسم.

وفيها وصل رسول الأمير تاج الخلافة أبى منصور حسن بن على بن يحيى بن تميم ابن معز بن باديس، صاحب المهدية، يخبر بانحيازه للدولة، وأنَّ رجار بن رجار، صاحب صقلية تواصلت أذيته وقد استعد لمحاربته، وسألا أن يسير لرجار يمنعه من ذلك، فسير إليه مصطنع الدولة على بن أحمد بن زين الخد، فأصلح بينهما.

وفيها نقل المأمون الرصد من الجبل المطل على راشدة إلى علو باب النصر بالقاهرة.

وفيها توفى ولى الدولة أبو البركات بن عبد الحقيق داعى الدعاة، فاستقر عوضه أبو محمد حسن بن آدم، وكان يدعى بالقاضى لأبوته وسنه واشتهاره بالعلم، فبعث الآمر بأحكام الله إلى الوزير المأمون أن يستخدم أبا الفخر صالحًا، فذكر المأمون أن أكثر المجالس التى كانت تعمل فى أيام النعمان بخط أبيه، وأن أبا الفخر حدث السن ولا يماثل المذكور فى العلم، وأضيف إليه الخطابة بالجامع الأزهر مع قراءته الكتب.

وورد الخبر بأن الفرنج افتدوا بغدوين رويس الملك بثمانين ألف دينار وثلاثين أسيرًا من المسلمين. وكان صاحب حلب قد أسره فى وقعة له مع الفرنج.

وعمل ما جرى به الرسم فى مواسم السنة.

وفيها جرت عمارة سور الإسكندرية.

وفيها حمل إلى عسقلان ثلاثة وعشرون ألفا وستمائة وأحد وثلاثون إردبا من الغلال.

سنة ثمان عشرة وخمسمائة

فيها ملك الفرنج مدينة صور، واستمرت بأيديهم حتى زالت الدولة الفاطميّة. وكان أَخْذُهم إياها بعد محاصرتها مدة، وتقاصر المأمون عن نجدتهم، وأعانهم طغتكين صاحب دمشق، ووصل إلى بانياس وراسل الفرنج؛ فاستقرَّ الأمر على أن الفرنج

Marfat.com

تستولى عليها بالأمان، فخرج أهلها بما خَفَّ حملُه، وتفرقوا فى البلاد. وكان تملّكهم لها فى يوم الاثنين ثالث عِشْرِى جمادى الآخرة.

وفيها أُمِر ببناء دارٍ واسعة ليتفرَّج النّاس فيها عند كَسْرِ خليج القاهرة بِالكِراء؛ وذلك أَنَّ الناس عند كسر الخليج كانوا يصنعون أَخشابًا مُتراكَبَةً بعضها على بعض، يجلسون فوقها للتفرُّج يوم كسر الخليج، ولم يكن هناك غير دار الأمير أبى عبد الله محمد بن المستنصر ودار ابن معشر. ولم تزل هذه الأدر الثلاثة إِلى أَن احترقت فى نوبة شاور(١).

فيها مات بألموت الحسن بن صباح كبير الإسماعيلية. وقد تقدّم أَنه ورد مصر فى أَيّام المستنصر، وسار إِلى المشرق بدعوته، واستولى على قلعة ألموت واعتقد إِمامة نزار ابن المستنصر، وأَنْكَرَ إِمامة المستعلى وإِمامة الآمر. وانتدب عدَّة لقتل الأفضل بن أَمير الجيوش، فلمَّا تقلّد المأمون البطائحى وزارة الآمر بعد قتل الأفضل بلغه أَنَّ ابن صباح والباطنية فرحوا بموت الأفضل، وأَنهم تطوالُوا لِقَتل الآمر والمأمون، وأَنّهم بعثوا طائفة لأصحابهم بمصر بأموال، فتقدَّم المأمون إِلى والى عسقلان بَصَرْفه وإِقامة غيره، وأَمره بعَرضِ أَرباب الخدَم بها، وألا يترك فيها إِلاَّ مَنْ هو معروف من أَهل البلاد؛ وأَكّد عليه فى الاجتهاد والكشف عن أَحوال الواصلين من التّجَّار وغيرهم، وأَنّه لا يثقُ بما يذكرونه من أَسمائهم وكُنَاهُم وبلادهم، بل يكشف من بعضهم عن بعض ويفرّق بينهم ويبالغ فى الاستقصاء، ومَنْ يصل ممن لم تَجْرِ عادته بالمجىء إِلى البلاد فليعوقه بالثغر ويطالع بحاله، وما معه من البضائع، ولا يمكّن جمَّالا من دخول مصر إِلاَّ أَن يكون معروفا متردِّدًا إِلى البلاد، ولا يُسيِّر قافلة إِلا بعد أَنْ يتقدَّم كتابه إِلى الديوان بعدة من فيها وأَسمائهم وأَسماء غلمانهم وأَسماء الجمَّالين وذِكر أَصناف البضائع، ليُقَابَل بها فى مدينة بلبيس وعند وصولهم إِلى الباب، وأَنه يكرِّم التّجَّار ويكفّ الأذى والضَّرر عنهُم.

ثم تقدم المأمون إِلى وَالِى مصر ووَالى القاهرة بأَن يصقعا البلدين شارعًا شارعًا وحارةً حارةً وزُقاقًا زُقاقًا وخطًّا خطًّا، ويكتبا أَسماء سكّانها، ولا يمكّنا أَحدًا من النّقلة

---

(١) شاور بن مجير بن نزار السعدى، من بنى هوازن، أبو شجاع أمير من الولاة. يلقب بأمير الجيوش ولى الصعيد الأعلى بمصر فى أيام العاضد. ثم قام بثورة استولى بها على وزارة مصر، بعد أن قتل رزيك سنة ٥٥٧هـ، واتهم بمالأة الإفرنج، وأنه استعان بهم على دفع أسد الدين شيركوه عن دخول مصر فى أيام العاضد، ودخل شيركوه مصر، فاتفق مع العاضد على قتله، وعهد إلى صلاح الدين فتولى قتله أمام قبر الإمام الشافعى بالقاهرة سنة ٥٦٤هـ. انظر: وفيات الأعيان ١/٢٢٠ وابن الأثير ١١/١٢٥ وابن خلدون ٤/٧٧-٧٩ والروضتين ١/١٣٠ والأعلام ٣/١٥٤.

من منزل إلى منزل حتّى يستأذناه ويخرج أَمْره، بما يعتمد فى ذلك. فَمضَيَا لذلك، وحرَّرَا الأوراق بأَسماء جميع سُكّان القاهرة ومصر وذكر خططهما، والتّعريف بكُنْية كلّ واحد، وشُهرته، وصناعته، وبلده، ومَنْ يصل إِلى كل خط وحارة من الغرباء.

فلمَّا عرف ذلك المأمون انتدب نساء من أَهل الخبرة والمعرفة للدخول إِلى جميع المساكن والاطلاع على أَحوال ساكنيها الباطنيّة، ومطالعته بجميع ما يشاهِدْنه فيها، فكانت أَحوال كافّة الناس على اختلاف طبقاتهم، وتبايُن أَجناسهم من ساكنى مصر والقاهرة تعرض عليه، ولا يكاد يَخْفَى عنه منها شيء أَلْبَتّة. فامتنع لذلك الباطنيّة مما كانوا قد عزموا عليه من الفتك بالآمر وبالمأمون لكفّهم عن دخول البلد.

ثم إنه مع ذلك أَركَبَ العسكرية وفرقهم فى جهات البلدين، وأَمرهم بالقبض على جماعةٍ عيَّنَهم، فقبض على جماعة كثيرة، منهم رجل كان يُقْرئ أَولاد الخليفة الآمر، ومنهم رسل كان ابن صباح قد سيرهم بمالٍ لينفَق على من بمصر مِمَّن يرى رأيهم. فكان هذا معدودًا من عظيم الحزم، وقوَّة التدبير. ومع ذلك كان له القُصَّاد والجواسيس وأَصحاب الخبر فى كل قُطْر، فإذا خرج الباطنى من قلاع أَلموت لا تزال أَخْبارُه ترِدُ عليه شيئًا بعد شيء منذ يخرج من مكانه حتى يرد بلبيس، فيسيرٌ إِليه من ينَقض عليه فى مكانه الذى نزل فيه ويأتيه به فيقتله. وصار مِنْ أَجل ذلك وبسببه يَرِدُ عليه أَخبار كلّ جليل وحقير من سائر مملكته، حتّى كان يرى ويسمع كل ما يتفق فى ليل أَو نهار. وامتنع من الباطنية إِلى أَن مات رئيسهم الحسن بن صباح بعدما مَلَك من الشام جبل عاملة[1]، وحصن العليق، والكهف[2]، ومصياث[3]، والخوابى[4] وحصن الأكمة[5] وقلعة العيدين، ثم امتدَّت مملكته بعد موته إِلى حد شرقى أذربيجان وبحر طبرستان وجرجان.

سنة تسع عشرة وخمسمائة

فيها: قبض الخليفة الآمر على وزيره المأمون فى ليلة السبت لأربعٍ خلَوْن من شهر رمضان، وقبض على إِخوته الخمسة مع ثلاثين رجلاً من أَهله وخواصّه، واعتقله.

---

(١) جبل عاملة: يقع عند ملتقى الطرق بين صفد وتبنين وبانياس.

(٢) الكهف: انظر: معجم البلدان ٤/٤٩٦.

(٣) مصياث: حصن حصين مشهور للإسماعيلية بالساحل الشامى قرب طرابلس، وبعضهم يقول مصياف. انظر: معجم البلدان ٥/١٤٤.

(٤) الخوابى: من أعمال طرابلس.

(٥) حصن الأكمة: انظر: معجم البلدان ١/٢٤١.

Marfat.com

فوُجِد له سبعون سرجا من ذهب مرصع، ومائتا صندوق مملوءة كسوة بدنه. ووُجد لأخيه المؤتمن أربعون سرجا بحلى ذهب وثلاثمائة صندوق فيها كسوة بدنه، ومائتا سلة ما بين بلّور محكم وصينى لا يقدر على مثلها، ومائة برنية مملوءة كافور قنصورى؛ ومائة سفط مملوءة عودًا، ومن ملابس النساء ما لا يحدُّ. حُمِل جميع ذلك إلى القصر، وصلبه مع إخوته فى سنة اثنتين وعشرين.

ويقال إنَّ سبب القبض عليه أنه بعث إلى الأمير جعفر بن المستعلى، أخى الآمر، يعَزِّيه بقتل أخيه الخليفة، ووعده أنه يعتمد مكانه فى الخلافة؛ فلما تعذر ذلك بينهما بلغ الشيخ الأجلَّ، أبا الحسن على بن أبى أسامة، كاتب الدست، وكان خصيصا بالآمر قريبا منه، وكان المأمون يؤذيه كثيرا، فبلغ الخليفة الحال، وبلغه أيضا أنه بلغ نجيب الدولة أبا الحسن إلى اليمن وأمره أن يضرب السّكة ويكتب عليها: الإمام المختار محمد ابن نزار.

ويقال إنه سمَّ مِبْضَعًا ودفعه لفصَّاد الخليفة، فأعلم الفصّاد الخليفة بالمبضع.

ومولده فى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، وقيل في سنة تسع. وكان من ذوى الآراء والمعرفة التامة بتدبير الدُّول، كريما، واسع الصدر، سفّاكا للدّماء، شديد التحرُّز، كثير التطلع إلى أحوال النّاس من الجند والعامَّة؛ فكثُر الواشون والسُّعاة بالناس فى أيامه. ويقال إنَّ أباه كان من جواسيس الأفضل بالعراق، وأنه مات ولم يخلّف شيئا، فتزوَّجت أمه وتركته فقيرا، فاتصل بإنسان يعلّم البناء بمصر، ثم صار يحمل الأمتعة بالسُّوق بمصر، وأنه دخل مع الحمَّالين يوما إلى دار الأفضل فرآه خفيفًا رشيقًا حسن الحركة حُلْوَ الكلام، فأعجب به، فاستخدمه مع الفراشين بعدما عرف بأنه ابن فلان، فلم يزل يتقدَّم عنده حتى كبرت منزلته، وعلت درجته.

وهذا ليس بصحيح فإنّه من أجناد المشارقة، وقد تقدَّم أن أباه مات فى زمن الأفضل بعدما ترقّت أحوال ولده، وأنه كان مِمَّن يعدُّ من أماثل أهل الدولة. ورُثِى بعدَّة قصائد.

وتقدَّم أن المأمون كان مِمَّن يخدم المستنصر وأنه الذى لقّبه بالمأمون. على أن المشارقة زادوا فى التشنيع وذكروا أنّه كان يَرُش الماء بين القصرين، وكل ذلك غير صحيح.

وكان المأمون شديد المهابة فى النفوس وعنده فطنة تامة وتحرُّز وبحث عن أخبار النّاس وأحوالهم، حتى إنه لا يتحدث أحد من سُكّان القاهرة ومصر بحديث فى ليل أو نهار إلا ويَبيتُ خبرُه عند المأمون، ولاسيما أخبار الولاة وعمالهم. ومشت فى أيامه

أَحوال البلاد وعمرت، وسَاسَ الرَّعايا والأجناد وأحسن سياسته، إلاَّ أنه اتُهم بأنه هو أَقام أَولئك الذين قتلوا الأفضل وأَعدَّهم له، وأمرهم بقتله ليجعل له بذلك يدًا عند الخليفة الآمر، ولأنه كان يخاف أَن يموت الأفضل فيلقى من الآمر ما يكرهه؛ لأنه كان أَكبر الناس منزلةً عند الأفضل، ومتحكما فى جميع أَموره. وكان مع ذلك محبَّبا إلى الناس لكثرة ما يقضيه من حوائجهم ويتقرَّب به من الإحسان إليهم، ويأخذ نفسه بالتدبير الجيد والسيرة الحسنة، بحيث لو قدَّر موته لزار النّاس قبره تبرّكًا به.

واتُّهِم أَيضا بأنه هو الذى قتل أَولاد الأفضل وأَولاد أَخيه الأوحد وأَولاد أَخيه المظفر، وكانوا نحو مائة ذكر، ما بين كبير وصغير، فقُتلوا بأَجمعهم ولم يبق منهم سوى صغير نحيف يسمى أَحمد أَبا على ويلقب بكتيفات، فيقال إنّه احتقره لما كان يرى فيه من العىّ والانقطاع؛ فكان منه ما يأتى خبره إن شاء الله تعالى.

واتُّهِم أَيضًا بقتل الأمير حسام الملك أَفتكين، صاحب الباب، فى أَيام الأفضل لتخوُّفه منه؛ وذلك أن حسام الملك دخل مرَّة على الآمر للسلام، فلمَّا خرج قال الآمر: «والله إنك لأمير حسن»؛ فإنه كان جميلا تام القامة، وفيه عُجْب وتِيه. فبلغ ذلك المأمون فقامت قيامتُه، وأَخذ فى العمل عليه حتى أَخرجه فى العساكر التى يقال إنَّ عدّتها عشرون أَلفا، فكان من خبره على عسقلان مع الفرنج ما كان، وقتل من أَصحابه يومئذ ما يزيد على عشرة آلاف، وعاد حسام الملك فبعثه إلى الإسكندرية ودسَّ عليه من قتله.

قال ابن الطوير: ولما دفن الأفضل استعمل الآمر هذا الرجل، وكان يخاطَبُ بالقائد من خدمة الأفضل فى الوساطة دون الوزارة، ونعته بجلال الإسلام. واستمرّ على ذلك، ثم كمَّل له الوزارة وخلع عليه خلعة الوزارة إلا الطيلسان المقوّر، فباشرها، وكان متيقظًا قد حذق الأمور ودربها من صحبة الأفضل وطُول خدمته إيّاه. وكان بالدّار التى بالسيُوفيين بالقاهرة، وهى اليوم مدرسة للحنفيّة، وأَخذ يصبّ على تَغلُّب الأفضل مع الآمر، فصار يتغلّبُ على الآمر فى واحدة بعد واحدة من الجفاء والإقدام، والآمر يُمْلى له ويحتمله، حتى استوحش كل منهما من الآخر.

وكان له أَخ يُنْعَت بالمؤتمن أَبى تراب حيدرة، فرأَى من الرأى أَن يولى أَخاه جانبا عظيما من ديار مصر ويجعل معه عسكر النّجْدة ردءًا إذا قصده الخليفة بضرر، فإنه ما دام أَخوه يكون حاميا له، فيكون هو من داخل وأَخوه من خارج، وجرّد معه مائة فارس من شدة الأجناد وكبرائهم، وأَضاف إليهم أَمثالهم، مثل على بن السلار وتاج الملوك قايماز وسيف الملك الجمل ودرى الحرون وحسام الملك بسيل، وكلّ واحد من هؤلاء جيش بمفرده؛ والخليفة يعلم ذلك ولا يرده عليه. وزاد فى معناه حتى قيل إنَّ

Marfat.com

الخليفة اطّلع على أنه ادّعى الخلافة، وأنه من ولد نـزار مـن جاريـة خرجـت مـن القصـر وهى حامل عندما خرج نزار إلى الإسكندرية، فانزعج الخليفـة لذلـك، ثـم إنّـه سيّر إلى اليمن الموفّق على بن نجيب الدَّولة، وكان من أهل الأدب فصيحًا داهيـة، ليحقّـق لنسـبه هناك، ويدعو الناس إلى بيعته، فلمَّا قيـل للآمـر هَـذَا، مـا شَـكَّ فيـه، وأخـذ يتحيَّـل فـى الإيقاع به بعـد عَـوْدِ أخيـه مـن ولايـات الإسـكندرية والغربيـة والبحـيرة والجزيرتـين[1] والدقهلية[2] والمرتاحيّة[3]؛ فاختلق الآمر قضية يلتمسُها من الإسكندرية، وهو مقيم بهـا، فسيرَّ أستاذًا من ثِقاته، ظاهره فيما نَدَبه إليـه، وباطنـه فـى العمـل على المـأمون وأخيـه، وقال له: «أحْرص على اجتماعك بعلىٍّ بن السلار فى المسايرة وسلّم عليه عنّا، وقـل لـه إننا مازلنا نَلتفتُ إليه ونَدّخرُه لمهمَّاتنا ونتحقّق فيه الموافـاة لنـا، وإنّـا بحمـد اللـه قـادرُون على المكافأة بالخير أكثر من غيرنا، وقد تلونت أحوال المأمون، وبالَغَ فى عقوقنا بأشـياء لا يتسع لها ذكْرنَا، ومقْصُودنا أن تكتُم عنّا ما نقول لك».

فلما بَلّغه الأستاذ ذلك عن الآمر قال: «السّـمع والطاعـة لمولانـا، وأنـا مملوكـه وأُذِلّ نفسى فى خدمته». فقال الأستاذ: «هكذا والله قال عنك». قال ابن السـلار: «فمـا يـأمر به؟». قال: «تحدث رجالك بأجمعهم فى الانفصال عن المؤتمن، أنت ومن تثق به».

فلمَّا تقرر ذلـك اتّفـق علـىّ بـن السـلار هـو وقايمـاز ودرى الحـرون، وكـانوا أمـراء الجماعة فتفرّقوا عنه وتبعهم الباقون، فانفرد المؤتمـن واستَوْحَشَ، وكـاتب أخـاه المـأمون بذلك؛ فما اتسع له أن يتتبع الأمراء، ولا ينكر عليهـم؛ ليرجعوا إلى أخيـه، لِعلْمِـه بتغير الخليفة عليه مخافَة أن يفسُد أمره ظاهرا وباطنا، فحضر إلى الخليفة يومَ سلامٍ، على عـادة الوزراء، وتقدَّم وقال: «يا مولانا، صلوات الله عليـك، وصـل كتـاب أخـى يتذمـم مـن طول مقامه خارج القاهرة، وأسَفه على ما يفوته مـن خدمـة مولانـا بالمباشـرة، ويسـأل الفُسْحَة له فى العَوْد إلى بابه الكريم». فقال: «مرحبـا وأهـلا، وهـذا كـان رأينـا، ونحـن مشتاقون إليه، وإنما قصدنا رضاك فيما رتّبته لـه. يقـدم علـى بركـة اللـه». فكوتـب عـن الخليفة بالعَوْد وأن يُرتّب فى ولاياته من يرضاه. فامتثل ذلك.

ودخل القاهرة؛ فجلس الخليفة له فى غير وقت الجلـوس، فمثـل بـين يديـه، وأكرمـه وأدناه، وخلع عليه بالتشريف المفخم.

فلمَّا دخل شهر رمضان، وفيه السماط كل ليلة بقاعة الذهب، ويحضر الوزير وإخوته

---

(١) المراد بالجزيرتين هنا هما الجزيرتان المعروفتان بالقلمين وهما ضمن بلاد القوصية بمصر.

(٢) الدقهلية من أعمال مصر.

(٣) المرتاحية: من كور مصر البحرية. انظر: معجم البلدان ٥/١٠٠.

Marfat.com

وأَصحابه؛ فحضر المأمون وأَخوه المؤتمن السِّماط أَوَّل ليلة، فأَكرمهما الآمر بما أَخرجه لهما مما كانت يدُه فيه، وأرسل رسالة إلى المؤتمن ليستأنس بحضوره السّماط مع أَخيه؛ فلم يتّسع لهما مع هذه المُكارمَة الانقطاع.

وحضرَا ثانى ليلة فزاد فى إكرامهما، ثم أَمر بأَن يدخل المأمون لمؤاكلته خاصّة دُون أَخيه، فدخل إِليه؛ ولم يتقدَّمه أَحد من الوزراء بمثل ذلك، يعنى بهذه المنزلة، وخرج هو وأَخوه وأَكد عليهما أَلا ينقطعا، وخلع عليهما من داخل الدار من الثياب الدُّارِيَّة، ثم حضرا ثالث ليلة، فاستُدْعِى المأمون إلى الخليفة، فلما جلسَ مَعَهُ على المائدة قال: «قد جَفَوْنا المؤتمن»، واستدعاه، فدخل، وصارا فى قبضته، وكان قد رتب لهما من يأخذهما؛ فعند خروجهما للمُضِىّ قبض عليهما، واعتقلهما عنده فى خزانة، وسيّر بالحُوطة على دورهما، ثم أَمر بإحضار الشيخ الأَجَلّ أَبى الحسن بن أَبى أُسامة، كاتب الدّست، لينشئ شيئًا فى شأنهما يقرؤه على المنبر غدًا، فوجد الشَّيخ أَبو الحسن بمصر لعيادة مريض؛ فتقدّم إِلى وَالِى القاهرة فى الليل بأن يمضىَ إِلى مِصْر لإِحضاره، فظنَّ والى القاهرة أَنه طُلِب لغير ذلك، وكان يقال له سعد الدَّولة الأَحدب، فمضى إِليه وأَزعجه من مكانه، وسبَّه أَقبح سَبٍّ، وأَراد إِحضاره إِلى القاهرة ماشيًا، فأَحضره إِلى الخليفة وهو ميّت لا حراك به، فقال له: «ما هذا؟». فأَخبره بقضيته مع الوالى، فغضب على الوالى، وأَمر بخَلْع أَخفافه من رجْلَيْه وصَفْعِه بهما، حتى تقطّعَا على قفاه، وصرفه من الولاية. وأَطلع الشيخ أَبا الحسن على قضية المأمون وأَخيه؛ فقال يا مولانا: «هما نَشْوُ أَيامِك ومماليك دولتك». فقال لبعض الأستاذين: «خذ هذا الشَّيخ وصَوّبه إِلى المذكورين لينظرهما فى اعتقالهما، وينقطع رجاؤه منهما» فأَدخله إِليهما، فرآهما مكَبَّلَين فى الحديد، وعليهما احتياطٌ عظيم، فأَنشأَ للوقت سِجلاً كان من استفتاحه.

«أَمَّا بعد؛ فإِن محمد بن فاتك استنجح فما نجح، واستُصْلِح فما صلح؛ وجهل رفع قدره فغدا لِهُبوط، وقابل الإِحسان إِليه بدواعى القُنوط». وكلُّ ذلك فى تلك الليلة.

فلمَّا أَصبح الصّباح جلس الخليفة فى الشباك بالإِيوان، ونُصب كرسىّ الدعوة أَمامه، وطلع قاضى القضاة عليه، وقرأَه بعد اجتماع الأُمراء وأَرباب الرُّتب والعوامّ؛ فلم ينتطح فيها عنزان.

ويقال إِن الخليفة كان يقول: «أَعظم ذنوبه عندى ما جرى منه فى حق صُور وإِخراجها من يد الإِسلام إِلى الكفر».

وبقيا فى الاعتقال، هما وأُميران اتُهما، فى خزانة البنود، وسيّر لإِحْضار الذى كان أَنفذه المأمون إِلى اليمن ليقتلهم جميعا. وتفَرّغَ الآمر لنفسه، ولم يبق له فعل ولا مزاج، وبقى بغير وزير.

Marfat.com

وأقيم صاحبا ديوان الاستخراج بما يجب من زكاة ومقس [١] أحدهما مسلم يُقال له جعفر بن عبد المنعم بن أبى قيراط والآخر سامرىٌّ يقال له أبو يعقوب إبراهيم، وأقيم معهما مستوفٍ [٢] لهاتَيْن المُعَامَلَتَيْن وكان راهبا؛ فكانوا يستخرجون ذلك من أربابه، ويدخل صاحبا الدّيوان إلى الآمر فى كلّ وقت ومعهما المصحف والتوراة فيحلفان له أنهمّا لا يتعرضان إلا لمن يجب عليه لبيت المال حق. فيحملهما فى ذلك على الصدق، وربّما اشتطا على الناس وزادا عليهم ما لا يجب زيادته، فتأذّى بسببهما جماعة، والآمر لا يطّلع على ذلك، ولا أشار به، واستمرّا على ذلك مُدَيْدة.

سنة عشرين وخمسمائة

فيها جهز الآمر المنتضى بن مسافر الغنوى بخِلَع سنيَّة وتُحف مصريَّة وثلاثين ألف دينار للأمير البرسقى، صاحب الموصل؛ فلمَّا كان فى أثناءِ الطريق سمع بموته [٣]، فرجع بما معه إلى الآمر.

وفيها قدم الأمير الرئيس مهران بن عبد الرحيم، مصنف سيرة الفرنج الخارجين على بلاد الإسلام فى هذه السنين، برسالة من صاحب حلب.

وفى شوال: كان بدءُ أمر الراهب. وذلك أنَّ راهبًا من النّصارى، يعرف بأبى نجاح ابن فنا، كتب إلى الآمر رقعة فى الكُتّاب النصارى من الأقباط يذكر أنهم قد أخذوا أموال الدَّولة واستولوا عليها، وضمن أنّه يحقق فيه جهاتهم ما يملأ بيوت الأموال. فتقدّم الخليفة بأن يُمكّن من الدواوين ويُساعدَ على ما يخرجه من الحسبانات، ولُقب بالأب القديس الروحانى النّفيس أبى الآباءِ سيد الرؤساءِ مقدّم دين النّصرانية، وسيد البطريركية، ثالث عشر الحواريين.

وكان الآمر لما انفرد بالأمر بَعْد القبض على وزيره المأمون، وبقى بغير وزير دانت له الدنيا، وكان معظّمًا كثير الجود إلى الحدّ الذى لا مزيد عليه؛ فكثر الخير فى تلك الأيّام، وفرح الناس بالفوائد، وتردَّد المسافرون والتجار، وجُلبت البضائع، وزاد الحاصل فى الخزائن من كلّ صِنف مُضافًا إلى ما كان فيها، وحسُنَت السِّيرةُ فى الرّعيّة؛ وأباح للنّاس والجنود ما كان الأفضل حظره عليهم من الملبوس والتّجَمُّل؛ فما بَرح النّاس فى خيراتٍ دَارَّة ونِعَمٍ متزايدة إلى أنْ تمكّن الرّاهب من الدّواوين، واشْتد فى مطالبة النّصارى،

---

(١) المقصود بالمقس: المكس، وهو الضرائب التى تفرض على التجارة.

(٢) هو كاتب يكون صاحب مجلس فى الديوان يطالب المستخدمين بما يجب عليهم دفعه من الحساب فى أوقاته.

(٣) هو الأمير آق سنقر البرسقى صاحب الموصل والجزيرة.

Marfat.com

وضمن فى جهاتهم الأموال، وحملها أَوَّلاً فأَوَّلاً؛ وكان قد حصل لهم فى أَيام الأفضل والمأمون ما يزيد عن الوصف، فلمَّا تمكّن الرّاهبُ من النّصارى، واستطاب ما تحصَّل منهم ابتدأ يعمل فى المسلمين معاملى الدّيوان من المشارفين والضُّمناء والعمال.

فيها ركب الآمر لينظر جَوْسَق البغدادى أَبى الحسن على بن محمد بن سعدون بالقرافة، فإنه كان من أَحسن جَواسِق (١) القرافة وأَفخرها بناء؛ فلمَّا قرب منه سقط عن فرسه إِلى الأَرض فهُنِّئ بالسلامة، وقيل فى ذلك عدَّة أَشعار.

سنة إحدى وعشرين وخمسمائة

فيها أُحْضِر الموفق فى الدين أَبو الحسن على بن إِبراهيم بن نجيب الدَّولة، داعى اليمن، الذى سيره الوزير المأمون بن البطائحى، فدخل فى يوم عاشوراء على جمل بطرطور، ومعه مشاعليَّة بهيئة ملائكة، وخلفه قرد يصفعه، وهو يقول بقوة نفس: «والله لا ألتفت». فأدخل خزانة البنود وسُجِن مع المأمون.

فيها كثرت مصادرة الرّاهب للكُتّاب والعمال، وتسلسل الأمر إِلى التجار وأَرباب الأموال، وندب معه مقداد والى مصر وسعد الدولة والى القَاهرة للشَّدّ منه؛ فتنكّدَ الناس، وخرج كثير من أَهل مصر إِلى الآفاق. وأَخذ الرّاهب يُحسِّن للآمر أَن يحمل إِليه مال الأيتام من مودع الحكم.

وفيها مات قاضى القضاة جلال الملك تاج الأحكام، أَبو الحجاج يوسف بن أَيوب ابن إِسماعيل المغربى الأندلسى؛ وكان أَوَّلا قد أَقْرأ المؤتمن أَخا المأمون القرآن والنّحو، فولاّه قضاء الغربية، ثم نقل منها إِلى قضاء القضاة بعد واقعة ابن الرَّسعنى بوساطة المؤتمن، واستقر بعد وفاته فى قضاءِ القضاة أَبو عبد الله محمد بن هبة الله بن الميسر القيسرانى.

وكان أَبو الحجّاج عاقلا، عرض عليه الآمر أَنْ يلى الدّواوين مضافًا إِلى ما يتولاه من قضاءِ القضاة والمظالم، فاستشار فى ذلك بعض أَصحابه فأَشار بالقبول، فقال: «إِنّى لا أُحْسِن صنعة الكتابة»؛ فقال له: «تجْعَلُ بين يديك من يُوضّح لك الأمر والتدبير ويدلّك على سرّ الصّناعة». فقال: «ألا ترى أَنى قَدْ رضيتُ أَن أَكون من الأسماء النّواقص التى لا تتمُّ إِلاّ بِصلةٍ وعائد، واستحضرت مَنْ يدلّنى على ما أَجهل، فكيف أَصنع بين يدى السلطان؟ لقد حكمت إِذا على نفسى بحكم حيف وأَوردتُها خطّة خسف». وحمد الله.

---

(١) الجوسق هو القصر.

Marfat.com

سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة

فيها وصلت رأس بهرام الباطنى، وكان طغتكين أتابك، الملقّب ظهير الدّين، قد وَهَب له بانياس خوفًا من شرّه، فأفسد جماعةً بالشام، وجرت له خطوبٌ آلت إلى قتله، وحُمِلت رأسُه إلى الآمر.

وفيها رتّب قاضى القضاة أبا عبيد الله محمد بن ميسر مشارفًا على ثقة الدَّولة ابن أبى الردّاد فى قياس الماءِ وعمارة المقياس، وعمل مصالحة؛ فاستمرّ إلى أن قتل ابن ميسر ثم بطل، فلم ينظر أحد فى هذه المشارفة.

وفى رجب: عُمِل للآمر فى الخاقانية [1]، وكانت من خاصّ الخليفة، قصر من ورد فسار إليها وحده بضيافة عظيمة، فلمَّا استقرَّ هناك خرج إليه أمير يقال له حسام الملك - أحدَ الأُمراءِ الذين كانوا مع المؤتَمَن، أخى المأمون، فى سَفره فى البلاد التى كان يتولاّها وتخاذلَ مع ابن السلار عنه - وهو لابسٌ لأمة حربه، والتمس المُثول بين يدى الخليفة، فاستثقل ما جاء به فى ذلك الوقت؛ لأنه مُنافٍ لما فيه الخليفة من الرَّاحة والنزهة، فمُنِع من ذلك وصُدَّ عنه؛ فقال لجماعةٍ من حواشى الخليفة: «أنتم منافقون على الخليفة إنْ لم أصل إليه وهو يطالبُكم بذلك ويعاقبكم عليه». فأطْلَعُوا الخليفة على أمره، فأمر بإحضاره، فقال: «يا مولانا، لِمَنْ تركت أعداءك - يعنى المأمون وأخاه - هذا والعَهْد قريب؛ أأَمِنْت الغدر؟». فما أجابه إلاّ وهو على ظهور الرهاويج [2] من الخيل، فلم تَمْض ساعة إلاّ وهو بالقصر يمضى إلى مكان اعتقال المأمون وأخيه، فوجدهما على حالهما، فزادَهُما وثاقًا وحراسَة.

فلمَّا كان فى ليلة العشرين منه: قتل المأمون وصالح بن الضيف، وكان من نَشْو المأمون وقد سجن معه، وعلىُّ بن إبراهيم بن نجيب الدَّولة، المُحْضَر من اليمن، وأُخرجوا إلى سقاية ريدان [3] فى الرَّمل، قبالة البستان الكبير خارج باب الفتوح، فصلب أبدانهم بغير رءُوس وفى صدر كلّ واحد رقعة فيها اسمه. فبلغ الأمر الناس فشكوا فيهم، وقالوا: «هم غير المذكورين». فأمر بإخراج رءُوسهم وأُقيمت على أبدانهم.

فيها كانت ولاية ابن ميسّر القضاء فى ذى الحجّة على ما ذكر بعضهم؛ وقيل بل كانت كما تقدّم؛ ولقّب بثقة الدَّولة القاضى الأمين سناءِ الملك، شرف الأحكام، قاضى

---

(١) الخاقانية: قرية من قرى قليوب بمصر.

(٢) الرهاويج هى الخيل المثير للغبار.

(٣) سقاية ريدان: بمصر بين القاهرة وبلبيس. انظر: معجم البلدان ٣/٢٢٦.

Marfat.com

القضاة، عمدة أمير المؤمنين، أبى عبد الله محمد بن القاضى أبى الفرج هبة الله ابن ميسر. فلازم الانتصاب والجلوس، واعتمد التثبت فى الأحكام، وعدّل جماعة، فبلغت عدّة الشهود فى أيّامِه مائة وعشرين شاهدا وكانوا دون الثلاثين.

ثم وردت إليه المظالم؛ فاستوضح أحوال المعتقلين، وطالع بهم الآمر، وكان فيهم عدّة قد يئسوا من الفرج، فاستأذن الخليفة وأفرج عنهم، وتكلّم مع الآمر فى أمر التُّجَّار وما نزل بهم من المصادرات، فأمر الخليفة بكتابة منشورهم فى معناهم قرئ على المنابر.

فيها كثرت وقائع أهل القسر على النّاس، وتقرَّب كثير من الكتاب الظلمة بعَوْرَات الناس إلى الخليفة، فاشتدّت مُطَالبات الناس بالأموال، وقُبل قولُ كلّ رافع شيئًا على أحد، وأُخذ النّاس بما رُمُوا به، وضُمِّن عدّةٌ من النّاس أشياء لم تَجْر عادةٌ بضمانها، وأُحْدِثت رسُومُ لم تكن فيما تقدّم، وذلك أنهم لم يقدروا على تصريح القول بالمصادرة، فعملوا ما ذُكر؛ فحصلت الشناعة، وخرج مَنْ بالبلد من التُّجار.

وكثرت مصادرات القاطنين بمصر والقاهرة، وعَظم قدرُ ما حُمِل من أموال هذه الجهات، فاتّسع عطاء الخليفة حتى وهب يومًا لغلامه برغش، المنعوت بالعادل، ثمانين ألف دينار، ثم سأله بعد مدّةٍ يسيرة عمّا فعله فيما وهبه، فقال: يا مولانا تصدَّقت ووهبت أكثر فأعجب ذلك الآمر، وفرح، وشكره على فعله. ووهب مرّة لغلامه هزار الملك جوامرد، المنعوت بالأفضل، مثل ذلك وكانا أخصّ غلمانه وأقربهم منه، وأشرفهم عنده منزلة؛ وكانا أسمح خلق الله؛ وكان الناس فى أيامهما لا يوجد فيهم من يشكو الفقر، لا بمصر ولا بالقاهرة، فإنَّ هزار الملوك كانت صدقته فى كلّ يوم جمعة راتبًا قد قرّره بالقرافة أربعة آلاف درهم فى ألف كاغدة، على يد الثّقة ابن الصّعيدى وغزال الوكيل، وكانت عطاياه من يده لا تنقص عن عشرة دنانير أبدًا؛ ولا يخلو رُكوبه إلى القصر وعَوْدُه منه من أحد يقف له ويطلب منه، وكان برغش يعطى الجُمَل الكبار التى يغنى بها الطالب، من المائة دينار إلى المائتين وأكثر.

وبلغ علم الّتى يقال لها جمعة، مكنون الآمريّة، أن الآمر سيّدها قد وهب لكلّ من غلاميه المذكورين ثمانين ألف دينار، وكان الآمر يحبُّها، وأصْدَقها أربعة عشر ألف دينار، وولدت منه ابنة سمَّاها ستّ القصور؛ فلمَّا دخل عليها عشيَّة اليوم الذى وهبهما فيه هذا المال قامت وأغلقت عليها مقصورتها، وقالت: «ما تدخل إلىّ أو تَهَبَ لى مَا وهبت لكلٍّ منهما، فقال: «السّاعة». وأحضر الفراشين، وحمل كلُّ عشرة كيسًا فيه عشرة آلاف دينار عينا، فلمَّا صار إليها هذا المال، ومبلغه مائتا ألف دينار ذهبًا، فتحت الباب له ودخل.

Marfat.com

سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة

فيها عمّ البلاءُ بمصر جميع الرؤساءِ والقضَاة والكتّاب والسُّوقِة من الراهب، بحيث لم يبق أحدٌ إلاّ وناله منه مَكْرُوه، إمّا من ضربٍ أو نهبٍ أو أخذ مال وكان يجلس فى قاعة الخطَابة من جامع عمرو بن العاص، ويستدعى الناس للمصادرة، فطلب فى بعض الأيام رجُلا يعرف بابن الفرس من العُدول المميّزين المبَجَّلين فى الناس فأهانه وأخرق به، فخرج إلى الجامع فى يوم جمعة، وقام على رِجْلَيْه، وقال: «يا أهل مصر، انظروا عَدْلَ مولانا الآمر فى تمكينه النّصرانى من المسلمين». فارْتَجَّ الناس لكلامه، وكادت تكون فتنة؛ فاتّصل ذلك بخواصّ الخليفة، فأَبْلغوه إيّاه وخوّفوه عاقبة ذلك، وطالَعُوه بما حلَّ بالخلق.

وكان الرَّاهب قد أخذ من شخص خادم يُقال له جديحو سبعين ألف دينار بخرج من مائة ألف دينار، فصار يشكو، وكان كثير البضائع والتّجارَات والمقارضين، فتظلم واشتهرَ أمره إلى أن بلغ خبرُه إلى أستاذٍ من أستاذى القصر له من العمر نحو مائة وعشرين سنة، يقال له لامع - وكان قد انقطع فى منزله بالقصر بعدما حجّ غير مرّة، وأنشأ جلبة(١) بعيذاب(٢) يقال لها اللامعيّة تحمل الحاجّ - فاتفق جَوَاز الآمر على مكانه فسأل عنه، فقيل له: إنه لا يستطيع النُّهوض إلى خدمتك، فدخل إليه وسأله عن حاله، فقال: «شغلى بسمعة مولانا أشدّ علىّ من نفسى» فقال له الآمر: «لأىّ شىء». فقال: «يا أمير المؤمنين، إنَّ الناس قدْ تمَّ عليهم من الشِّدة ما لا أُحْسِن أصِفه وربّما نسب ذلك إليك». وشرح له أمر الرّاهب ابن أبى نجاح وصاحبى الدّيوان جعفر بن عبد المنعم المعروف بابن أبى قيراط وأبى يعقوب إبراهيم السّامرى الكاتب، وما أخذوه من هذا الخادم، فحلف الآمر إنّه ما علم أنهم بلغوا بالناس إلى هذا المبلغ، وأنه يستدعى صاحبى الدّيوان فى كلّ وقت ويحلّفهما على المصحف وعلى التّوراة، وأنَّ الراهب لم يُجْعَل إلاّ مُسْتَوفيًا لما يُستخرج من الأموال وليس له معهما حديث ألبتّة، فقال له الخادم: «يا أمير

---

(١) هى سفن خاصة بنقل التجار والبضائع.

(٢) عيذاب: بليدة على ضفة بحر القلزم هى مرسى المراكب التى تقدم من عدن إلى الصعيد. انظر: معجم البلدان (عيذاب). وفى الروض المعطار عيذاب: مدينة فى أعلى الصحراء المنسوبة إليها فى ضفة البحر الملح، ومنها المجاز إلى جدة، وعرضه بجرى يوم وليلة. ومرسى عيذاب جزيرة ليست بكبيرة ومساكنها من حجارة، والماء العذب يجلب إليها على مسيرة يوم، وهى محط السفن من جدة من التجار وغيرها، وهى تقابل من الصعيد الأعلى مدينة قوص وقفط، وبينها وبين قفط فى البر خمس مراحل لا ماء فيها إلا فى موضعين. انظر: الروض المعطار ٤٢٣، ٤٢٤، ونزهة المشتاق ٤٩، وابن الوردى ٣٦، ونزهة الأمم (ذكر صحراء عيذاب ١٩٦).

Marfat.com

المؤمنين، إنهم قد اتفقوا على أَذى النّاس، وقد جعلك الله خليفةً فى الأرض واسْتَرْعاك على عباده، وكلّ راعٍ مسئول عن رعيته». فشَقَّ على الخليفة، وعمل فيه كلامُ الأستاذ، وخرج؛ فما بات حتى صرَفَ صاحبى الدّيوان واعتقلهما، ليَسْتَعِيد منهما ما أَخذاه للنّاس ظلمًا؛ واستدعى الرّاهب، وكان بحضرته رجل من الأشراف، فلما حضر الراهب أَنشد:

إنَّ الذى شرَّفتَ من أَجله ... يزعُمُ هذا أَنّه كاذب

فقال الآمر للرَّاهب: «يا راهب، ماذا تقول؟». فسكت، فأمر حينئذ وَالِى مِصْر بأخذه إلى الشرطة وضَرْبِه بالنّعال حتّى يَمُوت، فمضى به إلى شرطة مصر، ومازال يُضْرب بالنّعال حتى مات، فَجُرَّ بكعبه إلى عند كرسى الجسر مسحُوبًا، وسُمِّر على لوح، وطُرح فى بحر النّيل؛ فكان كلّما وصل إلى ساحلٍ من سواحل مصر وهو مُنْحدِر دَفَعُوه إلى البحر؛ فلم يزل حتّى خرج إلى البحر الملح، واشتُهِر ذكره، وسارت الرُّكبان بهلاكه.

وكان هذا الراهب أوّلا من أُشْمون طنّاح [1]، وترهّب على يد أَبى إِسْحاق بن أَبى اليمن، وزير ابن عبد المسيح متولى ديوان أَسفل الأَرض، ثم قدم إِلى القاهرة واتصل بخدمة ولى الدَّولة أَبى البركات يوحَنّا بن أَبى الليث، كاتب المجلس، فلمَّا قتل الوزير المأمون اتّصل بالخليفة الآمر، وبذل له فى مصادرة الكتّاب النّصارى مائة أَلف دينار، فأَطلق يده فيهم؛ واسترسل أَذاه حتى شملت مضرّته كلّ أَحد.

وكان يُعْمَلُ له فى تنّيس ودمياط ملابس مخصوصة به من الصُّوف الأبيض المنسوج بالذهب، فيلبسها ومن فوقها غفارة [2] ديباج، ويتطيب بعدّةِ مثاقيل مسك فى كلّ يوم فكانت رائحته تشْتَمّ من مسافة بعيدة، وكان يركب الحُمُر الفَارهة بالسروج المحلاّة بالذّهب والفضة، ويجلس بقاعة الخطابة من جامع مصر.

ولما قتل وُجد له فى مقطع ثلاثمائة طرَّاحة [3] سامان محشوة جددًا لم تستعمل، قد رُصَّتْ إِلى قرب السقف، وهذا من نوع واحد، فكيف ما عداه!.

ولما قتِل وعرف الآمر ما كان يعمل فى النّاس من أَنواع الأذى خَشِى من الله واستحيَا من الناس؛ وكره مُسَاءَلة الفقهاءِ من الإسماعيلية عن ذلك وعن كفّارة هذا الذّنب لأَنّه إِمام، وشرط الإمام أَن يكون معصومًا، فسيّر إِلى الفقيه سلطان بن رشا شيخ الفقيه بجلى، وكان خليفة الحكم، مع مِنْ يثق به يستفتيه فى أَمر الرّاهب وما يكفّر عنه،

(١) أشمون طناح: بلد بمصر، قرب دمياط وهى مدينة الدقهلية. انظر: معجم البلدان ١/٢٠٠.

(٢) هى المعطف.

(٣) هى مرتبة يفترشها السلطان للجلوس.

Marfat.com

فقال: «يردّ ما صار إليه من الأموال إلى أَرْبابها». فردّ عليه: «إنـى والله مـا أعرفهـم ولا أقدر على ذلك؛ ولكن أُعتق الرقاب وأتصدّق». فقال الفقيه: «الخليفة قادرٌ على أن يعتق ويتصدّق ولا يتأثّر لذلك، ولكـن يصـوم فإنّـه عبـادة شـاقة علـى مثلـه». فقـال: «أصـوم الدّهر». فقال: «لا؛ ولكن الصّوم الذى وصفه رسول الله، ﷺ، صوم يـوم وفطـر يـوم». فقال: «لا أقدر على ذلك. فقال: يصوم رجب وشعبان ورمضان». ففعـل ذلـك، وتحـرّم فى صومه وبرَّه هذه الأشهر من كلّ ما يُنكَر فى الديانة.

سنة أربع وعشرين وخمسمائة

فى ربيع الأوّل: وُلدِ للآمر ولد سمَّاه أبا القاسـم الطّيـب، فجُعِـل ولىّ عهـده؛ وأمـر فزيّنت القـاهرة ومصـر، وعُمِلـت الملاهـى فـى الإيوانـات وأبـواب القصـور، وكسـيت العساكر، وزُيّنت القصُور. وأخرج الآمر من خزانته وذخـائره قماشًـا ومصاغًـا مـا بـين آلات وأوانـى مـن ذهـب وفضـة وجوهـر، فزيـن بهـا؛ وعُلّـق الإيـوان جميعُـه بالسُّـتور والسّلاح. واستمرّ الحال على هذا أربعة عشر يومًا.

وأحضر الكبْشُ الذى يُعَقّ به عن المولود، وعليه جـلٌّ مـن ديبـاج، وفـى عنقـه قلائـد الفضَّة، فذبح بحضرة الخليفة الآمر. وجـىءَ بـالمولود فشُـرّف قـاضى القضـاة ابـن ميسّـر بحمله؛ ونُثرت الدنانير على رءُوس الناس. ومدّت الأسمطة العظيمـة بعـد مـا كُتِـب إلى الفيّوم والقليوبيّة والشرقية فأُحضرت منها الفواكه، ومُلئَ القصر منهـا ومـن غيرهـا مـن ملاذ النُّفوس، وبُخّر بالعنبر والعود والندّ حتى امتلأ الجوّ من دُخَانه.

فيها تواترت الأخبار بتخويف الآمر من اغتيال النزاريّة وتحذيره منهم، وإعلامـه بأنـه قد خرج منهم قوم من المشرق يريدون قتله؛ فتحرّز احترازًا كبيرا بحيث إنه كان لا يصل أحد من قطر من الأقطار إلاّ ويُفتّش ويُستقصَى عنه. وأقام عدّةً من ثقاته يتلقون القوافل ليتعرّفوا أحوال الواصلين ويكشفوا عنهم كشفًا جليًّا. وكلما اشتد الأمـر كثر الخـوف. واتّصل به أن جماعةً من النّزاريّة حصلوا بالقاهرة ومصر، فاحترز وتحيّل فى قبضهـم فلـم يقدر لمـا أراده اللـه؛ وفشـا فـى النـاس أمرهـم، وكـانوا عشـرة فخـافوا أن يُظْفَـر بهـم، فاجتمعوا فى بيت وقالوا: «إنه قد فشا أمرُنا ولا نـأمن أن يُظفَـر بنـا»؛ واشـتوَرُوا. فقـال أحدهم: «الرأى أن تقتلوا رجلاً منكـم وتُلْقُـوا برأسـه بَيْـن القصريـن لتنظـروا إن عرفهـا الآمر».

فتَيقّنوا أنّ حلاَكُم قد ذكرت لـه، فتُعْملـوا الحيلـة فـى فراركـم مـن مصـر؛ وإن لـم يعرفها فتطمئنوا حينئذ وتعرفوا أنّ القوم فى غفلة». فقالوا: «ما يتسع لنا قتـلُ واحـد منـا ينقص عددنا وما بذاك أُمِرْنا». فقـال: «أليـس هـذا مـن مصلحتنـا ومصلحـة مـن تلزمنـا

Marfat.com

طاعته؛ وما دَلَلْتكم إلاّ على نفسى». وأَسرع بسكين فذبح بهـا نفسه فمـات، وأَخـذوا رأَسه ورموها فى الليل بين القصرين، وأَصبحـوا ينظـرون مـا سبق، فلمـا رُئِيـت الـرأْس واجتمـع النّـاس عليهـا لـم يقـل أَحـدٌ إنـه عرفهـا، فحُملـت إلى الـوالى، فـأَحضر عُرَفـاء الأَسواق على أَرباب المعايش وأَوقفهم عليها فلم يعرفها أَحدٌ، فأَحضر أَصحاب الأَربـاع بالحارات فلم يعرفوها، ففرح النزاريّة واطمأَنّوا بالإِقامة فى مصر لقضاء مُرادِهم.

وكان الآمر كثير الفُرَج محبًّا لِلّهو؛ فركب فى يوم الثلاثاء الرابع مِنْ ذى القعدة يُريـد أَن يجىء إِلى الهودج[1] الذى بناه بجزيرة مصر لمحبوبته البدريّة؛ ومن العادة فى الركـوب أَن يشاع فى أَربـاب الخـدم بـالموكب جهـة قصـد الخليفـة حتـى لا يتفرقـوا عنـه، فعلـم النزاريَّة أَين يقصد فجاءوا إِلى الجزيرة المذكورة ودخلوا فُرْنًا قبالة الطّـالع مـن الجسـر إِلى البر، ودفعوا إِلى الفرَّان دراهم ليعمل لهم فطيرًا بَسمْنٍ وعسل، فبينما هم فـى أَكلـه وإِذا بالخليفة الآمر قد عَبر من كرسى الجسر بمصر وجاز عليه وقد تفرّق عنـه الركابيـة ومـن يصونه بسبب ضيق الجسر، فلمَّا طلع من ذا الجسر يريد العبـور إِلى الجزيـرة وثبـوا عليـه وثْبَةَ رجُل واحـد وضَرَبُـوه بالسّـكاكين، وواحـد منهـم صـار خَلْفَـه علـى كفـل الدّابّـة وضربه عـدّة ضربـات، فـأَدركهم النـاس وقتلوهـم، وكـانوا تسـعة، وحُمِـل الآمـر فـى عشارى إِلى اللؤلؤة، وكانت أَيام النيل، فمات من يومه؛ وحُمِل من اللؤلؤة وهـو ميـت إِلى القصر.

وكان عمره يوم قُتل أَربعًا وثلاثين سنة وتسعة أَشـهر واثنين وعشـرين يومـا، ومـدّة خلافته تسع وعشرون سنة وثمانية أَشهر وخمسة عشر يوما؛ ومازال محكوما عليه حتـى قُتِل الأَفضل، فتزايد أَمْرُه عَمّا كان أَيام الأَفضل. فلما قبـض على وزيـره المـأمون استبدَّ بالأُمور، وتصرَّف فى سائر أَحوال المملكة، وأَكثر من الرّكـوب، ورتّـب لركوبـه ثلاثـة أَيام من كلّ أَسبوع وهى يوم الجمعة ويوم السبت ويوم الثلاثاء، فإذا لم يتهيَّأْ له الركـوب فِي أَحَد هذه الأَيام ركب فِي يَومٍ غيره. فكان يمضى أَبدًا فى يومـى الثلاثـاء والسـبت إِلى النزهة فى بستان البعل، والتاج، والخمس وجوه، وقبة الهواء، مـن ظـاهر القـاهرة، أَو إِلى دار الملك بمصر، أَو بالهودج الذى أَنشأَه بجزيرة مصر التى يقال لها اليوم الروضة.

وكان يتجوَّل فى أَيّام النّيل فى القصر بخدمه ويسكن فى اللؤلـؤة المطلّـة علـى خليـج القاهرة، وكان النّاس يَوْمَ ركوبه يخرجون من القاهرة ومصر بمعايشهم ويجلسُـون للنّظـر إِليه، فيكون كيوم العيد، وصار الناس مدّة أَيامه التى استبدّ فيهـا فـى لهـوٍ وعيـش رغـد لكثرة عطائـه وعطـاء حواشيه وأُستاذيه، لاسـيما غلامـه بزغـش ورفيقـه هـزار الملـوك

---

(١) من متنزهات الفاطميين.

Marfat.com

جوامرد، حتى إنه لا يكاد يوجد فى مصر والقاهرة من يشكو زمانه لبسطهم الرزق بين الناس وتوسّعهم فى العطاء، ثم تنكد عيش الناس بقيام الرّاهب وكثرة مُصَادراته، وشَره حينئذ الآمر فى أَخْذِ أموال النّاس، فقبُحت سيرته، وكثُر ظُلْمُه واغتصابه لأَمْلاك كثيرة من أَملاك الناس، مع ما فيه من التجرّؤ على سَفْك الدّماء وٱرتكاب المحذُورات واسْتحسان القبائح.

وفى أَيّامه: ملك الفرنج كثيرا من المعاقل والحصُون بسواحل البلاد الشاميّة؛ فمُلِكت عكا فى شعبان سنة سبع وتسعين، وعرقة فى رجب سنة اثنتين وخمسمائة؛ واستولوا على مدينة طرابلس الشام بالسيف فى يوم الاثنين لإحدى عشرة خلت من ذى الحجة سنة اثنتين وخمسمائة؛ وملكوا بانياس وجبَيلِ بالأَمان لثمان بَقِيَن من ذى الحجة منها. وملكوا قلعة تبْنين فى سنة إِحدى عشرة وخمسمائة؛ وتسلمُوا مدينة صُور فى سنة ثمان عشرة وخمسمائة.

وكثرت المرافعات فى أَيامه، واستخدم عدّة من الكتاب الظلمة الأَشرار؛ وضَمّن أَشياء لم تَجْر العادة بتضمينها، وأَخذ رسومًا لم تكن فيما تقدّم.

وعمل دكة عليها خركاة[1] فى بركة الحبش؛ وعمر فى بركة الحبش مكانًا سمّاه تنّيس وموضعًا آخر سمّاه دمياط، وجدّد قصر القرافة، وعمل تحته مصطبة للصوفيّة، فكان يجلس فى أَعلاه ويرقص أَهل الطريقة قدّامه، والشمع مَوْقُود والمجامر تعبق بالبخور، والأَسْمِطة تمدُّ بكلّ صنفٍ لذيذ من الأَطعمة والحلوى، وفرّق فى ليلة عند تواجُدِ ابن الجوهرى الواعظ وتمزيق رقعته على مَنْ حضر وعلى الفقراء ألف نصفية[2]، ونثر عليهم من الطّاق ألف دينار تَخاطفوها.

وبنى الهودج لمحبوبته العالية البدريَّة فى جزيرة الرَّوضة، ولهذه البدريَّة وابن ميَّاح، من بنى عمّها، مع الآمر أَحاديث صارت كأَحاديث البطّال وشبهها قد ذكرتها عند جزيرة الروضة من هذا الكتاب.

وكان المنفَق فى مطابخه وأَسْمِطته شىء كثير، فكان عدّة ما يُذْبح له فى كل شهر خمسة آلاف رأس من الضّأن خاصّة، سوى ما يُذبح ممّا سوى ذلك، وثمن الرأس منها ثلاثة دنانير.

وكان أَسمر شديد السُّمْرة؛ يحفظ القرآن، وخطُّه ضعيفًا. وكانت نفسُه تحدّثه بالسّفر إِلى الشرق والغارة على بغداد، وأَعدَّ لذلك سُروجًا مُجَوّفة القرابيص وبطّنها

(١) خركاة: هى الخيمة.

(٢) هى قماش من نسيج الكتان والحرير.

Marfat.com

بصفائح من قصدير ليحمل فيها الماء، وعمل لها فمًا فيه صفارة فإذا دعت الحاجة إلى الماء شرب منه الفارس، فكان كلُّ سرج منها سبعة أَرطال من ماء، وعمل عدة من حجال (١) الخيل من الديباج؛ وقال فى ذلك

دع اللوم عنى لست منى بموثق ... فلابدَّ لى من صدمة المتحقّق
وأَسقى جيادى من فراتٍ ودجْلةٍ ... وأَجمعُ شمل الدين بعد التفرُّق

ومن شعره أَيضا:

أَمَا والذى حجّت إلى رُكْن بيته ... جراهيم ركبانٌ مقلدةٌ شهْبا
لأقتحِمنَّ الحرب حتّى يقالَ لى ... ملكْتَ زمامَ الحرب فاعتزل الحربا
وينزل روح الله عيسى بن مريم ... فَيْرضى بنا صحْبًا ونَرْضى به صَحْبا

وكانت وزارة الأَفضل بن أَمير الجيوش، وكان حاجرًا عليه ليس له معه أَمر ولا نهى، ولا تعود له كلمة إِلى أَن قتل، ثم وزر له المأمون محمَّد بن فاتك البطائحى، فصار له فى وزارته أَمر ونهى، وعادت الأَسمطة على ما كانت عليه قديما؛ وكان الأَفضل قد نقلها فصارت تُعمل أَيّام الأَعياد والمواسم فى دار الملك بمصر حيث كان يسكن، فلما قتل المأمون استبدّ ولم يَسْتوزرْ أَحدًا، ودامت له الدّنيا.

وقُضاته: ابن ذكا النابلسى؛ ثم ولى أَبو الفضل الجليس نعمة بن بشير، فطلب الإقالة؛ فوَلَى بعده الرشيد أَبو عبد الله محمد بن قاسم بن زيد الصّقلى، ومات؛ فاستقر بعده الجليس نعمة بن بشير النابلسى مرة ثانية؛ ثم صُرِف بأَبى الفتح مسلم بن الرّسعنى؛ وعُزِل بأَبى الحجّاج يوسف بن أَيوب المغربى؛ فلمَّا مات استقرّ من بعده أَبو عبد الله محمّد بن هبة الله بن ميسّر القيسرانى، وقُتِل الآمر وهو قاض.

وكُتّاب الإنشاء فى أَيّامه: سناء الملك أَبو محمّد بن محمّد الزَّيدى الحسينى؛ والشيخ الأَجل أَبو الحسن بن أَبى أسامة الحلبى؛ والشيخ تاج الرئاسة أبو القاسم ابن الصّيرفى؛ وابن أَبى الدم اليهودى.

وكان نقش خاتمه: الإمام الآمر بأحكام الله أَمير المؤمنين.

وفى أَيامه: نزع السِّعر، فبلغ القمح كل أَردب بدينار، وكان الناس قد أَلِفُوا الرخاء فى أَيام الأَفضل والمأمون، وبَعْد عهدهم بالغلاء، فقلقوا لذلك.

ومن نوادر الآمر أَنه عاشر الخلفاء الفاطميين وهو العاشر فى النّسب أَيضا، ولم يَلِ عشرة على نَسَقٍ واحد ليس بينه أَخ ولا عمٌّ ولا ابن عمٍّ غير الآمر.

---

(١) هو الخلخال.

Marfat.com

وعُرِض عليه فصلٌ فى التوحيد من جملته: «وهو المحذر بقوارع التهديد، من يوم الوعد والوعيد»؛ فقال: «إذا حذر من الوعد كما يحذّر من الوعيد، فما الفرق بينهما؟» وأَمر أَن يقال: «المحذر بقوارع التهديد من هول يوم الوعيد». واستدرك فى فصل آخر فى ذكر علىٍّ، رضى الله عنه، قوله: «وهو السّابقُ إلى دعوة رسول الله ﷺ، وإجابته»؛ فقال: إن قوله «السَّابق» غير مستقيم، لأنه إن أَراد التّخصيص فذلك غير صحيح، إذ كانت خديجة سبقت إلى الإسلام، والسابق منهم جائز أَن يكون واحدًا وأَن يكون جماعة؛ والله تعالى يقول: ﴿**والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ**﴾[1] وليس فى ذلك دليل على تخصيص واحدٍ بالتقدم على الباقين؛ وذكر مثالا فقال: خيل الحلبة إذا أقبلت منها عشرة لا يخرج فيها واحد عن واحد قيل لها «السبق»، وقيل لكل واحد منها سابق. وأَمر أَن يقال: «أَول سابقٍ إلى دعوة رسول الله ﷺ، وإجابته».

* * *

(١) سورة الواقعة آية ١٠.

الحَافِظُ لِدّين اللـهِ ابُو المْنِمّون عَبْد المجَيد بْن ألأمير
أَبِى القَاسِم مُحمَّدْ بن المْسُتَنْصِر باللـهِ أبى تميم مَعَدّ [1]

ولِد بعسقلان فى المحرّم سنة سبع، وقيـل سـنة ثمـان، وسـتين وأَربعمائـة لمـا أَخـرج المستنصر ابنه أَبا القاسم مع بقيّة أَولاده فى أَيّام الشدة؛ فكان يقال له الأمير عبـد المجيـد العسقلانى، ابن عمّ مولانا.

ولما قَتَل النّزاريّة الآمر كان كبـارُ غلمانـه: العـادلَ بزغـش، وهـزار الملـوك جوامـرد، وينعت بالأفضل، فَعَمَدَا إِلى الأمير أَبى الميمون عبد المجيد، وكان أَكبر الجماعة الأقارب سِنًا، وقالا: إن الخليفة المنتقل قـال قبـل وفاتـه بأسـبوع عـن نفسـه: «المسـكين المقتـول بالسِّكّين»؛ وأَشار إِلى أَن الجهة الفلانية حامل منه، وأَنه رأَى رؤيا تدُلُّ أَنّهـا سَتلِدُ ولـدًا ذكرا، وهو الخليفة من بعده، وأَن كفالته للأَمير عبد المجيد أَبى الميمون، فجلس المذكور كفيلاً، ونعت بالحافظ لدين الله، فى يوم الثلاثاء رابـع ذى القعـدة سـنة أَربـع وعشـرين وخمسمائة، يوم قتل الآمر بأَحكام الله؛ وتقرّر أَن يكون هزار الملـوك وزيـرًا، وأَن يكـون الأَمير السعيد أَبو الفتح يانس الحافظى، متولى الباب أَسفهسلارًا.

وقُرِئ سجلٌّ فى الإِيوان بهذا التّقرير والحافظ فى الشّباك جالس؛ تَولّى قراءته قـاضى القضاة ابن ميسّر على كرسىٍّ نُصِب له أَمام الحافظ، بحضور أَرباب الدَّولة.

وخُلع على هزار الملوك خلع الوزارة، وقد اجتمع فـى «بين القصريـن» خمسـة آلاف فارس وراجل، وفيهم رضوان بن وَلَخْشِى [2] أَحـد الأُمـراءِ المميَّزين أَربـاب الشـجاعة،

(١) عبد المجيد بن محمد بن المستنصر بالله العبيـدى، أبـو الميمـون، الملقـب بالحـافظ لديـن اللـه: مـن خلفاء الدولة الفاطمية بمصر. ولد فى عسقلان، وتملك الديار المصرية سـنة ٥٢٤هـ، بعـد مـوت الآمر بأحكام الله. واستقام له الأمر زمنا. وكان كثير الفتك بوزرائه وخاصته: استوزر أحمد بـن الفضل الجمالى، وساءه منه أن يتصرف بالأمور دونه، فقتلـه سـنة ٥٢٦هـ، واسـتوزر أبـا الفتـح يانسا الحافظى، فرأى استبدادا منه فى الرأى فسـمه، وفـوض الأمـر إلى ابن لـه يدعـى سـليمان، فمات لشهرين من ولايته وأقام ابنا آخر له اسمه حسن، فارتفعت إليه وشاية به فقتله بالسم سنة ٥٢٩هـ واستوزر أميرا أرمينيا يدعى بهرام، ثم قتله سنة ٥٤٣هـ. وباشر بعد ذلـك أمـور الدولـة بنفسه فلم يول وزارته أحدا إلى أن مات بمصر. انظر: وفيات الأعيان ٣٠٩/١ وشذرات الذهـب ١٣٨/٤ وابن الأثير ٥٣/١١ وابن إياس ٦٤/١ وابن خلدون ٧١/٤ والأعلام ١٥٠/٤.

(٢) لقب رضوان نفسه بلقب الملك، وهو أول وزير يحمل هذا اللقب فى العهد الفاطمى، ومـن أهـم أعماله القضاء علـى سـلطان الأرمـن، ومصـادرة أموالهـم، وتجريـد الخليفـة مـن السـلطة. انظـر: موسوعة تاريخ مصر ١٦٠/٥، ١٦١.

Marfat.com

وهو رأس الجمع؛ وفى داخل القاعة بالقصر أيضا جماعة فيهم بُزغش، وقد شقَّ عليه تقدم هزار الملوك، وتَقلُّده الوزارة؛ فنظر إلى أبى على أحمد بن الأفضل، الملقّب كتيفات، وهو جالس، فقال: «يا مولاى الأجلَ، أنا أشح عليك أن تُطِيل الجلوس حتى يخرج هذا الفاعل الصانع وزيرًا فتخدمَه، ويسومَك المشى فى ركابه؛ اخرج إلى دارك، وإذا قضى الله مضَيْت منها لهنائه».

وكان ظَاهرُ هذا القول مكارمة أبى على، وباطنُه أنّه علم أن أكثر العسكر الواقفين بين القصرين لا يرغبون وزارة هزار الملوك؛ فدبَّر أنّهم إذا وقعت أعينُهم على أبى علىّ تعلّقوا به، وأقاموه وزيرًا، فيفسد أمرُ هزار الملوك، فقام أبو علىّ ليخرج، فمنعه طغج، أحد نوّاب الباب، وكان فطِنًا ذكيا؛ فقال له بُزغش: «لِمَ تمنع هذا المولى من الخروج؟» فقال: «كيف لا أمنعُه من الخروج إلى هذا الجمع ولا يؤمَن تعلق العسكريَّة فيقع له ما وقع للآخر». فهزَّه بزغش وقال له: «دَع عَنْك الفضُول» وقام بنفسه وأخرجه إلى آخر دهاليز القصر؛ فما هو إلاّ أنْ خرج من باب القصر ورآه رضوان بن ولخشى والجماعة، وقد علموا أن هزار الملوك قد خُلِع عليه للوزارة وأنّه سيخرج إليهم، فتوَاثَبوا إلى أبى علىّ وقالوا: هو الوزير ابن الوزير ابن الوزير. وأراد أن يَنْفَلِت منهم واعتذر أنه شرب دواء، فلم يُقْبل منه؛ وطُلب له فى الحال خيمة وبيت صدار، فضربت فى جانب من بين القصرين، وأدخلوه فيها.

وقام الصَّالح وثار العسكر بمُوَافقتهم على وزارته والرّضا به، وصاحوا أن لا سبيل أنْ يَلَى علينا هذا الصّانع الفاعل، وأعْلَنوا بشَتْمه، فغلقت أبواب القصر كلها واشتدّ الأمر؛ فأحضر ضرغامٌ وأصحابهُ سلالم وأقاموها إلى طاقات المنظرة، وأطْلَقُوا عليها أميرًا يقال له ابن شاهنشاه، فلما أشرف على طاق المنظرة جاء أستاذُو الخليفة وأنكروا عليه فعله؛ فقال: هذه فتنة تقوم ما تسرُّ، فما الذى خلعْتُم عليه! ويحصل من ذلك على الخليفة من العوامّ وسُوءِ أدب جُهّال العسكر ما لا يُتلافى؛ وما هذا شىء والله إلاّ نصيحة لمولانا، فإننى قد علمت من رَأىِ القوم ما لا علمتم، أخبِروا مولانا عنى بهذا».

فمضى الأستاذون إلى الحافظ وأبلغوه ما قال ابن شاهنشاه وهزارُ الملوك بين يديه بخِلَع الوزارة يسمع القول؛ فقال له الحافظ: «ها أنت ذا تسمع ما يقال». فقال: «يا مولانا، أنا فى مجلسك ووزارتى بوصية خليفة قبلك، فاتركنى أخرج لهؤلاء الفَعَلة الصَّنعة». فقال: «لا سبيل لفتح باب القصر فى مثل هذا الوقت، وقد فعلنا فى أمرك ما رتب لك، وهذه الخلع عليك؛ ولكن قد قال أمير المؤمنين علىُّ بن أبى طالب عليه السَّلام: «لا رأى لمنْ لا يُطاع».

Marfat.com

واشتدّ الأمر وكثُر تَمْوِيرُ العسكر (١) فقيل لابن شاهنشاه: «قد أُجبْتُم إلى وزارة أَبى علىٍّ وما نحن له كارهون». فأَعاد ذلك على رضوان وأَصحابه، فقالوا: «قُل له يسلم لنا هزار الملوك». فامتنع من ذلك، وقدْ تَكَاثَر القوم على سُور القصر وعزموا على طلب المذكور ولابُدّ. فقال الحافظ له: «قم واحتجِبْ فى مكانٍ عسى ندبّر فى قضيتك أَمرًا نصرِفُ به هذا الجمع عنا وعنك».

فنزعت الخلع عنه وأَحيط به، فصار إلى مكانٍ قُتِل فيه قِتْلةً مستورة وأُلْقِيت رأَسُه إلى القوم، فسكنوا.

واستُدْعِيَ بالخلع لأَبى على، فأُفِيضَت عليه فى يوم الأربعاء خامسه، وركب إلى دار الوزارة والجماعة مُشاةٌ فى ركابه، فكانت وزارة هزار الملك نصف يوم بغير تصرّف وكان قد اصطفاه الآمر لنفسه هو وبُزغش قبل موته بمدَّة وردَّ له المظالم والنظر فى أَحوال الجند، وهو نوع من الوزارة؛ وكان يُنْعت بالأفضل.

ووقع النّهب فى القاهرة من باب الفتوح إلى باب زويلة، ونهبت القيسارية وكان فيها أَكثر ما يملكه أَهل القاهرة؛ لأنها كانت مخْزَنَهم، ومذ بُنِيَت لم يكن فيها أَمر يُكْره، فكان هذا أَوَّلَ حادثٍ حدث على القاهرة من النّهب والطمع.

وطيف برأْس هزار الملوك على رمح، واستقرّت الوزارة لأَبى على(٢) أَحمد بن الأفضل شاهنشاه بن أَمير الجيوش بدر الجمالى وكان يلقّب بكتيفات، فى يوم الخميس سادس عشر ذى القعدة، فأَول ما بدأَ به أنه أَحاط بالحافظ وسجنه فى خزانة فيما بين الإيوان وباب العيد ويقال إنّ رضوان بن ولخشى دخل إليه وقيّده؛ فقال له الحافظ: «أَنت فحل الأمراء». فنُعِت بذلك.

وتمكن أَبو علىٍّ واستولى على جميع ما فى القصر من الأَموال والذّخائر، وحمل الجميع إلى دار الوزارة بعد أَن فرّق أَكثر ما كان الآمر جَمَعَهُ من الغلال فى الناس على سبيل الإنعام وكان السّعر غاليا، يباع القمح بنحو الدّينار كل إردب، فأَراد أَبو على أَن يُحَسِّن سمعته، فأَمر أَنْ تفتح المخازن وأَطلق أَكثر ما كان فيها، وكانت مئى أَلوف أَرادب.

---

(١) المراد الاضطراب والتحرك.

(٢) أحمد بن الأفضل شاهنشاه أحمد بن بدر الجمالى، أبو على: وزير الحافظ الفاطمى صاحب مصر. استوزره سنة ٥٢٤هـ وكان داهية فتغلب على الملك وحجر على الحافظ ورد على المصادرين أموالهم، فحمد له المصريون ذلك. وأظهر مذهب الإمامية الاثنى عشرية. وكتب اسمه على السكة. ودعا على المنابر للقائم فى آخر الزمان. واستمر إلى أن قتله أحد مماليك الحافظ، بظاهر القاهرة. ومولده بعسقلان. انظر: ابن خلكان ١/٣٠٩ والأعلام ١/٩٠.

وردَّ على النّاس الأموال التى فضلت فى بيت المال مِنْ مال المصَادرة التى كان قد أخذها الآمر فى أيّام مُبَاشرة الرَّاهب وما كُتِبَت به الخُطوط قبل ذلك؛ وكان الذى وجُد خمسين ألف دينار، فاستبشر النّاس به، وفرحُوا فرحا ما ثَبَتْت منه عقولُهم، وضجَّوا بالدُّعاء له فى سائر أعمال الدّيار المصريَّة؛ وأعلنوا بذكر معايب الآمر ومثالبه، وأقطع الحجريّة (١) البلاد، وظهر فرح النّاس وابتهاجُهم.

وأكرم بُزغُش العادل الذى أشار عليه بالخروج من القصر إكرامًا كثيرا. وكانت قد ضُربت ألواح على عدة أملاك فى أيام الآمر فأعيدت إلى أربابها.

وكان إماميًّا متشددًا، فالتفّتْ عليه الإماميَّة ولعبوا به حتى أظهر المذهب الإمامى، وتزايد الأمرُ فيه إلى التأذين فانفعل بهم، وحسَّنوا له الدّعوة للقائم المنتظر، فضرب الدّراهم باسمه ونقش عليها: الله الصّمد، الإمام محمّد، وخطب بنفسه فى يوم الجمعة، وكان أكثر خَلْقِ الله تخلُّفا وأقلّهم عِلْمًا، فغلط فى الخطبة غلطة فاحشة صحّفها فلم ينكر عليه أحد.

واشتدّ ضررُه على أهل القصر من الإرْعَاد والإبْرَاق، وأكثر من إزعاجهم والتّفتيش على ولد الآمر وعلى يانس، صاحب الباب، وعلى صبيان الخاصّ الآمرية. وأراد أن يخلع الحافظ ويقتُلَه بمن قتله الآمر من إخوته، وكان الآمر لما احتاط على مَوْجُود الأفضل بعد قتله بلغه عن أولاد الأفضل كلام فى حقّه يُسْتَقْبحَ ذكرُه، فأقام عليهم الحجّة عندما مثلوا بحضرته، وقال: أبوكم الأفضل غلامى ولا مال له، فسفه عليه أحدهم؛ فغضب وقتلهم، فأراد أبو على بتفتيشه على الْحَمْل الذى ذُكر أنه من الآمر أن يظفر به ليقتله بإخوته؛ فلم يظهر الحمل، ولا قَدَرَ أيضا على قتل الحافظ ولا خَلْعَه، فاعتقله كما تقدّم، وخطب للقائم المنتظر تمويهًا، فنفرت قُلوب أهل الدَّولة منه، وقامت نُفُوسُهم منه، وتعصّب قومٌ من الأجناد من خاصّ الخليفة، بترتيب يانس لهم، وتحالفوا سرًّا على قتْله، وكانوا أربعين رجلا، وصاروا يرتقبون فرصة ينتهزونها.

وفيها قُبِض على جعفر بن عبد المنعم بن أبى قيراط وعَلَى أبى يعقوب إبراهيم السَّامرى، ونهب الجند دُورَهُما؛ وحُبسا فى حَبْسِ المعونة، ثم أُخرجا ميّتَين.

سنة خمس وعشرين وخمسمائة

فيها رتّب أبو علىّ بن الأفضل فى الحكم أربعة قضاة، فصار كلُّ قاضٍ يحكم بمذهبه ويورِّث بمذهبه؛ فكان قاضى الشافعيَّة سلطان بن إبراهيم بن المسلم بن رشا، وقاضى

---

(١) هم جماعة من الشباب كانوا يقيمون فى حجر منفردة ومتى طلبوا لمهم لم يجدوا عائق.

المالكية أَبو عبد الله محمَّد بن أَبى محمد عبد المولى بن أَبى عبـد اللـه محمـد بـن عبـد اللـه اللبنى المغربى، وقاضى الإِسماعيليَّة أَبو الفضائل هبة الله بن عبد الله بن حسن بن محمّـد القاضى فخر الأمناء الأنصارى المعروف بابن الأزرق، وقاضى الإِماميّة القــاضى المفضَّـل أَبو القاسم بن هبة الله بن عبد الله الحسن بن محمد بن أَبى كامل. ولــم يسـمع بمثلـه هنا فى الملة الإسلاميّة قبل ذلك.

سنة ست وعشرين وخمسمائة

فى يوم الثلاثاء سادس عشر المحرّم: ركـب أَبـو علـى أَحمـد بـن الأَفضـل إِلى رأَس الطابية لِيُعرّق فرسًا فى الميدان بالبستان الكبير خارج باب الفتوح من القـاهرة، واللعـب بالكرة[1] على عادته؛ فجاء وهو هناك عشرة من صبيان الخاص الّذين تحالَفُوا علـى قتلـه متى ظفروا به جميعًا أَو فُرادَى، فصاح أَبو علي، عَادةَ مَنْ يسابق بخيلٍ: «راحــت»، فقـال العشرة: «عليك»، وحَمَلُوا عليه وطعنوه حتى قُتِل. فأدركـه أستاذ مـن أستاذيه، وألقـى نفسه عليه فقتلوه معه.

واجتمع الأربعون عنانًا واحدًا وجاءوا إِلى القصر وفيهم يانس، وكان مُسْتَوحشا مـن أَبى على، فأَخرجوا الحافظ من الخزانة التى كان معتقلا بها وفكوا عنه القيد، وأجلسـوه فى الشباك على منصة الخلافة، وقالوا: ما حرَّكَنـا علـى هـذا إِلاّ الأمـير يـانس، فـاجتمع الناس، وأَخِذ له العهد على أَنّه وَلِىُّ عهدٍ كفيلٌ لمن لم يُذكر اسمه.

ونُهِب في هــذا اليـوم كثـير مـن الأسـواق والـدُّور والحوانيـت؛ وصـار ذلـك عـادة مستقرة وشيئًا معهودًا فى كل فتنة.

وحُمِل رأس أَبى علي إِلى القصر، وكان قد أَسْقَط منذ أَقامه الجندُ ذِكْر إسماعيل بـن جعفر الصَّادق[2] الذى تُنسب إِليه الطائفــة الإِسـماعيليَّة، وأَزال مـن الأذان قولهـم فيـه: «حَى على خير العمل، محمـد وعلـىٌ خـير البشـر»؛ وأَسـقط ذِكْـر الحـافظ مـن الخطبـة؛ واخترع لنفسه دعاءً يدعى به على المنابر وهــو: « السـيد الأجـلُّ الأفضـل، سـيِّد ممـالك أَرباب الدّول، المحامى عن حَوْزة الدّين، وناشر جناح العــدل علـى المسـلمين، الأقربـين والأبعدين، ناصر إِمام الحقّ فى حَالَىْ غيبته وحضوره، والقائم فى نصرتـه بمـاضى سـيفه وصائب رأيه وتدبـيره، أَمـين اللـه علـى عبـاده، وهـادى القضـاة إِلى اتبـاع شـرع الحـقّ واعتماده، ومرشد دُعاته المؤمنين إِلى واضح بيانه وإِرشاده، مُولِى النّعم، رافع الجـور عـن

---

(١) من ألعاب الفروسية، وتعرف الآن بلعبة البولو.

(٢) انظر: فرق الشيعة للنوبختى ٦٧ وخلاصة تهذيب الكمال ٢٨ وتبيين المعـانى ٣٦ وابـن خلـدون ٣٠/٤ ودائرة المعارف الإسلامية ١٨٨/٢ وملوك العرب ٢١٥/١ والأعلام ٣١٢/٣١١/١.

الأمم، مالك فضيلتى السيف والقلم؛ أَبو على أَحمد بن السَّيِّد الأَجلّ الأَفضل أَبى القاسم شاهنشاه أَمير الجيوش».

وكانت مدّة تحكمه سنة وشهرًا وعشرة أَيام؛ ثم حمل بعد قتله ودُفِن بتربة أَمير الجيوش، ظاهر باب النصر.

وخُلِع على السَّعيد أَبى الفتح يانس الأَرمنى، صاحب الباب، خلع الوزارة؛ وكان من غلمان الأَفضل بن أَمير الجيوش العقلاء، ولَهُ هَيْبة، وعنده تماسُك فى الأمور وحفظ للقوانين، فهدأَت الدّهماء وصلحت الأَحوال؛ واستقرّت الخلافة للحافظ؛ وحُمِل جميعُ ما كان قد نُقِل إِلى دار الوزارة من الأَموال والآلات وأُعيد إِلى القصر.

ولم يُحْدِث يانس شيئا؛ إِلاّ أَنّه تخوَّف من صبيان الخاصّ، وحدثته نفسه أَنهم قد جسروا على الملوك، وأَنه رُبّما غضبوا منه ففعلوا به ما فعلوه بغيره؛ وأَحسُّوا منه بذلك فتفرّقوا عنه.

فلمَّا تأَكدت الوحشة بينهم وبينه ركب فى خاصّته وغلمانه وأَركب العسكر، والتقوا قبالة باب التِّبّانين[1] بين القصرين، فقتل منهم ما يزيد عن ثلاثمائة فارس من أَعيانهم، فيهم قَتَلَةُ أَبى على أَحمد بن الأَفضل، وكانوا نحو خمسمائة فارس، فكسر شوكتهم وأَضعفهم فلم يَبْقَ مَنْ يُؤبَه له ولا يُعتدّ به، فقوِىَ أَمرُ يانس وعَظُم شأْنه.

وكانت له فى النفوس مكانة، فثقُل على الحافظ وتخيّل منه، فأَحسَّ بذلك، وصار كلٌّ منهما يدبِّر على الآخر فبدأَ الوزير يانس بحاشية الخليفة، فقبض على قاضى القضاة وداعى الدّعاة أَبى الفخر صالح بن عبد الله بن رجاء وأَبى الفتوح بن قادوس فقتلهما. وبلغه شىء يكرهه عن أَستاذ من خاصّ الخليفة، فقبض عليه من غير مشاورة الحافظ، واعتقله بخزانة البُنود، وضرب عنقه من ليلته، فاستبدّت الوحشة بينه وبين الحافظ، وخشى من زيادة معناه، فقال الحافظ لطبيبه: «اكْفِنى أَمره بمأْكل أَو مشرب». فأَبى الطبيب ذلك خوفا من سوء العاقبة، ويقال إِنّ الحافظ توصَّل إِلى أَن سمّ يانس فى ماء الْمُسْتَراح، فانفتح دُبُره واتّسع حتى ما بقى يقدر على الجلوس. فقال الطبيب: يا أَمير المؤمنين، قد أَمكنت الفرصة وبلغت مقصودك، فلو أَنّ مولانا عاده فى هذه المرضة اكْتَسَبْتَ حُسْن الأُحْدُوثة؛ وهذا المرض ليس دواؤه إِلاّ السّكون ولا شىء أَضرّ عليه من الحركة والانزعاج، وهو كما يسمع بقصد مولانا تحَرّك واهتمَّ بلقائه وانْزَعج، وفى ذلك تَلاَفُ نفسه». فقبل ذلك وجاء لعيادته. فلمَّا رآه يانس قام للقائه وخرج عن فراشه؛ فأَطال الحافظُ جلوسه عنده ومحادثته، فلم يقم حتى سقطت أَمعاؤه، ومات من ليلته، فى سادس عشرى ذى الحجّة.

---

(١) من أبواب القصر الفاطمى الغربى.

Marfat.com

وكانت وزارته تسعة أشهر وأيّاما. وترك ولدين كفلهما الحافظ.

وكان يانس هذا قد أهداه باديس(١) جدّ عبّاس الوزير - الآتى ذكره إن شاء الله تعالى - إلى الأفضل بن أمير الجيوش فترقى فى الخدم إلى أن تأمّر وتقدّم وولّى الباب، وهى أعظم رتب الأمراء، وكنى بأبى الفتح ولقب بالسّعيد؛ ثم نعت فى وزارته بناصر الجيوش سيف الإسلام. وكان عظيم الهمّة بعيد الغور، كثير الشرّ، شديد الهيبة.

وفيها استقرّت حال الحافظ لدين الله وبُويعَ له بيعة ثانية لما عُمِل الحمل. قال الشريف محمد بن أسعد الجوانى (٢): «رأيت صغيرًا فى القرافة الكبرى، ويسمى قُفَيفة، سألت عنه، قيل هذا ولد الآمر لما وَلّى الحافظَ وَلِىَّ عهده من يُولد، استولَى على الأمْر، ووُلِد هذا الولد فكتم حاله، وأُخرج فى قُفّة على وجهها سَلْق وكُرّات، وستر أمره إلى أن ركب بعد ذلك وَوُشى به فأُخِذ وقُتِل».

ولمّا تمكّن الحافظ قُرِئ سجل بإمامته، وركب من باب العيد إلى باب الذهب بزِىّ الخلفاء، فى ثالث ربيع الأول؛ ورفع عن النّاس بواقى مكس الغلّة.

وأمر بأن يُدْعَى له على المنابر بهذا الدّعاء، وهو: «اللّهم صَلِّ على الذى شيّدت به الدين بعد أن رام الأعداء دُثُورَه، وأعزَزْت الإسلام بأن جعلت طلوعه على الأمَّة وظهوره، وجعلته آية لمن تدبّر الحقائق بباطن البصيرة، مولانا وسيّدنا، وإمام عصرنا وزماننا، عبد المجيد أبى الميمون، وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين، صلاة دائمة إلى يوم الدين».

وفيها صُرِف أبو عبد الله محمد بن هبة الله بن ميسّر عن قضاء القضاة، فى أول ربيع الأوّل، وقُرّر مكانه سراج الدّين أبو الثّريا نجم بن جعفر، وأضيفت إليه الدّعوة، فقيل له قاضى القضاة وداعى الدّعاة، وذلك وقت العشاء الآخرة من ليلة الخميس لثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة.

---

(١) باديس بن المنصور بن بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى الحميرى أبو مناد، نصير الدولة: صاحب إفريقية من ملوك الدولة الصنهاجية بالقيروان. ولى بعد وفاة أبيه سنة ٣٨٦هـ واتخذ سردانية سكنا له، وأتاه تقليد القائم بأمر الله من مصر. توفى فجأة. مات ودفن بالقيروان. انظر: الخلاصة النقية ٤٦ وابن خلدون ٦/١٥٧وابن الأثير ٩/٨٦ والبيان المغرب ١/٢٤٧ وابن خلكان ١/٨٦ والأعلام ٢/٤١.

(٢) محمد بن أسعد بن على بن معمر العبيدى العلوى، أبو على، شرف الدين الجوانى المالكى، عالم بالأنساب. أصله من الموصل ومولده ووفاته بمصر. ولى نقابة الأشراف فيها مدة. وصنف «طبقات الطالبيين» و« تاج الأنساب». انظر: خريدة القصر ١/١١٧ والتاج ٩/١٦٩ ولسان الميزان ٥/٧٤ والكتبخانة ٥/٣٠،٣١ والدار ٥/٢٢٨ والأعلام ٦/٣١.

Marfat.com

ولما مات يانس تولّى الحافظ الأمر بنفسه ولم يستوزِرْ أحدًا وأحسن السّيرة.

ويقال إِن يانس لما قتل القاضى أبا الفخر سلّم الحكم إِلى سراج الدّين أبى الثُّريا نجم ابن جعفر.

وفيها جهَّز الحافظ الأمير المنتضى أبا الفوارس وثّاب بن مسافر الغَنَوى رسولاً فى الرابع من ذى القعدة بجواب شمس الملوك (١)، صاحب دمشق، وأَصْحَبَه الخِلَعَ السَّنيَّة وأسفاط الثياب والخيل المسوَّمة ومالاً متوفّرًا. فوصل إلى دمشق وتُلُقِّىَ أحسن تَلَق، وقُبِلت الألطاف منه، وقُرِئ كتابهُ. وأقام إِلى أن أعيد من القابلة.

وفيها خرج أبو عبد الله الحسين بن نزار بن المستنصر، وكان قد توجه إِلى المغرب مستخفيا وجمع هناك جموعًا كثيرة وعاد. فبعث الحافظ إِلى مقدّمى عسكره يَسْتَميلهم. فلمَّا وصل دير الزجاج والحمّام اغتالوه وقتلوه فانفضَّ جمعه.

سنة سبع وعشرين وخمسمائة

فيها حشد جماعة من العبيد بالأعمال الشرقية، فخرج إِليهم عسكر كانت بينهم وبينه حروب.

وفيها سلّم الحافظ أمر الدّيوان إِلى الشريف معتمد الدولة على بن جعفر بن غسّان، المعروف بابن العسّاف، وصرف يوحنا أبى اللّيث لأشياء نقمها عليه، وسَعَوا فيه عنده بأنه كان سببًا فيما عمله أبو على أحمد بن الأفضل من تفريق ما فرَّقه من الأموال لأهله وأقاربه، واستخدم الحافظ أيضا أخا معتمد الدَّولة فى نقابة الأشراف وجعله جليسا؛ وكان عنده أدب ومعرفة بعلم الفلك، وكان الحافظ يحب هذا العلم.

وفيها قبض على ابن عبد الكريم، تربية الآمر، فوجد له ثلاثمائة وستّون منديلا مذهبة، وعلى مثالها ثلاثمائة وستون بذلة مذهبة؛ فكان يلبس كل يوم بذلة. وكل منديل، وهى العمامة، على مسمار فضة. ووجد له خمسمائة نرجسية ذهبا وفضة؛ ومائتا صندوق فيها ثياب ملونات؛ ومائة حسكة ذهبا وفضة؛ ومن الجوهر ما يعجز عن وصفه.

سنة ثمان وعشرين وخمسمائة

فيها عَهِد الحافظ إِلى ولده سليمان، وكان أَسَنَّ أولاده وأَحبَّهم إِليه، وأقامه ليسدّ مكان الوزير ويستريح من مقاساة الوزراء وجفائهم عليه ومضايقتهم إِياه فى أوامره

---

(١) هو شمس الملوك إسماعيل بن تاج الملوك بودى بن سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين.

Marfat.com

ونواهيه، فمات بعْد ولاية العهد بشهرين، فحزن عليه مدّة. ثُمَّ جعل ابنه حيدرة وَلِيَّ عهده ونَصَبَه للنّظر فى المظالم، فشقّ ذلك على أَخيه حسن لأنه كان يَرُوم ذلك لكثرة أَمواله وتِلاده وحواشيه وموكبه، بحيث كان له ديوان مُفْرد. ومازالت عقارب العداوة تدبّ بينهما حتى وقعت الفتنة بين الطائفة الجيوشية والطائفة الرَّيْحانيّة، وكانت شوكة الرّيحانية قوية والجند يشنئونهم خوفا منهم فاشتعلت نيران الحرب بين الفريقين؛ وصاح الجند: «يا حسن يا منصور يالَلْحَسَنيّة».

والْتَقَى العسكران؛ فقتل بينهما ما يزيد على خمسة آلاف رجل. فكانت أَوّلَ مُصِيبة نزلت بالدولة من فقْدِ رجالها ونَقْصِ عدد عساكرها؛ ولم يسلَمْ من الرّيحانيّة إِلاّ مَنْ أَلقى نفسه فى بحر النيل من ناحية المقس. واستظهر حسن وصار الأَمر إِليه، فانضمّ له أَوْباشُ العسكر وزُعّارُهم [1]، وفرّق فيهم الزَّرد وسمّاهم صبيان الزَّرد، وصاروا لا يفارقونه ويحفّون به إِذا ركب، ويلازمون داره إِذا نزل.

فقامت قيامة النّاس، وقبض على ابن العساف وقتله واختفى منه الحافظ وحيدرة؛ وجدَّ فى طلب حيدرة. وهتك بالأَوباش الذين اختارهم حُرمة القصر وخرق ناموسه من كونه نغّص على أَبيه وأَخيه، وصاروا يحسّنون له كلَّ رذيلة، ويحرّونه [2] على أَذى الناس.

فأَخذ الحافظ فى تلافى الأَمر مع حسن لِيَنْصلح؛ وعهِد إِليه بالخلافة فى يوم الخميس لأَربع بَقِين من شهر رمضان، وأَرْكَبَه بالشعار، ونعت بولىِ عهد المؤمنين. وكتب له بذلك سجلاً قرئ على المنابر، فكان يُقال على المنابر: « اللّهم شَيِّد ببقاء ولى عهد المؤمنين أَركان خلافته، وذلّل سيوف الاقتدار فى نَصْره وكفايته، وأَعِنْه على مصالح بلاده ورعيته، واجمع شملَهُ به وبكافّة السَّادة إِخوته، الّذين أَطْلَعتهم فى سماء مملكته بُدُورًا لا يغيرها المحاق، وقمعْتَ بأسهم كُلَّ مرتدٍّ من أَهل الشقاق والنفاق، وشددت بهم أَزر الإِمامة، وجعلت الخلافة فيهم إِلى يوم القيامة».

فلم يزده ذلك إِلاّ شرًّا وتعدِّيا؛ فضيق على أَبيه وبالغ فى مضرّته. فسير الحافظ وفىّ الدولة إِسحاق، أَحد الأستاذين المحنّكين، إِلى الصّعيد ليجمع ما قدر عليه من الرّيحانية فمضى، واسْتصْرَخ على حسن، وجمع من الأُمم ما لا يعلمه إِلا الله؛ وسَارَ بهم. فبلغ ذلك حسنًا، فجهز إِليه عسكرا عرْمَرمًا وخرج؛ فالتقى الجمعان. وهبَّت ريح سوداء فى وجوه الواصلين، وركب عسكر حسن، فلم يفلت منهم إِلا القليل، وغرق أَكثرهم فى

---

(١) المراد شراسة الخلق.

(٢) المراد التحريض والإثارة.

Marfat.com

البحر وقُتِلوا؛ وأخذ الأستاذ إسحاق وأُدخل إلى القاهرة على جمل برأسه طرطور لبد أحمر. فلما وصل بين القصرين رُمِى بالنّشاب حتى مات، ورُمِى إليهم من القصر الغربىّ أستاذ آخر فقتلوه، وقتل الأمير شرف الأمراء.

فلما اشتد الأمر على الحافظ عمل حيلة وكتب ورقة ورماها إلى ولده حسن، فيها: «يا ولدى، أنت على كلّ حالٍ ولدى، ولو عمل كلٌّ منا لصاحبه ما يكره الآخر ما أراد أن يصيبه مكروه. ولا يحملنى قلبى، وقد انتهى الأمر إلىّ أن أمراء الدولة فُلانًا وفُلانًا - وسمّاهم له - وأنك قد شددْت وطأتك عليهم وخافوك، وأنهم مُعوّلون على الفتك بك؛ فخُذْ حذرك يا ولدى».

فلمَّا وقف حسن على الورقة قامت قيامته. فلمَّا اجتمع أولئك الأمراء فى داره للسّلام عليه أمر صبيان الزَّرد الذين اختارهم وصار يثق بهم فقتلوهم بأجمعهم وأخَذَ ما فى دُورِهم.

فاشتدّت مصيبة الدَّولة بفَقْد من قتِل من الأمراء الذين كانوا أركان الدَّولة، وهم أصحاب الرأى والمعرفة، فَوَهَتْ واختلّتْ لقِلّة الرجال وعدم الكُفَاة.

ومن حين قَتَل حسن الأمراء تخوّفه باقى الجند ونفرت نفوسهم منه فإنه كان جريئا عنيفًا بحّاثًا عن الناس يريد إقلاب الدَّولة وتغييرها لتقدم أصحابه، فأكثر من مصادرة الناس، وقتل سراج الدين أبا الثريا نجمًا فى يوم الخميس ثامن شوال. وكان أبو الثريا فى أوّل أمره خاملاً فى الناس، ثم سمع قوله فى العدالة أيّام الآمر. فلمَّا قَبضَ أحمد بن الأفضل على أبى الفخر وسجنه عنده بدار الوزارة، وقد كان الداعى أيام الآمر، طلب من يكون داعيا، فاستخدم نجمًا هذا داعيًا، ولم يقف على ما كان عنده من الدّهاء. فلمَّا كان فى وزارة يانس جمع إليه الحكم مع الدّعوة؛ فلمَّا مات يانس، وانفرد الحافظ بالأمر بعده حَظِى نجم عنده ورقّاه إلى أعْلَى المراتب، وصار يدبِّر الدولة. وحسَّن عنده نصرة طائفة الإسماعيلية والانتقام ممن كان يؤذيهم فى أيام أحمد بن الأفضل، فتأذّى بهذا خلق كثير، وأثبت طائفة سمّاهم المؤمنين وجعل لهم زمامًا قتله حسن بن الحافظ. ولما قُتِل الشريف بن العباس وأخذ نجم يعادى أمراء الدَّولة ورؤساءها ولا ينظر فى عاقبة - وكانوا قد حسدوه على قربه من الحافظ وتمكنه منه ومطاوعته له بحيث لا يعمل شيئا إلا برأيه - فلمَّا تمكّن حسن بن الحافظ أغروه به فقتله وقتل معه جماعة. وردّ القضاء لابن ميسّر وخلع عليه فى يوم الخميس ثانى ذى القعدة.

وفيها مات القاضى المكين أبو طالب أحمد بن عبد المجيد بن أحمد بن الحسين بن حديد بن حمدون الكنانى قاضى الإسكندرية بثغر رشيد، وقد عاد من القاهرة فى

Marfat.com

جمادى الآخرة؛ ومولده سنة اثنتين وستين وأربعمائة. وكانت له مدة فى القضاء؛ وهو الذى كان سببا فى اغتيال أَبى الصلت أمية الأندلسى. وقد ذكره السلفى (١) وأثنى عليه، ورثى بعدة قصائد.

وفيها مات أَبو عبد الله الحسين بن أَبى الفضل بن الحسين الزاهد النّاطق بالحكم، المعروف بابن بشرى الجوهرى، الواعظ ابن الواعظ ابن الواعظ ابن الواعظ، فى جمادى الأولى. وكان حلو الوعظ، إلاّ أَنه تعرّض فى آخر عمره لما لا يعنيه، فنفاه الحافظ إلى دمياط؛ وذلك أَن الآمر لما مات ترك جارية حاملاً، فقام الحافظ بعده فى الخلافة على أَن يكون كفيلاً للحمل حتى يكبر، فاتّفق أَنّه وُلد وخافت أَمّه عليه من الحافظ، فجعلته فى قُفّة من خوص وجعلت فوقه بصلاً وكُرّاثًا وجزرًا حتى لا يُفْطَن به، وبعثته فى قماطة تحت الحوائج فِى القفّة إِلى القرافة، وأُدْخل به إِلى مسجد أَبى تراب الصّواف، وأَرضعته المرضعة، وخَفِيَ أَمْرُه عن الحافظ حتى كبر، وكان يعرف بين الصبيان بقُفَيْفَة. فلمَّا حان نفعُه نمّ عليه ابن الجوهرى هذا إِلى الحافظ، فأَخذ الصبىّ وفَصَدَه، فمات، وخلع على ابن الجوهرى ثم نفاه إِلى دمياط فمات بها.

سنة تسع وعشرين وخمسمائة

فيها عَظُم أَمْرُ حسن بن الحافظ(٢) وقويَتْ شوكته، وتأَكدت العداوة بينه وبين مَنْ بقِي من الأمراء والأجناد واشتدّ خوفهم منه، وعزموا على خَلْع الحافظ من الخلافة وخَلْع ابنه حسن مِنْ ولاية العهد وعَزْله عن الأمر. فاجتمعوا بين القصرين، وهم نحو العشرة آلاف ما بين فارس وراجل، وبعثوا إِلى الحافظ فشكوا ما فيه من ابنه حسن وأَرادوا إِزالته عنهم فعجز حسن عن مقاومتهم ولم يَبْقَ معه سوى الرّاجل من الجيوشية ومَنْ يقولُ بَقَوْلهم من العسكر الغُرباء. فتحيّر ولم يجدْ بُدًّا من الفرار منهُمْ إِلى أَبيه، فصار إِليه، وكان قد نزل بالقصر الغربى، ففتح سردابا بين القصرين ووصل إِلى أَبيه

---

(١) أحمد بن محمد بن سلفة الأصبهانى، صدر الدين، أبو طاهر السلفى: حافظ مكثر، من أهل أصبهان. رحل فى طلب الحديث وكتب تعاليق وأمالى وبنى له الأمير العادل مدرسة فى الإسكندرية سنة ٥٤٦هـ، فأقام إلى أن توفى فيها. له «معجم مشيخة أصبهان» و«الفضائل الباهرة فى مصر والقاهرة». انظر: ابن خلكان ٣١/١ ومرآة الزمان ٣٦١/٨ وأزهار الرياض ١٦٧/٣ ودار الكتب ٢٤٣/٨ والأعلام ٢١٥/١، ٢١٦.

(٢) حسن بن الحافظ لدين الله عبد المجيد بن محمد بن المستنصر بالله، العبيدى الفاطمى، استوزره أبوه الحافظ سنة ٥٢٦هـ، وخطب له بولاية العهد، فاستولى على الأمور كلها. ولم يبق لأبيه معه حكم، وقتل من أمراء المصريين والأعيان جمعا، فدس له أبوه من قتله، فظفر حسن، فأوعز الحافظ إلى طبيب فسقاه سما قتله بمصر. انظر: الأعلام ١٩٨/٢.

بالقصر الشرقىّ مِنْ تحت الأرض، وتحصَّنَ بالقصر. فبادر الحافظ بالقبض عليه وقيَّدَه، وأَرسل إلى الأُمراء يُخبِرهُم بالقبض على حسن؛ فأَجمعوا على طلبه ليقتلوه. فبعث إليهم يقبِّحُ مُرَادَهم منه أَن يقتل ولده، وأَنه قد أَزال عنهم أَمْرَه، وضمن لهم أَنّه لا يتصرّف أَبدا؛ ووعدهم بالزِّيادة فى الأَرزاق والإقطاعات. فلم يقبلوا ذلك، وقالوا: «إِمَّا نحن وإِمّا هو. وأَحضروا الأَحطاب والنيران لإحراق القصر؛ وبالَغُوا فى الجرأَة على الحافظ. فلم يجد من ينتصر به عليهم لأنهم أَنصارُه وجُنْدُه الذين يَستَطِيل بهم على غيرهم، فأَلجأَته الضَّرورة إِلى أَن استمهلهم ثلاثة أَيام ليتَروى فيما يعمل.

فرأَى أَنّه لا يَنْفَكُّ من هذه النّازلة العظيمة إِلاّ بقتل ابنه لتَنْحَسِمَ المباينة بينه وبين العسكر التى لا يأمَن إِن استمرَّت أَن تأْتى على نفسه هو، فإِنّهم لم يَبْرَحُوا من بين القصرين.

فاستدعى طَبِيبَيْه، أَبا منصور وابن قرقة، فبدأَ بأَبى منصور اليهودىَّ وفاوضه فى عمل سقية لابنه، فتحرّج من ذلك وأَنكر معرفته كلّ الإِنكار، وحلف برأْس الخليفة وعلى التّوراة أَنّه لم يقف قطّ على شىءٍ من هذا. فتركه وأَحضر ابن قِرْقة، وكان يلى الاستعمالات بدار الدّيباج وخزائن السلاح والسُّروج، وفاوضه فى ذلك؛ فقال: «السّاعة، ولا يتقطّع منها الجسد بل تفيض النّفس لا غير». فأَحضرها من يومه، وألزم الحافظ ابنه حسنا بمن نَدَبَهُ من الصَّقَالبة، فأَكرهوه على شُربها، فمات فى يوم الثلاثاء ثالث عشرى جمادى الآخرة.

ونقل للقوم سرًّا: قد كان ما أَرَدْتُم فامضوا إِلى دُورِكُمْ. فلم يثقوا بذلك، وقالوا: لابدَّ أَن يشاهده منّا مَنْ نثق به؛ ونَدَبُوا منهم امرأً يُعرف بالجرأَة والصّرّ يقال له المعظم جلال الدولة محمد، ويعرف بجلب راغب الآمرى، فدخل إِلى حيث حسن بن الحافظ، فإِذا هو مسجى بثوب ملاءة، فكشف عن وجهه وأَخرج من وسطه سكينا وغرزه فى عدَّة مواضع من بدنه حتّى تيقّنَ أَنّه ميِّت، وانصرف إِلى أَصحابه وأَخبرهم فتفرّقوا.

وكان تاج الدولة بهرام الأَرمنى قد انْفَلَتَ من حسن بن الحافظ ووَلِىَ الغربية؛ فلمَّا علم أَن النُّفوس جميعها من البَدْوِ والحضر قد انْحَرفتْ عن حسن جَمعَ مُقْطِعِى الغربيَّة والأَرْمَن والعرُبان وطلب القاهرة، ويقال كان ذلك بمُبَاطنةٍ من الحافظ، فما وصل إِلى القاهرة حتى غابت حُشُوده فى القرى والضِّياع ونهبُوها.

وعندما وصل إِلى القاهرة، يوم الخميس وقت العصر، الحادى عشر من جمادى الآخرة التَفّ عليه مَنْ بها من الأُمراء والأَجناد وأَبادُوا أَكثر الجيّوشية والإِسْكندرانيّة والفرجِيّة ومَنْ يقول بقَوْلهم من الغزّ الغرباء. ونهب أَوباشُ النّاس ما قدروا عليه.

Marfat.com

ولما قُتِل حسن وسكنت الدّهماء قبض الحافظ على الطّبيب ابن قرقة وقتلَه بِخِزَانة البُنود، وارْتَجعَ جميع أَمْلاكه ومَوْجُودِه، وكان يَلِى الاستعمالات بدار الدّيباج وخزائن السّلاح والسُّرُوج. وأَنْعَمَ على أَبى منصور الطبيب، وجعله رئيسًا على اليهود وصارت له نِعَمٌ جليلة.

وفيها كانت وزارة بَهرام الأرمنى النّصرانى الملقّب تاج الدَّولة. وكان السّبب فى ولايته الوزارة أَنه جرت فتنة بين الأَجناد والسّودان عندما قُتِل حسن بن الحافظ قَوىَ فيها السّودان على الأَجناد وأَخرجوهم من القاهرة، فإنّ السّودان كانوا مع حسن دُونَ الأَجْناد، فإنّهم الذين حملوا أَباه الحافظ على قتله. وقَدِم بهرام بالحشد كما تقدّم، فوجد حسنًا قد مَات، فمَسَكه الأَجناد بظاهر القاهرة وأَدخلوه على الحافظ لدين الله فى يوم الخميس، بعد العصر، الحادى عشر من جمادى الآخرة، لتولية الوزارة؛ فَخَلَعَ عليه فى يوم الأَحد، رابع عشره، ثم خَلَع عليه ثانيا يوم الخميس ثامن عشره، خِلَع الوزارة، ونُعِت بسيف الإِسلام تاج الخلافة، وهو نَصْرَانىّ، مع كراهة الحافظ لذلك، لتسْكُنَ الفتنة، ولم يَرُدَّ إِليه شيئًا من الأُمور الشرعيّة. فلم يدخل فى مُشْكِلٍ لأَنّه كان عاقلا سَيُوسًا حسن التَّدْبير.

وتقدَّم كثيرٌ من حواشى الحافظ إِليه يُنكرون عليه ولاية بهرام مع كونه نصرانيا، وقالوا: «لا يرضى المسلمون بهذا، ومِنْ شَرْط الوزير أَن يَرْقَى مع الإِمام المنبر فى الأَعياد ليزرّر عليه المزرّرَة الحاجزة بينه وبين الناس، والقضاة نوّاب الوزير من زمن أَمير الجيوش، ويذكرون دائما النيابة عنه فى الكتب الْحُكميّة النافذة إِلى الآفاق وكتب الأَنْكحة». فقال: «إِذا رضينا نحن فمَنْ يُخالِفُنا؛ وهو وزير السيف؛ وأَمّا صعُود المنبر فيستنيب عنه قاضى القضاة؛ وأَما ذكره فى الكتب الحكمية فلا حاجة إِلى ذلك ويفعل فيها ما كان يفعل قبل أَمير الجيوش».

فشق على الناس وزارته، وتطاول النصارى فى أَيامه على المسلمين. وكان هو قد أَحسن السيرة. وساس الرعية، وأَدى الطاعة للخليفة، وأَنفق فى الجند جملة من الأَموال، ودبر الأُمور فاستقامت له الأَحوال، وراسله الملوك، وزال ما كان فى البلد من الفتن؛ فلم ينكر عليه سوى أَنه نصرانى.

وكان يقعد يوم الجمعة عن الصلاة فلا يحضر، بل يعدل إِلى دكان بمفرده حتى يصلى الخليفة بالناس. وأَقبل الأَرمن يردون إِلى القاهرة ومصر من كل جهة حتى صار بها منهم عالم عظيم. ووصل إِليه ابن أَخيه، وكان يعرف بالسبع الأَحمر، فكثر القيل والقال؛ وأَطلق أَسيرًا من الفرنج كان من أَكابرهم، فأَنكر الناس ذلك ورفعوا فيه النصائح للحافظ، وأَكثروا من الإِنكار.

Marfat.com

وكان رضوان بن ولخشى حينئذ صاحب الباب، وهو شجاع كاتب، فبلغ بهرام أنه يهزأ به فى قوله وفعله، فثقل عليه وأخذ يعمل على إخراجه من القاهرة، وولى أخاه الباساك قوص.

وفيها توفى الأديب أبو نصر[1] ظافر بن القاسم بن منصور بن عبد الله الجروى الجذامى الإسكندرانى، المعروف بالحداد بمصر.

سنة ثلاثين وخمسمائة

فيها أخرج بَهرام الأمير رضوان بن ولخشى من القاهرة لولاية عسقلان؛ وقيل بل كان خروجه فى سلخ[2] رجب من السّنة الماضية. فلمَّا وصل إليها وجد فيها جماعة من الأرمن قد وصلوا فى البحر يريدون القاهرة، فناكَدَهُم ومنع كثيرًا منهم؛ فبلغ ذلك الوزير بهرامَ، فشَقَّ عليه، وصرفه عن عسقلان واستدعاه؛ فقدم إلى القاهرة. وشكره الناس على مَنْعِه الأرمَنَ مِنَ الوصول إلى القاهرة، فلم يُطِقْ بهرام إقامته معه، فولاه الغربيّةِ فى صفر إبعادًا له عنه.

وفيها ملك رجار بن رجار ملك صقلية جربة؛ ونازل طرابلس الغرب فانهزم عنها.

سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة

فيها تكاثَر حضور أقارب بهرام وإخوته، وأهله وقومه؛ وبجيئهم من ناحية تلّ باشر[3] وكانوا مقيمين بها، ولهم فيها كبيرٌ منهم يتولّى أمْرَهُم؛ وقدموا أيضا بلاد الأرمن، حتى صار منهم بديار مصر نحو الثلاثين ألف إنسان. فعظُم ضَرَرُهُم بالمسلمين وكثُرت استِطالَتُهم، واشتدّ جَوْرُهم، وتظاهرُوا بدين النّصْرانيّة، وأكثروا من بناء الكنائس والدّيارات، وصار كلُّ رئيسٍ منهم يبنى له كنيسةً بجوار داره.

وتفاقم الأمر، فخاف الناس منهم أن يغيّروا الملّة الإسلامية ويغلبوا على البلاد فيرُدُّوها دار كفر؛ فتَتَابُعوا فى الشكاية من أهل بهرام وأقاربه.

ووردت الأخبار من قوص بأن الباساك، أخا بهرام، قد جَارَ على النّاس واستباح

---

(١) ظافر بن القاسم بن منصور الجذامى، أبو نصر الحداد: شاعر من أهل الإسكندرية. كان حدادا. له ديوان شعر. توفى بمصر سنة ٥٢٩هـ. انظر: وفيات الأعيان ١/٢٤١ والنجوم الزاهرة ٥/٣٧٦ وإرشاد الأريب ٤/٢٧٨ وخريدة القصر ٢/١٧١ والأعلام ٣/٢٣٦.

(٢) المراد آخره.

(٣) تل باشر: قلعة حصينة وكورة واسعة فى شمالى حلب، بينها وبين حلب يومان. انظر: معجم البلدان ٢/٤٠.

Marfat.com

أموالهم، وبالغ فى أذيتهم وظلمهم، فاشتدّ ذلك على النّاس، وعَظُم على الأُمراء ما نزل بالمسلمين؛ فبعثوا إلى أبى الفتح رضوان بن ولخشى - وكان مقدَّمًا فيهم لكثرة نعوته بفَحْل الأُمراء وهو يومئذ يتولى الغربيَّة - يشكون إليه ما حَلّ بالمسلمين ويستحثونه على المسير وإنقاذِهم مما نزل بهم.

فلمَّا وصلت إليه كتب الأُمراء تشمَّر لطلب الوزارة، وَرَقى المنبر خطيبا بنفسه فخطب خطبة بليغةً حرَّضَ فيها النّاس على الجهاد فى سبيل الله والاجتماع لقتال بهرام وشيعته النّصارى من الأرمن. وكان حينئذ بمدينة سخا [1]، ثم نزل وحشد الناس من العربان وغيرهم حتى استجاب له نحوٌ من ثلاثين ألفا، فأخرج لهم كُتُب الخليفة الحافظ إليه بالتقدّم بالمسير ونَزْع الوزارة من يد بهرام إذْ تبيّن أنه ليس من أهل الملّة. وسار بهم إلى دِجْوة [2]، وبهرام لا ينزعج.

فلمَّا قَرُب رضوان جمع بَهْرام الأرمن إليه، وقال لهم: «اعلموا أنّنا قوم غرباء لم نزل نخدم هذه الدَّولة؛ والآن فقد كثر بغضهم لأيّامنا، وما كنت بالذى أكون عبْدَ قومٍ وأخدمهم مِنْ حال الصِّبا، فلمَّا بلغنى الكبر أقاتلهم؛ لا ضربت فى وجوههم بسيفٍ أبدا. سيروا». وأخذ أمراء الدَّولة وعساكرها يخرجون شيئًا بعد شىءٍ إلى رضوان.

واجتمع بهرام بالخليفة وفاوضه فى أمره؛ فقال: «تَحَلَّبَنى الإسلام عليك». فأيِسَ حينئذ، وجمع الأرمن، وكانوا كلّهم منقادين إليه لا يخالفونه فى شىءٍ من الأشياء، وسار بهم نحو بلاد الصّعيد يريد أخاه الباساك بقوص، قاصدًا أنّه يجتمع به ويمضون إلى أسوان فيتملكُونهما ويتقوون بالنوبة أهل دينهم. وقد ذكر أنَّ بهرام خرج يريد محاربة رضوان فى عساكر مصر.

---

(١) سَخا: مقصور، بلفظ السخاء، بقلة من بقول الربيع على ساقها كهيئة سنبلة فيها حبات كحبّ الينبوت ولبّ حبّها دواء للجرح، الواحدة سخاة وقال الأصمعى: السخاوية الأرض اللينة التربة مع بُعد وسخا: كورة بمصر وقصبتها سخا بأسفل مصر، وهى الآن قصبة كورة الغربية ودار الوالى بها، ذكر أن فى جامع سخا حجرًا أسودَ عليه طلسم يعلم إذا أخرج الحجر من الجامع دخلت إليه العصافير فإذا أعيد إلى الجامع خرجت منه كما ذكر، وسخا من فتوح خارجة بن حذافة بولاية عمرو بن العاص حين فتح مصر أيام عمر، رضى الله عنه[1] ينسب إليها أبو أحمد زياد بن المعلّى السخاوى، ذكره ابن يونس وقال: مات سنة ٢٥٥[1] وبدمشق رجل من أهل القرآن والأدب وله فيهما تصانيف اسمه على بن محمد السخاوى، حى فى أيامنا، وهو أديب فاضل ديّن يُرحل إليه للقراءة عليه. انظر: معجم البلدان ١٩٦/٣.

(٢) دجوة: قرية بمصر على شط النيل الشرقى على بحر رشيد، بينها وبين الفسطاط ستة فراسخ من كورة الشرقية. انظر: معجم البلدان ٤٤٣/٢.

Marfat.com

فلمَّا وصل بعسكر القاهرة إلى رضوان رأَوْا المصاحف قدْ رَفَعَهَا رضوان فوق الرّماح، فصارُوا بأَجمعهم إلى رضوان باتفاقٍ كان بينهم وبينه من قبل ذلك؛ فعاد بهرام إلى القاهرة وأَخذ ما خفَّ حَمْلُه، وخرج من باب البرقية يوم الأربعاء، وقت العصر، حادى عشر جُمادَى الأولى، وسار يريد الصّعيد وقد أَوْسَق المراكب بما يحتاج إليه. فعِنْدَمَا رحل اقتحم رعاع النّاس وأَوْبَاشُهم إلى دار الوزارة فنَهُبوها وهتكوا حُرمتها، وعملوا كلَّ مكروه؛ فكان هذا أَوَّل نهب وقع فى دار الوزارة. وامتدّت الأيدى إلى دُور الأرمن التى كانوا قد عمروها بالحسينية خارج باب الفتوح، فنَهَبوها، ونَهَبُوا كنيسة الزهرى، ونبشوا قبر البطرك، أَخى بهرام.

وطار خبر انهزام بهرام فى سائر إقليم مصر، فوصل الخبرُ بذلك إلى قوص قبل وُصُول بهرام، فثار المسلمون بها عَلى الباساك وقتلوه ومثّلوا به، وجعلوا فى رجله كلبًا ميّتا، وألقوه على مَزْبَلة. فلمَّا كان بعد قتله بيومين قدم بهرام فى طائفة الأرمن، وهُم نحو الألفَيْ فارس، رماة، فرأى أَخاه على المزْبَلَة كما ذُكر، فقتل جماعةً من أَهل قوص ونهبها. وسار عنها إلى أَسوان، فنزل بالأَدْيِرة البِيض، وهى أَماكن حصينَةٌ فى غربى أَخميم، فتفرَّق عنه عدَّةٌ من الأَرْمَن، وسارُوا يريدون بلادهم.

وأَما رضوان فإنّه لمّا وصل إلى القاهرة وقف بين القصرين، واستأْذن الحافظ فيما يفعلُه، فأَشار بنزولَه فى دار الوزارة، فنزلها، وخلع عليه خلع الوزارة يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الأُولى، ونعت بالسيد الأجل الملك الأفضل. فاستدعى بالأموال من الخليفة، وأَنفق فى الجند، ومهَّد الأمر. ورضوان أَوّل وزير لقب بالملك.

فلمَّا كان فى اليوم الثالث من استقراره فى الوزارة سيّر أَخاه الأوحد إبراهيم ومعه العسكر شرقًا وغربًا، والأُسطول بحرًا، فى طلب بهرام، وبيده أَمانٌ له ليعود مكرّمًا وطائفتُه على إقطاعاتهم. فسار إلى الأديرة، وتقرّر الحال من غير قتال على إقامة بهرام بها؛ وذلك أَنَّ أَسوان امتنعت عليه بكنز الدَّولة وأَهلها، فاضطرّ إلى الإقامة بالأديرة وقد فارقه أَكثرُ الأَرْمَن، فمنهم من سار إلى بلاده ومنهم من أَقام بأَرْضِ مصر ليكونوا فلاحين، فسأَل لهم مواضع يسكنُونَها، فرِدَّت لهم جهات، منها سمالوط[1] وإِبْوان[2] وأَقْلُوسَنا[3] والبرجين فى صعيد مصر، وضيعة أخرى بأعمال المحلة. وأقام بهرام بالأديرة البيض ومعه أهله وولده.

---

(١) سمالوط: قرية بناحية الصعيد على غربى النيل من الأشمونين. انظر: معجم البلدان ٣/٢٥١.

(٢) إبوان: قرية بالصعيد الأدنى من أرض مصر فى غربى النيل، ويعرف بإبوان عطية. انظر: معجم البلدان ١/٨٠.

Marfat.com

وفيها صُرِف أبو عبد الله محمّد بن مُيسّر عن قضاء القضاة فى يوم الأحد لِسَبْعٍ خلوْنَ من المحرّم، والوزيرُ إِذْ ذاك بهرام، ونُفِى إِلى تنيس، فأَقام بها إِلى يوم الاثنين ثانى ربيع الأوّل، وقُتل. وهو من قيساريَّة، وقدم منها مع أَبيه وهو صغير فى وزارة أَمير الجيوش بَدْر الجمالى عند حضوره إِلى المستنصر فى سِنِي الشدَّة، وبعثه إِلى البلاد الشاميّة لإِحضار أَرباب الأموال واليسار؛ وكان مِن جُمْلة من أُحضِر والد القاضي، وكان له مالٌ جزيل، ففوّض إِليه خطابة الجامع بمصر؛ وفتح دار وكالة، وأَقام بها مدّةً حتى مات. فترقّى وَلَدُه إِلى أن وَلِى القضاء عدّة مرار؛ وكان له أَفضالٌ ومكارم، وحصلت له وجاهة ورُتْبةٌ جليلة، وضرَب دنانير كثيرة كان اقترحَها على الخليفة الآمر. وهو الذى أَخرَج الفُسْتُق الملبس بالحلْوَى، فإِنّه بَلَغَه أَنَّ أَبا بكر محمّد بن علىّ المادرائى عمل الكعك الذى يقال له: «افْطِنْ له»، وعمل عوضًا من حشو السّكر دنانير، فلمَّا مدّ السّماط فى يوم العيد قال أَحدُ الخدّام لصديقٍ له كان على السماط: افطن له؛ ففهم عنه وتناول من ذلك، وصار يخرجُ الذّهب من فَمِه ويخفيه حتى تنبّه الناس لذلك، فتناوَلُوا بأَجمعهم منه. فأَراد القاضى ابنُ مُيسّر أَن يتشبه بأَبى بكر المادرائى فى ذلك، فعمل صحنًا منه لكن جعل فستقا قد لُبِّس حلوى وذلك الفستق من ذهب، وأَباحه أَهلَ مجلسه؛ ولم يقدر على عمل ذلك سوى مرة واحدة.

ثم إِنه لما تناهت مدَّته عادَاهُ رجل يُعرف بابن الزَّعفرانى، فنمَّ عليه عند الحافظ بأَن أَحمد بنَ الأفضل لَمّا كان قد اعتقل الحافظ وجلس للهناء ودخل عليه الشعراء كان فيهم على بن عبَّاد الإِسكندرى، وأَنه أَنشد قصيدة يذمُّ فيها خلفاء مصر ويذكر سوء اعتقادهم، منها فى ذمِّ الحافظ:

هذا سليمانكُمْ قد ردَّ خاتمه واسترجَعَ الملكَ منْ صخر بْنِ إِبليس

فعندما قال هذا البيت قام ابن ميسّر وأَلقى عرضيته طربًا بهذا البيت. فأَمر الحافظ بإِحضار هذا الشاعر، وقال: «أَنْشِدْنى قصيدتك»: فأَنشدها إِلى أن بلغ فيها إِلى قوله: «ولا ترضوا عن الخمس المناحيس».

يعنى الحافظ وابنَيْه وأَباه وجدُّه؛ فأَمر الغلمان بلكْمِه، فلكمُوه حتى مات بين يديه. وقُبض على ابن ميَسّر ونُفِى ثم قُتل. وكان يُنعت بجلال الملك؛ وكانت علامته «الحمد لله على نعمه».

وفيها مات أَبو البركات بن بشرى الواعظ المعروف بابن الجوهرى فى جمادى الأُولى عن إِحدى وتسعين سنة.

---

(٣) أقلوسنا: من أعمال الجيزة بمصر.

Marfat.com

وفيها وَلِى قضاء القضاة أَحمد بن عبد الرحمن بن محمّد بن أَبى عقيل، ونُعِت بقاضى القُضاة الأَعزّ أبى المكارم.

وفيها ثار بناحية برقة رجلٍ من بنى سليم وادّعى النُبوّة، فاستجاب له خلقٌ كثير، وأَمْلَى عليهم قرآنا [1] منه: «إنّما النّاس بالناس ولولا النّاس لم يكن النّاس، والجميع ربّ النّاس». ثم تلاشى أَمره وانْحلّ عنه النّاس.

وفيها جلس الوزير رضوان فى ذى القعدة لاستخدام المسلمين فى المناصب التى كانت بأَيدى النّصارى. واستجدّ ديوان الجهاد، واهتمَّ بتقوية الثغور واستعدَّ لتعمير عسقلان بالعُدد والآلات، وأَشاع الخروج إلى الشام لِغَزْو الفرنج، وأَظهر من الاعتناء بذلك ما لا يُوصَف. وكان قد مهد الأُمور، وأَعاد النّاس إِلى ما كانوا عليه من الطمأنينة بحُسْن سيرته، وكثرة عدله وعمارته البلاد، وقوّة نفسه وشجاعته. وأَحضر جميع الدَواوين وكتبها ورتبها، ورتب الأُمور أَحسن تدبير.

وكان من جملة الضُمَّان فى أَموال الدَّولة هبة الله بن عبد المحسن الشَّاعر؛ فلمَّا عرض حسابه، وجده قد انكسر عليه مال فى ضمانه، فكتب له فى المجلس:

أَنا شاعرٌ وصناعتى الأَدب ... وضمانُ مثلى المالَ لا يجبُ
أَنا مُسْتَمِيحكُم وليس على ... من جاء يطلب رِفْدَكمْ طلبُ
وإِذا الباقى علىَّ فما ... من محاصلِ، وَرِقٌ ولا ذهبُ

فسامحه فيما عليه من الباقى.

وفيها أُحْضِر من الصَّعيد الأَعلى فى رمضان جماعةٌ تقدمهم رجل بجاوىّ [2] يدّعى فيه أَصحابه أَنّه إِله، فصُلبوا.

سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة

فيها أَفرج الوزير رضوان عن شمس الخلافة مختار الأَفضلى، صاحب باب بهرام، من الاعتقال، وولاه الإسكندرية.

فيها تشدَّد رضوان على النّصارى من أَصحاب بهرام وصادرهم، وقتلهم بالسيف، وأَباد أَكثرهم، وتطلّع إِلى تقديم أَرباب المعارف من أَرباب السيوف والأَقلام، وأَحسن إِليهم، وزاد فى أَرزاقهم.

---

(١) لا ينبغى وصف كلامه بالقرآن هنا.

(٢) نسبة إلى بجاوة، وهى أَرض بالنوبة. انظر: معجم البلدان ٢/٣٣٩.

ووجد نصرانيًّا قد توصَّل فى أيّام بهرام إلى ديوان النّظر، يعرف بالأخْرَم، وبذل فى كل يوم ألف دينار سوى المؤن والغرامات؛ فآذى المسلمين وشق عليهم، فصرفه رضوان واستخدم بدله رجُلاً يقال له المرتضى المحنّك بغير ضمان.

وتقدّم إلى ديوان الإنشاء بإنشاء سجل في الوضع من النّصارى واليهود؛ فأنشأه أبو القاسم بن الصَّيرفى، منعوا فيه من إرخاء الذّوائب وركوب البغلات ولُبس الطّيالِسَة، وأمر النّصارى بشدّ الزنانير المخالفة لألوان ثيابهم، وألاّ يجوزوا على معابد المسلمين رُكبانا؛ فما رُئِى فى أيّامه يهودىٌّ ولا نصرانى يجوز على الجامع راكبًا، لكنّه ينزل ويقود دابّته. وأمر أن تؤخذ الجزية من فوق مساطب وهم وقوف أسفلها. ومنعهم من التكنى بأبى الحسن وأبى الحسين وأبى الطّاهر، وأن يُبيِّضُوا قبورهم. وضمّن ذلك كلّه السِّجلُّ؛ فعُمِل به.

وفيها نزع السِّعر لتوقف النيل، فنال النّاس مجاعة؛ فأمر الحافظ بفتح الأهراء والبيع منها على الناس بأوسط الأثمان، فلم يمض الوزير بذلك، وأخذ يهين حواشى الخليفة إذا حضروا إليه ويقدح فى مذهبه؛ لأنه كان سنيا، وكان أخوه الأوحد إبراهيم إماميًّا.

فلما كثُر ذلك منه انزعج الخليفة ولم يُظْهِر تغيُّرًا، وأخذ يعمل فى الخلاص منه؛ فتنافر كلٌّ منهما من الآخر.

وكان رضوان خفيفا طائشا لا يثبت، فهمَّ بخلع الحافظ وقال: «ما هو بخليفة ولا إمام، وإنما هو كفيل لغيره، وذلك الغير لم يصح». وأحضر الفقيه أبا الطّاهر بن عوف وابنَ أبى كامل فقيه الإماميّة وابن سلامة داعى الدّعاة، وفاوضَهُم فى الخلع واستخلاف شخص عيّنه لهم؛ وألْزَمَ كلاًّ منهم أن يقول ما عنده. فقال ابن عوف: «الخلع لا يجوز إلا بشروط تثبت شرعا». وقال ابن أبى كامل: «السلطان، أبقاه الله، يحملنى على أن أتكلم على غير مذهبى فى الإمامة». قال: «لأجل عمل مذهبك؟» فقال: «مذهبى معلوم»، يعنى أن الإماميّة لا يعتقدون حقّ الخلافة فى بنى إسماعيل بن جعفر، لموته فى حياة أبيه وانتقال الإمامة للحاضر من إخوته، ولأنه لا ينبغى لمن لم تكن له إمامة أن يخلع. فخلص من هذا، وقال الدّاعى: أنا داعى ومَوْلى لهم، وما يصح لى خلعُه، فإنى أصيرُ فيما مضى كأنى أدعُو لغير مستحقٍّ، فأكون قد كذّبت نفسى فلا أُقْبَل الآن وأُسْتَخْصم بذلك، ولا يؤثر قولى فيما تريدُون؛ ولم تَجْرِ العادة على الفاطميّين بخلع حتى نأتى به.

فقابله على هذا القول بالسَّبِّ وإقامته أقبح قيام. فقال الفقيه النحّاس، وكان حاضرًا، كلَّ عظيمة، وحمله على خلع الحافظ فبلغ ذلك المجلس الحافظ.

وفيها أُحْضِرت من تنّيس امرأَة بغير ثَدَيَيْن وفى موضع ثديَيْها مثل الحلمتين، فصارت إلى مجلس الوزير رضوان وأَخبرته أنها تصنع برِجْلَيها جميع ما يُعمل باليدين من رَقْم وخطٍّ وغير ذلك. فجاء لها فى المجلس بَدَواة فتناولت برجلها اليُسْرى الأقلام قلمًا قلمًا، ثم تناولت السِّكين برجليها وبَرَتْ قلمًا، واستدْعَتْ ورقةً وأَمسكتها برِجْلها اليُمنى وكتبت بالرِّجْل اليُسْرى رقعة بأَحسن خطٍّ تكتبه النِّساء، وحمدت اللّه فى آخرها، وناولتها الوزير، فإِذا فيها سُؤال بأَن يزاد فى راتبها. فوقّع لها خَلْف الرقعة بما تسأل وأَعادها إلى بلدها.

وفيها بنى الوَزير رضوان المدرسة المعروفة به فى ثغر الإسكندرية، وجعل فى تدريسها الفقيه أَبا طاهر بن عوف.

سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة

فيها زاد السِّعر وبلغ القمح ثلاثة دنَانير للإِرْدبِّ، فبيعت الغلال التى كان الأَفضل خزنها، وقد تغيَّرت وأَرادُوا رَمْيها فى النيّل، فكانت تُقطع بالفئوس وتباع بأَربعين دينارًا كل مائة إِردب، وكذلك الأُرزُ الذى كان مخزونًا بمصر فإِنّه أُبيع بعشرة دنانير المائة؛ فوجد النّاس بذلك رفقا.

فيها كثُر سعْىُ الوشاة بين الحافظ والوزير فتخوّف كلٌّ منهما من الآخر، وقبض الوزير على عدّة من خواصّ الحافظ، منهم أَبو المعالى بن قادُوس، وابن شيبان المنجم، ورئيس اليهود، وجماعة؛ فقتلهم. فسير الحافظ من أَحضر إِليه بهرَامَ فى رمضان؛ فلمَّا حضر أَسْكَنَه عنده بالقصر وأَكرمه، وشَقَّ ذلك على رضوان. وكان الحافظ قد تلطّف برضوان فى أمر بهرام وقرَّر معه أَن يستدعيَهُ ويُنْزِلَه فى القصر، وحلف له أَنّه لا يولّيه أَمرًا، ولا يمكنه من تصرُّف؛ فتسامح رضوان فى أَمره. واستُدْعى فحضر بأَهله، وأُنْزِل فى دارٍ بالقصر قريبة من المحول[1]، وهو قريبٌ من سكن الحافظ، فكان يستحضِرُهُ فى غالب الليالى ويستشيره ويعمل برأَيه.

ولما كان يوم عيد الفطر: ركب الوزير مع الحافظ وعليه من الملابس ما لم يلْبَسْه أَحد من الوزراء فى مثل ذلك اليوم، وعاد إِلى القصر وفى نفس الحافظ منه أَشياء تبينها رضوان فى وَجْه الحافظ، وعلمها منه، فاشمأَزَّت نفسه مع ما كان فيه من الطَّيْش، فركب فى تاسع شوَّال وزحف إِلى القصر؛ فكلّمه الخليفة من بَعْض طاقاتِ المنظرة الّتى تطلُّ على باب الذّهب، وجرى بينهما كلام اجْتَرأَ فيه على الخليفة، وعَادَ إِلى داره بعد أَن احتاط بالقصر، واحتفظ بالأَبواب، فانتفض النّاس لذلك بالقاهرة ومصر، وكثُرت الأَراجيف.

---

(١) المحول هو مجلس الداعى فى القصر.

Marfat.com

وفى تلك الحالة نزل بعض أَولاد الحافظ من القصر هاربًا إِلى رضوان، وكان شيخا ومعه ولد له، ليقيمَهُ خَليفة، فلم يكترث به، وأَحضر إِسماعيل بن سلامة الداعى، وقال له: «ما تقول فى هذا الرجل، هل يَصْلُح لما التمسه؟» فقال: «الخلافة لها شروط ونواميس ما فى هذا منها شىء، وتحتاج إِلى نصوص، ولولا أَن مولانا الآمر نصّ على مولانا الحافظ وأَودعه سرّ الخلافة لما ثبتت فيه، ولا استجاب له الناس». فلم يُحَصِّل سوى أَنه كان مشئومًا على نفسه وأَهله، فإِنَّ الحافظ لما بلغه ذلك قتله، وقَتَل جماعة منهم كثيرة.

ثم إِن الحافظ لَمّا رأَى فِعْل رضوان وتعدِّيه وكثرة من انضم إِليه من العسكر عمل فى التدبير عليه، وأَرسل إِلى صَبى من الجند يعرف بشومان، وكانت فيه شهامةٌ وجُرأَة وهو مِنْ صبيان الخاصّ، فأَحضره إِليه من أَحَد السَّراديب سرًّا، وأَرسله إِلى علىٍّ بن السُّلار، أَحد أَمراء الدَّولة، يأمره بالتدبير على رضوان، وأَنْفَذَ معه مالاً إِليه ليستعين به على ذلك. وكان على بن السُّلار عاقلاً صاحب حزم ويقظةٍ، وحسن تأَتٍّ مع قوة وصرامة.

فلمَّا جاءه القاصد بالمال وبلّغه عن الخليفة ما قال، انتهز الفُرْصَة وأَرسل إِلى جماعةٍ من صبيان الخاصّ، وقرر معهم أَن يجتمعوا ويدخلوا من باب زويلة كردوسا [1] واحدًا وهم يصيحون: «الحافظ يا منصور»؛ وفرّق فيهم ما أَرسله إِليه الخليفة.

فلمَّا كان يوم الإثنين، الثالث عشر من شوَّال: اجتمع بظاهر القاهرة منهم نحو العشرين وأَقبلوا من باب زويلة يصيحون: «ياللحافظ، الحافظ يا منصور»؛ فما وصلوا إِلى الشرايحيين الذى يُعرف اليوم بالشَّوَّايين، حتى صارُوا نحو الخمسمائة، وما وصلوا بين القصرين إِلاّ والعسكر جميعُه من فارس وراجل معهم، ولم يَبْق من الصبيان والعوامّ أَحدٌ حتى خرج النِّساء، وأَشرف النِّساء من الطاقات، وصاروا بأَجمعهم يصيحون: «ياللحافظية».

فلمَّا سمع رضوان الضَّجيج أَراد أَن يركب، فمنعه بعض غلمانه، فأَبى عليه؛ لأَنه كان واثقا بنفسه وبَمَن معه؛ وخرج وَحْدَه بغير سلاح ليس معه سوى سيف، فَلَقِىَ الناس بنفسه وطَرَدَهُم يمينًا وشمالاً، وظهر منه شجاعة تعجَّبَ منه مَنْ شاهدها، فإِنه لقِىَ أَلُوفًا من النَّاس بمفرده، ولم يزل يحمل عليهم حَمْلةً بعد جملةٍ إِلى أَن قتل منهم عدّة. وكان أَخوه إِبراهيم قد بلغه الخبر، فركب من داره، وأَمسك عنه من يجيئه من

---

(١) الكردوس هى الفرقة الحربية الراكبة.

Marfat.com

ناحية قصر الشوك (١)، وشدّت الريحانيّة ورجعوا إليه من ناحية زيادة الجامع الحاكمى ودرب الفرنجيّة.

فلمَّا طال عليه، وتيقّن أنّ القوم بأجمعهم قد تَمَالَئُوا على حربه، وكان قد انقضى من النهار أربع ساعات، وأشرف عليه الأستاذون من ناحية باب الرّيح من أعالى القصر يرشقونه بالنشّاب، ويرمُونه بالطّوب، تحير. وكان ابن أخته والى مصر، فبلغه الخبر، فقام بجميع غلمانه وسار لنجدة خاله، فوجد عند باب زويلة من بلغه الخبر بأنه لا يقدر على الوصول إليه؛ فسار من ناحية باب البرقيّة ومعه بُوقات وطبول، فسمع إبراهيم، أخو رضوان، أصوات البوقات والطبول من جهة باب البرقيَّة، فأنفذ إلى أخيه رضوان يقول له: «قد تفرّق علينا العسكر، وجاء من ناحية قصر الشّوك، وقد قاطع الرّاجل علينا من ناحية باب النّصر».

فلما بلغ رضوان ذلك أيقن بالهلاك إن وقف، فما زال يتأخر قليلاً قليلاً حتى صار فى رحبة باب العيد عند دار سعيد السعداء (٢)، وبعث إلى داره، التى هى دار الوزارة من أخذ له شيئًا منها على سبيل الخطف، وأوْصى إلى أخيه، فانضمَّ إليه هو ومَنْ معه مِنْ أصحابه وفيهم أبو الفوارس وقُدارة بن أبى عَزة وشاور بن مجير السَّعدى، وجماعة من خواصّه، وخرجوا من باب النصر. فما هو إلا أن صار بظاهر القاهرة اقتحم النّاس دار الوزارة ونهبوها حتى لم يتركوا فيها شيئًا.

وما وصل رضوان إلى تربة أمير الجيوش إلاّ وقد تَلاحق كثير من المغافرة، وكان قدْ أسلف عند العرب أَيَادِىَ، وأفاض عليهم نِعمًا وأحسن إليهم إحسانًا كبيرا فى مدّة وزارته، فأدْركه رجل من العرب، يقال له: سالم بن المحجل، أحد شياطين الإنس، وحسَّن له المسير إلى الشام.

واشتغل النّاس بنَهْب دار الوزارة، وكان قد جمع فيها رضوان أكثر أموال ديار مصر وشحنها بالذخائر وأنواع السّلاح والعُدَد والآلات والغلال، فانتُهب جميع ذلك، وأُحرقت أخشابٌ تعب الملوك فى تحصيلها. وكان نَهْبُ دار الوزارة أوَّلَ ضرر دخل على الدَّولة.

وطلب رضوان الشام، فدخل عسقلان، وملكها وجعلها معقله، وتوجّه أخوه إلى الحجاز وأقام بها حتى مات؛ وسار ابن أخته إلى بغداد، فأكرمه أصحاب الخليفة هناك، ولم يزل عندهم إلى أن مات.

وخرج رضوان من عسقلان ولحق بصلخد، فنزل على أمين الدَّولة كمشتكين

(١) قصر الشوك كان منزلا لبنى غدرة قبل بناء القاهرة.

(٢) هى الدار التى أنشأها الأستاذ قنبر سعيد السعداء.

Marfat.com

صاحبها فأكرمه وأبَرَّه، وأقام عنده ثلاثة أشهر، ثم أنفذ إلى دمشق، واستفْسَد من الأتراك بها مَنْ قدر عليه.

وفيها خربت الأثَارب من زلزلة؛ وزُلْزلت دمشق أيضا.

وفيها مات الأعزُّ قاضى القضاة أبو المكارم أحمد بن عبد الرحمن بن أبى عقيل، فى شعبان، فأقام منصب القضاة بغير قاض ثلاثة أشهر؛ ثم اختير الفقيه أبو العباس أحمد بن الحطيئة فى ذى القعدة، فاشترط ألا يحكم بمذهب الدَّولة، فلم يُمكّن من ذلك. وكان الوزير رضوان قد تقدّم إلى الفقيه أبى عبد الله محمد بن عبد المولى بن عبد الله محمّد بن عقبة اللّخْمى، المعروف بابن اللُّبْنِى (١) المغربى المالكىّ، أنْ يعقد الأنكحة.

فلمّا كان فى الحادى عشر ذى من القعدة: قرّر الحافظ فى قضاء القضاة القاضىَ فخر الأمناء أبا الفضائل هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن محمّد الأنصارى الأوْسى، المعروف بابن الأزرق.

سنة أربع وثلاثين وخمسمائة

فيها عاد الأفضل رضوان بن ولخشى من صلخد فى جَمْعٍ فيه نحو الألف فارس، وكان النّاس فى مدّة غيبته يهتِفُون بعَوْده، فبرزتْ له العساكر ودافعوه عند باب الفتوح، فلم يُطِقْ مقابلتهم؛ فمضى إلى مصر، ونزل على سطح الجَرْف المعروف اليوم بالرّصد، وذلك يوم الثلاثاء مستهلّ صفر. فاهتم الحافظ بأَمْرِه، وبعث إليه بعسكر من الحافظيّة والآمريّة وصبيان الخاصّ، عدّتهم خمسة عشر ألف فارس؛ مقدّم القلب تاج الملوك قايماز، ومقدم الآمريّة فرج غلام الحافظ. فلقيهم رضوان فى قريب ثلاثمائة فارس، فانكَسَرُوا، وقُتل كثير منهم، وغنم معظمهم؛ وركب أقفيتهم إلى قريب القاهرة. وعاد شاوَر إلى موضعه فلم يثبُتْ، وأراد العود إلى صلخد فلم يقدر، لقلّة الزّاد وتَعذر الطّريق، فتوجّه بمَنْ معه من العربان إلى الصّعيد. فأَنفَذ إليه الحافظ الأمير المفضل أبا الفتح نجم الدين سليم بن مصال فى عسكر ومعه أمان، فسار خَلْفه، ومازال به حتى أخذه وأحضره إلى القصر آخر نهار الاثنين رابع ربيع الآخر، فعفا عنه الحافظ، ولم يؤاخِذْ أحدًا من الأتراك الذين حضرُوا معه من الشّام. واعتقله عنده بالقصر قريبًا من الدّار التى فيها بهرام.

وفيها أُضِيف لِقَاضى القُضاة هبة الله بن حسن الأنصارى، فى سابع عشر جُمادى الآخرة، تدريس دار العلم بالقاهرة، فمضى إليها؛ وكان مدرِّسَها أبو الحسن على بن إسماعيل، فجرت بينهما مفاوضات أدَّت إلى الخصام الشّنيع؛ فخرج القاضى إلى القصر

---

(١) نسبة إلى لبنة وهى من قرى المهدية بإفريقية. انظر: معجم البلدان ٥/١٢.

Marfat.com

ماشيًا، وقدْ تخرَّقتْ ثيابه، وسقطت عمامته. فعظُم على الحافظ خُروجُه فى الأسْواق على هذه الهيئة، وغضب لذلك؛ فصرفه ورسم عليه، وغرَّمه مائتى دينار، وألزمه داره. وأمر بطلب أبى الطّاهر إسماعيل بن سلامة الأنصارى، فخلع عليه وقرّره مكانه، ونَعَتَه الموفّق فى الدّين، ولم يُكتب له سجلٌّ؛ فأقام إلى آخر ذى الحجة، ولم يتناول على القضاء مَعْلومًا؛ وكان جارى الحكم فى كل شهر أربعين دينارًا؛ وقنع بجارى التّقْدمة على الدّعاة وهو ثلاثون دينارًا فى الشهر.

وفيها وَلّى الحافظ لدين الله الأمير المفضَّل نجم الدّين أبا الفتح [1] سليم بن مصال المالكىّ تدبير الأمور.

سنة خمس وثلاثين وخمسمائة

فيها هلك بَهْرام الأرمنى بالقصر، وكان الحافظ لما أقدمه من الصعيد إلى عنده أنْزَله فى القَصْر ولم يُمكّنه من التّصرُّف، وكان يشاوره فى تدبير أمور الدولة فيعْجبُه رأيه وحزمه وعقله. فلمَّا مات فى العشرين من ربيع الآخر حزن عليه حزنًا كثيرًا ظهر بسببه على القصر غمّة، وهمّ أن يغلق الدّواوين ولا يفتحها ثلاثة أيّام. وأحضر بطرك الملكيّة وأمره أن يجهّز بهرام، فقام بتجهيزه. وأُخْرِجَ نصف النهار فى تابوت وعليه ثوب ديباج أحمر، ومِن حوله النّصارى يُبَخّرُون باللبان والصّبّار وسنّ العود، وجميع الناس مشاة، فلم يتأخر أحدٌ من أعيان الوقت عن جنازته.

وخرج الخليفة على بغلة شهباء وعليه عمامة خضراء وثوبٌ أخضر بغير طيلسان؛ فسار خلف التّابوت، وسار والنّاس تبكى والأقساء يعلنون بقراءتهم، والخليفة سائر؛ إلى دير الخندق من ظاهر القاهرة. فنزل الخليفة عن بغلته وجلس على شَفِيرِ القبر وبكى بكاء شديدًا.

وكان عاقلاً مقدامًا فى الحرب، حسن السّياسة جيّد التّدبير؛ وكان أوّلاً يقوم بأمر الأرمن، وسكناهم يومئذ فى ناحية تلّ باشر، فتعصّب عليه جماعة منهم وولّوْا غيره؛ فخرج مغضبًا وقدم إلى القاهرة، فترقّى فى الخِدَم إلى أن وَلّى المحلّة فقام بولايتها، ومنها سار فى زىّ حَسَنٍ إلى القاهرة، ومعه من الأرمن نحو الألفين يقولون بقوله، فاستوزره الحافظ.

وفيها مات الفقيه أبو الفتح سلطان بن إبراهيم بن رشا المقدسى فى آخر جمادى الآخرة.

---

(١) تولى الوزارة للخليفة الظاهر فى أول عهده.

Marfat.com

سنة ست وثلاثين وخمسمائة

فى ليلة الثلاثاء الثانى عشر من ربيع الأوّل: سقطت صاعقةٌ أَحرقت رُكْنَ منارة الجامع العتيق.

فى شعبان: غلت الأسعار وعُدِم القمح والشعير، فبلغ القمح كلُّ أردبٍّ إلى تسعين درهما والدقيق إلى مائة وخمسين للحملة، والخبز إلى ثلاثة أَرطال بدرهم، والويبة من الشَّعير إلى سبعة دراهم، والزَّيت الطيب إلى سبعة دراهم للرطل، والجبن إلى درهمين للرطل والبيض إلى عشرين درهمًا للمائة، والزيت الحار إلى درهم ونصف للرطل، والقلقاس كل رطلين بدرهم؛ وعُدِم الفرخ والدجاج فلم يُقْدَر على شىء منه. وعمّ الوباء، وكثر المَوتان.

وفيها مات أَحمد بن مفرّج بن أَحمد بن أَبى الخليل الصّقلّى الشاعر، المعروف بتلميذ ابن سابق؛ وكان فاضلاً ذكيًّا يتصرّف فى عدّة فنون، وله رسائل حسنة وشعر جيّد.

وكان الشعراء فى أَيام الحافظ قد أَطنبوا فى المديح وتناهَوْا فى إطالة القصائد حتى صار الإنشاد يؤدَّى إلى قِصَر الوقت الذى جرت العادة باستماع أَشعارهم فيه، لِطُول مُثولهم بالخدمة؛ فخرج الأمر إليهم بالاختصار فيما ينشدونه من الأشعار. فقال أَحمد ابن مفرّج يخاطب الخليفة:

أَمرتنا أَنْ نَصُوغَ المدح مختصرًا ... لمْ لا أَمرت ندى كفّيْك يَختصِر
والله لا بُدَّ أَن تجرى سوابقُنا ... حتى يَبِيَن لنا فى مدحك الأثر

فأُمِرُوا بالاستمرار على ما هُم عليه من الإطالة فى الإنشاد.

سنة سبع وثلاثين وخمسمائة

فيها عَظُم الوباءُ بديار مصر، فَهَلك فيه عالم لا يُحصى عددُه كثرة.

وفيها بعث الحافظ الأمير النجيب رسولاً إلى رُجار ملك صِقلّية لمحاربته أَهل صِقِلّية؛ وكان رُجار فيه فضيلة وأَمر، فصنّفت له تصانيف، وكان عنده محبّة للأَدب؛ ومدحه ابن قلاقس(١) الشاعر وغيره.

---

(١) نصر بن عبد الله بن عبد القوى اللخمى، أبو الفتوح الأعز، المعروف بابن قلاقس الإسكندرى الأزهرى: شاعر، نبيل، من كبار الكتاب المترسلين. كان فى سيرته غموض، ولد ونشأ بالإسكندرية، وانتقل إلى القاهرة، فكان فيها من عشراء الأمراء. انظر: كتاب الروضتين ١/٢٠٥ وابن خلكان ٢/١٥٦ وإرشاد الأريب ٧/٢١١ والدوائر الإسلامية ١/٢٦٤ والبداية والنهاية ١٢/٢٦٩ والأعلام ٨/٢٤-٢٦.

Marfat.com

سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة

فيها خرج محمد بن رافع اللوَاتى بنواحى البحيرة، فاجتمع له عدد كثير من الناس، فخرج إليه طلائع [١] بن رُزِّيك، وهو يومئذ والى البحيرة، فكانت بينهما حروب قُتِل فيها.

وفيها غلت الأسعار بمصر.

سنة تسع وثلاثين وخمسمائة

فيها سير الحافظ الرّشيد أبا الحسين أحمد بن الزبير رسولاً إلى اليمن بسجلٍّ يقرؤه عليهم، فخرج فى ربيع الأول.

وفيها خرج أبو الحسين بن المستنصر إلى الأمير خمارتاش الحافظى صاحب الباب وقال له: اجعلنى خليفة وأنا أُوَلِّيك الوزارة، فطالع الحافظَ بذلك، فأمر بالقبض عليه، فقُبِض واعتُقل.

وفيها قدم، فى جمادى الآخرة، من دمشق الأمير مؤيد الدَّولة[٢] أسامة بن منقذ وإخوتُه وأهلهُ، ومعهم نظام الدين أبو الكرام محسن، وزير صاحب دمشق، معاضدين لهَ، فأكرم مثواهم وأُنزلوا، وأُفيضت عليهم العطايا، وتواترت الإنعامات.

سنة أربعين وخمسمائة

فيها أعيد نظر الدّواوين والأتراك والخزائن إلى القاضى الموفّق أبى الكرم محمد بن معصوم التنيسى فى جمادى الأولى.

سنة إحدى وأربعين وخمسمائة

فيها خرج على الحافظ أمير من المماليك يعرف ببختيار، يطلب الوزارة، بأرْض

---

(١) طلائع بن رزيك، الملقب بالملك الصالح: وزير عصامى، يعد من الملوك. أصله من الشيعة الإمامية فى العراق. قدم مصر فقيرًا، فترقى فى الخدم، حتى ولى منية ابن خصيب من أعمال الصعيد المصرى، وسنحت له فرصة فدخل القاهرة، فولى وزارة الخليفة (الفاطمى) سنة ٥٤٩. انظر: وفيات الأعيان ١/٢٣٨ ودول الإسلام ٢/٥١ والمقريزى ٢/٢٩٣ ومرآة الزمان ٨/٢٣٧ والأعلام ٣/٢٢٨.

(٢) الحافظ الرشيد أبا الحسين أحمد بن الزبير: ولد بأسوان ورحل إلى مصر واتصل بوزرائها وخلفائها ومدحهم، فتقدم عندهم. أرسله الحافظ إلى اليمن داعية له، فيقال إنه دعا لنفسه وضرب السكة باسمه، فقبض عليه، وأرسل إلى مصر، وهو ابن أخت الموفق ابن الحلال كاتب الإنشاء للفاطميين. انظر: قسم شعراء مصر ١/٢٠٠- ٢٠٢.

Marfat.com

الصعيد، فندب إليه عسكرًا عليه سلمان مؤنس اللواتى، فمضى إليه وحاربه، فانهزم وهو من ورائه، حتى أدركه وأخذه أسيرًا وقتله.

وفيها قدم صافى الخادم، أحد خُدَّام المتّقى، من بغداد غازًّا، فى ثالث عشرى جمادى الأولى، خوفًا فأكرمه الحافظ.

وفيها مُنِعَ من التعرُّض لصَرف شىءٍ من المال الحاضر من الأعمال فى جرائد المستخدمين، وأن يكون ما نسب منها على البواقى والفاضل فى هذه السنة.

وفيها ملك نور الدين محمود بن عماد [1] الدين زنكى بن آقسُنْقر حلب بعد أبيه.

وفيها ملك رجَار بن رجَار ملك صقلية مدينة طرابلس الغرْب وولى عليها رجلا من بنى مطروح.

سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة

فيها صُرف أبو الكرم التّنيسى فى ربيع الآخر، وأعيد نظر الدّواوين للقاضى المرتضى المحنك.

وفيها سيَّر الحافظ لظهير الدين صاحب دمشق هدايا وخلعًا وتُحفًا.

وفيها خرج رضوان من ثقب نقبه بالقصر. وذلك أنَّ الحافظ لما اعتقله بالقصر أرسل يَسْأله فى أشياء، من جملتها زيارة نجم الدّين بن مصال له فى الْوَقْت بعد الوَقْت، فأجابه إلى ذلك لثقته بابن مصال. فحضر فى يوم من الأيام ابنُ مصال لخدمة الخليفة، وبدأ بزيارة رضوان، فدخل إليه ومعه مشدّة فيها رقاع بحوائج النّاس ليَعْرضها على الحافظ، وكانت عادته ذلك؛ فاحتاج إلى الْخَلاَء، فترك مشدّته عند رضوان، ودخل الخلاء. فأخذ رضوان الرّقاع ووقّع بخطّه عليها كلها بما يسُوغ التوقيع به، وأَتْرَبها وطَوَاها فى المشدّة.

وخرج ابن مصال فأخذها ودخل على الحافظ، وقد علم أنّه كان عند رضوان، فقال له: «كيف ضيفُنا؟». فقال: «على غاية من الشكر لنعمة مولانا وجواره». وأخرج رُقْعةً من تلك الرّقاع ليعرضها على الخليفة فوجد عليها التّوْقيع بخط رضوان، فأَمْسَكها وأخرج غيرها، فإذا هى موقّع عليها أيضًا. وكان الحافظ يراه، فقال: «ما هذا؟»

(١) محمود بن زنكى (عماد الدين) بن آقسنقر، أبو القاسم، نور الدين، الملقب بالملك العادل: ملك الشام وديار الجزيرة العربية وهو أعدل ملوك زمانه وأحلهم وأفضلهم: ولد فى حلب، انتقلت إليه إمارتها بعد وفاة أبيه (٥٤١) هـ وكان ملحقًا بالسلاحقة. انظر: ابن الأثير ١٥١/١١ وابن خلدون ٢٥٣/٥ وابن الوردى ٨٣/٢ وابن خلكان ٨٧/٢ والأعلام ١٧٠/٧.

Marfat.com

فاستحيا ابن مصال عندما تداول الخليفة الرّقاع، وعليها توقيع رضوان. فقال له الحافظ: «يا نجم الدّين، مازلت مباركًا علينا والله يشكر لك ذلك؛ لقد فرّجت عَنّا غمّة». فقال: «كيف يا مولانا؟ قال: «رأَيت البارحة رؤيًا مقتضاها أَنه ربّما يشركنا فى كثيرٍ من أَمْرنا؛ فالحمد لله إِذ كان هذا». وكتب على الرّقاع أَمْضَاها بخطّه، وخلع على ابن مصال.

فلمَّا طال اعتقال رضوان أَخذ ينقب بحيث لا يُعْلَم به إلى أَن انتهى النقبُ من موضعه الّذى هو فيه إِلى تجاه فندق أَبى الهيجاءِ، وخرج النّقب عن سُور القصر. وكان قياس ما نَقَبه خمسةً وثلاثين ذراعًا، فظهر منه بكرة يوم الثلاثاء، ثالث عِشْرِى ذى القعدة، فى الجيزة، فالْتَفَّ عليه جماعة من لَواتة وعدّة من الأَجناد؛ وسمع به الطّمَّاعُون، وكان للنّاس فيه أَهْوِية. فندم الحافظ على تركه بغير حارس؛ وأَخذ فى العمل.

فلما كان ثالث يوم: عدّى رضوان من اللوق، وسار إِلى القاهرة؛ فخرج إِليه عسكر الحافظ وتحاربوا معه عند جامع ابن طولون، فهزمهم، وسار فى إِثرهم إِلى القاهرة، فدخلها فى الرّابعة من نهار الجمعة سادس عِشْرِيه، ونزل بالجامع الأَقمر. فغلق الحافظ أَبواب القصر وامتنع به. فأَحضر رضوان أَرباب الدولة والدّواوين، وأَمر ديوان الجيش بعَرْض الأَجناد، وأَخذ أَموالا كانت خارجة من القصر، وأَنفق فى طوائف العسكر. وأَرسل إِلى الحافظ يطلب منه مالا؛ فسيَّر إِليه صندوقًا فيه مال، وقال له: «هذا الحدُّ الذى أَراده الله، فاستَرْض على نفسك».

وأَقت هتافات الناس إِلى رضوان؛ فاستدعى الحافظ أَحدَ مقدّمى السُّودان سرًّا وقال له: «إِنى بكم واثق». فقالَ: «ما ادَّخَرْنا هذا إِلاّ لمولانا». فقال: «كم أَصحابك؟». قال: «عشرة».

قال: «لكم عشرة آلاف دينار، واقتلوا هذا الخارجى علينا وعليكم، فأَنتم تعلمُون إِحْسَاننا إِليه وإِساءتَه إِلَيْنا». فقالوا: «يا مولانا السمع والطاعة». ورتّبوا أَنهم يصيحون حول الجامع الأَقمر: «الحافظ يا منصور». فلمَّا فعلوا ذلك قَلق، وقال لمن حوله: «ما كلُّ مرة يصحُّ لهؤلاء الكلاب مُرَادُهم». فحسَّنوا له الرُّكوب ظنًّا منهم أَنه إِذا ركب إِلى بين القصرين لم يجسر أَحدٌ عليه. فعِنْدما رَكب ضربه واحدٌ من السُّودان فى فخذه ضربة شديدة، وتداركه آخر بضربةٍ، وتوالت عليه الضَّربات؛ فقتل فى الساعة الحادية عشرة من نهار الجمعة المذكور؛ وقطعت رأسه، وحملت إِلى الخليفة الحافظ. فسكنت الفتنة، وهدأَت الغوغاءُ. ثم إِن الحافظ بعث بالرّأس إِلى امرأَة رضوان، فلمَّا وُضِعَت فى حجرها قالت: «هكذا يكون الرّجال».

Marfat.com

وكان رضوان سُنِّيًا حسن الاعتقاد، شجاعًا، مقدامًا، قوىّ الغلب، شديد البأس. وُلِدَ ليلة عيد الغدير من ذى الحجة [١] سنة سبع وثمانين وأربعمائة، وترقّى فى الخدم إلى أن وَلِىَ قوص وإخميم فى سنة ثمانٍ وعشرين وخمسمائة، إلاّ أنّه كان مع حسن عبارته وغزارة أدَبه طائش العقل قليل الثبات، لا يحسن التدبير، ولا يتأتّى له سياسة الأمور لعجلته وجرأته؛ وكان أخوه الأوحد أثبت عقلا منه. ومن جُمْلة ما كُتب له فى تقليد الوزارة بعد بهرام من إنشاء أبى القاسم بن الصيرفى: «لأنّك أذْهَبْتَ عن الدَّولة عَارَها، وأمَطْت من طرق الهداية أوْعَارَها، واستعدْت ملابس سيادةٍ كان قد دنّسها من استعارها».

ولم يستوزر الحافظ بعد رضوان أحدًا؛ وأعاد النّصرانى المعروف بالأحزم إلى ضمان الدولة، على ما تقدّم، ثم نقم عليه لكثرة المرافعين واعتقله، وطلب منه المال فلم يسمح بشىء.

فركب الحافظ يومًا ووقف على باب السّجن الذى هو فيه من القصر، وأمر به، فأُحْضِر إليه. وقال له: «كم تَتَجالَد؟ أريد منك مالى على لسان صاحب السّتر». فبينا الخليفة يخاطبه إذ أخذ كفًا من تراب وجعله فى فيه؛ فقال له الحافظ: «ما هذا؟» فقال: «ما لا ينبغى نقله إلى مولانا، صلوات الله عليه». فغضب عليه، وأمر بإحضار أبيه وأخيه، وكانا مُعْتَقَلَيْن، فأخرجا؛ وقتل الأحزم وأخاه، وأبوهما ينظر قتلهما، ثم قتل الأب. وأحاط بأموالهم فحصل منهم ما يزيد على عشرين ألف دينار عينا.

فيها مات الشيخ تاج الرياسة أبو القاسم[٢] على بن منجب بن سليمان، المعروف بابن الصيرفى الكاتب، فى يوم الأحد لعشرٍ بَقِينَ من صفر؛ ومولده فى يوم السبت الثانى والعشرين من شعبان سنة ثلاث وستّين وأربعمائة. وكان أبوه صيرفيًا وجدّه كاتبًا؛ وأخذ صناعة التّرسُّل عن ثقة الملك أبى العلاء صاعد بن مفرّج؛ وتنقّل حتى صار صاحب ديوان الجيش، ثم انتقل معه إلى ديوان الإنشاء.

ومات الشريف سناء الملك أبو محمد [٣] الزَّيدى الحسينى؛ ثم تفرّد بالديوان فصار

---

(١) يجرى الاحتفال بعيد الغدير فى الثامن عشر من شهر ذى الحجة فى كل عام.

(٢) على بن منجب بن سليمان، أبو القاسم، تاج الرياسة ابن الصيرفى: منشئ، مؤرخ من أعيان المصريين، ولى ديوان الإنشاء بمصر، فى أيام الآمر الفاطمى سنة ٤٩٥هـ واستمر إلى سنة ٥٣٦هـ. له (الإشارة إلى من نال الوزارة -ط). انظر: الإشارة ٢-١٢ وإرشاد الأريب ٤٢٢/٥ والأعلام ٢٤/٥.

(٣) هبة الله بن جعفر بن سناء الملك أبى عبد الله محمد بن هبة الله السعدى، أبو القاسم، القاضى شاعر، من النبلاء. مصرى المولد والوفاة. وكان وافر الفضل، جيد الشعر، بديع الإنشاء كتب=

فيه بمفرده. وله الإنشاء البديع والشعر الرائع، والتّصانيف المفيدة فى التاريخ والأدب.

سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة

فيها توجَّه العسكر، فى ثالث صفر، لقتال لَوَاتة وقد تجمَّعوا وعقدوا الأمر لرجُلٍ قدم من المغرب، وادَّعى أنه وَلَدُ نزار بن المستنصر فسار إليهم العسكر، وواقعهم على الحمامات وانْهزَم منهم العسكر؛ فجهَّز الحافظ عسكرًا آخر، ودَسَّ إلى مُقدّمى لَوَاتَة مالا جزيلا، ووعدهم بالإقطاعات؛ فغدَرُوا بابن نزار وقتلوه، وبعثوا برأسه إلى الحافظ. ورجعت العساكر فى ربيع الأوَّل.

وفيها صُرِف القاضى المكين الموفّق فى الدين أبو الطاهر إسماعيل بن سلامة الأنصارى عن القضاء، لِسَبْع خَلَوْن من المحرَّم؛ واستقرَّ على الدَّعوة الموفّق الأمير كمال الدِّين، واستخدم فى وظيفة القضاء؛ وكان كريم الأخلاق، حليما، عليه سَكينة ووقار، مليح الشيبة، ظريف الهيئة.

وفيها توفى أبو الفضائل يونُس بن محمدّ بن الحسن المقْدِسى القرشىّ، المعروف بجوامرد، خطيب القدس.

وفيها بلغ النِّيل تسعة عشر ذراعًا وأربعة أصابع، ففاضَ الماء حتّى بلغ إلى الباب الجديد أول الشَّارع، خارج باب زويلة (١)، فكان الناس يتوجَّهُون من مصر إلى القاهرة على ناحية المقابر لامْتِلاء الطريق بالمياه. فلمَّا بلغ الحافظ ذلك أَظْهرَ له الحزن والانقطاع، فسأله بعض خواصّه عن ذلك، فأخرج له كتابًا وقال: «انظر هذا السطر»، فإذا فيه: «إذا وصل الماءُ البابَ الجديد انتقل الإمام عبد المجيد». ثم قال: «هذا الكتاب الذى نعلم منه أحوالنا وأحوال دولتنا، وما يأتى بعدها». فاتفق أنّه لم تَنْسَلِخْ هذه السَّنة حتى مرض الحافظ مَرْضَة الموت.

وفيها انقرضت دولة بنى باديس؛ وذلك أن الغلاء اشتد بإفريقية من سنة سبع وثلاثين وخمسمائة إلى سنة اثنتين وأربعين حتى أكل النّاس بعضُهُم بعضًا، وخلت القرى، ولحق كثيرٌ من الناس بجزيرة صقلية. فاغتنم رُجَّار متملّكها الفرصة، وبعث جُرْج، مقدّم أسطوله، على نحو مائتين وخمسين شينيًّا، فنزل على المهديَّة ثامن صفر سنة

-فى ديوان الإنشاء بمصر مدة. وولاه الملك الكامل ديوان الجيش سنة ٦٠٦ هـ. له (دار الطراز- ط). انظر: ابن خلكان ١٨٨/٢ وشذرات الذهب ٣٥/٥ والأعلام ٧١/٨.

(١) باب زويلة: باب من أبواب القاهرة يقع عند رأس حارة المتنجبية. انظر: المواعظ والاعتبار ١٩/٢، ٢٠، ٢٥.

Marfat.com

اثنتين وأَربعين، وبها الحسَن بن على بن يحيى [1] بن تميم بن المعزّ بن باديس؛ ففرّ بأَخفّ حمله وتبعه النّاس، فدخل جُرْج المهديَّة بغيْر مَانع، واستولى على قصر الأَمير حسن، وأَخذ منه ذخائر نفيسة وحظايَا بديعات.

وعزم حسن على المجيء إلى مصر، فقبض عليه يحيى بن العزيز، صاحب بجاية، ووكل به وبأَولاده، وأَنزله فى بعض الجزائر، فبقى حتّى ملك عبد المؤمن بن على بجاية فى سنة سبع وأَربعين، فأَحسن إِلى الأمير حسن، وأَقرَّه فى خدمته. فلمَّا ملك المهديَّة تقدَّم إِلى نائبه بها أَن يقتدى برأَى حسن، ويرجع إِلى قوله.

فكانت عدَّة مَنْ ملك من بنى باديس بن زيرى بن مناد تسعة، ومدَّتهُم، من سنة إِحدى وستّين وثلاثمائة إِلى سنة ثلاث وأَربعين وخمسمائة، مائة واثنتان وثمانون سنة.

وفيها بعث رُجَار بن رُجَار ملك جزيرة صقلية إِلى المهديَّة أسطوله، مائتين وخمسين من الشَّوانى، مع جُرْجِى بن ميخائيل، فجدَّ فى حصارها حتى أَخذها فى صفر منها، وملك سوسة وصفاقس وملك رُجَار بونة.

سنة أربع وأربعين وخمسمائة

فيها وقع الاختلاف بين الطائفة الجيُوشية والطائفة الرَّيْحانيَّة، فكانت بينهما حروب شديدة قتل فيها عدَّة من الفريقين؛ وامتنع النّاس من المضىّ إِلى القاهرة ومن الذهاب إِلى مصر. وابتدأت الحرب بينهم فى يوم الخميس ثامن عشر جمادى الأُولى، وتوالَتْ إِلى يوم السبت رابع جمادى الآخرة؛ فانهزمت الريْحانيَّة إِلى الجيزة.

وهمَّ العسكر بخلع الحافظ من الخلافة، فمات بقصر اللؤلؤة، وقد نقل إِليه، وهو مريض، بكرة يوم الأَحد، وقيل ليلة الاثنين، لخمس خلون من جمادى الآخرة؛ واشتغل الناس بموته.

وكان له من العمر يَوْمَ مات ست وسبعون سنة وثلاثة أَشهر وأَيّام، منها مدَّة خلافته من يوم بويع بعد أَحمد بن الأَفضل ثمانى عشرة سنة وأَربعة أَشهر وتسعة عشر يوما. وأَصابته فى ولايته شدائد، واعتُقل، ثم لما أُعيد تحكّم عليه الوزارة حتى قبض

---

(١) الحسن بن على بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجى آخر ملوك الدولة الصنهاجية فى إفريقية الشمالية. ولد بالمهدية. وولى بعد وفاة أبيه (سنة ٥١٥هـ) وعمره اثنا عشر عاما، فقام بأمره أعيان الدولة، فاضطربت. وهاجمه روجار ملك صقلية. انظر: ابن خلدون ١٦١/٦ والبيان المغرب ٣٠٨/١ وأعمال الأعلام ٣٣ وابن الوردى ٤٧/٢ والأعلام ٢٠٢/٢، ٣٠٢.

Marfat.com

علي رضوان. فلم يستَوْزِرْ بعده أَحدًا، وإِنَّما أَقام كتّابًا على سنّة الوزراءِ أَرباب العمائم، ولم يُسَم أَحدًا منهم وزيرًا؛ وهم: أَبو عبد الله[1] محمد بن الأَنصارى، وخلع عليه بالْحَنَكِ والدواة فتصرَّف تصرُّف وزراء الأَقلام، وصعد المنبر مع الخليفة فى الأَعياد والجمع؛ والقاضى الموفّق محمد بن معصوم التنّيسى؛ وصنيعة الخلافة أَبو الكرم الأَخرم النّصرانى.

وكان الحافظ حازم الرَّأى، جماعًا للأَموال، كثير المداراة، سَيُوسًا عارفًا. ولم يكن أَحدٌ مِمَّن وَلِىَ قَبْلَهُ أَبوه غير خليفة سواه. وكان يميل إِلى علم النجوم؛ وكان له من المنجِّمين سبعة، منهم: المحقوف، وابن الملاح، وأَبو محمّد بن القلعى، وابن موسى النصرانى.

وفى أَيّامه: عُمِلت الطَّبْلة التى كانت إِذا ضرب بها مَنْ به قولنج [2] خرج عنه الرِّيح؛ ومازالت بالقصر إِلى أَن كُسِرت فى أَيام السلطان صلاح الدين يوسف [3] بن أَيوب. وترك من الأَولاد أَبا الأَمانة جبريل، ويوسف، وأَبا المنصور إِسماعيل، وكان مطعُونًا عليه، فإِنه وَلِىَ بغير عهد، وإِنَّما أَقيم كفيلا عن مُنْتَظَرٍ فى بطن أُمِّه، فلم يظهر للحمل خبر.

ومن محاسن ما يُحكى عنه أَنّه كان يُخْرِجُ فى كل سنّة أَشهر عسكرًا من القاهرة إِلى عسقلان لأَجل الفرنج تقويةً لمن بها من المَركزيَّة الكنانيَّة وغيرهم. ويُقدِّم على العسكر عدَّة، فيُجعل على كلِّ مائة فارسٍ أَميرٌ، ويقدَّم على الجميع أَمير تسلَّم إِليه الخريطة فيكون أَمير المقدَّمين؛ وتشتمل الخَريطة على أَوراق العرض من الدِّيوان بالحضرة ليتّفق مع والى عسقلان على عرض العسكر بمقتضاها. ويصدر التّعريف من كاتب الجيش

---

(١) محمد بن عبد الله بن محمد بن خلق، أبو عبد الله، الأنصارى: مقرئ واعظ أندلسى. من أهل بلنسية. أقام مدة بشاطئه، وتوفى بأوريولة. له: «نسيم الصبا». انظر: غاية النهاية ١٧٨/٢ وشكيب أرسلان ١٨٦/٣.

(٢) القولنج مرض يصيب الأمعاء. انظر: معجم الوجيز.

(٣) يوسف بن أيوب بن شادى، أبو المظفر، صلاح الدين الأيوبى، الملقب بالملك الناصر: من أشهر ملوك الإسلام. كان أبوه وأهله من قرية دوين (فى شرقى أذربيجان) وهم بطن من الروادية، من قبيلة الهمذانية، من الأكراد. نزلوا بتكريت، وولد بها صلاح الدين، وتوفى فيها جده شادى. انظر: وفيات الأعيان ٣٧٦/٢ وتاريخ الخميس ٣٨٧/٢ وابن إياس ٦٩/١ وابن خلدون ٧٩/٤، ٢٣٠-٢٥٠/٥ وابن الأثير ٣٧/١٢ والأعلام ٨٢٢ ومرآة الزمان ٢٤٥/٨ وطبقات السبكى ٣٢٥/٤ وشذرات الذهب ٢٩٨/٤ وترويح الكروب ١٦٨/١ والسلوك للمقريزى ٤١/١-١١٤.

هناك إِلى الدّيوان بالحضْرة بذلك، ويسلّم إِليه مبلغٌ من المال لنفقته مَعُونةً لِمَنْ فاتتْه النّفقة من العسكر، فإِن النّقباء الّذين لِلطّوائف يجردون مَنْ كان من الطوائف حاضرًا ومَنْ كان مسافرًا فى إِقطاعه؛ فيأْخذ صاحب الخريطة أَوراقًا بمن سافر وهو فى إِقطاعه ليوصل إِليه نفقته.

وكانت نفقة الأُمراء مائة دينار لكل أَمير، وللأَجناد ثلاثون دينارًا لكل جندىٍّ.

واتّفق مرَّة خروج العسكر إلى عسقَلان وفيهم خمس أَمراء من جملتهم جلب راغب، الذى اتفق منه فى حسن بن الحافظ بعد موته ما تقدَّم ذكره؛ فلمَّا سيَّر إِليه مائة دينار، نفقته، تجهَّز للسفر فى جملة النّاس، وسلّمت الخريطة لأَميرهم. فلمَّا دخلوا على الحافظ ليودِّعوه ويدعو لهم بالنّصر والسَّلامة على العادة، قضَوْا حقَّ الخلافة وانْصَرفوا إِلاّ جلب راغب، فإِنه وقف؛ فقال الحافظ: «وقولوا للأَمير ما وُقُوفك دون أَصحابَك، أَلك حاجة؟». فقال: «يأْمرنى مولانا بالكلام». قال: «قل». فقال: «يا مولانا، ليس على وجه الأَرض خليفة ابن بنت رسول الله ﷺ غيرك؛ وقد كان السُّلطان استزلّنى، فسفهت نفسى، وأَذنبت ذنبًا عظيمًا، عفوُ مولانا أَوْسعُ منه وأَعظم». فقال له الحافظ: «قل ما تريد غير هذا فإِنّا غيرُ مؤاخذيك به». فقال: «يا مولانا قد توهمت أَنك تحقّقْت أَنى ماضٍ فى حالة السخط، وقد آلَيْتُ على نفسى أَن أَبْذُلَها فى الجهاد فلَعَلّى أَموت شهيدًا، قد صنع ذلك سخطُ مولانا علىَّ». فقال له الحافظ: «انتَهِ عن هذا الكلام، وقد قلنا لك إِنا ما وَاخَذْناك، فأَى شىء تقصد؟». فقال: «لا يُسيِّرنى مولانا تبعًا لغيرى، فقد صرت مرارًا كثيرة مقدَّمًا، وأَخشى أَن يُظَنَّ أَن التأْخير للذّنب الذى أَنا متعرِّف». قال: «لاَ، بل مقدَّمًا وصاحبَ الخريطة». وأَمَر بنقل الحال عن المقدَّم الذى تقرَّر للتقدُّم والخريطة إِلى جلب راغب، وأُعْطِى مائتى دينار وقال له: «اسْتَعِنْ بهذه». فعُدَّ هذا من الحِلْم الّذى ما سُمِع بمثله.

وكان الغالب على أَخلاقه الحلم. وكان مقدم المطالبين يجىء إِلى الخليفة الحافظ ويخبره بغرائب ما يظهر؛ فجاء يومًا وأَخبر أَنه وجد حَوْضًا لطيفًا قريبًا من معلف الجمال، فلم يتعرَّض له. فندب الخليفة معه شاهدين حتى أَتوْا به، فإِذا حوضٌ مطبق بغطاء كشف عنه، فإِذا فيه صَنَمٌ من رخام أَبيض على هيئة الإِنسان وهو واضع أَصبعًا فى فِيهِ وأَصبعًا أَخرى فى دبره، فأَمر الحافظ أَحد الشاهدين أَن يناوله ذلك؛ فلمَّا أَخذ الصنم ضرط ضرطة عظيمة، فأَلقاه من يده، وقد اشتدَّ خجله. فقام موفّق، أَحد الأُستاذين المحنّكين، ليناولَه إِيَّاه فضطرط أَيضًا. فأَمر الحافظ بتركه، وعلم أَنه طلسم القولنج.

Marfat.com

ووجد فى مقطع الرخام سرب تحت الأرض فيه حبوة ممدودة أُحضرت إلى الأستاذ مفضل، المعروف بصدر البـاز، فإذا فيهـا حَنَشٌ من ذهـب زنتـه ستة مثاقيل ونصـف مثقال، وعيناه من ياقوت أحمر، وفى فمه جرس من ذهب. فأُعلِم به الحـافظ، فلـم يـزل يبحث عن خبره حتّى أُحْضِرت له عدَّة أحناش كبـار، وأخـرج ذلـك الحنـش المذكـور فجعلت الأحناش الكبار تخرج رءُوسها ثم تحركها مرَّةً أو مرَّتين، وتسقط ميتة.

وكـان الحـافظ حريصًـا علـى علـم السِّـيمياء. فظهـر فـى أيّامـه الشـيخ أبـو عبد الله الأندلسى، شيخ بنى الأنصارى أَوْحَد زمانه فى علـم السّيمياء، فسـأله الحـافظ أن يُرِيَه شيئًا من ذلك؛ فأراه سـاحة القصـر قـد صـارت لجّـة مـاء، فيهـا سـفينة متعلقـة وشوانى حربيات قد خرجت على تلـك السـفينة وقـاتلت أهلهـا؛ والحـافظ يـرى لمعـان السُّيوف ومُرُور السِّهام وخفقان البُنود، ورءُوس الرِّجال، وهـى تسـقط عـن كَوَاهِلهـا، والدماء تسيل؛ حتى سلّم أصحاب السَّـفينة لأصحـاب الشـوانى فسـاروا بهـا والأبْـواق تزعق والطُّبول تضرب، إلى أن غابت عـن الأبصـار فـى لجج البحـار. ثـم كشـف عـن الحافظ فإذا هو قصره. ثم أمره أن يُرِيَه شيئًا آخر: فقال: «لنخـرج مَـنْ فـى مجلـس أمـير المؤمنين إلى منزلـه». فـأمرهم؛ فخرجـوا حتـى صـاروا إلى حيـث خيولُهـم واقفـة ببـاب القصر، فلما قدمت إليهم ليركبوا فما مِنْهُم إلاّ مَنْ رأى فرسه كأنه ثور وقرنـاه كـأعظم ما يكون مـن القـرون؛ فعـادوا إلى الحـافظ وأعلمـوه بمـا رَأَوْا، فضحـك وقـال: «افـدُوا دوابكم منه». فقطع كلُّ واحدٍ منهم على نفسه شيئًا فأمر لـه بـه. ومـازال مقيمًـا بمصـر حتى مات.

وكان فى أيّام الحافظ أيضًا ابن محفوظ، سأله أن يُرِيَه شيئًا مـن أعمالـه؛ فـأمر بأربعـة أطباق فضة أن تحضر، فلمَّا وضِعَت بين يديه امتلأت يَاسَمينًا فى غير أوانه، وصار يعلـو على كلِّ طبق، وهو مرصوص متماسك بعضه فوق بعض، إلى أن صـار كأربعـة أعمـدة من رخام متقابلة.

* * *

Marfat.com

الظّافر بامر الله[1] أبو المنصور إسماعيل بن الحافظ لدين الله أبى الميمون عبد المجيد بن الأمير أبى القاسم محمّد ابن المستنصر بالله

ولُدِ يوم الأحد، النصف من ربيع الآخر، سنة سبع وعشرين وخمسمائة؛ وبويع فى اليوم الذى مات فيه الحافظ لدين الله، وهو كما تقدَّم يوم الأحد الخامس من جمادى الآخرة سنة أَربع وأَربعين وخمسمائة، وعمره سبع عشرة سنة وأَربعة أَشهر وعشرة أَيام؛ بوصيَّة من أَبيه له بالخلافة. وكان أَصْغَرَ أَولاده، وفيهم أَبو الحجاج يوسف، وأَبو الأَمانة جبريل، وهما أَسَنُّ منه؛ وركب بزىِّ الخلافة. واستَوْزَر الأمير نجم الدِّين أَبا الفتح سليم بن محمَّد بن مصال، بوصيَّة الحافظ بذلك أَيضًا، ونُعِت بالسيِّد الأَجلِّ الأَفضل أَمير الجيوش وخلع عليه خلع الوزارة؛ وهو يومئذ من أَكابر الأُمراء، وهو شيخ لَيِّن متواضع فسكن دار المأمون البطائحى. وصار أَبو الكرم التنِّيسى من ذوى رأيه.

وأَوَّل ما بدأَ به الظافر أَنه ركب بعد صلاة العشاء الآخرة بالشمع فى القصر، ووقف بباب الملك بالإيوان المجاور للشُّباك؛ وأَحضر ابنَى الأَنصارى، وهما أَبو عبد الله وأَبو [.....][2] واستدعى متولى السِّتر، وهو صاحب العذاب، وأُحضرت آلات العقوبة؛ وضرب الأَكبر بحضوره بالسِّياط إِلى أَن قارب الهلاك، وثنّى بأَخيه كذلك، ثم أُخرجا وقُطِعت أَيديهما وسُلّت ألسنتهما من أَقفيتهما، وصُلبا على بابى زويلة الأول والثانى فأَقاما زمانًا ثم وُضِعا.

وكان سبب قتلهما أنهما كانا من الكتاب فنبغا وتوصَّلا بالحافظ، فاستخدمهما فى ديوان الجيش، فوثبا على رؤساءِ الدَّولة وأَعيان كُتّابها وخواصِّ الخليفة من الأستاذين

---

(١) إسماعيل بن عبد المجيد الحافظ بن محمد المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بأمر الله، العلوى الفاطمى، أبو المنصور الظافر بأمر الله. من ملوك الدولة الفاطمية بمصر والمغرب. ولد فى القاهرة، وولى بها الخلافة صغيرًا بعد وفاة أبيه (الحافظ لدين الله) سنة ٥٤٤، بعهد منه. ولم يطل زمنه. وكان كثير اللهو ولوعًا باستماع الأغانى، من أحسن الناس صورة. وفى أيامه أخذت عسقلان، فظهر الخلل فى الدولة، وإليه ينسب الجامع الظافرى فى القاهرة. قتله أحد رجاله غيلة بها. انظر: خطط المقريزى ١/٣٥٧، والنجوم الزاهرة ٥/٣١٩، وابن الأثير ١١/٥٣-٧٢، وابن إياس ١/٦٤، ٦٥، وابن خلدون ٤/٧٣، وفيات الأعيان ١/٧٧، والأعلام ١/٣١٨.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

Marfat.com

المحنّكين، مثل الأجل الموفّق [1] كاتب الدّست - وكان موضع سرّ الخليفة ومحلّ مشورته فى الأمور العظام من أحوال الممالك - ومَنْ يليه، كالقاضى المرتضى المحنك، والخطير ابن البواب، وتجرّآ على المذكورين وغيرهم مع قلّة دُرْبة. فكثر حُسّادهما وعُمِل عليهما فيما يخرج للأمراء والمقْطَعِين من الخروجات فى كل سنة، ويشتمل الخرج على نعوت ذلك الأمير، فيصير ذلك الخرج إلى عامل الإقطاعات، وهو تحته. فذكرا فى أحد الخروجات كلامًا طريفًا ليؤخذ عليه خطّهما ليُوقَفَ عليه الخليفة حتى يتبين له جهلهما، وهو: «حَبْطَست حَبْطَست، وفى النهر قد غطست، بغلالة أرجوان، صفراء بزعفران». فمشى عليهما ذلك وترجما الخرج بخطّهما؛ وخرج من أيديهما، فأُحْضِر إلى الأجل الموفّق بن الحجّاج، كاتب الدّست؛ فأخذه ودخل به إلى الخليفة الحافظ، وقال: «يا مولانا، الأمثال مضروبة بحفظ ديوان هذه الدولة ومَنْ يتولاّها، فكيف لو ظفر بهذا الخرج مخالف لها، يقصد التشنيع عليهما». فقال له الحافظ: «يا مولاى الموفّق، هَبْهُمَا لى». فقال: «يا مولانا، كلُّنا مماليكك» وخرج؛ ولم يبلغ الأعداء منهما ما أرادوا؛ فزاد أمرهما فى الدولة على الخليفة والاستعلاء على الناس.

وأراد الأكبر منهما أن يدخل على الخليفة، ويخرج ظاهرًا ليراه النّاس، فجدَّدَ له ديوانًا سمّاه ديوان التّرتيب، وجمع فيه مَنْ يخدم فى ترتيب الأعمال صفقة صفقة، وأن يكون أميرهم بَجَارٍ يُقرِّر له - وهذا الترتيب يقال له فى غير هذه الدولة صاحب البريد - فكان يكاتب متولى هذا الديوان بالأخبار بمطالعات تصل إليه مترجمةً بمقام الخليفة فيَعْرضها من يده، ويُجَاوب عنها بخطّه. فورد كتابُ بعض أصحاب التّرتيب بقضيّة فأجابه بكلام، وأراد الاستشهاد بآية من كتاب الله تعالى، فحرَّفها وقالها على غير ما أُنزِلت؛ ووقع الجواب للموفّق، فأخذ فى كمّه مصحفًا، ودخل إلى الخليفة، ومعه جواب ابن الأنصارى، وقال: يا مولانا، هذا كتاب الله تعالى قد حضر إلى مقامك، وهو المنزل على جدّك رسول الله ﷺ، يشكو إليك جناية ابن الأنصارىّ عليه، فخُذْ بحقّه لهذه الجنايات، والحمد لله إذْ وقع هذا الكتاب إلى المملوك دون غيره، فإن المملوك لم يزل يتتبع هذه الأمور لئلا يقع عليها أعداء الدّولة؛ فيُشيعوا ذلك فى الدُّوَل المخالفة لها. فقال له الحافظ: «أنا أعلم منك هذا وأعلم من المذكورين ما ذكرت؛ وقد كنتُ سألتك فيهما مرّة، وهذه الثّانية، فإنَّ لهما علينا خدمة». فقال: العفو يا مولانا.

---

(١) يوسف بن محمد بن الحسين، أبو الحجاج، موفق الدين، ابن الخلال: صاحب ديوان الإنشاء بمصر، فى دولة الحافظ العبيدى، وأحد كبار الكتاب المترسلين، وله شعر حسن رقيق. اشتغل عليه القاضى الفاضل فى الإنشاء. انظر: نكت الهميان ٣١٤، وابن خلكان ٢/٤٠٧، ومرآة الجنان ٣/٣٧٩، والأعلام ٨/٢٤٧.

Marfat.com

وانصرف ولم ينل منهما غرضًا. فأمر الحافظ ابن الأنصارى الأكبر أَنْ يَمْضِىَ إِلى الأجلّ الموفّق ويخدمه فى داره.

وكان يومئذ ديوان المكاتبات مقسُومًا بين أَبى المكارم بن أسامة وبين الموفّق، إلاّ أَنَّ ابن أُسامة لا يلتفت لأمر الدِّيوان لكثرة شغله بدُنْياه، فاسْتَنَابَ ابنه أَبا المنصور عنه، وكان يلحق بأَبيه فى الاشتغال بأمر دنياه عن النِّيابة، فصار اعتماد الخليفة فى الديوان بأَجمعه على الأجلِّ الموفّق؛ وكان ينفذه ولا يشُقُّ ابن أُسامة لما أَسلفه من الخدم السابقة. ثم لمّا مات أَبو المكارم أُسامة، وكان فى الظّنِّ أَنَّ ابنه أَبا المنصور يُستخْدَم مكانه، سبق ابن الأنصارى، وسأَل الحافظ، فاستخدمه فى النِّصف من ديوان المكاتبات فقط شريكا للموفّق فيه؛ وانفرد الموفّق بالإنشاء. ونُعت ابن الأنصارى بالقاضى الأجلِّ سناء الملك، وأَمره الحافظ بخدمة الموفّق وأَنْ يَقْنَع معه بمجرَّد الرُّتبة. فشَقَّ ذلك على الموفّق وصبر على ضرٍّ. وقُرَّ أَبو المنصور بن أُسامة فى ديوان الترتيب مكان ابن الأنصارىِّ.

وتجنّد ابن الأنصارى الأصغر وتأَمّر فى يوم واحد، وخُلِع عليه بالطوق، ورُتِّب فى زمِّ الإمريَّة، وهى إمرة طوائف الأجناد؛ فكثر الأعداء وتعدَّدَت الحُسَّاد؛ واشتغل الناس بهما، وأطلقوا الألسنة بذمهما، فكان يقال: «هذا الأمير الطارى، ابن الأنصارى». ولجَّ الناس بالكلام فيهم، وهم عاجزون عنهم، حتى مات الحافظ فكان من أَمرهما مع ابنه الظّافر ما تقدم ذكره.

وفى يوم الثلاثاء رابع شعبان: اجتمع كثير من السودان وعدَّة من المفسرين ببعض القُرى، فخرج إِليهم الوزير ابن مصال فنازلهم حتى كسرهم.

وكان الأَمير المظفر سيف الدين معد الملك ليث الدولة على بن إسحاق بن السُّلار واليا على البحيرة والإسكندريَة وكان ابن زوجه ركن الإسلام عباس وَالى الغربية. فلم يَرْض ابن السُّلار بوزارة ابن مصال، وخرج من الإسكندرية إِلى ربيبه، بالغربية واتّفقا على القيام وإِزالة ابن مصال، فبلغه ذلك، فأَعلم به الخليفة الظّافر؛ فجمع الأمراء فى مجلس الوزارة، وبعث إِليهم زمام القصور يقول: «هذا نجم الدِّين وزيرى ونائبى فمَنْ كان يطيعنى فَلْيُطِعه ويمتثل أَمره». فقال الأمراء: «نحن مماليك مولانا، سامعون مطيعون». فرجع الزَّمام بهذا الجواب. فقال أَمير من الأمراء، شيخ يقال له درى الحرون، وهو أَحد أَشرار القوم ومن رِفْقَة ابن السُّلار: «إِن سُمِعَ منّى ما أَقول قلت. فقال له الوزير: «قل». قال: «مولانا، صلوات الله عليه، يعلم وأَنت تعلم أَنَّ ما فى الجماعة من يضرب فى وجه ابن السُّلار بسيف، وأَوَّلُهم أَنا؛ فإِن كان مولانا يقتل جميع أمرائه وأَجناده فالأمر لله وله». فلمَّا سمع الجماعة ذلك قاموا وخرجوا من القصر، وشدُّوا على خيولهم، وساروا يريدون ابن السُّلار.

فلمَّا غُلِبَ الظّافر عن دَفْعِه أَعطى ابن مصال مالاً كثيرا، وأَمره أَن يعمل لنفسه ما

يرى فيه الخيرة، وهو يساعده. وسار ابن السُّلار فرأى ابـن مصـال أنـه لا طاقـة لـه بـه، فخرج إلى جهة الصَّعيد، وعدَّى إلى الجيزة ليلة الثلاثاء رابع عشر شـعبان، عندمـا سـمع بوصول المظفر. وقَدِم ابن السُّلار إلى القـاهرة فـى يـوم الأربعـاء خـامس عشـر شـعبان، فوقف على القصر وسير إلى الظافر وإلى مَنْ يدبِّره من النسـاء يُعْلـم بحالـه. فجـرت بينـه وبين أهل القصر مراجعات كثيرة آخرها أنه فتح لـه أبـواب القصـر، وخلـع عليـه خلـع الوزارة؛ ونُعِت بالسيِّد الأجل أمـير الجيـوش، شـرف الإسـلام، كـافل قضـاة المسـلمين، وهادى دعاة المؤمنين. وبقى يحقد على الظّافر مَيْلَهُ مع ابـن مصـال؛ وفـى نفـس الخليفـة نفور منه أيضا. وسكن دار الوزارة.

وجمع ابن مصال كثيرًا من السُّودان ومن العربان ولَوَاتَة وغيرهم، وانضمَّ إليه بدر بـن رافع، مقدِّم العربان، وسار بهم، فندَبَ ابنُ السُّلار رَبِيبَه المظفّر أبا منصـور ركـن الدِّيـن عبَّاس بن أبى الفتوح بن يحيى بن تميم بن المعزّ بن باديس فى عسكر، فنزل بركة الحبش. وقدم ابن مصال أمامه الأمير الماجد فى عسكر، فطرَقَ عبَّاسًا على حين غفلة وقتـل مـن عسكره كثيرًا، وانهزم جماعة؛ وثبت عبَّاس حتى أتته النجدة من الغد فكَرَّ على أصحاب ابن مصال وقاتلهم، فلم يُفْلِت منهم إلا من سبحت بـه فرسـه فـى النِّيـل؛ وأُخِـذ الأمـير الماجد نسيب ابن مصال وضربت عنقه. فسار ابن مصال إلى بلاد الصَّعيد بجميع الأجناد والعُربان.

وشرع ابن السُّلار يجهِّز عبَّاسًا فجهَّزه فى جيشٍ كثيف، وبـادر بـالخروج خوفًـا مـن الاجتماع على ابن مصـال؛ فسـار إلى دلاص (١) ومعـه طلائـع بـن رُزِّيـك، وهـو أحـد المقدّمين، فبرز إليه ابنُ مصال وواقَعَهُ عدَّة وجوه؛ فانجلت الوقـائع عـن قتـل ابـن مصـال وبدر بن رافع مقدّم العربان فى يوم الأحد التاسع عشـر مـن شـوَّال. ويقـال إنـه بلغـت عدَّة القتلى سبعة عشر ألفا. فعادَ عبَّاس وقد قَـوىَ ومعـه رأس ابـن مصـال إلى القـاهرة، فطيف بها على قناة القاهرة ومصر يوم الخميس ثالث عشرى ذى القعدة، وحُمِـل أهلُـه وولدُه إلى القصر، وأُخْلِيت لهم قاعة؛ وخُلِع على ابن السُّلار.

---

(١) دلاص: فى البلاد المصرية فى الضفة الشرقية من النيل، تصنـع بهـا الجـمُّ الدلاصيـة، وهـى مدينـة صغيرة عامرة جليلة، وصناعة الحديد فيها قائمة، وهى قديمة أزليـة، عجيبـة البنـاء، فيهـا غرائـب، وهى كانت مجتمع سحرة مصر، وكانت فى أيام القبط كبيرة إلا أن الآن تسلط عليها البرابر من لواتة وشرار العرب، فأفنوا عمارات أطراف هذه البلاد، وأفسدوها، فقلَّ ساكنوها لذلك. انظـر: الروض المعطار ٢٣٦، وذكر فى هوامش الروض أن ياقوت قال: إنهـا بصعيـد مصـر مـن كـورة البهنسا، على غربى النيل. انظـر: معجـم البلـدان (دلاص)، والاسـتبصار ٨٤، والإدريسـى ٥١، وصبح الأعشى ٣/٣٧٦.

Marfat.com

وكان ابن مصال من أَهل برقة وخدم أَوَّلا فى البَيْدرة [١] والصيد [٢] هو وأَبوه، فتقدَّم فى الخدم حتى نال الوزارة. واتفق أَنه مرَّ فى وزارته مرَّةً فقالت له امرأَة كانت تعرفُه فى حال فقره: «سليم وزرت؟». فقال لها: «نعم». قالت: «والله ما وزرت وبقى أَحد». فضحك وأَمر لها بِصِلَة.

وكان العادل ابن السُّلار منذ استقرَّ فى الوزارة أَخذ ينظر فى أَمر الأَجناد المعروفين بالنهضة والعزم وزاد فى أَرزاقهم، وتفقد خزائن السلاح، وحفظ النَّواميس، وشدَّ من مذهب أَهل السُّنة، فقَدِمَ عليه الحافظ أَبو طاهر أَحمد بن محمد السَّلفى، فأَكرمه وبنى له مدرسة بالإِسكندرية.

وقدم عليه مؤيدَّ الدولة أُسامة بن مُرشد بن على بن منقذ، فأَكرمه. إلا أنه كان يستوحشُ من الظَّافر وخائفًا على نفسه، فأَخبِر بأَن ينتِدب رجالا يمشون فى ركابه بالزَّرد والخُوذ نحو الستمائة ويَجعلهم نوبتين بزمامين فى كلِّ يوم نوبة؛ وأُوهِمَ أَن الخليفة خبأَ له قومًا يغتالونه بالقصر. فنقل جلوس الخليفة من القاعة التى يُدْخل إِليها من الدَّهاليز المظلمة إلى الإِيوان فى البراح والسِّعة. فكان إِذا دخل إِلى الخليفة يدخل ومعه أُولئك الذين انتدبهم كلَّهم، فيجلس الخليفة فى الشباك بالإِيوان، ويجلس هو من خارجه ومع هذا يبالغ فى الخدمة، ويُظهِر الطَّاعة، ولا يخِلُّ بها فى قولٍ ولا فِعْل.

وكان للخليفة غلمان نحو الخمسمائة رجل يقال لهم صبيان الخاصِّ وفيهم مَنْ هو أَمير؛ فبلغ ابن السُّلار أَنَّهم قد تحالفوا وتعاقدوا على أَن يهجموا عليه، وهو فى داره ليْلاً ويقتلوه.

فلمَّا كان فى سادس عشرى رمضان: أَغلق القاهرة والقصور، وأَحاط بصبيان الخاصِّ وقتلهم؛ وفرَّ منهم عدَّة، فكتب إِلى الوُلاة بقتل من ظُفِر به منهم. وأَخذ يتبعهم حتى أَتى على أَكثرهم.

وأَصل هذه الطائفة التى كانت تعرف بصبيان الخاصِّ أَنَّ مَنْ مات مِنَ الأَمراء والأَجناد وعبيد الدولة وله ولد، فإِنه يحمل إِلى حضرة الخليفة، ويودع فى أَماكن مخصوصة، ويؤخذ فى تعليمه أَنواعَ الفروسيَّة من الرَّمى وغيره؛ ويقال لهم صبيان الخاصّ.

---

(١) بَيْدَرَةُ: بالراء، والهاء: من قرى بخارى. انظر: معجم البلدان ١/٥٢٤.

(٢)صَيْدُ: بالفتح ثمّ السكون، ودال مهملة: جبل عظيم عالٍ جدًّا فى أَرض اليمن من مخلاف جعفر من حقل ذمار فى رأسه قلعة يقال لها سُمارة. انظر: معجم البلدان ٣/٤٣٧، ٤٣٨.

وأخذ ابن السَّلار فى الاحتفال بأَمْرِ عَسْقلان وسدِّ خَللها، وحمل إليها من الغلال والأسلحة شيئا كثيرا.

وولىّ عَضُد الخلافة ناصر الدِّين نصْر بن عبَّاس ربيبه مصر بشفاعة جدَّته أم عبَّاس، وكان فيه جرأَة، فاستَدْنَاه الخليفة الظَّافر وقرَّبه واختصَّ به.

وفيها قُتِل الموفَّق أَبو الكرم محمد بن معصوم التنِّيسى فى يوم الجمعة الرابع من شوال وكان يتولَّى نظر الدِّيوان. وذلك أَنَّ ابن السُّلار لَمَّا كان فى بداية أَمره من جملة الصِّبيان الحجريَّة دخل يومًا على الموفَّق بن معصوم برسالة، وأَعادها عليه مرارًا وأَغْلَظ له فى القول، فنفرت منه نفس ابن معصوم. فكُتِب له مرَّة منشورٌ بإِقطاعٍ وجاء به إِلى ابن معصُوم ليثبته. فلمَّا رآه تغافل عنه، وأَهمل أَمره إِهانةً له، وكراهة فيه؛ فقال له ابن السُّلار وقد تكرَّر سؤالُه، وهو يعرض عنه: ما تسمع؟ فقال له الموفَّق: كلامك ما يدْخُل فى أُذنى أَصلاً. فولَّى ابن السُّلار وخرج من غير أَن يكتب له. وصرف الدَّهر ضرباته، وصار ابنُ السُّلار وزيرًا وابن معصوم ناظر الدَّواوين؛ فلمَّا دخل عليه قال له: «يا قاضى، ما أَظنُّ كلامى يدخل أُذُنَك»، فتلجلج وقال: «عفو السلطان». فقال: «قد استعملتُ العفو بخروجى من عندك». وأَشار لبعض خدمه، فأَحضر مسمارا حديدا عظيم الخلقة، وقال: «والله هذا أَعددته لك من ذلك الوقت». وأَمر به فجر وضُرب المسمار فى أُذُنِه حتى نفذ من الأُخرى، وحمل إلى باب زويلة الأَوسط، ودق المسمار فى خشبة وعلق عليها ميتا، ثم أُنْزِل بعد أَيَّام.

وفيها رُمِى برأْس سعيد السعداء الخادم من القصر فى سابع عشر شعبان، ثمّ أُخرج وصلب بباب زويلة من ناحية الخرق [1]. وهو هذا الذى تُنْسب إِليه دُوَيرة سعيد السعداء التى هى اليوم خانقاه برحبة باب العيد.

وفيها قتل تاج الرئاسة ابن المأمون البطائحى فى رابع عشر صفر.

وفيها مات أَبو الحسن على بن الحسن البيسانى، والد القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على، وكان قاضى بيسان، والنَّاظر فيها؛ ومولده فى ثانى عشر جمادى الآخرة سنة إِحدى وخمسمائة، ومولد أَبيه الحسن يوم عيد الغدير من ذى الحجَّة سنة ستين وأَربعمائة.

سنة خمس وأربعين وخمسمائة

فيها أَغار جمع كثير من الفرنج على الفرما ونهبوها، وحرقوها وأَخربوها، فى رجب.

---

(١) الخرق يقع هذا الباب على رأس شارع من جهة الغرب. انظر: الخطط التوفيقية ٣/٥١-٥٢.

Marfat.com

سنة ست وأربعين وخمسمائة

فيها جهَّز أَبو منصور علىٌّ بن إِسحاق، المعروف بالعادل بن السُّلار، المراكب الحربية بالرِّجال والعُدَد، وسيَّرها فى ربيع الأول إِلى يافا، فأَسرت عدَّةً من مراكب الفرنج، وأَحرقوا ما عجزوا عن أَخذه، وقتلوا خلقاً كثيرا من الفرنج بها. ثم توجَّهوا إِلى ثغر عكّا فأَنكَوْا فيهم؛ وساروا منه إِلى صَيْدا وبيروت وطرابلس فأَبْلَوا بلاءً حسنا، وظفروا بجماعة من حجَّاج الفرنج فقتلوهم عن آخرهم.

وبلغ ذلكَ الملَك العادل نور الدِّين محمود بن زنكى، ملك الشام، فعزم على قصد الفرنج ومحاربتهم فى البر، ولو قُدِّر ذلك لقطع الله دابر الفرنج، لكنّه اشتغل بإصلاح أُمور دمشق.

وعاد الأُسطول مظفرا بعدما أَنفق عليه العادل ثلاثمائة أَلف دينار. وسبب مسير الأُسطول تخريب الفرنج للفرما.

وفيها قطع العادل بن السُّلار جميع الكسوات المقررة للنَّاس فى الدولة فعمَّ ذلك الأُمراء والدَّواوين وغيرهم.

سنة سبع وأربعين وخمسمائة

فيها صَرَف ابن السَّلار أَبا الفضائل يونس عن القضاء، وكان من الأَعيان النَّزِهِينَ الأَنفُسَ، الكبيرين الهمم، العظيمين القدرَ، لم يشرب قطُّ ماء النِّيل بل ماء الآبار، ولم يأْكل خبز السُّلطان. وقرَّر عبد المحسن بن محمَّد بن مكرم من بعده؛ ثمَّ صرفه وولّى بعده بدر بن ثمال بن نصير، وقيل بل الذى تولّى بعده أَبو المعالى محمَّد بن جُميع بن نجا الدسوقى الشافعى.

سنة ثمان وأربعين وخمسمائة

فيها خرج العسكر من القاهرة لحفظ ثغر عسقلان من الفرنج، وكانوا قد نزلوا عليها فى السنة الخالية.

وكانت العادة أَن يخرج فى كل ستّة أَشهر عسكر بدلاً من العسكر الّذى بالثغر. فلمَّا قدم البدل كانت النّوبة لركن الدِّين المظفّر أَبى منصور عبَّاس بن تميم ربيب العادل، فخرج ومعه من الأُمراء ابنه نصر بن عبَّاس والأَمير ملهم والضُّرغام وأُسامة بن منقذ وغيره، وكان لأُسامة بعبَّاس اختصاص كبيرٌ. فلمَّا نزلوا بعد رحيلهم من القاهرة على بلبيس تذكّر عبَّاس مصر وطِيبَها وما هم خارجون إِليه من مقاساة السَّفر ولقاء العدوِّ، فتأَوَّه عبَّاس أَسفًا على مفارقته لذّاتِه بمصر، وأَخذ يلوم العادل ويُثَرِّب عليه من أجل

Marfat.com

كونه أخرجه. فقال له أُسامة: «لو أَرْدت كنت أنت سلطان مصر». فقال: «وكيف لى بذلك؟». فقال: «هذا ولدك ناصر الدِّين بينه وبين الخليفة مودَّة عظيمة، فخاطبه على لسانه أن تكون سلطان مصر موضعَ عمّك، فإنه يحبك ويكره عمَّك؛ فإذا أجابك فاقتل عمَّك». فوقع هذا الكلام من عباس بموقعٍ وقَبِله، فاستدعى ابنه وأسرَّ إليه بما تقرَّر وبينه وبين أُسامة، وسيَّره سرًّا إلى القاهرة.

وكان العادل قد كره تخصيص نصر بن عبَّاس بالخليفة الظافر، وقال لعبَّاس وأُمِّه: والله ما ينبغى اجتماع نصر بالخليفة؛ قُولاَ له يقصر من اجتماعه فربَّما نتج من شابَّيْن ما لا ينبغى. وقال لأم عبَّاس: «لا يدخل ابنك دارى إلا بإذنى». فكأنَّه يوحى بأنه قاتلُه.

فلمَّا سار نصر من عند أبيه ودخل إلى القاهرة كان وقت غفلة من العادل أمكنته فيها الفرصة، فاجتمع بالظّافر، وأعلمه بالحال الّتى قدم من أَجْلها، فأعجبه ذلك وأذِنَ فيه، لما كان فى نفسه من قتل ابن السُّلار لصبيان الخاصِّ وغير ذلك. ففارق نصر الخليفة، وقد قوى عزمه، وأُتى إلى دار جدَّته السيدة بلارة بنت القاسم زوجة العادل، وأخبر العادل بأنَّ أباه سمح له بالعوْدِ إلى القاهرة شفقةً عليه وخوفًا من وعثاء السَّفر، فقبل ذلك ومشى عليه.

فَلمَّا أصبح العادل يوم الخميس سادس المحرَّم، مضى من أوَّل النّهار إلى مصر لتجهيز المراكب الحربيَّة والنّفقة فى رجالها وعرضها؛ فَظلَّ نهاره فى تهيئة ذلك ليلحق عبَّاسًا، وعاد فى أثناء النهار إلى داره بالقاهرة، وقد لحقتهُ مشقّة وتعب تعبًا كثيرا. فلما استلقى على الفراش لينام، وكانت امرأته جدَّة نصر قد توجَّهت إلى الحمام، وخَلاَ له البيت؛ فجاء إلى باب السِّرِّ ودخل منه ومعه سيف، فإذا العادل قد نام وقت القائلة، فاخترط سيفه، وضربه وهو خائف، فوقعت الضَّربةُ على رجله، فثار من فراشه وأبصره، فقال: «إلى أين يا كُليب!». وخرج نصر يعْدُو، وكان قد أعسَّته جماعة من أصحابه، فلمَّا صار إليهم وأعلمهم بما وقع قالوا له: «قد قتلت نفسك وقتلتنا!». ودخلوا، وهو معهم، فإذا به قد جاء أُستاذ من خدامه، وهو يحدِّثه فقتلوه وأخذوا رأسه، فطلع بها نصر إلى الظّافر. وماج الناس فى القاهرة.

وسرح الطائر للوقت بطلب عبَّاس من بلبيس، فقام من فوره، وصار إلى القاهرة، فدخلها بكرة يوم الجمعة سادس المحرَّم، ثانى يوم قتلة العادل؛ فوجد جماعة من الأتراك كان العادل اصطفاهم واختصَّهم قد نفروا، وتوحشت قلوبهم ممَّا وقع؛ فأخذ يسكِّن أمرهم، فلم يثقوا به ولا اطمأنوا إليه. وخرجوا يدًا واحدة فساروا إلى دمشق.

Marfat.com

وكانت قتلة العادل فى يوم الخميس، وقت الظهر، السادس من المحرم، وله فى الوزارة ثلاث سنين وستة أشهر.

ولما حُمِلت رأسُه إلى الظّافر أشرف من باب الذهب، ونُصبت الرأس ليراها النّاس، ثم حُملت إلى خزانة الرءوس من بيت المال، وجُعلت فيها من الرءوس، وما تحرَّك لها ساكن، ولا تكلّم أحد، إلا أنَّ نائحة كانت تُسمَّى خسروان كانت قد مهرت فى صناعة النِّياحة على الأموات، وصارت تنشئ فى نُواحها الرَّوائع، فقالت فيه ترثيه سطرين أُعجب بهما أدباء العصْر من جملة قطعة:

ما تقبل الغفلة يا شهيد الدَّار يا شبيه ذى النُّورين صاحب المختار

وبطل مسير العساكر إلى عسقلان. فسرَّ الفرنج ما جرى، وكانوا محاصرين لعسقلان، فقالوا لأهلها: «قتله ابنه وأنتم تقاتلون لِمَنْ؟». فلمَّا صحَّ الخبر لهم وَهَنُوا لانقطاع المدد عنهم حتّى أخذها الفرنج وتقوَّوْا بأخذها. واستعرضوا كلَّ جارية ومملوك بدمشق من النّصَارى، وأطلقوا قهرًا من أراد منهم الخروج من دمشق إلى وطنه شاء صاحبه أو أبى.

ولّما وصل عبَّاس خلع عليه الظّافر خلَع الوزارة فى يوم الجمعة المذكور، ونُعت بالأفضل ركن الإسلام، فباشر وضَبَطَ الأمور، وأكرم الأُمراء وأحسن إلى الأجناد لينْسِيَهم العادل.

واستمر ولدُه نصْر على ملازمة الخليفة، فاشتغل به عن كلِّ أحد، وأبوه لا يعجبه ذلك. وواصل الخليفةُ الظّافر نصرَ بن عبّاس بن تميم بالعطاء الجزيل، فأرسل إليه فى يوم عشرين صينية فضة فيها عشرون ألف دينار؛ ثم أغفله أيّامًا، وحمل إليه كسوة من كلِّ نوع؛ وأغفله أيّامًا وبعث خمسين صينيَّة فضة فيها خمسون ألف دينار؛ وأغفله أياما وبعث إليه ثلاثين بغل رحل وأربعين جملا بعددها وغرائرها وحبالها. وكان يتردد بينهما مرتفع بن فحل فى قتل نصر لابنه عباس كما قتل زوج جدته العادل بن السُّلار، فبلغ ذلك أباه على لسَان أُسامة بن منقذ فلاطفه واستماله. وزاد الأمر حتى كان الخليفة يخرج من قصره إلى دار نصر بن عبَّاس، التى هى اليوم المدرسة المعروفة بالسّيوفيَّة. فخاف عبَّاس من جرأة ابنه، وخشى أن يحمل الخليفة على قتله فيقتله كما قتل ابن السُّلار، فعتبه سرًّا ونهاه عن ملازمة الخليفة وابنه، فلم يفد فيه القول.

وفيها وصلت مراكب من صقلية، فملكوا مدينة تنّيس.

وفيها مات رُجَار بن رُجَار صاحب جزيرة صقلية، وقام من بعده ابنه وليام بن

Marfat.com

رجار بن رجار، فاستردَّ المسلمون سواحل إفريقية والمهديَّة.

سنة تسع وأربعين وخمسمائة

فيها استدعى الظّافر ناصر الدَّولة نصر بن عبَّاس، وأَخرج له صينيَّة من ذهب فيها ألف حبَّة ما بين لؤلؤ وياقوت أَحمر وأَصفر وزمرُّد أَخضر ذبابى، وأَمر له من بيت المال بعشرة آلاف دينار مصرية، فقتله بعد هذه الهديَّة بستة أَيام؛ وذلك أَنه خرج الخليفة الظّافر متنكرًا من قصره فى ليلة الخميس سلخ المحرَّم ومعه خادمان، وسار على عادته إلى دار نصر بن عباس، فقتله نصر، وحفر له تحت لوح رخام ودفنه؛ وقتل سعد الدَّولة، أَحد الخادمين اللذين خرجا معه من القصر، وفرَّ الآخر؛ وكان سبب قتله أَن الأمراء استوحشوا من أسامة بن منقذ عندما علموا أَنه هو الّذى حسَّنَ لعبَّاسٍ قَتْل ابن السُّلار وتحدَّثوا بقَتْله، وقيل للظّافر عنه إنّه غريبٌ ومِنْ دَولة أخرى وإنَّ فى تركه وقوعَ ما لا يمكن تدارُكه. فلمَّا بلغ أسامة ذلك أَخذ يُغْرى عبَّاسًا بابنه نصر، ويبالغ فى القصَّة حتى قال له يوما: «كيف تصبر على ما يقولُ النّاس فى حقِّ ولدك، واتهامهم الخليفة أَنّه يفعل به مَا يفعل بالنِّساء. فشقَّ على عبَّاس وَلاَمَ ابنه، فلم يُصغ إلى لومه. فلمَّا أَنعم الظّافر على نصر بناحية قليوب، وحضر إلى أَبيه ليُعْلِمَه بذلك، قال أُسامة، وكان حاضرًا: ما هى بمَهْرِك غالية، فامتعضَّ لذلك عبَّاس وقال لأُسامة: كيف الحيلة فى الخلاص مما بلينا به؟ فقال: هين، هذا الخليفة فى كل وقت يأتى إلى عند ولدك فى داره خفية، فمره إذا جاء أن يقتله. فاستدعى عباس ابنه وقال: يا بنى قد أكثرت من ملازمة الخليفة، وتحدث الناس فى حقك بما أوجع باطنى، وقد يصل من هذا إلى أعدائنا ما لا يزول. فاحتد نصر، وقال له: أيرضيك قتله؟ فقال: أزل التهمة عنك كيف شئت، فأخذ نصر يعمل الحيلة فى قتل الظافر وسأله أن يخرج إلى داره ليلاً فى سر من الخدم ليتفسَّحا فى منزله ليلة واحدة؛ وكان منزله دار المأمون البطائحى[1]. فخرج إليه فى عدة يسيرة من الخدم؛ فلما تحصل عنده اغتاله، وقتل الخدم الذين معه بالجماعة الذين قتل بهم العادل ابن السلار، ورمى بهم فى جب عنده، وغطّى رأس الجب بقطعة رخام بيضاء فصارت من جملة رخام المجلس، فخفى أمره. ثم مضى نصر إلى أبيه، وعرَّفه قتل الظافر.

وكان الظافر من أحسن الناس صورة، وقتل، وله من العمر إحدى وعشرون سنة وتسعة أشهر وخمسة عشر يومًا، منها مدة خلافته أربع سنين وسبعة أشهر وأربعة عشر يوما. وكان محكوما عليه من الوزراء.

وفى أيامه: أخذ الفرنج عسقلان واستولوا عليها، وظهر الوهن والخلل فى الدولة،

---

(١) المأمون البطائحى: هو محمد بن فاتك.

فإنه كان كثير اللهو واللعب مع جواريه، مقبلاً على سماع المغنى. وهو الذى أنشأ الجامع المعروف الآن بجامع الفكاهين فى خط الشوايين من القاهرة.

وفيها ملك نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى بن آق سنقر دمشق من مجير الدين أبق بن محمد بن بورى بن طغتكين، فسار أبق إلى بغداد، وبها مات.

وكان عند الإمام الظافر فى قصر الروض ببُغاء بيضاء تقرأ المعوذتين، وتستدعى كثيرًا من الأستاذين بأسمائهم ونعوتهم.

* * *

Marfat.com

الفَائِزُ بِنَصْرِ الله أَبُو القَاسِم عيسَى بْن الظَّافِر بامْرِ الله

أبى المنصُور إسَماعيل بْن الحافِظ لدين الله أبى الميمُون عَبد المجيد

يقال فى اسم أمه ست الكمال، ويقال إحسان. ولد يوم الجمعة حادى عشر المحرَّم، وقيل لتسع بقين من المحرَّم، سنة أربع وأربعين وخمسمائة؛ وبويع له عند قتل أبيه يوم الخميس سلخ المحرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة، وعمره يومئذ خمس سنين وعشرون يوما.

وكان من خبره أنه لما قتل نصر بن عباس الخليفة الظافر فى ليلة الخميس أصبح الوزير عباس متوجهًا إلى القصر فى يوم الخميس على العادة، فلما صار إلى مقطع الوزارة، وطال جلوسه، والخليفة لم يجلس، استدعى زمام القصر مفلحًا، وقال له: إن كان لمولانا ما يشغله عنا فى هذا اليوم عدنا إليه فى الغد. فمضى الزمام وهو حائر لا يدرى ما يعمل، وأعلم أخوى الظافر، يوسف وجبريل، وكانا رجلين، وأحدهما مكتهل، فأخبرهما بالقصة، ولم يكن عندهما من خروج أخيهما إلى دار نصر بن عباس خبر ولا علما إلا فى تلك الساعة، فلم يشكا حينئذ أنه قتل، وقالا للزمام: هبك اعتذرت اليوم هل يتم لك هذا مع الزمان؟ فقال: فما تأمرانى؟ فقالا: اصدقه وحاققه. فعاد إليه وقال: ثَمَّ سر ألقيه إليك بحضور الأمراء الأُستاذين. فقال: مَا ثم إلا الجهر. فقال: إن الخليفة خرج البارحة لزيارة ولدٍ لك، فلم يعد بغير العادة. فقال: تكذب يا عبد السوء، وإنما أنت مبايع أخويه يوسف وجبريل اللذين حَسَدَاه على الخلافة واغتالاه فاتفقتم على هذا القول. فقال: معاذ الله. قال: فأين هما؟ فخرجا إليه ومعهما ابن عم لهما يقال له أبو التقى صالح بن حسن بن عبد المجيد بن محمد بن المستنصر، فقال: حضرا، فقال لهما: أين الخليفة؟ فقال الثلاثة: هو بحيث يعلم ابنك ناصر الدين، قال: لا، وإنما أنتما قتلتماه حسدًا له. قالا: هذا بهتان منك؛ لأن بيعة أخينا فى أعناقنا، وهؤلاء الأمراء الحاضرون يعلمون ذلك، وإننا لفى طاعته بوصية أبينا، فكذبهما، وأمر غلمانه يقتلونهم، الثلاثة.

وكان فى القصر ألف سيف مجردة، فشوهد أمر قبيح لم ير أشنع منه لما جرى فيه من البغى الذى ينكره الله تعالى وجميع الخلق.

وقال لزمام القصر: أين ابن مولانا؟ فقال: حاضر. قال: فدلنى إلى مكانه. فدخل بنفسه إليه، وكان عند جدته لأمه، فحمله على كتفه، وأخرجه للناس قبل أن يرفع

Marfat.com

القتلى، وبويع بالخلافة، ولقب بالفائز بنصر الله؛ وعمره يومئذ خمس سنين وعشرون يومًا؛ وصار يشاهد القتلى فحصل له فَزَع واضطراب، وما زال مدة خلافته لم يطب له عيش؛ لأنه كان يصرع كل قليل.

ومن طريف ما وقع فى هذا اليوم أن الوزير عباسًا لما أراد الدخول إلى المجلس وجد بابه قد قفل من داخل، وكان متولى فتح المجلس وغلقه أستاذ شيخ يقال له أمين الملك، فاحتالوا فى الباب حتى فتحوه ودخلوا، فإذا أمين الملك خلف الباب وهو ميت وفى يده المفتاح.

وفى أثناء ذلك حضر الخادم الذى أفلت من نصر إلى القصر وحدثهم بكيفية قتلة الظافر، فكثرت النياحة عليه بالقصر. وظن عباس أن الأمر قد استقام له، فجاء خلاف ما أمل. وأخذ أهل القصور فى إعمال الحيلة عليه؛ وكان الأمراء والسودان قد نافروه واستوحشوا منه لما فعله بأولاد الحافظ، وأضمروا له العداوة والبغضاء، فاختلفت عليه الكلمة، وهاجت الفتنة، وصار العسكر أحزابًا ولبسوا السلاح؛ فخرج إليهم عباس فى يوم الاثنين العاشر من ربيع الأول، فكانت بينه وبينهم محاربة انكسروا فيها منه، وقتل منهم جماعة.

هذا وأهل القصر فى تدبير العمل عليه، فبعثت عمَّة الفائز إلى فارس المسلمين أبى الغارات طلائع بن رزيك، وكان واليًا على الأشمونين والبهنسا، بالكتب وفى طيِّها شعور النساء تستصرخ به على عباس؛ وكتب إليه أيضًا الجليس بن الحباب، فامتعض عند وقوفه على الكتب، ورؤية شعور النساء، وجمع العربان والأجناد مقطعى البلاد.

وبلغ ذلك عباسا، فخرج من القاهرة بالعساكر فى عاشر صفر، وجعل ابنه ناصر الدين بالقاهرة، وأنفذ إلى طلائع بحسين بن أبى الهيجاء، زوج ابنته، ليرده عما عزم عليه. فلما خلا به قال له: تقاتل عباسا وله خمسة آلاف مملوك، قال: أقاتله بنفسى ونفسك. قال: أما الآن، فنعم. ففت ذلك فى عضد عباس لشهرة حسين وشجاعته.

وعندما نزل عباس إلى إطفيح فى بكرة يوم الثلاثاء، خامس عشره، لحق أعراب إطفيح بابن رزيك، فوافوه على أبويط[1]، فسار بهم ونزل دهشور[2]، فاضطرب عباس ورجع إلى القاهرة، وتفرق عنه الناس إلى طلائع بن رزيك، وصار من أهل البلد فى

---

(١) أبويط: قرية قرب بردنيس فى شرقى النيل من أعمال الصعيد الأدنى من كور الأسيوطية. انظر: معجم البلدان ٨٢/١.

(٢) دهشور: قرية كبيرة من أعمال مصر فى غربى النيل من أعمال الجيزة. انظر: معجم البلدان ٤٩٢/٢.

Marfat.com

مناكدة. وغلقوا أبـواب القـاهرة ووقـع القتـال فـى الشـوارع، فاسـتظهر عليهـم عبـاس وفتحوا الأبواب وقد تحقق عداوة الأمراء والجند له.

واتفق أنه مر يومًا فرمى من طاق ببعض الشوارع بهـاون، ورمـى مـرة بقـدر مملـوءة طعامًا حارًّا؛ فقال: ما بقى بعد هذا شىء. وعزم على الفرار فلم يقدر، وغلقـت أبـواب القاهرة.

واشتغل الناس بهذا الحادث، وهو يدبر فى الخروج من القـاهرة، فأشـار عليـه بعـض خواصه بتحريق القاهرة فأبى، وقال: يكفى ما جرى. فلما عدى طلائـع بـن رزيـك إلى جمول عوَّل عباس وولده نصر على المسير من مصر بكـل مـا يملكانـه مـن مـال وسـلاح وما قدرا عليه من حواصل الدولة - وكان له مائتا حصان وحجـرة مجنوبـة علـى أيـدى الرجال، ومائتا بغل رحل، وأربعمائة جمل تحمل أثقاله - فى يوم الجمعة ثانى عشر ربيـع الأول بعدما حلف الأمراء ألا يخونوه. وأحضر مقدمى العرب من رزيق وجذام وسـنبس وطلحة وجعفر ولواتة، وحلفهم.

فلما كان يوم الجمعة: ركبوا عليه بكـرة وتبعهمـا أسـامة بـن منقـذ وجماعـة؛ وبلـغ ذلك طلائع، فسار ونزل قبالة المقس فى عشية نهاره، وخـرج النـاس إلى المقـابر. وبـات فى عشارى، وأصبح، فأقام إلى يوم الأربعـاء تاسـع عشـره، فركـب يريـد القصـر، وقـد خرج الأمراء إليه، منهم من قاتله ومنهم من انضم إليه؛ فلم يكن غير ساعة حتـى انجلـى الأمر عن فرار عباس وولده وابن منقذ؛ فنهب الناس دورهم.

ودخل طلائع إلى القاهرة وشقها بعساكره فى يوم الأربعاء تاسع عشـر ربيـع الأول، وهو لابس ثيابا سوداء، وأعلامه وبنوده كلها سود، وشـعور النسـاء التـى أرسـلت إليـه من القصر على رءوس الرماح. فكان هـذا مـن الفـأل العجيـب، فـإن الأعـلام العباسـية السود دخلت إلى القاهرة وأزالت الأعلام العلوية البيض بعد خمس عشرة سنة.

ونزل طلائع بدار المأمون التى كان يسكنها نصر بـن عبـاس، وأحضـر الخـادم الـذى كان مع الظافر لما قتل، فأعلمه بالحال، فمضى راجلاً من القصر إلى دار نصر بن عبـاس، واستخرج الظافر والأستاذ الذى كـان معـه، وغسـلهما وكفنهمـا؛ وحَمَـل الظـافر فـى تابوت مغشى الأستاذون والأمراء ومشى طلائع وهو حافٍ قـد شـقَّ ثيابـه ومعـه النـاس بأجمعهم حتى وصل إلى القصر، فصلى عليه الخليفة الفـائز، ودفـن فـى تربـة القصـر مـع آبائه.

وجلس الفائز بقية النهار وخلع على طلائع بن رزيك بالموشح والعقد الجوهر، وخلع

على ولديه، ونعت بالأجل الناصر، سند الإمام، زعيم الأنام، بحير الإسلام، خدن أمير المؤمنين. وخلع على أخيه ونعت بنعوت الصالح قبل الوزارة، وخلع على حواشيه. وأجرى فى الخلع بجرى الأفضل بالطيلسان المقور، وأنشئ له سجل عظيم نعت فيه بالملك الصالح، ولم يلقب أحد من الوزراء قبله بالملك، وذلك يوم الخميس الرابع من شهر ربيع الآخر.

وكتب فى سجله، على طرفه، بخط الفائز: «لوزيرنا السيد الأجل الملك الصالح، ناصر الأئمة، كاشف الغمة، أمير الجيوش، سيف الإسلام، غياث الأنام، كافل قضاة المسلمين، هادى دعاة المؤمنين، أبى الغارات طلائع بن رزيك الفائزى، عضد الله به الدين، وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين، وأدام قدرته، وأعلى أبدًا كلمته، من جلالة القدر، وعظيم الأمر، وفخامة الشأن، وعلو المكان، واستيجاب التفضيل، واستحقاق غايات المن الجزيل، ومزية الولاء الذى بعثه على بذل النفس فى نصرتنا، ودعاه دون الخلائق إلى القيام بحق مشايعتنا وطاعتنا، مما يبعثنا على التبرع له ببذل كل مصون، والابتداء من ذاتنا بالاقتراح له بكل شىء يسر النفوس ويقر العيون، والذى يعمله هذا السجل من تقريظه وأوصافه، فالذى تشتمل عليه ضمائرنا أضعاف أضعافه، ولذلك شرفناه بجميع التدبير والإنالة، ورفعناه إلى أعلى رتب الأصفياء بما جعلناه له من الكفالة. والله تعالى يعضد به دولتنا، ويحوط به حوزتنا، ويمده بمواد التوفيق والتأييد، ويجعل أيامه فى وزارتنا ممنوحة غاية الاستمرار والتأبيد إن شاء الله تعالى».

وكان سجلا فى غاية الطول والكبر، من إنشاء الأجل الموفق أبى الحجاج يوسف ابن على بن الخلال.

ونزل الملك الصالح بالخلع والأمراء وغيرهم من أهل الدولة مشاة فى ركابه إلى دار الوزارة، فجلس للهناء، وتقدم الشعراء فأنشدوا عدة مدائح ذكروا فيها هذه الحالة والواقعة وكانوا عدة، منهم عبد الرحيم بن على البيسانى، والقاضى الأجل الرشيد أحمد ابن الزبير، والقاضى الجليس عبد العزيز بن الحسنين بن الحباب، والقاضى السعيد جلال الملك الأشرف ضياء الدين أبو على الحسن بن محمد بن محمد بن إسماعيل بن كاسيبويه، وأبو محمد يحيى بن خير، الملقب ديك الكرم الشاعر، وغيرهم.

وأما عباس فإنه سار بمن معه يريد أيلة ليسير منها إلى بلاد الشام، فأرسلت أخت الظافر إلى الفرنج بعسقلان رسلاً على البريد تعلمهم الحال، وتبذل لهم الأموال فى الخروج إلى عباس، وأباحتهم جميع ما معه، وأن يبعثوا به إلى القاهرة، فأجابوا إلى ذلك، وخرجوا إليه. فلما أدركوه ثبت لهم ودافعهم عن نفسه، فخذله أصحابه، وفروا عنه مع أسامة بن منقذ إلى الشام، فقاتل الفرنج حتى قتل؛ وأسر ابنه نصر فعمل فى قفص

حديد، وحمل إلى القاهرة، فدخل به إلى القصر يوم الاثنين سابع عشرى ربيع الأول سنة خمسين وخمسمائة، وأخرج منه يوم الاثنين الثامن عشر من ربيع الآخر قتيلاً مقطوع اليد اليمنى، وصلب سحرًا على باب زويلة، فكان يومًا عظيما عند الناس واستولى الفرنج على جميع ما كان معهم.

ولما سير الفرنج بنصر بن عباس إلى القاهرة أنشد عندما عاين البلد:

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالى والجدود العواثر

وخرج الناس عند قدومه إلى القاهرة ليروه فبالغوا فى سبِّه ولعنه، وبصقوا عليه، حتى دخل القصر، وعرض فى القفص وقتل؛ قتله الجوارى نخسًا بالمسال وصفعًا بالنعال وقطعوا لحمه واشتووه وأطعموه إياه حتى مات، ثم أخرج وصلب على باب زويلة، وأحرق بعد ذلك.

وتتبع الصالح من كان مع نصر بن عباس فى قتل الظافر، فقتل قايماز وفتوح الأخرس وابن غالب صبرًا بين يديه فى جماعة معهم. وثبتت أموره فنعت نفسه بفارس المسلمين نصير الدين، الصالح، ومدحه الشعراء بذلك.

وشرع الصالح فى الميل على المستخدمين وأخذ أموالهم، وتتبع أرباب البيوتات والنعم والأعيان فسلبهم نعمهم. وقبض على عدة من الأمراء وقتلهم فى ثالث عشر ربيع الأول، وعلى عدة من أرباب العمائم، منهم أبو الحسن على بن سليم بن البواب ناظر الدواوين، وكان عارفًا بالحساب والمنطق والهندسة، مليح الشعر والترسل، جيد الكتابة.

وأخذ يعمل على الأمراء المتقدمين فى الدولة، مثل ناصر الدين ياقوت، صاحب الباب، وكان قد ناب عن الحافظ مرة فى مرضة مرضها مدة ثلاثة أشهر وكاد يوليه الوزارة، ومثل الأوحد بن تميم، والى دمياط وتنيس، فإنه كان قد تحرك لما سمع قضية عباس وسار يريد القاهرة، فسبقه طلائع بن رزيك بيوم، فصار يحقد عليه كونه هم بأمر ربما نال به الوزارة، غير أنه لم يسعه إلا إعادته إلى ولايته، وأضاف إليها الدقهلية والمرتاحية وهو يسُر له المكر.

وكان من أمراء الدولة تاج الملوك قايماز، وهو من أكابر الأمراء، ويليه ابن غالب، فحمل الأجناد عليهما حتى قتلا ونهبت دورهما.

ثم إنه قلق من قرب الأوحد منه وأراد إبعاده عنه، فنقله من ولاية دمياط وتنيس إلى ولاية أسيوط وإخميم، فخلت له القاهرة. وأظهر مذهب الإمامية وباع الولايات للأمراء

Marfat.com

وجعل لكل ولاية سعرًا ومدة ستة أشهر فقط، فتضرر الناس من كثرة ترداد الولاة عليهم.

وضيق مع ذلك على أهل القصر طمعا فى صغر سن الخليفة وجعل له مجلسًا يحضره أهل الأدب فى الليل وطارحهم فيه الشعر فهرع إليه الناس ودونوا ما ينظمه من الشعر، وكان ابن الزبير يعنه على إصلاحه وتنميقه.

فيها صرف الصالح عن قضاء القضاة أبا المعالى مجلى بن جميع، الفقيه الشافعى، وولى القاضى المفضل أبا القاسم هبة الله بن عبد الله بن كامل بن عبد الكريم فى أخريات شعبان.

فيها بلغ التليس ستة دنانير.

فيها مات القاضى المرتضى أبو عبد الله محمد بن الحسين الطرابلسى، المعروف بالمحنك، وكان قد ولى نظر الدواوين والخزائن، وله «تاريخ خلفاء مصر» قطع فيه على الحافظ.

ومات ركن الخلافة أبو الفضل جعفر فاتك بن مختار بن حسن بن تمام، أخو الوزير المأمون بن البطائحى، وصلى عليه الصالح.

وفيها كتب المقتفى لأمر الله العباسى عهدًا لنور الدين محمود بن زنكى، صاحب دمشق بولاية مصر والساحل، وبعث إليه بمراكب زحف وأمره بالمسير إليها لما بلغه قتل الظافر، وإقامة الفائز من بعده، وهو صغير، وقيل له قد اختلت أحوال الدولة بمصر.

سنة خمسين وخمسمائة

فيها مضى الأسطول إلى ميناء صور فملكها وأخربها وأحرقها، وعاد مظفرًا بعدة مراكب فيها حجاج من النصارى وغيرهم، وبعدة كبيرة من الأسرى وبغنائم جزيلة.

وفيها خرج على الصالح الأمير الأوحد بن تميم، والى إخميم وأسيوط، وجمع جمعًا موفورًا، فسير إليه الصالح عدة من العسكر، فكانت بينهما عدة وقائع أسفرت عن قتل الأوحد فى يوم الأربعاء سابع عشر رجب.

وفيها قدم الفقيه نجم الدين عمارة بن أبى الحسن على[1]، اليمانى الحكمى فى شهر

---

(١) عمارة بن على بن زيدان الحكمى المذحجى اليمنى أبو محمد، نجم الدين: مؤرخ ثقة وشاعر فقيه أديب، من أهل اليمن. ولد فى تهامة ورحل إلى زبيد سنة ٥٣١هـ، وقدم مصر برسالة من القاسم بن هشام (أمير مكة) إلى الفائز الفاطمى سنة ٥٥٠هـ فى وزارة طلائع بن رزيك. وله=

Marfat.com

ربيع الأول، برسالة قاسم بن فليتة أمير الحرمين، فأحضر فى قاعة الذهب من القصر يوم السلام، وقد جلس الخليفة الفائز وحضر الوزير الملك الصالح طلائع بن رزيك والأمراء، على العادة، فأدّى الرسالة وأنشد:

الحمد للعيس بعد العزم والهمم ... حمدًا يقوم بما أولت من النعم
لا أجحد الحق، عندى للركاب يد ... تمنت اللجم فيها رؤية الخطم
قرّبن بعد مزار العز من نظرى ... حتى رأيت إمام العصر من أمم
ورحن من كعبة البطحاء والحرم ... وفدًا إلى كعبة المعروف والنعم
فهل درى البيت أنى بعد فرقته ... ما سرت من حرم إلا إلى حرم
حيث الخلافة مضروب سرادقها ... بين النقيضين من عفو ومن نقم
وللإمامة أنوار مقدسة ... تجلو البغيضين من ظلم ومن ظلم
وللنبوة آيات تنص لنا ... على الخفِيَّيْن من حكم ومن حكم
وللمكارم أعلام تعلمنا ... مدح الجزيلين من بأس ومن كرم
وللعلا ألسن تثنى بحامدها ... على الحميدين من فعل ومن شيم
ورايـة الشرف البذاخ ترفعها ... يد الرفيعين من مجد ومن همم
أقسمت بالفائز المعصوم معتقدًا ... فوز النجاة وأجر البر فى القسم
لقد حمى الدين والدنيا وأهلهما ... وزيره الصالح الفراج للغمم
اللابس الفخر لم تنسج غلائله ... إلا يد الصنيعين السيف والقلم
وجوده أوجد الأيام ما اقترحت ... وجوده أعدم الشاكين للعدم
قد ملكته العوالى رق مملكة ... تعير أنف الثريا عزة الشمم
أرى مقامًا عظيم الشأن أوهمنى ... فى يقظتى أنها من جملة الحلم
يوم من العمر لم يخطر على أملى ... ولا ترقت إليه رغبة الهمم
ليت الكواكب تدنو لى فأنظمها ... عقود مدح فما أرضى لكم كلمى
ترى الوزارة فيه وهى باذلة ... عند الخلافة نصحًا غير متهم
عواطف علمتنا أن بينهما ... قرابة من جميل الرأى لا الرحم
خليفة ووزير مد عدلهما ... ظلا على مفرق الإسلام والأمم
زيادة النيل نقص عند فيضهما ... فما عسى يتعاطى منة الديم

فكان الصالح يستعيد أبياتها فى حال الإنشاد مرارًا، والأمراء والأستاذون يذهبون فى الاستحسان كل مذهب. ثم أفيضت عليه خلع الخليفة المذهبة، ومنح له الصالح

=(النكت العصرية، فى أخبار الوزارة المصرية -ط). انظر: صبح الأعشى ٣/٥٢٣، ووفيات الأعيان ١/٣٧٦ وآداب اللغة ٣/٧٤، والفهرس ٣٠٤، والأعلام ٥/٣٧.

Marfat.com

خمسمائة دينار، وأخرجت إليه السيدة الشريفة بنت الحافظ مع الأستاذين خمسمائة دينار أخرى؛ وحمل المال معه إلى منزله، وأطلقت له من دار الضيافة رسوم جليلة، وتهادته أمراء الدولة إلى منازلهم للولائم.

واستحضره الصالح للمجالسة، ونظمه فى سلك أهل المؤانسة، وانثالت عليه صلاته، وغمره ببره. وصار يحضر فى الليل عنده مع الشيخ الجليل أبى المعالى بن الحباب، والشيخ الموفق بن الخلال، وأبى الفتح محمود بن قادوس، والمهذب أبى محمد الحسن بن الزبير، وولد الصالح مجد الإسلام رزيك، وصهره، الأجل المظفر الأمين، سيف الدين حصن المسلمين، ذى الفضائل والمناقب، يمين أمير المؤمنين، أبى عبد الله الحسين بن الأمير فارس الدولة أبى الهيجاء الفائزى الصالحى، وأخيه فارس المسلمين بدر بن رزيك، وقريبه عز الدين حسام، وضرغام، وعلى بن الزبد، ويحيى بن الخياط، ورضوان بن جلب راغب، وعلى هوشات، ومحمد بن شمس الخلافة. وهؤلاء أهل مجلس الليل.

وأنشده يوما وهو فى القبو من دار الوزارة قصيدة منها:

دعوا كل برقٍ شمتم غير بارق يلوح على الفسطاط صادق نشره
وزوروا المقام الصالحى، فكل من على الأرض ينسى ذكره عند ذكره
ولا تجعلوا مقصودكم طلب الغنى فتجنوا على مجد المقام وفخره
ولكن سلوا منه العلا تظفروا بها فكل امرئ يرجى على قدر قدره

فرمى إليه الخريطة فوجد فيها خمسمائة دينار وخمسين رباعيا. ومدحه فى شعبان بقصيدة فدفع إليه الخريطة، فإذا فيها ثلاثة وسبعون دينارا.

ثم لما عزم على الرجوع ودع الخليفة والصالح بن رزيك بقصيدة، فأوسعاه إكرامًا وإنعامًا، ورسم أن يكون تسفيره خمسمائة دينار كما كانت وفادته، وبعثت إليه السيدة مثل ذلك، وخلع عليه للسفر، ودفع له الصالح مائة دينار. وكتب له إلى ناصر الدولة والى قوص بمائة إردب من القمح وحملها من مال الديوان إلى مكة. وكتب له كتاب إلى محمد بن عمران، صاحب عدن، ببراءته من ثلاثة آلاف دينار وإسقاطها عنه.

وسار فى شوال إلى مكة فتسلم القمح من قوص، وحمل معه إلى مكة من مال الديوان. ولما وقف صاحب عدن على الكتاب أبرأه من الثلاثة آلاف دينار وأسقطها عنه، فسير إلى الصالح بقصيدة من عدن يشكره على ذلك، فلما وقف عليها قال: قد فرطنا فيه حين تركناه يخرج من عندنا، ولقد كان إمساكه للخدمة والصحبة أولى.

Marfat.com

ثم عاد بعد ذلك بمدة، واستقر بعد ذلك من جملة خدام الدولة وخواصها.

فيها مات الفقيه أبو المعالى مجلى بن جميع بن نجا المخزومى القرشى الأرسوفى الشافعى، صاحب كتاب «الذخيرة فى الفقه».

سنة إحدى وخمسين وخمسمائة

فيها نزع السعر، ووقع الغلاء بديار مصر، فلحق الناس منه شدة.

سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة

فيها كان انفساخ الهدنة بين الفرنج وبين المصريين، فشرع الصالح فى النفقة على العساكر وعربان البلاد للغارة على بلاد الفرنج. فأخرج سرية فى سابع عشر جمادى الأولى، وأتبعها بأخرى فى رابع عشر جمادى الآخرة، فوصلت الأولى إلى غزة ونهبت أطرافها، ثم سارت إلى عسقلان، فأسرت وغنمت وعادت مظفرة غانمة. ثم ندب سرية ثالثة، فمضت إلى الشريعة فأبلت بلاءً حسنًا وعادت مؤيدة. وسير المراكب الحربية فانتهت إلى بيروت وأوقعت بمراكب الفرنج وأسرت منهم وغنمت. وسير عسكرًا فى البر إلى بلاد الشوبك فعاثوا فيها وغاروا ورجعوا بالغنائم فى رجب، ومعهم كثير من الأسرى. ثم سير الأسطول إلى عكا، فأسروا نحوًا من سبعمائة نفسٍ بعد حروب كثيرة، وعاد الأسطول فى رمضان، وجهز سرية فغارت على بلاد الفرنج، وعادت بالغنائم فى رمضان. ثم بدأت سرية فى أول ذى القعدة وأردفها بأخرى فى خامسه فوصلت غاراتهم إلى أعمال دمشق وعادوا غانمين.

وفيها قدم رسول نور الدين محمود صاحب دمشق.

وفيها كسرت مراكب للفرنج فيها الحجاج منهم على ثغر الإسكندرية، فقبض عليهم نائب الثغر وجهزهم.

وفى سلخ ذى الحجة: قبض الصالح على الأمير ناصر الدولة ياقوت والى قوص وعلى أولاده واعتقلهم من أجل أنه بلغه عنه أنه كاتب أخت الظافر وقصد القيام على الصالح وأخذ الوزارة. وكان ناصر الدولة فى ولاية قوص من أيام عباس، ولما استدعى أهل القصر طلائع من الأشمونين لم يجسر على الحركة حتى كتب إلى ناصر الدولة يعلمه بذلك، ويستدعيه ليكون له الأمر، فأعاد جوابه يظهر الزهد فى ذلك، وأنه تركه من أيام الخليفة عن قدرةٍ، ظنا منه أن طلائع لا يصلح ولا يتم له ما يريد من مقاومة عباس، فخاب رجاؤه. ولم يزل به الصالح حتى أودعه السجن، ولم يزل به حتى مات فيه فى رجب من الآتية.

Marfat.com

وفيها أحضر إلى القاهرة رجل كامل الأعضاء سريع الحركة، طوله من رأسه إلى قدمه أربعة أشبار، وله عدة أولاد؛ فدخل على الصالح حتى رآه.

وفى هذه السنة: زلزلت الشام زلازل عظيمة أخربت حصن شيزر، وأكثر حماة وبعض كفر طاب وأفامية، وزلزلت فى حلب وغيرها من البلاد؛ وكانت بدمشق خفيفة لم تخرب شيئا، ودامت مدة بأرض الشمال.

وفيها سقطت دار بخط سوق وردان من مدينة مصر، هلك بها جماعة من سكانها، من جملتهم امرأة ترضع ولدًا أخرجت من تحت الردم ميتة، وأخرج الطفل ابنها فى ثانى يوم، وهو حى، فسلم إلى من ترضعه، وعاش حتى بلغ مبالغ الرجال.

واتفق أيضًا فى هذه السنة أن السديد أبا النقباء صالحًا كان يخدم فى عمالة الرباع السلطانية بمصر، ومما يجرى فيها دار ابن معشر عند فم السد الذى يفتح كل سنةٍ عند كسر الخليج إذا كان وفاء النيل، فإذا كان قرب الوفاء رسم بمرمة هذا الدار، فرممت وأسكنت فى موسم الخليج، فيتحصل من أجرتها فى يوم وليلة ما يتحصل من أجرة سنة كاملة. فرمها فى هذه السنة، وأسكنها على العادة، وسكن فى بيت تحتانى منها، فامتلأت جميعها حتى لم يبق فيها ما يسع أحدًا، فسقطت وهلك جميع من فيها إلا هو، فإنه أخرج بعد يومين من تحت الردم فيه رمق، فبرأ وعاش مدة طويلة، ثم طلع يوما وهو عجل إلى منزل سكناه بحارة الروم من القاهرة، اندقت ساقه فى درجة، وحدث بها خدش يسير فمات منه.

سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة

فى المحرم: جهز الصالح أربعة آلاف، وأمَّر عليهم شمس الخلافة أبا الأشبال ضرغامًا للغارة على بلاد الفرنج، فساروا فى صفر إلى تل العجول، وحاربوا الفرنج فى النصف منه، فانهزموا من المسلمين هزيمة قبيحة عليهم. وسير عسكرًا آخر فى شعبان، فواقعوا الفرنج على العريش، وعادوا ظافرين بعدة غنائم ما بين خيول وأموال.

وفيها قدم رسول الملك العادل محمود بن زنكى، وقدمت رسل الفرنج يسألون فى الصلح؛ ورسول صاحب قسطنطينية يسأل إسعافه بمراكب نجدةً له على صاحب صقلية.

وفيها خرجت من القاهرة سرية إلى بيت جبرين[1] وعادت غانمة. وسار الأسطول

---

(١) وردت فى معجم البلدان: بَيْتُ جِبْرَينَ: لغة فى جبريلَ: بليد بين بيت المقدس وغَزَّة، وبينه وبين القدس مرحلتان، وبين غزّة أقلّ من ذلك، وكانت فيه قلعة حصينة خرّبها صلاح الدين لما استنقذ بيت المقدس من الأفرنج، وبين بيت جبرين وعسقلان واد يزعمون أنه وادى النَّملة التى=

Marfat.com

فى يوم الجمعة ثالث عشرى ربيع الآخر فانثنى إلى تنيس فى الثامن من شعبان وأقلع منه إلى بلاد الفرنج.

وفى سادس عشرى ربيع الآخر: قدم أسطول الإسكندرية وقد امتلأت أيدى الغزاة بالغنائم.

وفى ربيع الآخر: سار عسكر إلى وادى موسى(١) فنزل على حصن الدميرة وحاصره ثمانية أيام، وتوجه إلى الشوبك وأغار على ما هنالك، وأقام أميران على الحصار، وعاد بقية العسكر.

وفى التاسع من جمادى الأولى: سار عسكر إلى القدس فخرّب وعاد بالغنائم. وورد الخبر بوقعة كانت على طبرية كسر فيها الفرنج وانهزموا، فأخذ الصالح فى النفقة على طوائف العسكر، وكان جملة ما أنفقه فيها مائة ألف دينار. فلما تكامل تجهيزهم سير خمس شوان فى الخامس من شعبان، فتوجهت لسواحل الشام، وظفرت بمراكب من مراكب الفرنج، وعادت بكثير من الغنائم والأسرى فى الثانى والعشرين من رمضان. وخرج العسكر فى البر، وقد ورد الخبر بحركة متملك العريش يريد الغارة على أطراف البلاد، فلما بلغه سير العسكر لم يتحرك، ورجع العسكر.

وجهز رسول محمود بن زنكى بجواب رسالته، ومعه هدية فيها من الأسلحة وغيرها ما قيمته ألف دينار، ومن العين ما مبلغه سبعون ألف دينار تقوية له على جهاد الفرنج. وكتب إلى الصالح كتابا ضمنه قصيدة يحرضه فيها على قتال الفرنج، فوصلت إليه فى سادس عشر من شهر رمضان، ولبس نور الدين خلعة الملك الصالح طلائع.

وانقضت السنة فى تجهيز العساكر فى البر والبحر ومسيرها وعودها بالغنائم الكثيرة والأسارى العديدة، منهم أخو القمص صاحب قبرص(٢)، فأكرمه الصالح وبعث به إلى

= خاطبت سليمان بن داود، عليه السلام.

وورد فى الروض المعطار بيت جبريل: مدينة قديمة بالشام من حذام وبها المومياء.

وذكر فى هوامش الروض المعطار أنها عند ياقوت فى موضع (بيت جبرين) بالنون لغة فى جبريل، وقال بيت جبرين: بليد بين بيت المقدس وغزة، أو حصن بين بيت المقدس وعسقلان.

انظر: الروض المعطار ١٥٦، ومعجم البلدان (بيت جبرين).

(١) وادى موسى وهو واد فى قبلى بيت المقدس بينه وبين أرض الحجاز. انظر: معجم البلدان ٣٤٦/٥.

(٢) قبرص بضم أوله، وسكون ثانيه، ثم ضم الراء، وسين مهملة أو صاد: هى جزيرة فى بحر الروم. انظر: معجم البلدان ٣٠٥/٤، وفى الروض المعطار قبرس: جزيرة على البحر الشامى، كبيرة=

Marfat.com

ملك القسطنطينية. وكثرت الغنائم من الفرنج بالقاهرة حتى امتلأت الأيدى بها.

وقال الصالح فى هذه الغزوات عدة قصائد مطولة.

وفيها مات القاضى المفضل كافى الكفاة محمود بن القاضى الموفق إسماعيل بن حميد القاضى، المعروف بابن قادوس، فى سابع المحرم؛ فحضر الصالح إلى داره بمصر ومشى فى جنازته حتى صلى عليه، ومضى إلى تربته عند مسجد الأقدام بالقرافة. وكان من أماثل المصريين وأعيان كتابهم، ومقدما عند الملوك. وله ديوان شعر.

سنة أربع وخمسين وخمسمائة

فى شهر ربيع الأول، فى خامسه: قدم رسول الفرنج بهدية لطلب الهدنة.

وقدم رسول نور الدين يخبر بأنه متوجه نحو بلاد الفرنج، وأشار بإخراج عسكر نحوهم، فخرجت سرية إلى غزة. وعاد رسول نور الدين، وهو الحاجب محمود المسترشدى، وصحبته الأمير عز الدين أبو الفضل غسان بن محمد بن جلب راغب الآمرى، وكانا قد توجها إلى نور الدين فى السنة الخالية، وخرجا من دمشق فى نصف صفر. فندب الصالح العساكر للغارة، وأنفق فى ستة آلاف وخمسمائة فارس، فساروا فى سادس جمادى الأولى. وتوجه الأسطول فى البحر، وذلك أن ملك القسطنطينية أراد غزو بلاد ابن لاون صاحب أرمينية فبعث يعلم نور الدين بذلك، فكتب نور الدين يستنجد الملك الصالح على الفرنج، فأنجده بذلك.

وفى سلخ جمادى الآخرة: عاد العسكر غانما.

وفى هذه السنة: خرج الأمير عز الدين أبو المهند حسام بن الأمير الأسد جلال الدين فضة، وهو ابن أخت الملك الصالح، على عسكر لقتال طرخان بن سليط بن طريف والى الإسكندرية وقد جمع العربان وغيرهم وخلع طاعة الصالح.

فيها بنى الصالح على بلبيس حصنًا من لبن.

فيها توفى أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن الفضل بن منصور بن أحمد بن يونس ابن عبد الرحمن بن الليث بن المغيرة بن عبد الرحمن بن العلاء بن الحضرمى فى شهر رمضان بالإسكندرية. وقد حدَّث فسمع منه السلفى، وهو آخر من حدث عن الخيال.

=القطر مقدارها ستة عشر يومًا، وبها قرى ومزارع وجبال وأشجار وزروع ومواشٍ، وبها معدن الزاج المنسوب إليها، وبها ثلاث مدن، ومن قبرس إلى طرابلس الشام بحريان، وقبرس على ممر= =الأيام رخاؤها شامل وخيراتها كاملة. انظر: الروض المعطار ٤٥٣، ٤٥٤، ونزهة المشتاق ١٩٤.

Marfat.com

ومولده لست بقين من ربيع الآخر سنة ست وستين وأربعمائة.

وتوفى الفقيه أبو الحسن وحشى بن عبد الغالب العادلى السعدى بمنية زفتى، وأخذ عن الطرطوشى وغيره.

وتوفى بمصر أبو القاسم عبد السلام بن مختار اللغوى، سمع من بركات وغيره، وقرأ على العقبى. وله مدائح فى الصالح بن رزيك وكان متصدرًا بالجامع العتيق.

سنة خمس وخمسين وخمسمائة

فيها خرج إسماعيل، المعروف بروق، من القاهرة فى ليلة الخميس حادى عشر المحرم، ولحق بأخيه طرخان والى الإسكندرية وقد جمع لحرب الصالح، فخرج إليه المظفر عز الدين حسام الأمير مجد الخلافة أسد الدين ورد على عسكر، ولحقهم المظفر سيف الدين حسين. وقد برز إسماعيل من الإسكندرية فى جموعه، وخيَّم على دمنهور، وتلقب بالملك الهادى، فطرقه العسكر، فهرب واختفى بالجيزة، فقبض عليه فى سابع عشره. وعاد العسكر فى ثالث عشريه، فهرب طرخان من معتقله فى رابع ربيع الآخر، وظفر به فى سادسه، فصلب على باب زويلة. ثم ضربت رقبة إسماعيل فى ثامنه، وصلب إلى جانب أخيه.

وكان أبو طرخان فرانا، فترقى طرخان فى أيام الفتن حتى ولاه الصالح الإسكندرية فى سنة ثلاث وخمسين. وقال الشعراء فى صلبه عدة قصائد.

وفيها مات الخليفة الفائز بنصر الله ليلة الجمعة لثلاث عشرة بقيت من رجب، ومولده يوم الجمعة لتسع بقين من المحرم سنة أربع وأربعين وخمسمائة، فكان عمره إحدى عشرة سنة وستة أشهر وستة أيام، منها مدة خلافته ست سنين وخمسة أشهر وستة عشر يومًا. ولم يلتذ بالخلافة ولا رأى فيها خيرًا، فإن أباه لما قتل، وبكر عباس إلى القصر، وفحص عن الخليفة الظافر، وقتل أخويه وابن عمه لينفى عن نفسه وابنه التهمة، دعى إلى القصر، واستدعى ابن الظافر هذا وحمله على كتفه، وله من العمر نحو الخمس سنين، ووقف به فى صحن القاعة وأمر الأمراء فدخلوا عليه. فلما مثلوا بالقاعة قال لهم: هذا ولد مولاكم وقد قتل أبوه وعماه، والواجب إخلاص الطاعة لهذا الطفل. فقالوا بأجمعهم: سمعنا وأطعنا، وصاحوا صيحة اضطرب منها الطفل وداخله من تلك الصيحة، مع ما شاهده من رؤية عمه والخدام وهم فى دمائهم، ما خبل عقله، وبال على كتف عباس، فسيروه إلى أمه، وأقام مختلا يصرع وجدته تكفله.

وركب فى الأعياد مغررا به، وخطب عنه قاضى القضاة، وهو معه على المنبر.

Marfat.com

وقطع الخليج فى أيامه فى الليل، واعتذر عن ذلك بأن النيل عدا، وقطع الجسر، إلى غير ذلك من التحويزات.

ثم وزر الصالح بعد عباس، واستبد بجميع الأمور، وليس له معه أمر ولا نهى، ولا تعود كلمة. فدبرت عمة الفائز فى قتل الصالح، وفرقت فى ذلك نحو خمسين ألف دينار. فبلغ ذلك الصالح، فأمسكها وقتلها بالأستاذين والصقالبة سرا، والفائز فى وادٍ آخر من الاضطراب والاختلال. ونقل كفالته إلى عمته الصغرى، وطيب قلبها، وراسلها.

* * *

العَاضِدُ لدين الله أبُو مُحَمَّد عَبْد الله بن الأمير يُوسُف

ابْن الحافِظ لدين الله أبى الميمُون عَبد المجيد

ولد يوم الثلاثاء لعشر بقين من المحرم سنة ست وأربعين وخمسمائة؛ وبويع عند انتقال الفائز يوم الجمعة قبل الصلاة لثلاث عشرة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين وخمسمائة، وعمره يومئذ تسع سنين وستة أشهر وسبعة أيام.

وذلك أنه لما مات الخليفة الفائز ركب الصالح بن رزيك إلى القصر بثياب الحزن، واستدعى زمام القصر، وسأله عمن يصلح فى القصر للخلافة؛ فقال: ههنا جماعة فقال: عرفنى بأكبرهم. فسمى له واحدًا، فأمر بإحضاره. فتقدم إليه أمير يقال له على ابن مزيد، وقال له سرًّا: لا يكن عباس أحزم منك رأيًا حيث اختار الصغير، وترك الكبير واستبد بالأمر. فمال إلى قوله، وقال للزمام: أريد منك صغيرًا. فقال: عندى ولد الأمير يوسف بن الحافظ، واسمه عبد الله، وهو دون البلوغ. فقال: علىَّ به. فأحضر إليه بعمامة لطيفة وثوب مفوط، وهو مثل الوحش، أسمر، كبير العينين، عريض الحاجبين أخنس الأنف، منتشر المنخرين كبير الشفتين. فأجلسه الصالح فى البادهنج، وكان عمره إحدى عشرة سنة. ثم أمر صاحب خزانة الكسوة أن يحضر بذلة ساذجة خضراء، وهى لبس ولى العهد إذا حزن على من تقدمه، وقام وألبسه إياها.

وأخذوا فى تجهيز الفائز، فلما أخرج تابوته صلى عليه وحمل إلى التربة. وأخذ الصالح بيد عبد الله، وأجلسه إلى جانبه، وأمر أن تحمل إليه ثياب الخلافة، فألبسها، وبايعه، ثم بايعه الناس، ونعته بالعاضد لدين الله. وذلك يوم الجمعة الثامن عشر من شهر رجب سنة خمس وخمسين. وأبوه أحد الأخوين اللذين قتلهما الوزير عباس.

ولما بويع العاضد ركب وحملت على رأسه المظلة، وركب الصالح بين يديه، وخرج من التربة قاصدًا قصره. وكانت عادة الخلفاء أنه إذا ورد البشير إلى أخص أهل من يبايع يعطى ألف دينار؛ فلما بويع حضر المبشر إلى عمته فأعطته نزرًا، فلما راجعها فى الزيادة أبت عليه؛ فسئلت فى السبب فقالت: هذا قاطع الخلفاء. وهكذا كان.

واستقر العاضد اسمًا والصالح معنى، فتمكن وقويت حرمته، واستولى على الدولة وتمكن منها، ونقل جميع أموال القصر إلى دار الوزارة، وأساء السيرة باحتكار الغلات، فوقع الغلاء وارتفعت الأسعار، وأكثر من قتل أمراء الدولة.

Marfat.com

وفيها ولى الصالح شاور بن مجير بن سوار بن عشائر بن شاس السعدى الصعيد(١)، فظهرت كفايته واستمال الرعية.

وفيها بعث العاضد بالخلع إلى نور الدين محمود صاحب دمشق، فلبسها.

وفيها توفى بمصر أبو الحسن على بن عبد الرحمن بن عمر بن قاسم، المعروف بنفطويه الحضرمى، المقرئ الأديب، رحل فسمع ببغداد وميافارقين وبمصر.

وتوفى بعيذاب الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسين بن الحباب السعدى، أخو القاضى الجليس؛ رحل فسمع ببغداد وغيرها، وصنف كتاب مساوئ الخمر؛ وكتاب الحجة لسلف هذه الأمة فى تسمية الصديق والرد على من أنكر ذلك، وكتاب تهذيب المقتبس فى أنباء أهل الأندلس. وكان من الصالحين.

وتوفى أبو جعفر أحمد بن محمد بن كوار بن المختار بن الغرناطى بمصر، وكان من أعيان غرناطة، وله معرفة جيدة بالنحو؛ وكتب عن السلفى.

سنة ست وخمسين وخمسمائة

فيها عقد العاضد على ابنة الصالح بن رزيك فى مستهله بعدما امتنع من ذلك فحبسه الصالح حتى أجاب. وقصد الصالح بزواجه ابنته أن يرزق منه ولدًا فيجتمع لبنى رزيك الخلافة مع الملك.

وفيها قدم حسين بن نزار بن المستنصر إلى برقة من بلاد المغرب، ودعا إلى نفسه، فاجتمع عليه قوم كثير، وتلقب بالمستنصر، وعزم على المسير إلى أخذ القاهرة، فخدعه الأمير عز الدين حسام بن فضة بن رزيك ووعده بالقيام بدعوته، ومازال يتلطف به حتى صار عنده فى خيمته، فقبض عليه، وحمله إلى القاهرة، فقتل فى شهر رمضان.

وفيها قتل الملك الصالح فارس المسلمين نصير الدين، أبو الغارات طلائع بن رزيك وذلك أنه لما ثقلت وطأته، وكثرت مضايقته لأهل القصر، أخذت السيدة العمة ست القصور، وهى أخت الظافر الصغرى، فى العمل على قتله، ورتبت مع قوم من السودان الأقوياء أن يقيموا منهم فى باب السرداب من الدهليز المظلم الذى يدخل منه إلى القاعة

---

(١) شاور بن مجير بن نزار السعدى، من بنى هوازن أبو شجاع: أمير، من الولاة فيه نجابة وفروسية يلقب بأمير الجيوش، ولى الصعيد الأعلى بمصر، فى أيام العاضد ثم قام بثورة استولى بها على وزارة مصر، بعد أن قتل رزيك بن صالح سنة ٥٥٧هـ. واتهم بممالأة الإفرنج، وأنه استعان بهم على دفع أسد الدين شيركوه عن دخول مصر. انظر: وفيات الأعيان ٢٢/١ وابن الأثير ١٢٥/١١ وابن خلدون ٧٧/٤ والأعلام ١٥٤/٣.

Marfat.com

جماعة، ويقيموا آخرين فى خزانة هناك، وأرسلت إلى ابن الراعى، وإلى الأمير المعظم ابن قوام الدولة صاحب الباب، وقررت معه أن يخلى الدهاليز من الناس حتى لا يبقى بها أحد. فأعدوا فى حجرة فى دهليز القصر، وردوا عليهم طرف الضبة.

فلما كان فى يوم الاثنين التاسع عشر من شهر رمضان: ركب الصالح على عادته للسلام على الخليفة، فلما انفصل من خدمة السلام بقاعة الذهب، وخرج إلى الدهاليز عرض له أستاذ يقال له عنبر الريفى، وأوقفه، وذكر له حديثًا طويلا، فتقدم رزيك بن الصالح، فخرج رجلان وثبا على الصالح، ووقعت الصيحة، فعثر الصالح بأذياله، فتقدم إليه ابن الراعى وطعنه بسيف قطع أحد وريديه، وضربه العبيد بالسيوف فقطعوا عذيته ونزلت فى لحمه، وشلت سلسلة ظهره. فوضع يده على جرحه و أنشد:

إن كان عندك يا زمان بقية مما تهين به الكرام فهاتها

وضرب رزيك بن طلائع فى عضده الأيمن. وتكاثروا على الصالح فسقط على وجهه منكبا واستفرغ بالدم، فأدركه الأمير ابن الزبد[1] وألبسه منديل ضرغام بن سوار، وكان قد نزع منديله عن رأسه، وحمل حتى أركب على فرسه، وهو لا يفيق. وبقى حسين بن أبى الهيجاء فى القصر يقاتل السودان حتى قتل منهم خمسين رجلاً.

ولما ركب الصالح وشدوا جرحه تطلعت السيدة العمة من القصور فرأته راكبًا، فقالت: رحنا والله. فلما صار إلى داره كان إذا أفاق يقول: رحمك الله يا عباس، وبعث إلى العاضد يعتب عليه كيف رضى بقتله مع حسن أثره فى إقامته خليفة؛ فأقسم أنه لم يعلم بذلك ولا رضى به. وأنشد عند موته:

وما ظفروا لما قتلت بطائل فعشت شهيدًا ثم مت شهيدا

فلما كان ثلث ليلة الثلاثاء، العشرين من شهر رمضان: مات ودفن بالقاهرة، ثم نقل منها، بعد ذلك إلى القرافة، والعاضد راكب والجند يمشون خلف تابوته.

ومولده فى سنة خمس وتسعين. وكانت وزارته سبع سنين وستة أشهر تنقص أيامًا. وكان فاضلا، سمحًا فى العطاء، سهلا فى اللقاء، محبا لأهل الفضائل، جيد الشعر وخطه دون شعره. ويقال إنه من المغرب، وقد قصد أبوه زيارة قبر على بن أبى طالب

---

(١) على بن زين بن محمد بن الحسين أبو الحسن، ظهير الدين البيهقى، من سلالة خزيمة بن ثابت الأنصارى، ويقال له ابن قفدق: باحث مورخ ولد فى قصبة السايزوار، وتفقه وتأدب واشتغل بعلوم الحكمة والحساب والفلك وتنقل فى البلاد. وصنف ٧٤ كتابًا منها تتمة دمية القصر. انظر: إرشاد الأريب ٢٠٨/٥-٢١٨ ودوائر المعارف الإسلامية ٤٣١/٤ والذريعة ١٤٩/٤والأعلام ٤/٢٩٠.

Marfat.com

بالنجف، فرأى أمام المشهد عليًا، وأخبره عن طلائع أنه يلى مصر، فقدمها، ولا يزال يترقى فى الخدم حتى نال ما نال.

وأنشد له ابن خلكان:

كم ذا يرينا الدهر من أحداثه غِيَرًا وفينا الصد والإعراض
ننسى الممات وليس يجرى ذكره فينا فتذكرنا به الأمراض

وكان لأهل العلم عنده نَفَاق ويرسل إليهم العطايا الكثيرة. بلغه أن أبا محمدٍ بن الدهان النحوى البغدادى المقيم(١) بالموصل قد شرح بيتا من شعره وهو:

تجنب سمعى ما يقول العواذل وأصبح لى شغل من الغزو شاغل

فجهز له هدية سنية ليرسلها إليه، فقتل قبل إرسالها. وبلغه أن إنسانًا من أعيان الموصل قد أثنى عليه، فأرسل إليه كتابًا يشكره، ومعه هدية.

وكان وافر العقل رضى النفس، بصيرًا بالتجارب عالمًا بأيام الناس، بصيرا بالعلوم الأدبية، محببا إلى الناس لإظهاره الفضل والدين، وإنكاره الظلم والفساد. إلا أنه كان من غلاة الإمامية مخالفًا لما عليه مذهب العاضد وأهل الدولة. فلما بايع للعاضد وركب من القصر سمع ضجة عظيمة، فقال: ما الخبر؟ فقيل إنهم يفرحون بالخليفة. فقال: كأنى بهؤلاء الجهلاء، وهم يقولون ما مات الأول حتى استخلف هذا؛ وما علموا أننى كنت من ساعة أستعرضهم استعراض الغنم.

وجرى من بعض الأمراء فى مجلس السمر عنده انتقاص بعض السلف، وكان الفقيه عمارة جالسًا فقام وخرج معتذرًا بحصاة تعتاده، وانقطع فى منزله ثلاثة أيام، ورسول الصالح يرد إليه كل يوم بالطبيب، ثم ركب إليه بعد ذلك، وهو فى بستانٍ مع جلسائه فى خلوة، فاستوحش من غيبته، فأعلمه أنه لم يكن به وجع، ولكنه كره ما جرى فى حق السلف، فإن أمر السلطان فقطع ذلك حضرت، وإلا كان فى الأرض سعة، وفى الملوك كثرة. فعجب الصالح من ذلك. وقال: سألتك بالله ما تعتقد فى أبى بكر وعمر؟ فقال: أعتقد أنه لولاهما لم يكن سبق للإسلام حرمة ولا علا له راية، وما من مسلم إلا ومحبتهما واجبة عليه. ثم قرأ: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ

---

(١) سعيد بن المبارك بن على الأنصارى، أبو محمد، المعروف بابن الدهان: عالم باللغة والأدب: مولده ومنشأه ببغداد انتقل إلى الموصل، فأكرمه الوزير جمال الدين الأصفهانى، فأقام يقرئ الناس، له تصانيف كثيرة، وكان قد أبقاها فى بغداد، فطغى عليها سيل، فأرسل من يأتيه بها إلى الموصل. انظر: وفيات الأعيان ١/٢٠٩ وإرشاد الأريب ١/٣٨٦ والأعلام ٣/١٠٠.

Marfat.com

نَفْسَه﴾[1] فضحك الصالح، وكان هذا من رياضته، فإنه مخالف لمذهبه مخالفة لا يحتملها مثله إلا أنه كان مرتاضًا حصيفًا قد لقى الفقهاء وسمع كلامهم.

وبعث يومًا إلى عمارة ثلاثة أكياسٍ من مالٍ ورُقعةً بخطّه فيها هذه الأبيات يدعوه فيها إلى مذهبه:

قل للفقيه عمارة: يا خير من ... أضحى يؤلف خطبة وكتابا
اسمع نصيحة من دعاك إلى الهدى ... قل حِطّة، وادخل إلينا البابا
تلق الأئمة شافعين، ولا تجد ... إلا لدينا سنة وكتابا
وعلىَّ أن يعلو محلك فى الورى ... وإذا شفعت إلىّ كنت مجابا
وتعجل الآلاف وهى ثلاثة ... صلة وحقك لا تعد ثوابا

فأجابه عمارة:

حاشاك من هذا الخطاب خطابا ... يا خير أملاك الزمان نصابا
لكن إذا ما أفسدت علماؤكم ... معمور معتقدى وصار خرابا
ودعوتم فكرى إلى أقوالكم ... من بعد ذاك أطاعكم وأجابا
فاشدد يديك على صفاء محبتى ... وامنن علىَّ وسد هذا البابا

وهو الذى بنى الجامع خارج باب زويلة؛ ووقف ثلثى المقس على الأشراف، وتسعة قراريط على أشراف المدينة، وقيراطًا على بنى معصوم إمام مشهد على الذى بشره بالمنام. ويقال إنه من ولد جبلة بن الأيهم الغسانى.

وكان أبوه يسمى أسد رزيك، وقدم مع أمير الجيوش بدر إلى مصر، وتوفى سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة.

ومن العجب أنه ولى الوزارة فى التاسع عشر، وقتل فى التاسع عشر، وزالت دولتهم فى التاسع عشر. وهو أول من خوطب بالملك فى ديار مصر ونعت به.

ومن عجيب الاتفاق أن عمارة أنشد مجد الإسلام رزيك بن الصالح[2] بدار سعيد السعداء فى ليلة السادس عشر من شهر رمضان أبياتا منها:

---

(١) سورة البقرة، آية ١٣٠.

(٢) رزيك بن طلائع بن رزيك: وزير عراقى الأصل. نشأ بمصر فى بيت أبيه «الصالح بن رزيك» وولى أبوه الوزارة للفائز الفاطمى (سنة ٥٤٩هـ) ثم العاضد سنة ٥٥٥هـ، ودست عمة العاضد من قتل الصالح، واستوزر رزيك بعد أبيه، فكان أول ما باشره هذا قتل عمة العاضد، وشركائها فى قتل أبيه، وعزل (شاور بن مجيد السعدى)، انظر: ابن خلدون ٤/٧٦ والأعلام ٣/٢٠.

أبوك الذى تسطو الليالى بحده وأنت يمين إن سطا وشمال
لرتبته العظمى وإن طال عمره إليك مصير واجب ومآل
تخالسك اللحظ المصون ودونها حجاب شريف لا انقضى وحجال

فانتقل الملك إليه بعد ثلاثة أيام.

قال عمارة: ودخلت على الصالح قبل قتله بثلاثة أيام، فناولنى رقعة فيها بيتان من شعره وهما:

نحن فى غفلة ونوم وللمو ت عيون يقظانة لا تنام
قد رحلنا إلى الحِمَام سنينًا ليت شعرى متى يكون الحِمَام

فكان آخر عهدى به.

ومما رثاه عمارة به قوله:

أفى أهل ذا النادى عليم أسائله فإنى لما بى ذاهب العقل ذاهله
سمعت حديثًا أحسد الصم عنده ويذهل واعيه ويخرس قائله
فقد رابنى من شاهد الحال أننى أرى الدست منصوبا وما فيه كافله
وأنى أرى فوق الوجوه كآبة تدل على أن الوجوه ثواكله
دعونى فما هذا بوقت بكائه سيأتيكم طل البكاء ووابله
ولم لا نبكيه ونندب فقده وأولادنا أيتامه وأراملة
أيكرم مثوى ضيفكم وغريبكم فيسكن أم تطوى ببين مراحله
فياليت شعرى بعد حسن فعاله وقد غاب عنا ما بنا الدهر فاعله

قال عمارة: وكانت أحوال الصالح تارة له، وتارة عليه، فما هو عليه فرط العصبية فى المذهب، وجمع المال واحتجانه، والميل على الجند وإضعافهم والقص من أطرافهم. وأما التى له فلم تكن مجالس أنسه تنقضى إلا بالمذاكرة فى أنواع العلوم الشرعية والأدبية، وفى مذاكرة وقائع الحروب مع أمراء دولته. وكان مرتاضًا قد سمر أطراف المعالى، وتميز عن أخلاق الملوك الذين ليس عندهم إلا خشونة مجردة.

وكان شاعرًا يحب الأدب وأهله، ويكثر من جليسه، ويبسط من أنيسه. وكان كرمه أقرب من الجزيل منه إلى الهزيل وصنف كتابًا سماه: الاعتماد فى الرد على أهل العناد. وله قصيدة سماها: الجوهرية فى الرد على القدرية.

ولما مات الصالح خرج ولده المنصور، وهو مجروح، وجلس فى مرتبة أبيه، وبعث إلى العمة ست القصور من أهل القصور، فسلمت إليه، فخنقها بمنديل ورميت قدامه، فبعثت السيدة العمة أختها إلى سيف الدين حسين بن أبى الهيجاء، صهر الصالح،

وحلفت له أنها لم تدر ما جرى على الصالح، وأن فاعل ذلك أصحاب أختها المقتولة. وحضر إليها مجد الإسلام أبو شجاع رزيك بن الصالح فخلع عليه للوزارة، فإن الصالح أوصى بها إليه وجعل من حسين بن أبى الهيجاء الكردى مدبر أمره، ونعت بالسيد الأجل مجد الإسلام الملك العادل الناصر أمير الجيوش، وفسح له فى أخذ من ارتاب به فى قتل أبيه، فأخذ ابن قوام الدولة وقتله وولده والأستاذ الذى شغل الصالح بالحديث.

واستحسن الناس سيرته، وسامح الناس بما عليهم من البواقى الثابتة فى الدواوين وأسقط من رسوم الظلم مبالغ عظيمة، وقام عن الحاج بما يستأديه منهم أمير الحرمين، وسير على يد الأمير محمد بن شمس الخلافة نحوًا من خمسة عشر ألف دينار إلى قاسم ابن هاشم، أمير الحرمين برسم إطلاق الحاج. وظفر بقتلة أبيه ظفرًا عجيبًا بعد تشتتهم فى البلاد.

وكان زفاف أخته إلى العاضد فى وزارته فحمل معها بيوت الأموال. ونقل تابوت أبيه إلى القرافة.

وسير إلى والى الإسكندرية بحمل عبد الرحيم بن على البيسانى، الملقب بالقاضى الفاضل، واستخدمه، بين يديه فى ديوان الجيش.

وترامت الحال فى أيامه بالأمير عز الدين حسام، قريبه، وعظم صيته، واستولى على تدبير كثيرٍ من أموره، وعظم غلمان أبيه. وكان فارسًا شجاعًا، له مواقف معروفة.

وكان أبوه الصالح قد ولّى شاور بن مجير بن نزار السعدى قوص، ثم ندم على ولايته، وأراد عوده من الطريق، ففاته، وحصل بها، وطلب منه فى كل شهر أربعمائة دينار، وقال: لابد لقوص من والٍ، وأنا ذلك، والله لا أدخل القاهرة، ومتى صرفنى دخلت النوبة. فتركه.

ولما جرح وأشرف على الوفاة كان يعد لنفسه ثلاث غلطات، إحداها ولاية شاور الصعيد الأعلى، والثانية بناء الجامع على باب زويلة، فإنه مضرة على القاهرة، والثالثة خروجى بالعساكر إلى بلبيس وتأخيرى إرسالها إلى بلاد الفرنج، وكان قد أنفق على هذه العساكر مائتى ألف دينار.

وأوصى ابنه رزيك ألا يتعرض لشاور بمساءة ولا يغير عليه حاله، فإنه لا تأمن

Marfat.com

عصيانه والخروج عليك. فلما استمر رزيك بن الصالح فى الوزارة حسَّنت له بطانته صرف شاور عن قوص ليتم الأمر له، وأشار عليه سيف الدين حسين بن أبى الهيجاء بإبقائه، فقال: ما أنا آبى ولا لى طمع فيما آخذه منه، ولكن أريده يطأ بساطى. فقيل له: ما يدخل أبدًا. فلم يقبل، وخلع على الأمير نصير الدين شيخ الدولة ابن الرفعة بولاية قوص.

وفيها خرج ملك النوبة إلى أسوان فى اثنى عشر ألف فارس وقتل من المسلمين عالما عظيمًا.

فيها مات بالقاهرة، فى يوم الأربعاء لاثنى عشرة خلت من رجب، القاضى أبو الحجاج يوسف بن عبد الجبار بن شبل بن على الصويبى، وصويب قبيلة من جذام. ولد بالقدس يوم الجمعة تاسع ذى القعدة سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة، وقدم مصر بعد أخذ الفرنج القدس فنشأ بها واشتغل بالعلم، وتولى خزانة الكتب فى سنة أربع وعشرين وخمسمائة، وولى قضاء فوة وعملها فى محرم سنة سبع وأربعين.

ومات بالصعيد كنز الدولة أبو الطليق يوسف، وولى بعده رئاسة قبائله أخوه أبو العز فتوح فى حادى عشر محرم.

سنة سبع وخمسين وخمسمائة

فى عاشر المحرم: أفرج العادل رزيك عن الأمراء الذين اعتقلهم أبوه الصالح ابن رزيك فى ثالث عشرى ربيع الأول سنة تسعٍ وأربعين، وهم صبح بن شاهنشاه، وأسد الغاوى ومرتفع الظهير.

وفيها أنشأ الأمير أبو الأشبال ضرغام بن سوار البرج بمن باب البحر بالإسكندرية فعرف ببرج ضرغام.

وفى آخر ذى القعدة: ورد الخبر بخروج شاور عن طاعة العادل رزيك. وذلك أن الأمير نصير الدين لما خلع عليه بولاية قوص كتب على يده كتابًا إلى شاور بتسليم البلاد إليه وحضوره إلى القاهرة. فلما وصل إلى إخميم كتب كتابًا إلى شارو، وفى طيَّه كتاب رزيك، فلما وقف عليه بعث إليه أن ارجع ولا تحضر، قولاً واحدًا، فرجع إلى القاهرة، وجهر شاور بالعصيان.

سنة ثمان وخمسين وخمسمائة

فيها زالت دولة بنى رزيك. وذلك أن مماليك الصالح وغلمانه، مثل يانس وورد وسعادة الأسود وبختيار، اشتد ظلمهم، وكان الصالح قد قدمهم حتى صار لكل منهم نحو المائتى مملوك، وطغوا فى أيام رزيك حتى ضج الناس منهم. وقال بعضهم:

Marfat.com

أمنتم يا بنى رزيك جهلا فذاك الأمر يتبعه الأمانى
أباد الله دولتكم سريعا فقد ثقلت على كتف الزمان

وكان شاور بن مجير السعدى لما بلغه أن الناصر رزيك بن الصالح طلائع بن رزيك عزله عن ولاية قوص وولى غيره اضطرب وخرج من قوص فى جماعة قليلة، فسار على طريق الواحات فى البرارى حتى صار فى تروجة، فاجتمع عليه الناس وقوى أمره وتزايد. فاهتم لذلك رزيك ورأى فى منامه وكأنه قد صار روَّاسا فى حانوت، فلما قص هذه الرؤيا على حسين بن أبى الهيجاء نظر عابرا، كان تاجرًا حاذقًا، ويعرف بابن الأرتاحى، وأخبره بما رأى، فغالطه فى التفسير، وفهم ذلك حسين. فلما خرج ألزمه أن يصدقه بتأويل ما رآه رزيك، فقال: يا مولاى القمر عندنا هو الوزير كما أن الشمس الخليفة، والحنش المستدير عليه جيش مصحَّف، وكونه رواسًا أقلبها تجدها شاورا مصحَّفًا، وما وقع لى غير هذا. فقال: اكتم هذا عن الناس. وأخذ حسين يحتاط لنفسه، وتجهز إلى الحجاز فكثر الإرجاف بمسير شاور إلى أن قرب من القاهرة. فوقع الصائح فى بنى رزيك، وكانوا أكثر من ثلاثة آلاف فارس، فأسرع ضرغام ونظراؤه من وجوه الأمراء، وهم إخوته ملهم وحسام وهمام، ويحيى بن الخياط وبنو الحاجب ونظراؤهم، وصاروا إلى شاور فأسقط الباقى فى أيدى العسكر مع بنى رزيك.

وكان أول من نجا بنفسه حسين بن أبى الهيجاء، خرج فارا ومعه حسام إلى الحوف واستجار بطريف بن مكنونة أحد أمراء جذام، فأجاره وحمله من أيلة فى البحر إلى المدينة النبوية، فجاور بها مدة ومات، فدفن بالبقيع.

ولما فر حسين فتَّ ذلك فى عضد رزيك، ولم يثبت، وخرج رزيك من القاهرة فى نصف المحرم ومعه جماعة من غلمانه وعدة بغال موقرة من المال والجواهر والثياب الخاص، وتحير فلم يدر أين يذهب، فوقع بظاهر إطفيح عند مقدم العرب سليمان بن الفيض، فأخذه وكل ما معه.

ودخل أبو شجاع شاور إلى القاهرة، ومعه خلق كثير، ومعه أولاده طىٌّ وشجاع والطارى، فنزل دار سعيد السعداء، وأحضر إليه ابن الفيض رزيك مكبلا، فاعتقله وأخاه جلال الإسلام. فبعث جلال الإسلام إلى من أعلم شاورًا أن أخاه طلب مبردًا من بعض غلمان أبيه، وبرد القيد الذى فى رجليه ليهرب، فدخلوا إليه وقتلوه. ومولده فى ذى القعدة سنة ثلاث، أو اثنتين، وخمسمائة. وأنفقوا على أخيه لهذه النصيحة، وبقى من جملة أرباب الإقطاع إلى أن مات. وقيل إن هذا كان من فعلات طى بن شاور وحشمه حتى قتل العادل.

وكان سليمان بن الفيض من لخم، وهو ممن أنشأه الملك الصالح طلائع بن رزيك

Marfat.com

وخوله فى نعم جمة، فلم يرع يـدًا، وقبـض علـى ابنـه العـادل وأسـلمه لشـاور، ونهـب أصحابه ماله. فلما قدم به عليه قال: يا سليمان، لقد خبأك الصـالح ذخـيرة لولـده حـين استجار بك فأسلمته لى، وأنا الآخر أخبئك ذخيرة لولدى. ثم أمر به فشنق.

وانقطع بنو رزيك، وبزوالهم زالت الدولة. فكانت مدة بنى رزيك فى الـوزارة تسـع سنين وشهرًا وأيامًا.

وكان دخول شاور إلى القاهرة ووزارته فى يوم الأحد ثانى عشر المحرم. ولما اسـتقر فى الوزارة تلقب بـأمير الجيـوش. وانثـالت عليـه وعلـى ولـده طـى أمـوال بنـى رزيـك وودائعهم من عند الناس، حتـى كـان فـى النـاس مـن يتـبرع بمـا عنـده، فظفـر هـو مـن أموالهم سوى السلاح والكراع وغيره، وسوى ما أخذه أولاده، بما ينيف عن خمسـمائة ألف دينار عينا. فبعث بذلك كله مع جميع ما أدخـل إليـه إلى العربـان، وأودعـه عندهـم وأنعم عليهم حتى كثرت أموالهم وصاروا يكيلونها كيلا ويقولون: لفلان قدحـان ذهبًـا ولفلان ثلاثة أقداح، وزاد تمكنهـم لـه حتـى لـم يكونـوا يفـارقون بـاب الفتـوح وبـاب النصر، ونهبوا غلات الخوف، واستخفّوا المقطعين، فلم ينكـر عليهـم، وأراد أن يكونـوا له عضدًا ورداء.

وكان الصالح ابن رزيك قد قرر للفرنج فى كل سنة على مصر ثلاثـة وثلاثـين ألـف دينار يحملها إليهم، فوافت رسلهم تطلب ذلك. ولما قتل رزيك بن الصالح فـى رمضـان قدمت رأسه فى طشت إلى شاور، وهو بدار الوزارة، فقال فى ذلك الفقيه عمارة:

أعـزز علـى أبـا شـجاع أن أرى ذاك الجبـين مضرجـا بدمائـه
مـا قلبته سوى رجـال قلبـوا أيديهـم من قبـل فـى نعمـائه

وجلس شاور بعد قتل النـاصر رزيـك بـن الصـالح بـدار الذهـب، وقـام الشـعراء والخطباء ولفيف الناس إلا الأقل ينـالون مـن بنـى رزيـك، وفيهـم ضرغـام نـائب البـاب ويحيى بن الخياط أسفهسلار العسكر، وغيرهما؛ فقال عمارة:

زالـت ليـالى بنـى رزيـك وانصرفـت والحمـد والـذم فيهـا غـير منصـرم
كـأن صـالحهم يومـا وعـادلهم فى صدر ذا الدست لم يقعد ولم يقم
هـم حركوهـا عليهـم وهـى سـاكنة والسلم قد تنبت الأوراق فـى السـلم
كنـا نظـن وبعـض الظـن مأثمـة بـأن ذلـك جمـع غـير منهـزم
فمذ وقعت وقوع النسـر خـانهم مـن كـان مجتمعًـا مـن ذلـك الرخـم
ولـم يكونـوا عـدوًّا ذل جانبـه وإنمـا غرقـوا مـن سـيلك العـرم
وما قصـدت بتعظيمـى عـداك سـوى تعظيـم شـأنك فـاعذرنى ولا تلـم

Marfat.com

ولـــو شـــكرت ليـــاليهم محافظـــة لعهدهـا لـم يكـن بـالعهد مـن قـــدم
ولـو فتحـت فمـى يومًـا بذمهـم لـم يـرض فضلـك إلا أن يسـد فمـى
والله يأمـر بالإحســان عـــارفـــة منه وينهـى عن الفحشـاء فـى الكلم

فشكر شاور عمارة على الوفاء لبنى رزيك، ونقم عليه ضرغام قوله: «فمذ وقعت...» البيت، وكان يقول له: نحن عندك من الرخم.

ثم إن شاور جهز الخلع إلى العادل نور الدين بالشام، فلبسها يوم الاثنين ثانى عشرى رمضان، وقبض المال المسيَّر إليه.

وكتب للأجناد والعرب وحواشى القصر من الرواتب والزيادات نظير ما لهم عشر مرات، وهو غير ظاهر للناس والأبواب مغلقة عليه خفية. وذلك أن الصالح، بن رزيك كان قد أنشأ أمراء يقال لهم البرقية، وجعل ضرغام بن عامر بن سوار المذكور الملقب أبا الأشبال فارس المسلمين مقدمهم، ثم صار صاحب الباب، فطمع فى شاور، وكان فارسًا كاتبًا، فجمع رفقته، وتخوف منه شاور. وصار العسكر فرقتين: ضرغام ومن معه فرقة، وحرب ومن معه حزب؛ فأما ضرغام فأظهر المباينة، وأما نظراؤه فاختصوا بطى ابن شاور وعاشروه ولازموه.

فلما كان بعد تسعة أشهر من وزارته ثار به ضرغام يوم الجمعة ثامن عشرى رمضان وقد جمع له، وكانت بينهما وقعة قتل فيها طى بن شاور، وهو أكبر أولاده، وقتل أخوه سليمان الطارى وهو الأصغر، وأسر الكامل فاعتقله ملهم، ومنع منه أخاه ضرغامًا ليدٍ كانت له عنده. وكان بين قتل طى بن شاور وقتل العادل رزيك نيف وثلاثون يومًا.

وخرج شاور من القاهرة يريد الشام كما فعل رضوان بن ولخشى، وقد كان رفيقًا له إذا ذاك، وذلك أول شوال، فنهبت داره ودور أولاده وحواشيه، وذهب جميع ما نالوه من مال بنى رزيك. وقتل الكامل علىٌ بين القصرين، وتركت جثته يومين ملقاة ومعه ابن أخته وحسان تربية شاور. فكانت وزارته تسعة أشهر.

وكانت أخلاق شاور فى وزارته هذه مستورة باستمرار العافية والسلامة، ولم يكن فيها أقبح من قتل رزيك بن الصالح فإنها أعربت عن ضيق عطنه وحرج صدره. وكان كرمه إليه المنتهى، وشدة بأسه فى مواطن الحرب شهيرة، وكان شديد الثبات كثير الوثبات، ومما نقم عليه أن ابنه الكامل عمل مظلة كانت تحمل على رأسه، وتحكم على أبيه، وترفّع على الأمراء وعسفهم.

Marfat.com

ولما فرَّ شاور ونزل بفاقوس(١) عند بنى منصور استولى ضرغام على الوزارة، وتلقب بالملك المنصور، فى سابع عشرى رمضان، فشكر الناس سيرته، فإنه كان فارس عصره، كاتبًا، جميل الصورة، فكه المحاضرة، عاقلا كريمًا، لا يضع كرمه إلا فى سمعة ترفعه أو مداراة تتبعه. إلا أنه كان أذنًا متخيلا على أصحابه، وإذا ظن بإنسان شرا جعل الشك يقينًا. وكان فى وزارته مغلوبًا مع أخويه ناصر الدين همام وفخر الدين حسام.

وقيل إن ملهمًا وضرغامًا لما علما تغير الناس على شاور وأولاده أخذا فى مراسلة رزيك فى سجنه وإفساد الناس له، فبلغ الخبر طى بن شاور، فدخل إليه، وقال: بلغنى أن ملهمًا وضرغامًا قد تحدثا لرزيك فى الأمر، وقد حلّفا له جماعة من الأمراء، وأنت غافل عن هذا الأمر. فقال له شاور: اسكن ولا تعجل، أنا أكشف عن هذا، فإذا تحققته حكمته. فقال: لا غنى بى عن قتل رزيك، فإنى إذا قتلته أمنت. فقال له شاور: لا يمكن قتله، فإنه أولانى جميلا بسببه صرت فى هذا المحل. فمضى طى إلى رزيك وقتله، فقامت قيامة شاور. وبلغ ذلك ضرغامًا فثار وأثار من خلفه، وقرر معهم أمر رزيك وزحف بهم، فانهزم شاور. فكان فى هذه السنة ثلاثة من الوزراء هم: رزيك ابن الصالح بن رزيك، وأمير الجيوش شاور، والمنصور ضرغام بن عامر بن سوار المنذرى اللخمى أبو الأشبال.

وفيها اختلت الدولة وضعفت بذهاب أمرائها وأولى الرأى فيها.

فيها سار الفرنج إلى ديار مصر فوصلوا إلى السدير. وورد الخبر فى ثانى شوال بوصولهم إلى فاقوس، فأخرج إليهم ضرغام أخاه ناصر المسلمين همامًا، وكان شجاعًا، فالتقى معهم وحاربهم، فهزموه بعد أن قتل منهم خلقًا. وكان شاور قد انضم إلى بنى منصور لأنه من فخذهم، وكان قائمًا على كوم عال. ثم إن الفرنج صاروا إلى حصن بلبيس فى شوال، وملكوا بعض السور فردهم عنه همام وبنو كنانة. وتفرق العسكر إلى الحوف فقاتل العرب هؤلاء، وقد انهزموا من الفرنج، فقتلوا كل من ظفروا به. وعاد العسكر وقد قتل منهم العرب عدة، ورجع الفرنج إلى بلاد الساحل بمن أسروه من المسلمين وفيهم القطورى من أكابر الأمراء.

---

(١) فَاقُوسُ: بالقاف، وآخره سين مهملة، يجوز أن يكون من قولهم: فقَسَ الرجلُ إذا مات، أو من تفقّسَ الفخّ على العُصفور إذا انقلب على عنقه، وفاقوس: اسم مدينة فى حوف مصر الشرقى، من مصر إلى مشتول ثمانية عشر ميلاً ومن مشتول إلى سفط طرابية ثمانية عشر ميلاً ومنها إلى مدينة فاقوس ثمانية عشر ميلاً، وهى فى آخر ديار مصر من جهة الشام فى الحوف الأقصى. وهى بلدة من أعمال الشرقية. معجم البلدان (فاقوس).

Marfat.com

فلما صار همام بالقاهرة صار كأنه مشارك لأخيه فى الوزارة، كل منهما يوقع ويقطع، ولم يظفر ضرغام من المال بكبير شيءٍ فإنه نهب.

وفيها ولى الوزير ضرغام الأمير مرتفع الخلواص الإسكندرية برجاء إبعاده عنه، فلما صار إليها ظفر بقوم رتبهم ضرغام لقتاله، فتأكدت الوحشة بينهما، وجمع لمحاربة ضرغام وخرج من الإسكندرية فكتم ذلك.

وفيها قدم شاور دمشق، فى ذى القعدة، وترامى على نور الدين، فبعث الوزير ضرغام إليه بعلم الملك ابن النحاس بأن يقبض على شاور، فأجاب فى الظاهر وأضمر غير ذلك.

وفيها قتل ضرغام عدة من الأمراء فى دعوة جمعهم فيها، وأعد لهم من خرج على الجميع وقتلهم فى داره.

وكان قاع النيل خمس أذرع وثلاث عشرة إصبعًا، وبلغ أربع عشرة ذراعًا وثمانى أصابع.

سنة تسع وخمسين وخمسمائة

فيها وصل رسل الفرنج فى طلب مال الهدنة فماطلهم به ضرغام ودافعهم حتى شغل عنهم بقدوم شاور.

وفى ثامن عشر ربيع الأول: قبض ضرغام على صبح بن شاهنشاه عين الزمان وأسد الغاوى وعلى بن الزبد فى عدة تبلغ نحو السبعين من الأمراء سوى أتباعهم، وذلك أنه بلغه عنهم أنهم قد حسدوه واحتقروه وكاتبوا شاورًا ووعدوه القيام معه. ثم أخرجهم ليلا وضرب أعناقهم، فاختلت الدولة بقتل رجالها وذهاب فرسانها.

وفيها وجه ضرغام بأخيه ناصر الدين همام على طائفة من العسكر لقتال الأمير مرتفع بن مجلى المعروف بالخلواص، متولى الإسكندرية، وقد جمع وسار، فعندما بلغ من معه من العربان قتل الأمراء البرقية فتروا عن القيام معه وطمعوا فيه، ووثب به قوم من بنى سنبس وقبضوا عليه، وأتوا به إلى همام، فقدم به إلى القاهرة، فضرب ضرغام عنقه يوم الجمعة ثامن ربيع الآخر وصلبه على باب زويلة، فنفرت القلوب من ضرغام.

وكان شاور قد وصل فى ثالث عشرى ذى القعدة من السنة الماضية إلى دمشق متراميًا على السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى، مستجيرًا به على ضرغام، فأكرم مثواه وأحسن إليه، فتحدث مع السلطان فى أن يرسل معه العساكر إلى مصر ليعود إلى منصبه ويكون لنور الدين ثلث دخل البلاد بعد إقطاعات العساكر،

ويكون معه من أمراء الشام من يقيم معه فى مصر، ويتصرف هو بأوامر نور الدين واختياره فبقى نور الدين يقدم إلى هذا الغرض رجلا ويؤخر أخرى، فتارة يقصد رعاية شاور لكونه التجأ إليه وكون ما قاله زيادة فى ملكه وتقوية له على الفرنج، وتارة يخشى خطر الطريق وكون الفرنج فيه، ويخاف من شاور أنه إذا استقرت قدمه فى مصر خاس فى قوله ويخلف بما وعد. ثم قوى عزمه على إرسال الجيوش، فتقدم بتجهيزها وإزاحة عللها.

واتفق أن الواعظ زين الدين بن نجا الأنصارى سمع بسعة أرزاق مصر فقدم إليها فى وزارة الصالح ابن رزيك فأقبل عليه وحصل له من إنعامه ومما أخذه له من العاضد فى ثلاث سنين ما يناهز عشرين ألف دينار، وسوغه عدة دور بتوقيع. فسمع بالزاهد أبى عمرو بن مرزوق يتحدث الناس عنه بأنه مهما قاله لهم وقع، وأنه يركب كل سنة فى نصف شعبان حمارًا له ويأتى معه جماعة إلى ذيل الجبل ويودعونه ويمضون، فيطلع أبو عمرو إلى الجبل، ويلقاه الناس فى الليلة الثانية ويجتمعون كاجتماعهم للعيد، ويركب حماره، والناس تحته، وينتظر، وينزل بعد صلاة المغرب إلى مسجده بقصد زيارته وقد تجمع الناس فى الأسطحة والدكاكين والطرقات، والشيخ يعمل الختمات. فوصل إليه وأقام حتى انفض الناس، فخلا به وتعرَّف إليه، فكان مما قال له: أتعرف بالشام أحدًا يقال له شيركوه. فقال: نعم، أمير من أمراء نور الدين. فقال: هذا يأتى إلى هذه البلاد ويملكها، وكل ما تراه من هذه الدولة يزول حتى لا يبقى له أثر عن قريب. وانصرف ابن نجا عن الشيخ أبى عمرو وقد تعجب من قوله.

فلما قضى أربه من القاهرة وعاد إلى دمشق اجتمع بالملك العادل نور الدين وحكى له قول الشيخ أبى عمرو، فقال له: لا تخبر أحدًا بذلك. ومضى اليوم وما بعده، إلى أن قدم شاور على السلطان نور الدين وقوى عزمه على تجهيز العساكر معه؛ فوقع اختيار السلطان على الأمير أسد الدين شيركوه بن شاذى بن مروان(١)، أحد أمرائه، فاستدعاه من حلب فوصل إلى دمشق مستهل رجب منها، وأمره بالمسير إلى مصر مع العساكر صحبة شاور، فامتنع وقال: لا، أمشى بألف فارس، إلى إقليم فيه عشرة آلاف فارس ومائة شينى فيها عشرة آلاف مقاتل وعندهم أربعون ألف عبد لخمس خلفاء، وهم مستوطنون فى أوطانهم قريبة منهم خزائنهم، ونأتى نحن من تعب السفر بهذه العدة

(١) شيركوه بن شاذى بن مروان، أبو الحارث أسد الدين، الملقب بالملك المنصور: أول من ولى مصر من الأمراء الأيوبيين، وهو أخو نجم الدين أيوب، وعم السلطان صلاح الدين. كان من كبار القواد فى جيش نور الدين محمود بن زنكى بدمشق، وأرسله نور الدين على رأس جيش إلى مصر. انظر: ابن تغرى بردى ٢٣-٢٤، وابن خلكان، ٢٢٧/١، وابن خلدون ٢٨٢/٥، وأعلام النبلاء ٢٥٨/٤، والأعلام ١٨٣/٣.

القليلة. فتركه وأرسل إلى ابن نجا، فلما جاء قال له: حديث الرجل الزاهد الذى بمصر أخبرت به أحدًا؟ فقال: معاذ الله، والله ما سمعه منى أحد سوى السلطان. فقال: امض إلى أسد الدين شيركوه، واحكِ له الخبر. فمضى إلى شيركوه وقص عليه الحديث بنصه، فطابت نفسه للسفر.

وسار العسكر وصحبته شاور يوم الاثنين خامس عشر جمادى الأولى، وقد أقر نور الدين شيركوه أن يعيد شاور إلى منصبه وينتقم له ممن ثار عليه. وخرج نور الدين إلى أطراف بلاد الفرنج مما يلى دمشق بعساكر ليمنع الفرنج من التعرض لأسد الدين، فكان قصارى أمر الفرنج أن يمتنعوا عن نور الدين ويحفظوا بلادهم.

وأخذ شيركوه فى سيره إلى مصر على شرقى الشوبك حتى نزل أيلة، وسار منها إلى السويس، فلم يدر ضرغام، وقد وصل إليه رسل الفرنج فى طلب مال الهدنة المقرر لهم فى كل سنة على أهل مصر وهو ثلاثة وثلاثون ألف دينار وهو يدافعهم ويماطلهم، إلا بطيور البطائق قد سقطت من عند أخيه الأمير حسام الدين، متولى بلبيس، فى يوم الأحد خامس عشرى جمادى الأولى، يخبر فيها بوصول شاور وأسد الدين شيركوه ومعهما من الأتراك خلق كثير؛ فانزعج وتأهب لتسيير العسكر. وأصبح الناس يوم الاثنين السادس والعشرين من جمادى الأولى وقد شاع ذلك بينهم، فخافوا على أنفسهم وأموالهم وانتقلوا من مكان إلى مكان على عادتهم وجمعوا عندهم الأقوات والماء.

وخرج الأمير ناصر المسلمين همام بالعساكر أول يوم من جمادى الآخرة، وهم نحو ستة آلاف فارس بالخيول المسرجة والدروع الثمينة والسلاح العجيب، وقد أعجبوا بأنفسهم واطمأنوا بأنهم ظافرون. فوصلوا إلى بلبيس يوم الأحد ثانيه، فوافاهم شاور بالعسكر الشامى يوم الاثنين، فباتوا ليلة الثلاثاء وأصبحوا وقد توهم منهم أسد الدين شيركوه وقال لشاور: يا هذا لقد غررتنا وقلت: إنه ليس بمصر عساكر حتى جئنا بهذه الشرذمة. فقال: لا يهولنك ما تشاهد من هذه الجموع فأكثرها حاكة وفلاحون يجمعهم الطبل وتفرقهم العصا؛ فما ظنك بهم إذا حمى الوطيس وكلبت الحرب. وأما الأمراء فإن كتبهم وعهودهم معى، وسترى إذا التقينا، لكنى أريد منك أن تأمر العساكر بالاستعداد.

فلما ترتبوا نهاهم عن القتال، فتحرك المصريون وتأهبوا وأقاموا حتى حمى النهار، فسخن عليهم الحديد ولم يروا أحدًا يسير إليهم فنزلوا عن خيولهم وأقاموا الخيم، وألقى بعضهم السلاح. فلما عاين ذلك شاور أمر بالحملة عليهم، فثار المصريون وحمل ناصر المسلمين همام والأمير فارس المسلمين على العسكر الشامى، فجرح همام والتفت فلم

Marfat.com

ير أحدًا من عسكره، فكان أشجعهم من يصير على ظهر فرسه. وانهزموا بأجمعهم إلى بلبيس، وغنم العسكر الشامى جميع ما كان معهم، فقووا به، وتبعوهم وأسروا منهم جماعة الأمراء وغيرهم، ثم منوا عليهم وسيروهم فى جمعهم.

ولحق الأمير همام بالقاهرة سحر يوم الأربعاء خامسه وهو مجروح، واختفى الأمير حسام فى مدينة بلبيس فدل عليه بعض الكنانية فأسر وقيد.

وسار العسكر فوصلوا إلى القاهرة بكرة يوم الخميس سادسه، فنزلوا عند التاج بظاهر القاهرة، وانتشر العسكر فى البلاد يريدون الأكل والعلف.

وكان ضرغام قد كاتب أهل الأعمال فوصلوا إليه لخوفهم من الترك، فضمهم إليه ومعهم الريحانية والجيوشية وجعلهم فى داخل القاهرة، فأقام شاور بمن معه على التاج حتى استراحت خيولهم. ثم إنه استحلف شيركوه ومن معه أنهم لا يغدرون به ولا يسلمونه، ولا ينهزمون إلا عن غلبة. ومع هذا فإن طوائف من العربان كانت تطارد عسكر ضرغام بأرض الطبالة، وخرج أهل منية السيرج فقتلوا من الترك جماعة، فمالوا عليهم وانتهبوا المنية وأذاقوا أهلها نكالاً شديدا. وأقام شاور بمن معه فى ناحية الخرقانية وشبرا دمنهور، ثم سار من ناحية المقس يريد القاهرة، فخرج إليه عسكر ضرغام وحملوا عليه، فخاف من كان معه من الأمراء الذين كانوا مع همام أخى ضرغام ولحقوا بالقاهرة فانهزم هزيمة قبيحة. فسر بذلك ضرغام، وأحضر قاضى القضاة وأمره بحمل ما فى مودع الحكم من مال الأيتام، فحملها إليه.

وكان شاور لما انهزم سار إلى بركة الحبش وصار إلى الرصد فملك ما هنالك، وأخذ مدينة مصر وأقام بها أيامًا، ولم يبق مع شاور وشيركوه من الأمراء الذين كانوا مع همام سوى شمس الخلافة محمد وأولاد سيف الملك الجمل وابن ناصر الدولة وأولاد حسن، فقيد شيركوه ابن شمس الخلافة دون الناس كلهم.

وكره الناس من ضرغام أخذه أموال الأيتام مع ما سبق منه من قتل الأمراء وغيرهم، وعلموا عجزه عن شاور.

وكان شاور يركب كل يوم فى مصر ويؤمن أهلها ويمنع الأتراك من التعرض إليهم، فمال الناس إليه. وبلغهم عن ضرغام أنه يتوعدهم إذا ظفر بشاور أنه يحرق مصر على أهلها من أجل أنهم أمكنوا شاورًا من دخول البلد وباعوا عليه وعلى من معه. فتحول شاور عن مصر ونزل اللوق، وطارد خيل ضرغام وقد خلت المنصورة والهلالية وثبت أهل اليانسية فقاتل الناس قتالاً خفيفًا. وصار شاور وشيركوه إلى باب سعادة وباب القنطرة من أبواب القاهرة، وطرحوا النار فى اللؤلؤة وما حولها من الدور. وكانت

Marfat.com

وقعة عظيمة بين الفريقين قتل فيها من العسكرين خلق كثير.

فلما كان الليل: اجتمع مقدمو الريحانية وقد فنى منهم كثير، وأرسلوا إلى شاور يطلبون الأمان - وكان قبل ذلك يبعث إليهم ويستميلهم - فأمنهم.

ولما رأى الخليفة العاضد انحلال أمر ضرغام بعث يأمر الرماة بالكف عن الرمى، فخرج الرجال إلى شاور فى الصباح، فسرَّ بهم. وفترت همة أهل القاهرة، وأعمل كل منهم الحيلة فى الخروج، وخرج ضرغام ومعه جماعة إلى خارج القاهرة، وجعلوا يترددون من باب إلى باب، وفيهم ابن ملهم وابن فرج الله وصارم بن أبى الخليل وجماعة مذكورون، فكانوا يطاردون من طاردهم. وأمر ضرغام بضرب البوقات والطبل على الأسوار ليجتمع الناس، فلم يخرج إليه أحد وانفل الناس عنه. فعاد إلى القاهرة وصار إلى باب الرحبة من أبواب النصر ولم يبق معه سوى خمسمائة فارس، فوقف وطلب الخليفة أن يشرف عليهم من الطاق. فبلغ ذلك شاورًا فسرح فى الحال ابنه سليمان الطارى إلى باب القنطرة ليملكه ويقف.

فلما طال وقوف ضرغام نادى: أريد أمير المؤمنين يكلمنى لأسأله عما أفعل. فلم يجبه أحد. فصاح: يا مولانا كلمنى، يا مولانا، أرنى وجهك الكريم، يا مولانا، بحرمة أجدادك على الله. وهو يبكى فلم يجبه أحد. وقويت الشمس فصار إلى الظل حتى قرب الظهر، فأمر بعض غلمانه أن يركض فى قصبة القاهرة، ويقول بصوت عال: ما كانت إلا مكيدة على الرجال، قد قتل الترك أصحاب شاور الريحانية. فما هو إلا أن سمع الناس ذلك - وكانوا قد ساروا إلى بيوتهم - فأسرعوا إلى خيولهم، وعادوا من كل جانب مثل السيل، فرأوا ضرغاما على تلك الهيئة، والطاق لم يفتح له، والخليفة لم يكلمه، فسقط فى أيديهم، وقالوا: ارجعوا فهى كناية، والغلبة لشاور. ورجعوا من حيث أتوا.

فوقف ضرغام إلى العصر، ولم يبق غير ثلاثين فارسًا، ووردت إليه رقعة فيها: خذ لنفسك وانج بها. فأيس من الظفر.

وبعث شاور إلى الخليفة العاضد يستأذنه فى الدخول إلى القاهرة، فأذن له. فبعث شاور يأمر ابنه أن يدخل القاهرة، وهو عند القنطرة، فدخل وضربت أبواقه، وكانت من أبواق الترك التى لم تعهد بمصر، فما هو إلا أن علم به ضرغام، فمر على وجهه إلى باب زويلة، فتخطف الناس من معه، وعطعطوا عليه ولعنوه. فأدركه بعض الشاميين فى غلمان شاور وطعنه فأرْدَاهُ، ونزل إليه واحتز رأسه بالقرب من مشهد السيدة نفيسة، وذلك قريبًا من الجسر الأعظم، فى يوم الجمعة الثامن والعشرين من جمادى الآخرة.

وفر ملهم إلى مسجد تبر، فقتل هناك وترك مطروحًا، وأتى برأسه إلى عند شاور. وقتل ناصر الدين أخو ضرغام عند بركة الفيل، وقتل فارس المسلمين. وبقى جسد ضرغام ملقى يومين ثم حمل إلى القرافة فدفن بها.

وكان من الاتفاق العجيب أن ابن شاور قُتِلَ فى يوم الجمعة حادى عشرى رمضان سنة ثمان وخمسين، فقتل ضرغام يوم الجمعة ثامن عشرى جمادى الآخرة سنة تسع؛ وقتل مع ابن شاور حسان ابن عمته فقتل مع ضرغام[...][1] وكانت وزارة شاور الأولى تسعة أشهر، ووزارة ضرغام بعده تسعة أشهر.

وكان من أعيان الأمراء وأحلى الفرسان، يجيد اللعب بالكرة والرمى بالسهام، ويكتب كتابة ابن مقلة، وينظم الموشحات الجيدة، كريما عاقلا، يحب العلماء والأدباء ويقربهم، إلا أنه سريع الاستمالة، يميل مع من يستميله، ولا يكذب خبرًا عن عدو بل يعاقب سريعًا.

ولما جيء برأسه إلى شاور رفعت على قناة، وطيف بها، فقال الفقيه عمارة:

أرى حنك الوزارة صار سيفًا يحد بحده صيد الرقاب
كأنك رائد البلوى وإلا بشير بالمنية والمصاب

فكان كما قال عمارة.

وأقام شاور وشيركوه بعد قتل ضرغام فى مخيمهما بناحية المقس يومى السبت والأحد.

فلما كان يوم الاثنين: طلع الوزارة فى ثالث شهر رجب، وخرج الكامل بن شاور من دار ملهم، أخى ضرغام، وكان معتقلاً بها وخرج معه القاضى الفاضل، وكان معه فى الاعتقال، وقد تأكدت بينهما مودة، فأدخله إلى أبيه ومدحه عنده وأثنى عليه، فسماه حينئذ بالقاضى الفاضل، وكان قبل ذلك ينعت بالقاضى الأسعد.

وفرح العاضد بدخول شاور. ولما خلع عليه سار من القصر إلى باب زويلة، وخرج منه إلى باب القنطرة، فنزل بدار الوزارة. وركب شيركوه إلى مصر ورآها، وقصد الفقهاء مثل الكيزانى وابن حطية، واجتمع بالشيخ أبى عمرو بن مرزوق وأخبره كما أخبر ابن نجا أنه يملك الديار المصرية، ويزيل هذه الدولة، لكنه لا يملكها إلا بعد أن يرجع إلى الشام، ويأتيها ثانيا، ثم يرجع ويعود إليها ثالث مرة، وحينئذ يملكها. وسأله عن بيت المقدس، فقال: لا يكون فتحه على يدك، وإنما يكون فتحه على يد بعض من

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

فى خدمتك من أقاربك. وهكذا جرى، فإنه شيركوه لـم يملـك مصر إلا فـى مجيئـه إلى القاهرة المرة الثالثة، ولم يفتح بيت المقدس إلا على يد صـلاح الديـن يوسـف ابـن أخـى شيركوه.

وفى رابع رجب: قرئ سجل شاور بالوزارة.

واستمر شيركوه فى مخيمه، ويخرج إليه فى كل يوم عشرون طبقا من سـائر الأطعمـة ومائتا قنطار خبزًا ومائتا إردب شعيرًا. وأعد له العاضد ملبوسًا وسريرًا مرصعًا بـالجوهر له قيمة عظيمة كان الآمر قد عمله، وأمـره بـالدخول ليخلـع عليـه، فـامتنع وأرسـل إلى شاور يقول: «قد طال مقامنا فى الخيم وضجر العسكر من الحر والغبار»؛ ويسـتنجز منـه ما وعد به السلطان نور الدين. فأرسل إليه ثلاثين ألف دينار، وقال: ترحل الآن فى أمن الله وحفظه. فبعث يقول له: إن الملك العادل نور الدين أوصانى عند انفصـالى عنـه «إذا ملك شاور تكون مقيمًا عنده، ويكـون لـك ثلـث مغـل البـلاد، والثلـث الآخـر لشـاور والعسكر، والثلث الثالث لصاحب القصر يصرفه فى مصالحه». فأنكر شاور ذلك وقال: إنما طلبت نجدة وإذا انقضى شغلى عادوا، وقد سـيرت إليكـم نفقـة فخذوهـا وانصرفـوا وأنا أرضى نور الديـن. فقـال شـيركوه: لا يمكننـى مخالفـة نـور الديـن ولا أنصـرف إلا بإمضاء أمره.

فأخذ شاور عند ذلك يستعد لمحاربة شيركوه، واستعد أيضًا شـيركوه، وبعـث بـابن أخيه صلاح الدين بطائفة من الجيش يجمع الغلال والأكبـان، وغـير ذلـك ببلبيـس. فغلـق شاور أبواب القاهرة، وتغلب صلاح الدين على الخـوف، وبـث خيلـه، وحـاز الأمـوال والغلال. وتقدم إلى جزيرة قويسنا، فخرج ثلاثة من الأستاذين بأمر الخليفـة إلى اسـتنفار الناس من الصعيد، وثار ابن شاس[1]، والى جزيـرة قويسـنا، علـى التـرك وقـاتلهم حتـى هزمهم وغرق منهم جماعة. فعاد صلاح الدين إلى عمـه شـيركوه، فتجهـز ونـزل بحـرى التاج.

وأخرج شاور خيمه وضربها فى أرض الطبالة.

فلما كان يوم الأربعاء الثالث والعشرون من شـعبان: التقـى شـاور وشـيركوه فـى كوم الريش، فانكسر شاور إلى باب القنطرة ونهبت خيمه، وأسر أخواه صبـح وجوهـر

---

(١) عبد الله بن محمد بن نجم بن شاس بن نزار، الجذامى السعدى المصرى، جلال الديـن، أبـو محمـد شيخ المالكية فى عصره بمصر. من أهل دمياط مات فيها مجاهدًا، والإفرنـج محاصرون لهـا. ومـن كتبه الجواهر الثمينة فى فقه المالكيـة. انظـر: خطـط مبـارك ٥٣/١١ وشـذرات الذهـب ٦٩/٥ وشجرة النور ١٦٥، والأعلام ١٢٤/٤.

Marfat.com

المأمونى، ودخل القاهرة فرمى بحجر من باب القنطرة فدخل الكافورى مغشيا عليه.

وفى ذلك اليوم: أحرق صف الخليج، وكاد شيركوه أن يدخل القاهرة، وبقى الحصار إلى يوم الخميس تاسع رمضان.

وورد الخبر إلى شاور بأن الفرنج قاربوا مدينة بلبيس يوم السبت حادى عشر رمضان فأقام عليها وشيركوه بها.

ولما كان فى خامس عشر ذى الحجة: تقرر الحال مع شيركوه على أن يدفع إليه شاور خمسين ألف دينار ورهائن على صُبح، أخى شاور، وعاد إلى دمشق. ورجع الفرنج.

وقدم شاور إلى القاهرة فى سادس عشر ذى الحجة، فكان مقامه على بلبيس نيفًا وتسعين يومًا.

وأخرج شاور العساكر والحشود مما يلى البستان الكبير خارج باب الفتوح، وزحف شاور، فخرج إليه شيركوه وحاربه، فخرج أكثر عسكر شاور وغورت أعينهم، ووقعت نشابة فى عين الطارى، ابن شاور، اليمنى، فبقى معه النصل مدة إلى أن قلعت وخرج منها بكلفة. فانهزم شاور ودخل القاهرة وأغلق أبوابها، وحاصره شيركوه طوال النهار.

فلما كان الليل: أحرق من باب سعادة إلى ناحية اللؤلؤة، كما فعل أولا، واشتد الأمر، وصار كل من يخرج من عسكر مصر يقتل. فركب شاور وخرج ثم عاد وقد ازدحم الناس على السور لتنظر إلى الحرب، فسقطت شرفة من شرفات السور على ابن شاور وغشى عليه. ودخلوا به إلى الكافورى وقد أيس منه، فجاء رئيس الأطباء وعصر فى أذنه حصرمًا فأفاق. وأتاه الشراب من عند الخليفة فشربه وركب إلى داره وقد ورم وجهه.

واشتد قتال شيركوه على باب القنطرة، وأحرق وجه الخليج جميعه، واحترقت الدور التى بجانبه من حارة زويلة. وانضم إليه بنو كنانة وكثير من عسكر المصريين. وبعث طائفة إلى حارة الريحانية وفتحوا ثغرة، فكان هناك قتال شديد. فجلس العاضد على باب الذهب وأمر بالخروج، فتسارع الصبيان وغيرهم إلى الثغرة، وقاتلوا الترك والكنانية حتى أوصلوهم إلى منازلهم، وسدوا الثغرة.

وكان ضرغام عند قدوم شاور وشيركوه قد أرسل إلى الفرنج يستنجد بهم ويعدهم بزيادة القطيعة التى لهم، فامتنع ملكهم، وقال: لا يأتى إلا بأمر الخليفة وأما من الوزراء

Marfat.com

فلا يقبل. فلما تحقق شاور أنه لا قبل له بشيركوه كتب إلى مُرى ملك الفرنج بالساحل يستنجده ويخوفه من تمكن عسكر نور الدين من مصر، ويقول له: متى استقروا فى البلاد قلعوك كما يريدون أن يفعلوا. وضمن له مالاً وعلفًا، ويقال إنه جعل له عن كل مرحلة يسيرها ألف دينار، وسير إليه بذلك مع ظهير الدين بدران. فسر الفرنج بذلك وطمعوا فى ملك مصر.

وخرج مرى من عسقلان بجموعه فقبض عن مسيره سبعة وعشرين ألف دينار.

فلما بلغ ذلك شيركوه ارتحل عن القاهرة إلى بلبيس وبها ما أعد له ابن أخيه من الغلال وغيرها، وانضم معه الكنانية، فخرج شاور فى عسكر مصر، فاجتمع بالفرنج وخيم على بلبيس وأحاط بها، فكانوا يغادون القتال ويراوحونه ثلاثة أشهر. وانقطعت الأخبار عن نور الدين، وبلغه سير الفرنج إلى مصر.

وسار ملك القدس بجمع كثير ممن وصل لزيارة القدس مستعينًا بهم. فبينا الفرنج فى محاصرة شيركوه إذ ورد عليهم أخذ نور الدين لحارم ومسيره إلى بانياس، فسقط فى أيديهم وعولوا على الرجوع إلى بلادهم. فراسلوا شيركوه فى طلب الصلح وعوده إلى الشام، وتسليم ما بيده إلى المصريين. فأجاب إلى ذلك. وندب شاور الأمير شمس الخلافة محمد بن مختار إلى شيركوه، فقرر معه الصلح على ثلاثين ألفًا أخرى فحملها إليه. وكانت الأقوات قد قلت عنده، وقتل من أصحابه جماعة. وأبطأت نجدة نور الدين فلم يأته منه أحد. وخرج من بلبيس أول ذى الحجة.

وممن قتل معه من أصحابه على بلبيس سيف الدين محمد بن برجوان، صاحب صرخد[1]، بسهم أصابه، فأنشد وهو يجود بنفسه:

يا مصر ما كنت فى بالى ولا خلدى ولا خطرت بأوهامى وأفكارى
لكن إذا قالت الأقدار كان لها قوى تؤلف بين الماء والنار

وقتل من الكنانية عالم عظيم وحصل للفرنج من شاور أموال جمة، فإنه كان يعطيهم عن كل يوم ألف دينار.

وأقام شيركوه بظاهر بلبيس ثلاثة أيام وسار إلى دمشق، فدخلها يوم الأربعاء ثالث عشرى ذى الحجة.

فيها عزل شاور أبا القاسم هبة الله بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن أبى

---

(١) صرخد: بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق. وهى قلعة حصينة. انظر: معجم البلدان ٤٠١/٣.

كامل[١]، المعروف بالقاضى المفضل ضياء الدين بن كامل الصورى، عن قضاء القضاة، وولى مكانه القاضى الأعز أبا محمد الحسن بن على بن سلامة، المعروف بالعوريس.

سنة ستين وخمسمائة

فيها ركب البرنس أرناط، صاحب الكرك[٢] والشوبك، البحر إلى عسقلان وخرج منها إلى الكرك، وجمع عسكره وأقام ينتظر شيركوه، فعلم بذلك شيركوه، فمر من خلف الموضع الذى فيه أرناط، فلم يعلم به ونجا وأمن منه. ووصل إلى دمشق فضعف أمر عسكر مصر عند نور الدين وهون عليه أمرهم، وحرضه على قصدهم، وأكثر من التحدث فى أمر مصر.

وفيها عاد شاور إلى القاهرة، وخرج يحيى بن الخياط على شاور وحشد ونزل الجيزة يوم الأربعاء بعد أن حاصر الكامل بن شاور فى طنبدى، ورحل عن الجيزة، فكسروا يوم السبت سابع عشر صفر. وقبض شاور على [....][٣] ابن فحل [....][٤] ابن أبى كامل وقتلا ليلة الاثنين تاسع عشرة. وتتبع من كان يكاتب شيركوه أو يواده؛ وتشدد فى طلب أصحاب ضرغام. وكان قد استفسد جماعة من أصحاب شيركوه، منهم خشترين الكردى فأقطعه شطنوف.

وفيها فر الشريف [....][٥] المحنك من شاور ولحق بنور الدين، وذلك أنه كان قد بعثه ضرغام إلى نور الدين فى صرف رأيه عن نجدة شاور، فوجد نور الدين مائلا معه لأمور، منها: أنه تقرب إليه بذم مذهب الفاطميين، ووعده ملك مصر، وعرض له الأموال الكثيرة، فبالغ الشريف فى الحط على شاور مع نور الدين، فأنفذه إليه، فلما

---

(١) هبة الله بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن أبى كامل، أبو القاسم: داعى الدعاة بمصر للفاطميين العبيديين وقاضى القضاة فى أواخر دولتهم كان يلقب بفخر الأمناء، له علم بالأدب وشعر. قال ابن قاضى شهبة: من كبار علماء الدولة المصرية كان قاضى الخليفة العاضد، ولما زال ملكهم قبض عليه وقتل مصلوبا بمصر. وهو أحد الثمانية الذين سعوا فى إعادة دولة العبيديين. انظر: الروضتين ١/٢٢٤ وشذرات الذهب ٤/٢٣٥ والأعلام ٨/٧٣.

(٢) الكرك: حصن مشهور بناحية الشام ومعقل مشهور، وهو أعظم حصون النصارى، معترض فى طريق الحجاز، وهو من القدس على مسافة يوم أو أقل، وأهله يقطعون على المسلمين الطريق فى البر، وله نظر عظيم الاتساع متصل العمارة ينتهى إلى أربعمائة قرية. انظر: الروض المعطار ٢٠٢، ٢٠٣، ٤٩٣، وابن جبير ٢٨٧، ٢٨٨، ومعجم البلدان (الكرك).

(٣) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٤) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٥) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

Marfat.com

اجتمعا عتبه شاور على ما كان منه، وقال له: أنت تعلم أيها الشريف أن سبب قيامى على آل رزيك إنما كان لأجل ضرغام وإخوته من الأمراء، واتبعت غرضهم فيما نقموه على ابن الصالح، ولما حصلت بالقاهرة رفعت من أقدارهم، وزدت فى أرزاقهم، وبلغتهم أمانيهم، فلم يكن لهم إلا إزالتى ثم قتلهم أولادى، ونهب أموالى، وتشتت جماعتى، وما زال السيف فى خاصتى وغلمانى، فهل تعلم لى دينًا إليهم؟ فقال له الشريف: أنت تعلم أيها الأمير أن ابنك طيا كان قد تعدى طوره وتجاوز حده حتى تعاظم عليك، ونفذ أمره دون أمرك، وأنه بعد قتل رزيك بن الصالح أطلق لسانه فى الأمراء ومد يده إلى أموالهم ونسائهم، وبهتهم فى المجالس، وصاح عليهم فى المواكب حتى حقدوا عليه، وشكوه إليك فلم تشكهم، وعامل أصحابك وغلمانك الناس بكل قبيح فمالت عنك قلوب الخاصة والعامة. فسكت عنه، وما زال فى نفسه منه حتى تمكن من البلاد فأخذ يتطلبه، ففر منه [..... ....

.....

.....

.....][1]

سنة إحدى وستين وخمسمائة

فى أول المحرم: مات الأمير هوشات.

وفى ثالثه: مات القاضى الجليس عبد العزيز بن الحبّاب [..... ....

.....

.....

.....][2]

سنة اثنتين وستين وخمسمائة

فيها جهز الملك العادل نور الدين الأمير أسد الدين شيركوه من دمشق لقصد ديار مصر فى جيش قوى، ومعه جماعة من الأمراء، وكان كارهًا لمسير شيركوه لكثرة ما رأى من حرصه على السفر. فرحل يوم الجمعة العشرين من شهر ربيع الأول، وشيعه السلطان إلى أطراف البلاد خوفًا من مضرة الفرنج، فسار على ميمنة بلاد الفرنج وبعث مرى ملك الفرنج إلى شاور يخبره بمسير شيركوه بالعسكر إلى مصر، فأجابه يلتمس منه نجدته، وأن المقرر من المال يحمل إليه على ما كان يحمل فى السنة الماضية.

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

Marfat.com

فسار مرى بعساكره، وقد طمع فى البلاد، على الساحل حتى نزل بلبيس، فخرج إليه شاور، وأقاموا فى انتظار شيركوه. فبلغه ذلك، فنكب عن الطريق، وهبط فى يوم السبت خامس ربيع الآخر من وادى الغزلان إلى أسكر، وخرج إلى إطفيح قبلى مصر فشن الغارة هناك.

واتصل الخبر بشاور، فرحل هو والفرنج يريدونه. ونزل شاور والفرنج بركة الحبش فى يوم الأحد سادس جمادى الآخرة، وتوجه فى يوم الثلاثاء منه إلى دير الجميزة، فاندفع سائرًا فى بلاد الصعيد حتى بلغ شرونة، وعدى منها إلى البر الغربى. وأدرك شاور ساقته فأوقع بهم، وعدى بعساكره وجموع الفرنج. ونزل شيركوه بالجيزة فى يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة تجاه مدينة مصر وأقام بها بضعًا وخمسين يومًا. وبعث الشريف أبا عبد الله الملقب بالرضى[1]، ابن الشريف المحنك إلى الطلحيين والقرشيين يستفزهم ويدعوهم إليه، وكان قد بلغه أن شاورًا أساء إليهم، فأتوه مسرعين.

وبعث إلى شاور بأنى أحلف لك أنى لا أقيم ببلاد مصر ولا يؤذيك أحد من أصحابى، وأكون أنا وأنت على الفرنج وننتهز فيهم فرصة قد أمكنت وما أظن أن يتفق للإسلام مثلها كثيرًا. فأبى شاور قبول ذلك. والتجأ شيركوه إلى دلجة، ونزل شاور فى اللوق والمقس ظاهر القاهرة، وأنشأ الجسر بين الجيزة والجزيرة، وشحن المراكب والرجال لتسير من خلف عسكر شيركوه.

وكتب شيركوه إلى الإسكندرية يستنجد بها على الفرنج وشاور، فقاموا معه وأمروا عليهم رجلاً يعرف بنجم الدين بن مصال، من ولد الوزير، فكتبوا إليه أنهم يمدونه بالسلاح والحديد، وجهزوا إليه خزانة من السلاح مع ابن أخت الفقيه ابن عوف. فأتاه الخبر بقرب شاور فلم يثبت، وترك خيامه وأثقاله، وسار سيرًا حثيثًا ونزل قدر ما أطعم دوابه، ورحل من الليل فسار غير بعيد، ثم نادى فى عسكره بالرجوع، فعاد إلى دلجة.

وسار شاور والفرنج فى طلب شيركوه، فنزلوا الأشمونين وتبعوا شيركوه، فأمر

---

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل مسافة صفحة.

(١) محمد بن الحسن بن موسى، أبى الحسن، الرضى العلوى الحسينى الموسوى: أشعر الطالبيين. مولده ووفاته فى بغداد انتهت إليه نقابة الأشراف فى حياة والده وخلع عليه بالسواد، وحدد له التقليد سنة ٤٠٣هـ له ديوان شعر - ط فى مجلدين. انظر: وفيات الأعيان ٢/٢ وتاريخ بغداد ٢٤٩/٢ والمنتظم ٢٧٩/٧ والأعلام ٩٩/٦.

Marfat.com

شيركوه أصحابه بالتعبئة(١). فما طلع ضوء الصباح حتى أشرفت عساكر شاور وجموع الفرنج فى عدد كبير، فقدم شاور طائفة فحملت على أصحاب شيركوه، وانهزم منها عز الدين الجاولى من أصحابه فلم ينزل إلا بالإسكندرية، وتفرق منهم عدد، فولى شيركوه وقد قتل من أصحابه جماعة وقتل من أهل الإسكندرية كثير.

وكان سبب الخلل فى عسكر شيركوه أنه فرق أصحابه فرقتين، فرقة معه وفرقة مع ابن أخيه صلاح الدين يوسف.

ثم إنهم تجمعوا وقت الظهر ووطنوا أنفسهم على الموت، وحملوا على شاور ومن معه فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وأبلى يومئذ صلاح الدين يوسف بلاء حسنا وحمل حملات فرق بها الجموع وبدد شملها. وحمل شاور على عسكر شيركوه فكسر القلب، فتلاحقت الميمنة بمن كان فى القلب، واستمر القتال حتى حال بين الفريقين الليل، فانهزم كثير من الفرنج وقتل منهم كثير، وكاد ملكهم أن يؤخذ، ووقع فى قبضة شيركوه وأصحابه نحو السبعين أسيرًا.

وبات الفريقان وقد تبين الوهن فى الفرنج، فسار شاور بمن معه إلى منية بنى خصيب(٢).

وكانت هذه الواقعة فى موضع يعرف بالبابين، بالقرب من الأشمونين، فى يوم السبت الخامس والعشرين من جمادى الآخرة.

ثم إن شيركوه سار بأصحابه على طريق الفيوم إلى الإسكندرية وانتهب البحيرة، وأخذ عسكره غلالها ومواشيها، فخدمه ابن الزبير، متولى ديوان الإسكندرية، وحمل إليه الأموال وقواه بالسلاح، وأقام متخوفًا من مسير شاور إليه، فترك بالإسكندرية صلاح الدين يوسف وخرج إلى الصعيد وجبى أموال البلاد. فخرج شاور ونزل على الإسكندرية وحاصرها أشد حصار مدة ثلاثة أشهر، ومنع عنها الميرة، فقلت بها الأقوات. هذا وشيركوه فى جباية أموال الصعيد وأخذ غلاله.

ودخل عليه شهر رمضان: فلما أتمه، وأهل شوال بلغه ما نزل بالإسكندرية وأهلها من البلاء وقلة الأقوات، وأنها قد قاربت أن تؤخذ، فسار من قوص ونزل على مصر

---

(١) التعبئة: صالة الاستعداد القصوى للحرب.

(٢) منية بنى خصيب: ذكرت فى الروض المعطار: منية ابن الخصيب: وهى فى الضفة الشرقية من النيل، وهى عامرة كثيرة الأسواق والحمامات وسائر مرافق المدن، وحولها جنات وأرض متصلة العمارات وقصب وأعناب كثيرة ومتنزهات ومبان حسان. انظر: الروض المعطار ٥٤٨، والإدريسى ٤٥، ورحلة ابن جبير ٥٧، وابن بطوطة ٤٨.

Marfat.com

يوم الخميس ثامن شوال. فبلغ شاور أن شيركوه حاصر مصر، فرحل من الإسكندرية، وأرسل شيركوه إلى صلاح الدين يأمره بتقرير الصلح، ورحل عن مصر إلى الشام. فبعث إلى ملك الفرنج يلتمس منه ذلك، فأجابه إليه، وقرر مع شاور أنه يحمل إلى شيركوه جميع ما غرم فى هذه السفرة، ويعطى الفرنج ثلاثين ألف دينار، ويعود كل منهم إلى بلاده. ووقع الحلف بالأيمان المؤكدة على ذلك.

فلما تقرر الصلح أرسل صلاح الدين إلى ملك الفرنج يقول: إن لى أصحابًا منهم القوى ومنهم الضعيف، فأما القوى فإنه يتبعنا فى البر، وأما الضعيف فإنه يسير فى البحر فنريد لهم مراكب. فأنفذ إليه عدة مراكب خرج فيها أصحابه.

وخرج صلاح الدين من الإسكندرية واجتمع بعمه أسد الدين شيركوه. ودخل شاور البلد، وجاءه مشايخ البلد للسلام عليه، ومرى ملك الفرنج جالس معه، فلم ينظر شاور إلى الجماعة ولا أكرمهم، ولا أذن لهم فى الجلوس، لأنهم كانوا قد قاتلوه قتالاً شديدًا، فنقم عليهم ذلك. فقال له مرى: أكرم قُسُسك[1]. فأذن لهم فى الجلوس وعاتبهم على ما فعلوا من القتال وإظهار المخالفة. فسكتوا. وكان فيهم الفقيه شمس الإسلام أبو القاسم مخلوف بن على المالكى، المعروف بابن جاره، شيخ الصاحب صفى الدين عبد الله بن على بن شكر، فقال له: نحن نقاتل كل من جاء تحت الصليب كائنًا من كان. فقال له مرى: وحق دينى، لقد صدقك هذا الشيخ. فسكت شاور وأكرمهم بعد ذلك اليوم.

وفر نجم الدين بن مصال والى الثغر[2] إلى الشام، وقبض شاور على الأشرف بن الحباب قاضى الثغر وعاقبه، وأخذ منه مالاً جزيلاً، ولم يقنع بالرشيد ابن الزين الناظر فولى القاضى الأشرف أبا القاسم عبد الرحمن بن منصور بن نجا النظر عوضه، فبعث شاور وقبض على جميع من كان مع صلاح الدين من أهل مصر، وعلى ابن مصال. فشق ذلك على صلاح الدين، واجتمع بملك الفرنج فى ذلك، فأرسل إلى شاور وما زال به حتى أفرج عنهم. فخافوا من شاور وعزموا على الرحيل إلى الشام، فخرج إليهم شاور بنفسه وجمع وجوههم وطمأنهم، وحلف لهم أنه يضاعف لهم الإحسان ولا يتعرض لهم بسوء. فمنهم من اطمأن وأقام، ومنهم من رحل إلى الشام.

ووصل الذين ساروا من ضعاف أصحاب صلاح الدين فى المراكب إلى عكا، وأحاط بهم الفرنج واعتقلوهم بمعصرة القصب حتى عاد ملك الفرنج فأطلقهم.

---

(١) يقصد - بالطبع - شيوخ المسلمين، ولكنه استخدم مصطلحه.

(٢) مصطلح يطلق على الإسكندرية.

Marfat.com

وتسلم شاور الإسكندرية فى نصف شوال. وسار شيركوه ومن معه وقد استمال شاور منهم جماعة ومعه مرى ملك الفرنج حتى نزل الجيزة وعدى إلى القاهرة من المقس. فأقام مرى أيامًا ورحل عائدًا إلى بلاده، فخرج شاور يودعه إلى بلبيس وعاد إلى القاهرة أول ذى القعدة، فخرج إليه العاضد يتلقاه إلى الطابية، وخلع عليه.

واستقر الأمر بينه وبين الفرنج أن يكون لهم بالقاهرة شحنة(١)؛ وأن تكون أسوارها بيد فرسانهم ليمتنع نور الدين عن إرسال عسكر إليها، وأن يكون لهم من دخل ديار مصر فى كل سنة مائة ألف دينار. قرر لهم شاور ذلك من غير علم العاضد ولا مشاورته، فإنه كان ممنوعًا من التصرف وشاور يستبد بأمور الدولة. فرحل الفرنج إلى بلادهم وتركوا بالقاهرة عدة من مشاهير فرسانهم، ورتبوا بها ابن بارزانى واليًا.

ووصل شيركوه إلى دمشق فى ثامن عشر ذى القعدة وفى نفسه من مصر ما لا ينفصل، لأنه خبر متحصلها، وعرف بلادها واستخف بأهلها.

واستقرت شحنة الفرنج أولا بالقاهرة فى الموضع المعروف اليوم بقصر بيسرى من الخرنشف(٢) وبعث الكامل شجاع بن شاور إلى نور الدين مع بعض الأمراء ينهى محبته وولاءه، ويسأل الدخول فى طاعته، وضمن له عن نفسه أنه يفعل هذا ويجمع الكلمة على طاعته، وبذل له مالاً يحمله إليه كل سنة، فأجابه، وحمل إلى نور الدين مالاً جزيلاً.

وأخذ شاور بعد عوده من الإسكندرية فى الإكثار من سفك الدماء بغير حق، فكان يأمر بضرب الرقاب بين يديه فى قاعة البستان من دار الوزارة ثم تسحب القتلى إلى خارج الدار. واشتد ظلم إخوته وأولاده وغلمانه ومن يلوذ به، وكثر تضرر الناس بهم. فكان من تأمل أحوال الوزراء فإنه يجد الصالح بن رزيك ربى رجال الدولة، وجاء الضرغام فأفناهم، ثم جاء شاور فأتلف أموال مصر وأطمع الغز فى البلاد وجرأ الفرنج عليها حتى كان ما كان مما يأتى ذكره إن شاء الله.

وفيها أحضر القاضى رشيد الدين أبو الحسين أحمد بن القاضى رشيد الدين أبى الحسن على بن إبراهيم بن محمد بن الحسين بن الزبير الأسوانى(٣) وقد فر إلى قريب

(١) الشحنة: يقصد بها حامية عسكرية من الفرنج تترك بالقاهرة للدفاع عن مصر.

(٢) الخرنشف: مكان بين حارة برجوان والبستان الكافورى.

(٣) أحمد بن على بن إبراهيم بن الزبير أبو الحسن، القاضى الرشيد الأسوانى: أديب متفقه عارف بالهندسة والطب والموسيقى والنجوم، طموح للسيادة. مولده بأسوان فى صعيد مصر، وكان أسود اللون غليظ الشفة قصيرًا مبسوط الأنف كخلقة الزنوج. قدم القاهرة بعد مقتل الظافر الفاطمى، وجلوس الفائز، فتقدم عند أمراء مصر ووزرائها. انظر: وفيات الأعيان ١/٥١ وشذرات الذهب ٤/١٩٧ والأعلام ١/١٧٣.أس.

برقة فدخل على حالة سيئة، فأمر به شاور فضربت عنقه، وصلب عند مسجد الزينى على الخليج بالقرب من قبو الكرمانى، فى يوم الأربعاء العشرين من ذى القعدة.

سنة ثلاث وستين وخمسمائة

فيها بعث شاور إلى نور الدين رسالة مع شهاب الدين محمود، خال صلاح الدين يوسف، تتضمن أنه يحمل إليه مالاً فى كل سنة مصانعة ليصرف عنه أسد الدين شيركوه. فأجاب نور الدين إلى ذلك، وأعطى شيركوه مدينة حمص وأعمالها زيادة على ما كان بيده، وذلك فى شعبان، وأمره بترك ذكر مصر. فأرسل شاور إليه كتابًا يشكر صنيعه.

وفيها قتل شاور القاضى الرشيد أبا الحسين أحمد بن على بن إبراهيم بن محمد بن الحسين بن الزبير الغسانى الأسوانى، صاحب كتاب الجنان ورياض الأذهان، وكان من أهل العلم والأدب، وله رسالة أودعها من كل علم مشكلة ومن كل فن أفضله. وسار إلى اليمن رسولاً - وكان أسود - فى أيام الحافظ، وتلقب بعلم المهتدين، فقال فيه شاعر من أهل اليمن من قصيدة بعث بها إلى الحافظ:

بعثت لنا علم المهتدين ولكنه علم أسود

وولى نظر الإسكندرية. فقتله شاور فى المحرم، بسبب أنه داخل شيركوه وصلاح الدين وخدمهما، بعد أن عذبه عذابا شديدًا، ثم ضرب عنقه.

فيها خرج يحيى بن الخياط يريد الوزارة، فبعث إليه شاور عسكرًا هزموه حتى لحق بالفرنج.

وفيها ولى خطابة الجامع العتيق بمصر نتاج الشرف حسن بن أبى الفتوح ناصر بن إسماعيل الحسنى بعد موت أبيه يوم عيد الفطر.

سنة أربع وستين وخمسمائة

فيها تمكن الفرنج من ديار مصر وحكموا فيها حكمًا جائرًا، وركبوا المسلمين بالأذى العظيم وقد تيقنوا أنه لا حامى للبلاد، وتبين لهم ضعف الدولة وانكشفت لهم عورات الناس. فجمع مرى جموعه واستشارهم فى قصد ديار مصر، فقووا عزمه على المسير إليها فأجمع أمره على الرحيل واستدعى وزيره وأمره بإقطاع بلاد مصر لأصحابه، ففرق قراها عليهم بعدما كتب جميع قراها وارتفاع كل ناحية، واستنجد عسكرًا قوى به جنده.

فورد الخبر إلى شاور بمسير الفرنج إلى مصر فى نصف المحرم، فبعث إلى ملك

Marfat.com

الفرنج الأمير ظهير الدين بدران وقيس بن طى بن شاور.

وكان نور الدين بحلب، فأسرع مرى إلى المجىء إلى مصر ظنا أن نور الدين بعيد منه وعساكره متفرقة عنه. فبلغ ذلك نور الدين، فأخذ فى جمع عساكره.

ووصل مرى إلى الداروم. فبلغ شاورًا فارتاع وبعث أميرًا يعرف ببدران لكشف الخبر، فلما اجتمع بمرى خدعه ووعده بعدة من قرى مصر، نحو الثلاث عشرة قرية، وأمره أن يخبر شاور أنهم إنما قصدوا البلد لخدمة. فلما عاد إلى شاور جهز إلى مرى شمس الخلافة محمد بن مختار، فعندما دخل عليه قال له: مرحبًا بشمس الخلافة. فقال: فمرحبًا بالملك الغدار، وإلا ما أقدمك إلينا؟ قال: اتصل بنا أن الفقيه عيسى وصل إليكم ليزوج أختًا للكامل بن شاور بصلاح الدين يوسف ويتزوج الكامل بأخت صلاح الدين، فحسبنا أن هذا عمل علينا. فقال: ما لهذا صحة، ولو فعل لما كان ناقضًا للهدنة. فقال: الصحيح أن قومًا من وراء البحر انتهوا إلينا وغلبوا على رأينا وخرجوا طامعين فى بلادكم، فخفنا من ذلك، فخرجت لتوسط الأمر بينهم وبينكم. فقال له: فكم تريد أن يكون مبلغ القطيعة التى نقوم بها؟ قال: ألفى ألف دينار. فقال: حتى أعود إلى شاور بهذا الخبر وأرجع إليكم بالجواب، فلا تبرحوا من مكانكم. فقال مرى: بل ننزل على بلبيس حتى تعود.

وكان قد كتب إلى شاور: إنى قد قصدت الخدمة على ما قررته لى من العطاء فى كل عام، فكتب إليه شاور: إن الذى قررته إنما جعلته لك متى احتجت إلى نجدتك أو إذا قدم على عدو، فأما مع خلو بالى من الأعداء فلا حاجة لى إليك ولا لك عندى مقرر. فأجابه: لابد من حضورى وأخذى المقرر. فعلم شاور أنه قد غدر وخان الأيمان، ونقض العهود، وطمع فى البلاد. فجمع الأجناد وحشد العساكر إلى القاهرة، وسير إلى بلبيس حفنة من العسكر، ونقل إليها ما تحتاج إليه من الأقوات والغلات.

فنزل مرى على بلبيس أول يوم من صفر، وكتب عدة من أعيان المصريين كتبًا إلى مرى يعدونه المساعدة، لكراهتهم فى شاور، منهم علم الملك ابن النحاس، ويحيى ابن الخياط، وابن قرجلة، وجماعة؛ فقوى الفرنج. وعندما قدم مرى إلى بلبيس أرسل إلى طى بن شاور، وكان ببلبيس، أين ينزل؟ فقال لرسوله: قل له ينزل على أسنة الرماح. فغضب من هذا وجعله سببًا لنقض ما قرره مع شمس الخلافة، وحاصر البلد حتى افتتحها قهرًا بالسيف يوم الثلاثاء ثانى صفر، وأخذ الطارى والناصر، ابنى شاور أسيرين، وقتل جميع من كان فيها وأسرهم وسباهم، ونهب سائر ما تحتوى عليه، وأسر المعظم سليمان بن شاور وقيس بن طى بن شاور.

وأرسل إلى شاور يقول له: إن ابنك قال أيحسب مرى أن بلبيس جبنة يأكلها نعم بلبيس جبنة، والقاهرة زبدة، فصعد شاور إلى العاضد وسأله مكاتبة نور الدين وطلب معونته فإن الفرنج قد ملكوا بلبيس والمسلمون يضعفون عن وقفهم، وأنه متى حصل التقاعد، أخذت مصر وأسر الفرنج من فيها من المسلمين، ويحثه على إرسال من يتدارك هذا الأمر. فكتب العاضد إلى نور الدين برأى شمس الخلافة، فإنه اجتمع بالكامل بن شاور وقال له: عندى أمر لا يمكننى أن أفضى به إليك إلا بعد أن تحلف لى أنك لا تطلع أباك عليه. فلما حلف له قال: إن أباك قد وطن نفسه على المصابرة، وآخر أمره يسلم البلد إلى الفرنج ولا يكاتب نور الدين، وهذا عين الفساد، فاصعد أنت إلى العاضد وألزمه أن يكتب إلى نور الدين فليس لهذا الأمر غيره. فصعد الكامل إلى الخليفة العاضد وكتبا الكتاب وأرسلاه إلى نور الدين. فقيل للعاضد: لم لا أطلعت وزيرك على ذلك، فقال: أعرف أنه لا يوافقنى عليه لكراهته فى الغز، وأنا أعلم من أى باب أدخل عليه. وأرسل إلى شاور يقول: أين استدعائى الغز من المسلمين لنصرة الإسلام من استدعائك الفرنج للإعانة على المسلمين. فقال للرسول: قل لمولانا، عنى: أنت مغرور بالغز، والله لئن يثبت لهم رجل بديار مصر لا كانت عاقبته وخيمة إلا عليك. فلما بلغه ذلك قال: رضيت أن تكون إسلامية وأكون فداء المسلمين.

فوافت كتب العاضد وكتب جماعة من الأعيان إلى نور الدين بحلب، فانزعج لذلك وجمع الأمراء للمشورة، فأشاروا بإرسال أسد الدين شيركوه. وكان بحمص وقد وصلت إليه الكتب من مصر باستدعائه لإنجازهم وإنقاذهم مما نزل بهم، فخرج منها يريد السلطان بحلب، وخرج رسول السلطان من حلب بطلبه، فتلاقيا بباب مدينة حلب، وعادا. فلما رآه السلطان عجب من سرعة مجيئه، فأعلمه بموافاة الكتب إليه تستدعيه إلى مصر، فسر بذلك وتفاءل به، وأعطاه مائتى ألف دينار وثيابًا وسلاحًا ودواب، وحكمه فى العسكر فاختار ألفى فارس وجمع فسار فى ستة آلاف فارس.

وخرج معه نور الدين إلى دمشق، فوصل إليها فى سلخ صفر، وجهز أسد الدين وأعطى نور الدين كل فارس ممن معه عشرين دينارًا مصرية غير محسوبة عليه من جامكيته وأضاف إليه جماعة من الأمراء، منهم عز الدين جرديك، وغرس الدين قلج، وشرف الدين بزغش، وعين الدولة الياروقى، وقطب الدين ينال المنبجى، وصلاح الدين يوسف بن أيوب. وكان صلاح الدين كارهًا مسيره إلى مصر كأنما يساق إلى الموت فأخرجه نور الدين كرهًا ليحق قول الله سبحانه إذ يقول: ﴿**وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ**﴾[1]. فإن نور الدين أحب مسير

(١) سورة البقرة، آية ٢١٦.

Marfat.com

صلاح الدين إلى مصر فكان مسيره إليها لخروج الملك عن أولاده، وكره صلاح الدين مسيره إلى مصر فكان فى مسيره إليها تملكه إياها وغيرها من الأقاليم.

وسار شيركوه من دمشق فى ثانى عشر ربيع الأول وتقدم الفقيه عيسى الهكارى إلى العاضد سرًّا وخفية من شاور ليحلفه على أشياء.

وأما مرى فإنه كثرت أمراء الفرنج عنده لقصد سبى بلبيس، فغزاها برجاله، وأمر بإخراج الأسرى من أهل بلبيس إلى ظاهر البلد، وركب وقد اعتقل رمحه[1] وحمل على الأسرى حتى فرقهم فرقتين، فجعل لنفسه الفرقة التى وقعت عن يمينه، وأنعم بالفرقة اليسرى على أهل عسكره، وقال لمن صار إليه من الأسرى: قد أطلقتكم شكرًا لله على ما أولانى من فتح مصر فإنى ملكتها - بلا شك - وما زال واقفًا حتى عدى أكثرهم النيل إلى جهة منية حَمَل[2]، وأخذ عسكره أسراهم فاقتسموهم، فبقوا فى أيدى الفرنج بعد ذلك نحو الأربعين سنة، وهلك كثير منهم هنالك، وأفلت بعضهم.

وكان شمس الخلافة قد صار إلى مرى قبل أخذه مدينة بلبيس بإجابته إلى القطيعة التى طلبها، فعاقه عنده حتى أخذ بلبيس، كما تقدم ذكره ثم أذن له فى الانصراف إلى القاهرة، واعتذر بأنه بلغه عن قيس بن طى أشياء أمضته حتى فعل ما فعل، وأنه باق على ما تقرر معه بقاء شمس الخلافة وأشار على شاور بالاحتراز وقال: إن الرجل مخاتل. وأنفذت الكتب إلى نور الدين.

وكان شاور قد شرع فى بناء سور على مدينة مصر واستعمل فيه الناس فلم يبق أحد من المصريين إلا وعمل فيه، وحفر من ورائه خندقًا، فلم يكمل من ناحية النيل. وعمل فى السور ثمانية أبواب أحدها بدار النحاس على ساحل البحر، هدم فى سنة[.....][3] وخمسين وستمائة وآخر بجانب كوم البواصين، وثالث على سكة سوق وردان سقط سنة إحدى وستين وستمائة، وباب فى طريق زين العابدين، وباب عرف بباب الصفاء، وباب بحرى مصلى الأموات سقط قبيل سنة خمسين وستمائة، وباب عند أقمنة الجير مما يلى درب السرية، وباب لقنطرة بنى وائل وتحته قنطرة بنى وائل التى تصب فى بركة الشعيبية، التى كانت قديمًا بستان الأمير تميم بن المعز، وكان الماء يدخل إليها من خليج مصر. وسار مرى بعقيب مسير شمس الخلافة عنه يريد منازلة القاهرة بعدما أقام ببلبيس خمسة أيام، فداخل الناس منه رعب شديد وخوف

---

(١) اعتقل الرمح: وضعه بين ساقيه وركابه. انظر: القاموس المحيط.

(٢) كورة من كور بلبيس. انظر: الخطط التوفيقية ١٦/٦٤.

(٣) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

عظيم، فاجتمعوا بالقاهرة ووطنوا أنفسهم على الموت. وكان هذا من لطف الله فإنه لو قدر أن الفرنج أحسنوا السيرة فى أهل بلبيس لكان الناس لا يدافعونهم عن القاهرة ألبتة لما فى قلوبهم من كراهة شاور. فما هو إلا أن قصد مرى القاهرة وإذا بشاور قد قام فى حريق مصر، وأمر شاور الناس بالانتقال منها إلى القاهرة، وحثهم على الخروج منها؛ فتركوا أموالهم وأثقالهم ونجوا بأنفسهم وأولادهم وحرمهم، وقد ماج الناس واضطربوا اضطرابًا عظيمًا.

ووقعت النار فى الأسطول فخرج العبيد إلى مصر، وقد انطلقت النار فى مساكنها فانتهبوا سائر ما كان بمصر. وبلغ بالناس الحال أن كانت الدابة تكرى من مصر إلى القاهرة ببضعة عشر دينارًا والجمل بثلاثين دينارًا. ونزلوا بمساجد القاهرة وحماماتها، وملئوا جميع الشوارع والأزقة، وصاروا مطروحين بعيالهم وأولادهم على الطرق، وقد ذهبت أموالهم وسلبت عامة أحوالهم، وهم مع ذلك ينتظرون هجوم الفرنج على القاهرة وقتل رجالها وسبى من بها من الحريم والصبيان.

وكان ابتداء الحريق بمصر فى يوم الثلاثاء التاسع من صفر الموافق له ثامن عشر هاتور، واستمرت النار فى المساكن أربعة وخمسين يومًا، والنهابة تهد ما هنالك وتحفر لطلب الخبايا.

ونزل مرى بعساكره على بركة الحبش فى يوم الأربعاء العاشر من صفر، فخرج إليه شمس الخلافة. فلما دخل إليه سأله أن يخرج معه إلى باب الخيمة، فخرج؛ فأراه شمس الخلافة جهة مصر وقال: له أترى دخانًا فى السماء؟ قال: نعم. قال: هذا دخان مصر ما أتيتك إلا وقد احترقت بعشرين ألف قارورة نفط، وفرق فيها عشرة آلاف مشعل، وما بقى فيها ما يؤمل بقاؤه ونفعه، فخل الآن عنك. فقال مرى: لابد من النزول على القاهرة، ومعى فرنج من هذا البحر قد طمعوا فى أخذها.

ثم رحل فنزل على القاهرة فى عاشر صفر مما يلى باب البرقية نزولاً قارب به البلد حتى صارت سهام الجرخ[1] تقع فى خيمه. وقاتل أهل القاهرة قتالاً شديدًا وحفظوها وبذلوا جهدهم. واشتد الفرنج فى محاصرة القاهرة وضيقوا على أهلها حتى تزلزل الناس زلزالاً شديدًا وضعفت قواهم، وشاور هو القائم بتدبير الأمور، فتبين له العجز عن مقاومة الفرنج وأنه يضعف عن ردهم. وخاف من غلبتهم فرجع عن مقاومتهم إلى مخادعتهم وإعمال الحيلة؛ فأرسل شمس الخلافة إلى مرى يطلب منه الصلح على أن يحمل إليه أربعمائة ألف دينار معجلة، فأجاب إلى ذلك. ويقال إنه خوفه من نور الدين

---

(١) آلة لرمى السهام.

Marfat.com

واعتذر بأنه لولا الخوف من العاضد ومن معه من المسلمين لكان قد سلمه البلد، وإنه تقدم له بألف ألف دينار. فتقرر الصلح.

على أن مرى قال: لا أسمع من كلام شاور، فإنه غدار، ولابد من كلام الخليفة العاضد فمشى أبو الفتح عبد الجبار بن عبد الجبار بن إسماعيل بن عبد القوى، المعروف بالجليس قاضى القضاة وداعى الدعاة، ومعه الأستاذ صنيعة الملك جوهر، بين الفرنج وبين الناس حتى تقرر الأمر على تعجيل مائة ألف دينار وحمل الباقى بعد ذلك مع القطيعة المقررة كل سنة، وزيادة عشرة آلاف دينار وعشرة آلاف إردب غلة على ما يقترح من أصنافها. فأرسل العاضد القاضى الفاضل عبد الرحيم إلى الشيخ الموفق بن الخلال كاتب الدست، وكان مريضًا والفاضل ينوب عنه بتعيين الكامل بن شاور، وقال له: استشر فى هذا الأمر. فمضى الفاضل إليه، وعرض ما تقرر عليه، وبلغه عن العاضد ما أشار به من أخذ رأيه فى ذلك. فقال: قبل الأرض عنى لمولانا، وقل له عن مملوكه: إن وعد المشترى وصبر البائع، فليست بغالية، وبين قيل وقال، يتصرم الوقت.

وشرع شاور فى حمل المال، فلم يجد فى حاصل الخبايا بالقصر سوى مائتى ألف دينار مدفونة فى أحد كمى المجلس من ذخائر الحافظ، أطلعهم عليها أستاذ من أستاذى القصر، فأخرجت وحمل إلى الفرنج منها على يد ابن عبد القوى مائة ألف دينار، فأخذوها بعد امتناع. ووقع الطلب من أهل القاهرة ومصر، فلم يتحصل من الناس إلا نحو الخمسة آلاف دينار، لفقر أهل مصر وسوء حالهم وذهاب أموالهم فى الحرق والنهب بحيث صاروا لا يجدون القوت عجزًا عنه، ولأن أهل القاهرة أكثرهم الجند وأهل الدولة وأتباعهم فقال الفقيه عمارة:

يا رب إنى أرى مصرًا قد انتبهت ... لها عيون الليالى بعد رقدتها
فاجعل بها ملة الإسلام باقية ... واحرس عقود الهدى من حل عقدتها
وهب لنا منك عونًا نستجير به ... من فتنة يتلظى جمر وقدتها

فبينما الفرنج فى استحثاث أهل القاهرة فى حمل المال إذ وصل إليهم فى مستهل ربيع الآخر خبر قدوم أسد الدين بالعساكر فأزعجهم ذلك ورحلوا عن القاهرة يوم السبت، ثالث ربيع الآخر، ومعهم من الأسرى اثنا عشر ألفا ما بين رجل وصبى وامرأة. فنزلوا على بلبيس، وساروا منها إلى فاقوس.

ونزل أسد الدين بالمقس إلى اللوق خارج القاهرة يوم الأربعاء سابع ربيع الآخر، فخرج إليه العاضد وتلقاه.

وكان شاور لما بلغه وصول شيركوه إلى صدر أخرج شمس الخلافة إلى مرى وقال

Marfat.com

له: قد وقف المال علينا، وقد جئت إليك أستوهب منك بعض ما قطعت علينا. فقال مرى: اطلب ما شئت. قال: تهب لى من الألفى ألف ألف. قال: قد فعلت. فقال شمس الخلافة: ما بلغنى أن ملكًا وهب مثل هذا لقوم هم فى مثل حالنا. فقال مرى: أنا أعلم أنك رجل عاقل، وأن شاورًا ملك، وأنكما ما سألتمانى أن أهب لكما هذا المال العظيم إلا لأمر قد حدث. فقال: صدقت، هذا أسد الدين قد وصل إلى صدر نصرة لنا وما بقى لك مقام، وشاور يقول لك: أرى أن ترحل ونحن باقون على الهدنة، فإنه أوفق لنا ولك، وإذا حصل هذا الرجل عندنا أرضيناه من هذه الألف ألف بشىءٍ وحملنا الباقى إليك متى قدرنا، وإن نحن أخرجنا فى رضاهم أكثر من هذا المال عدنا عليك بما يبقى علينا من المقدار. فقال مرى: أنا راض بذلك. فقال: وأن تطلق ابن طى ابن شاور وجميع من فى عسكرك من الأسارى، ولا تأخذ من بلبيس بعد انصرافك شيئا. فأجاب إلى ذلك، وأطلق ابن شاور ورحل.

ولما قارب شيركوه القاهرة خرج شاور إلى لقائه وقابله بالاحترام والإكرام، وأشار عليه باتباع الفرنج. فلم ير ذلك واعتذر بما هم فيه من التعب.

ونزل أسد الدين بظاهر القاهرة، ودخل على العاضد فخلع عليه فى تاسعه بالإيوان، وعاد إلى مخيمه، وقد فرح الناس بقدومه. وأجريت عليه وعلى عساكره الجرايات الكبيرة والإقامات الوافرة. وثقل ذلك على شاور ولم يقدر على عمل شىءٍ لما عرفه من ميل العاضد إلى شيركوه، وشرع يماطل بما تقرر لشيركوه ولنور الدين، وهو يركب كل يوم إليه ويسير معه، ويعده ويمنيه.

وعزم على أن يعمل دعوة ويحضر شيركوه وجميع أمرائه، فإذا صاروا إليه قبض عليهم، واستخدم من معهم من الجند يمنع بهم الفرنج. فنهاه ابنه شجاع عن ذلك وقال: «والله لئن عزمت على هذا لأعرفن شيركوه». فقال: «يا بنى، والله لئن لم نفعل هذا لنقتلن جميعًا». قال: «صدقت، ولأن نقتل ونحن مسلمون خير من أن نقتل وقد ملكها الفرنج، فإنه ليس بينك وبين عود الفرنج إلا أن يسمعوا بالقبض على شيركوه، وحينئذ لو مشى العاضد[1] إلى نور الدين لم يرسل معه فارسًا واحدًا»، فترك شاور ما عزم عليه.

ولما طال مطال شاور على الغز اتفق صلاح الدين يوسف وعز الدين جرديك على قتل شاور.

واتفق أن شاورًا رأى فى منامه كأنه دخل دار الوزارة فوجد على سرير ملكه رجلا

(١) انظر: ابن إياس ٦٧/١ والأعلام ١٤٧/٤.

Marfat.com

وبين يديه دواته وهو يوقع، والحاجب بين يديه يتناول منه التوقيع، فقال: «من هذا الذى جلس فى مجلسى ووقع من دواتى»، فقيل له: «هذا محمد رسول الله ﷺ»؛ فقال: «وما يصنع محمد عندى؛ أما كان له فى مملكة غيرى مصنع». ثم إنه قام إليه وضربه بسيفه حتى قتله وألقاه بظاهر الدار. فلما استيقظ هاله ما رآه، واستدعى أبا الحسن على بن نصر الأرتاحى العابد، وكان نادرًا فى علمه، وقص عليه ما رأى. فقال له: «هؤلاء الذين فى القصر من نسل رسول الله ﷺ، ويكون هلاكهم على يدك». فأمره بكتمانه، فلم يظهر حتى قتل شاور.

ويقال إن العاضد خرج متنكرًا إلى شيركوه وأمره بقتل شاور، فركب على عادته إلى شيركوه ومعه الطبل والبوق وخرج من باب القنطرة. فلما صار فى مخيم الغز تلقاه صلاح لدين وجرديك فى جماعتهم وأعلموه أن أسد الدين توجه إلى القرافة، فقال: نمضى إليه. فساروا جميعًا وصلاح الدين وجرديك عن يمينه وشماله، وكان اليوم كثير الضباب، فتناول صلاح الدين شاور على غرة هو وجرديك وألقياه عن فرسه إلى الأرض، وأحاط أصحابهما بمن مع شاور فانتهبوهم وفروا عنه. وأخذ أسيرًا إلى المخيم، وأرسلوا إلى شيركوه، فحضر. وبلغ ذلك العاضد فأنفذ فى الحال إلى شيركوه أحد الأستاذين بسيف، وقال: «هذا غلامنا ولا خير فيه لك ولا لنا، فامض حكم الله فيه». فقتل فى يوم السبت السابع عشر من ربيع الآخر، وحملت رأسه إلى العاضد.

وفر الكامل شجاع بن شاور هو وأولاد أخيه إلى القصر، فكان آخر العهد بهم، وأحضرت رءوسهم يوم الاثنين رابع جمادى الأولى. وبعث شيركوه يطلبهم، فأرسل إليه العاضد طبقًا من فضة مغطى، فلما كشف عنه وجد فيه رأس شجاع ورءوس أولاد أخيه، فتأسف على قتل شجاع لما كان يبلغه عنه من منعه أباه من عزمه على الفتك بهم.

وكانت وزارة شاور هذه كثيرة الوقائع والنوازل فإنه أطمع الغز والفرنج فى البلاد وجرهم إليها، فأحرق مصر وأزال نعم أهلها وأذهب أموالهم، وكان السبب فى إزالة الدولة الفاطمية من ديار مصر وتملك الغز لها.

وكان مع ذلك منقادًا لولده الكامل فقد أطلقه وسلم الأمر إليه بحيث إنه كان يأتى إلى داره فيحتجب عنه. وكان ضيق العطن، لا يصبر على شىءٍ مما ينقل إليه من الأخبار وكان إذا سئل وهو فى الخدمة لا يرد سائلا فى شىء. وكان شديد النكال إذا عاقب، فتكشفت فى وزارته الثانية التى قتل فيها صفحاته، وأحرقت كافة أهل مصر لفحاته، وأغرقتهم نفحاته فغصه الدهر وعضه، وأوجعه الثكل وأمضه. وكان عاقبة أمره القتل

والعار وسوء المنقلب والدمار.

ثم إن أسد الدين ركب بعد قتل شاور بجموعه ودخل إلى القاهرة فى يوم الاثنين تاسع عشر ربيع الآخر يريد لقاء الخليفة العاضد، فهاله ما رأى من كثرة اجتماع الناس وتخوف منهم، فأراد أن يفرقهم، فقال لهم: إن أمير المؤمنين قد أمركم بنهب دار شاور، فتسارعوا إليها وانتهبوا سائر ما كان فيها. فصعد شيركوه إلى القصر، وخلع عليه العاضد خلع الوزارة ولقبه بالملك المنصور أمير الجيوش، ونزل إلى دار الوزارة حيث كان ينزل شاور ومن قبله من الوزراء، فلم يجد ما يجلس عليه لما شملها من النهب. فجلس للهناء وغلب على الأمر.

وخرج إليه التوقيع بخط القاضى الفاضل وإنشائه، فقرأه الجليس ابن عبد القوى قاضى القضاة، على رءوس الأشهاد، وفى أعلاه بخط العاضد: «هذا عهد لا عهد لوزير بمثله، وتقليد طوق أمانة رآك الله وأمير المؤمنين أهلا بحمله، والحجة عليك عند الله بما أوضحه لك من مراشد سبله. فخذ كتاب أمير المؤمنين بقوة، واسحب ذيل الفخار بأن خدمتك اعتزت بأن اعتزت إلى بنوة النبوة؛ واتخذ أمير المؤمنين للفوز سبيلا، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا». وهو توقيع كبير.

وكتب القاضى الفاضل إلى نور الدين محمود بن زنكى كتابًا بأن يقر شيركوه عنده بمصر وأنه فوض إليه الوزارة وأمر الجيوش، تاريخه سابع عشرى ربيع الآخر، وكتب العاضد علامته بين سطريه الأولين بخطه «الله ربى» ؛ فعاد الجواب بالامتثال.

وسلك أسد الدين مع العاضد مسالك الأدب حتى أعجب به، ومال إليه. وركب إلى مصر فرآها مشوهة بالحريق وقد تلفت فيها أماكن وسلمت أماكن، وتشعث الجامع، فشق عليه، وعاد. وقد حضر إليه الأمير ابن مماتى والقاضى الفاضل، فأمر بإحضار أعيان المصريين الذين جلوا عن مصر فى الفتنة وصاروا بالقاهرة، فتغمم لما نزل بهم وسفه رأى شاور فيما فعله، وأمرهم بالعود إلى مصر. فشكوا ما حل بهم من الفقر وذهاب الأحوال وخراب المنازل، وقالوا: «إلى أى موضع نرجع وفى أى مكان نأوى». فقال: «لا تقولوا هذا، وعلى بإذن الله حراستكم وإعادتها إليكم بما كانت عليه وأحسن؛ فاستدعوا منى كل مالكم فيه راحة، فهى بلدى وربما أسكن فيها بينكم». فشكروا له ودعوا. وأمر فنودى على الناس بالرجوع إلى مصر، فتراجعوا إليها شيئًا بعد شىء.

وجعل أسد الدين اجتماعه بالخليفة العاضد فى الشباك على العادة. فأول ما اجتمع به قال له الأستاذ صنيعة الملك جوهر، وكان أكبر الأستاذين وأفصحهم لسانًا، وهو

Marfat.com

قائم على رأس العاضد: «يقول لك مولانا، لقد كنا نؤثر مقامك عندنا أول طروقك بلادنا، ولكن أنت تعلم الموانع عنه، ولقد تيقنا أن الله عز وجل ادخرك لنا نصرة على أعدائنا». فقال أسد الدين شيركوه: «يا مولانا - بإمالة اللام - والله لأنصحنك فى الخدمة ولأجعلن دولتك بعون الله قاهرة». فقال الأستاذ: «يقول لك مولانا الأمل فيك هذا وأكثر». ثم جددت له الخلع وأفيضت عليه، ونزل إلى داره.

وحسن عنده موقع الجليس ابن عبد القوى، قاضى القضاة وداعى الدعاة، وأثنى عليه وشكره، وقال: لولا مذهبه. فقال: «إنه ولد بالمغرب وله دالة على الخليفة، ولولا ضبطه حواصل القصر لخرجت كلها لكرم العاضد، لكنه يحترمه ويقبل مشورته». فازدادت مكانته عند أسد الدين وأقره على حاله.

واستبد أسد الدين بأمور المملكة، وغلب على الدولة، واستعمل أصحابه وثقاته على الأعمال، وأقطع البلاد لعساكره، ولما أكب الناس عليه بالتواقيع قلق من كثرة ما يوقع وقال: «أظن مولانا استخدمنى كاتبا».

فى رابع جمادى الأولى: قتل الكامل شجاع بن شاور، والمعظم سليمان بن شاور، وركن الإسلام نجم أخو شاور، وأحضرت رءوسهم إلى أسد الدين شيركوه.

ولما بلغ نور الدين وزارة شيركوه للعاضد واستبداده بالأمر كره ذلك وأمضه، وظهر ذلك على صفحات وجهه وفلتات لسانه، وأخذ يتحدث فى ذلك، وأفضى به إلى الأمير مجد الدين ابن الداية. وأخذ يعمل الحيلة فى إفساد أمر أسد الدين وابن أخيه صلاح الدين، وكاتب العاضد فى ذلك غير مرة، ويلتمس منه أن يبعث إليه أسد الدين، يريد بذلك إخراجه عن مصر. فلم يسمح العاضد بإرساله لأنه دبر الأمور وقام بحمل أعباء المملكة من غير أن يغير على أصحاب العاضد شيئا من أحوالهم، ولا أنكر عليهم أمرًا من أمورهم، بل أقرهم على عوائدهم سوى أنه أقطع البلاد لأصحابه.

وتولى عنه التدبير ابن أخيه صلاح الدين وقام بمباشرتها، فصار إليه الأمر والنهى حتى مات أسد الدين، بعد أن استقر فى الوزارة ثلاثة وستين يوما، يوم الأحد الثالث والعشرين من جمادى الآخرة بخناق تولد له من إكثاره أكل اللحوم الغليظة، ودفن فى الدار فلم تخرج له جنازة.

وكان شجاعا قويًا، جلدًا عفيفًا، متألهًا، يحب أهل الخير، وله إيثار، وفيه ضبط وإمساك. وأصله من دوين، بليدة من عمل أذربيجان من جهة أران وبلاد الكرج[1]،

---

(١) الكرج: بفتح الكاف والراء المفتوحة وبالجيم المعجمة، أول حصن من معاقل الجبل، فمن همذان إلى نهاوند مرحلتان، ومن نهاوند إلى الكرج مرحلتان، ولم تكن فى أيام الأعاجم مدينة

Marfat.com

وهو من قبيل الروادية إحدى بطون الهذبانية من قبائل الأكراد. وقدم هو وأخوه نجم الدين أيوب، وكان أسن منه، إلى بغداد واتصل بخدمة مجاهد الدين بهروز شحنة العراق من قبل السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقى ولازماه. فبعث بأيوب إلى تكريت، وكانت إقطاعه، فأقره فيها دزدارًا، ومعناه حافظ القلعة، فإن «دز» بالفارسى القلعة، «ودار» الحافظ. فأقام بها ومعه أخوه شيركوه، وله به إقطاع، إلى أن انهزم عماد الدين زنكى من العراق من قراجا الساقى ووصل إلى تكريت، فأمكنه أيوب من قلعتها ورفعه إليها بالحبال، وخدمه هو وأخوه شيركوه، فاعتدها يدًا لهما. ثم أقام له السفن حتى عبر دجلة، وتبعه أصحابه فأحسن إليهم وسيرهم إليه.

فبلغ ذلك الأمير مجاهد الدين بهروز فأنكر عليه وأخرجه من قلعة تكريت، فسار هو وشيركوه إلى عماد الدين زنكى، وهو يومئذ صاحب الموصل، فأكرمهما وأقطعهما إقطاعًا، وتقدما عنده. فلما ملك بعلبك جعل نجم الدين دزدارها، فأقام بها إلى أن قتل عماد الدين زنكى وحصر عسكر دمشق بعلبك لأخذها لصاحب دمشق، مجير الدين أبق بن محمد بن بورى بن ظهير الدين طغتكين الأتابك. فبعث إلى سيف الدين غازى بن عماد الدين زنكى بالموصل يعرفه ويطلب منه عسكرا فلم يجبه؛ فسلم بعلبك لصاحب دمشق على إقطاع، وصار أحد أمراء دمشق.

وأما شيركوه فإنه لما خدم عماد الدين زنكى تمكن منه، بواسطة الوزير جمال الدين الأصفهانى(١)، إلى أن قتل، فتعلق بخدمة ابنه نور الدين محمود بن زنكى وتخصص به، حتى عظمت منزلته عنده. وصار معه إلى حلب فأقطعه وأنعم عليه، ثم أعطاه مدينة الرحبة وتدمر إلى أن جهزه إلى مصر وعاد منها وهو كثير الذكر لها، فخافه نور الدين وصرفه عنه وأعطاه مدينة حمص، وجعله مقدم عسكره إلى أن قدم مصر وملكها - كما تقدم - إلى أن مات؛ فدفن بالقاهرة، ثم نقل منها إلى المدينة النبوية بعد مدة.

مشهورة، وإنما كانت فى عداد القرى العظام، وهذا الحصن هو حصن أبى دلف القاسم بن عيسى العجلى أحد أكابر قواد المأمون. انظر: الروض المعطار ٤٩١، وابن حوقل ٣١٣، وابن خلكان ٤/٧٩.

(١) محمد بن على بن أبى منصور الأصفهانى أو الأصبهانى، جمال الدين، أبو جعفر، وزير من الولاة استخدمه أتابك زنكى بن آق سنقر صاحب الموصل وأطرافها وولاه (نصيبين) وأضاف إليه الرحبة، فظهرت كفايته، فولاه الإشراف على مملكته كلها، واختصه لمنادمته، ولما قتل أتابك على قلعة جعفر توجه صاحب الترجمة إلى الموصل. انظر: وفيات الأعيان ٢/٧٢، وتاريخ الخميس ٢/٣٦٦ وشذرات الذهب ٤/١٨٥ والأعلام ٦/٢٧٨.

Marfat.com

ولما احتضر قال: من ههنا؟ فقال الطواشى بهاء الدين قراقوش: عبدك قراقوش فقال: «بارك الله فيك، الحمد لله الذى بلغنا من هذه الديار ما أردنا، ومتنا وأهلها راضون عنا. أوصيكم لا تفارقوا سور القاهرة حتى تطير رءوسكم، واحذروا من التفريط فى الأسطول».

ولما توفى أسد الدين افترق أهل القصر وحواشى الخليفة العاضد من الأستاذين وغيرهم فرقتين. فأما إحداهما - وكبيرهم الأستاذ صنيعة الملك مؤتمن الخلافة جوهر - فإنهم قالوا: قد مات أسد الدين المهدد به فى الشرق والغرب ولم يحدث إلا خير، ومن الرأى أن نمسك مخلفته ونضيف إليها من جياد فرسان الغز ما تكون جملته ثلاثة آلاف فارس، ونقدم عليهم بهاء الدين قراقوش، وننزلهم بالشرقية، ونجعها بأجمعها إقطاعًا لهم يسكنون بها، فيصيرون بيننا وبين الفرنج الذين طمعوا فى البلاد، يقاتلون عن حرمهم وإقطاعاتهم. ويرتب مولانا من أجناد الديار المصرية من ينتفع به، ولا يقيم وزيرًا تثقل وطأته ويشارك الخليفة فى أمره، بل يجعل صاحب وساطة بين الناس وبين الخليفة.

وقالت الطائفة الأخرى: «لا وحق الله، ما يكون وزير مولانا إلا ابن أخى وزيره الذى هو منه وإليه»، يعنون صلاح الدين، وإذا بقى المذكور أقام معه قراقوش وغيره من المعتبرين.

وكذلك وقع فى عسكر أسد الدين، فإن شهاب الدين محمود الحارمى، خال صلاح الدين، والأمير عبد الدولة ياروق الياروقى وأخاه الأمير بهاء الدولة والأمير قطب الدين خسرو بن تليل، والأمير سيف الدين على بن أحمد الهكارى المشطوب طلب كل منهم الوزارة لنفسه وجمع أصحابه ليغالب عليها.

واجتمع مماليك أسد الدين، وهم خمسمائة، على صلاح الدين وطلبوا وزارته، وتحدثوا بأن أسد الدين أوصى إليه، فبعث العاضد إليهم وسأل الأمراء من يصلح للوزارة، فسار إليه شهاب الدين محمود الحارمى وأرشده إلى تولية صلاح الدين. وكان العاضد قد مال إليه وقال لأصحابه من الأستاذين وغيرهم لما اختلفوا، كما تقدم ذكره: «والله إنى لأستحى من تسريح صلاح الدين وما بلغت غرضًا فى حقه لقرب عهد مقام عمه». فأرسل إليه وخلع عليه خلع الوزارة بالعقد والجوهر، وحنكه، ونعته بالملك الناصر، وذلك فى يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من جمادى الآخرة.

وصفة الخلعة ثوب أبيض دبيقى بطرازين ذهبا، وطيلسان مقور بطراز ذهب دقيق، وعمامة بيضاء مذهبة، وفى عنقه العقد الجوهر وقيمته عشرة آلاف دينار، وقد تقلد سيف الوزارة وقيمته خمسة آلاف دينار. وركب فرسا حجرة صفراء من مراكب

Marfat.com

العاضد قيمتها ثمانية آلاف دينار، وعليها سرفسار ذهب مجوهر، وأعلاقها من سبتة، وفى عنقها مشدة بيضاء برأسها مائتا حبة جوهرًا، وفى أربع قوائمها أربعة عقود من جوهر، وعلى رأسه قصبة ذهب فى رأسها طلعة مجوهرة ومشدة بيضاء بأعلام ذهب وحمل بين يديه عدة بقج فيها أنواع من الثياب، وقيد معه أيضًا عدة خيول، ومنشور الوزارة ملفوف فى ثوب أطلس أبيض بخط القاضى الفاضل ومن إنشائه، وقرأه الجليس ابن عبد القوى وهو كبير جدا وعلى رأسه بخط العاضد: «هذا عهد أمير المؤمنين إليك، وحجته عند الله سبحانه عليك، فأوف بعهدك ويمينك، وخذ كتاب أمير المؤمنين ناهضا بيمينك، ولمن مضى بجدنا رسول الله أحسن أسوة، ولمن بقى بقربنا أعظم سلوة. ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلوًّا فِى الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]. فكان آخر منشور كتب عن العاضد.

ولما نزل صلاح الدين إلى دار الوزارة لم يطعه أحد من الأمراء النورية ولا خدموه، فسعى الفقيه عيسى الهكارى فى الإصلاح بينه وبينهم، وبدأ بالمشطوب فقال له: «هذا الأمر لا يصل إليك مع وجود عين الدولة والحارمى وابن تليل». ثم قصد الحارمى وقال له: «هذا صلاح الدين ابن أختك، وعزه وملكه لك، وقد استقام له الأمر، فلا تكن أول من يسعى فى إخراجه عنه ولا يصل إليك». وما زال بهم حتى مالوا إليه وأطاعوا بأجمعهم إلا عين الدولة فإنه قال: «لا أخدم يوسف أبدًا»، وخرج من القاهرة بجماعة وصار إلى نور الدين بالشام.

فلما بلغ نور الدين استيلاء صلاح الدين أقام ثلاثة أيام لا يقدر أحد أن يراه من شدة ما عظم عليه ذلك وأغضبه.

واستمال صلاح الدين قلوب الناس، وساس الأمور وكاتب الأطراف، وأقبل على الجد، وتاب عن الخمر، وأعرض عن اللهو، وتقرب إلى الخليفة العاضد بما يرضيه فأحبه وأدناه حتى كان يدخله إليه القصر راكبًا ويقيم عنده بالقصر عدة أيام. وعظم فى الدولة حتى حسده الأمراء وباينه جماعة منهم وتوجهوا إلى الشام. وشرع فى استمالة قلوب الناس إليه فبذل فيهم المال وأخرج ما كان فى خزائن عمه أسد الدين، واستدعى من العاضد فأمده بشىءٍ كثير من المال، فكان أمره فى زيادة وقوة وأمر العامة فى نقص وضعف.

وركب العاضد ومعه الملك الناصر صلاح الدين يوسف فى غرة شهر رمضان، وحمل العادل أبو بكر السيف. ثم ركب أيضًا جمعتين فى شهر رمضان إلى الجامع

---

(١) سورة القصص، آية ٨٣.

Marfat.com

الأزهر والجامع الأنور على العادة، وركب فى عيد الفطر.

وأرسل إلى نور الدين يسأله فى إرسال أبيه وأخيه فلم يجبه إلى ذلك.

وصارت الخطبة بديار مصر للعاضد ومن بعده للملك العادل نور الدين، وهو فى الظاهر ملك الديار المصرية وصلاح الدين لا يتصرف إلا عن أمره كالنائب فى الأمر عنه؛ ونور الدين لا يفرده بكتاب، بل يكتب: الأمير الأسفهلار صلاح الدين وكافة الأمراء بالديار المصرية يفعلون كذا، ويجعل علامته على رأس الكتاب تعظيمًا لنفسه وترفعًا عن أن يكتب اسمه.

وعندما بلغه وفاة أسد الدين شق عليه استيلاء صلاح الدين، وتتبع أصحابه وأصحاب أسد الدين، وأخذ إقطاع صلاح الدين وإقطاع أسد الدين، ومنع نوابه من التصرف فى حمص، وأبعد أهاليهم واستثقلهم وطردهم عنه. وكتب إلى الأمراء بمصر بمفارقته وتركه بمصر وحيدًا ليوهن أمره. وشرع يذمه ويذكره بالسوء ويعنته فى الطلب بحمل الأموال إليه، وصار كثيرًا ما يقول: ملك ابن أيوب ويستعظم ذلك احتقارًا له.

وثقل ذلك على أهل الدولة وحواشى الخليفة العاضد، فإنه أقطع أصحابه أجل البلاد وآواهم، وأبعد أهل مصر وأضعفهم، واستبد بجميع الأمور ومنع العاضد من التصرف، ففطن العاضد لما يريد من إزالة الدولة. فشار الأستاذ مؤتمن الخلافة، وهو يومئذ من أكابر خدام القصر، وبعث بمكاتبة إلى الفرنج يستنجد بهم على الغز، ويحثهم على قصد البلاد ليخرج إليهم صلاح الدين بعساكره فيثور عند ذلك بصعيد مصر وطوائف العسكر، ويصير صلاح الدين محصورًا بين الفرنج وبينهم فيأخذونه ويتلفون من معه. ووافقه على ذلك جماعة.

وبعث رجلاً بالكتاب إلى الفرنج بعد ما جعله فى نعل كى لا يعثر عليه. فلما وصل الرجل إلى البئر البيضاء قريبًا من بلبيس، ظفر به بعض أصحاب صلاح الدين ومعه نعلان جديدان فى يده، فارتاب لما رآه من سوء حاله وحسن النعلين، وعلم أنهما لا يليقان به، ولو كانا من ملابسه لكان قد تبين فيهما أثر الاستعمال. فأخذهما منه وفتحهما فوجد فيهما الكتب إلى الفرنج، فتقرب بذلك إلى صلاح الدين، وحضر بالرجل والكتب إليه، فكتم ذلك، وتتبع من كتب الكتب حتى أحضر إليه برجل يهودى، فلما خاف منه أسلم وأخبره الخبر.

فبلغ ذلك مؤتمن الخلافة وخشى على نفسه، فلزم القصر وامتنع عن الخروج مدة وصلاح الدين لا يلتفت إليه، فاغتر بإعراضه عنه وخرج إلى منظرة له على النيل، بستان

Marfat.com

بناحية الخرقانية قريبًا من قليوب. فأرسل إليه صلاح الدين بجماعة من أصحابه هاجموه وقتلوه، وساروا إليه برأسه، وذلك فى يوم الأربعاء لخمس بقين من ذى القعدة، وجعل زمام القصور عوضه الطواشى بهاء الدين قراقوش الأسدى. فغضب لقتله السودان وحرك منهم ما كانوا يتكتمونه، فاجتمعوا لحرب صلاح الدين فى سادس عشريه، صبيحة قتل مؤتمن الخلافة، وقد صاروا فى جمع كثير من الأمراء المصريين وعوام البلد يزيد على الخمسين ألفًا، وزحفوا إلى دار الوزارة.

فبدر إليهم فخر الدين شمس الدولة توران شاه[1]، وركب صلاح الدين بعساكره وقد تجمعت الريحانية والجيوشية والفرجية ومن انضاف إليها فى بين القصرين، وخرجت إليهم الأرمن، فوقع بين الفريقين قتال عظيم استظهر فيه العبيد على الغز، والعاضد فى المنظرة يشرف على الوقعة. فلما تبين الغلب للعبيد وكادوا يهزمون الغز رمى أهل القصر بالنشاب والحجارة حتى امتنعوا عن مقاتلة العبيد، فنادى شمس الدولة النفاطين وأمرهم بإحراق المنظرة التى فيها العاضد، فطيب قارورة وصوب على المنظرة بها، فإذا بباب الطاق قد فتح وخرج منه زعيم الخلافة، أحد الأستاذين الخواص، وقال: أمير المؤمنين يسلم على شمس الدولة ويقول: دونكم والعبيد الكلاب أخرجوهم من بلادكم. فلما سمع العبيد ذلك، وكان قد قتل أحد مقدميهم، وبعث صلاح الدين فى أثناء محاربته لهم إلى حارة السودان خارج باب زويلة، المعروفة بالمنصورة، فأحرقها وتلفت أموالهم وهلكت أولادهم وحرمهم، ضعفت لهذه الأمور أنفس العبيد، وانهزموا بعدما ثبتوا يومين، وتعين لهم الفل. فركب الغز أقفيتهم يقتلون ويأسرون، إلى أن وصلوا إلى السيوفية وثبتوا هنالك، فألقى شمس الدولة النيران فى المواضع التى امتنعوا بها.

وأحرق أيضًا دار الأرمن التى كانت بين القصرين، وكان بها خلق كثير من الأرمن كلهم رماة لهم جارٍ، وكانوا فى هذه الحروب قد أنكوا الغز بشدة رميهم ومنعوهم أن يتجاوزوا من موضعهم إلى محاربة العبيد، فلما احترقت عليهم الدار لم يكد يفلت منهم أحد. فالتجأ العبيد إلى عدة أماكن، وكلما امتنعوا بموضع ألقى فيه الغز النار وقاتلوهم، حتى ساروا إلى باب زويلة وأخذت عليهم أفواه السكك وقد وهنوا ولم يجدوا لهم ملجأ. فصاحوا وطلبوا الأمان، فأمنوا على ألا يبقى منهم أحد بالقاهرة، فخرجوا

---

(١) تورا نشاه بن أيوب بن شاذى، شمس الدولة فخر الدين: أمير من الأيوبيين، وهو أخو السلطان صلاح الدين لأبيه نشأ فى دمشق وسيره صلاح الدين إلى اليمن سنة ٥٦٩هـ، فأخضع عصاتها وعاد منها، وصلاح الدين على حصار حلب. انظر: العقود اللؤلؤية ٢٦/١ ووفيات الأعيان ٩٩/١ وبلوغ المرام ٤١ وابن الأثير ١٤٨/١١ والأعلام ٩٠/٢.

Marfat.com

بأجمعهم إلى الجيزة ومال الغز على أموالهم وديارهم واستباحوا جميع ما فيها، وذلك يوم السبت لليلتين بقيتا من ذى القعدة. فما هو إلا أن صاروا بالجيزة حتى عدى إليهم شمس الدولة بالعسكر فأبادهم حصدًا بالسيف، ولم ينج منهم إلا الشريد. وأمر صلاح الدين بتخريب المنصورة وصيرها بستانا؛ فمضى العبيد وذهبت آثارهم من مصر.

وقوى صلاح الدين، وتلاشى العاضد وانحل أمره، ولم يبق له سوى إقامة ذكره فى الخطبة. ووالى صلاح الدين الطلب من العاضد فى كل يوم ليضعفه، فأتى على المال والخيل والرقيق وغير ذلك، حتى إن العاضد كان فى بعض الأيام بالبستان الكافورى وإذا بقاصد صلاح الدين قد وافاه يطلب منه فرسًا وهو راكب، فقال: «ما عندى إلا الفرس الذى أنا راكبه»، ونزل عنه، وشق خفيه ورمى بهما وسلم إلى القاصد الفرس وعاد إلى قصره ماشيًا، فلزم مجلسه ولم يعد بعدها يركب حتى مات.

وأخرج صلاح الدين خاله الأمير شهاب الدين الحارمى إلى الصعيد يتبع من فر من العبيد فأفناهم، ولم يبق منهم بديار مصر إلا من اختفى، بعد أن كانت البلاد كلها لا تخلو مدينة ولا محلة من أن يكون فيها مكان معد للعبيد، محمى لا يدخله والٍ ولا غيره. وكان منهم ضرر على الناس.

وأخذ صلاح الدين فى القبض على دور العبيد والأرمن والأمراء، وأسكن فيها أصحابه معه بالقاهرة.

وكان قاع النيل فى هذه السنة ستة أذرع وثمانية أصابع، وبلغ ثمانية عشر ذراعا.

سنة خمس وستين وخمسمائة

فيها قدم من الشام إخوة صلاح الدين يوسف وعياله، وقيل كان قدومهم فى سنة أربع.

فيها تحرك الفرنج لغزو ديار مصر خوفًا من صلاح الدين ونور الدين عندما بلغهم تمكنه من ديار مصر وقطع آثار جند المصريين. فكاتبوا فرنج صقلية وغيرهم واستنجدوا بهم، فأمدوهم بالمال والسلاح والرجال، وساروا بالدبابات والمنجنيقات إلى دمياط، فنزلوا عليها فى مستهل صفر بألف ومائة مركب، ما بين شينى ومسطح وشلندى وطريدة، وأحاطوا بها برًا وبحرًا.

فبعث صلاح الدين بالأمير تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، ابن أخى صلاح الدين، وأتبعه بالأمير شهاب الدين الحارمى، فى عساكر إلى دمياط، وأمدهم بالمال والميرة والسلاح.

Marfat.com

وألح الفرنج على أهل دمياط وضايقوهم، والناس فيها صابرون فى محاربتهم. وبعث صلاح الدين إلى نور الدين يستنجده ويعلم أنه لا يمكنه الخروج من القاهرة إلى لقاء الفرنج خوفًا من قيام المصريين عليه، فجهز إليه نور الدين العساكر شيئًا بعد شىء، وخرج بنفسه إلى بلاد الفرنج بالساحل وأغار عليها واستباحها.

واستمر الفرنج على دمياط أحدًا وخمسين يوما، ثم رحلوا عنها فى الحادى والعشرين، وقيل فى الثالث والعشرين، من ربيع الآخر، خوفًا على بلادهم من نور الدين ولفناء وقع فيهم، وغرق من مراكبهم نحو الثلاثمائة مركب. فأحرقوا ما ثقل عليهم حمله من المنجنيقات وغيرها.

وبلغت النفقة من صلاح الدين على هذه النوبة ألف ألف دينار مصرية. وكان يقول: ما رأيت أكرم من العاضد، أرسل إلى مدة مقام الفرنج على دمياط ألف ألف دينار سوى الثياب وغيرها.

وورد كتاب نور الدين إلى العاضد يهنئه برحيل الفرنج عن دمياط، وكان صلاح الدين قد سير إليه يبشره برحيلهم، وسير إليه العاضد يستقيله من الأتراك خوفًا منهم ويطلب الاقتصار على الملك الناصر صلاح الدين، فتضمن كتابه مدح الأتراك والثناء عليهم.

وفيها أرسل صلاح الدين يطلب من نور الدين أن يبعث إليه بأبيه نجم الدين أيوب ابن شاذى، فأرسله إليه فى عسكر، وسار معه كثير من التجار ممن له هوى فى مصر وغرض فى صلاح الدين. فخرج ابنه صلاح الدين إلى لقائه ومعه الخليفة العاضد إلى صحراء الإهليلج خارج باب الفتوح ولقيه هناك، ولم تجر العادة بخروج الخليفة إلى لقاء أحد، وذلك فى رابع عشر شهر رجب. ولقبه العاضد بالملك الأوحد، وزينت القاهرة ومصر لقدومه فكان من الأيام المذكورة، وبالغ العاضد فى احترامه والإقبال عليه. ونزل اللؤلؤة.

وكان سبب تجهيز الملك العادل نور الدين لنجم الدين أيوب[1] كثرة ورود مكاتبة الخليفة المستنجد بالله العباسى عليه من بغداد يعاتبه على تأخير إقامة الخطبة العباسية بمصر، فوالى نور الدين كتابة الملاطفات إلى صلاح الدين يأمره بذلك، وهو يعتذر إليه

---

(١) أيوب بن شاذى بن مروان، أبو الشكر، الملك الأفضل: والد صلاح الدين الأيوبى وإليه نسبة الأيوبيين كافة. أصله من دوين، وولى أبوه قلعة تكريت، فكان أيوب معه فيها إلى أن مات فولى مكانه، ثم عزل عنها، فرحل إلى الموصل، فأقام فى خدمة نور الدين محمود بن زنكى وولى ابنه صلاح الدين وزارة الديار المصرية فى أيام العاضد. انظر: وفيات الأعيان ١/٨٤ وخطط مبارك ٦/٤٧ وكتاب الروضتين ١/٢٠٩ والأعلام ١/٣٨.

Marfat.com

عن ترك الخطبة بما يخافه من المصريين. فوردت رسل المستنجد إلى دمشق بالاستحثاث والعزم على إقامة الخطبة بمصر ولابد، فرأى نور الدين أن مثل هذا المهم لا يقوم به إلا نجم الدين أيوب، وكان يتولى قلعة بعلبك، فأرسل إليه وقرر معه الأمر وسيره.

وكان وصوله إلى القاهرة لست بقين من رجب، وقيل فى جمادى الآخرة، فقررت له ولاية الإسكندرية وولاية دمياط والبحيرة. وأقطع الأمير فخر الدين شمس الدولة توران شاه، ابن والد الملوك الملك الأفضل نجم الدين أيوب، قوص وأسوان وعيذاب، وكانت عبرتها يومئذ فى تلك السنة مائتى ألف دينار وستة وستين ألف دينار، فاستناب عنه فى قوص الأمير شمس الخلافة محمد بن مختار.

فيها ثار الأمير عباس بن شاذى بمرج بنى هميم، من أعمال قوص، ومنع رسلان دعمش المتوجه لجباية خراج قوص من التوجه، واستباح عسكره.

وفيها أبطل صلاح الدين الأذان بحى على خير العمل محمد وعلى خير البشر، فكانت أول وصمة دخلت على الدولة. ثم أمر أن يذكر فى الخطبة يوم الجمعة الخلفاء الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان ثم على، وذلك يوم الجمعة لعشر مضين من ذى الحجة.

ثم أمر أن يذكر العاضد فى الخطبة بكلام يحتمل التلبيس على الشيعة، فكان الخطيب يقول: اللهم أصلح العاضد لدينك. لا غير.

وفى يوم الاثنين، بعد طلوع الشمس، الثانى عشر من شوال: حدثت زلزلة عظيمة مهولة بدمشق سقط منها بعض شرف الجامع الأموى وتشقق رأسا المنارتين الشرقية والغربية، وكانت المنارة الشمالية تهتز اهتزاز السعفة فى الريح العاصفة. ثم جاءت زلزلة أخرى بعد ساعة، ثم جاءت زلزة ثالثة بعد العصر. وأثرت هذه الزلزلة آثارًا شنيعة بحلب وبعلبك وحمص وحماة وشيزر وكفر طاب وتل بارين والمعرة وتل باشر وعزاز وأفامية وأبو قبيس[1] والمنيطرة وحصون الباطنية بأسرها. وامتدت إلى الجزيرة والموصل ونصيبين وسنجار ودنيسر وماردين والرها وحران[2] ورأس العين والرقة وقلعة جعبر وقلعة نجم وبالس ومنبج وبزاعا وعين تاب وحارم

(١) أبو قبيس - أو أبو قابوس -: اسمان لجبل مكة، ويقال شيخ الجبال أبو قبيس، وقيل ثبير. انظر: الروض المعطار ٤٥٢، معجم ما استعجم ٣/١٠٤٠.

(٢) حران: مدينة من ديار مضر، قديمة عتيقة، لا يدرى متى بنيت، يقال بناها هران أخو إبراهيم عليه السلام وهو أبو لوط عليه السلام، ويقال هارن، وإليه تنسب حران، وهى مدينة الصابئين ولهم بها تل عليه مصلاهم، وهم يعظمونه وينسبونه إلى إبراهيم عليه السلام، وهى قليلة الماء والشجر ولها رساتيق وعمارات وموضعها فى مستو من الأرض، يحيط بها جبل شامخ مسافة يومين. انظر: الروض المعطار ١٩١، ١٩٢، ونزهة المشتاق ٢٠٠، وابن حوقل ٢٠٤، والكرخى ٥٤، وياقوت (حران) والمقدسى ١٤١، وابن جبير ٢٤٤، ٢٤٧.

Marfat.com

وأنطاكية وما خلفها من الثغور وبيروت وأطرابلس وعرقة وطرسوس وجبلة والمرقب واللاذقية وعكا وصور وغيرها، فمنها ما دمر بأسره ومنها ما ذهب أكثره ومنها ما ذهب بعضه ومنها ما تشعث.

وهلك بحلب عدد كثير من الناس وببعلبك، ولم يهلك بدمشق غير واحد أصابته قطعة من حجر فسقط على درج جيرون فمات. وجاءت بدمشق زلازل فى عدة ليالى وأيام إلى يوم الجمعة عاشر ذى القعدة.

فيها ولى القاضى المفضل أبو القاسم هبة الله بن كامل قضاء القضاة فى ذى الحجة، فرتب صلاح الدين الفقيه عيسى الهكارى بحكم القاهرة وابن كامل بحكم مصر.

سنة ست وستين وخمسمائة

فيها رفع صلاح الدين جميع المكوس بديار مصر وأبطلها.

وفيها أمر بهدم المعونة بمصر فهدمت، وعمرها مدرسة للشافعية، ولم يكن قبل ذلك بديار مصر مدرسة لأحد من الفقهاء فإن الدولة كانت إسماعيلية. وهذه المدرسة بجوار جامع عمرو بن العاص وعرفت أخيرًا بالمدرسة الشريفية، وهى أول مدرسة عمرت بمصر لإلقاء العلم وأنشأ دار الغزل به مدرسة للمالكية بجوار الجامع أيضا، وتعرف اليوم هذه المدرسة بالقمحية.

وفيها عزل صلاح الدين قضاء مصر من الشيعة، وولى قاضى القضاة صدر الدين عبد الملك بن درباس الهذبانى الشافعى، وجعل إليه الحكم فى جميع بلاد مصر بعدما أحضره من المحلة، وخلع عليه فى يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة، فعزل من كان بها من القضاة، واستناب عنه قضاة شافعية. ومن حينئذٍ اشتهر مذهب الشافعى، ومذهب مالك بديار مصر، وتظاهر الناس بهما، واختفى مذهب الشيعة من الإمامية والإسماعيلية. وبطل من حينئذ مجلس الدعوة بالجامع الأزهر وغيره.

وفيها ابتدأ صلاح الدين فى غزو الفرنج، فجمع الجنود والعساكر، وخرج فى أحسن زى إلى بلاد عسقلان والرملة فشن الغارات عليها، وهجم ربض مدينة غزة، وواقع ملك الفرنج على الداروم ففل جمعه وقتل منه كثيرًا من الفرنج، ونجا ملكهم بحشاشته وعاد صلاح الدين مظفرًا غانمًا.

ثم خرج فى النصف من ربيع الأول ومعه مراكب مفصلة على الجمال، فسار إلى أيلة، وكان بها قلعة منيعة قد ملكها الفرنج، فألقى المراكب المحمولة معه بعد إقامتها وإصلاحها فى البحر، وشحنها بالرجال والسلاح، وضايق قلعة أيلة فى البر والبحر حتى افتتحها فى العشرين من ربيع الآخر، وقتل من بها من الفرنج، وسلمها لثقات من

أصحابه أقامهم فيها وقواهم بالسلاح والميرة ونحو ذلك.

ووردت عليه قافلة أهله فسار بهم إلى القاهرة، ودخل فى سادس عشرى جمادى الأولى، ثم سار إلى الإسكندرية لمشاهدة سورها وترتيب أمورها، فدخلها وأمر بإصلاح السور والأبراج، فعمر ما تهدم منه.

وفيها اشترى الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب[1] منازل العز بمصر، فى النصف من شعبان، وجعلها مدرسة للشافعية، وأوقف عليها عدة أماكن، منها الروضة تجاه مصر.

وفيها خرج الأمير شمس الدولة توران شاه إلى بلاد الصعيد، وأوقع بالعربان، وغنم منها غنائم تجل عن الوصف، وعاد إلى القاهرة.

وفيها ابتدأ صلاح الدين بعمارة السور الجديد على القاهرة.

وفيها كثر بمصر عسكر صلاح الدين وأقاربه وأصحابه، وانكفت أمراء المصريين عن التصرف ومنعوا من كل شىء، فبسطوا ألسنتهم بالقول ضد ما عليه صلاح الدين وأصحابه من الفعل فى محو آثار الدولة الفاطمية وإزالة رسومها، وخلع العاضد وقتله والدعاء للخليفة العباسى. فلما رأى أمره قوى وأوتاد دولته قد تمكنت من البلاد عزم على إظهار ما يخفيه، فواعد أمراء النشابين على أن يمضوا إلى بيوت الأمراء المصريين فى الليل، ويقف كل أمير بجنده على باب أمير من أمراء مصر، فإذا خرج للخدمة قبض عليه واحتاط على داره وما فيها وأخذها لنفسه.

فأصبحوا واقفين على منازل الأمراء المصريين بأجنادهم، فما هو إلا أن يخرج الأمير من منزله ليصير إلى الخدمة على عادته، فإذا بالأمير الشامى الذى قد عين له وقد قبض عليه وأوثقه، وهجم بمن معه على داره فملكها بجميع ما تحتوى عليه، وما يتعلق بصاحبها وينسب إليه من أهل ومال وخيول وعبيد وجوارٍ، وما له من إقطاع. فلم ينتشر الضوء حتى علت الأصوات وارتفعت الضجات، وثار الصياح من كل جانب، وصار الأمراء الشاميون فى سائر نعم أمراء مصر، وأصبح الأمراء المصريون أسرى معتقلين فى أيدى أعاديهم. فآل أمرهم إلى أن صار الأمير منهم بوابا على الدار التى كان يسكنها، وصار آخر منهم سائس فرس كان يركبها، وصار آخر وكيل القبض فى

---

(١) عمر بن المظفر شاهنشاه بن أيوب، تقى الدين، أمير كان صاحب حماة. وهو ابن أخى السلطان صلاح الدين. وكان شجاعًا مظفرًا. ولد بالفيوم (بمصر) وولى الولايات، وناب عن عمه فى الديار المصرية. انظر: وفيات الأعيان ٣٨٣/١ وخطط مبارك ١٥/٦ وابن الوردى ١٠٣/٢ والنعيمى ٢١٦/١ والأعلام ٨٠/٣.

Marfat.com

بلد كانت إقطاعًا له؛ ونحو ذلك من أنواع الهوان.

وبلغ ذلك العاضد فشق عليه وأرسل إلى صلاح الدين يسأله عن سبب القبض على الأمراء، فبعث إليه بأن هؤلاء الأمراء كانوا عصاةً لأمرك والمصلحة قتلهم وإقامة غيرهم ممن يمتثل أمرك. فسكت.

وتقوى صلاح الدين وعظم أمره، وذهب من كان يخشاه ويخافه، وأخرج أكثر إقطاعات الأجناد بمصر، وزاد الأمير شمس الدولة على إقطاعه ناحية بوش ودهشور والمنوفية وغير ذلك. وانحل أمر العاضد.

فيها قبض صلاح الدين على جميع بلاد العاضد ومنع عنه سائر مورده، بحيث لم يبق له شيئًا، وقبض على القصور وسلمها إلى الطواشى بهاء الدين قراقوش الأسدى، وهو يومئذ زمام القصور من بعد قتل مؤتمن الخلافة، وصار له فى القصر موضع، فلا يدخل شىء من الأشياء إلى القصر ولا يخرج منه إلا بمرأى منه ومسمع. وضيق على أهل القصر حتى قبض فى هذه الأيام على جميع ما فيها،، وصار العاضد معتقلاً تحت أيديهم.

وفيها أمر صلاح الدين بتغيير شعار الفاطميين، وأبطل ذكر العاضد من الخطبة وكان الخطيب يدعو للإمام أبى محمد، فتخاله العامة والروافض العاضد وهو يريد أبا محمد الحسن المستضىء بأمر الله أمير المؤمنين الخليفة. ثم أعلن بالعزم على إقامة الخطبة العباسية.

وفيها مات الشيخ الموفق يوسف بن محمد أبو الحجاج، ابن الخلال، كاتب الدست.

وفى يوم الجمعة سلخ ذى الحجة: عزم صلاح الدين على الإعلان بالأمر وكشف الغطاء فأحجم الخطباء عن ذلك تقية وحذرًا، فانتدب لذلك رجل من أهل المغرب يقال له اليسع بن عيسى بن حزم بن عبد الله بن اليسع أبو يحيى الغافقى الأندلسى، فقصد المنبر مستعدًا من الحديد بما يدفع عن نفسه إن أراده أحد بسوء، فخطب ودعا للخليفة أبى محمد الحسن المستضىء بأمر الله أمير المؤمنين، وذكر نسبه إلى العباس. وقيل بل كان ذلك فى السنة الآتية.

سنة سبع وستين وخمسمائة

فى أول المحرم: نسخ منشور بنقل السنة الخراجية إلى السنة الهلالية لخلو هذه السنة من نوروز. ومنذ نقلت السنة فى أيام الأفضل أمير الجيوش، كما تقدم ذكره، لم تنقل، وانسحب الأمير حتى تداخلت السنون، وصار التفاوت بين العربية والقطبية سنتين.

Marfat.com

وفى رابعه: جلس العاضد بعد الإرجاف بأنــه أثخـن فـى مرضـه، فشـوهد علـى مـا حقق الإرجاف من ضعف القوى وتخاذل الأعضاء وظهـور الحمـى، وقيـل إنهـا تفشـت بأعضائه. وأمسك طبيبه المعروف بابن السديد(١) عن الحضور إليه، وامتنع عـن مداواتـه، وخذله مساعدة عليه للزمان، وميلا مع الأيام.

وفيها نزل نجم الدين أيوب بجماعة معه إلى الجامع وأمر الخطيب ألا يذكـر العـاضد، وقال: إن ذكرته ضربت عنقك. فقال: لمن أخطب؟ فقال: للخليفة المستضىء بـأمر اللـه العباسى. فلما خطـب لـم يذكـر العـاضد ولا غـيره، بـل دعـا للأئمـة المهديـين والملـك الناصر. فقيل له فى ذلك، فقال: مـا علمـت اسـم المستضىء ولا نعوتـه، وفـى الجمعـة الثانية أفعل ما يجب فعله وأذكره، فلما بلـغ العـاضد ذلـك، قـال: فـى الجمعـة الأخـرى يعينون اسم الرجل المخطوب له. فلما كانت الجمعة الثانية، وهى سـابعه، خطـب باسـم الخليفة المستضىء بأمر الله أبى محمد الحسن بن المستنجد باللـه أبـى المظفـر يوسـف بـن المقتفى لأمر الله أبى عبد الله محمد بن المستظهر بالله(٢). وقطعت الخطبة للعـاضد لديـن الله فانقطعت ولـم تعد بعدها إلى اليوم الخطبة للفاطميين.

وذلك أنه لما ثبتت قدم صلاح الدين بالديار المصرية وأزال المخالفين له، وضعف أمـر الخليفة العاضد بقتل رجاله وذهاب أمواله، وصار الحكم على قصـره قراقـوش، طواشـى أسد الدين، نيابة عن صلاح الدين، وتمكنت عساكر نـور الديـن مـن مصـر، طمـع فـى أخذها. وكتب إلى صلاح الدين - وفى ظنه وظن جميع عساكره أن صـلاح الديـن إنمـا هو نائب عنه فى مصر متى أراد سحبه بإذنه لا يمتنع عليه - يأمره بقطع خطبـة العـاضد وإقامتها للمستضىء العباسى. فاعتذر بالخوف من قيـام المصريـين عليـه وعلـى مـن معـه لميلهم - كان - إلى الفاطميين، ولأنـه خـاف مـن قطـع خطبـة العـاضد وإقامـة الخطبـة للمستضىء أن يسير نور الدين إلى مصر وينزعه منها. فلـم يقبـل منـه نـور الديـن وألـح عليه وألزمه إلزامًا لم يجد مندوحة عن مخالفته، وساعدته الأقـدار بمـرض العـاضد المـرض

---

(١) عبد الله بن على بن داود بن المبارك أبو المنصور، شرف الدين بن سديد الدين، وغلب عليه لقب أبيه فعرف بالشيخ السديد: شيخ الطب ورئيس الأطباء فى الديار المصرية فى عصره. خدم خمسة من الخلفاء الفاطميين، أولهم الآمر بأحكام الله وآخرهم العاضد. انظر: طبقات الأطبـاء ٢/١٠٩ - ١١٥ وشذرات الذهب ٤/٣٠٩ والأعلام ٤/١٠٥.

(٢) يوسف المستنجد بن محمد المتقى بن المستظهر أبو المظفـر العباسـى: مـن خلفـاء الدولـة العباسـية ببغداد بويع له بعد وفاة أبيه سنة ٥٥٥هـ، فأزال المكوس، ورفع الضرائب عن الناس، وكـان مـن أحسن الخلفاء سيرة مع رعيته. انظر: ابن الأثير ١١/٩٦-١٣٤ وتاريخ الخميس ٢/٣٦٣ ومـرآة الجنان ٣/٣٧٩ والأعلام ٨/٢٤٧.

Marfat.com

الذى غلب على الظن أنه لا يعيش منه. فجمع صلاح الدين أصحابه إليه واستشارهم فى ذلك، فاختلفوا، فمنهم من أشار بقطع خطبة العاضد، ومنهم لم يشر بها.

وكان قد دخل إلى مصر رجل عجمى يعرف بالأمير العالم، يزعم أنه عباسى فاطمى من أيام الصالح ابن رزيك، وما زال ينتقل فى قوالب الانتساب وأساليب الاكتساب. فلما رأى ما هم فيه من الإحجام وأن أحدًا لا يتجاسر ويخطب للمستضىء قال: أنا أبتدئ الخطبة له.

فصعد يوم الجمعة المنبر بالجامع العتيق وخطب للمستضىء قبل الخطيب، فلم ينكر أحد عليه ولا تحرك له. فتيقن حينئذ صلاح الدين ذهاب قوة القوم من والٍ يغريهم. فتقدم إلى جميع الخطباءِ بأن يخطبوا فى الجمعة الآتية للمستضىء، وكتب بذلك إلى سائر أعمال مصر فكان الذى ابتدأ بالخطبة للمستضىء فى الجامع العتيق بمصر أبو عبد الله محمد بن الحسن بن الحسين بن أبى المضاءِ الدمشقى. وكان قد قدم به أبوه إلى مصر فنشأ بها، وقرأ الأدب، ورحل إلى دمشق وبغداد وتفقه، وعاد إلى مصر، واتصل بخدمة السلطان صلاح الدين فولاه الخطابة بمصر، ثم بعثه رسولا إلى بغداد، فمات بدمشق. وولى الخطابة بعده الشيخ أبو إسحاق العراقى.

فكتم أهل العاضد ذلك عنه لشدة ما به من المرض. وكان ذلك من أعجب ما يؤرخ، فإن الخطبة بديار مصر أول ما خطب بها للمعز لدين الله، أول خلائف الفاطميين بمصر، عمر بن عبد السميع العباسى الخطيب بجامع عمرو، كما تقدم ذكره، وكان الذى قطع خطبة العاضد، آخر خلائفهم، رجل عباسى. ومثله فى الغرابة أن الفاطميين لم يتمكنوا من الديار المصرية حتى قصدوها بعساكرهم مرتين مع القائم بن المهدى ولم يفتح، وفتحوها فى الثالثة على يد جوهر، وكذا حصل فى زوالهم من مصر فإن شيركوه قصد مصر مرتين ورجع، ثم قصدها المرة الثالثة واستقر بها حتى أزالت عساكره الدولة.

فى ثامنه: أمر صلاح الدين بركوب عساكره كلها قديمها وجديدها، بعد أن تكامل سلاحهم وخيولهم، وخرج لعرضهم، وهى تمر عليه موكبًا بعد موكب وطلبًا بعد طلب.

والطلب بلغة الغز هو الأمير المقدم، الذى له علم معقود، وبوق مضروب، وعدة من الجند ما بين مائتى فارس إلى مائة فارس إلى سبعين فارس. واستمر طوال النهار فى عرضهم. وكانت العدة الحاضرة مائة وسبعة وأربعين طلبًا والغائب منها عشرون طلبًا، وتقدير العدة أربعة عشر ألف فارس.

Marfat.com

فى يوم الاثنين لإحدى عشرة خلت من المحرم، عشية يوم عاشوراء: نفذ حكم الله المقدور، وقضاؤه الذى يستوى فيه الآمر والمأمور، فى العاضد لدين الله، فى الثلث الأول من ليلة الاثنين يوم عاشوراء، وقامت عليه الواعبة، وعظمت ضوضاء الأصوات النادبة، حتى كأن القيامة قد قامت. وكان بين وضع اسمه من أعواد المنابر ورفع جسمه على أعواد النعش ثلاثة أيام. فاعتنى به صلاح الدين عن أن يبتذل أو يهان بعد الموت، وكان من معه من الأمراء يريدون ذلك، وأمر بكف الأيدى واعتقال الألسنة عن التعرض إليه بسوء، وركب معزيًا لأهل القصر. وأمر بتجهيزه وقد أظهر الكآبة والحزن وأجرى دمعه، ووعد أهله بحسن الخلافة على أيتام العاضد وهم ثلاثة عشر ولدًا: أبو الحسن، وأبو سليمان داود، وأبو الحجاج يوسف، وأبو الفتوح، وأبو إسحاق إبراهيم وأبو الفضل جعفر، وأبو داود موسى، وأبو زكريا يحيى، وعبد القوى، وعبد الكريم، وعبد الصمد، وأبو اليسر، وأبو القاسم عيسى.

وأمر بإنشاء الكتب إلى البلاد بذكر وفاة العاضد وأن الخطبة استقرت للمستضىء بأمر الله أمير المؤمنين العباسى، وألا يخوض أحد فى شأن العاضد ولا يطعن فى السلطان. وكتب إلى نور الدين بموت العاضد وإقامة الخطبة للمستضىء كما أشار به مع ابن أبى عصرون [.....][1]

وفى حادى عشره: عمل البقية بالإيوان، وحضر السلطان صلاح الدين، وكان محفلا حافلا وجمعًا حاشدًا، فيه خلق من الزوايا وأهل التصوف وغيرهم. واهتم بما يحمل من أطعمة العزاء.

وكانت النفوس متطلعة إلى إقامة خليفة بعد العاضد من أهله يشار إليه بالأمر، فلم يرض ذلك صلاح الدين.

ومات العاضد وعمره إحدى وعشرون سنة غير عشرة أيام، منها فى الخلافة، إلى أن أعيدت دولة بنى العباس فى مستهل المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر وسبعة عشر يومًا. وكان كريمًا سمحًا لطيفًا، لين الجانب، يغلب عليه الخير وينقاد إليه. وكان أسمر حلو السمرة كبير العينين أزج الحاجبين، فى أنفه حلس وفى منخريه انتشار، وفى شفتيه غلظ.

وترك العاضد من الولد الأمير داود، والأمير عليا ويقال أبو على، والأمير عبد الكريم، وتميمًا، وموسى، وعبد القوى، وجعفر، وعبد الصمد، وأبا الفتوح، وحيدرة، وإبراهيم، ويحيى، وجبريل، وعيسى، وسليمان، ويوسف.

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل بمقدار أسطر.

Marfat.com

غير أن أيامه كانت ذات مخاوف وتهديدات، وقاسى شاورًا وتلوناتـه ومخايلاتـه، ثـم محاصرة الفرنج ومضايقته.

وفى أيامه: احترقت مصر وذهبت أمـوال أهلهـا وزالـت نعمتهـم بـالحريق والنهـب. وكان متغاليًا فى مذهبه شديدًا على من خالفه. ولم يكن فيمن ولى مـن آبائـه مـن أبـوه غير خليفة سواه ومن قبله الحافظ، وما عداهما فلم يل منهم أحد الخلافـة إلا مـن كـان أبوه خليفة.

وقال ابن خلكان: سمعت جماعة من المصريـين يقولـون إن هـؤلاء القـوم فـى أوائـل دولتهم قالوا لبعض العلماء: اكتب لنا ورقة تذكر فيهـا ألقابًـا تصلـح للخلفـاء حتـى إذا تولى واحد لقبوه ببعض تلك الألقاب، فكتب لهـم ألقابًـا كثـيرةً، وآخـر مـا كتـب فـى الورقة العاضد، فاتفق أن آخر من ولى تلقب بالعاضد، وهذا من عجيب الاتفاق.

قال: وأخبرنى أحد علماء المصريين أيضًا أن العاضد رأى فى آخـر دولتـه فـى منامـه كأنه بمدينة مصر، وقد خرجـت إليـه عقـرب مـن مسـجد معـروف بهـا فلدغتـه، فلمـا استيقظ ارتاع لذلك وطلب بعض معبرى الرؤى وقص عليه المنام، فقال: ينالك مكـروه من شخص هو مقيم فى هذا المسجد، فطلب والى مصر وأمره يكشف عمـن هـو مقيـم فى المسجد المذكور، وكان العاضد يعرفه. فمضى الـوالى إلى المسـجد فـرأى فيـه رجـلا صوفيًا، فأخذه ودخل به على العاضد، فلما رآه سأله من أيـن هـو، ومتـى قـدم البـلاد، وفى أى شىء قدم، وهو يجاوبه عن كل سؤال. فلما ظهر له منه ضعف الحال والصـدق والعجز عن إيصال المكروه إليه أعطاه شيئًا وقال لـه: يـا شـيخ ادع لنـا، وأطلـق سـبيله، فنهض من عنده وعاد إلى المسجد.

فلما استولى صلاح الدين وعزم على القبض علـى العـاضد واسـتفتى الفقهـاء فـأفتوه بجواز ذلك لما كان عليه العاضد وأشـياعه مـن انحـلال العقيـدة وفسـاد الاعتقـاد وكـثرة الوقوع فى الصحابة، وكان أكثرهم مبالغة فى الفتيا الصوفى المقيم فى المسـجد - وهـو نجم الدين الخبوشانى[1] - فإنه عدد مساوئ القوم وسلب عنهم الإيمان، وأطـال الكـلام فى ذلك، فصحت بذلك رؤيا العاضد.

وحكى الشريف الجليس أن العاضد طلبه يومًا، فلما دخل عليـه رأى عنـده مملوكـين من الترك عليهما أقبية، فسأله عنهما، فقال له: هذه هيئة الذين يملكون ديارنا ويـأخذون أموالنا، فلما دخل الغز كانت هيئتهم كهيئة هذين المملوكين.

---

(١) نجم الدين الخبوشانى هو أبو البركات محمد بن الموفق سعيد بـن علـى بـن الحسـن بـن عبـد الله الخوشانى، الفقيه الشافعى ولد سنة ٥١٠هـ، وتوفى سنة ٥٨٧هـ. انظر: الأعلام ٦/١٢٥.

Marfat.com

ومن العجيب أنه لم يمت بالقصر منهم إلا المعز أولهم بمصر والعاضد آخرهم، وعدتهم أربعة عشر دفنوا كلهم بالتربة فى المجلس، فلو اتفق أنه مات آخر لم يوجد له عندهم مكان يدفن فيه لامتلائه بقبور الأربعة عشر، وهذا أيضًا من عجيب أمرهم.

ولما مات العاضد استولى صلاح الدين على جميع ما كان فى القصر، فإن قراقوش قام بحفظه، فلم يجد فيه كثير مالٍ، لكنه وجد فيه من الفرش والسلاح والذخائر والتحف ما يخرج عن الإحصاءِ، ووجد فيه من الأعلاق النفيسة والأشياء الغريبة ما تخلو الدنيا من مثله، ومن الجواهر ما لا يوجد عند غيرهم مثله. منها حبل ياقوت زنته سبعة عشر درهمًا أو سبعة عشر مثقالا، ونصاب زمرد طوله أربعة أصابع فى عرض كبير، ولؤلؤ كثير وإبريق من حجر مانع يسع مائة رطل ماء، وسبعمائة يتيمة بزهر، والطبل الذى صنع لإزالة القولنج، وكان بالقرب من موضع العاضد، فلما احتاطوا بالقصر ظنوه عمل للعب فسخروا من العاضد، وضرب عليه إنسان فضرط فتضاحك من حضر منهم، ثم ضرب عليه آخر فضرط، ثم آخر من بعد فضرط، حتى كثر ذلك فألقاه من يده فتكسر؛ وقيل للسلطان عليه وأنه عمل للقولنج فندم على كسره.

ووجد من الكتب النفيسة ما لا يعد، ويقال إنها كانت ألف ألف وستمائة ألف كتاب، منها مائة ألف مجلد بخط منسوب، وألف ومائتان وعشرون نسخة من تاريخ الطبرى، فباع السلطان جميع ذلك، وقام البيع فيها عشر سنين.

ونقل أهل العاضد وأقاربه إلى مكان بالقصر ووكل بهم من يحفظهم. وأخرج سائر ما فى القصر من العبيد والإماء فباع بعضهم وأعتق بعضهم ووهب منهم. وخلا القصر من ساكنه كأن لم يغن بالأمس.

وكانت مدة الدولة الفاطمية بالمغرب ومصر منذ دعى للمهدى عبيد الله برقادة من القيروان إلى حين قطعت من ديار مصر مائتى سنة وتسعًا وستين سنة وسبعة أشهر وأيامًا، أولها لإحدى عشرة بقيت من ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين وآخرها سلخ ذى الحجة سنة ست وتسعين وخمسمائة. منها بالمغرب إلى حين قدوم القائد جوهر إلى مصر أحد وستون سنة وشهران وأيام، ومنها بالقاهرة ومصر مائتا سنة وثمانى سنين. وما أعجب قول المهدى بن الزبير فى مدح العاضد:

بل عاد للدنيا الجمال وبدا على الدين الجلال
أصبحت فى الخلفاءِ را بع عشرهم وهو الكمال

فإن الشىء إذا كمل بدأ نقصه، وبالعاضد تم ملك الفاطميين وزال بموته.

Marfat.com

قال ابن سعيد: ولم يسمع فيما بكيت به دولة بعد انقراضها أحسن من قصيدة عمارة بن على اليمنى الذى قتله صلاح الدين، وهى:

رميت يا دهر كف المجد بالشلل ... وجيده بعد حسن الحلى بالعطل
سعيت فى منهج الرأى العثور فإن ... قدرت من عثرات الدهر فاستقل
جدعت مارنك الأقنى، فأنفك لا ... ينفك ما بين قرع السن والحجل
هدمت قاعدة المعروف عن عجل ... سقيت مهلا أما تمشى على مهل
لهفى ولهف بنى الآمال قاطبة ... على فجيعتنا فى أكرم الدول
قدمت مصر، فأولتنى خلائفها ... من المكارم ما أربى على الأمل
قوم عرفت بهم كسب الألوف ومن ... كمالها أنها جاءت ولم أسل
وكنت من وزراء الدست حين سما ... رأس الحصان بهاديه على الكفل
ونلت من عظماء الجيش مكرمة ... وخلة حرست من عارض الخلل
يا عاذلى فى هوى أبناء فاطمة ... لك الملامة إن قصرت فى عذلى
بالله زر ساحة القصرين وابك معى ... عليهما لا على صفين والجمل
وقل لأهلهما: والله ما التحمت ... فيكم جراحى ولا قرحى بمندمل
ماذا عسى كانت الإفرنج فاعلة ... فى نسل آل أمير المؤمنين على
هل كان فى الأمر شىء غير قسمة ما ... ملكتم بين حكم السبى والنفل
وقد حصلتم عليها واسم جدكم ... محمد وأبوكم غير منتقل
مررت بالقصر والأركان خالية ... من الوفود وكانت قبلة القبل
فملت عنها بوجهى خوف منتقد ... من الأعادى ووجه الود لم يمل
أسبلت من أسف دمعى غداة خلت ... رحابكم وغدت مهجورة السبل
أبكى على مأثرات من مكارمكم ... حال الزمان عليها وهى لم تحل
دار الضيافة كانت أنس وافدكم ... واليوم أوحش من رسم ومن طلل
وفطرة الصوم إن أضحت مكارمكم ... تشكو من الدهر ضيمًا غير محتمل
وكسوة الناس فى الفصلين قد درست ... ورث منها جديد عندهم وبلى
وموسم كان فى يوم الخليج لكم ... يأتى تجملكم فيه على الجمل
وأول العام والعيدين كم لكم ... فيهن من وبل جود ليس بالوشل
والأرض تهتز فى يوم الغدير كما ... يهتز ما بين قصريكم من الأسل
والخيل تعرض فى وشىٍ وفى شية ... مثل الطواويس فى حلى وفى حلل
ولا حملتم قرى الأضياف من سعة ... أطباق إلا على الأكتاف والعجل
وما خصصتم ببر أهل ملتكم ... حتى عممتم به الأقصى من الملل

Marfat.com

كـــانت رواتبكـــم للذمتـــين وللضـــ يـف المقيـــم وللطـارى مـــن الرســـل
ثـم الطـــراز بتنيـس الـــذى عظمـــت منـه الصـلات لأهـل الأرض والـدول
وللجوامـــع مـــن أحباســـكم نعـــم لمـن تصـــدر فـــى علـــم وفـــى عمـــل
وربمـــا عـــــادت الدنيـــــا لمعقلهـــا منكـم فـأضحت بكـم محلولـة العقـل
والله لا فـاز يـوم الحشـــر مبغضكـــم ولا نجـا مـن عـــذاب اللـــه غـــير ولى
ولا سـقى المـاء مـن حـر ومـن ظمـــأ مـن كـف خـير البرايـا خـاتم الرســل
ولا رأى جنـــة اللـــه التـــى خلقـــت من خان عهد الإمام العاضد بن علـى
أئمتـــى وهداتـــى والذخـــيرة لى إذا ارتهنـت بمـا قدمـت مـــن عملـى
تالله لـم أوفهـم فـى المـــدح حقهـم لأن فضلهـــم كـــالوابل الهطـــل
ولـو تضـــاعفت الأقـوال واسـتبقت ما كنـت فيهـم بحمـد اللـه بـالخجل
بـاب النجـاة هـــم دنيـــا وآخـــرة وحبهـم فهـو أصـل الديـن والعمـل
نـور الهـدى ومصـابيح الدجـى؟ ومحـل الغيـث إن ونـت الأنـواء فـى المحـل
أئمـــة خلقـــوا نـــورًا فنورهـــم مـن نـور خـالص نـور اللـه لـم يفـل
والله لا زلـت عـن حبـى لهـم أبـدًا مـا أخـر اللـــه لى فـى مـده الأجـل
عمـــارة قالهـا المسكين وهـو علـى خوفٍ من القتل ولا خوف من الزلل

ووجد على بعض جدران القصر مكتوبًا:

يـا هـــذه الدنيـــا عجبـــت لمولـــع بك كيف أضحى فى هواك يقـاد
مـا صـح منـك لآل أحمـد موعـد فكيـف منـك لغـــيرهم ميعـــاد
أمـا نعيمـــك فهـــو ظـــل زائـــل وصـلاح مـــا تـأتيـــه فهو فساد

* * *

ذكر طرف من ترتيب الدولة الفاطمية

اعلم أن الدولة كانت إذا خلت من وزير صاحب سيف يتغلب عليها فإنه يجلس صاحب الباب فى باب القصر المعروف بباب الذهب، وهو أحد أبواب القصر، ويقف بين يديه الحجاب والنقباء، وينادى منادٍ: يا أرباب الظلامات، فيحضر إليه أرباب الحوائج.

فمن كان أمره مما يشاقه به نظر فى أمره بمن يتعلق من القضاة أو الولاة، فيسير إلى ذلك كتابًا بكشف ظلامته. فإن كان مع المتظلم قصة أخذها منه الحاجب، فإذا اجتمع معه عدة دفعها إلى الموقع بالقلم الدقيق فيوقع عليها، ثم تحمل منه إلى الموقع بالقلم الجليل ليبسط ما أشار إليه الموقع بالقلم الدقيق. فإذا تكاملت حملت فى خريطة إلى الخليفة فوقع عليها، ثم أخرجت فى الخريطة إلى الحاجب فيقف بها على باب القصر ويسلم لكل أحد توقيعه.

فإن كان فى الدولة وزير صاحب سيف فإنه يجلس يومين فى كل أسبوع فى مكان معد له فى القصر، ويجلس قبالته قاضى القضاة وعن جانبيه شاهدان معتبران، ويجلس فى جانب الوزير الموقع بالقلم الدقيق ويليه صاحب ديوان المال، وبين يديه صاحب المال وأسفهسلار العساكر، وبين أيديهما النواب والحجاب على طبقاتهم.

وكان أجل الخدم صاحب الباب، وهو من الأمراء المطوقين، ثم الأفسهسلار، وهو زمام كل زمامٍ وإليه أمور الجناد، ثم حامل سيف الخليفة أيام الركوب، ثم زمام الحافظية والآمرية، وهما أجل الأجناد.

وكانت ولاية الأعمال أجلها ولاية عسقلان، ثم ولاية قوص، ثم ولاية الشرقية، ثم ولاية الغربية، ثم ولاية الإسكندرية.

وكان قاضى القضاة ينظر فى الأحكام الشرعية، فلما صارت الوزارة إلى أرباب السيوف كان يقلد القضاة نيابة عنه. والقاضى أجل أرباب العمائم رتبة، وتارة يكون داعى الدعاة، وتارة تفرد الدعوة عنه. ويجلس فى يومى الثلاثاء والسبت بزيادة جامع عمرو بن العاص، وله طراحة ومسند حرير والشهود حوله، وله خمسة من الحجاب اثنان منهم بين يديه واثنان على باب المقصورة وواحد ينفذ الخصوم إليه. وله أربعة من الموقعين، ودواته بين يديه على كرسى محلى بفضة يحمل إليه من الخزائن ولها حامل بجارٍ سلطانى فى كل شهر. ويخرج إليه من اصطبل الخليفة بغلة شهباء، وهى مختصة به دونَ غيرها، ويكون عليها سرج محلى ثقيل وراويتان من فضة، ومكان الجلد حرير

وتخلع عليه الخلع المذهبة، فيسير من غير طبل ولا بوق إلا أن يضاف إليه الدعوة فإنه يسير حينئذ بالطبل والبوق، فإن ذلك من رسوم الداعى مع البنود. فإن كان إنما خلع عليه لوظيفة القضاء فقط فإنه يسير بالغز أرجالاً حوله وبين يديه المؤذنون يعلنون بذكر الخليفة، أو الخليفة والوزير إن كان ثم وزير صاحب سيف، ويركب معه يومئذ نواب الباب والحجاب ولا يجلس أحد فوقه ألبتة، ولا يمكنه حضور جنازة ولا عقد نكاح إلا بإذن، ولا يقوم لأحد من الناس إذا كان فى مجلس الحكم، ولا ينشئ عدالة ألبتة إلا بإذن، فلا تثبت إذا أذن له فى إنشائها لأحد حتى يزكيه عشرون عدلاً من عدول البلد بين مصر والقاهرة ويرضاه الشهود كلهم.

فإن كان فى الدولة وزير سيف لا يخاطب حينئذ من يتولى الحكم بقاضى القضاة فإنه من نعوت الوزير.

ويصعد القاضى إلى القصر فى يومى الخميس والاثنين بكرة للسلام على الخليفة، وله النواب، وإليه النظر فى دار الضرب لتحرير العيار. ولا يصرف القاضى إلا بجنحة.

وكان فى الدولة داعى الدعاة، ورتبته تلى رتبة قاضى القضاة، ويتزيا بزيه، ولابد أن يكون عالمًا بمذاهب أهل البيت، عليهم السلام، وله أخذ العهد على من ينتقل إلى مذهبه، وبين يديه اثنا عشر نقيبًا، وله نواب فى سائر البلاد. ويحضر إليه فقهاء الشيعة بدار العلم ويتفقون على دفتر يقال له مجلس الحكمة يقرأ فى كل يوم اثنين وخميس بعد أن تحضر مبيضته إلى داعى الدعاة ويتصفحه ويدخل به إلى الخليفة فيتلوه عليه إن أمكن، ويأخذ خطه عليه فى ظاهره. ثم يخرج فيجلس على كرسى الدعوة بالإيوان من القصر، فيقرؤه على الرجال، ثم يخرج ليقرأ على النساء. وله أخذ النجوى من المؤمنين بالأعمال كلها، ومبلغها ثلاثة دراهم وثلث، فيحملها إلى الخليفة.

كان متولى ديوان الإنشاء يخاطب بالأجل، ويقال له كاتب الدست، وهو الذى يتسلم الكتب الواردة ويعرضها على الخليفة من يده ثم يأمر بتنزيلها والجواب عنها. والخليفة يستشيره فى أكثر أموره ولا يحجب عنه شىء متى جاء، وهذا أمر لا يصل إليه غيره، وربما بات عنده. وجاريه فى كل شهر مائة وعشرون دينارًا، مع الكسوة والرسوم، ولا يدخل إلى ديوانه ولا يجتمع بكتابه إلا الخواص، وله حاجب من الأمراء وفراشون ومرتبة هائلة، ومخاد ومسند، ودواة بغير كرسى وهى من أنفس الدوى، ولها أستاذ من خدام الخليفة برسم حملها.

ولابد للخليفة من جليس يذاكره ما يحتاج إلى عمله من كتابات وتجويد الخط ومعرفة الأحاديث وسير الخلفاء ونحو ذلك، يجتمع به أكثر أيام الأسبوع، وبرسمه

Marfat.com

أستاذ محنك يحضر فيكون ثالثهما، فيقرأ ملخص السير ويكرر عليه ذكر مكارم الأخلاق.

ورتبته عظيمة تلحق برتبة كاتب الدست، ويكون صحبته دواة محلاة. فإذا فرغ من المجالسة ألقى فى الدواة كاغدة فيها عشرة دنانير وقرطاسًا فيه ثلاثة مثاقيل ند مثلث خاص ليتبخر به عند دخوله على الخليفة ثانى مرة وله منصب التوقيع بالقلم الدقيق، كما تقدم، ويجلس حال التوقيع على طراحة ومسند، وله فراشون من فراشى الخاص تقدم له ما يوقع عليه. ويختص به موضع من ديوان المكاتبات لا يدخل إليه أحد إلا بإذن.

ورأس أصحاب دواوين المال من يلى النظر على الدواوين وله العزل والولاية، وهو الذى يعرض الأوراق على الخليفة أو الوزير، ويعتقل من شاء بكل مكان، ويجلس بالمرتبة والمسند وبين يديه حاجب من أمراء الدولة، وتخرج له الدواة بغير كرسى وينتدب من يطلب للحساب، ويحث فى طلب المال ومطالبة أرباب الضمانات.

وكان لهم ديوان التحقيق، ومقتضاه المقابلة على الدواوين ولمتوليه الخلع والرتبة والحاجب، ويلحق بناظر الدواوين.

وديوان المجلس، وفيه علوم الدولة، وهو أصل الدواوين، وفيه عدة كتّاب لكل منهم مجلس معد ومعتاد. وصاحب هذا الديوان هو الذى يتحدث فى الإقطاعات، ويخلع عليه، وهو لاحق بديوان النظر، ويجلس بالمرتبة والمسند والدواة والحاجب.

والتوقيع بالقلم الجليل يسمى الخدمة الصغرى، ولمتوليها الطرحة والمسند بغير حاجب، بل ويندب له فراش لترتيب ما يوقع عليه، ولا يوقع الخليفة عليه بيده إذا كان وزيره صاحب سيف إلا فى أربعة مواضع: إذا رفعت إليه قصة وقع عليها يعتمد ذلك إن شاء، أو كتب بجانبها الأيمن يوقع بذلك، فيخرج إلى صاحب ديوان المجلس دون غيره فيوقع جليلا، ويدخل بها إلى الخليفة ثانيا فيضع علامته عليها. وكانت علامتهم كلهم «الحمد لله رب العالمين»، ثم يخرج بها فتثبت فى الدواوين. أو يوقع فى مسامحة، أو تسويغ، أو تحبيس ما مثاله: قد أنعمنا بذلك، أو قد أمضينا ذلك. فإذا أراد الخليفة الاطلاع على شىء وقع ليخرج الحال فى ذلك، فإذا خرج الحال عاد إليه ليعلم عليه، فإن كان الوزير صاحب سيف وقع الخليفة بخطه: وزيرنا السيد الأجل، واللقب المعروف به، أمتعنا الله ببقائه، يتقدم بإنجاز ذلك إن شاء الله. فيكتب الوزير تحت خطه: يمتثل أمر مولانا أمير المؤمنين، صلوات الله عليه، ثم يثبت فى الدواوين.

Marfat.com

ولديوان الجيش مستوف مسلم له غيرة، ويجلس بطراحة لحركة العرض والحلى والشيات. وفى هذا الديوان خازنان برسم رفع الشواهد، فإذا عرض الجندى حلى وذكرت صفات فرسه، ولا يثبت له إلا الفرس الجيد، ولا يثبت له برذون ولا بغل، ويقف بين يدى هذا المستوفى نقباء الأجناد لإنهاء أمور الأجناد، وفسح للأجناد فى آخر الدولة أن يقابض بعضهم بعضًا.

وديوان الرواتب فيه أسماء كل مرتزق فى الدولة ضمن له جار وجراية، وكاتبه يجلس بطراحة وتحت يده عشرة كتاب، وترد إليه التعريفات من سائر الأعمال باستمرار ما هو مستمر ومباشرة من يستجد وموت من مات ليوجب استحقاقه.

وفى هذا الديوان عدة عروض.

أولها: راتب الوزير وهو فى الشهر خمسة آلاف دينار، ولكل من أولاده وإخوته من ثلاثمائة دينار إلى مائتى دينار. وقرر لشجاع بن شاور خمسمائة دينار، ولكل من حواشى [.....][1] من خمسمائة دينار إلى ثلاثمائة، وذلك سوى الإقطاعات.

وثانيها: حواشى الخليفة، وأولهم الأستاذون المحنكون، وهم: زمام القصر، وصاحب بيت المال، وحامل الرسالة، وصاحب الدفتر، وشاد التاج الشريف، وزمام الأشراف الأقارب، وصاحب المجلس، ولكل منهم مائة دينار فى الشهر. ولمن يلى هؤلاء يتناقص عشرة، وهكذا إلى من يكون جاريه عشرة دنانير. وعدة هؤلاء ألف فما فوقها، وهم خصيصيون، وللطبيب الخاص مائة دينار فى الشهر، ولعدة من الأطباء برسم أهل القصر كل منهم عشرة دنانير.

ثالثها: أرباب الرتب بحضرة الخليفة، وأولهم كاتب الدست الشريف، وجاريه فى الشهر مائة وخمسون دينارا، ولكل من كتابه ثلاثون دينارًا، ولمتولى مجالسة الخليفة والتوقيع بالقلم الدقيق فى المظالم مائة دينار، ولصاحب الباب مائة وعشرون دينارًا، ولكل من حامل السيف وحامل الرمح سبعون دينارا، ولكل من أزمة العساكر والسودان مائتان وخمسون دينارا إلى أربعين دينارًا إلى ثلاثين دينارًا.

رابعها: قاضى القضاة، وله فى الشهر مائة دينار، ولداعى الدعاة مائة دينار، وكل من قرأ الحضرة من عشرين دينارًا إلى خمسة عشر إلى عشرة دنانير، ولكل من خطباء الجوامع من عشرين دينارًا إلى عشرة دنانير، ولكل من الشعراء من عشرين دينارًا إلى عشرة دنانير.

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

Marfat.com

خامسها: أرباب الدواوين، وأولهم متولى ديوان النظر، وله فى الشهر سبعون دينارًا، ولمتولى ديوان التحقيق خمسون دينارًا، ولمتولى ديوان المجلس أربعون دينارًا، ولصاحب دفتر المجلس خمسة وثلاثون دينارا، ولكاتبه خمسة دنانير، ولمتولى ديوان الجيش أربعون دينارا، وللموقع بالقلم الجليل ثلاثون دينارا، ولكل من أصحاب دواوين المعاملات عشرون دينارا، ولكل معين عشرة دنانير، وفيهم من له سبعة وخمسة.

سادسها: المستخدمون بالقاهرة ومصر فى خدمة الوالين، لكل منهم خمسون دينارا، ولحماة الأهراء والمناخات والجوالى والبساتين والأملاك لكل منهم من عشرين دينارا إلى خمسة عشر إلى عشرة إلى خمسة.

سابعها: الفراشون برسم خدمة القصور، ومنهم برسم خدمة الخليفة خمسة عشر، منهم صاحب المائدة وحامى المطابخ، وجاريهم من ثلاثين دينارا إلى ما حولها سوى الرسوم، ويليهم الرشاشون ونحوهم، وعدتهم ثلاثمائة فراش مولاهم أستاذ، وجارى كل منهم من عشرة دنانير إلى خمسة.

ثامنها: صبيان الرّكاب وهم ينيفون على ألفى رجل، ولهم اثنا عشر مقدما أكبرهم مقدمو الركاب، ومقدم المقدمين منهم هو صاحب ركاب الخليفة الأيمن، ولكل من المقدمين فى الشهر خمسون دينارًا. وصبيان الركاب أربع جوق، جوقة لكل منهم فى الشهر عشرون دينارًا، ويليهم من له خمسة عشر ثم عشرة ثم خمسة دنانير، وهم يندبون إلى الأعمال ويحملون المخلفات لركوب الخليفة فى الأعياد والمواسم.

وكان لنقيب الأشراف اثنا عشر نقيبا، ويخلع عليه فيسير بالطبل والبوق والبنود مثل الأمراء، وله ديوان ومشارف وعامل ونائبه، وجاريه فى الشهر عشرون دينارا، ولمشارف ديوانه عشرة دنانير، ولنائبه فى النقابة ثمانية دنانير، وللعامل خمسة دنانير.

وللمحتسب عدة نواب بالقاهرة ومصر وسائر الأعمال، ويجلس بجامع القاهرة ومصر يوما بعد يوم، وتطوف نوابه على أرباب المعايش. ويخلع على المحتسب ويقرأ سجله على منبر جامع عمرو بن العاص.

وكانت لهم خدمة يقال لها النيابة، ومتوليها يتلقى الرسل الواردين من الملوك؛ وكانت خدمة جليلة لمتوليها نائب، ومن خواصه أنه ينعت أبدًا كل من يليها بغذى الملك، وله النظر فى دار الضيافة، ويعرف هذا اليوم[1] بالمهمندار. وكان له فى الشهر خمسون دينارًا وفى كل يوم نصف قنطار خبز مع بقية الرسوم.

---

(١) وقت تأليف الكتاب فى بدايات القرن التاسع الهجرى.

Marfat.com

وللخدمة فى ديوان الصعيد عدة كتـاب؛ ولأسفل الأرض ديوان، وللثغور ديوان، وللجوالى ديوان، وللمواريث ديوان، ولديوان الخراجى والهلالى عدة دواوين، منها ديوان الرباع، وديوان المكوس، وديوان الصناعة، وديوان الكراع وفيه معاملات الإصطبلات وما فيها، وديوان الأهراء، وديوان المناخات، وديوان العمائر ومحله بصناعة مصر لإنشاء الأسطول ومراكب الغلات السلطانية والأحطاب، وكانت تزيد على خمسين عشاريا وعشرين ديماسًا، منها عشرة خاصة برسم ركوب الخليفة أيام الخليج والبقية برسم ولاة الأعمال تجرد إليهم، وينفق عليها من الديوان، وديوان الأحباس.

وكانت عادتهم إذا انقضى عيد النحر عمل الاستيمار ويثبت فيه جميع ما يشتمل عليه مصروف تلك السنة من عين وورق وغلة وغيرها مفصلا بالأسماء، وأولهم الوزير حتى ينتهى إلى أرباب الضوء، ثم يعمل فى ملف حريرى يشد له جوهر يشده، وكان يبلغ فى السنة ما يزيد على مائة ألف دينار عينًا ومائتى ألف درهم فضة وعشرة آلاف إردب غلة، ويعرض على الخليفة، فيستوعبه، ويشطب على بعضه وينقص قومًا ويزيد قومًا ويستجد آخرين بحسب ما يعن له. فيحمل الأمر على الشطب.

وعمل مرة فى أيام المستنصر بالله، فوقع بظاهره: الفقر مر المذاق، والحاجة تذل الأعناق، وحراسة النعم بإدرار الأرزاق، فليجروا على رسومهم فى الإطلاق. ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ﴾(١).

وكان من عادتهم إخراج الكسوة فى كل سنة لجميع أهل الدولة من صغير وكبير فى أوقات معروفة، فبلغت كسوة الصيف والشتاء فى السنة ستمائة ألف دينار ونيف.

وكانوا يتأنقون فى المآكل، حتى إن الخادم والسائس من غلمانهم ينفق فى كل يوم على طعامه العشرة الدنانير والعشرين دينارًا لسعة أحوالهم.

وكانوا يفرقون فى أول كل سنة دنانير يسمونها دنانير الغرة تبلغ خمسمائة دينار فى السنة، فيتبرك بها من يأتيه منها برسوم مقررة لكل أحد.

وإذا أهل رمضان لا يبقى أمير ولا مقدم إلا ويأتيه طبق لنفسه، ولكل واحد من أولاده ونسائه طبق فيه أنواع الحلوى العجيبة الفاخرة.

وكانت خلعهم ثمينة جدًا بحيث يبلغ طراز الخلعة خمسمائة دينار ذهبا، ويختص الأمراء فى الخلع بالأطواق والأساورة الذهب مع السيوف المحلاة، ويتشرف الوزير

---

(١) سورة النحل آية ٩٦.

عوضًا عن الطوق بعقد جوهر فكاكه خمسة آلاف دينار يحمل إليه، ويختص بلبس الطيلسان المقور.

ولا يركب الخليفة إلا بمظلة منسوجة بالذهب مرصعة بالجواهر.

وسيأتى من إيراد بخربات ترتيبهم وحكاية أمور دولتهم عند ذكر خطط القاهرة - إن شاء الله - ما يعرفك مقدار ما كانوا فيه من أمور الدنيا وحقارة من جاء بعدهم فلله عاقبة الأمور.

* * *

ذكر ما عيب عليهم

لا شك فى أن القوم كانوا شيعة يرون تفضيل على بن أبى طالب على من عداه من الصحابة، وكانوا ينتحلون من مذاهب الشيعة مذهب الإسماعيلية وهم القائلون بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق وتنقلها فى أولاده الأئمة المستورين إلى عبيد الله المهدى، أول من قام منهم بالمغرب وبقية الشيعة لا يقولون بإمامة إسماعيل، وينكرون عليهم ذلك أشد الإنكار.

وكانوا مع انتحالهم مذهب التشيع غلاة فى الرفض، إلا أن أولهم كانوا أكابر صانوا أنفسهم عما تحرف به آخرهم. ثم إن الحاكم بأمر الله أكثر من النظر فى العقائد، وكان قليل الثبات سريع الاستمالة، إذا مال إلى اعتقاد شىء أظهره وحمل الناس عليه، ثم لا يلبث أن يرجع عنه إلى غيره فيريد من الناس ترك ما كان قد أمرهم به والمصير إلى ما استحدثه ومال إليه. واقترن به رجل يعرف باللباد الزوزنى فأظهر مذاهب الباطنية، وقد كان عند أولهم منها طرف، فأنكر الناس هذا المذهب لما يشتمل عليه مما لم يعرف عند سلف الأمة وتابعيهم، ولما فيه من مخالفة الشرائع.

فلما كانت أيام المستنصر وفد إليه الحسن بن الصباح، فأشاع هذا المذهب فى الأقطار ودعا الكافة إليه، واستباح الدماء بمخالفته، فاشتد النكير، وكثر الصائح عليهم من كل ناحية حتى أخرجوهم عن الإسلام ونفوهم عن الملة.

ووجد بنو العباس السبيل إلى الغض منهم لما مكنوا من البغض فيهم وقاسوه من الألم بأخذهم ما كان بأيديهم من ممالك القيروان وديار مصر والشام والحجاز واليمن وبغداد أيضا، فنفوهم عن الانتساب إلى على بن أبى طالب، بل وقالوا: إنما هم من أولاد اليهود، وتناولت الألسنة ذلك، فملئوا به كتب الأخبار.

ثم لما اتصل بهم الغز ووزر لهم أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين، وهم

Marfat.com

من صنائع دولة بنى العباس الذين ربوا فى أبوابهـا وغـذوا بنعمهـا ونشـئوا علـى اعتقـاد موالاتها ومعاداة أعدائها، لم يزدهم قربهم مـن الدولـة الفاطميـة إلا نفـورًا، ولا ملأهـم إحسانها إليهم إلا حقدًا وعداوة لها، حتى قووا بنعمتها على زوالها، واقتدروا بها علـى محوها.

وكانت أساسـات دولتهـم راسـخة فـى التخـوم، وسـيادة شـرفهم قـد أنـافت علـى النجوم، وأتباعهم وأولياؤهم لا يحصى لهم عـدد، وأنصـارهم وأعوانهـم قـد ملئـوا كـل قطر وبلد، فأحبوا طمس أنوارهم، وتغيير منارهم، وإلصاق الفساد والقبيـح بهـم، شـأن العدو وعادته فى عدوه.

فتفطن، رحمك الله، إلى أسرار الوجود، ومـيز الأخبـار كتمييزك الجيـد مـن النقـود، تعثر إن سلمت من الهوى بالصواب. ومما يدلك علـى كـثرة الحمـل عليهـم أن الأخبـار الشنيعة، لا سيما التى فيها إخراجهم مـن ملـة الإسـلام، لا تكـاد تجدهـا إلا فـى كتـب المشارقة من البغداديين والشاميين، كالمنتظم لابن الجـوزى[1]، والكـامل لابـن الأثـير[2]، وتاريخ حلب لابن أبى طى، وتاريخ العماد لابن كثـير، وكتـاب ابـن واصـل الحمـوى، وكتاب ابن شداد، وكتاب العماد الأصفهانى، ونحو هؤلاء، أما كتـب المصريين الذيـن اعتنوا بتدوين أخبارها فلا تكاد تجد فى شىءٍ منهـا ذلـك ألبتـة. فحكـم العقـل، واهـزم جيوش الهوى، وأعط كل ذى حق حقه، ترشد إن شاء الله تعالى.

* * *

ذكر ما صار إليه أولادهم

ولما مات العـاضد غسـله ابنـه داود وصلـى عليـه، وجلـس علـى الشـدة، واسـتدعى صلاح الدين ليبايعه، فامتنع، وبعث إليه: أنا نائب عن أبيك فى الخلافة ولم يوص بـأنك

---

(١) محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد الزرعى الدمشقى، أبو عبد الله شـمس الديـن: مـن أركـان الإصلاح الإسلامى وأحد كبار العلماء. مولده ووفاته فى دمشق. تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيميـة كان لا يخرج عن شىء من أقواله. له تحفة المودود بأحكام المولود - ط، والمنتظـم. انظـر: الـدرر الكامنة ٣/٤٠٠، وحلاء العين ٢٠ وبغية الوعاة ٢٥ وشذرات الذهب ١٦٨/٦ والنجوم الزاهرة ٢٤٩/١٠ والأعلام ٥٦/٦.

(٢) نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى، الجزرى، أبو الفتح ضيـاء الديـن، المعـروف بابن الأثير الكاتب: وزير من العلماء الكتاب المترسلين. ولد فى جزيرة ابن عمر، وتعلم بـالموصل حيث نشأ أخوه المؤرخ علـى، ومبـارك ولـه ديـوان رسـائل ابـن الأثـير. انظـر: وفيـات الأعيـان ١٥٨/٢، ومفتاح السعادة ١٧٨/١، الأعلام ٣١/٨.

ولى عهده. وقبض عليه وعلى بقية أولاد العاضد وأقاربه فى سادس شعبان سنة تسع وستين وخمسمائة، ونقله هو وجميع أقاربه وأهله إلى دار المظفر من حارة برجوان فى العشر الأخير من شهر رمضان، ووكل عليهم وعلى جميع ذخائر القصر، وفرق بين الرجال والنساء حتى لا يحصل منهم نسل. وأغلقت القصور وتملكت الأملاك التى كانت لهم، وضربت الألواح على رباعهم وفرقت على خواص صلاح الدين كثير منها وبيع بعضها. وأعطى القصر الكبير لأمرائه فسكنوا فيه. وأسكن أباه نجم الدين أيوب فى اللؤلؤة على الخليج، وصار كل من استحسن من الغز دارًا أخرج صاحبها منها وسكنها.

ونقلوا إلى قلعة الجبل، وهم ثلاثة وستون نفرًا، فى يوم الخميس ثانى عشرى رمضان سنة ثمان وستمائة، فمات منهم إلى ربيع الأول سنة أربع وعشرين وستمائة ثلاثة وعشرون وتولى وضع القيود فى أرجلهم الأمير فخر الدين الطبنا أبو شعرة بن الدويك والى القاهرة.

قال المهدى أبو طالب محمد بن على، ابن الخيمى[1]: وفى سنة ثلاث وعشرين وستمائة عوقبت بالقلعة، فوجدت بها من الأشراف أربعين شريفا وهم: الأمير سليمان ابن داود بن العاضد، وأبو الفتوح بن العاضد، وحيدرة بن العاضد، وجبريل بن العاضد، وعلى بن العاضد، وعبد القاهر بن حيدرة بن العاضد، وإسماعيل بن عيسى بن العاضد، وعبد الوهاب بن إبراهيم بن العاضد، وأبو القاسم بن أبى الفتوح بن العاضد، وقمر بن على بن العاضد، ويحيى بن جبريل بن الحافظ، وسليمان بن يحيى المذكور، وتميم بن يحيى المذكور، وعبد الله بن أبى الطاهر بن جبريل، وسليمان بن أبى الطاهر بن جبريل، وأبو جعفر بن أبى الطاهر، وعبد الظاهر بن أبى الفتوح بن جبريل، وأبو الحسن بن أبى اليسر بن جبريل، وأحمد بن أبى اليسر بن جبريل، وأبو الحسن بن أبى العباس حسن بن الحافظ، وإبراهيم بن عبد المحسن بن عبد الوهاب بن أبى الحسن بن أبى القاسم بن المستنصر، ويونس بن سليمان بن عبد الخالق بن أبى الحسن بن أبى القاسم، وأبو اليسر بشارة بن عبد المحسن بن أبى محمد بن أبى الحسن بن أبى القاسم بن المستنصر، وجعفر ابن موسى بن محسن بن داود بن المستنصر، وعلى بن سليمان بن أبى عبد الله بن داود ابن المستنصر، وأبو الفضل بن عبد المجيد بن أبى الحسن بن جعفر بن المستنصر، ويحيى

---

(١) محمد بن على بن على بن على، أبو طالب، مهذب الدين الحلبى، المعروف بابن الخيمى: عالم بالأدب. ولد بالحلة المزيدية ورحل إلى بغداد وسورية، وتوفى بالقاهرة. من كتبه «أمثال القرآن» و«الملخص الديوانى». انظر: بغية الوعاة ٧٨، والوافى ١٨١/٤، والفوات ٤٨٣/٢، والأعلام ٢٨٢/٦.

ابن صدقة بن شبل بن عبد المجيد بن أبى الحسن بن جعفر بن المستنصر، وعبد الله كمال ابن داود بن يحيى بن أبى على بن جعفر بن المستنصر، وأبو على بن عبد الرحمن ابن يحيى ابن أبى على بن جعفر بن المستنصر، وسليمان بن عبد الصمد بن أبى عبد الله ابن عبد الكريم بن أبى اليسر بن جعفر بن المستنصر، وأبو على بن عبد الصمد، أخوه، وعبد الكريم بن إبراهيم بن أبى الحسن بن عبد الله بن المستنصر، وعبد الغنى بن أبى الرضا بن أبى الحسن بن عبد الله بن المستنصر، وعبد الصمد بن سليمان بن محمد بن حيدرة بن عقيل بن المستنصر، وإسماعيل بن صدقة بن أبى اليسر بن إسحاق بن المستنصر، وأبو محمد بن موسى بن عبد القادر بن أبى الحسن بن إسحاق بن المستنصر، وعبد الصمد ابن حسن بن أبى الحسن من أولاد المستنصر.

ولم يزالوا معتقلين بقلعة الجبل إلى أن حولوا منها سنة إحدى وسبعين وستمائة.

* * *

آخر كتاب اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا للمقريزى من كتابة فقير رحمة الله محمد بن أحمد الجيزى الأزهرى الشافعى، لطف الله به وغفر ذنوبه وستر عيوبه والمسلمين أجمعين فى سنة أربع وثمانين وثمانمائة.

تم بحمد الله

Marfat.com

فهرس

الظاهر لإعْزاز دين الله أبو الحَسَن على بْن الحاكِم بأمْر الله أبى عَلى مَنصُور ٣
وفى سنة ثمانى عشرة ٧
سنة خمس عشرة وأربعمائة ١١
ومات فى هذه السنة مَّمن له ذكر ٣٨
سنة ست عشرة وأربعمائة ٤٠
سنة سبع عشرة وأربعمائة ٤٠
سنة ثمان عشرة وأربعمائة ٤١
سنة إحدى وعشرون وأربعمائة ٤٢
سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ٤٣
سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة ٤٣
سنة أربع وعشرين وأربعمائة ٤٣
سنة خمس وعشرين وأربعمائة ٤٣
سنة ست وعشرين وأربعمائة ٤٤
سنة سبع وعشرين وأربعمائة ٤٤
المسْتَنصِر بالله أبو تميم مَعَدّ بن الظاهِر لإعَزازِ دين الله أبِى الْحَسَنَ على بن الحاكِم بأمرِ الله ٤٥
سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ٤٦
سنة تسع وعشرين وأربعمائة ٤٦
سنة ثلاثين وأربعمائة ٤٧
سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ٤٧
سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ٤٧
سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ٤٧
سنة أربع وثلاثين وأربعمائة ٤٨
سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ٤٨

Marfat.com

سنة ست وثلاثين وأربعمائة ٤٨
سنة سبع وثلاثين وأربعمائة ٥٠
سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة ٥١
سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ٥١
سنة أربعين وأربعمائة ٥٥
سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ٥٩
سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة ٦٢
سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة ٦٣
سنة أربع وأربعين وأربعمائة ٦٩
سنة ست وأربعين وأربعمائة ٧١
سنة سبع وأربعين وأربعمائة ٧٤
سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ٧٦
سنة تسع وأربعين وأربعمائة ٨٠
سنة خمسين وأربعمائة ٨٢
سنة إحدى وخمسين وأربعمائة ٩٧
سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة ٩٩
سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ١٠١
سنة أربع وخمسين وأربعمائة ١٠٣
ذِكْر ابتِداءِ الفِتنة الّتى آلَتْ إلى إخراب دِيَار مصْر ١٠٥
سنة خمس وخمسين وأربعمائة ١٠٧
سنة ست وخمسين وأربعمائة ١٠٨
سنة سبع وخمسين وأربعمائة ١٠٨
سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ١٠٩
سنة تسع وخمسين وأربعمائة ١٠٩
سنة ستين وأربعمائة ١١١
سنة إحدى وستين وأربعمائة ١١٢
سنة اثنتين وستين وأربعمائة ١٣١
سنة ثلاث وستين وأربعمائة ١٣٣
سنة أربع وستين وأربعمائة ١٣٣
سنة خمس وستين وأربعمائة ١٣٤
سنة ست وستين وأربعمائة ١٣٦

Marfat.com

سنة سبع وستين وأربعمائة ١٣٨
سنة ثمان وستين وأربعمائة ١٣٨
سنة تسع وستين وأربعمائة ١٣٩
سنة سبعين وأربعمائة ١٤١
سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة ١٤١
سنة سبع وسبعين وأربعمائة ١٤٢
سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ١٤٢
سنة ثمانين وأربعمائة ١٤٥
سنة إحدى وثمانين وأربعمائة ١٤٥
سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة ١٤٥
سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة ١٤٦
سنة خمس وثمانين وأربعمائة ١٤٦
سنة ست وثمانين وأربعمائة ١٤٦
سنة سبع وثمانين وأربعمائة ١٤٧
ابْن الظاهِر لِإعْزَازِ دين اللهِ أَبِى الحَسن عَلى بْن الحاكِم بأَمْرِ اللهِ أبى عَلى مَنْصُور ١٥٢
سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ١٥٤
سنة تسعين وأربعمائة ١٥٧
سنة إحدى وتسعين وأربعمائة ١٥٩
سنة اثنين وتسعين وأربعمائة ١٥٩
سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة ١٦١
سنة أربع وتسعين وأربعمائة ١٦١
سنة خمس وتسعين وأربعمائة ١٦٢
الآمِرُ بأحْكَامِ اللهِ أبو عَلِى الْمنْصُور بْن الْمُسْتَعْلِى باللهِ أبى القاسِم أَحْمَد بْن المُسْتنْصِر باللهِ أبِى تَمِيمٍ مَعَد ١٦٤
سنة ست وتسعين وأربعمائة ١٦٤
سنة سبع وتسعين وأربعمائة ١٦٥
سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ١٦٥
سنة تسع وتسعين وأربعمائة ١٦٦
سنة خمسمائة ١٦٦
سنة إحدى وخمسمائة ١٦٧
سنة اثنتين وخمسمائة ١٦٩

Marfat.com

٣٥٦ ..... التعاظ الحنفا
سنة ثلاث وخمسمائة ١٧١
سنة خمس وخمسمائة ١٧٢
سنة ست وخمسمائة ١٧٣
سنة سبع وخمسمائة ١٧٤
سنة عشر وخمسمائة ١٧٦
سنة إحدى عشرة وخمسمائة ١٧٦
سنة اثنتى عشرة وخمسمائة ١٧٧
سنة خمس عشرة وخمسمائة ١٧٩
سنة سبع عشرة وخمسمائة ٢٠٥
سنة ثمان عشرة وخمسمائة ٢١١
سنة عشرين وخمسمائة ٢١٨
سنة إحدى وعشرين وخمسمائة ٢١٩
سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ٢٢٠
سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ٢٢٢
سنة أربع وعشرين وخمسمائة ٢٢٤
الحَافِظُ لِدِّين اللهِ أبو الْمَيْمُون عَبْد المجَيد بْن الأمير أبِى القَاسِم مُحمَّدْ بن الْمُسْتَنْصِر باللهِ أبى تميم مَعَدّ ٢٢٩
سنة خمس وعشرين وخمسمائة ٢٣٢
سنة ست وعشرين وخمسمائة ٢٣٣
سنة سبع وعشرين وخمسمائة ٢٣٦
سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ٢٣٦
سنة تسع وعشرين وخمسمائة ٢٣٩
سنة ثلاثين وخمسمائة ٢٤٢
سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة ٢٤٢
سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ٢٤٦
سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ٢٤٨
سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ٢٥١
سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ٢٥٢
سنة ست وثلاثين وخمسمائة ٢٥٣
سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ٢٥٣
سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ٢٥٤

Marfat.com

سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ٢٥٤
سنة أربعين وخمسمائة ٢٥٤
سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ٢٥٤
سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ٢٥٥
سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ٢٥٨
سنة أربع وأربعين وخمسمائة ٢٥٩
الظّافر بأمر الله أبو المنصور إسماعيل بن الحافظ لدين الله أبى الميمون عبد المجيد بن الأمير أبى القاسم محمّد ابن المستنصر بالله ٢٦٣
سنة خمس وأربعين وخمسمائة ٢٦٨
سنة ست وأربعين وخمسمائة ٢٦٩
سنة سبع وأربعين وخمسمائة ٢٦٩
سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ٢٦٩
سنة تسع وأربعين وخمسمائة ٢٧٢
الفَائِزُ بِنَصْرِ الله أَبو القَاسِم عيسَى بْن الظّافِر بأمْرِ الله أبى المنصُور إسَماعيل بْن الحافِظ لدين الله أبى الميمُون عَبد المجيد ٢٧٤
سنة خمسين وخمسمائة ٢٧٩
سنة إحدى وخمسين وخمسمائة ٢٨٢
سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ٢٨٢
سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ٢٨٣
سنة أربع وخمسين وخمسمائة ٢٨٥
سنة خمس وخمسين وخمسمائة ٢٨٦
العَاضِدُ لدين الله أَبو مُحَمَّد عَبْد الله بن الأمير يُوسُف بْن الحافِظ لدين الله أبى الميمُون عَبد المجيد ٢٨٨
سنة ست وخمسين وخمسمائة ٢٨٩
سنة سبع وخمسين وخمسمائة ٢٩٥
سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ٢٩٥
سنة تسع وخمسين وخمسمائة ٣٠٠
سنة ستين وخمسمائة ٣٠٩
سنة إحدى وستين وخمسمائة ٣١٠
سنة اثنتين وستين وخمسمائة ٣١٠
سنة ثلاث وستين وخمسمائة ٣١٥

Marfat.com

اتعاظ الحنفا ٣٥٨
سنة أربع وستين وخمسمائة ٣١٥
سنة خمس وستين وخمسمائة ٣٣٠
سنة ست وستين وخمسمائة ٣٣٣
سنة سبع وستين وخمسمائة ٣٣٥
ذكر طرف من ترتيب الدولة الفاطمية ٣٤٣
ذكر ما عيب عليهم ٣٤٩
ذكر ما صار إليه أولادهم ٣٥٠



اتعاظ الحنفا

بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا

تأليف

أبي العباس تقي الدين أحمد بن علي المقريزي
المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق

محمد عبد القادر أحمد عطا

١ ~ ٢

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان